

شرح نظر عمود النسب

لأحمد البدوي بن محمد

«جماد على البدوي»

تأليف

جماد بن المين المجلسي الشنقيطي

مراجعة وعلق عليه وكماله

أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي

أعده ونشره

محمد محفوظ بن أحمد

الجزء الأول
من شرح عمود النسب

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

شرح نهجك عمودك الزمان

موسوعة في أنساب العرب وأيامها والسيرة النبوية الشريفة وأخبار آل البيت
والصحابه.. وما تعلق بذلك من القصص العظيمة والعلوم المفيدة والآداب الرفيعة

ينشر لأول مرة مصححا ومنقحا على نسخ أصلية بينها
نسخة نجل المؤلف المكتوبة في حياته

وبهامشه للمحقق:

تعليقات وفوائد وزيادات لها مناسبة وارتباط بمحلها المذكورة
فيه، مع تحقيق النص الأصلي وضبط وشرح بعض المفردات
اللغوية، وعزو الآيات وتخريج الأحاديث والأخبار الواردة فيه

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ
أسرة المؤلف

جميع الحقوق محفوظة لأسرة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَا لَهُ شَاكِرِينَ إِلَّا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لِهَذَا إِنَّهُ لَكَنُاصِرٌ مُبِينٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

أحمد الله ربي حمداً دائماً بدوام نِعَمِهِ التي لا يحصى عددها، ولا يُستقصى مددها، وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم رسله المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله، سيد ولد آدم قاطبة وخير نبي أرسل لخير أمة بالرسالة الخاتمة والشرعية الشاملة، وعلى آله الطيبين وأصحابه المكرمين بصحبته، الفائزين بنصرته.

أما بعد؛ فلا يخفى ما لِعِلْمِ الأنساب من أهمية وخطورة، إذ هو جوهر مكونات التاريخ الحقيقية، كما أن حفظ النسب من المبادئ الأساسية والمقاصد الشرعية؛ الشيء الذي جعل معرفة الأنساب وتمييزها وتوضيحها وترتيبها.. علما قائما في كل العصور. ولأجل ذلك عُني العلماء المسلمون بالأنساب من زوايا أخرى عديدة، مثل علم الرواية وطُرق الأسانيد.. وغيرها من علوم معرفة الرجال ونقدهم، التي يرجع لهم بها الفضل في حفظ ونقل السنة المطهرة وسائر العلوم الشرعية.

ولأنساب العرب شرف على سائر الأنساب، لَمَّا كان لهم شرف ظاهر على كافة الأقوام، باختيار الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - منهم، ولأن نسبه هو ذروة نسبهم وسنام حسبهم. ومن هنا امتزج علم أنساب العرب بالسيرة النبوية الشريفة فكانت محوره وعليها مداره.

ومن باب السيرة الواسع ومداهها الشاسع، ألف المؤلفون في علم الأنساب، وصنّفوا الكتب في نسب وأخبار آباء النبي ﷺ وأنساب ومآثر الأصحاب.

ومن هؤلاء المصنفين العلامة أحمد البدوي بن محمدا المجلسي وابن أخيه حماد بن الأمين؛ اللذين احتوت على أعمالهما وآثارهما العلمية محبة رسول الله ﷺ والتلذذ بسيرته العطرة، والتعلق بأصحابه وعترته المطهّرة. فتوسعا في ذلك - تأريخا ونسبا - حتى جاءا بهذه الموسوعة التي بين أيدينا، المرتكزة على نسبه صلى الله عليه وسلم ونسب أصحابه من المهاجرين والأنصار، والشاملة مع ذلك أنساب العرب وأصولها وفصولها، وذكر المستطاب من آدابها، والمستطرف من أخبارها، وبعض مشاهيرها في الجاهلية والإسلام..

وقد كنا أشرنا في تقديم كتاب رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب إلى أن مؤلفه الشيخ ابنه - حفظه الله ورعاه - قد تصدى لأمرين عظيمين؛ أحدهما: تصحيح وتنقيح ما شرحه الشيخ حماد بن الأمين من نظم عمود النسب للعلامة البدوي. والآخر: إكمال هذا الشرح تكملةً تليق بهذين الأصلين النفيسين. فبدأ بأعز الأمرين وهو إكمال شرح النظم، فأحسن في ذلك وأجاد، وأبدع وأفاد، وجاء بما بهر العقول وأثلج الصدور. فابتهج الناس بتمام هذا الشرح، واكتمال ذلك الصرح، وعادوهم ما كان من أشواقه، والتطلع إلى إشراقه.

ثم بعد ذلك تصدى لمراجعة هذا الشرح وتصحيحه، وانكبَّ على جمع نسخ أصله وتنقيحه، فأبرز مادته وصقلها مما علاها من صدأ السنين، وتراكم

أخطاء النساخين وأغلاط الناقلين. ثم زاد على ذلك بفوائد عديدة وتخریجات مفيدة، أثرت مادة هذا الشرح الغزيرة، وحررت مصادر أصوله، وأبرزت صحة مراجعه ونقوله. مع زيادات فصّلت ما أجمل، وأوضحت ما استشكل. وتعليقات استخرجت الكثير من كوامنه، وكشفت المزيد من محاسنه.

ولقد بذل المحقق في سبيل ذلك الكثير من فكره وجهده ووقته الثمين، رغم مشاغل التدريس وغيره. فالله نسأله أن يجزل ثوابه ويحقق مرامه، وأن يقيه لبث علوم شريعته، ونشر أعمال طاعته.

* *

لقد انتهج حماد رحمه الله في شرحه هذا نهج الأقدمين في علو الهمة وافتراض حد من المعرفة في قرائه. ومع ذلك التزم فيه بلغة سليمة قريبة، مع رقي في العبارة وعمق في الفصاحة. ذلك من حيث مفرداته وتراكيبه، أما من حيث مادته ونسجه، فتجلت فيه براعة المؤلف المعهودة في الاختصار مع الاستيفاء، وطي المساحات الشاسعة، وتركيز المعاني الواسعة، بما يحقق المفيد الممتع، ويجسد السهل الممتنع. وهي براعة ظاهرة ومقدرة باهرة لمن تأمل نظم عمود النسب وما يزخر به من النكت والإشارات، وما يشع منه من المعاني والتلميحات.

كذلك من سمات منهج المؤلف في هذا الشرح، استطراد الحكايات واللطائف، وإيراد ما يناسب من الفوائد والطرائف؛ وربما أعاد قصة للبسط فيها، أو لتأكيد بعض معانيها، واقتناص مزيد من فوائدها، وتقييد شواردها.

وحقيقة الأمر أن شرحه - رغم عدم اكتماله - قد ارتفع ذكره وعمّ صيته الأصقاع، ونال القبول بالإجماع. فكان - كالنظم نفسه - من أكثر المؤلفات الموريتانية انتشاراً؛ ومن ثم تعددت نُسخه المتداولة، ولم يسلم كثير منها من تسلل الأخطاء وتسرب الأغلاط. وذلك لأسباب كثيرة، منها عوامل البداوة، ومنها أن نسخ الكتب في هذه البلاد كان يزاوله الجميع ولا يتوقف على من لهم معرفة بالعلم أو دراية بصناعة الكتابة. بل كان تعطشهم للمعرفة وتعلقهم بالكتب يدفع من يتجاوز طور الأمية قليلاً إلى نسخ ما يجد في الطروس. فتعاقد ذلك مع سوء الخطوط الغالب؛ إذ لم يكن تجويد الخط ورسمه من المواد المعرفية المتداولة، كما لم تكن أدواته كثيرة ولا جيدة.. ناهيك عن كون المؤلف - رحمه الله - لم يكمل هذا الشرح أصلاً، فأحرى أن يراجعَه ويُبيضه، بل كانت نسخته الأصلية جمعا وتسويدا؛ والتسويد - كما هو معلوم - يصعب على غير العارف المختص والناسخ الفطن أن ينقله بدقة دون خلط أو حذف أو تقديم أو تأخير..

لكن - مع هذا - ظلت نُسخه الأولى محفوظة لدى أسرة المؤلف، تحظى بالعناية والصيانة، فكانت لذلك سليمة من معظم الأخطاء التي تسربت إلى غيرها، لكنها بطبيعة الحال لم تسلم من بعضها.

ولقد انصبَّ جهد المحقق - حفظه الله - على الاستفادة من كافة النسخ، وزاد عليها بالبحث وتقصُّص تراث المؤلف، ومراجعة أهل المعرفة الذين تناقلوا هذا التراث العلمي النفيس كابرا عن كابر، بطرقٍ متصلة.

وقبل حوالي ست عشرة سنة ظهرت أول نسخة مطبوعة من هذا الشرح، نشرتها إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، وكلفت بتحقيقها فضيلة الشيخ أحمد المختار الجكني الشنقيطي؛ الذي نوه بمدى إعجاب الناشرين بهذا النظم وحرصهم على نشر شرح حماد له دون غيره من الشروح.

وعلى رغم أهمية هذه المبادرة ونبل مقاصدها وجهود صاحبها المشكورة المأجورة في طباعة هذا الكتاب، فقد جاءت طبعته (والطبعة المكررة منه) مليئة بالأخطاء على نحو يصدّم الألباب ويجافي الصواب، بل إن هذه النسخة المطبوعة لم تَرَقْ - مع الأسف - إلى أن تكون نسخة حقيقية يمكن تصحيحها وتنقيحها، أو التعويل عليها في مقابلة النسخ الأخرى. ودليل هذا بادٍ للعيان بمطالعة أي مكان من جزئي الشرح في هذه الطبعة. ونسوق هنا على ذلك أمثلة غير منتقاة، بل من نظرة خاطفة في بضع صفحات غير مقصودة بذاتها:

- في الصفحة 1/151 عن صهيب الرومي رضي الله عنه: "... أن كلبا ابتاعوه وبيع بمكة ثم أعتق". والذي في النسخ الموجودة عندنا إنما هو: (... وبيع بمكة ثم عَتَق...)، كما صوبه في هامش الطبعة!.

- في صفحة 1/179: عن المثني بن حارثة رضي الله عنه: "...استشهد من جراحات أصابته يوم جسر أبي عبيدة". وهذا خطأ جلي أجدر بالملاحظة والتصويب، لشهرة هذا الجسر ويومه، وإليهامه نسبته إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وفي الأصول - كما هو الصحيح -: (... جسر أبي عبيد).

- في الصفحة 1/193 عن عمرو بن عبسة: "... وكان أخا أبي بكر وأبي ذر، لأنه روى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثاً..." والنص الأصلي هو: (...). وكان أخا أبي ذر لأمه. روى عن النبي ﷺ... الخ)، وصرح المعلق في الهامش بأنه لم يدرك هذا التعليل!.

- في صفحة 1/215: "... أبو صحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق إن روى وسمع... وهو آخر الصحابة موتاً بالكوفة، وقيل أبو أبي الأسلمي". والذي في الأصول هنا: (أبو صحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق بعد أن رأى وسمع... وهو آخر الصحابة موتاً بالكوفة، وقيل أبو أوفى الأسلمي).

- في صفحة 1/300: "وقال سعيد بن زيد في يوم الحرة: فإن تقتلوننا... الخ". وفي الأصل: (وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد في يوم الحرة). مع أن سعيد بن زيد توفي سنة نيف وخمسين ووقعة الحرة كانت سنة 63 هـ.

- في صفحة 2/29: "... وكل الصحابة تمنعه الأبوة والبنوة من قتل أبيه وابنه كافرين". والذي في الأصول: (وكل الصحابة لا تمنعه الأبوة ولا البنوة من قتل أبيه أو ابنه الكافرين). ومع وضوح سياق النظم لهذا؛ وهو قوله: والقتل للآباء والأولاد... الخ، وسياق الشرح: (... منه قتل الضحاك بن سفيان الكلابي؛ لحق أباه على فرس فعرقبه... الخ)، فإن المعلق لم يخطر بباله أن في الكلام حذفاً أو غلطاً بل رد عليه في الهامش مصوباً لخطأ فادح واضح في نسخته وحدها!.

- في صفحة 2/187: "وكان غائباً فبعث إليها كيلة شعير..."، وفي الأصل: (... فبعث إليها وكيله بشعير... الخ).

ولعل أطرف الأخطاء وأقلها ضررا ما وقع في نفس الصفحة، قال: "وله منها أبان بن حفص ولعله بكرها الذي تعني بقولها:

ولا أخي وعمه وبكري إن كان قد قتل يوم بدر"

فالشطر الأخير ليس من رجز هند بنت عتبة الشهير، وإنما هو من كلام الشارح، استدراكا منه لبيان الخلاف في مقتل ابنها أبان يوم بدر. لكن لأن هذا الشرح جاء - صدفة - موزونا في بحر وقافية الرجز رُسم من قول هند، مع بُعد ذلك بأدنى النظر!

- في صفحة 2/331: "وعبد الرحمن بن عبد الرحمن أمه أسماء بنت سلامة بن مخزومة أم عياش وأبي جهل والحارث بن هشام..". والذي في الأصول هو: (.. أمه أسماء بنت سلامة بن مخزومة التميمية - أخوه لأمه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة - عمتها أسماء بنت مخزومة أم عياش وأبي جهل والحارث..) إلخ.. هذه مجرد نماذج قليلة من كثير ينحو نحوها.. وهناك من الخلط والحذف الكثير أيضا.. يطال بعضه المتن، مثل قول الناظم:

عبد مناف منه الاسود الأبي خال النبي من كبار الصحب

فهذا البيت محذوف مع شرحه كله من هذه الطبعة، التي لا نقلل بهذا من أهمية المبادرة إليها ولا عظم الجهد فيها، بل ربما كان من فائدتها ما أثارته من عناية بهذا الكتاب واستفزاز الغيورين عليه من أجل طباعة ونشر أصله الصحيح. وإنما قصدنا بإيراد ذلك التنبيه والتصويب.

والحقيقة أن الأغلاط والأخطاء تصعب السلامة منها، لكن حين تتجاوز الحد وتطال الجوهر وتخل بالمبنى وتفسد المعنى في غير موضع واحد، بل يتكرر

ذلك ويستمر بحيث لا تكاد تسلم منه الصفحة أو الصفحتان.. فإن الخطب يصعب ويكون الضرر أقرب من النفع.

هذا وإن طباعة هذا الشرح والتحقيق، ونشر هذا الكتاب الأنيق، ما كان متاحاً ولا ممكناً لولا مبادرة عُصبة من أهل الفضل والكرم والنجدة من أحفاد المؤلف - رحمه الله - تقدموا لهذه المهمة الضخمة، وتصدوا لمصاعبها الجمة وبذلوا بسخائهم الفطري وكرمهم المتوارث، جهدهم ومالهم لإنجازها، مقبلين - كعادتهم - على البذل والإيثار على النفس، والتعاون على البر والتقوى وخدمة العلم، ومعرضين عن الظهور بمظاهر ذلك؛ بل آثروا - حفظهم الله - التواضع وفضلوا عدم التصريح بأسمائهم.

فجزاهم الله وإخوانهم الآخرين من أسرة المؤلف الكريمة، على برهم وبرورهم، أحسن الجزاء، وبارك سعيهم وضاعف لهم الأجر والثواب، ووفقهم للخير والصواب.

والحمد لله رب العالمين

محمد محفوظ بن أحمد

عفا الله عنهما

ذو الحجة 1422 / فبراير 2002م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

ﷺ الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للناس كافة بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، وعلى آله وصحبه المهتدين بهديه، والمقتفين لسنته، والذاين عن ملته، والباذلين وسعهم في تبين شرعته.

وبعد فإنه لما كان الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقرن بينهما، ونهانا عن معصيته وجعل لنا الأسوة الحسنة في رسوله ﷺ فقال جل من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾

فقد تعين علينا أن ندرس سيرة النبي ﷺ بجميع جوانبها وأن نصرف الهمم إلى معرفة آثاره النبوية، وصفاته العلية، وشمائله الزكية، وما يتعلق بحياته

لنتمكن من امتثال أمر خالقنا ونتأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه المطلوب؛ لأنها قبس يستضيئ به من أراد الاهتداء، ومعلم تتجلى به سبل الأسوة، وتقوى به وسائل المحبة والمودة التي يتوقف عليها تمام الإيمان وبها يعرف الكثير من معاني كتاب الله العزيز والسنة النبوية الفعلية والقولية والتقريرية. وبها تعرف فضائل أهل بيته صلى الله عليه وسلم وشرف قبيلته وسيرة صحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه وتآخوا في ذلك وتراحوا فيما بينهم وصاروا أشداء على أعدائهم إلى أن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾. وقال فيهم رسول الله ﷺ «فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

فلذا عكف السلف والخلف على درسها وتعاطيها دراية، وحفظها وتدوينها رواية، وبذلوا الجهد والوسع في تصحيحها وتمحيصها، واعتبروها أفضل العلوم بعد علم التوحيد لفضل مدلولها الذي هو معرفة النبي ﷺ من لدن كان في أصلاب آبائه الطاهرين وأرحام أمهاته الطاهرات إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى. وإذا كان عصرهم قد انقضى ولم يكتبوا شيئا من السيرة ولم يدونوا شيئا من العلم - غير القرآن العظيم - إلا ما ندر، فقد صرفوا همهم وبذلوا غاية وسعهم وعنايتهم لتبليغ أقوال النبي ﷺ وأفعاله ولم يتركوا شيئا مما يتصل بذلك إلا وعته أفئدتهم وروته ألسنتهم.

ولقد كانت العناية بمعرفة علم الأنساب والأخبار والقصص من خصائص

العرب في العصور الجاهلية، ثم أقرها الإسلام، واعتنى بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ فكان الصحابة يسألون عنها رسول الله ﷺ فيخبرهم، وكان بعضهم يسأل بعضا ويتعلمونها ويُعلمونها.

وكانوا يقدمون بين يدي أخبار النبي ﷺ بعض قصص الجاهلية وأخبار الأمم السابقة، وكان أعيان الصحابة يسألون عن ذلك ويحدثون به. فقد كان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في المقام الأرفع والجانب الأعلى في معرفة أنساب العرب وكان المقدم فيه في حياة النبي ﷺ وكان الصحابة يأخذون ذلك عنه، وقد أقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وأمرهم بالأخذ منه؛ وفي ذلك أعظم دليل وشاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره.

وكان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحدث بأيام العرب في الجاهلية والإسلام. وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ ومغازيه وسراياه ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوها. وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما يسألان خالهما هند بن أبي هالة عن صفات النبي ﷺ ويحفظانها..

وكذلك كان التابعون؛ فقد كان علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما يقول: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن. وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص يعلم بنيه المغازي والسرايا ويعدها عليهم..

موجز تاريخ تدوين السيرة النبوية

بدأت الكتابة في فن السيرة مبكرة في عهد التابعين وتابعيهم وهلم جرا..

وألف فيها علماء السلف والخلف عبر العصور في مختلف المواضيع المتعلقة بها؛ فقد كان ممن ألف فيها في القرن الأول للهجرة: عروة بن الزبير بن العوام (توفي 93 هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت 101)، وشرحبيل بن سعد، أحد موالى الأنصار.

وفي القرن الثاني ألف فيها ابن شهاب الزهري (ت 124)، وموسى بن عقبة (ت 141)، ومحمد بن إسحاق (ت 151)، وغيرهم.. وقد ضاعت مصنفات الطبقتين الأولى والثانية.

وفي القرن الثالث كان من أبرز من ألفوا فيها: ابن هشام (ت 213)، والمصعب الزبيري (ت 236)، وابن أخيه الزبير بن بكار، وابن سعد صاحب الطبقات (ت 230).

وفي القرن الرابع ألف فيها أبو الحسن المسعودي صاحب مروج الذهب (ت 346)، وأبو حاتم البستي صاحب السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ت 354)، وابن هلال العسكري صاحب الأوائل (ت 395).

وفي القرن الخامس: أحمد بن الحسين البيهقي صاحب دلائل النبوة (ت 458)، وابن عبد البر صاحب الاستيعاب (ت 463).

وفي القرن السادس ألف السهيلي صاحب الروض الأنف (ت 581).

وفي القرن السابع: ابن قدامة المقدسي صاحب الاستبصار (ت 620)، وسليمان بن موسى الكلاعي صاحب الاكتفاء (ت 634)، وابن الأثير صاحب أسد الغابة (ت 663).

وفي القرن الثامن: ابن سيد الناس اليعمري صاحب عيون الأثر (ت 734)،

ومحمد بن القيم صاحب زاد المعاد (ت 751)، وابن كثير صاحب السيرة النبوية
والبداية والنهاية (ت 774).

وفي القرن التاسع: القلقشندي صاحب نهاية الأرب وصبح الأعشى (ت 821)،
والعسقلاني صاحب الإصابة (ت 852).

وفي القرن العاشر: القسطلاني صاحب المواهب اللدنية (ت 923)، ومحمد بن
يوسف الشامي صاحب سبل الهدى (ت 942).

وفي القرن الحادي عشر: نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي صاحب السيرة
الحلبية (ت 1044).

وفي القرن الثاني عشر: الزرقاني شارح المواهب (ت 1122)، ومحمد اليدالي
الديماني صاحب الحلة السيرا (ت 1166)، وأحمد البدوي المجلسي (ت 1208)
صاحب نظم عمود النسب.

وفي القرن الثالث عشر: الشيخ حماد بن الأمين المجلسي صاحب شرح عمود
النسب الذي بين أيدينا..

ومن حيث المنهج فقد كان من بين من ألف في هذا الفن من اقتصر على
بني هاشم - فصيلته صلى الله عليه وسلم - ومن اقتصر على قريش - قبيلته -
ومن اقتصر على الأنصار - عييته - ومنهم من تناول جميع العرب؛ عدنانيتها
وقحطانيتها. وألفوا في ذلك الكثير من التأليف والتصانيف المختصرة والمطولة،
نظما ونثرا في شتى المواضيع.

وممهما عتني بذلك كله وكان له فيه الباع الطويل والعطاء الجزيل العالمان
المتبحران والحافظان السيريان: أحمد البدوي بن محمدا وحماد بن أمين؛ فقد ألفا

في ذلك وكانت مؤلفاتهما من أفضل ما صنف في هذا الفن فيما رأينا، وأحسنه فيما انتهى إلينا؛ فجاء البدوي بأنظام عديدة تناولت مختلف جوانب السيرة النبوية، ثم جاء حماد بشروح لتلك الأنظام، وافية بالمقصود جزيلة المحتوى.

وكان من بين تلك الأنظام النظم الذي يعرف بعمود النسب⁽¹⁾ الذي جمع فيه ناظمه ما لا يحصى من اللآلئ المتناثرة والبدائع والنكت المُبْدَعَة في كتب السنة والسيرة والتاريخ والأدب.. وهو من أحسن ما نُظم من المختصرات في هذا الفن وقد أجاد فيه ناظمه وأفاد.

نظم عمود النسب

بدأ الناظم - كعادة غيره من المؤلفين - بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ وأتى فيه ببراعة الاستهلال، ثم ذكر التنويه بالعرب وفضلهم وخصوصيتهم بكون النبي ﷺ منهم. ونوه بأهمية وشرف العلم الذي يتحدث عن سيرة النبي ﷺ وصحابته المهاجرين والأنصار. ثم ذكر أبوي العرب: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبناءهما للكعبة المشرفة. وذكر الشعوب التي تداولت البيت الحرام وسكنت بجواره منذ ذلك العهد إلى زمن النبي ﷺ. ثم استطرد بعض مختلقات العرب الجاهلية وعوائدها الغريبة. وذكر أن نسبهم ينتهي إلى سام بن نوح عليه السلام، وأن العرب تنقسم إلى بائدة؛ وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم، وإلى غير بائدة؛ وهذه إما

(1) أو بعمودي النسب (بالثنية) باعتبار عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم وعمود نسب الأنصار.

عدنانية أو قحطانية.

ثم خلص للمقصد الأصلي من النظم وهو ذكر عمود النسب النبوي الشريف فسرده بدءاً بأحمد ﷺ وانتهاءً بعدنان، وبين صفاء نسبه وكرم أصله الجامع بين النسب الشريف والحسب المنيف. وسكت عما فوق عدنان لما كان في ذكره من الخلاف والاضطراب، مستشهداً بما روي من أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك وقال: «كذب النسابون». ثم ذكر ما تفرع من سلسلة النسب بادئاً بعدنان متديلاً إلى عبد المطلب بن هاشم، مراعيًا الترتيب التسلسلي.

ثم أخذ في المقصد الثاني وهو عمود نسب الأنصار؛ فابتدأ بذكر القبائل القحطانية وسبب نزوح أجداد الأنصار من اليمن إلى يثرب، وسبب إسلام الأنصار، وتلقيبهم بهذا اللقب وذكر بطونهم؛ أوسها وخزرجها.

ثم تكلم على حمير وأشار إلى ملوكها وأقيالها، وركز على قضاة منها. ثم تكلم على مذحج وطئ ثم على كندة. كل ذلك مع ذكر بعض مشاهير تلك البطون والفروع من أعيان الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء والشعراء والأدباء والنسابين والأبطال والشجعان والأجواد والحكماء.. في الجاهلية والإسلام، معتنياً بعناية خاصة بأخبار إسلامهم والتنويه بمناقبهم، والتصريح أو الإشارة إلى ما لبعضهم من مواقف أو علاقة خاصة مع رسول الله ﷺ.

وأكثر من الاستطرادات المهمة والنكت والطرف والتلميحات المفيدة.. إلى غير ذلك مما يصعب حصره. وختم النظم بلمحة وجيزة عن نسب السوادين. وبالجملة فهو نظم بديع شاهد بمقدرة صاحبه الشعرية، معبر عن رسوخ

قدمه في هذا الميدان، معرب عن سعة علمه، ناطق بفصاحة خطابته وغازاة مادته، وقوة آله، ورقى ذوقه، وجودة سبكه، وسلاسة لفظه..

يبلغ عدد أبيات هذا النظم ألفا ومائتين وسبعة وسبعين بيتاً، تناول فيها جميع هذه المواضيع المذكورة باختصار غير مخل، واستيفاء غير ممل، مع وضوح المعنى وأناقة الأسلوب واعتماد أصح الروايات والأقوال.

ولقد أجاد أخي وصديقي الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي في وصفه حيث يقول:

مرتّع من مراتع الآداب	إن نظم الأنساب للألباب
وأتى فيه بالجنى المستطاب	أحمد الخبر فيه أبدع سبكا
وأحاديث آله والصحاب	مع أنساب العرب سيرة طه
إن هذا من العجيب العجائب!	فهو سحر الألباب وهو حلال
وحباه الفردوس يوم المآب	فجزاه الإله خير جزاء

شرح عمود النسب

وأما هذا الشرح فهو أول شرح وضع على النظم على الإطلاق، وهو المصدر الأول الذي يعتمد عليه فيه؛ لأن صاحبه كان قد حضر صياغة النظم وقرأه على ناظمه مباشرة. وقد أفاد فيه مؤلفه وأجاد، وكان نهجه فيه شرح المفردات اللغوية وحل الغامض وتقرير المعنى وترجمة أعيان الصحابة والتابعين والأئمة والرجال المشهورين الوارد ذكرهم في النظم، والتعريف بأجداد النبي ﷺ وجداته، وبعظماء وزعماء العرب في الجاهلية والإسلام المذكورين والمشار إليهم في النظم. وذكر الأنبياء الأولين والرسل المكرمين من آدم إلى إسماعيل عليهم

السلام. كما فصل في التعريف بالعرب البائدة وغير البائدة، وبالعاربة والمستعربة. وتناول مختلف جوانب التاريخ بمدلوله العام؛ فبالإضافة إلى ما أودع في هذا الشرح من السيرة النبوية وأنساب العرب، فقد استوعب المهم من ذكر ما يرتبط بذلك من الأخبار والآثار والمآثر والقصص والحروب والغارات والوقائع التي جرت بين العرب، مع ذكر أدوار جيرانهم وعلاقتهم بذلك، ولاسيما من الفرس والروم والحبشة. كما اشتمل على ذكر ملامح حياة العرب الاجتماعية والاقتصادية وما تجدر ملاحظته من مكارم أخلاقها والحسن والقبیح من عاداتها، ودياناتها ونحلها، وما كانت عليه قبل الإسلام من حال وما أصبحت عليه بعده. مع الإشارة في ثنايا ذلك وأطرافه إلى كثير من الفوائد العلمية والفقهية والأدبية واللغوية وذكر الكثير من النكت والعبير والحكم والأمثال والأشعار والنظائر والمُلح.. إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره، مع الاختصار غير المخل.

فجاء ما أنجزه من شرح هذا النظم غايةً في الجودة والجزالة، زاخرا بالعلم، صغير الحجم بالنسبة لما أودع فيه، فكان مناسباً ومفيداً للمبتدئ والمنتهي في آن واحد، مما يشهد لمؤلفه بسعة العلم وطول الباع في مختلف المعارف، وخصوصاً في علم الأنساب والسير وعلم السيرة النبوية.

وبالجملة فقد أصبح النظم بهذا الشرح، من حيث الإفادة والإمتاع، موسوعةً عظيمةً ودائرة معارف كبرى، حظيت بالعناية الفائقة واحتلت المرتبة العالية ونالت محبة وإعجاب الكثيرين، وتلقتهما الناس بالقبول والإقبال، فانتشرت في سائر البلاد والأقطار.

ولقد أجاد أخونا وصديقنا الأديب القارئ محمد الحسن بن عبد الرحمن

المجلسي رحمه الله في وصفه حيث يقول:

ما حاز ما حاز "حماد على البدوي" ذو همّة حضريّ لا ولا بدوي
لله ما فيه من لهُوٍ ومن مُلح لا تستملّ وعِلْمِ المحتدِ النبوي
والنحو والفقه والتوحيد فيه ولا تحصى فوائد "حماد على البدوي"

هذا وإن حماد رحمه الله لم يضع لشرحه هذا مقدمة ولا ترجمة، بل بعد البسملة مباشرة أتى بأوّل النظم: حماد لمن رفع صيت العرب... إلخ، وطفق يشرحه ويعلق عليه، حسبما نقلناه عن بعض أهل العلم ممن له اطلاع على ذلك وحسبما يوجد في أكثر النسخ القديمة لدى أحفاده وعشيرته. فلعله - والله أعلم - كان ينوي وضع ترجمة له بعد فراغه منه لتكون مطابقة للمترجم حسبما تقتضي طبيعة الكتاب، وكما يفعله الكثير من المؤلفين.

ومن البدهي أنه لو كان وضع له مقدمة لأتى بترجمة تناسب المقام وتكتسي صبغة التراجم المألوفة في عصره، ويكون فيها على الأقل تسمية لهذا الشرح الذي لم يعرف له داخل أسرة المؤلف ومحيطه من الأسماء إلا "شرح الأنساب" أو "شرح حماد للأنساب" أو "حماد على البدوي".

وأما ما يوجد في بعض نسخه من المقدمات والافتتاحيات وتسميته بـ "تحفة الألباب بشرح نظم الأنساب"... فكل ذلك من وضع النساخ وليس من وضع المؤلف كما مر.

ونظرا للبيئة البدوية التي عاش فيها هذان الرجلان ولم يخرجوا منها طيلة حياتهما والتي لا تعني بكتابة التاريخ عموما، ونظرا لما كان عليه هذان الشيخان - على سبيل الخصوص - من التواضع ونكران الذات، إشارا للنجاة، فإنهما لم يُعرفا بشخصيتيهما لا في النظم ولا في الشرح. وهذا ليس غريبا في

هذا القطر؛ فعلى سبيل المثال - لا الحصر - هذا مؤلف كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الذي أرخ فيه مؤلفه للأدب والعلم في شنقيط وخلّد فيه شعراء وأدباء وعلماء أبناء قطره، والذي سافر إلى الخارج وتجول واطلع على عناية بعض الأقطار العربية - وغيرها - بعلم التاريخ والكتابة والتراجم، رغم ذلك كله فقد خلا كتابه (الوسيط) من ترجمة صاحبه وتاريخ حياته وذكر أحواله وبيان آثاره، حتى ان الكتب التي ذكرته بعد وفاته لم تزد على أنه كان نزيل القاهرة وتوفي سنة 1331هـ!.

وقد كانت فكرة تجاهل الذات راسخة في نفوسهم، وربما كانت قد انتقلت إليهم منذ القدم من القطر الأندلسي والمغربي، لما في كتاب سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس من أن "شأن البلاد المغربية عدم الاعتناء بالتعريف والتصدي لذلك بالتأليف، فكم من إمام مضى، وسيد ججاج قضى، موصوفاً بالعلم أو مشهورا بالخير والصلاح، لم يكن لهم به اعتناء، بل ألقى في زوايا الأغفال والإهمال.."، وهذه حالة أهل شنقيط إلا ما ندر.

فكان من سلبية ذلك على هذين المؤلفين أن كل من يأتي بعدهما، ممن يتناول الحديث عنهما أو التعليق أو الشرح على إنتاجهما، يُهمَل ترجمتهما إطلاقاً أو يعتذر عنها بعدم وقوفه على شيء من أخبارهما، أو يذكر عنهما كلمة مقتضبة ربما كان ينقصها عدم التحقيق والدقة!.

وبما أن كتابة هذه الكلمة جاءت في فترة عكف أهلها على انتشال ما قدروا عليه من تاريخ وتراث هذا القطر، وخصوصاً من المصادر الشفهية التي أوشكت على الانقراض.. ونظراً لموجب هذا التقديم، فإني أذكر عنهما هذا التعريف البسيط بالنسبة لما يستحقانه؛ فأقول:

قبيلتهما: المدلش (المجلس)

يرجع نسب هذين الشيخين - أحمد البدوي وحماد - إلى قبيلة المدلش (مجلس العلم)، وهي إحدى قبائل زوايا بلاد شنقيط العريقة وينتهي نسبها إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشي الأموي.

وهي قبيلة ضاربة بجذورها في تاريخ المنطقة، وكانت قد تأسست في الجنوب الغربي من القطر الشنقيطي في العقود الأخيرة من القرن الخامس الهجري على يد جدها إبراهيم الأموي، قاضي مجلس الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (المتوفى سنة 480 هـ). وقد اشتهرت هذه القبيلة في تاريخ البلاد الشنقيطية بالعلم والكرم وإبابة الضيم، وكان لها الدور البارز في نشر العلم في القطر وخصوصا في منطقتي "اترارزه" و"إينشيري" وما جاورهما، وأنجبت الكثير من العلماء الأجلاء عبر العصور المختلفة.

ففي القرن الخامس الهجري كان إبراهيم الأموي⁽¹⁾ وبنوه، وفي القرن

(1) إبراهيم الأموي هو القاضي الكبير والمعلم الشهير في دولة المرابطين، وهو الجد الجامع لقبيلة المجلس وأول من قدم من أجدادهم على القطر الشنقيطي. وكان قد ولد ونشأ في الإقليم الأندلسي في أحضان الدولة الأموية، ودرس هناك العلوم الشرعية حتى كان على جانب عظيم من إتقانها وخصوصا القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه واللغة العربية، الشيء الذي جعله مؤهلا لما كان يتولى من منصب القضاء والفتوى والتعليم. وكان قد نزح من الأندلس إلى الجنوب المغربي حيث التحق بدولة المرابطين التي تدخلت لإنقاذ الأندلس، وقربه أمراؤها وخصوصا منهم يحيى وأبو بكر ابنا عمر. واصطحبه أبو بكر إلى الصحراء

السادس: أكَ⁽¹⁾ وبنوه، وفي القرن السابع: بادل⁽²⁾ وبنوه، وفي القرن الثامن: أبو بكر⁽³⁾ وبنوه، وفي القرن العاشر: محنض وابنه أحمد⁽⁴⁾، وفي القرن الحادي

-->>

الشنقيطية، حيث ظل معه قاضيا ومعلما. وبعد استشهاد قائد الدولة المرابطية أبي بكر بن عمر، وتفرق أصحابه، من العلماء والقادة، أقام في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط؛ حيث كانت له زاوية علمية يأوي إليها من أراد الانقطاع للعلم والعبادة. وتوفي في نهاية القرن الخامس عن عمر مديد، ودفن بموضع يعرف بـ"انبلطون" شمال غرب مدينة "القوارب" (روصو). ومن بنيه: عبد الله وعبد الرحمن.

(1) أكَ (بضم الهمزة وسكون الكاف) اختصار "اكتوشني" ومعناه باللغة الصنهاجية العالم. وكان من أهل العلم والسيادة، وهو أحد أجداد المجلسية الكبار وفيه يجتمع نسب أكثر قبائلها القديمة وفصائلها الحديثة. وقد تولى أمر زاوية جده العلمية. ومن أبنائه الفضلاء العلماء: أحمد وبادل وعمر.

(2) بادل (بمدّ الموحدة وكسر الدال المهملة وكسر اللام مشددة) كان من أهل العلم والسيادة والعز والثروة وكانت إليه رئاسة قبيلة المجلس في زمنه. وأكبر بنيه يحيى؛ وهو من أهل الفضل والصلاح والورع، ثم عمر؛ وكانت إليه السيادة والرئاسة بعد أبيه، وكان من أهل العلم والاستقامة. وبالجملة فقد كان بيتهم بيت علم وعز وسيادة، وتسلسل ذلك في بنيتهم. ودفن بادل بموضع يسمى "انوچج" (21 كلمترا جنوب وادي الناقة).

(3) كان أبو بكر بن عبد الله هذا من أهل الفضل والعلم، ومن بنيه إبراهيم. وكانوا في القرن الثامن الهجري وصدر القرن التاسع.

(4) كان أحمد بن محنض هذا أيضا من العلماء الفضلاء. وكان ذا مكانة في مجتمعه ومن أبرز الأعيان المجلسية سيادة وعلماء، واشتهر أحفاده ومن انضم إليهم بالانتساب إليه، فكانوا يعرفون بـ: "آل أحمد بن محنض".

عشر: أبو أحمد⁽¹⁾ وبنوه، وفي القرن الثاني عشر: محمدا وبنوه، وفي القرن الثالث عشر: محمد بن محمد سالم⁽²⁾ وبنوه. وآخرون كثيرون..

وعموما كان لهم من التدين والعلم والاستقامة ما هو شائع معروف مدى الأزمنة، ومذكور في بلادهم. لكن القاسم المشترك بينهم كان تلك النزعة المتوارثة إلى التواضع واعتبار الشهرة والذاتية من الأمور التي يحسن التسامي عليها لصالح النفس ولزكاة العمل الصالح، وخير مثال على ذلك صنيع صاحبي هذا المصنف الجزيل، بل وصنيع أبنائهما وأبناء عمومتهما من العلماء والمقرئين والأدباء.. على مر التاريخ⁽³⁾.

وهذه كلمة موجزة عن المؤلفين:

(1) كان أبو أحمد هذا من أهل العلم والسيادة والاستقامة والثراء وكانت له محظرة تنابها طلبة العلم. وممن أخذ عنه أبنائه الثلاثة أحمد ومحمدا والمصطفى، ودفن رحمه الله بموضع يعرف بـ"تندعمرابچك" (يعرف اليوم بـ"احسي السعادة" شرقي وادي الناقة).

(2) محمد هذا وبنوه في غنى عن التعريف - متى احتاج النهار إلى دليل؟! - وكانت محظرتهم مدرسة عليا للفقهاء الإسلاميين والعقائد الأشعرية يتوارد إليها العلماء للتخصص، فضلا عن غيرهم من طلبة العلم. وكانت قد جمعت بين التدريس والتأليف، وحمل عنها العلم إلى المشرق والمغرب. ودفن عميدها محمد بموضع يعرف بـ"دومس" ودفن ابنه أحمد بـ"طير آل" وأخوه عبد القادر بـ"اسباعية" وأخوهما حبيب الله بـ"آنر" وأخوهما عبد الله بـ"اعظم ورك".

(3) للمزيد من المعلومات عن هذه القبيلة وعن بطن المؤلفين منها خاصة راجع مقدمة المجلد الثالث من هذا الكتاب، وهو الجزء الأول من تكملة الشرح (رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب)، وفيه أيضا ترجمة مؤلفه صاحب هذا التحقيق.

أحمد البدوي بن محمدا

أما الناظم فهو العلامة النحرير والسيري الشهير أحمد البدوي بن محمدا -
بألف آخره - بن أبي أحمد (حبيب الله) بن أحمد بن محنض (محمد) بن أبيال
(أبي يعلى واسمه يحيى) بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن بادل بن ألك بن
عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموي.

ولد حوالي سنة ثمان وخمسين ومائة وألف هجرية (1745م) ونشأ وتربى
تحت رعاية والديه الكريمين: العلامة محمدا والسيدة ميمة (مريم) بنت حبيب
بن أبا محمد الجكنية الرمطانية وقرأ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية في
طفولته، وظهر نبوغه وذكاءه في وقت مبكر، ثم واصل دراسته في محظرة والده
وتعمق في دراسة العلم. ولم يزل مشغلا بالدرس والتدريس والمطالعة حتى
برع وفاق، وطار صيته في الآفاق، وحاز في العلم أعلا الدرجات وبرز في شتى
المعارف، وخاصة في علوم العربية والنحو وعلم المغازي وأنساب العرب
وتاريخها.. فكانت له اليد الطولى فيها وطغت شهرته بها على غيرها. وقد
صرف جل موهبته الواسعة وعبقريته الرائعة فيها، فكان نسيما منعشا هباً على
قطره بإحياء سيرة النبي ﷺ وانتشالها من أيدي عوادي الزمن. وكان مع ذلك
من أبرز شعراء عصره ونقادهم الأدباء. وقد أشار إلى ذلك العلامة المختار بن
بونا الجكني في قصيدة له يخاطب بها بعض مناقضيه حيث قال:

تعال نحكم بينا البدوي الذي له الفصل بين الناس في النظم والنثر إلخ.

ويؤكد ذلك العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم (ت 1337هـ) في
شرحه لنظم الغزوات حيث يقول: "... وهو بالإضافة إلى شهرته بالعلم من

أجود الناس شعرا وأقدرهم على قرضه..". ورغم أنه لم يُحفظ من شعره إلا النزر القليل - سوى الأنظام - فقد دل ما وقفنا عليه منه على رقة النسيج وفصاحة اللغة وجزالة المعنى ودقة التصوير، وكانت له براعة خاصة في تخير الألفاظ وإبراز المعاني قلَّ من يباريه فيها، فانعكس ذلك على أنظامه التعليمية؛ فلذلك تلقاها أهل قطره بالقبول وعكفوا على درسها وتدريسها.

ولتواضعه وورعه لم يكثر من قرض الشعر المجرد عن الغرض التعليمي، وقد ضاع أكثره. ومن نماذج شعره الذي ينم عن ذوق سليم وتأمل عميق - وكان قد خرج في رفقة من أهله ينتجعون بعض المراعي، على عادة أهل عصره وقطره - قوله:

انظر بعينيك في روض الربى زهرا	يزهو لعينيك صنع الخالق الباري
ألقت عليه بعاءا كل سارية	دلوية من ثقال السحب مدار
مدنَّ النور قانيه مدرهمه	يعلولة بهج الأنوار معطار
ونمقته بمربوع الحمى لعبت	بنور طلعتة الصبيان عرعار
وطرَّزته بمياس الطلوح على	أعقاب أحفافها كالسندس الواري

ومن أول ما قاله من الشعر قوله:

أول الناس بالنبي اقتداء	أم أبنائه الكرام الجدود
فعليُّ ثم ابن حارثة الكد	حيّ زيد مولى النبي المجيد
ثم إذ آمن العتيق دعا النا	س فجاءت عصابة كالفريد
وهي عثمان والزبير وسعد	وابن عوف وطلحة بن عبيد (الله)

وكان أيضا قد نظم بعثي الرجيع وبئر معونة قبل عقده لنظميه الغزوات والأنساب بزمان ثم أدخلهما في نظم الغزوات بعد.

ومن شعره أيضا - وكان قد عرض عليه بعض أصدقائه ثورا ليركبه فامتنع

من ذلك وقال :-

دعني - فديتك - من أنفاسه النتن لا أمتطيه، ولو أمشي على ذقني!
المشي - ويحك - أولى بالكريم - على ما فيه من ضرر - من مركب خشن
كل المراكب، حتى الحمُر، مَنْ به ربُّ العباد ولم يَعُدْده في الجنِّ

وله أيضا من أبيات يرد بها على فتوى من بعض معاصريه في إمكان تزوج المطلقة ثلاثا بزوجها المطلق قبل أن تنكح زوجا غيره محتجا بقول نسبه لابن عاصم، فقال البدوي في الرد عليه بنص القرآن والحديث المتفق عليه:

أحتى أي التنزيل والخبر الذي رواه البخاري فيه وافق مسلما
توازيهما أكذوبة لابن عاصم تحلُّ ما الله المهيمن حَرِّما؟!
إلخ..

ومن شعره في المدح قوله يمدح آل الحاج المختار:

بَنَى المختارُ من غرف المعالي مراتبَ دونها قُنن الجبال
بعلم نافع وحجيج بيتٍ ومجد لا تُغَيِّره الليالي
وأخلاق معسلة حسان كصافي الخمر في نطف الزلال
وفهم راجح وذكاء ذهن وكف أذى وبسط يدي نوال
وشادت مجد والدهم بنوه بسؤددهم وباهمم العوالي
حجيج البيت فارطكم وأنتم حجيج للمكارم والمعالي

وله أيضا في آل المبارك:

بنو السيد القرم الشريف المبارك تزيوا بزي الماجدين البرامك
هم الرهط لا آل المهلب فوقهم ومُدركهم في العلم فوق المدارك

فَرَدُّ فِقْهَهُمْ تَظْفَرُ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَرَدُّ نَحْوَهُمْ تَظْفَرُ بِمَا لَابَنُ مَالِكٍ
فَنَاهِيكَ مِمَّنْ حَاجَّ اللَّهَ دَرَهُ وَمَنْ عَالَمٌ أَدْرَى بِمَذْهَبِ مَالِكٍ

وله أيضا من أبيات - وقد نقل أخاه المختار بن محمدا ليدفنه بجوار العالم
الصالح ألفغ الخطاط بموضع يعرف بـ "آنتر" :-

إِلَيْكَ أَيَا خَطَاطُ جُنَا سَبَاسًا نَوْمُكَ بِالْمَخْتَارِ قَدْ سَتَمَا مَعَا

إلخ..

وكانت تربطه - رحمه الله - بعض الصلات الودية ببعض أعيان وعلماء
عصره؛ فممن ربطته به صلة وثيقة العلامة الفقيه محمد بن المختار بن ألفغ
موسى الذي قال له حين أنشده قوله في نظم الغزوات:

وَكَيْفَ لَا وَمُسْتَمْدٌ سَيِّبِهِ مِنْ سَيِّبِ رَبِّ ذِي عَنَايَةِ بِهِ

"أنا ضامن لك الجنة بهذا البيت ولو لم يكن لك غيره من عمل!" فأوصى
رحمه الله ابن أخيه حماد بن الأمين أن يكتب هذا الضمان ويدفنه معه إذا
مات، تأسيا بقصة عمر بن الخطاب ووصيته ابنه أن يدفن معه شهادة علي بن
أبي طالب رضي الله عنه له.

ولكن حماد رحمه الله لم يحضر وفاة أحمد البدوي، وفي ذلك قال في شرحه
للغزوات: "... ولم أحضر مصيبة المسلمين به".

اشتغل أحمد البدوي طيلة عمره بالتعلم والتعليم ونشر العلم وبثه والتأليف
والمطالعة، وخلف عدة مصنفات كلها ممتعة ومفيدة تناول فيها كثيرا من فنون
المعارف: من تاريخ وسيرة وما ينضاف إلى دائرتها من أنساب وأخبار العرب
ونشأة وتطور الدولة الإسلامية. ويُعد كل من نظميه للغزوات وأنساب العرب

من أهم مؤلفاته بل إن هذين الكتابين لم يتركا مكانا لغيرهما من المراجع الكثيرة في مادة السيرة وأنساب العرب وتاريخها في كل أنحاء البلاد الموريتانية وما جاورها، إذ أقبل الناس عليهما واصطفاهما طلبة العلم وأهل التدريس.

ومن آثاره التأليفية خاتمة الأنساب وهي نظم بمثابة الخاتمة لنظم الأنساب ذكر فيه وفاة النبي ﷺ وبعض ما وقع عندها، وبيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبعض فتوحه وفتوح الخليفين بعده: عمر وعثمان رضي الله عنهما، وذكر فيه العشرة الأوائل من ملوك بني أمية؛ تكملة لما ذكر عنهم أو أشار إليه في نظم عمود النسب. ومنها أيضا نظم يعرف بنظم الدول اختصر به نظم الخاتمة المذكور، ثم تعرض فيه لبقية الدولة الأموية في الشرق ثم الخلافة العباسية والدولة الأموية في الأندلس. وقد شرحهما زميلي الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي حفظه الله.

وكان أحمد البدوي رحمه الله غاية في التواضع والزهد مع الأنفة والثقة بالنفس في آن واحد، ولم يكن راغبا في الشهرة والمنزلة التي يكتسبها أمثاله من العلماء الأجلاء في مجتمعاتهم، سيرا على منهج إخوته وأسلافه رحمهم الله. فكان كما ذكره عنه ابن أخيه الشيخ حماد - وهو أدرى الناس به دون شك - فقد قال عنه في روض النهاية: "... لا سيما هو سجيته حياته التواضع واحتقار نفسه ولولا ذلك لشدت إليه الرحال من كل أرض وهو محطها في العلم ولا سيما علم النحو والعربية والأدب والكتاب والحديث والفقه...".

وقد أخذ عنه العلم الكثيرون، منهم أبناؤه وخصوصا منهم العلامة السيري حبيب؛ الذي كان له بعض التعليقات على بعض أنظام والده (وقد ضاعت).

ومنهم ابن أخيه حماد بن الأمين الذي كان أبرز تلامذته ووارثه وخليفته في علمه. ومنهم العلامة السيري غالي بن المختار فال البساتي.

وكان أحمد البدوي يسكن حيث تسكن أسرته وعشيرته فيما يعرف حاليا بولاية "اترارزه" وخصوصا في الأماكن التالية: (بوغرفة وانقر ولفريوة وانديجه ومنطقة تارگه ولاسيما منها: تتيحي وانياشوان ومجگف وتمجگفانين..) وكانوا يرحلون في فصل الخريف والشتاء غالبا إلى منطقة تيرس شمالا ويعودون صيفا إلى مراتعهم في الغبلة.

وتوفي رحمه الله سنة ثمان ومائتين وألف هجرية (1795م) عن عمر نحو الخمسين سنة ودفن بموضع يسمى "الكرمايه" شمال مدينة القوارب (روصو) الموريتانية. وكان قد قدم إلى تلك الناحية في بعض حوائجه فتوفي بها، ولم يكن ذلك الموضع من مواطن أهله الكثيرة. سقى الله قبره صوب الرحمة وأسكننا وإياه أعلا الجنة.

وخلف خمسة أبناء أكبرهم الغوث - وبه يكنى - واسمه محمدا (باسم جده)، ومنهم حبيب والمختار وعبادة، وفيهما عقبه، وأهمهم فاطمة بنت أمّون (المختار) بن محمد بن محمود اليعقوبية (آل محمد محمود)⁽¹⁾.

(1) طالع المزيّد من سيرته في الجزء الأول من تكملة هذا الشرح (ص 3).

حماد بن الأمين

أما الشارح فهو العلامة المتفنن واللغوي المتقن حماد بن الأمين (الأمين) بن محمدا بن أبي أحمد المجلسي، أمه عائشة بنت الأديب اليعقوبية (من آل ألفغ المختار). ولد حوالي سبعين ومائة وألف هجرية (1757م) نشأ وتربى في بيت علم وأسرة لها عناية كبيرة بالتعلم وتلقى دارسته داخل أسرته في محظرة والده وجده وأعمامه، وخصوصا منهم أحمد البدوي الذي لزمه ودرس عليه وحضر صياغته لأنظامه السيرية. وكان البدوي يرى فيه أهلية وراثته في العلم وأمره بشرح نظمية الغزوات والأنساب.

وقد تابع حماد رحمه الله دراسته وانقطع في الاشتغال بالتعلم حتى صار على مستوى عال من المعرفة بسائر العلوم الشرعية وآلاتها؛ لاسيما علم النحو واللغة والأدب، وكانت له معرفة فائقة بالقرآن والحديث والفقه، وله اليد الطولى في علم السيرة وأنساب العرب وتاريخها ومعرفة قراباتها المتداخلة والغريبة، وله الاطلاع الواسع على تراجم الرجال وما تتضمنه من استطرادات ولحات أدبية وطُرف قصصية وفوائد علمية ونكت أدبية.

وقد عُني بمطالعة الكتب والاشتغال بها، فكان لا يشغله عنها شاغل ولا يصرفه عنها صارف. وعرف بشدة الاهتمام بجمع الكتب - كما عرف بذلك جده محمدا وعمه البدوي - في زمان قل فيه وجودها وغلت فيه أثمانها وعُسِر حفظها، ولم يكونوا من الذين يقتنون نفائسها لمجرد التفاخر والمباهاة بل لإشباع نهمهم في مطالعتها والبحث في خفايا أبوابها وفصولها.. وذلك لما كان لديهم من أهلية لفهم ما تكنه بطونها، وموهبة فذة وهمة عالية لاستيعابها.

ومع أنه لم يرد في الروايات أنه تغرب لطلب العلم، إلا أنه رحل عدة رحلات للبحث عن الكتب؛ منها ما كان نحو الشمال حيث وصل إلى مدينة "تافلالت" المغربية وأتى منها ببعض الكتب النفيسة، ومنها ما كان نحو جنوب القطر الموريتاني حيث وصل إلى شمال مدينة القوارب وضواحيها على حدود السنغال، وأقام هناك في أحياء من قبيلته المجلسية يبحث عن الكتب ويدرس ويكتب. ومكث فيهم فترة ثم عاد إلى عشيرته ووطنه في أماكن تواجدتها آنذاك بضواحي "اغواوه" المعروفة حالياً بوادي الناقة، حيث واصل رحلته التعليمية والتأليفية وانقطع لذلك في العقد الأخير من عمره، فألف تأليف عديدة وقيد تقايد نفيسة بالإضافة إلى شرحه الكبيرين لنظمي الغزوات والأنساب.

ومن مؤلفاته كتاب يسمى أنيس المحادث شرح به نظم الحوادث لمحمد فال بن عبد الله بن الطالب اعمر البساتي، ومنها أيضاً كتاب يسمى الحوادث في حوادث السنين العشر التي أقام النبي ﷺ بالمدينة، وقد اختصره اختصاراً ذيل به كتابه روض النهاية على شرح نظم الغزوات.

ومن إنتاجه أيضاً وصية حماد المشهورة التي يوصي بها أبناء المسلمين، وهي وصية من غرر الوصايا المفيدة ونصيحة من النصائح الجلييلة، المشتملة على خلاصة مكارم الأخلاق، مع الاختصار وحسن الأسلوب⁽¹⁾.

ومنها نظم لمن صحب من بني عبد المطلب. وله أنظام أخرى كثيرة في

(1) وقد شرحها المحقق شرحاً رائعاً يسمى بغية الراغبين بشرح نصيحة حماد بن المين (مطبوع).

مواضيع مختلفة وفوائد متفرقة. وكان رحمه الله شاعرا مجيدا، وقد ضاع شعره
إلا النزر؛ ومن شعره معبرا عن أمنيته:

يا لهف نفسي على شيئين لو جُمعا عندي لكنتُ إذا من أسعد البشر:
كفافُ عيش يقيني ذلَّ مسألة وخدمةُ العلم حتى ينتهي عمري
وثالثُ أتمنى لو ظفرت به: كون السعادة لي في سابق القدر

ومنه في الفخر والجود:

وإني وإن قال ابن عمي شامتا أخو فاقّة حمّالُ عبء رئيس
تفيد يداي المال ثم تفيتـه ولستُ على ما أتلّفت بعبوس

وكان رحمه الله غاية في الكرم والسخاء ومكارم الأخلاق، عابدا ورعا
زاهدا متعففا فاضلا، محترما في محيطه ناظرا إلى مشايخ قطره وعصره نظرة
اعتبار واحترام لا يشوبها حقد ولا حسد، حسن الظن بالمسلمين جميعا،
ملتصبا لكل أحسن المخرج، مبتعدا إلا عن خواص العلماء وأهل الفضل،
غير راغب في الشهرة والظهور.. على نهج سلفه في ذلك.

وقد أخذ عنه الكثيرون، منهم أبنائه؛ وخصوصا سيد أحمد ومحمد المومن،
ومنهم العلامة السيري والأديب سيد أحمد بن الشيخ الملقب اجّكاني.

ولم يزل رحمه الله يواصل بثه للعلم ونشره وكتابته وتأليفه حتى انتقل إلى
رحمة الله وهو في أثناء شرح نظم عمود النسب، حيث بلغ فيه قول الناظم:

عُتِبَـةٌ وَعُتِبَـةٌ مُعْتَبُـةٌ وذُرَّةٌ إلى التَّيِّبِ نُسَبُوا

وكانت وفاته حوالي سنة ست وخمسين ومائتين وألف هجرية (1840م)

عن عمر يناهز ستا وثمانين سنة ودفن في مقبرة تعرف بمقبرة "تجنت" (بكسر التاء وفتح الجيم وسكون النون والتاء المثناة الفوقية) في الشمال الشرقي من قرية "وادي الناقة" مع زمرة من حيه، وقبره معروف يزار. تغمده الله برحماته وأسكننا وإياه فسيح جناته.

وخلف أربعة أبناء وبنات هم: سيد أحمد وحبیب الله ومحمد المومن وعبد الله والمومنة، لأمهات شتى. وكان كل أفراد أسرته الطيبة ما بين سيد عالم وأديب شاعر وقارئ عابد.

النسخ الأصلية من هذا الشرح

هذا ولما كان عمل المحقق هو تأدية النص إلى القارئ كما كتبه المؤلف، بذلت كل الوسع في سبيل إبراز نسخة من هذا الشرح النفيس مطابقة لنسخة المؤلف.

وألفت نظر القارئ إلى أن هذا الشرح توفي عنه مؤلفه أثناء جمعه قبل أن يكمله ويجرده من المسودة فضلا عن أن ينقحه ويهذهبه ويخرجه مرضيا.

وحرصا مني على تقديم أصح نسخة منه يمكن الحصول عليها فإنني اعتمدت على نسختين من هذا الشرح مصححتين:

الأولى نسخة سبط المؤلف الأستاذ الفاضل محمد عبد الله بن محمد سيدي بن محمد المؤمن بن حماد بن الأمين، وهو من أهل هذا الفن؛ وقد صححها وقابلها على عدة نسخ عتيقة لحفدة الناظم والشارح، من بينها نسخة لابن

المؤلف محمد المؤمن بن حماد وبخطه، وهو ثقة ومن أهل العلم - وقد نشأ وشب مع والده المؤلف - ومن المحتمل أن تكون قد كتبت على نسخة المؤلف وأن تكون قد كتبت في حياته، وعلى كل حال فلها الفضل بالتقدم والقرب من الشارح حساً ومعنى.. وقدما قيل: "أهل مكة أدرى بشعابها".

والثانية نسخة حفيد الناظم الأستاذ السيري محمد يحيى بن سيد احمد المجلسي، وقد قابلها هو الآخر على نسخ عديدة من خط علماء بارزين وأخرى عليها خطوطهم؛ وهي متعددة المصادر مختلفة الأزمنة والأمكنة.

وقد انتقيت من هاتين النسختين، وغيرهما من نسخ الكتاب الكثيرة، بعض العبارات والزيادات التي وردت في بعض هذه النسخ، بعد فحص دقيق يبين أنها من المتن ومن أسلوب المؤلف. فبذلك أصبحت هذه النسخة التي بين أيدينا هي أصح - أو من أصح - نسخ هذا الكتاب.

وقد كان من عملي في هذا التحقيق:

1- تخرج الآيات القرآنية الواردة فيه واستكمال كتابتها. وقد كان المؤلف وأهل عصره - لقوة حفظهم وشدة استحضارهم لكتاب الله - يكتفون في الاستشهاد بالكلمة والكلمتين - موضع الشاهد - فيستطيع القارئ آنذاك أن يعرف من حفظه سياق تلك الكلمة أو الآية وموضعها من السورة دون أن يحتاج الرجوع إلى مصحفٍ أو قارئ حافظ، عكس ما عليه معظم القراء والطلاب اليوم.

2 - ضبط وشرح بعض الكلمات الغريبة وتكميل بعض الشواهد وإتمام أو زيادة بعض القطع الشعرية الواردة فيه.

3 - التعليق على بعض المواضع التي اقتضى المقام عندي التعليق عليها والتعريف ببعض الأعيان الواردة في النظم والشرح وذكر بعض الفوائد والنكت المناسبة للمقام، بما أمكن من الإيجاز.

4 - أما تخريج الأحاديث والأخبار فقد أحلت معظمه إلى بعض الطلاب فأنجزوه. شكر الله سعيًا وسعيهم وتقبل منا ومنهم.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وسبيلًا للفوز بجنات النعيم لي ولوالدي وإخوتي وأحبتي ولمن أعانني فيه أو سعى في شيء منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه عبد ربه الفقير إليه

اباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي

فاتح ذي الحجة سنة 1422هـ

حَمْدًا لِمَنْ رَفَعَ صِيتَ الْعَرَبِ وَخَصَّهُمْ بَيْنَ الْأَنَامِ بِالنَّبِيِّ

قَوْلُهُ هَذَا: مصدر ناب عن فعله. والصيت (بالكسر): الذكر الحسن⁽¹⁾.

والعرب: ضد العجم؛ وهم العاربة والمتعربة. واشتقاقه من الإعراب وهو الإفصاح والبيان، وسموا بذلك لأن لغتهم كذلك.

أما من أَلهمها منهم وارْتجلها فهم العاربة وهم تسع قبائل: عاد وثمود وجرهم وجديس وطسم وأميم (كزبير) وعبيل (كأمير) وعمليق (كقنديل) - أو عملاق (كقرطاس) - ووبار، وهؤلاء يقال لهم العرب البائرة لأنهم باروا أي هلكوا.

وأما من تعلم العربية من هؤلاء فيقال لهم المتعربة والمستعربة؛ وهم: قحطان وعدنان، والمشهور أن قحطان هم العاربة والعرباء لأنهم بقية هؤلاء، ولا عبرة بالقول إن قحطان ابن إسماعيل لضعفه⁽²⁾. وأما عدنان

(1) وقد رفع الله صيت العرب على سائر الناس وفضل قريشا على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش وذلك بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ثم باعتبار اللسان العربي والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة.. فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل نفسا وحسبا ونسبا فضلا من الله وكرما.

(2) اللهم إلا أن يصح الحديث الوارد فيه.

فبالإتفاق أنهم متعربة لتعلم أبيهم إسماعيل وأولاده العربية من العمالقة وجُرهم، وسيأتي إن شاء الله نسب الجميع إلى سام بن نوح^(١).

(١) العرب أمة من الناس سامية الأصل منشؤها شبه الجزيرة العربية والنسبة إليها عربي يقال لسان عربي ولغة عربية، والعرب العرباء والعاربة الصُّرَحَاءُ الخُلُصُّ وهم العرب الأولى الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها وهم عاد وثمرود وجهرهم.. إلخ. والمتعربة والمستعربة الذين ليسوا بخُلُصٍّ وهم الداخلون في العربية بعد التَّعَجُّم وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، لأن لغة عابر وإسماعيل كانت عجمية؛ إما سريانية وإما عبرانية فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كانوا في زمانهم وتعلم بنو إسماعيل العربية من جرهم حين نزلوا على إسماعيل وأمّه هاجر بمكة.

وقيل إن بني قحطان من بقايا العاربة، واختلف في سبب تسمية العرب عربا فقليل لإعراب لسانهم أي إيضاحه وبيانه لأنه أشرف الألسن وأوضحها وأعربها عن المراد بكل الوجوه من إيجاز وغيره. وقيل سموها باسم بلدهم عربية ويقال لها العربات وهي جزيرة العرب وهي التي يعني الشاعر بقوله:

ورجّت باحة العربات رجًا ترقرق في مناكبها الدماء

وقد كانت تسكنها أصول القبائل العربية القديمة. وقيل عربية هي مكة وساحاتها وهي دار أبي الفصاحه وهو إسماعيل عليه السلام وفيها يقول الشاعر:

وعرّبة أرض ما يحل حرامها من الناس إلا اللوذعيُّ الحلاحل

يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحلت له مكة ساعة من نهار لم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده فهي حرام إلى يوم القيامة. (وسكن الشاعر راء عربية ضرورة).

وقد سكنها إسماعيل وذريته. وقيل عربية هي تهامة وكانت تسكنها عاد وثمرود وأميم وعبيل ووبار كما كانت طسم وجديس وعمليق وجرهم يسكنون الحرم، وهؤلاء القبائل التسع من ولد أرم بن سام بن نوح عليه السلام وقد بادوا ودرست آثارهم وقيل انقرضوا إلا بقايا قليلة تفرقت في القبائل كما في تاريخ ابن

<<=

وقوله: وخصَّهم: أي فضَّلهم، ويحتمل أن تكون الواو تفسيرية. والأنام: الخلق أو ما على وجه الأرض أو الإنس والجن، ولعله المراد هنا؛ ويقال فيه آنام (كساباط). هذا ما لخصته من القاموس والقلقشندي.

يَقول جعلت جميع الحمد لمستحقه الذي رفع صيت العرب على غيرهم من بني آدم بأن فضَّلهم بالنبى ﷺ.

والنبى (بغير همز⁽¹⁾): هو المختار، وهو فاعيل بمعنى فاعل على أنه بمعنى النبىء؛ وهو المخبر أي الآتي بالخبر عن الله تعالى، أو بمعنى مفعول على أنه من النبى أي الارتفاع؛ يقال نبا ينبو أي ارتفع، أي المرتفع عن غيره من

----->>

كثير والنهر، وقد ألهموا العربية وارتجلوها وعرفوا بالعرب العاربة ومنهم أخذت العرب المستعربة اللسان العربي - وهم بنو إسماعيل وبنو قحطان - فنطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارهم. وقيل إن قحطان من العاربة وإنهم من بقايا البائرة، وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «خمسة أنبياء من العرب: محمد وإسماعيل وشعيب وصالح» وهود عليهم الصلاة والسلام. وهؤلاء كلهم كانوا يسكنون بلاد عربية، فكان شعيب وقومه بأرض مدين وكان صالح وقومه بأرض ثمود ينزلون بناحية الحجر، وكان هود وقومه ينزلون الأحقاف من رمال اليمن، وكان إسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم من سكان الحرم. وانتشر سائر العرب من معد وقحطان بجزيرة عربية فنسبوا كلهم إليها. وقد قيل إن إسماعيل عليه السلام هو أول من فتح لسانه بالعربية الخالصة الحجازية التي نزل بها القرآن الكريم ونسي لسان أبيه. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قريش هم أوسط العرب في العرب دارا وأحسنه جوارا وأعربه ألسنة. وقال قتادة: كانت قريش تختار أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها هي أفضل لغات العرب فنزل القرآن بها فكان القرآن عربيا ومحمد صلى الله عليه وسلم عربيا - [لسان العرب وغيره].

(1) قرأه نافع بالهمز وقرأه الباقر بالياء المدغمة.

الخلق، رفعه الله تعالى بالأوصاف الحميدة كالنبوة وغيرها من الصفات الكريمة، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾ مع أن النبوة لا تتفاضل وإنما يفضل بعض النبيين بعضاً لكونه أبهر منه آية وأعظم خلقاً، لا بتفاضل النبوة؛ وبذلك فسر قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»⁽²⁾ - انتهى من الشفاء للقاضي عياض بمعناه.

وَعَمَّهُمْ إِنْعَامُهُ بِنِسْبَتِهِ فَدَخَلُوا بِإِمْنِهَا فِي زُمَرَتِهِ

وعمهم: أي العرب، شملهم إنعام الله تعالى بنسبة النبي ﷺ إليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾⁽³⁾، وقُريء بفتح الفاء، لأنه صلى الله عليه وسلم سيدنا ونبينا ورسولنا من ربنا المنعم به علينا وملجؤنا وملاذنا وشفيعنا، مُحَمَّدٌ ﷺ ابن الذبيح (عبد الله) بن شيبه الحمد (عبد المطلب) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وفيه يلتقي أبوه مع أمه.

لم يتزوج أبوه ولا أمه بأحد غيرهما⁽⁴⁾. مات أبوه عنه بالمدينة وهو

(1) القلم: 4.

(2) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: 326/1. وفي الصحيحين وغيرهما: «ما ينبغي لنبى أن يقول أنا خير من يونس بن متى».

(3) التوبة: 129.

(4) يعني أنه لم يتزوج أي منهما بغير الآخر، وفي الموهب: لم يشترك معه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتفاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية.

حَمَلٌ، وَدُفِنَ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ، وَكَانَ بَعَثَهُ أَبُوهُ لِيَأْتِيَهُ بِتَمَرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَكَفَّلَهُ جَدُّهُ، وَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ - مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ - وَشُقَّ صَدْرُهُ عِنْدَهَا. وَبَشَّرَ بِهِ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ مَعَ وَجُوهِ قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ يَهْنُثُونَهُ بِفَتْحِ الْحَبْشَةِ.

قَالُوا: وَلَا يَكْمُلُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ نَسَبِهِ وَكَوْنِهِ قُرَشِيًّا تَهَامِيًّا⁽¹⁾ حِجَازِيًّا مَكِّيًّا الْمَوْلَدَ وَالْمَبْعُثَ، مَدَنِيًّا الْمُهَاجِرَ وَالرَّوَضَةَ⁽²⁾. وَيَقْبَحُ بِالكَرِيمِ - وَلَوْ جَاهِلًا - جَهْلُ كَوْنِهِ وَلَدَ عَامِ الْفِيلِ بَعْدَ قُدُومِهِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا وَبُعِثَ عَلَى تَمَامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ عَلَى رَأْسِهَا كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

وَمَكَثَ عَشْرَ سَنِينَ يَدْعُو إِلَى مَجْرَدِ التَّوْحِيدِ ثُمَّ أُسْرِيَ بِهِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّرَائِعِ، وَأَقَامَ بَعْدَهُ ثَلَاثَ سَنِينَ - عَلَى الْمَشْهُورِ - بِمَكَّةَ ثُمَّ هَاجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ:

(1) التَّهَامِي: الْمُنْسُوبُ إِلَى تَهَامَةَ (بِالْكَسْرِ) وَهِيَ مَكَّةُ شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

(2) لَعَلَّهُ يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ نَهَايَةَ الْأَرْبِ فِي فَضْلِ عِلْمِ الْأَنْسَابِ حَيْثُ قَالَ: وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْعِلْمِ الْعِلْمُ بِنَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ النَّبِيُّ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الَّذِي كَانَ بِمَكَّةَ وَهَاجَرَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ لَا بَدَ لَصَحَّةِ الْإِيمَانِ مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَلَا يَعْذَرُ مُسْلِمٌ فِي الْجَهْلِ بِهِ - (ص: 13). وَفِي الشِّفَاءِ: (26/2): "مَنْ قَالَ إِنَّهُ بَتَاهَرَتْ وَلَمْ يَكُنْ بِتَهَامَةٍ قَتَلَ لِأَنَّهُ هَذَا نَفِي، وَتَبْدِيلُ صِفَتِهِ وَمَوَاضِعُهُ كُفْرٌ وَالْمَظْهَرُ لَهُ كَافِرٌ وَفِيهِ الْإِسْتِثْنَاءُ، وَالْمَسْرُورُ لَهُ زَنْدِيقٌ يَقْتُلُ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ".

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾⁽¹⁾، وأمر بالجهاد بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾⁽²⁾ وقيل بـ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾. ومكث عشر سنين بالمدينة، وغزا منها جميع غزواته وبعث جميع سراياه، وتتابع عليه الوفود في سنة تسع من الهجرة ودخل الناس في الدين أفواجا. ثم في سنة عشر حج حجة الوداع؛ وفرض الحج قبل ذلك ولكن لا على الفور⁽⁴⁾.

قوله: يُمْنِهَا: أي ببركتها، أي نسبة النبي ﷺ. والزُمر: الجماعة.

يعني أن العرب عمهم إنعام الله تعالى ببركة نسبة النبي ﷺ، ومن ذلك أنهم دخلوا في جماعته أي الإسلام؛ ما مات صلى الله عليه وسلم حتى أسلمت العرب جميعا إلا بقايا من غسان ولخم وجذام وعاملة، ثم أسلموا في خلافة أبي بكر.

وَدَوَّخُوا بِسَيْفِهِ غَلَبَ الْعَجَمَ إِذْ هُمْ بَنُو أَبٍ وَأُمَّ بِالْحَرَمِ

(1) الإسراء: 80.

(2) الحج: 39.

(3) التحريم: 9.

(4) اختلف في زمن مشروعية الحج فقليل فرض سنة ست وهو الأشهر وقيل سنة تسع وصحح وقيل سنة خمس وقيل سبع وقيل ثمان وقيل عشر. واختلف أيضا هل كان وجوبه على التراخي؛ وبه قال الشافعي وأصحابه وروي عن مالك وقيل على الفور؛ وبه قال الإمام أحمد وجمهور أصحاب أبي حنيفة وروي عن مالك أيضا. ومحل الخلاف ما لم يخش الفوات وإلا كان على الفور اتفاقا.

دوخوا: ذللوا، بسيفه صلى الله عليه وسلم. وغلب العجم: قبائلها العزيزة
المتنعة، أو جمع غلب (كفرح) لغليظ الرقبة، وحُقَّ للعجم أن يوصفوا
بذلك لتنعمهم في الدنيا.

قوله: إذ هم بنو أب وأم في الحرم: أي حيث تآخوا عند النبي ﷺ بالحرم،
عبر بالأم عن الإسلام، يعني أنهم أشقاء لأن أباهم جدُّ العرب وأُمَّهُم
الإسلام⁽¹⁾.

إِذِ الْخِيُولُ الْبُلُقُ فِي فُتُوحِهِمْ وَالرُّعْبُ وَالظُّفْرُ فِي مَسُوحِهِمْ

يعني خيول الملائكة، وإنما كانوا يرونها بذلك اللون - وهو ارتفاع
الحجل⁽²⁾ إلى الفخذين - وما فقدوها إلا عند مقتل عثمان رضي الله عنه.
وروي أن عبد الله بن سلام دخل على عثمان وهو محاصر فقال: يا أمير
المؤمنين حلّ لك القتال فمُرْنَا أن نقاتل الناس، فقال: أنشدكم بالله وذمتي
عليكم أن لا تهرقوا في قدرٍ مُحجمة من دم مسلم. فخرج على القوم فقال
لهم: أيها الناس أنشدكم بالله في هذا الرجل فإن الملائكة ما زالت محيطة

(1) ويحتمل أيضا أن الناظم أراد أنهم لأخوتهم بالإسلام صاروا كالأخوة الأشقاء وأخوة
الإسلام أقوى من أخوة القرابة، وقوله: بالحرم: ظرف لهذه الأخوة والمراد بالحرم الحرم
المكي الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان فتح مكة يسمى بغزوة الفتح
وبفتح الفتوح.

(2) الحجل: بياض في قوائم الفرس كلها ويكون في الرجلين فقط وفي الرجلين وإحدى اليدين
وفي الرجل فقط ولا يكون في اليدين خاصة إلا مع الرجلين ولا في يد واحدة دون الأخرى
إلا مع الرجلين. والبلق (محرّكة): ارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

بمدينتكم هذه منذ قدم رسول الله ﷺ عليها فإن قتلتم إمامكم فارقتمكم
الملائكة وبقيتم في شقاق بينكم وبُؤْتُم بِإِثْمِ قَتْلِ إِمَامِكُمْ. فقالوا: اقتلوا
اليهودي والنَّعْثَل — أي عثمان رضي الله عنه — (أهـ من تذكرة القرطبي
بمعناه). وكانوا يقولون لعثمان رضي الله عنه نَعْثَلًا — فُضْتُ أَفْوَاهَهُمْ —
والنَّعْثَل: الضبع.

والرَّعْب: الفرع. والظْفَر (بالتحريك): الفوز بالمطلوب، والمراد هنا
الظفر بالأعداء. والمسوح: جمع مِسْحٍ للباس والثوب الخلق. يعني أن من يمن
نسبة النبي ﷺ إلى العرب أنهم منذ يوم بدر ما قاتلوا الكفار إلا رِيثَ خَيْلِ
الملائكة تقاتل معهم⁽¹⁾، وكلما رأت العجم لباسهم الخلق الخشن ألقى الله
الرَّعْبَ في قلوبهم ويؤدي ذلك للظفر بهم فيفتحونهم أو يقرون لهم بالجزية.
أما خيل الملائكة فيراها الخواصُّ من المسلمين ويرأها الكفار، كما في
حديث أبي سفيان بن الحارث قدومه مكة من هزيمة بدر فرأه أبو لهب
فقال: إِلَيَّ يَا ابْنَ أَخِي فَعِنْدَكَ الْخَبْرُ، قال: نعم، لقينا محمداً وأصحابه فما
زالوا يقتلون فينا ويأسرون ووالله ما لُتْ الناس! رأينا رجالاً عليهم ثياب
بيض على خيل بُلِقَ لا يذرون شيئاً ولا يقوم لهم شيء⁽²⁾. فقال أبو رافع

(1) اختلف في قتال الملائكة مع المسلمين على ثلاثة أقوال: فقليل لم يقاتلوا إلا يوم بدر، وقيل
لم يقاتلوا، لا في بدر ولا في غيرها؛ وإنما كان حضورهم لتكثير السواد في أعين الكفار
وتثبيت المؤمنين وإلا فملك واحد يكفي لإهلاك أهل الدنيا، وقيل بل قاتلوا في بدر وفي
غيرها. [إنارة الدجى وغيرها].

(2) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

مولى العباس - وكان قد أسلم - : تلك - والله - خيل الملائكة، فقام إليه أبو لهب فصرعه وجلس على صدره يضربه، فأخذت أم الفضل عمود فسطاط⁽¹⁾ فضربت به أبا لهب فشجته في رأسه وقالت: استضعفته حين غاب مولاه!. وحديث طليعة مالك بن عوف يوم حنين.

هُمْ صَفْوَةُ الْأَنَامِ مَنْ أَحَبَّهُمْ بِحَبِّهِ أَحَبَّهُمْ وَوَدَّهُمْ
كَذَاكَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ بِبُغْضِهِ أَبْغَضَهُمْ ، تَبًّا لَهُ مِنْ مُغْضِيهِ

صفوة الشيء (مثلثة): ما صفا منه. والأنام تقدم. والحب والود: مترادفان. وتبا له: قطعاً وضللاً وخسراناً، أي أخسره الله وأضله وقطعه. والعضه والإعضاه: الإتيان بالإفك والبهتان.

يعني أن العرب صفوة الخلق كله لحديث: «إن الله اصطفى العرب من الناس فمن أحبهم فحب النبي ﷺ وأحبهم ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم⁽²⁾»، أضله الله وقطعه من باهت وآفك؛ وصفه بالإفك والبهتان لأن مبغض أحد شأنه أن يبهته ويوفكه. وأشار في هذا البيت إلى حديث أسنده القاضي في الشفاء إلى ابن عمر رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبَّ

(1) الفسطاط: الخيمة.

(2) رواه الطبراني في الأوسط. وأخرج مسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». وروى الترمذي عن سلمان أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك» قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: «تبغض العرب فتبغضني»، وقال: حسن غريب - [الزرقاني على المواهب].

الْعَرَبَ».. الحديث⁽¹⁾.

أُئِمَّةُ الدِّينِ عِمَادُ السُّنَّةِ لِسَانُهُمْ لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

يعني أن العرب هم أئمة هذا الدين، لأن الدين جاء به النبي ﷺ فتلقيه منه المهاجرون والأنصار فكانوا أئمة له وأساسا للشريعة. وقوله لسانهم.. إلخ: قال صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ العربَ لثلاث لأنني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي⁽²⁾»، وفيه المدح لهم مرتين: موافقة أهل الجنة في اللغة وحبُّ النبي ﷺ لهم.

جُمَانُ سِلْكٍ نَسَبِ النَّبِيِّ نَاهِيكَ مِنْ سِلْكٍ وَمِنْ نَبِيٍّ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدًا عَلَى أَجَلٍ الْعَالَمِينَ مَحْتَدًا

الجمان: اللؤلؤ والخرز المنظوم في السلك. وسلك النسب: عموده وهو أجداده صلى الله عليه وسلم. وناهيك: كافيك، أي حسبك سلك نسب النبي ﷺ من كل سلك غيره وحسبك النبي صلى الله عليه وسلم، أي اتباعه من اتباع غيره من الأنبياء لأن اتباعه يستلزم اتباعهم.

يعني أن العرب لعمود النسب كالجمان للسلك، وهو من باب

(1) «من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» — أخرجه الجرجاني في

الكامل في الضعفاء، والخطيب البغدادي في موضع أوهام الجمع والتفريق، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ورواه أيضا فيه بلفظ: «من أحب الأنصار فبحبي..»، وهي رواية أحمد في المسند.

(2) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وذكره في الجامع الصغير، وفي رواية: «أحبُّوا».. وضعف هذا الحديث.

الاستعارة الظاهرة. والسرمدة: الدائم. والمحتد: الأصل، ويقال فيه المحقد والمحكد. أي ثم بعد أن حمد الله يثني بالصلاة على النبي ﷺ امتثالاً للحديث: «كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتَر» وفي رواية: «بالحمد لله» وفي رواية: «بالصلاة على النبي - ﷺ - فهو أجذم»⁽¹⁾ أي قليل البركة.

**وَبَعْدُ فَالْعُلُومُ مِنْ أَعْظَمِهَا فَائِدَةً، فَكَانَ مِنْ أَهَمِّهَا:
عِلْمُ عَمُودِ نَسَبِ الْمُخْتَارِ ثُمَّ عَمُودِ نَسَبِ الْأَنْصَارِ**

أي وبعد البسملة نثرا والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه نظاما، فالعلوم المهمة من أعظمها فائدة علمُ عمود نسب النبي ﷺ ؛ وهو عدنان، ثم عمود نسب أنصاره رضي الله عنهم؛ وهو قحطان. فيسبب كونه من أعظم العلوم فائدة كان من أهمها. وعمود النسب وسلكه: أجداده صلى الله عليه وسلم.

إِذْ مِنْهُمَا تَشَعَّبَ الْإِيمَانُ وَالنُّورُ وَالْحِكْمَةُ وَالْفُرْقَانُ

تشعب: تفرق. والنور: الضوء، عبر به عن الإسلام لأن الكفر ظلمة والإسلام نور، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى نُّورٍ﴾⁽²⁾. والحكمة هنا: العلم. والفرقان: القرآن.

(1) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني، وضعف.

(2) البقرة: 257.

يعني أن من هذين العمودين تشعب الإيمان لأن أصله النبي ﷺ فتلقاه منه المهاجرون - أوّل الأمر وهم من عدنان عمودٍ نسبه صلى الله عليه وسلم - والأنصار، وعمودٌ نسبهم قحطان وتشعب منهم الإيمان والإسلام المعبر عنه بالنور والعلم المعبر عنه بالحكمة والقرآن؛ لأنّ أوّل من حفظه منه صلى الله عليه وسلم المهاجرون وأربعة من الأنصار.

لَوْلَاهُمَا مَا كَانَ لِلْكَوْنِ ثَمَرٌ نَعَمْ، وَلَا كَانَ؛ وَلَا كَانَ بَشَرٌ

الكون: الوجود. والثمر: حمل الشجر، أي لولا هذان العمودان ما كانت فائدة للكون. نعم: أي بلى، ولا كان الوجود من أصله، ولا كان بشر لأن الكائنات كلها إنما كانت من نور النبي ﷺ، لِمَا ورد أنّ أوّل ما خلق الله نوره صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، قال الشاعر:

لَوْلَاكَ مَا خُلِقَتْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا نَجْمٌ وَلَا لُوحٌ وَلَا قَلَمٌ

(1) اعتمد الناظم والشارح - رحمهما الله - فيما ذكرناه هنا على ما في مصنف عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره..» الحديث.. وذكره الشيخ إسماعيل العجلوني في كشف الخفاء ومنزل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، وعلى ما في شرح إبراهيم الباجوري لقصيدة أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري عند قوله: وكيف تدعو إلى الدنيا.. إلخ.. وغير ذلك، وقد اعتمد هذا كثير من العلماء الأجلاء منهم العلامة المختار بن بونا الحكني في رائيته المشهورة حيث يقول:

محمد المخلوق من بركاته ومن نوره أيوب والرُّسل النذر
ولولاه لم تخرج من العدم الدنا وضرتها.. إلخ.

وقال:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةً مَنْ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ثم قال رحمه الله:

أَحَقُّ مَا أُرِعِفَتِ الْيَرَاعَةُ فِيهِ وَأُعْمِلَتَ لَهُ الْبَرَاعَةُ
عِلْمٌ بِهِ يُبَحِّثُ عَنْ نُورِ النَّبِيِّ إِذْ هُوَ فِي مَنْصِبِهِ الْمَهْدَبُ

اليراعة: قصب تبرى منه الأقلام. والبراعة: الغلبة في الفهم والعلم
وغيرهما، ومنه الجمال البارع. والبحث: التفتيش. والمنصب: الأصل.
والمهذب: المخلص، ورجل مهذب مطهر الأخلاق.

يقول: أحق ما أسيل فيه رُعاف الأقلام، وهو المداد، واستُخدمت له
البراعة علم يفتش فيه عن نور النبي ﷺ وقت كونه في أصلاب جدوده
المطهرة الأخلاق. قال البوصيري:

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونِ تَحْتَ رُكْ الْأَمْهَاتِ وَالْآبَاءِ

يعني بهذا العلم علم أنساب العرب لأنه يؤدي إلى معرفة الصحابة الذين
حبهم يُدخل الجنة؛ قال صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: إني أحبك:
«المرء مع من أحب⁽¹⁾» وكيف يحب المرء من لا يعرف؟.

(1) أخرجه البخاري بلفظ: «أنت مع من أحببت» في فضائل الأصحاب، ومسلم في البرّ
والصلة.

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ؛ وَعَنْ صَحَابَتِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ طَابَتِهِ

أي ويُبحث فيه عن نور النبي ﷺ أيضا بعد مولده صلى الله عليه وسلم، وهو أنساب العرب في زمنه وعن أنساب أصحابه صلى الله عليه وسلم وعن أهل مكة وأهل طابة، وهي من أسماء المدينة وأضافها إليه تشريفا لها لأن أهل مكة وأهل المدينة صريح العمودين المذكورين.

تنبيه قال القسطلاني في المواهب اللدنية: الحكمة في هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ولم يُقِم بمكة حتى يأتيه فيها وعدُّ الله له بالنصر، لتتشف به المدينة كما تشرفت مكة بإبراهيم عليه السلام، ولئلا يعتقد أنه تشرف بمكة وهو صلى الله عليه وسلم لا يتشرف بالمخلوقات بل تتشرف هي به - (اه).

وقد تشرفت به المدينة حتى اختلف فيها وفي مكة أيهما أفضل، بعد الإجماع⁽¹⁾ على موضع قبره بأنه أفضل بقاع الله وأشرفها وأطهرها.

وَلَيْسَ لِلْبَاحِثِ فِي عِلْمِ السَّيْرِ بِدُونِهِ إِلَّا حِكَايَةُ الْخَبَرِ
إِذْ تُسَنَدُ الْأَحْكَامُ فِيهِ لِلرِّجَالِ فِي كُلِّ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنْ مَّجَالٍ

(1) هذا الإجماع ذكره القاضي عياض رحمه الله، وقال صاحب قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار صلى الله عليه وسلم:

وهاجر المختار لما أن وصل خمسين مع ثلاثة حتى نزل
بطيبة الغراء حيث أمرا ثم بها أقام حتى احتضرا
بها فكانت أشرف البقاع أما ضريحه فبالإجماع

وَالْحُكْمُ إِنْ كَانَ عَلَى مَجْهُولٍ لَمْ يُفِدِ السَّامِعَ لِلْمَقُولِ

يعني وليس للمفتش المطالع كتب السير؛ والسير: جمع سيرة أي سيرة النبي ﷺ وأصحابه وهي السنة والطريقة والهيئة وهي أصل علوم الدين، بدونه أي بدون معرفة علم الأنساب، إلا رواية الخبر؛ كأن يقول: كان كذا وسمعت كذا بصيغة التمرّض التي لا يعمل فيها بالرواية، لأن علم السير تسند فيه الأحكام لأهلها؛ يقال: فعل فلان كذا وروى فلان الحديث الفلاني ونزلت آية كذا في فلان.. ومن لم يعرف فلانا ولا فلانا لم يفده ما ذكر، بل كحالب ناقته في غدير!.

وَإِنْ جَمَعْتَ النَّسَبَ الْخَطِيرَا وَسِيرَةً تَكُنْ بِهِمْ خَبِيرَا
حَتَّى كَأَنَّهُمْ بَعَيْنُ النَّقْسِ فِي الصَّكِّ قَدْ لَاحُوا لِعَيْنِ الْحَسِّ

الخطير: الرفيع. والنقس (بالكسر): المداد. والصك: الكتاب، أي الكاغد. ولاحوا: أي ظهوروا. وعين الحس: الباصرة.

التفت عما كان فيه إلى الخطاب قائلًا: وإن جمعت أيها المعني بهذا الفن النسب الرفيع بالنبي ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه، اللتين هما أصل علوم الدين، تكن خبيرًا بالرجال الذين تسند إليهم الأحكام الشرعية حتى كأنك إذا نظرت إلى اسم أحدهم مكتوبًا في الكاغد كأنك نظرت إليه

عيانا⁽¹⁾، فإذا نظرت إلى كتابة عمر بن الخطاب عرفته من غير تهج ولا هجاء.

فَالْخَبْرُ كُلُّ الْخَبْرِ كَالْعَيَانِ وَالْخَبْرُ الْمَنْسُوبُ بِالْإِتْقَانِ
أَعْلَقَ بِالْقَلْبِ وَأَشْهَى مَخْبَرًا مِنْ مَّخْبَرٍ عَنْهُ يَكُونُ نَكْرًا

الخبر (بالكسر، ويضم): العلم بالشيء. قولهم: ليس الخبر كالعيان أي لا يبلغ حقيقته، وأما التشبيه فسائغ لأن المشبه بالشيء لا يقوى قوته؛ وقد يبلغ حقيقته كما شوهد.

يعني أن الخبر إذا حقق كان كالعيان، فعلى هذا الخبر المنسوب المتقن نسبة أعلق: أي ألصق، بالقلب وأشهى: أي أحلى خبراً من أحد يخبر عنه وهو نكر: أي مجهول.

خَدَمْتُهُ - صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ - بِنَشْرِ مَا مِنْ نَشْرِهِمْ طَوَاهُ
مَرُّ الزَّمَانِ وَجَهَالَةُ بَنِيهِ؛ لَعَلَّهُ يَرْحَمُنِي بِمَا أَشِيهِ

خدمته: الضمير فيه عائد على النبي ﷺ. والنشر الأول ضد الطي، والثاني الرائحة الطيبة. ومر الزمان: مروره. والجهالة: الجهل. وأشيه: من

(1) يعني أنك إذا طالعت أخبار الرجال الذين تسند إليهم الأحكام، أي تضاف لهم وتعرفت عليها غاية - ومن ذلك معرفة أنسابهم في الكتب التي تتحدث عنهم - تكون كأنك قد حضرتهم وعاينتهم بعيني رأسك، فكأن الكتابة بالمداد صارت لك كالعين الباصرة لهم. ولقد أحسن ابن حجر العسقلاني حيث يقول:

يَا عَيْنَ إِنْ بَعْدَ الْحَبِيبِ وَدَارُهُ وَنَاتِ مَرَابِعِهِ وَشَطَّ مَزَارُهُ
فَلَقَدْ ظَفَرْتَ مِنَ الْحَبِيبِ بِطَائِلِ إِنْ لَمْ تَرَيْهِ فَهَذِهِ آثَارُهُ

الوشي وهو التحسين.

يقول رحمه الله: خدمت النبي ﷺ المستحق للخدمة علي بنشر، أي بمد، ما طواه، أي أدرسه وأطمسه، طول مرور الزمان وجهل بنيه من ذكره الطيب الرائحة⁽¹⁾ الشهي المسمع، وأخبار أصحابه وأجداده. لعله: أي لأجل، أن يرحمني بتحسيني ذكرهم وذكر أخبارهم بالنظم الذي هو أحسن الكلام غير القرآن وحديث النبي ﷺ.

وَمَنْ رَأَى خِلَافَ مَا ذَكَرْتُهُ فَلْيَتَّذِرْ لَعَلَّ مَا أَبْصَرْتُهُ
فِي غَيْرِ مَا طَالَعَهُ إِذِ الطُّرُقُ . لَاسِيَّمَا فِي الْفَنِّ ذَا . قَدْ تَفْتَرِقُ

يتذ: يتأنى ويتبصر. يقول: من رأى خلاف ما ذكرته في هذا النظم، فلا يعجل بمخالفتي وتكذيبي لعل الذي ذكرته اطلعت عليه في كتاب غير كتابه الذي طالعه، فإن الطرق ربما تتشعب إلى بُنياتٍ وأمّهاتٍ؛ لاسيما في هذا الفن، فهو فن الأخبار؛ إذ قد يكون فيها صحيح وضعيف.

وَمَنْ يَكُنْ مُسْتَوْعِبًا . مَثْلِي . ذَكَرُ مُشْتَهَرًا مِنْهَا وَغَيْرَ مَا اشْتَهَرَ

استوعب الشيء: أخذه بجميعه. أخذ هذا من قول السيوطي في الخصائص الكبرى: ولما كنت مستوعبا أذكر المشتهر وغير المشتهر اهـ. يعني أنه لما كان متصفا بهذا لا يترك غير المشتهر لعدم شهرته بل يذكر ما أمكنه

(1) المعبر به عن أخبارهم ومناقبهم.

ذكره، مشتهراً كان أو غير مشتهر⁽¹⁾.

وَرُبَّمَا أَنْكَرَ ضَيْقُ الْعَطْنِ وَالْبَاعِ وَالْبَحْثِ عَلَيَّ فَطَعَنُ
وَلَسْتُ إِلَّا مِنْ مَّشَاهِيرِ الْكُتُبِ آخِذُ فَلْيُزَكِّهَا أَوْ لِيَسُبَّ!

العَطْنُ (محرّكة): معطن الإبل ومبركها حول الحوض، ورحب العطن كثير الماء؛ يلزم منه أن يكون قليل الماء متصفاً بضيق العطن، ويستعار للرجل القليل العلم. والباع: قدر مَدّ اليدين، ويستعار كذلك. ويقال طعنه بالرمح وطعن فيه بالقول.

يقول: ربما طالع كتابي هذا قصير الباع في العلم وقليل مطالعة الكتب فيطعن في بأن ينسبني إلى الكذب والقصور، ولعل ذلك منه، لأنني لا آخذ إلا من الكتب المشهورة بين الناس؛ كجمهرة قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري، وليس بينه وبين عبد الله بن الزبير إلا أبوان أو ثلاثة وربما ينسب الرجل فيقول: وهو حي اليوم؛ وكالقلقشندي، والحلة السراء في أنساب خير الورى للولي محمد اليدالي بن المختار بن محمد سعيد، والروض الأنف للإمام السهيلي، وغيرها من الكتب المشهورة القديمة.. وحيث كنت آخذ من هذه الكتب فشان الطاعن علي بها: يزكّيها أو يسبها.

(1) قال الزرقاني في شرح المواهب: اعلم أن أهل السير لا يتقيدون بالصحيح من الأخبار بل يذكرون الصحيح والسقيم والبلاغ والمرسل والمنقطع والمتصل دون الموضوع، ومن أجل ذلك قال العراقي في ألفيته في المغازي والسير:

وليُعلم الطالب أن السير تجمع ما صحَّ وما قد انكرا

وقال الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة: إذا رويناه في الحلال والحرام شدّدنا وإذا رويناه في الفضائل ونحوها تساهلنا.

مقدمة

بصيغة اسم الفاعل أي مقدمة أَمَامَ الفن بمنزلة مقدمة الجيش . وعن ثعلب فتح دالها فتكون بصيغة اسم المفعول أي نبذة قدمها المؤلف قبل تأليفه ليستمتع بها طالبه وينشط بها وتدله على قواعده وأصوله⁽¹⁾ :

طَلِيعَةٌ فِيمَنْ تَدَاوَلَ الْحَرَمُ وَمُلْحٌ مُمْتَعَةٌ قَبْلَ الْأَهَمِّ

الطليعة: مَنْ يبعثه الجيش ليطلع له على العدو ويأتيه بخبرهم، واستعاره هنا لهذه المقدمة لأنها تعين على قراءة التأليف كما تعين الطليعةُ الجيشَ بخبر العدو والاطلاع على عوراته. والتداول: أخذ الشيء دولا: دولة لهذا ودولة لهذا. والحرم: يعني به مكة. والمُلْح: جمع ملححة (بالضم) وهي المستطاب من الكلام والقصص. والممتعة: من المتعة وهي ما يتبلغ به من الزاد وغيره.

يقول: هذه نبذة أذكرها لك في ذكر من سكن الحرم، الأول فالأول.. إلى قريش، وفي ملح تستمتع بها وتنتفع قبل الأهم وهو نظم الأنساب؛ وعبر عنه بالأهم لأنه أهم من هذا الذي يُذكر قبله.

بِدِينِهِ الْخَلِيلُ فَرًّا بَعْدَ مَا مِنْ نَارٍ نَمْرُودَ نَجَا، وَأَشَامَا

(1) تشتمل هذه المقدمة على مقصدين: الأول في ذكر من تداول الحرم، والثاني في ذكر ملح العرب، وعبر عن المقدمة بالطليعة على سبيل الاستعارة فكما أن المقدمة تعين على قراءة التأليف فإن الطليعة تعين الجيش على العدو بخبره والاطلاع على عوراته.

الخليل: سيدنا إبراهيم عليه السلام⁽¹⁾. والنمرود: الجبار المعروف⁽²⁾؛ قيل

(1) كان والد إبراهيم على أصنام الملك نمرود فولد له إبراهيم عليه السلام بـ "هرمزجرد" وأم إبراهيم نونا بنت كرنب بن كوئي من بني كوئي بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ثم انتقلا من هرمزجرد إلى كوئي من أرض بابل، وقيل كان مولده بالسوس من أرض الأهواز في زمن النمرود ثم كان يشب في كل يوم ما يشب غيره في شهر واصطفاه الله واتخذه خليلا وجعله أبا للأنبياء ومن أولي العزم وأنزل عليه عشر صحف وقيل عشرين صحيفة وأرسله إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله فألقاه النمرود في النار فنجاه الله منها فلما خرج منها هاجر من كوئي وكان حين خرج سرياني اللسان فلما عبر الفرات من حران أنطقه الله بالعبرانية، وبعث النمرود في طلبه وقال للطلب: إذا وجدتني فتكلم بالسريانية ردوه إلي فلما أدركوه استنطقوه فتكلم لهم بالعبرانية فتركوه ولم يعرفوا لغته، فهاجر من بابل إلى الشام ومعه سارة وكانت قد وهبته نفسها فتزوجها وسكن الشام ووسع الله عليه في المال والخدم وقرى الضيف وكان هو أول من قرى الأضياف وكني أبا الأضياف وولد له إسماعيل وهو أكبر ولده أمه هاجر القبطية وولد له إسحاق وأمه سارة ثم ماتت سارة فتزوج امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطورا فولدت له أربعة أولاد وتزوج أخرى فولدت له سبعة نفر فكان ولده ثلاثة عشر، وتوفي إبراهيم بالشام ودفن في مزرعة حمرون وفيها أيضا قبر سارة زوجه عليه السلام ودفن معه ابنه إسحاق عليه السلام وموضع قبريهما مشهور على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم - [سموط الذهب وغيره].

(2) ذكر الدميري أن النماردة ستة: الأول النمرود بن كنعان بن حام بن نوح، أحد ملوك الأرض الذين ملكوا الدنيا بأجمعها وكان في زمن إبراهيم عليه السلام، والثاني نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وهو صاحب النسر وقصته مشهورة، الثالث نمرود بن ماش بن كنعان، والرابع نمرود بن سنجار بن نمرود بن كوش بن كنعان، والخامس نمرود بن ساروع بن ارغو بن مالخ، والسادس نمرود بن كنعان بن المصاص بن نبطا - [55/1]. وفي البحر لأبي حيان: قال مجاهد: ملك الأرض مومنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمرود وبختنصر.

إنه مولى للضحاك⁽¹⁾. وأشأم: قصد الشام.

يعني أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أنجاه الله من نار نمرود، كما ذكر في كتابه العزيز، فرَّ بدينه من مدينة كوثى إلى الشام، ومن ذلك أخذ وجوب الفرار بالدين من الأرض التي خيف فيها فسادها. وكوثى (بالضم): قرية بالعراق فتحها سعد بن أبي وقاص وخطب فيها المسلمين؛ ومن خطبته فيها: "﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾"⁽²⁾.. هذا يومنا فيهم بعد يومهم فينا؛ يعني حبس إبراهيم وإيقاعه في النار العظيمة التي لم يقدروا على إلقائه فيها إلى أن أتاهم إبليسُ فضرب لهم المنجنيق؛ وهو أول منجنيق صنع، فلما أرادوا رمي إبراهيم بالمنجنيق جاءت الملائكة وجلست على المنجنيق فأمرهم إبليسُ أن يكشفوا عن عوراتهم فطارت الملائكة فحينئذ كلم جبريلُ عليه السلام ربَّ العزة: أي ربَّ عبدك وخليتك ونبيك في هذه الحال. فقال الله تعالى: إيته. فأتاه فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم. قال: اسأله أن ينقذك، قال: علمه بحالي يُغني عن

(1) كان قد ملكه، والضحاك هذا ملك يعرف بالازدهاق واسمه بيوراسب بن اندراست وكان قد ملك الأقاليم كلها وطغا وتجبر، ودام ملكه ألف سنة فيما ذكروا، وهو أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل، وقتله افريدون بن اثقيان؛ وإلى ذلك أشار أبو تمام - حبيب بن أوس - بقوله:

وكأنه الضحاك من فتكاته في العالمين وأنت افريدون

قاله القرطبي في تفسيره. وفي تاريخ الطبري أن الضحاك هو النمرود نفسه.

(2) آل عمران: 140.

سؤالي. وأراد الله تعالى تنبيه الملائكة في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾⁽¹⁾ أن في بني آدم من هو أفضل منهم. اهـ بمعناه من كتاب التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله⁽²⁾.

وَمَعَهُ خَرَجَ لُوطُ ابْنُ أَخِيهِ وَابْنَةُ نَمْرُودَ وَصَنُوهَا النَّبِيَّةُ
بَانِي دِمَشْقَ لِلخَلِيلِ، وَبِهِ دِمَشْقُ تُعْرَفُ لَدَى الْمُتَنَبِّهِ

معه: أي إبراهيم عليه السلام. ولوط بن هاران النبي عليه السلام. والصنو: الأخ الشقيق والابن والعم. والنبية: الفطن. باني دمشق: وهي جلق (بكسرتين وتشديد اللام): مدينة الشام العظيمة التي يقال لها: دمشق الشام، كما يقال بغداد العراق وصنعاء اليمن. وهي دار مملكة آل جفنة في الجاهلية ودار مملكة بني أمية في الإسلام. قوله وبه: يعني ابن النمرود، لأنَّ اسْمَهُ دِمَشْقُ أَوْ دِمَشَاقُ، وَسُمِّيَتْ بِهِ الْمَدِينَةُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَنَاهَا.

يَغْدُو عَلَى الْبَرَاقِ مِنْهَا لِلْحَرَمِ ثُمَّ يَرْوِحُ رَاجِعًا كَبَدْرٍ تَمُّ

البراق (كغراب): دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره في موضع طرفه، يركبها الأنبياء؛ وقيل يركبها المؤمنون إذا كانوا في الجنة. ركبها

(1) البقرة: 30.

(2) راجعه في ص: 24 - 25. ونحوه أيضا في فتح الودود شرح المقصور والمدود، وفيه: لما رفع همته الشريفة عن الخلق أقبل عليه الحق فقال جل: {يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم}. وروي أن النيران بطلت في ذلك اليوم فلم ينتفع بها أحد ولو لم يقل {وسلاما} لمات إبراهيم من البرد.

النبي ﷺ ليلة المعراج مع جبريل عليه السلام وربطها ببيت المقدس في الحلقة التي كانت الأنبياء تربطها فيها، حتى دخل المسجد وصلى فيه؛ ومن هنا أخذ الأمر بالسبب إذ لا أحد أولى من النبي ﷺ وجبريل بالتوكل من غير سبب. والضمير في منها عائد على دمشق. وبدر تم، وبدر تمام (بالفتح والكسر): يقال له إذا امتلأ وبهر.

يعني أن إبراهيم عليه السلام لما سكن دمشق لم يزل يزور الحرم، وكيفية زيارته أنه يركب البراق بالغداة من دمشق ويقل بمكة ويروح منها إلى دمشق. وقوله: كبدر تم الأولى تشبيهه البدر بإبراهيم إذا كان على البراق في السير والجمال، لكن لا يعقل الراؤون أجمل من البدر فشبهه به.

**وَمَرَّ فِي فِرَارِهِ عَلَى الَّذِي غَضَبَ سَارَةَ وَلَمْ تُسْتَنْقِذِ
إِلَّا بِشَلِّ يَدِهِ وَصَرَ عِيهِ وَعُصِمَتْ سَارَةُ مِنْ طَبْعِهِ**

سارة (بالتخفيف والتشديد): زوج إبراهيم عليه السلام، أمُّ إسحاق عليه السلام؛ وهي في الأصل التي تسر زوجها. والذي غصبها: ملك اسمه صيدوف وهو على الأرذن، وقيل اسمه عمرو بن القيس بن سبأ. ولم تستنقذ: أي لم تستخلص منه. والطبع: الدنس.

يقول إن إبراهيم عليه السلام لما نجا من نار نمرود وفر بدينه قاصدا الشام مرَّ ببخريه عليه نُوتِيَّ يُجيز من أتاه على الربع، فلم يزل يجيزهم ويأخذ الربع فكان آخرهم سارة في صندوق، فأراد أن يفتح الصندوق ليأخذ ربع ما فيه فقال له إبراهيم: لا تفتح وأعطيك ربع ما فيه. فقال: لا بد من فتحه. قال: هب مملوءا ذهباً أعطيك ربعه. قال: كلا. ففتحها فإذا فيه امرأة

ما رأى الرءءون مثلها، فخرج يسعى إلى الملك فأخبره بها فبعث الملك من أتاه بها فلم يتمالك إلى أن أرخى عليها الستورَ فراودها فشلت يده فعزم على الإقلاع فبرئ ثم لم يملك نفسه إلى أن راودها ثانية فصرع فعزم على الإقلاع فصحا. ثم أرسل إلى إبراهيم فأتاه فقال: من هذه منك؟ فقال: أختي (خاف أن يقتله إن أخبره أنها زوجته). وللعلماء في قوله تأويلات: قيل أراد أختي في الله. وقيل إنها بنت أخيه، ويجوز نكاح بنت الأخ في شرعه. وقيل تعدد الكذب لجواز ذلك؛ وهي إحدى الكذبات التي اعتذر بها إبراهيم عليه السلام في حديث الشفاعة؛ الثانية قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾⁽¹⁾، الثالثة قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾⁽²⁾ قال القاضي عياض: ما وجه خوفه من هذه الكذبات وهي إما جائزة أو واجبة للضرورة؟ فأجاب بأنها في جانب الأنبياء كالخطيئة لعظم رتبتهم وشدة خوفهم يخافون أن يؤاخذهم الله بظاھرھا وربما واخذهم بمثلها في الدنيا لتقريبهم وإعلاء رتبتهم كما فعل بأيوب وداود ويعقوب عليهم الصلاة والسلام (أه منه بمعناه). وعدل [الناظم] عن "طريقه" إلى فراره خوف التباسه بطريقه من دمشق إلى الحرم.

وَمِنْ وَرَاءِ الْحُجْبِ الْخَلِيلُ عَايَنَ أَنْ عَصَمَهَا الْجَلِيلُ
وَأَتَحَفَّ الْمَلِكُ زَوْجَةَ الْخَلِيلِ بِهَا جَرٍ وَأَتَحَفَّتْ بِهَا الْحَلِيلُ

(2) الأنبياء: 63.

(1)، الصافات: 89.

يعني أن إبراهيم عليه السلام كشف الله عنه الحُجب المعنويةَ وحُجب الملك الحسية إلى أن شاهد أن عصم الله سارة، أي منعها، من دنس الملك وقاذوراته تطيباً لخاطره. وأتحف: أكرم. والملك: صيدوف. والخليل: إبراهيم عيه السلام، وهو الخليل. وهاجر: أم إسماعيل عليه السلام.

يعني أن الملك صيدوف لما شاهد من آل إبراهيم ما بهره ورّوعه ترضى سارة بأمةٍ وهي هاجر، فأكرمت بها إبراهيم عليه السلام⁽¹⁾. وفي هذين البيتين الجناس المحرف بالجليل والخليل والخليل.

وَسُبِّيتُ مِنْ مَلِكِ الْقِبْطِ ابْنَتُهُ هَاجِرُ ذِي؛ وَأُنْجِبْتُ رِيحَانَتُهُ
إِذْ وَلَدَتْ أَبَا عَمُودِ النَّسَبِ وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ لِلْمُسْتَعْرَبِ

القبط (بالكسر): جيل من ولد حام بن نوح، وهم أهل مصر قبل فتحها؛ ويلقب من ملكهم بفرعون. وأما فرعون موسى فالمشهور أنه من العمالق، مات مَلِكُ أهل مصر فتنازعوا في الملك ثم اصطلحوا على تحكيم أول من يرد عليهم من مكان عينوه، فورد عليهم منه الوليدُ بن مصعب العمليقيُّ مستبضعاً مَزادتين على بعير فذكروا له شأنهم وأنهم حَكَمُوا أول وارد عليهم من ذلك المكان فاستوثق منهم بتحكيمة فملك عليهم نفسه

(1) ويقال إنه لما أخذ سارة ذهب ليتناول يدها فيست يده إلى صدره، فقال لسارة ادعي الله أن يذهب ما أصابني ولا اهيحك، فدعت فأطلقت يده وسُرِّي عنه وأفاق؛ فدعا بهاجر وكانت آمن خدمه عنده فوهبها لسارة وكساها، فوهبتها سارة لإبراهيم فاستولدها فولدت له ابنه إسماعيل عليهما السلام. وكانت هاجر هذه من القبط من قرية امام الفرما (قريب من فسطاط مصر) - الطبقات الكبرى لابن سعد.

فساسهم أحسن السياسة حتى أنه يبعث في زمن الحراثة باردب⁽¹⁾ إلى كل جهة فإن زُرِعَ قَتَلَ والي تلك الجهة (أهـ من حسن المحاضرة بمعناه). ثم كان من أمره ما ذكر الله تعالى في كتابه.

ومنهم مارية أم سيدنا إبراهيم عليه السلام وأختها سيرين أم عبد الرحمن بن حسان، وكان يفتخر بأنه ابن خالة إبراهيم بن النبي ﷺ، وذكر السهيلي في الرّوض الأنف أن النبي ﷺ ترضى بها حسان بن ثابت عن ضربة صفوان بن المعطل له، وقيل لمنافحته عنه شعراء قريش⁽²⁾.

وهاجر: بفتح الجيم، ويقال فيها آجر. والريحانة: الولد، ولعل أصلها من الريحان: لبت طيب الرائحة. وأبو عمود النسب: إسماعيل عليه السلام. ويعني بالمستعرب: عدنان.

يقول إن هاجرَ التي ترضى بها الملك سارة هي بنتُ ملك القبط سباها منه صيدوف. وأنجبت: ولدت نجيباً لأجل استيلاء إبراهيم عليه السلام لها إسماعيل، وهو أبو عدنان جميعاً بالاتفاق.

وَلَا لِلْأَنْبِيَاءِ بَعْدُ عَنْ أَبِيهِ وَكُلُّهُمْ كَانَ خُلَاصَةً بَنِيهِ
وَعَنْهُ حَادَ آدَمُ، شَتُّ الْوَصِيِّ إِدْرِيسُ، نُوحٌ، هُودٌ، يُونُسُ يَصِي
لُوطٌ وَصَالِحٌ؛ فَهُمْ ثَمَانُ حَادُوا عَنِ الْخَلِيلِ وَاسْتَبَانُوا

(1) الإردب: مكيال ضخمة بمصر.

(2) أي مكافحتهم ومخاصمتهم.

يقول: لا محيد للأنبياء عن إبراهيم عليه السلام بعد، أي بعد أن ولد إسماعيل لأنه أكبر ولده. وكلهم كان خلاصةً بنيه، وخلاصة السمن والفضة والذهب: ما صفا منه واستخلص؛ وكذلك الأنبياء مع سائر بني آدم. ولم يحد عن إبراهيم من الأنبياء إلا هؤلاء الثمانية المذكورون فإنهم حادوا، أي مالوا عنه ولم يخرجوا من ذريته؛ وهم أبونا آدم عليه السلام ومن بعده، فإنهم سابقوه إلا لوطاً فإنه ابن أخيه ومعاصره، ويونس يأتي الكلام عليه إن شاء الله.

آدم عليه السلام

أما آدم عليه السلام فهو أول الرسل⁽¹⁾ أهبطه الله تعالى من الجنة إلى جبل يقال له سرنديب من أرض الهند، روي أن موضع قدميه ينزل عليه المطر كل يوم. وكان يحج من الهند إلى مكة راجلاً؛ قيل لابن عباس هل يركب؟ قال: وأي دابة تحمله؟!.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً وقيل سبعة وستون ذراعاً، قال فلم يزل الخلق ينقص إلى الآن⁽²⁾، ومدة

(1) قال في تاريخ الطبري: وكان آدم مع ما أعطاه الله من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبأه وجعله رسولا إلى ولده وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بخطه علمه إياها جبريل عليه السلام - اهـ. وقيل أنزل عليه صحائف في عشرين ورقة وعلمه الأسماء كلها وكان يتكلم بألف لسان [نقله النسفي]. وكانت لغته في الجنة العربية ولما أهبط من الجنة تكلم بالسريانية.

(2) انظر الجامع الصغير للسيوطي.

حياته ألف سنة، ولما مات بكت عليه الخلائق سبعة أيام.

شئت ووصية آدم له عليهما السلام

وأما شئت (بالياء وبالهزمة): فهو ابن آدم أصالة⁽¹⁾، وعلى القول برسالته فبمجرد التوحيد وتقرير شريعة آدم. وقوله: الوصي: هل هو وصي آدم على بنيه والشريعة أو وصيه على المسائل الخمس التي أوصاه بها وأمره أن يوصي بها بنيه⁽²⁾، فقال: لا تطمئن إلى الدنيا الفانية فإني اطمأنت إلى

(1) ومعنى شئت: هبة الله، اشتق له من هايل وذلك أنه لما قتل قابيل هايل ولدت حواء لآدم ابنه شئت فكان خلفا منه. [الطبري].

(2) وقد روي أيضا أنه لما حضرت آدم الوفاة دعا ابنه شئت فعهد إليه عهده وعلمه أشياء وأخبره بأن الطوفان سيكون في الأرض وكتب له وصية ودفعها إليه وأمره أن يخفيها عن قابيل وولده لقتله لهايل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم، فاستخفى شئت وولده بما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به؛ فكان شئت وصي أبيه آدم عليه السلام وصارت إليه الرئاسة بعد وفاة آدم عليه السلام وأنزل الله عليه - فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمسين صحيفة. [تاريخ الطبري].

وفي المدخل لابن الحاج: (31/2): لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وضع فيه نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال له خذه بعهدي وميثاقي ولا تدعه إلا في الأرحام الطاهرة، فقال آدم: يا رب قد أخذته بعهدك وميثاقلك ولا أودعه إلا في المطهرين من الرجال والمحصنات من النساء - [اهـ منه]. وقد أوصى آدم ابنه شئت عليهما السلام.

وروي أن شئت لما مرض أوصى ابنه أنوش فمات ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس، وأوصى أنوش إلى ابنه قينان وأوصى قينان إلى ابنه مهلائيل، وأوصى مهلائيل إلى ابنه يرد، وأوصى يرد إلى ابنه اخنوخ - وهو إدريس عليه السلام - وأوصى اخنوخ إلى ابنه متوشلخ، وأوصى متوشلخ إلى ابنه لملك، وملك إلى ابنه نوح عليه السلام، ونوح إلى ابنه سام. [الطبري]. ولم تنزل هذه الوصية معمولا بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور إلى عبد المطلب وابنه عبد الله.

الجنة الباقية فلم يرض بذلك مني ربي فأخرجني منها.
الثَّانِيَّة: لا تعملوا برأي نساءكم فإني عملت برأي حواء فأكلت فندمت.
الثَّالِثَةُ: كل عمل انظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة أمري ما أصابني ما ترون.
الرَّابِعَةُ: عليكم بمشاورة الأخيار فإني لو استشرت الملائكة ما أصابني
الذي أصابني.
الخَامِسَةُ: إذا اضطربت قلوبكم فارجموها فإني لما هممت بالأكل من
الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجئه فأكلت فندمت.

إدريس عليه السلام

وأما إدريس عليه السلام فهو ابن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شث
بن آدم، وهو أول من خطَّ بالقلم، وأدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمان
سنين؛ واختلف في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾⁽¹⁾، قيل السماء
الرابعة وقيل الجنة، وقيل شرف النبوة والزلفى. وعن مجاهد: رفع إلى
السماء، ولم يمت، كما رفع عيسى عليه السلام، قال الشاعر:
في الأرض بليا وإلياس وما بليا وفي السماء سَمًا عيسى وإدريس

نوح عليه السلام وأمره بصنع السفينة

وأما نوح عليه السلام فهو ابن لَمَك (بالتحريك أو كهاجر، كما في
القاموس) ابن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس. وفي رواية بأطول من

(1) سورة مريم: 57.

هذا. وهو أولُ نبي بعثه الله بعد آدم بتحريم البنات والعمات والخالات، ولد بعد وفاة آدم بمائة سنة وعشرين عاما ومات وعمره ألف وأربعمائة سنة ودُفِنَ بالمسجد الحرام، وقيل غير ذلك. ولَمَّا يئس من صلاح قومه دعا عليهم فغضب الله عليهم، قال تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾⁽¹⁾ وأمره أن يغرس شجرا لعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كلُّ واحدة عشرة أذرع، فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطير. وكانت لها غطاء من فوقها مطبق عليها. وفتحت السماء بماء منهمر وفجرت الأرض عيونا فأمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وسائر ماله ومَن آمَنَ به وأهل بيته إلا من كان كافرا، وارتفع الماء على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعا وعم الأرض كلها ولم يبق على وجه الأرض أحد. وهذا يرد على من زعم أن عوج بن عوق (على وزن لوط فيهما)⁽²⁾ كان موجودا قبل نوح عليه السلام وإلى زمن موسى.

هود عليه السلام وهلاك قومه

وأما هود عليه السلام فهو ابن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، قال كعب كان أشبه الناس بآدم. وكان

(1) الصافات: 75.

(2) فيهما: أي عوج وعوق.

قوم هود يسكنون بالشحر من اليمن؛ وهي المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾⁽¹⁾، (والحقف: الرمل) فكذبوا هوداً عليه السلام فأهلكهم الله بالريح كما قص الله في كتابه العزيز.

ولما أهلك الله عادا ارتحل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هذا إلى موضع يقال له الشحر بين عمان وعدن - من بلاد اليمن - فنزل هنالك ثم أدركه الموت فدفن بأرض حضرموت. يروى عن علي كرم الله وجهه أن قبر هود بحضرموت. وقال عبد الرحمن بن سيابة: بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وسبعين نبيا فإن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة، ويروى أنه ما من نبي من الأنبياء أهلك الله قومه إلا جاء هو والصالحون من قومه معه إلى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها.

صالح عليه السلام وناقته

وأما صالح عليه السلام فهو ابن عبد الله بن آسف بن عبيد بن عاد بن ثمود بن عابر بن أرفخشذ بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس. وكان مساكن ثمود الحجر، بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله؛ سميت ثمود لقلة مائها، والتمد الماء القليل؛ سألوا نبيهم صالحا أن يريهم آية، قال له جندع بن عمرو بن خراش وهو يومئذ سيد ثمود: يا

(1) الأحقاف: 21.

صالح أخرج لنا من هذه الصخرة (وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائنة) ناقة مخترجة جوفاء وبراءً عشراءً (والمخترجة الخارجة على خلقة الحمل) فإن فعلت آمنا بك وصدقناك، فصلى صالح عليه السلام ركعتين فتحركت الهضبة عن ناقة كما سألوا ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه. فانطلق قدار بن سالف (ويزعمون أنه كان ابن زينة ولم يكن ابن سالف ولكنه ولد على فراشه) ومصدع بن مهرج كانا يشربان الخمر في رهط منهم - وكانت ثمود يقتسمون الماء مع الناقة يوم لهم ويوم لها كما قال تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾⁽¹⁾ ويحلبون منها مثل الماء أو أكثر - فقال قدار ورهطه: نحن إلى الماء أحوج منا إلى لبن ناقة صالح، فانتدب لها هو ومصدع بن مهرج فاستعانا بغواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة، فمرت على مصدع فرماها فانتظم عضلة ساقها وشد عليها قدار بالسيف فكشف عرقوبها؛ فكان من شأن ثمود ما قص الله في التنزيل، وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت. وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة وهو ابن خمس وثمانين سنة. وقال وهب: بُعث إلى قومه حين راهق الحلم وكان أحمر إلى البياض سبط الشعر فلبث فيهم أربعين سنة، قال ابن حجر: عشرين سنة، وقيل في نسب صالح غير ما تقدم.

(1) الشعراء: 155.

لوط عليه السلام

وأما لوط عليه السلام فهو ابن هاران بن تارخ، ابن أخي إبراهيم، وقد نُبِّئَ في عهده بنص الآية الكريمة؛ وهل نبيُّ ابنه إسماعيل وإسحاق في حياته أولا؟ ولينظر بقية خبر لوط في كتاب الله وتفاسيره.

يونس عليه السلام وتوبة قومه

وأما يونس عليه السلام فهو ابن متى (كحتى أو متتى مفكوكة) قال الثعالبي: هو من بني إسرائيل، فعلى هذا لم يحد عن إبراهيم؛ لأن إسرائيل هو الكريم يعقوب عليه السلام ابن الكريم إسحاق ابن الكريم إبراهيم عليهما السلام.

بعث الله يونس إلى أهل نينوى، وهي من أرض الموصل. ورُوي أنَّ عتبة وشيبة ابني ربيعة بعثا إلى النبي ﷺ يوم آذته ثقيف بطبق من عنب مع عبد لهما يقال له عداس فلما وضعه بين يديه قال صلى الله عليه وسلم: «باسم الله»، فقال له عداس: من أين لك هذه الكلمة التي لم تكن تقال في هذه البلاد؟ قال: «من عند الله» ثم قال: «ممن أنت يا عداس؟» قال: من أهل نينوى، قال صلى الله عليه وسلم: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» قال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال: «أخي في الله هو بني وأنا نبي»⁽¹⁾، فقام إليه يقبل رأسه فرآه شيبة وعتبة فقال أحدهما

(1) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية: «ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي» سيرة ابن هشام.

لصاحبه: أفسد عليك عبدك. وأسلم عداس قيل حينئذ وقيل بعد ذلك.
(اهـ بمعناه من سيرة ابن إسحاق وغيرها).

وكذَّب أهل نينوى يونس فأوعدهم بنزول العذاب عليهم في وقت
معين ففارقهم إذ لم يتوبوا، فلما دنا الموعد غامت السماء غيما أسودَ ذا
دُخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فتابوا وطلبوا يونس فلم يجدوه
فأيقنوا بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدّة وولدها فحنَّ بعضها إلى بعض
وعَلَّت الأصوات وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى
فرحمهم وكشف عنهم العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ
ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽¹⁾. وأما يونس فلم
يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وذهب فركب مع قوم في
سفينة فوقفت وركدت بعد أن بعدت في البحر وغيرها من السفن يجري
يميناً وشمالاً فقال لهم يونس معكم عبد آبق من ربه وإنها لا تسير حتى
تلقوه فأقرعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فطرح نفسه في البحر
فالتقمه الحوت، قال الثعالبى روي أن الله تعالى أَوْحَى إلى الحوت إنا لم
نجعل يونسَ لك رزقاً وإنما جعلنا بطنك له حرزاً وسجناً، وفي روايةٍ بطنك
له مسجداً. فأمر الله الحوت فققفه في الساحل وهو كهية الفرخ الممعوط
ووهب الله له أُرْوِيَّة⁽²⁾ تنفشخ عليه أي تعطف (والتفشيخ - بالفاء والشين

(1) يونس: 98.

(2) الممعوط: المتوف الشعر. والأروية (بضم وكسر الهمزة) ضأن الجبل.

والحاء - إرخاء المفاصل) فترويه من لبنها، وأنبت شجرةً من يقطين مظلة عليه. ويسمى ذا النون لالتقام الحوت له (أهـ ما لخصت مما لخص جدُّنا محمدًا رحمه الله⁽¹⁾ من البخاري والقسطلاني واللباب وغيرها).

واليقطين القرع، وهو البطيخ وورقه أنفع شيء لمن تسليخ جلده ويجمع خصالا محمودة منها بردُ الظل واللمس وإن الذباب لا يقربه، ورؤي أنَّ ماءَ ورقه إذا رش في مكان لم يقربه الذباب، قال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله عبادَ الله في الرخاء يذكركم في الشدة إن يونس بن متى كان عبداً لله ذاكرا له فلما أصابته الشدة نفعه ذلك قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽²⁾ وإن فرعون كان طاغيا باغيا فلما أدركه الغرق قال آمنت فلم ينفعه ذلك، فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة. اهـ من الثعالبي.

قوله: يصي: أي يصل قال الشاعر:

نصي الليل بالأيام حتى صلاتنا مقاسمة شطرا صلاة المسافر⁽³⁾

(1) هو العلامة الكبير محمدا - بألف آخره - بن حبيب الله (أبي أحمد)، كان من أبرز العلماء في دهره الذين حمل عنهم العلم وكان أدبيا شاعرا وكان حيا في صدر القرن الثاني عشر، دفن رحمه الله بموضع يسمى "وراره" في الجنوب الشرقي من عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية نواكشوط عن قرب، وهو جد الشارح حماد بن الأمين بن محمدا رحمهم الله.

(2) الصافات: 143-144..

(3) يعني أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار حتى رجعت صلاتهم من أربع إلى اثنتين كما هو حال صلاة المسافر، وفي رواية: مقاسمة يشتق انصافها السفر، يقول رجعت صلاتنا من أربع إلى اثنتين في أسفارنا لحال السفر.

وثمان (كيّمان): عدد وليس بنسب، أو في الأصل منسوب إلى الثمن لأنه الجزء الذي صير السبعة ثمانيةً فهو ثمنها ثم فتحوا أولها لأنهم يغيرون في النسب وحذفوا منها إحدى ياءي النسب وعوضوا منها الألف كما فعلوا في النسب إلى اليمن فتثبت ياءه عند الإضافة كما تثبت ياء القاضي، فتقول ثماني نسوة وثمان مائة وتسقط بالتنوين عند الرفع والجر وتثبت عند النصب - اهـ من القاموس، وإذا أفردت فقد تعرب على النون كقوله:

لها ثنایا أربع حسان وأربع فتغرها ثمان

قوله: واستبانوا: أي ظهرُوا فعرفوا.

ثم قال رحمه الله:

وَأَجَلَّتِ الْحُرَّةُ هَاجِرًا إِلَى بُقْعَةٍ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ هِيَ خَلَا

جلا عن المكان: فارقه (لازم؛ وعدّاه بالهمزة)، قال ابن مالك:

وَعَدَّ لَازِمًا بِحَرْفِ جَرٍّ ...⁽¹⁾

والحرة: سارة. والبقعة بالضم وتفتح. وبیت الله تعالى: الكعبة، ذكر البقعة دونها لأنه إذ ذاك غير مبني ولا مأهول.

مسیر إبراهيم بإسماعيل وهاجر إلى مكة

يقول لما أعطت سارة هاجرَ لإبراهيم عليه السلام أولدها إسماعيلَ عليه

... وإن حُذِفَ فَالنَّصَبُ لِلْمُنْجَرِّ

(1) تمامه:

السلام، فأخذها ما يأخذ النساء من الطباع البشرية التي لا تقدر فيها؛ فخرج بها إبراهيم وبابنها إسماعيل إلى مكة.

وَدَلَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهَا الظَّاعِنِينَ وَأَسْتَرْزَقَ الْخَلِيلُ رَبَّ الْعَالَمِينَ

جبريل معناه عبد الله، وفيه لغات كثيرة منها إبدال اللام نونا وزيادة همزة بين الراء والياء وإبدالها ياء وغير ذلك.. وضمير عليها: للبقعة. والظاعنون: إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام.

يعني أن هاجر لما ولدت إسماعيل غارت منها سارة غيرة هي سبب ولادتها إسحاق - روي أن النبي ﷺ اشتكى إليه رجل عقم زوجته فقال له: «أغرها» - فمثلت سارة بهاجر مثلاً كانت بعد ذلك زينة للنساء ومكرمة⁽¹⁾، وحلفت لا تقيم معها؛ فخرج بها وبابنها إبراهيم قاصدا مكة، وهي إذا ذاك خلأ، ودليلهم عليها جبريل عليه السلام⁽²⁾. فلما أراد

-
- (1) منها أنها ثقت أذنيها وخفيضتها فصارت سنة في النساء، وكانت هاجر أول امرأة ثقت أذناها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها. [قاله في الروض الأنف].
- (2) لما أراد الله تعالى أن يُنَوِّئَ لإبراهيم مكان البيت وأعلامه أوحى إليه بالمسير إلى بلده الحرام فركب البراق وحمل إسماعيل أمامه وهاجر خلفه وسار معه جبريل يده على موضع البيت ومعالم الحرم فكان كلما مر بقرية أو مكان قال له: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول: لا، حتى قدم به مكة وهي إذا ذاك عضاه وسلم وسمر، وحول الحرم يومئذ العماليق وربما نزلوا بعرفة وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو ربوة حمراء تشرف على ما حولها، فقال جبريل حين دخل من كداء - وهو الجبل الذي يطل على الحجون - بهذه أمرت يا إبراهيم، فأنتهى إبراهيم إلى موضع البيت فأوى فيه هاجر وإسماعيل وأمرها أن تتخذ فيه عريشا ففعلت وبنته من سمر وثمام وتركهما إبراهيم ثمَّ ورجع إلى الشام بعد أن دعا لهما وللبقعة دعاءه المشهور الوارد في القرآن الكريم.

إبراهيمُ الانصرافَ عن هاجر وابنها قالت له: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: إذن لا يضيعنا. ولم يترك عندها إلا ركوة ماء ونحو صاع من تمر، فجعل يختفي بالشجر ويلتفت إليهما لئلا تراه هاجر فتظن أنه يبالي بهما، فلما شق عليه ذلك استرزق الله لهما بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾.

فَقَدْ جَبْرِيلُ مِنَ الشَّامِ لَهُمْ . أَوْ مِنْ سِوَاهُ . طَائِفًا فَقَاتَهُمْ

قد: أي قطع. والشام: البلاد المعروفة؛ سميت بسام بن نوح لأنه بالسريانية بالشين المعجمة، أو لأن قوما من بني كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا، أو لأن أرضها شامات بيض وحمرة وسود - اهـ من القاموس، وهي الموصوفة بالبركة في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾⁽²⁾ هي الشام بالإجماع، وقوله: ﴿وَنَجِّنُهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾ هي الشام على قول الجمهور، ولأنها هي التي هاجروا إليها لما نجا إبراهيم عليه السلام من نار نمرود؛ وكان لما خرج من النار أحضره وقال له في بعض قوله: أين جنود

(1) سورة إبراهيم: 37.

(2) سبأ: 18.

(3) الأنبياء: 71.

ربك الذي تزعم؟ فقال له: سيريك فعل أضعف جنوده، فأرسل الله على نمرود وأصحابه سحابة بعوضٍ فأكلتهم عن آخرهم ودوابهم، حتى كانت العظام تلوح بيضا؛ فدخلت بعوضة منها في رأس نمرود فلم يزل يضرب رأسه إلى أن مات. وقالت فرقة هي⁽¹⁾ مكة حرسها الله تعالى - (اهـ من الثعالي).

وقوله: أو من سواه طائفا فقاتهم: أي سوى الشام، وهي جنة أصحاب الجنة الذين ﴿أَقْسَمُوا لِيَصْرُمْنَهَا مُمْسِكِينَ﴾⁽²⁾ وَلَا يَسْتَتْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٢٠﴾ وفي قراءة: ﴿طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ وهو جبريل فوضعها في مكان الطائف اليوم؛ ولم يزل يقوت أهل مكة إلى اليوم، قيل انه ما مرَّ يوم من الدنيا إلا وقدمت مكة غير من الطائف تحمل الطعام.

الطائف وأصل تسميتها وخبر أصحاب الجنة التي احترقت

وفي الثعالي أن أصحاب الجنة إخوة كانت لأبيهم جنة وكان يحصدها ويمسك منها قوته ويتصدق بالباقي على المساكين، وقيل بل كان يحمل المساكين معه فيجذ لهم منها، فمات الشيخ فقال ولده نحن جماعة وفعلنا أينا كان خطأ فلنذهب إلى جنتنا ولا ندخلنَّها علينا مسكين ولا نعطي منها شيئا، قال فبيتوا أمرهم وعزمهم، فبعث الله عليها طائفا من نار أو غير ذلك فاحترقت وأصبحت سوداء، وقيل بيضاء كالزرع اليابس

(1) أي الأرض الموصوفة بالبركة.

(2) القلم: 17 - 19.

المحصود. فلما أصبحوا على جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم قد أخطأوا الطريق ثم تبينوها فعلموا أن الله أصابهم فيها، فتابوا حينئذ وكانوا مؤمنين أهل كتاب، قال الثعالبي: قال ابن مسعود: بلغني أن القوم لما تابوا وعلم الله صدقهم أبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل العنقود منها. وعن أبي خالد أنه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم - اهـ.

والطائف بلاد ثقيف سميت بما قدمنا، أو لأنها طافت على الماء في الطوفان أو لأن رجلا من الصدف⁽¹⁾ أصاب دما في حضرموت ففر إلى وج⁽²⁾ فحالف مسعود بن معتب، وكان له مال عظيم فقال لهم: ألا أبنى عليكم طوفا يكون لكم رداء من العرب؟ فقالوا: نعم، فبناه؛ وهو حصنهم المحيط بهم. وهي الثانية من القريتين في قول الله تعالى حكاية عن قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، فعظيم مكة يعنون به الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف يعنون به عروة بن مسعود بن معتب الثقفي.

يقول لما ترك إبراهيم عليه السلام هاجر وإسماعيل بمكة وجعل يدعو ويسترزق لهم الله أمر الله تبارك وتعالى جبريل فقطع لهم الطائف من الشام أو من الجنة المذكورة - وذكر السهيلي أنها قرب صنعاء اليمن -

(1) الصدف: قبيلة من كندة.

(2) وج: بفتح الواو وتشديد الجيم: واد بالطائف.

(3) الزخرف: 31.

فكان فيه قوتهم وقوت أهل مكة بعدهم إلى اليوم.

وَبَعْدَ لَأَيِّ شَيْدِ الْخَلِيلِ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ

اللائي: الإبطاء. وشيد البناء: بناه مطولا. وقواعد البيت: أركانه التي يقوم عليها البناء. وسيدنا إسماعيل: هو أكبر ولد إبراهيم عليهما السلام - على المشهور - وهو الذبيح على أحد قولين⁽¹⁾؛ ومعناه أن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا صالحا ويقول في دعائه: اسمع يا إيل - وإيل بالسرّانية هو الله - فلما ولد له ولد سماه بذلك، وأمه هاجر كما تقدم. يقول: بعد مدة طويلة في قَدَمَتِهِ الثالثة قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: إن الله أَمَرَنِي أن أبني له بيتا هنا، فقال: "افعل ما أمرك الله به وأنا معك"، أو كما قال.

(1) والثاني أنه إسحاق عليهما السلام والأرجح أنه إسماعيل وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن الذبيحين»، وقال له أعرابي يوما: يا ابن الذبيحين، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد أدلة ترجيح هذا القول. ولبعضهم:

إن الذبيح هديت إسماعيلُ ظهر الكتاب بذاك والتنزيلُ

شرف به خص الإله نبينا وأتى به التفسير والتأويلُ

واختلف في إرسال إسماعيل وإسحاق هل كان في زمن إبراهيم عليهم السلام أم بعده، وقد بعث الله إسماعيل إلى العمالة وجُرهم حين ساكنوه بمكة فآمن به بعضهم وكفر بعض، [قاله في الروض الأنف]. وفي الحلبية وغيرها أن الله تعالى أرسل إسماعيل إلى جرهم والعمالة وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم، وبعث الله تعالى إسحاق إلى أهل الشام وبعث ابنه يعقوب إلى الكنعانيين في حياة إبراهيم، فكانوا أنبياء على عهد إبراهيم عليهم السلام. [سحوط الذهب].

وَدَلَّتْ إِبْرَاهِيمَ مُزْنَةً عَلَيْهِ وَهِيَ عَلَى قَدَرِ الْمِسَاحَةِ تَرِيَهُ

إبراهيم: اسم عجمي ومعناه أب رحيم. والمِسَاحَةُ (بالكسر): الذرعُ.
يقول: لما أراد أن يبنيا البيت لم يدريا قدر مساحته فأمر الله مزنةً أظلت
قدرَ المسَاحَةِ فلم تجاوزها ولم تقصر عنها بظلها.

وَقِيلَ دَلَّتْهُ خَجُوجٌ كُنَسَتْ مَا حَوْلَهُ حَتَّى بَدَا مَا أُسِّتُ
قَبْلُ الْمَلَائِكُ مِنَ الْبِنَاءِ قَبْلَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى السَّمَاءِ
خَوْفًا مِنَ الْغَرَقِ وَالْمَعْمُورِ هَا هُوَ عَلَى رَأْيِ رِجَالٍ نُبَّهَا

الخَجُوجُ: الريح الشديدة المرُّ أو التي تلتوي في هبوبها ويقال لهبوبها
الخجخجة. وَالْمَلَائِكُ وَالْمَلَائِكَةُ: الجنس النوراني الممدوح بقوله تعالى: ﴿لَا
يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽¹⁾، واحِدُهُ الْمَلَكُ وَالْمَلَائِكَةُ
وهي في الأصل الرُّسَالَةُ، يقال أَلَكْنِي إلى فلان أي أبلغه عني، قال:

أَلَكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يَشْهَرُ إِيَّامِي بِهَا وَيَذْكُرُ

وأصله أَلَكْنِي فحذفت الهمزة وأُلْقِيَتْ حركتها على ما قبلها ف قيل
أَلَكْنِي؛ وَالْمَلَكُ قِيلَ لَهُ مَلَكٌ لِأَنَّهُ يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، ووزنه مَفْعَلٌ وَالْعَيْنُ
محذوفة أُلْزِمَتْ التَّخْفِيفَ إِلَّا شَادًّا⁽²⁾.

(1) التحريم: 6.

(2) راجع القاموس. وقوله: "والعين محذوفة" أي وهي الهمزة، وقوله: "أُلْزِمَتْ التَّخْفِيفَ" أي
بإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وقوله: "إلا شادًا" أي كقول الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأَكُ تَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ

والمعمور: بيت الله في السماء وهو في السابعة؛ يزوره كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، كما أن المسجد الحرام بيته في الأرض. قوله: ها: هي التنبيهية الداخلة على اسم الإشارة، حذفه وأبقاها دالةً عليه كقولهم: ها أنا وها أنت أي هذا أنا وهذه أنتِ وكقول الشنفرى: [فإن يك من جن لأبرح طارقاً] وإن يك إنسا ما كها الإنس تفعل ونُبها: جمع نبيه للفظن، أراد علماء.

يقول لما أراد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء بيت الله تعالى - بأمر الله تعالى لهما - ولم يهتديا إلى مساحته نعتته لهما ريح كَنَسَتْ ما حول مكان البيت حتى بدا ما أُسِّست الملائكة قبل، أي أساس البناء الذي بنوه لآدم قبل رفع الله له إلى السماء حين أمر الماء بالانهيار، لئلا يكون من المغرقين؛ فنزه عن ذمهم بالإغراق⁽¹⁾. وقال بعض العلماء هو الآن البيت

(1) عن جعفر الصادق أن سبب بنائه أن الله تعالى لما قال للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ - الآية [البقرة 30] - فخافوا غضبه وأن يكون عاتبا عليهم اعتراضهم في علمه فعادوا بالعرش وطافوا به سبع طوافات يسترضون ربهم ويتضرعون إليه، فرضي عنهم وقال لهم: ابنوا لي في الأرض بيتا يعود به من سخطت عليه من بني آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فأرضى عنهم، فبنوا البيت الحرام بمكة. وفي حديث عطاء وقتادة أن الله تعالى قال لآدم: يا آدم قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف بعرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي. فانطلق آدم وطاف هو ومن بعده من الأنبياء. إلى أن كان الطوفان فرفع حتى أمر الله إبراهيم ببناؤه فبناه وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.. الآية.. وروي أن آدم حج البيت من الهند أربعين حجة راجلا.

وللعلامة محمد مولود بن محمد بن المختار (امرابط اغشممت) المجلسي من نظم له:

المعمور وقيل هما مقترنان ولكن لا يدرك ذلك الثقلان، والدليل على ذلك أن السرب من الطير يأتي مجتمعاً جاداً في طيرانه حتى يكاد يعلو البيت فيحيد عنه كأنما عرض له شيء أحاده؛ وربما افترق حتى يجاوزه ثم يجتمع، وأجيب بأن البيت لا تعلوه الطير لئلا تطرح عليه فضلاتها كما تفعل بغيره.

--- >>

وأصل بيت ربنا الحرام	أن الإله مُنْزَلَ الأحكام
حين أراد خلقه لآدم	في الأرض أخبر ملائك السما
قالوا أتجعل بها من يفسدون	قال لهم أعلم ما لا تعلمون
فاستغفروا وجعلوا البيت حرم	فغفر الله بذلك لهم
فسألهم في الأرض بيتاً يغفرو	لكل طائف به يستغفرو
فامثلوا وبنوا البيت الحرام	بمكة مولد أفضل الأنام - ﷺ

وروي أن الله تعالى أمر آدم ببناء البيت فبناه هو وحواء، أسساه بصخر أمثال الخلفات - أي النوق التي في بطونها أجنة - وقد أذن الله تعالى للصخر أن تطيعهما، ثم أنزل البيت من السماء من ذهب أحمر ووُكِّلَ به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل الركن، وهو يومئذ درة بيضاء ووضعوه موضع اليوم من البيت وطاف به آدم وصلى، فلما مات وليه بعده شئت فكان كذلك حتى حججه نوح، فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه إلى السماء كي لا يصيبه الماء النجس، فلما نضب الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة، وحج إليه هود وصالح ومن آمن بهما، ولم يزل كذلك إلى أن بعث الله إبراهيم وشب إسماعيل عليهما السلام فبنياه. ثم بنته جرهم إبان ولايتهم مكة، ثم بنته قريش وحضر بناءها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ثم بناه عبد الله بن الزبير، ثم بناه الحجاج بن يوسف.

أصل الحجر الأسود وأصول حجارة البيت

وَلَأَبِي قَبَيْسٍ أَوْدَعَ الْحَجَرَ وَحِينَ أَنْقَ الْخَلِيلُ فِي حَجَرٍ
يَجْعَلُهُ مَكَانَهُ أَنْبَاءَهُ أَبُو قَبَيْسٍ أَنَّهُ خَبَأَهُ

أبو قيس: جبل بمكة بالجهة الشرقية، سُمي برجل من مذحج حَدَّادٍ لأنه أول من بنى فيه - اهـ من القاموس. وفي سيرة ابن إسحاق: سمي برجل من جُرْهُمَ هَامَ بِنْتِ عم له فخبِله الحب حتى هَامَ على وجهه فدخل في ذلك الجبل فلم يعلم له خبرٌ بعد ذلك فسمي به الجبل. والحجر: هو الحجر الأسود، وأصله ياقوتة أهبطت من الجنة لآدم لِيَسْتَأْنَسَ بها وكانت تضيء وحيث بلغ ضوءها هو الحرم؛ وعليه نصبَ أعلامَ الحرم أَجَلَةً قريش حين بعثهم عمر يحدونَ الحرم، وعن بعض معمرَي الصحابة أنه يعرفه أبيض⁽¹⁾.

(1) روى الترمذي من طريق عبد الله بن عمر مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، لولا ما طمس من نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب. وعن ابن عباس أن الله تعالى أنزل الحجر الأسود أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم. وفي حديث عطاء وقتادة أن آدم عليه السلام لما أهبطه الله تعالى من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس إليه من تسبيح الملائكة استوحش حتى شكى ذلك إلى الله تعالى في دعائه وصلاته فوجهه إلى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت. يقول محمد مولود بن محمد بن المختار أغشمت:

وبعدما من الجنان نزلاً	آدم واشتاق إليها أنزلاً
ربُّ الوريِّ الحجرَ الاسعدَ له	يؤنسه لَمَّا اعتراه الولهُ
فكان في الكعبة كالمرايا	وسودت بياضه الخطايا
ومرتين زایل البيت العتيق	وضبُّوه بعد كسر المنجنيق
وجعلوا استلامه مبايعة	ورفعه جبريل قرب الواقعه
من أعظم الأشراف ذات الشان	فينتهي به إلى الجنان

إلخ..

وأنق: تخير. وأنبأه: أخبره. وخبأه: ستره وغيبه.

يقول: لما بنى إبراهيم وإسماعيل البيت ولم يجدوا الحجر جعل إبراهيم عليه السلام يطوف في تلك الجبال يتخير حجرا يجعله في موضعه، فناده أبو قبيس وأخبره أنه أودع له فأخذه إبراهيم فجعله مكانه في البيت.

كِلَاهُمَا إِذْ يَبْنِيَانِ يَصْدَعُ بِأَمْرِ الْآخِرِ وَعَنْهُ يَسْمَعُ
مَعَ تَخَالَفِ اللِّسَانَيْنِ، وَفِي سَبْعِ جِبَالٍ أُخِذَتْ كُلُّ الصُّفَى

يصدع: يحكم. يقول كلا إبراهيم وإسماعيل حين يبنيان البيت يسمع كلام الآخر ويحكم بأمره وهما مختلفا اللغتين، أمّا إبراهيم فأعجمي اللسان أول أمره سرياني ثم تكلم بالعبرانية⁽¹⁾، وأمّا إسماعيل فعربي اللسان تعرب من العمالق إذ ساكنوه بمكة. والصفى التي بنى منها البيت أخذت من سبعة جبال أو ستّة، وهي طور سيناء وطور تيناء والجودي ولبنان بالشام وأبو قبيس وقعيقعان بمكة⁽²⁾. أمّا طور سيناء فهو الذي كلم الله تعالى موسى

(1) كان إبراهيم سرياني اللغة وإنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وبذلك سميت العبرانية، وأمّا السريانية فسميت بذلك قيل لأن الله تعالى لما علم آدم الأسماء كلها علمه سرا من الملائكة وأنطقه بها حينئذ. [سموط الذهب].

(2) في السهيلي وغيره أن إبراهيم عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهي طور تيناء وطور زيناء اللذين بالشام والجودي - وهو بالجزيرة - ولبنان وحراء - وهو بالحرم - ثم قال: وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها إذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام وقد بني على خمس، وكيف دلت عليه السكينة إذ هو قبلة للصلاة والسكينة من شأن الصلاة، قال عليه الصلاة والسلام: «وأتوها وعليكم السكينة والوقار»، وذلك أن إبراهيم عليه السلام دلته السكينة على البيت بأن ظلمت له على موضعه كالجحفة لأن السكينة من شأن الصلاة فجعلت علما عليها حكمة من الله.

عليه السلام منه كما أتى في القرآن وأنزل عليه التوراة بجانبه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾⁽¹⁾ - (قوله الثعالبي). وقال أيضا في تفسير سورة والتين: أقسم الله تعالى بطُورِ تيناء وطور زينا وهما جبلان بيت المقدس وكذلك طور سينا (وسينا وزينا: الحجاره، والطور: الجبل). وأما الجودي فهو الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام. وأما لبنان فجبل بالشام ويقال له جبل الأولياء⁽²⁾ لأنهم يسكنونه أبدا ويلتقون به كثيرا، وهو الذي في قول أبي دهب الجمحي يمدح ابن الأزرق:

يَنْ مِنْ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ	إِنْ تَقْدُ مِنْ مِنْهَلِي نَجْرَانٍ مَرْتَحَلًا
ضَنَا وَإِنِّي عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُحْسُودُ	إِعْلَمْ بِأَنِّي لِمَنْ عَادَيْتَ مَضْطَغْنُ
مَا دَامَ بِالْهَضْبِ مِنْ لَبْنَانٍ جَلْمُودُ	وَإِنَّ شُكْرَكَ عِنْدِي لَا انْقِضَاءَ لَهُ

وعندي أن السابع طُور زينا ولكن لم يحضرني الآن عزوه، وقيل غير هذا في عدد الجبال وتسميتها.

وَكُلَّمَا طَالَ الْبِنَاءُ ارْتَفَعَا بِهِ الْمَقَامُ فِي الْهَوَا وَرَفَعَا
بِهِ الْقَوَاعِدُ وَفِيهِ الْقَدَمُ تُشَبِّهُهَا لِلْهَاشِمِيِّ قَدَمُ

(1) القصص: 46.

(2) وفي الحديث: «لا تسبوا أهل الشام فإنَّ فيهم الأبدال» - رواه الطبراني في الأوسط عن علي. وقد ساق العجلوني حديث الأبدال من عدة طرق وسبقه لذلك السيوطي في اللآلئ فقال: له طرق أخرى عن أنس، قاله متعبا لابن الجوزي لما ذكر حديث: «الأبدال أربعون رجلا..» في الموضوعات. قيل سموا بالأبدال لأنهم أبدال الأنبياء أو لأنه كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر أو لأنهم بدلت سيئاتهم حسنات.

يقول: كلما طال بناء البيت بإبراهيم حتى يفوته أعلاه طال به المقام - وهو صخرة عظيمة - حتى يبلغ فوقه فيبني عليه، ولم يزل كذلك إلى أن تم البناء وبقي في المقام أثر قدم إبراهيم عليه السلام إلى أن أدركه المسنون من الصحابة من قريش؛ وكان أبو جهم بن حذافة بن غانم العدوي يقول: ما رأيت شيئا يشبه قدم النبي ﷺ بقدم إبراهيم عليه السلام التي كنا نجدوها في المقام، وأبو جهم حضر بناء البيت مرتين: بناء قريش وبناء ابن الزبير.

وَحِينَ بِالْحَجِّ الْخَلِيلُ أَذْنَا وَفِي كِلَا أُذُنَيْهِ اصْبُعَا ثَنَى
أَيْضًا كَأَطْوَلِ الْجِبَالِ ارْتَفَعَا بِهِ وَكُلٌّ مَن يَحُجُّ أَسْمَعَا

يعني أن المقام ارتفع أيضا بإبراهيم حتى بلغ أطول الجبال حين قال له الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾⁽¹⁾ فقال: يا رب وما يبلغ ندائي في الناس؟ قال عليك النداء وعليَّ الإسماع، فثنى إصبعيه في أذنيه وقال: أيها الناس إن لله بيتا فحجوه. فَلَبَّاهُ كل من أراد الله به الحج في أصلاب الرجال⁽²⁾.

وَرَبَضًا كَانَ، وَحِينَ انْفَجَرَا لَأَجَرَ الْمَاءِ لَهَا الْخَلْقُ جَرَى

(1) الحج: 27.

(2) رواه البخاري. قيل خرج إبراهيم ثلاث مرات إلى مكة يدعو الناس إلى الحج فأجابه كل شيء سمعه، فأول من أجابه جُرهم قبل العماليق ثم أسلموا؛ ورجع إبراهيم إلى بلد الشام فمات وهو ابن مائتي سنة. [الطبقات الكبرى لابن سعد].

الربض (محرقة): مأوى الغنم. وانفجر: سال. والماء: يعني زمزم.
وآجر: لغة في هاجر.

هاجر وابنها إسماعيل بعدما ودَّعهما إبراهيم

يعني أن البيت كان زريبة غنم إسماعيل قبل بنائه هذا، بعدما كانت البقعة خلأً، حتى انفجر الماء لآجر فجرى لها الناس يرغبون في مساكنتها لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾، وسبب انفجار الماء أنه لما ودَّعهما إبراهيم عليه السلام واستودعهما الله وترك عندهما ركوة ماء وصاع تمر - كما قدمنا - جعلت هاجر تأكل من التمر وتشرب من الماء ويدر ثديها على الصبي، حتى فرغ الماء وعطشت فغرز ثديها عن الصبي وعطش وجاع.. فاشتدت الحال؛ قال:

كل أمر ناب النبين فالشد دة فيه محمودة والرخاء

ثم ذهبت تطلع هل ترى أحداً أو تجد شيئاً، فجاءت إلى الصفا والمروة. فلم تزل تصعدُ إحداهما وتَهْطُ منها راملة ساعية إلى أن تصعد على الأخرى إلى أن فعلت ذلك سبعا (وهو أصل السعي بين الصفا والمروة)، وفي أثناء أشواطها سمعت نبأة فقالت: مَهْ - تريد نفسها - فلم تجد شيئاً؛ فسمعت ثانية.. إلى ثلاث فقالت: قد سمعت إن كان عندك غواث، فبادرت الصبي فوجدت الماء سائلاً تحت قدميه فجعلت تحفر له وتجمعه.

(1) إبراهيم: 37.

قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لصارت عينا مَعِيناً»⁽¹⁾.

ثم قال رحمه الله:

أَوَّلُ مَنْ سَاكَنَهَا الْعَمَالِقُ وَإِذْ بَغَى فِي الْحَرَمِ الزَّنَادِقُ
أَخْرَجَهُمْ مِنْهُ مُضَاضُ الْجُرْهُمِيِّ وَإِذْ إِلَى مَكَّةَ سَيْلُ الْعَرَمِ
أَجَلَى خُزَاعَةَ وَضَنْتُ جُرْهُمُ بِأَنْ يُقِيمَ سَبَأٌ مَعَهُمْ
بِقَدَرِ مَا يَنْتَجِعُونَ شَرْدًا بِجُرْهُمِ خُزَاعَةَ وَكُلُّ دَا

العمالق: القبيلة البائرة وهم المعنئون بالزنادق وأل فيه للعهد. ومضاض: هو ابن عمرو⁽²⁾ الجرهمي سيد جرهم وجدُّ مضاض الأصغر بن عمرو بن مضاض الأكبر بن عمرو، وهو أبو رعدة بنت مضاض؛ تزوجها إسماعيل وولد له منها عشرة بنين ذكورا منهم نابت بن إسماعيل الذي أعطى المفاتيح لخاله مضاض الأصغر. والعرم: قيل هو الجرذ الذكر، وقيل المطر الذي كان منه ذلك السيل وقيل اسم الوادي. وضنت: بخلت. وسبأ: يعني خزاعة على القول بأنهم بنو حارثة الغطريف، إخوة الأوس والخزرج. والانتجاع: طلب الكلاء، وهو هنا طلب المنزل. والتشريد: الطرد.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح.

(2) ابن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرهم.

مساكنة العمالق لهاجر وإسماعيل ثم إجلاء جرهم لهم

يقول: أول من ساكن هاجر بعد الفرج عليها بتفجير الماء العمالق، وابتداء أمرهم أن خرج منهم فتیان ينشدان ضالةً لهما فأدركهما المقيّل يومًا قرب مكة فقالا؛ فلما أرادا الرواح ذهب أحدهما ليأتي بالناضح، فأتى صاحبه فقال له: لعل بهذا الوادي ماء.. رأيت طائرا يحوم ما أراه يحوم إلا على الماء، فقال له صاحبه: والله ما به قط من ماء؛ فأبى إلا أن يتبعاه فتبعاه حتى هداهما إلى هاجر وإسماعيل فباتا معهما وأطعماهما من لحم كانا متزودين به فاستشاراهما على الإتيان بأهلتهما فقالت: نعم ولكن لا حظ لكم في الماء.

فأتيا بأهلتهما فساكنوها إلى أن أدرك إسماعيل وشب مع فتیانهم فتزوج امرأة منهم قيل اسمها عمارة بنت سعد، وتزوجت هاجرُ برجل منهم يقال له أرويا، فلم يزالوا معهما إلى أن بغوا في الحرم فسلط الله عليهم جرهما وسيدّهم مضاضُ الأكبر بن عمرو، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ - الآية⁽¹⁾ - فأخرجهم جرهم من مكة، فساكنوا بها إسماعيل.

ولم يزل إبراهيم يزورُ إسماعيلَ بمكة من دمشق على البراق كما تقدم؛ فجاء يوما ولم يصادف إسماعيلَ فسأل عنه امرأته وسألها عن حالهم فأخبرته بشرّ الخبر، فقال: إن أتى زوجك فقولي له ليحول عتبة بابي؛ فلما جاء إسماعيل أنس شيئا فقال لها: هل أتاكم اليوم أحد؟ قالت: أتانا شيخ

(1) الحج: 25.

من أمره كذا وكذا.. ولم تمدحه له، فقال لها: ما قال لك؟ قالت: قال لي: إن أتى زوجك فقولي له ليحول عتبة بابي، فقال: ذلك أبي أمرني أن أطلقك فالحقي بأهلك.

ثم تزوج الجرهمية فجاء إبراهيم أيضا ولم يصادفه فسأل عنه زوجته فقالت: خرج يتصيد لنا، فسألها عن حالهم فشكرت له وقالت: ألا تنزل عندنا، فلم يفعل؛ فقالت: هلم أغسل لك رأسك وأرجله، فأومأ لها برأسه عن الدابة حتى رجّلته وهو واطئ بقدمه على حجر، فبقي أثره فيه. فرجلت شقه ثم أومأ لها بشقه الثاني وهو على الدابة لم ينزل، ففعلت به كذلك، وقال لها إذا أتى زوجك فقولي له ثبتت عتبة بابك؛ وراح إلى دمشق. فلما جاء إسماعيل آنس شيئا فقال لها: هل دخل عليكم أحد اليوم؟ قالت: نعم دخل علينا شيخ من صفته كذا وكذا.. وأثنت عليه، فقال: هل أوصاكم بشيء؟ قالت: أوصانا أن نقول لك: ثبتت عتبة بابك، فقال: ذلك أبي أمرني أن لا أطلقك.

ثم ماتت هاجر ولها تسعون سنة، قيل قبل بناء البيت وقيل حضرته، وكانت تدعو وتقول اللهم كذا وكذا. وحج إبراهيم البيت بعد بنائه مع سارة ثم رجع إلى الشام ومات به. وبعد ما بنى البيت جاءه جبريل يريه المناسك مع إسماعيل فلما كانوا بعرفة قال له: عرفت كذا وعرفت كذا، فسميت عرفة؛ وقيل سميت لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد

الهبوط من الجنة⁽¹⁾.

إجلاء خزاعة لجُرهم

ثم بعد مساكنة العمالق لها ساكنها جرهم، فلما بغوا قِيض الله لهم
جلاء اليمن بسيل العرم، فانخزعتْ خزاعة عن ورد غسان إلى مكة فنزلوا
على جرهم، فأقاموا معهم ثلاثاً يقرؤونهم؛ ثم قالوا لهم: الضيافة ثلاث
فارتحلوا عنا، قالوا: نعم ولكن أمهلونا اليوم حتى ننتجع منزلاً، فقالوا: لا
تقيمون معنا يوماً واحداً؛ فاقتتلوا. فأعان الله خزاعة على جرهم بالأمراض
كالرعاف والنمل وغيرهما، فكان النمل يدخل في أعينهم ومناخرهم.. حتى
هزموهم وأجلوهم؛ فخلفوا بعدهم على الحرم وأخذوا المفاتيح.

ثم بعد ذلك انفلتت إبل عمرو بن الحارث بن مضاض فتوجهت إلى
أوكارها بالحرم فتبعها فلم يقدر عليها إلى أن دخلت مكة على خزاعة،
فلما دنا عمرو من مكة أشرف على جبل فرأى إبله تنحريمينا وشمالاً
فأنشأ يقول⁽²⁾:

(1) وللعلامة الحسن بن زين القناني:

عَرَفْتُ عَرَفْتُ آدَمَ بِهِ	حَوَاءُ مِنْ بَعْدِ هُبُوطِهِ وَهِيَ
فَزَغَرْدَتْ لِفَرَحِ التَّلَاقِي	مَعَهُ وَحَسَمَ أَمَدَ الْفِرَاقِ
وَأَرْسَلَتْهَا سُنَّةٌ مِنْ ثَمَّاءَ	عِنْدَ الْمَسَرَّةِ إِلَى هَلَمَّاءَ

وذيله العلامة يحظيه بن عبد الودود بقوله:

وَصَامِهِ وَصَوْمُهُ اسْتَقَرَّ	مِنْ صَوْمِهِ إِلَى هَلَمَّ جَرًّا
وَقَائِلُهُ وَالْدَمْعُ مِنْهَا مِبَادِرُ	وَقَدْ شَرَقَتْ بِالْدَمْعِ مِنْهَا الْمَاجِرُ
(2) كأن لم يكن .. إلخ..	

كان لم يكن بين الحَجُون إلى الصِّفا	أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرٌ ⁽¹⁾
بلى نحن كُنَّا أَهْلَها فأبادنا	صُرُوفُ الليالي والجُدودُ العوائِرُ
وكنا ولاةَ البيتِ من بعد نابتِ	نطوفُ بذاك البيتِ والخيرُ ظاهرُ
ونحن ولاةَ البيتِ من بعد نابتِ	نعز فلا يحظى لدينا المكائِرُ
ملكنا فعززنا فأعظمَ بملكنا	فليس لحيٍّ غَيْرنا ثمَّ فاجرٌ ⁽²⁾

(في قصيدة).

وروى السهيلي أن امرأة من بقايا جرهم اكرت بعيرا من رجلين من جهينة من مكة إلى خير، فلما كانوا قربها سلط الله عليها النمل يدخل

(1) ولم يتربع واسطا وجنوبه
فقلت لها والقلبُ مني كأنما
بلى نحن كُنَّا أَهْلَها .. إلخ..

(2) بعده:

فإن تنثنى الدنيا علينا بحالها	فإن لها حالا وفيها التشاجرُ
فأخرجنا منها المليك بقـدرة	كذلك يا للناس تجري المقادرُ
أقول إذا نام الخلي ولم أم	إذا العرش لا يبعد سهيل وعامرُ
وبدلتُ منها أوجْهاً لا أحبُّها	قبائل منها حمير ويحابرُ
وصرنا أحاديثا وكنا بغيطة	بذلك عضتنا السنون الغوايرُ
فسحَّتْ دموعُ العين مني لبلدة	بها حَرَمٌ آمنٌ وفيها المشاعرُ
ونبكي لبيت ليس يؤذى حمامه	يظل به أمانا وفيه العصافرُ
وفيه وحوش لا تُرام أنيسةٌ	إذا خرجت منه فليست تغادرُ
وأبدلني ربي به دار غربة	بها الجوع باد والعدو المحاصرُ

في مناخرها فلما يئسا منها مضيا وتركاها تدعو بالويل والثبور.
ثم رجعت جرهم إلى ديارهم باليمن فأقاموا بها حتى هلكوا.
وقال عمرو بن الحارث بن مُضاضٍ أيضا يذكر بكر بن كنانة وغبشان
وسكان مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قصدكم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حشوا المطايا وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا

ثم قال رحمه الله:

وَجُرْهُمُ سَلِيلٌ قَحْطَانٌ وَقَدْ قِيلَ سَلِيلُ مَلِكٍ عَصَى الصِّمَدُ
وَبَاضَعَ الْمَلِكُ فِي الْعِمَالِقِ وَذَاكَ بِالْمَنْصِبِ غَيْرُ لَائِقِ
بَلْ هُوَ مِنْ مُخْتَلَقَاتِ جُرْهُمٍ وَعَنْهُ يُعْرَبُ مَقَالُ الْجُرْهُمِيِّ:
«لَاهِمَّ إِنْ جُرْهُمَا عِبَادُكَ وَالنَّاسُ طَارِفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ»

السليل: الولد والسليلة البنت. وقحطان: أصله في العجمية يقطن فعرب
بقحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهو أصل اليمنية
كلها ولا يشذ عنه أحد منهم⁽¹⁾، ومقتضى الأخبار أن جرهما قبل قحطان

(1) والمشهور منهم شعبان: جرهم ويعرب، ويعرب هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا، ومن
ولده سبأ بن يشجب بن يعرب ومنه تفرعت جميع قبائلهم ومن أعظمها وأكثرها حمير
وكهلان، وسيأتي الكلام على قحطان عند قول الناظم: قحطان إما حضرموت.. إلخ..

- (اهـ من القلقشندي). والجرهم في اللغة: الضخم، يقال ناقة جراهمة إذا كانت ضخمة. وباضع: تزوج أو جامع (من المباشعة أو من البُضع - بالضم - وهو الجماع أو الفرج). والمنصب: الأصل، يعني منصب الملائكة. والمختلقات: المفتریات. والطارف والطريف: المال المستحدث. والتلاد والتالد والتلید - وغيرها من لغات كثيرة -: ما ولد عندك من مالك.

يعني أن جرهما: ابن قحطان، على قول^(١)؛ وزعمت جرهم أنه ابن مَلِكٍ عصى الله في السماء فأهبطه إلى الأرض فألقى عليه الشهوة فتزوج من العمالق فولد جرهما، وهذا يدل على أن جرهما تأخروا عن العمالق في النسب (فإذا يجوز أن يكون جرهم بن قحطان)، والقول أنهم من الملك لا يليق بمنصب الملائكة بل ينزهون عنه لكن هو من مفتریات جرهم، والافتراء: الإفك؛ وهو معنى قول الجرهمي، أي بيته: لاهم إن جرهما.. الخ..

وَعَاظَ زَمَزَمُ لِبَغْيِ جُرْهُمِ وَخَبَوْا فِيهِ هَدَايَا الْحَرَمِ
لَيْلًا إِذْ ازْمَعُوا الْجَلَا وَطَمَسُوهُ وَلَمْ يَزَلْ غُفْلًا لَدَى مَنْ آفُوهُ

غاض الماء: قلّ ونقص، قال تعالى: ﴿وَعِضَ الْمَاءُ﴾^(٢). اهـ من القاموس والجلال السيوطي. وزمزم: بئر بني عبد المطلب بالكعبة. والبغي: الظلم

(1) وقيل إنه ابن لاوذ بن سام بن نوح، كما سيأتي (ص 102).

(2) هود: 44.

والعدول عن الحق. وخبؤوا: غيبوا وسترُوا. وهدايا الحرم: ما يهدى إليه.
وأزعموا الجلا: عزموا عليه. وطمسوه: محوه ودرسوه واستأصلوا الأثر إليه.
وغفلا: مجهولا لا علامة عليه ولا سمة له لدى الذين سكنوا مكة. وآفوه:
صاحبوه أي بالاجتماع معه.

يعني أن جرهما لما بغوا في الحرم ظهر لهم من العقوبة بالبغي أن غاض
زمزم، فلما أرادوا الجلاء ألقوا فيه هدايا الحرم وردموه عليها ومحوه حسدا
لخزاعة؛ فلم يزل مجهول المحلّ عند خزاعة ومن بعدهم من قريش إلى عبد
المطلب⁽¹⁾.

رؤيا عبد المطلب التي دلته على مكان زمزم

وَدُلَّ شَيْبَةُ عَلَيْهِ بِالدَّمِ وَالْفَرثِ وَالنَّمْلِ وَنَقَرَ الْأَعْصَمُ

شيبه: عبد المطلب، ولد وفي رأسه شيبه فسمي بذلك. يعني أن عبد
المطلب لما ترأس قريشا وصار إليه جُل أمرهم - وذلك كله ببركة رسول
الله ﷺ - مكث ثلاث ليال كل ليلة يأتيه آت في المنام يقول له: اذهب إلى
قرية النمل ونقر الغراب الأعصم بين الفرث والدم فاحفر تجد زمزم.
فخرج فوجد قرية النمل ورأى الغراب الأعصم ينقر فيها ولم يجد فرثا ولا
دما، فبقي متحيرا لوجوده بعض رؤياه وفقدانه البعض؛ فبينما هو كذلك
إذ اقبل نفر من الحمس يطردون بقرة فذبجوها ونثروا فرثها حيث كانت

(1) يروى أنها بقيت غفلا بعد جرهم زهاء خمسمائة سنة لا يعرف مكانها.

قرية النمل ونقر الغراب بين الفرث والدم، فشرع في الحفر وكلما مر به أحد من قريش ينهاه ويقول له أتعبت نفسك لا غير، ولا يكثر بقولهم. فلما عثر على أصل البئر طلبوا منه أن يعينوه لئلا يستبد به فامتنع، ثم كانوا يقولون له إنه بيننا ولم يكن لك حصة، فلما استخرج المال ونبع الماء قالوا: أما المال فلا يكون لك دوننا، قال أترضيكم عني واحدة؟ قالوا: وما هي: قال: القرعة، قالوا: لقد زدت على الإنصاف. فجعلوا السهم ثلاثة: سهم للبيت وسهم لعبد المطلب وسهم لقريش، وضربوها ثلاث مرات كلها يَحْبُط سهم قريش فيها ويقع سهم عبد المطلب على السلاح المستخرج مع المال من البئر وسهم البيت على المال، ففرز عبد المطلب خشبة طويلة في جانب البيت وعلق فيها المال وحفر حياضا حول البئر يسقي منها الناس - (اهد من الكلاعي وغيره).

تاريخ بناء البيت الحرام

وَمِنْ خَبَايَاهُ غَزَالَا ذَهَبٍ أَهْدَتْهُمَا الْفُرْسُ لِبَيْتِ الْعَرَبِ

يقول ومن هدايا البيت التي خبأت جرهم في زمزم صورة غزالين من الذهب أهدتها الفرس قبل لبث العرب - وهو الكعبة - أضافه للعرب لأنهم جيرانه وهم الذين بنوه مرات؛ أولها بناء جدهم إسماعيل مع إبراهيم، والثانية: بناء جرهم، قال زهير:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

والثالثة: بناء قريش له، وحضره النبي ﷺ وكان يحمل الحجارة على

عائقه بلا فراش خوف التعري وقريش يجعلون أزهرهم بينهم وبين الحجارة فيتعرون، فقال له عمه: يا ابن أخي اجعل إزارك بينك وبين الحجارة كما يفعل الناس، ففعل فزجره الملك فخرًا مغشياً عليه فلم يعد إليها، فقال له عمه: ما لك يا ابن أخي؟ قال: نهيت⁽¹⁾. فلما أتموا بناءه تنافسوا - أي القبائل - فيمن يضع الحجر في موضعه. ثم تراضوا على أنهم يحكمون أول من يخرج عليهم، فخرج عليهم النبي ﷺ فقالوا: هذا الأمين رضينا، وكانوا يسمونه ذلك الاسم في الجاهلية لصدقه، فحكم بينهم أن يفرشوا ثوباً فيضعوه فيه وكل قبيلة تأخذ طرفاً من أطراف الثوب ويحملونه إلى موضعه، ففعلوا ذلك؛ فلما حملوه أخذه النبي ﷺ بيده الكريمة الشريفة فوضعه، ولم ينتبهوا لهذا ولم يقصده صلى الله عليه وسلم، ولكن خصه الله تعالى بهذه التكرمة ونزه الحجر عن لمس أيدي الكفرة النجسة.

الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير له بعد ما صحح الحديث من رواية الثقات وشاور قريشاً وأحضرهم وقال: لا تتحدث قريش أني غيرت شيئاً من قبلتهم، فلما أتم بناءه على قواعد إبراهيم بمشاورة قريش وإشارتهم تأنوا وتبصروا في من يضع الحجر في مكانه، فحانت الصلاة فأقاموها فقطع حمزة بن عبد الله بن الزبير صلاته فوضعه. والخامسة: بناء الحجاج ونسكت عنه.

(1) وردت قصة شهوده صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة وأمر عمه له صلى الله عليه وسلم بجعل إزاره بينه وبين الحجارة في الصحيحين وفي مسند أحمد، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس: نهيت أن أمشي عريانا. [رواه البيهقي في الدلائل وغيره].

وأوّل من بنى البيت الملائكة لآدم عليه السلام، أمرهم الله تعالى بذلك؛ ثم بناء آدم، فكانت بناءاته - على الصحيح - سبعا، وقيل بُني عشر مرات. (أهـ من الكلاعي والروض الأنف)؛ وذكر في البحر الزاخر بقية العشر، إحداها بناء شئت وإخوته بعد آدم وبناء العمالق وبناء قصي قبل قريش. والفرس الذين أهدوا الغزالين إلى البيت: الجيل المعروف، أهل الأكاسرة وهم أبناء كيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نُوح.

وَلَمْ تَزَلْ خُزَاعَةٌ أَهْلَ الْحَرَمِ حَتَّى أَزَاحَهُمُ قُصَيُّ الْخِضَمِّ

أزاحهم: نحاهم وأبعدهم، أي في المعنى والحكم على البيت، لأنه لم يُبعدهم في المسافة. وقصي (كسمي): سمي بذلك لأن أمّه أقصته، أي أبعدته عن أهله؛ واسمه زيد ويقال له أيضا مجّمع، لأنه جمع قبائل قريش على مكة، قال حذافة بن غانم العدوي:

أبوكم قُصَيٌّ كان يدعى مجّمعاً به جَمَعَ الله القبائل من فهر⁽¹⁾

والخِضَمِّ (كنجذب): السيد الحمول المعطاء، خاص بالرجال؛ وبه أثنى

(1) وذلك حين انتصر على خزاعة وولي أمر مكة وملّكه قومه وأطاعوه فجمع قومه بعد تفرقهم في البلاد وقسم مكة بينهم رباعاً وأنزل بعضهم بطاحها وبعضهم ظواهرها، فمن ثم قيل له مجّمع، وقيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر، والأولى أشرف من الثانية. ومن قريش البطاح بنو هاشم، قال الشاعر يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من بني هاشم بن عبد مناف وبني هاشم بحار الحياء

من قريش البطاح من عرف الناس س لهم فضلهم بغير امتراء

على قصي وهو أهل له. يقول: لم تزل خزاعةٌ بعد جرهم أهل مكة وسدنة البيت يفتحون متى شأؤوا ولمن شأؤوا حتى اشْرأبت⁽¹⁾ بركة النبي ﷺ لقريش ثم لقصي فأزاحهم عن ملك مكة والتحكم على البيت.

بِزِقْ خَمْرٍ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ رِئِيسِهِمْ ذِي الْغَبْنِ وَالْخُسْرَانِ
نَالَ الْمَفَاتِحَ قُصَيُّ وَذَمَرُ أَخَاهُ مِنْ قُضَاعَةٍ حَتَّى انْتَصَرَ

الزق، بالضم: الخمر، وبالكسر: السقاء؛ ولعله المراد هنا، أي بسقاء خمر. وأبو غبشان (ويُضم) خزاعيٌّ كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش، فاجتمع مع قصي في شَرْبِ بالطائف فأسكره قصي ثم اشترى منه المفاتيح بزق خمر وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وطيره بها إلى مكة. فأفاق أبو غبشان أندم من الكُسْعِيِّ، فضربت به الأمثال في الحمق والندم وخسارة الصَّفقة. وفيه قيل: أخسر صفقةً من أبي غبشان؛ وفي خزاعة قيل:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر وبيست صفقة البادي

باعت سدانتها بالنزر وانصرفت عن الخطيم وظل البيت والنّادي

ورئيس القوم: سيدهم، ويقال فيه الرّيس (ككيس)، قال⁽²⁾:

(1) اشْرأبت: أي ارتفعت وعلت، وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة يا أهل الجنة ويا أهل النار فيشرئبون لصوته..» أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه. وقال ذو الرمة:

ذكرتك إذ مرّت بنا أم شادنٍ أمام المطايا تشربُ وتسحُ

(2) الكميت:

تَلَقَّ الْأَمَانَ عَلَى حِيَاضِ مُحَمَّدٍ ثَوْلَاءُ مَخْرَفَةٍ وَذَنْبِ أَطْلَسٍ⁽¹⁾

لَا ذِي تَخَافُ وَلَا لِذَلِكَ جُرْأَةً تَهْدِي الرِّعِيَةَ مَا اسْتَقَامَ الرَّيْسُ

وذمر: حض على القتال. وأخوه الذي ذمره من قضاة: رزاح بن ربيعة العذري؛ وعذرة من قضاة كما يأتي إن شاء الله تعالى. وكان قصي في حجر ربيعة أبي رزاح، أقصته أمه⁽²⁾ فشبَّ ولم يعلم أن أهله قريش ولا يرى إلا أنه من عذرة، فتكلم يوماً مع شباب منهم فقالوا له: إنما أنت ملصق فينا ولست منا!. فدخل على أمه فذكر لها ذلك، فقالت: يا بني إنما أنت من الأكابر الكرام جيران بيت الله الحرام⁽³⁾.

(1) الثولاء: النعجة التي بها ثول؛ والثول (بالتحريك) جنون يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدير في مرتعها. والمخرفة: التي لها خروف يتبعها، والأطلس: الذي في لونه غبرة إلى السواد.

(2) مات عنه أبوه كلاب بن مرة فذهبت به أمه إلى قومها وهو فطيم فتزوجت برجل منهم اسمه ربيعة بن حرام فكان قصي في حجره حتى شب وعلم أنه من قريش وبلده مكة المكرمة.

(3) .. الذي تفد إليه العرب، فلادك خير من بلادهم وقومك خير منهم، فعند ذلك أراد قصي الخروج إلى مكة فقالت له: لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاة فإني أخاف عليك.. فخرج مع حجاجهم فقدم مكة على قومه فعرفوا له فضله وشرفه وأكرموا وقدموا عليهم. فساد فيهم ثم تزوج حُبَي بنت حليل رئيس خزاعة إذ ذاك فجاءت منه بأولاده، وكان حليل والد زوج قصي هذه هو آخر من ولي مفاتيح الكعبة من خزاعة ثم أوصى لها بالمفاتيح فقبل له إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل لها ولاية البيت وجعل فتح الباب وغلقه إلى أبي غبشان الخزاعي، فلما مات حليل رأى قصي أنه أولى بأمر مكة من خزاعة لأن قريشا أقرب إلى إسماعيل من خزاعة، ثم اتفق أن اجتمع هو وأبو غبشان في شرب بالطائف فأمهله حتى سكر فاشترى منه المفاتيح بزق خمر - كما مر.

يعني أن قصياً لما أخذ المفاتيح دفعها لابنه عبد الدار فطار بها إلى البيت، فقال يا بني إسماعيل هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم. فتقاتلت قريش وخزاعة واستنصر قصي أخاه رزاح بن ربيعة العذري ثم القضاء فنصره، ثم تحاكموا إلى حاكم كنانة يعمر الليثي وهو ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث فشذخ دماء خزاعة، أي هدرها، فسمي الشداخ، وقضى لقصي بالمفاتيح.

وَاتَّخَذَ النَّدْوَةَ لَا يُخْتَرَعُ فِي غَيْرِهَا أَمْرٌ وَلَا تَدَّرَعُ
جَارِيَةٌ وَيَعْذَرُ الْغُلَامُ إِلَّا بِأَمْرِهِ بِهَا يُرَامُ

الندوة: دار لقريش بمكة يجتمعون فيها للرأي، بمنزلتها سقيفة بني ساعدة بالمدينة؛ وهي التي بويع فيها أبو بكر رضي الله عنه وعن من بايعه. ودار الندوة أي الجماعة وهي التي اجتمع فيها قريش يوم الزحمة، أي للمشاورة في أمر النبي ﷺ. وأوّل من اتخذها قصي⁽¹⁾. ويخترع: ينشأ ويتبدأ.

يعني أن قصياً لما غلب خزاعة على مكة اتخذ داراً للجماعة وسمّاها دار الندوة يجلس فيها ويأتونه يعرضون عليه الأمور ويحكم فيها، ولا ينشئون

(1) كان قصي هذا هو أول من أصاب ملكاً من بني كنانة أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة، وحاز شرف مكة كله وكان أمره في قريش حياً وميتاً كالدين المتبع لا يعمل بغيره، ومات قصي بمكة فدفن بالحجون فتدافن الناس بعده بالحجون.

أمرًا حتى يُعرض عليه؛ حتى ان الجارية لا تدرع حتى تعرض عليه هل تدرع أو تبقى في المجول⁽¹⁾، ولا يُعذرُ الغلام: أي يختن، حتى يشاور في دار الندوة⁽²⁾.

وباعها بعدُ حكيمُ بنُ حزامٍ . وأنبؤهُ . وتصدَّقَ الهُمَامُ
سَيِّدُ نَادِيهِ بِكُلِّ الثَّمَنِ إِذِ الْعُلَى بِالدِّينِ لَا بِالْذَّمَنِ

قوله: بعد: أي في زمن الإسلام، باعها من معاوية بن أبي سفيان بثلاثة آلاف⁽³⁾، وكان اشتراها في الجاهلية من بني عبد الدار؛ وحكيم بن حزام هو السيد المشهور من سادات قريش في الجاهلية وهو ابن أخي أمنا خديجة، اشترى زيد بن حارثة في الجاهلية فوهبه لها فوهبته للنبي ﷺ، شهد بدرًا مع قريش فأشار عليهم بالرجوع فامتنعوا وفرَّ فلحقَ بعبد الله وعبد الرحمن ابني العوام على جمل فنزل له عبد الرحمن واستنزل أخاه عبد الله، فقال: إني أعرج لا أقدر على المشي وأخاف أن يدركني الطلب، فقال له: ألا تنزل لرجل إن قُتِلَ كفاك وإن أُسِرْتَ فذاك؟ فنزل عبد الله فأدرك وقتل

(1) تدَّرع: أي تلبس درعها أي قميصها، والمجول (كمنبر): ثوب تلبسه الجارية الصغيرة تجول فيه، قال امرؤ القيس بن حجر:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابـة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

أي إذا كانت بين من يلبس الدرع من النساء ومن يلبس المجول من الصغار.

(2) هذا فضلًا عن أنه لا يتزوج قرشي قرشية إلا فيها، وتيامنت قريش بفعل قصي فكانوا على ذلك بعد موته، وكان لا يدخل دار الندوة للمشاورة إلا من بلغ الأربعين.

(3) وجاء في سيرة ابن كثير والسيرة الحلبية وغيرهما أنه باعها من معاوية بمائة ألف.

ونجا عبد الرحمن، ثم أسلم. وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن (أهـ من الزبيري). أسلم حكيم بن حزام يوم الفتح فقال له النبي ﷺ: «أسلمت على ما سلف لك من خير»⁽¹⁾، يؤخذ منه أن الكافر يرى ما عمل من الخير في كفره إذا أسلم؛ واختلف العلماء في ذلك حتى قيل إنه يراه ولو لم يسلم، لكن المآل إلى الخلود في النار (نسأل الله العافية) لقول أبي لهب: ما وجدت بعدكم إلا أني سقيت يوم الاثنين في مثل هذه لعتقي ثوية، وأشار إلى نقرة إبهامه⁽²⁾. وكان حكيم إذا اجتهد في يمينه

(1) متفق عليه، روي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أرأيتَ أشياء كنت أتحنثُ بها في الجاهلية من صدقة وعتق وصلة رحم فهل فيها من أجر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما سلف من خير».

(2) قال في فتح الباري: (205/1) قال المازري: الكافر لا يصح منه التقرب فلا يثاب على العمل الصالح الصادر منه في شركه، لأن من شرط التقرب أن يكون عارفا لمن يتقرب إليه والكافر ليس كذلك. واستضعف ذلك النووي فقال: الصواب الذي عليه المحققون أن الكافر إذا فعل أفعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام أن ثواب ذلك يكتب له. وقال البدر العيني في عمدة القارئ: (303/8): روي أن حسنات الكافر إذا ختم له بالإسلام مقبولة أو تحسب له فإن مات على كفره بطل عمله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾. وذهب ابن بطل وغيره من المحققين إلى أن الحديث على ظاهره وأنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخير في حال الكفر واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أسلم الكافر فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة زلفها ومحا عنه كل سيئة كان زلفها وكان عمله بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله تعالى». وفي حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا فإذا لقي الله لم يكن له حسنة»، وقال الخطابي: روي أن حسنات الكافر إذا ختم له بالإسلام محتسبة له فإن مات على كفره كانت هدرا.

يقول: والذي نحاني يوم بدر. أسلم معه يوم الفتح بنوه هشام وخالد وعبد الله وغيرهم، وسيأتي إن شاء الله بعض مناقب حكيم في الكلام عليه. وأنبوه: لاموه. والهمام: الذي يفعل ما اهتم به من الأمر. والنادي: الجماعة. يقول إن حكيم بن حزام لما باع دار الندوة من معاوية لأمه أقاربه قالوا: بعت مكرمة قريش، فقال لهم: العلى بالدين لا بالديار؛ وقد تصدق بجميع الثلاثة الآلاف التي أخذ عنها⁽¹⁾.

حِجَابَةٌ سِقَايَةٌ رِفَادَةٌ لِيَوَاءِ النَّدْوَةِ بِالْقِلَادَةِ
أَتَحَفُّ عَبْدَ الدَّارِ إِذَا رَأَاهُ دُونَ مَدَى إِخْوَتِهِ مَدَاهُ

حجابه البيت: سدانه أي خدمته. والسقاية: سقاية الحاج. والرفادة: مال تجمعهم قريش بينهم يرفدونه به الحاج أي يكسونه إذا بلي ثوبه ويحملونه إذا عطب بعيره ويطعمونه. وأتحف: أكرم. والمدى: الغاية.

يعني أن قصيا لما رأى عبد الدار وهو أكبر بنيه، ولكن شرفه وهمته دون شرفهم وهمتهم، أكرمه بتقليده - أي إعطائه - هذه المكرمات الخمس ليلعب بها رتبته. قوله: بالقلادة: جعلها كالقلادة لأنها كالحلي، أي حلاه بها، أو من تقليد الخليفة الولاة الأعمال.

(1) وقيل إن الذي لامه هو عبد الله بن الزبير، وقال له: أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم؟ فقال له حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعثها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى فأينا المغبون في ذلك؟

وَإِذْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ سَادُوا أَخَذَ حُلَاهُ كُلُّهَا أَرَادُوا
وَحَالَفُوا لِأَخْذِهَا بِالْقَهْرِ مِنْهُمْ بَطُونًا مِنْ صَمِيمٍ فَهَرِ
زُهْرَةَ، تَيْمًا، حَارِثًا وَأَسَدًا خَمْسًا عَلَى أَمْثَالِهَا كَانَتْ يَدًا

يعني أن بني عبد مناف لما سادوا وعرفت لهم السيادة استحققوا بني عبد
الدار على أن تكون لهم هذه المكرمات وأجمعوا على أخذها منهم؛
هاشمهم ومطلبهم وعبد شمسهم ونوفلهم. ويذكر أن أول من قام منهم في
ذلك فتي كان فيهم يقال له عمرو بن أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف
فساعدوه على ذلك ثم تنافست قبائل قريش الاثنتا عشرة؛ فحالفت بنو
عبد مناف على أخذها منهم قهرا بطونا، وهي جمع بطن وهو بين القبيلة
والفخذ. قوله: من صميم: أي صريح قريش؛ وهم بنو زهرة بن كلاب بن
مرة، أخوال النبي ﷺ: بطن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. والبطن الثاني بنو تيم بن مرة،
بطن أبي بكر وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جُدعان. والبطن الثالث
بنو الحارث بن فهر، بطن أبي عبيدة بن الجراح. والرابع بنو أسد بن عبد
العزى، بطن الزبير بن العوام وحكيم بن حزام وأمنّا خديجة. وخامستهم
بنو عبد مناف.

قوله: خمسًا: جردها من التاء للمح القبيلة ونصبها على الحال أو صفة
لألفاظ القبائل. وقوله: على أمثالها: أي على خمس قبائل أخر. وكانت يدا:
أي جماعة، يقال: هم عليه يد واحدة.

وَعَمَّةُ النَّبِيِّ طَيِّبَتُهُمْ بِطَيِّبِهَا "الْمُطَيَّبُونَ" اسْمُهُمْ
وَعَمَسُوا فِي الطَّيِّبِ أَيْدِيَهُمْ وَمَسَحُوا الْبَيْتَ بِهِ إِذْ أَقْسَمُوا

عمة النبي: أمُّ حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ، تَوَّامَةُ عَبْدِ اللَّهِ، زَوْجُ كَرِيزِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ
عَبْدِ شَمْسٍ أُمُّ أَرْوَى أُمُّ عَثْمَانَ.

يعني أن أم حَكِيمِ هي التي صنعت لهم هذا الطيب الذي تقاسموا به،
ملأت جفنة من طيب فقربتها من البيت فقالوا من كان منا فليغمس يده
في هذا الطيب ثم يمسح به البيت، فتتابعوا على ذلك فسموا المطيبين، قال
يزيد بن معاوية:

ولها في المطيبين جدود ثم نألت ذوائب الأحلاف

ثم قال رحمه الله:

وَحَالَفَتْ كَذَاكَ عَبْدُ الدَّارِ قَبَائِلًا مِنْ فَهْرِ الْخِيَارِ
هَضِيصٌ، مَخْزُومٌ، عَدِيٌّ وَخَرَجُ مُحَارِبٌ وَعَامِرٌ عَنِ الْهَرَجِ
وَعَمَسُوا فِي الدَّمِ ثُمَّ لَعِقُوهُ "لَعَقَةُ الدَّمِ" هُمْ إِذْ لَحِسُوهُ

يعني أنه كما حالفت عبد مناف أربعة من قبائل قريش، كذلك
حالفت عبد الدار أربعة آخر، وهم هضيص؛ وهم مخزوم؛ وهم عدي؛ وهم
بن هضيص، رهط عمرو بن العاص وبنو الحارث الستة - أو السبعة -
المهاجرين إلى الحبشة؛ وقد نظمهم في نظمي لمهاجري الحبشة فقلت:

هُمْ مَعْمَرٌ وَحَارِثٌ سَعِيدٌ وَبَشِيرُهُمُ وَالسَّائِبُ الشَّهِيدُ
كَذَا أَبُو قَيْسٍ كَذَا سَعِيدُ أَخٌ لَهُمْ مِنْ أُمَّهُمْ سَعِيدُ

واختلف في أخيهم تميم ف قيل هاجر الحبشة وقيل شهد بدرا كافرا وأسر ثم أسلم. و[القبيلة] الثانية جمح بن عمرو بن هصيص، رهط بني مظعون. والثالثة مخزوم المشهورون. والرابعة: عدي رهط عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد.

وخرج عن الهرج: أي الوقوع في الفتنة، بنو محارب بن فهر؛ قبيلة ضرار بن الخطاب وعقبة بن نافع، وبنو عامر بن لؤي؛ قبيلة سهيل بن عمرو وعبد الله بن أم مكتوم.

وكيفية تحالفهم أنهم نَحَرُوا جزوراً فقالوا: من كان منا فليغمس يده في هذا الدَّم، فتوالت القبائل إليه فقام الأسود بن حارثة العدوي فغمس يده فلعقها، ففعلوا مثل فعله فسموا لَعَقَةَ الدَّم⁽¹⁾.

ثُمَّ بِصُلْحٍ أَخَذَتْ رِفَادَةَ سِقَايَةَ عَبْدُ مَنْفٍ السَّادَةَ

يعني لم تزل القبيلتان الخارجتان تمشيان بينهما إلى أن رضوا بالصُلح، فتصالحوا على أن لبني عبد مناف السقاية والرفادة⁽²⁾؛ وبقيت الحجابة

(1) ويقال للعقة الدم أيضا الأحلاف، وإلى ذلك أشار يزيد بن معاوية بقوله:

... ثم نالت ذوائب الأحلاف

وقد قيل إن لعقة الدم هم بنو عدي خاصة.

(2) وقد وليها منهم هاشم بن عبد مناف، وكان رجلاً موسراً؛ فكان إذا حان قدوم الحجيج في الموسم قام في قريش فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنكم يأتاكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله؛ وأحق

بأيدي بني عبد الدار إلى يوم القيامة، وبقي اللواء بأيديهم إلى الإسلام،
وبقيت دار الندوة بأيديهم إلى أن اشتراها منهم حكيم بن حزام⁽¹⁾

ولما أنشئ الكلام على من تداول الحرم، وهو أول الكلام على
الأنساب، لأنه ابتداءً بنجر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام جدي العرب
ولأن البيت لم يتداوله إلا العرب، شرع يتكلم على الملح التي وعد بها
وهي المختلقات وشبهها، فقال رحمه الله:

----->>

الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا
بد لهم من الإقامة بها فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكم به.
فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده، فيضم إليه من ماله
ما يكفي الحاج فيضيفهم حتى يصدروا. ولم يزل كذلك حتى مات بغزة في رحلة
تجارية، فولي السقاية والرفادة بعده أخوه المطلب؛ وكانت قريش تسميه الفيض
لسماحته وفضله. ولم يزل عليها حتى هلك بردمان من اليمن، فوليها عبد المطلب
بن هاشم فقام بها أحسن قيام فشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه
قومه وعظم خطره فيهم وحفر بئر زمزم فكانت سقايته، وكان من أمرها وأمر
نذره ذبح عاشر أبنائه ما كان. ولما مات عبد المطلب ولي السقاية بعده ابنه
العباس. ولم تزل إليه حتى جاء الإسلام فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
له، فكانت بعده في بنيه دون غيرهم من بني عبد المطلب. ولما توفي العباس وليها
بعده ابنه عبد الله ثم وليها بعده ابنه علي بن عبد الله بن عباس، ثم كانت بعده
في ولده يتوارثونها.

(1) وقد قيل ان الندوة بقيت بالاشتراك بينهم.

بعض مختلقات العرب

الْقَوْلُ فِيمَا اخْتَلَقُوا وَاخْتَرَقُوا وَلَمْ يَقْدُ إِلَيْهِ إِلَّا النَّزَقُ

الاختلاق والاختراق: مترادفان. والنزق: الطيش والخفة، وحاملهم عليه البطنة ورغد العيش، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾⁽¹⁾، يعني بالمختلقين والمخترقين العرب.

وَاخْتَلَقُوا أَنْ سَوَى الْحُمْسِ إِذَا طَافَ بِثَوْبِهِ الْحَطِيمَ نَبْذًا
وَمِنْهُمْ اسْتَعَارَ مَا يَطُوفُ بِهِ أَوْ طَافَ عَارِيًّا فَكَانَ كَالسَّبِّهِ

الحُمس: أهل مكة، لأن حجرها أبيض إلى السواد. والحطيم: الحجر، سُمي به لتحطم الناس فيه للدعاء، وقيل لانحطام الذنوب فيه. ونبذ: طرح. يَعْنِي أَنَّ الْعَرَبَ اخْتَلَقُوا أَنْ غَيْرَ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا طَافَ بِثَوْبِهِ بِالْبَيْتِ طَرَحَهُ فِي الْحَطِيمِ وَلَمْ يَزَلْ مَطْرُوحًا تَطَوُّهُ النَّاسُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَيُسَمَّى اللَّقَى، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَوَا حَزْنَا كَرِي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٍ⁽²⁾

واستعار منهم - أي من الحُمس - ثوبا يطوف به، ويترك ثوبه حتى يتم

(1) الإسراء: 16.

(2) الحريم: ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه.

طوافه فيأخذه، أو طاف غير لابس شيئاً حتى إذا تم طوافه أخذ ثوبه ولبسه. قوله: فكان كالسَّبَّه: أي كالخرف؛ والسَّبَّه: ذهاب العقل من الهرم، وكان عياض بن حمار بن أبي حمار يطوف بثياب النبي ﷺ في الجاهلية، لأنه كان صديقاً له وأسلم عياض بعد.

«وَالْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَحْلَهُ»
قَالَتْهُ مَخْطُوبَةُ هَادِي أُمِّتِهِ قِيلَ لِذَاكَ لَمْ تَفْزُ بِعِصْمَتِهِ

الضمير في بعضه أو كله: لفرجها. ولا أحله: أي على من ينظر إليه من أهل الطواف. ومخطوبته صلى الله عليه وسلم: ضُبَاعَةُ بنت عامر⁽¹⁾ بن قرط بن قشير رضي الله عنها، أم سلمة بن هشام وله تقول:

لاهم رب الكعبة المحرمة أظهر على كل عدو سلمة

(1) كانت ضباعة بنت عامر هذه قد جاءت إلى مكة في الجاهلية لتطوف بالبيت ولم تكن من الحمس، فنزعت ثيابها وطافت عريانة وهي تنشد: اليوم يبدو بعضه أو كله.. إلخ.. فلما انتهت من طوافها تزوجها عبد الله بن جدعان التيمي، ثم جاء هشام بن المغيرة المخزومي وقال لها: أنا خير لك من هذا الأبحر، فقالت: وما ذا أصنع؟ قال: اطلبيه أن يطلقك، فقال ابن جدعان: أقبل على أن تنحري مائة بدنة للبيت وأن توصلي ما بين الصفا والمروة بخيط غزل، فقال هشام: أما الإبل فعلي نحرها وأما الغزل فأمر به نساء بني مخزوم، ففعل، وتزوجها فأنجبت سلمة بن هشام رضي الله عنه؛ وأسلمت ضباعة بمكة وهاجرت. وروي أن سلمة لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها منه فقال سلمة: أستشيرها، فلما استشارها قالت: أتستشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني؟ فلما أراد الرجوع إليه قالت: لعله أخبره من حضر أنني كبرت وما بقيت كما كان يعلم، فرجع سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: قد رضيت، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه، وبذلك صارت معدودة من مخطوباته صلى الله عليه وسلم.

ولم تفز: لم تظفر. والعصمة (بالكسر): المنع والقلادة؛ يقال فلانة في عصمة فلان أي منعه، لأنه يمنعها من تزويج غيره؛ ولا يقال فلان في عصمة فلانة لأنها لا تمنعه من تزويج غيرها؛ وقيل لأنه يتقلد لها بالكسوة والنفقة ونحوهما (أهـ من الروض الأنف). وقوله: قيل لذلك.. إلخ: هذا مما يقوله السهيلي من نفسه، قال إن النبي ﷺ غيّر قلوب تزوجها وسمع البيت اعترته الغيرة (انتهى). وهي إنما تمنعها من تزويج النبي ﷺ أن أبا بكر أخبره أن بها كبرة. يقول: واليوم يبدو.. إلخ: هذا البيت قالته ضباعة بنت عامر في الجاهلية.

وَاخْتَلَقُوا التَّعْشِيرَ: أَنْ يُعَشَّرَا مِنْ النَّهْيَقِ بِحِذَاءِ خَيْبَرٍ

وَطَيْبَةِ آتِيهِمَا لَيْسَلَمَا بِذَلِكَ التَّعْشِيرِ مِنْ وَبَاهُمَا

النهيق والنهيق: للحمار. وخير: مدينة اليهود المعروفة؛ فتحها النبي ﷺ في العام السابع. وطيبة: من أسماء المدينة الكثيرة التي من كتبها وغسلها بماء ثم شربها برئ من حمى الربيع⁽¹⁾. ووباهما: حمأهما التي انتقلت من المدينة

(1) قاله في خلاصة الوفاء، كما ذكر الشارح عند قول الناظم: والجيش ذا جهزه خير نبي.. إلخ. وقال القسطلاني إن للمدينة عشرين اسماً، وقال إنها إذا كتبت وعلقت على المحموم برئ بإذن الله [سموط الذهب]، والتحقيق أن أسماءها تزيد على العشرين، ومن أسمائها: المدينة، وطيبة، وطابة، ودار الهجرة، ودار الفتح، ودار الإيمان، ودار السلامة، ودار السنة، ودار الأبرار، ودار الأخيار، وقبة الإسلام، وبيت الرسول، وحرَم الرسول، ومدخل صدق، وأكالة القرى، والمحفوظة، والمرزوقة، والحبيبة، والحسنة، والمختارة، والشافية، والمسكينة، والمؤمنة، والمباركة، والمقدسة..

إلى الجحفة بدعاء النبي ﷺ.

يقول: ومن مختلقاتهم أيضا أن آتى المدينة أو خيبر يُعشر حولها من نهيق الحمير جاثيا على ركبتيه فيسلم بذلك التعشير من حُمَاهما، وفي ذلك يقول عروة بن الورد العبسي:

وقالوا اجث وانهق لا تضرك خير وذلك من دين اليهود ولوغ
لعمري لئن عشت من خشية الردى نهاق الحمير إنني لجزوغ
فلا وألست تلك النفوس ولا أتت إلى روضة الاجداد وهي جميع
ويروى أنهم لم ينج منهم غيره.

واختلقوا للميتِ البليَّة تجعلُ في عنقها الوليَّة
وعنده تُربطُ حتى تبردا يركبها في زعم أهله غدا

البليَّة: الناضح، قال عمير بن وهب يوم بدر: "رأيت البلياء تحمل المنايا" أي النواضح تحمل الموت. والوليَّة: البردعة، قال:

إذا قلتُ إنِّي آئبُ أهل بلدة وضعت بها عنه الولية بالهجر
وتبرُد: تهلك. يقول: ومن مختلقاتهم أنهم إذا مات أحدهم ربطوا ناضحا أي ناقة عند قبره يجعلون في عنقها البردعة فلا تزال مربوطةً عنده حتى تموت يزعمون أنه يركبها إلى المحشر إن بعث، قال أحدهم يوصي ابنه:
لا أعرفن أباك يحشر مرة غدوا يجرُّ على اليدين وينكب

ثم قال رحمه الله:

ولامتحانِ الأهلِ تعقادُ الرِّثَمِ يعقدهُ من كان أهله اتَّهم

إِنْ غَابَ عَنْهَا فَإِذَا انْحَلَّ ادَّعَى خِيَانَةً، وَقَالَ فِيهِ مَنْ وَعَى:
هَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ إِنْ هَمَّتْ بِهِمْ كَثْرَةُ مَا تُوصِي وَتَعْقَدُ الرِّتَمَ!

الامتحان: الاختبار. والأهل: يعني الزوجة. والرتم: شجر يشبه الارطى
في النبات والزهر، والارطى أقرب إلى السواد.

يقول ومن مختلفاتهم أنهم إذا غاب أحدهم وكان متهمًا لزوجته يعقد
غصنا من رتمة يختبرها به، فإذا رجع من سفره جاء إلى الرتمة فإن وجد
عقدته كما هي برأها وإن وجد عقدته انحلت ادعى عليها الخيانة، أي
الريبة بإدخال غيره من الرجال عليها. وأما قوله تعالى ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾⁽¹⁾
أي بالكفر لما يقال إنه ما زنت امرأة بني قط - (قوله السهيلي).

قلت: وقد قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ﴾⁽²⁾ بإضافة "عمل" إلى "غير" في قراءة⁽³⁾.

قوله: وقال فيه من وعى: أي عقل، كأنه يلومه: هل ينفعك.. إلخ: أي لا
ينفعك عقدك الرتم وكثرة إيصاء أهلِكَ إن اهتمت بالريبة بعدك.

وَالْبَعْرَةُ الَّتِي بِهَا تَرْمِي الَّتِي قَدْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَافْتَضَّتْ
بِكَحْمَارٍ وَيَمُوتُ عاجِلاً إِذْ لَا تَمَسُّ الْمَاءَ حَوْلًا كَامِلًا

(1) التحريم: 10.

(2) هود: 26.

(3) وهي قراءة الكسائي، وتفسر قراءة الباقرين.

وَلَا الْحَدِيدَ، فِي أَحْسَ مَلْبَسٍ فِي الْحَفَشِ وَالْحَفَشُ أَضَرُّ مَكْنَسٍ!

يقول: ومن مختلقاتهم أن المرأة تمكث في عدتها سنة وهي في أحس ملبس وأضر مكنس: أي مسكن، وهو الحفش، فإذا تمت السنة أخذت بكرة ورمت بها⁽¹⁾، ومعناها عندها أنها رمت بالعدة كما رمت بهذه البكرة وأن الرجال عندها ما دامت في عدتها بمثابة هذه البكرة، وتفتض بكحمار أو طير أو ديك، أي تمسح به قبلها ولا يكاد يعيش؛ لأنها لا تمس ماء ولا حديدا في هذه السنة الكاملة فيلحقها من التن وخشانة الرائحة ما يهلك الداني إليها، وأحرى ما باشر ذلك المحل.

وَاخْتَلَقُوا نَارَ الْقَرَى وَالطَّرْدِ لِمَنْ مَضَى زِيَادَةً فِي الْبُعْدِ
وَالسَّلِيمِ وَاللَّاسِتِ سَقَاءِ وَلِلَّتَّحَالُفِ عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَالْغَدْرِ وَالْحَبِيقِ وَالْأَصْطِيَادِ وَأُهْبَةِ الْحَرْبِ وَاللَّاسَادِ
وَالنَّارُ تَوْقَدُ عَلَى الْمُزْدَلِفَةِ لِمَنْ أَفَاضَ مِنْ حَجِيجِ عَرَفَةِ

ذكر من مختلقاتهم نيرانا يسمونها نيران العرب وهي إحدى عشرة نارا، إحداها نَارُ الْقَرَى، وهي نار توقد ليلاً ليراها الأضياف فيهدوا بها،

(1) في زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم: (72/1): عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبكرة على رأس الحول».

قال حاتم لغلامه:

أوقدْ فإن الليل ليل قرٌ والريح يا موقد ريح صرٌ
علٌ يرى نارك من يمرُّ إن جلبت ضيفا فانت حرٌ

الثانية: نار الطرد، وهي نار يوقدونها خلف من يستثقلونه إذا ذهب ولا يحبون رجوعه.

الثالثة: نار السليم، وهي نار يوقدونها للملدوغ إذا لدغ يساهرونه بها، وكذلك المجروح والمضروب بالسياط ومن عضه الكلب، كي لا يناموا فيشتد بهم الأمر حتى يؤديهم إلى الهلكة.

الرابعة: نار الاستسقاء، أي الاستمطار؛ كانوا في الجاهلية إذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا في أذنانها وعراقيبها شهبان السَّلْع والعُشْر⁽¹⁾ ويصعدون بها في الجبل الوعر ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، قال⁽²⁾:
أجاعل أنت بيقورا مُسَلَّةٌ ذريعة لك بين الله والمطر

الخامسة: نار يوقدونها إذا أرادوا التحالف على الأعداء، يعقدون عندها

(1) السَّلْع (بالتحريك): نبات وقيل شجر مُرٌّ، والعُشْر (بوزن صرد): شجر، وقد كانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السَّلْع والعُشْر في المجاعات وقحوط القطر فتوقر ظهور البقر منها، وقيل يعلقون ذلك في أذنانها ثم يضرمون فيها النار يزعمون أنهم يستمطرون بلهب النار المشبه بسنى البرق فيضج البقر من ذلك فيمطرون، وقيل يضرمون فيها النار ويصعدون بها في الجبل.. إلخ.

(2) أحد شعراء طيء:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعُشْر
أجاعل أنت بيقورا.. إلخ.

الحلف ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد وَيَحُلُّ العقد؛ وإنما كانوا يَحْصُونَ النار بذلك لأن منفعتها يختص بها الإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان.

السادسة: نار يوقدونها إذا غدر الغادر ليخزي بها.

السابعة: نار يوقدونها للحبِق (بالكسر)؛ إذا حبِق⁽¹⁾ أحدهم يوقدون نارا ليفضحوه ويضحكون منه.

الثامنة: نار يوقدونها للصيد، توقد للظباء فتعشوا إذا نظرت إليها حتى لا تكاد ترى الصائد.

التاسعة: نار يوقدونها إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا، على جبلهم ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتونهم.

العاشرة: نار الأسد، وهي نار يوقدونها إذا خافوا الأسد لينفر عنهم؛ فإن من شأنه النفار عن النار لأنه إذا رأى النار حدث له فكر يصدده عن قصده.

الحادية عشرة: نارُ المزدلفة، وهي نار توقد على المزدلفة ليراها من دفع من عرفة، وأول من أوقدها قصي بن كلاب.

وَاخْتَلَقُوا أَنْ يَتَقَلَّدَ اللَّحَا مِنْ شَجَرِ الْحَرَمِ مَنْ عَنْهُ انْتَحَى
لَأَهْلِهِ، وَفِي اللَّحَا أَمَانٌ وَعَنْهُ قِيلَ قَدْ نَهَى الْقُرْآنُ

(1) حبِق (كضرب) حبَقًا: ضرب، والحبِق (بالكسر، وكغراب): الضراط.

اللِّحَا: قِشْرُ الشَّجَرِ. وانتحى: انصرف. يقول: من مخلقاتهم أن من خرج من الحرم قاصدا أهله إن أخذ شيئا من قشر شجر الحرم وتقلده لا يتعرض له. قوله: وعنه قيل.. إلخ: يعني أنه فسر به ﴿وَلَا الْقَلْبِدَ﴾ في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾⁽¹⁾، أي لا تتعرضوا ولا تحلوا متقلدا لحا شجر الحرم.

وَأَنَّ مَن أَلْقَى عَلَى زَوْجِ أَبِيهِ وَنَحْوِهِ . بَعْدَ التَّوَى . ثَوْبًا يُرِيهِ
أَوَّلَىٰ بِهَا مِنْ نَفْسِهَا إِنْ شَاءَ نَكَحَ أَوْ أَنْكَحَ أَوْ أَسَاءَ
بِالْعَضْلِ كِي يَرِثَهَا أَوْ تَفْتَدِي وَمَهْرُهَا فِي النِّكَحَيْنِ لِلرَّدِي

يعني ومن مخلقاتهم أن من ألقى على زوج أبيه، ونحوه كأخيه الكبير وعمه، بعد التوى، أي الموت - أي بعد موت أبيه ونحوه - ثوبا يريه إلقاءه عليها أنه يكون حينئذ - أي حين إلقاءه الثوب - أولى بها من نفسها، أي يكون مالك أمرها؛ إن شاء نكحها وإن شاء أنكحها غيره وإن شاء عضلها عن النكاح حتى تفتدي منه أو تموت فيرثها، أي يأخذ مالها كله، ويكون له مالها في النكحتين؛ أي إذا نكحها لا مهر لها عليه وإن أنكحها غيره فله صداقها. والردى: الهالك. وقوله: يريه: تتميم لا مفهوم له.

(1) المائة: 2.

وإن تصل لأهلها من قبل أن يلحفها أو خدرها لم تمتهن

يعني أنها، أي زوجة الأب ونحوه، إن وصلت إلى أهلها من قبل أن يلقي الثوب عليها أو على خدرها لم يكن له عليها سبيل. وقوله: لم تمتهن: أي لا تُهان بتوليته عليها.

وفي هذه المختلة نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتِيَتْموهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾.

(1) النساء: 19.

أنساب العرب*

العُربُ من أبناءِ سامٍ، جُرهمُ عادٌ، ثمُودٌ ووَبَارٌ منهمُ
كُذّا أُمَيِّمٌ وَعَبِيلٌ، طَسَمٌ جَدِيسٌ، عَمَلِيقٌ بِهَا أُتُمُّوا

العرب (بالضم ويحرك): تقدم. ومن: يحتمل أنها تبينية، أي وهم أبناء سام، وتحتمل التبعية؛ لأنهم بعضُ أبناء سام وغيرهم الفرس والروم.
"عرف" سام ثم حام "سبقا" ويافث "صيت" فكن محققا

ومعنى هذا البيت أن أولاد نوح عليه السلام ثلاثة، وكلهم له ثلاثة أولاد ولم يحد عنهم أحد من بني آدم؛ أما سام فرمز بنيه ع رف: العين للعرب والراء للروم والفاء للفرس. وأما حام فرمز بنيه س ب ق: السين للسوادين والباء للبربر والقاف للقبط. وأما يافث فرمز بنيه ص ي ت: الصاد للصقالبة والياء ليأجوج ومأجوج والتاء للترك. وخرج عن هذه الرُّموز⁽¹⁾ بنو إسرائيل واليونانيون؛ أمّا بنو إسرائيل فبالإجماع أنهم من سام لأنهم بنو يعقوب عليه السلام، وأمّا اليونانيون فقليل إنهم بنو أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام.

* العرب على اختلاف قبائلهم وتباين شعوبهم من ولد سام بن نوح باتفاق النسابين، فبعضهم يرجع إلى لاوذ بن سام وبعضهم إلى إرم بن سام وبعضهم إلى ارفخشذ بن سام.
(1) ما ذكره الشارح هنا ذكره الحافظ بن كثير في البداية والنهاية في التاريخ (115/1).

وجرهم: قيل إنه ابن قحطان، وهو في اللغة الضخم، وقيل إنه ابن لاوذ بن سام بن نوح. وعاد: هم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم عاد الأولى في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾⁽¹⁾؛ واختلف في هذه الأولية، فقيل باعتبار مَنْ بعدهم من الأمم وأما هم فعاد واحدة، وقيل هؤلاء هم الأولى ومنازلهم بالأحقاف بين عُمان واليمن إلى البحرين إلى حضرموت، قال تعالى ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾⁽²⁾. وقيل إن أباهم عاداً هو أول من ملك العرب وعاش ألف سنة ومائتي سنة، وبلغت أولاده الذكور لصلبه أربعة آلاف وتزوج ألف امرأة وملك اليمن والشام والعراق والهند وبنى مدينة إرم، وقيل بناها شداد ابنه وقيل بناها إرم نفسه.

وأما عاد الأخيرة فهم بنو بكر بن مُعاوية بن عاد بن عوص من الوفد الذين قدموا مكة لما أقحطوا يستسقون لهم فهلكت بعدهم عاد بالريح، كما جاء في التنزيل، بتكذيبهم نبيهم هود بن عبد الله عليه السلام. ومنه لقمان بن عاد وقيل الوافد المعني بقول الشاعر:

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فهِنِم لعل الله يسقينا غمَاما

فَيْسَقِي أَرْضَ عادٍ إِنَّ عاداً قد اضحوا لا يُبِينُونَ الكلاما

فملك على هؤلاء الباقيين بكر بن معاوية، ثم ملك بعده لقمان بن عاد؛ ودام ملكه - فيما يقال - ألف سنة أو أكثر. ولم يزل ملكهم متصلاً

(1) النجم: 50.

(2) الأحقاف: 21.

إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان، على ملك اليمن، فاعتصموا
بجبال حضرموت وبقوا هنالك إلى أن انقرضوا، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١﴾﴾^(١)، وقرئ بإضافة عاد إلى إرم؛ وفيه
إشارة إلى أن ثم عادًا غير عادٍ الأولى - (اهـ من القلقشندي).

وفي الذهب الإبريز لأحمد بن مبارك في مناقب سيدي الشريف عبد
العزیز الدباغ أنه سأله عن عاد الأولى وذكر له أقوال المفسرين، فقال: هم
أمة قبل نوح بعث إليهم نبيهم هويد (بالواو وسكون الياء)، وذكر أنه
يحفظ كتابه اهـ.

وأما ثمود فهم بنو ثمود بن جاشر (بالجيم والشين، ويقال كثر بالكاف
والثاء) بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام؛ كانت مساكنهم بالحجر
ووادي القرى من الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال مراعاة
لطول أعمارهم فيريدون بقاءها ما عاشوا؛ وهي باقية إلى الآن. وبعث الله
تعالى إليهم أخاهم صالحا عليه السلام رسولا فلم يؤمنوا به فأهلكهم الله
بصيحة من السماء كما ورد به القرآن الكريم. وثبت أن النبي ﷺ مر
بالحجر في غزوة تبوك فنهى عن دخول مساكنهم وأمر بإراقة ما استقي
من آبارهم وأن يسقوا من البئر التي كانت تردها الناقة^(٢). وقيل إنهم كانوا

(١) الفجر: ٦ - ٧.

(٢) رواه البخاري، ومسلم في الزهد.

ينزلون الطائف، ولذلك قيل إن ثقيفا من بقاياهم؛ وكان الحجاج يرمى بذلك. ويقال إن من بقاياهم أهل الرس الذين أرسل إليهم حنظلة بن صفوان.

وأما وبار (كقطام ويصرف) فهم بنو وبار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، كانت منازلهم بين الشحر واليمامة فأرسلت عليهم الريح فهلكوا.

وأما أميم فهم بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح، ومساكنهم من أرض فارس.

وأما عجيل فهم بنو عجيل (كأمير) بن مهلايل بن عوص بن عمليق.
وأما طسم فهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.
وأما جدیس فهم بنو جدیس بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل جدیس بن إرم فهم إذن بنو عم طسم لا إخوتهم، وكانت مساكنهم باليمامة وما يليها، وتجاوزهم طسم فيها؛ وكان الملك على القبيلتين لطسم فأنتهى ملكهم إلى ملك غشوم بلغ أمره إلى أن البكر من جدیس لا تزف إلى زوجها حتى يفترعها قبله فأجمعت جدیس على غدرهم.

حيلة جدیس للتخلص من ضیم طسم وما جرّ ذلك

وسبب ذلك أن امرأة من جدیس يقال لها الشמוש بنت غفار زفّت إلى زوجها ومعها الجوّاري يغنينها وينشدن:

ابْدِيْ بَعْمَلُوق وَقَوْمِيْ وَارْكَبِيْ وَبَادِرِي الصَّبْحَ بِأَمْرٍ مَّعْجَبِ

فلما فرغ منها ملك طسم خرجت من عنده على أقبح هيئة مشققة

ثيابها تسيل دماؤها وهي تنشد:

لا أحد أذلّ من جدّيس أهكذا يفعل بالعروس؟!

يرضى بهذا يا لقومي حرّ، أهدي وقد أعطى وسيق المهر؟!

لخوضه بحر الردى بنفسه خير من ان يفعل ذا بعمره

فقام أخوها الأسود بن غفار، وهو سيد جدّيس، فقال لجدّيس: والله لتطيعني أو لأضعن سيفي في بطني فأتحامل عليه حتى ينفذ من ظهري، قالوا، نطيعك، قال: فإني صانع وليمة فإذا وضعت فأتوا بسلاحكم فادفئوه تحت الموائد، فإذا شرع طسم في الأكل فخذوا سلاحكم واضربوهم ضربة رجل واحد، وانتظروني حتى أبدأ بعملوق فأكفيكموه.

فلم يبق منهم غير رزاح الطسمي أخي زرقاء اليمامة، زوجة الأسود بن غفار، فهرب إلى تبع باليمن يستنجد به على جدّيس؛ وكان استتبع كلبة وحمل معه جريد نخل رطبا قد جعل عليه طينا. فلما دنا من الملك كسر الكلبة وقلع الطين عن الجريد، فلما دخل على الملك فأخبره خبره، قال: إنّ بلادك بعيدة ولولا ذلك لأنجدناك، فقال: وكيف ذلك وهذا الجريد الرطب أتيت به منها ويعلم الملك وغيره أن لا نخل دون أرضي.. وهذه الكلبة خرجت بها تتبعني كسيرة؟

فأمر الملك جنوده بالرحيل، فلما كانوا بالطريق قال لهم رزاح: إن فيهم أختا لي تبصر من مسيرة ثلاثة أيام؛ فأمر تبع الجيش أن يقلع كل واحد منهم شجرة يجعلها أمامه يمشي خلفها.

فقالت الزرقاء: يا قوم إني أرى الجيش يأتكم من وراء الشجر، فلم

يصدقوها، فقالت: إني لأرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كتفاً أو
يخصف نعلًا، ثم قالت:

أقسم بالله لقد دبَّ الشجرُ أو همير قد أخذت شيئاً يجر

ولم يكثرثوا بقولها، فأتاهم الجيش فاستأصلهم غير الأسود؛ هرب بنفسه
وإبله إلى جبلي طيء؛ فلم يزل وحده إلى أن خلطت عليه أعازيب طيء،
فتوحش منهم. فلم يزل يدنو منهم ويدنون منه حتى آنس بهم فأمهلوه
حتى نام ذات ليلة معهم فقتلوه. ثم بقي رزاح وحده من طسم فجعل
يقول:

غدر الحي من جديس بطسم إن طسما كما تدان تدينا

ليت طسماً على منازلها تغـ لم أني قضيت عني ديونا

وأما عمليق (كقنديل)، أو عملاق (كقرطاس) فهم بنو لاوذ بن إرم
بن سام بن نوح عليه السلام، تفرقوا في البلاد واشتهروا بالطول وعظم
الأجساد، ومنهم ملوك الجزيرة وجبابة الشام وفراعنة مصر.

فَهَؤُلَاءِ الْعَرَبُ بَارُوا، وَالذَّبِيحُ مِنْهُمْ تَعَرَّبَ عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

باروا: هلكوا، من البوار وهو الهلاك، قال تعالى ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا
بُورًا﴾⁽¹⁾. وتعرَّب: تعلم اللغة العربية، من العمالقة كما تقدم. يقول: إن
هؤلاء من العرب هلكوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد، كما قدمنا،

(1) الفتح: 12.

وكما جاء في كتاب الله العزيز. والذَّبِيحُ هنا: إسماعيل، على القول بأنه الذَّبِيح؛ ومقابل القول الصحيح أنه أُلهم العربية من نفسه كغيره، فيأذن لا يكون متعرباً.

وَهُوَ أَبُو قَحْطَانَ فِي قَوْلِ أَبِي عَنْهُ، فَقَحْطَانُ ابْنُ هُودِ النَّبِيِّ
أَوْ هُوَ هُودٌ، وَجَمِيعَ الْعَرَبِ بَعْدُ لِعَدْنَانَ وَقَحْطَانَ أَنْسَبِ

وهو: أي إسماعيل، قيل انه أبو قحطان؛ وهو [قول] ضعيف لا يلتفت إليه لوجود قحطان قبله، لأن الملك الذي أعطى هاجر أمه عمرو بن القيس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على قول؛ وعلى القول بأنه صيدوف فقد كان قبله بنو سبأ. وأما قحطان فهو هود أو ابنه، وجميعُ العرب - بعد هذه البائرة - إمَّا مِنْ قَحْطَانَ أو من عدنان⁽¹⁾ الذي صح نسبه إلى إسماعيل بالأحاديث الصحيحة وعلم أهل الأنساب.

قَضَاعَةٌ مَذْبُذَبٌ بَيْنَهُمَا فَلِمَعَدٍّ عِنْدَ قَوْمٍ انْتَمَى

رَجُلٌ مَذْبُذَبٌ (ويفتح): متردد بين أمرين. يعني أن قضاة متردد بين

(1) وهذه العرب غير البائرة هي الباقية الذكر، وهي مغزى هذا النظم بل هي المراد بالعرب عند الإطلاق؛ وينقسم تاريخها إلى ثلاثة أعصر: الأول عصر الجاهلية وينتهي بظهور الإسلام، والثاني عصر الإسلام يبدأ بظهور الإسلام ويشمل دولة بني أمية وينتهي بقيام دولة بني العباس، والثالث عصر العباسيين ويبدأ بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمئة للهجرة. ومن تأمل ما احتوى عليه هذا النظم من أخبار العرب تصرّحاً أو تلويحاً علم مطابقته مطابقة تامة لهذا التقسيم وهذه العصور - [سموط الذهب].

معد بن عدنان ومالك بن حمير؛ واسم قضاة عمرو، ولُقِّبَ بقضاة وهو
الفهد، أو لانقضاة⁽¹⁾ عن قومه - (القاموس).

وهو - وبَّله ما يقولُ المزدري - قُضَاعَةُ بَنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ

وهو: أي قضاة. وبَّله: اسم فعل بمعنى دع، أو مصدر بمعنى اترك.
والمزدري: المحتقر. يقول: قضاة هو ابن مالك بن حمير، قال أحدهم:

نحن بنو الشيخ الهمام الأزهر قضاة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر

ودَّع عنك قول المحتقر لهم المزدري بهم حيث يقول:

مررنا على حيي قضاة غدوة وقد أخذوا في الزفن والزفنان⁽²⁾

فقلنا لهم ما بال زفنكم كذا لعرس يرى ذا الزفن أم لختان؟

فقالوا لنا: إنا وجدنا لنا أبا فقلت: ليهنئكم، بأي مكان؟!

فقالوا: وجدناه بجرعاء مالك فقلت: إذا ما أمُّكم بحصان!

وَأُمُّهُ عُكْبَرَةٌ عَلَى حَبْلٍ مِنْ مَالِكٍ اتَّخَذَتْ مِنْهُ بَدَلٌ

العُكْبَرَةُ (بالضم): المرأة الجافية السيئة الخلق. يعني أن أم قضاة امرأة⁽³⁾
جافية كانت تحت مالك بن حمير، فلما حملت منه بقضاة نشزت

(1) انقضع عن قومه: بُعد. [القاموس].

(2) الزفن: الرقص.

(3) اسمها عكبرة من سبأ خلف عليها معد فولدت قضاة على فراشه - [قاله الزبيري].

واتخذت زوجا غيره وهي حامل منه.

خَزَاعَةُ كَذَاكَ ذُو تَذَبُذْبٍ مَا بَيْنَ قَمْعَةٍ وَأَزْدٍ يَثْرِبُ

خزاعة: جد الحي المشهور، أصهار النبي ﷺ على جويرية. في القاموس أنهم سموا بذلك لأنهم انخزعوا عن قومهم وسكنوا مكة. والتذبذب: التردد. وقمعة (محركة، وسكن للضرورة): لقب عمير بن إلياس، ويأتي - إن شاء الله - خبر تلقيبه في الكلام على خندف. وأزد يثرب: الأوس والخزرج، لأنهم من الأزد بن سبأ. ويثرب: المدينة المشرفة.

يعني أن خزاعة كقضاة في التذبذب، أي كما ترددت قضاة بين مالك بن حمير ومعد، كذلك ترددت خزاعة بين قمعة بن إلياس وبين حارثة الغطريف. والأصل في تذبذبهم أنهم بنو عمرو بن لحي اتفاقا، وروى أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيْ بْنِ قَمْعَةَ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ» - الحديث⁽¹⁾. والنسابة يزعمون أن لحي أخو الخزرج والأوس، ابن أبيهما حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا - (قاله الزبير⁽²⁾).

(1) أخرجه البخاري ومسلم، والقصب (بضم فسكون): المعى جمعه: أقصاب؛ أي يجر أمعاءه في النار.
(2) ونص كلام الزبير: قال أما قمعة بن إلياس فيزعمون أنه أبو خزاعة، يقولون كعب بن عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول من سيب السائبة وبَحَرَ البحيرة وحمى الحامي عمرو بن لحي بن قمعة (أبو بني كعب هؤلاء) رأيت في النار يجر قصبه» - الحديث - ثم قال: وخزاعة تقول: كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من غسان ويأبون هذا النسب. والله أعلم؛ إن كان رسول الله ﷺ قال ما روي فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم وما قال فهو أحق.

فإن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين، وإن لم يصح فالعبرة بكلام أهل الأنساب المتقنين.

وَهَكَذَا بَجِيلَةَ الْحُلَفَا وَخَثْعَمُ الْكِرَامُ قَدْ تَوَقَّفَا
مَا بَيْنَ أَنْمَارِ نِزَارِ السَّنِي وَبَيْنَ أَنْمَارِ إِرَاشِ الْيَمَنِ

يقول: وهكذا في التذبذب بين الحيين: بجيلة - ووصفهم بالحلفاء لأنهم كانوا متفرقين في البلاد إلى أن جمعهم جرير بن عبد الله البجلي الصحابي - وهكذا أيضا في التذبذب خثعم، ووصفهم بالكرم لأن منهم أسماء بنت عميس رضي الله عنها، زوج أبي بكر رضي الله عنه - أم ابنه محمد - وتوفي عنها وغسلته وخلف عليها عليٌّ وولدت له يحيى بن علي، وهي أم بني جعفر بن أبي طالب: عبد الله ومحمد وعون، ولدتهم بالحبشة؛ هاجرت مع زوجها جعفر وأختها سلمى بنت عميس، زوج حمزة بن عبد المطلب، أم ابنه يعلى وبناته.

وكانت أسماء من آل البيت، وهي التي لَدَّتْ⁽¹⁾ النبي ﷺ في مرضه، ولمست موضع خاتم النبوة منه تختبر هل توفي أم لا؛ فوجدته ارتفع فعلمت أنه توفي صلى الله عليه وسلم.

ومن خثعم ذو الأنف الذي قاد خثعما إلى رسول الله ﷺ وهو محاصر للطائف. ومن قبائل خثعم بنو شهران وبنو قحافة، ودخل فيهم بنو أكلب

(1) اللدود: ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم.

(بصيغة الجمع) ابن ربيعة بن نزار.

وتذبذب بجيلة وخثعم بين أنمار بن نزار السني - أي البهي - وبين أنمار بن إراش بن الأزد اليميني. أمّا النسبة إلى أنمار فبالاتفاق، ثم اختلف في أنمار المنتسب إليه هل هو ابن نزار العدناني أو ابن إراش القحطاني؟. أمّا بجيلة فقليل إنه ابن أنمار لصلبه وقيل إنها أمهم واشتهروا بها، وهي بنت صعب بن سعد العشيرة، وأبوهم عبقر بن أنمار. وقد انتسب جرير بن عبد الله إلى أنمار بن نزار؛ وذلك أنه تنافر هو ورجل إلى الأقرع بن حابس فقال:

يا أقرع بن حابس يا أقرع إن يُصرع اليوم أخوك تصرعُ

يعني بالأخوة أنهما من بني نزار.

ومن بجيلة بنو قسر، قبيلة خالد بن عبد الله القسري، أمير الوليد بن عبد الملك على مكة؛ كان مذموماً بالجور أو في دينه، إلا أن له مقاماتٍ في الجود، قال فيه الفرزدق:

بكت المنابر من فزارة شجوها فاليوم من قسر تضجُ وتجزع

ومنهم بنو أحمس، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «بارك الله في خيل أحمس⁽¹⁾»، وهي خيل بعثها النبي ﷺ إلى ذي الخَلَصَةِ، صنم دوس الذي قال فيه النبي ﷺ: «ستضطرب ألياتُ نساءِ دوس حول ذي الخَلَصَةِ⁽²⁾»، وأمر على هذه الخيل جرير بن عبد الله، فقال: يا رسول الله إني لا أثبت

(1) أخرجه البخاري وأحمد والطبراني في الجمع.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

على الخيل، فصك في صدره وقال: «اللهم ثبته على الخيل واجعله هاديا مهديا»؛ فكان أفرسَ العرب. وقال يوم وفد عليه: «سيطُلع عليكم من هذا السفح من خير ذي يمن⁽¹⁾»، وقال فيه: «إذا أتاكم كريمةُ قوم فاكرموه⁽²⁾». وكان عمر يقول له "يوسف هذه الأمة" لحسنه؛ ووجد عمر يوما من بعض جلسائه ريحا فقال: ليقم صاحب هذه فليتوضأ، فقال جرير: كلنا يا أمير المؤمنين يتوضأ، فقال: نعم، ثم قال: ما زلت يا جرير سيدا في الإسلام والجاهلية.

(1) رواه أحمد في المسند وابن حبان.

(2) رواه ابن ماجه والطبراني في الأوسط، وكريمة قوم أي كريمهم وشريفهم والهاء للمبالغة.

عمود نسب النبي

صلى الله عليه وسلم

النَّسَبُ الَّذِي عَلَيْهِ اتَّفَقَا كُلُّ الْوَرَى، إِذْ بِالنَّبِيِّ أَشْرَقَا:
أَحْمَدُ، عَبْدُ اللَّهِ، عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهَاشِمٌ، عَبْدُ مَنَافِ الْمُتَخَبِ
ابْنُ قُصَيٍّ بَنِ كِلَابٍ، مُرَّةٌ، كَعْبٌ، لُؤَيٌّ، غَالِبُ الْغُرَّةِ
فِهْرُ بْنُ مَالِكٍ وَنَضْرُ بْنُ ذُو السَّكَّةِ، كِنَانَةُ، خُزَيْمَةُ فَمُدْرِكَةُ
إِلْيَاسُهَا، مَضْرُهَا، نِزَارُ مَعَدُّ، عَدْنَانُ. انْتَهَى الْخِيَارُ

الورى: الخلق. وأشرق: أضاء وارتفع. يقول: النسب الذي اتفق عليه
جميع الخلق، من النسابين وغيرهم، من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل
ولا تأخير ولا تقديم.. لإشراقه وارتفاعه واشتهاره بسيدنا ومولانا ونبينا
ورسول ربنا، هو:

أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ
وَأَصْهَارِهِ وَأَنْصَارِهِ.

قصة افتداء عبد الله والد النبي ﷺ

وعبدُ الله، والدُ النبي ﷺ، وهو الذبيح؛ وسُمِّيَ بذلك لأن أباه عبدَ
المطلب لما ظهر وساد قريشا وأهل مكة السيادةَ الحُسنى، ببركة النبي ﷺ،
وحفر بئر زمزم وقارعهم فكانوا من المدحضين، آنس منهم الحسدَ وخشي
تظاهرهم عليه، نذر إن أعطاه الله عشرة من الولد الذكور لينحرنَّ

عاشرهم تقربا إلى الله به، فأتم عبدُ الله المعلق عليه النذر؛ فأراد أن ينحره ليوفي بالنذر، فأبت بنو مخزومَ لأنهم أخواله، قالوا: أتنحر ابننا وتترك أبناء غيرنا! والله لا يكون ذلك وفينا عين تطرفُ. فأشار إليه العظماء أن يفديه، فقال: لا بد لذلك من مشاورة كاهن. فسار إلى كاهن خيبر، فأمره: أن يقرع عليه وعلى عشرة من الإبل، فكلما وقع عليه السهم زد عشرة على الأولى ثم كذلك.. حتى يقع السهم على الإبل، فمتى وقع عليها فانحرها عنه فإن ربك قد رضي بذلك العدد؛ ففعل، فما وقع السهم على الإبل حتى بلغت مائة ناقة عُشراءَ كما قال الفاسي⁽¹⁾: "وهي لا تعدو

(1) هو العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي المكناسي نزيل المدينة المنورة، قال في منظومته في السيرة المعروفة بقرة الأبصار:

وشيبة إذ بئر زمزم حفر	همت بمنعه قريش فنذر:
إن جاءه من البنين عشرة	يحمونه من البغاة الفجرة
لينحرون واحدا تقربا	به، فلما رام نحره أبى
منه قريش، فمضى خيرا	مستأمرا كاهنها فأمرأ
أن استه، ثم عليه والآبال	فإن عليه خرجت في الحال
فزد عليها عشرة واقترعا	حتى إذا السهم عليها وقعا
فانحر فإن ربه قد رضا	بأنها له ففداء، فعيا
ففعل الذي به قد أمرا	حتى انتهت لمائة فنحرا
من بعد ضربها ثلاثا وهي لا	تعدو العشار الكوم فيما نقلأ
فكان والد النبي المفتدى	بمائة فداؤه من الردى
وكان ذاك سنة في أمته	عن نفس كل مؤمن في فديته

وقوله: لا تعدوا: أي لا تجاوز، والعشار: جمع عُشراء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية، والكوم: جمع كوما: وهي عظيمة السنام.

العشار الكوم..". فنحراها عنه، فكانت سنة في أمة ابنه محمد ﷺ: دية أحدهم مائة ناقة.

فشبَّ عبدُ الله أعزَّ فتیان قُرَيْشٍ وأجملهم، فلمَّا بلغ أن يتزوج نظر له أبوه في نساء قريش، فأدَّاهُ نظره إلى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، سيد بني زهرة، وهي سيدة نساء قريش. فخرج به أبوه إلى وهب فسرَّ به وزوجَه، وزوج عبدَ المطلب بنتَ أخيه هالة بنت أهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة، وكان تَرَبُّبُ⁽¹⁾ النبي ﷺ ورضيعه من ثوية وابن خالته مع العمومة والصحبة والنصرة.

ومرَّ عبدُ الله، حين خرج به عبد المطلب يريدان آمنة؛ بفاطمة بنت عدي⁽²⁾ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعليه الطين - وكان يعمل فيه - وهي تبيع أذمًا فقالت له: قَعَّ علي ولك مثلُ الإبل التي نخرت عنك، فقال لها اعتذارا: إني مع أبي ولا أقدر أن أخالف أمره. فمر بها بعد ذلك وقد وضع نور النبوة في آمنة ولم تكثرث به، فقال لها: ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت علي بالأمس؟ فقالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس؛ وفي ذلك تقول:

(1) تَرَبُّبُ الرجل (بالكسر): لدته الذي نشأ معه، جمعه: أتراب.

(2) وفي تاريخ الطبري أنه مر بأم قتال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى، أخت ورقة بن نوفل؛ وأم قتال كنية فاطمة بنت عدي بن نوفل المذكورة، وقيل مر بكاهنة من خثعم اسمها فاطمة بنت مر متهودة قد قرأت الكتب فرأت في وجهه نور النبوة، فدعته فقال لها:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه .. إلخ.

فأَجْمَلَ إذا حاولت أمراً فإنه سيكفيكه جِدَان يَصْطَرَعَان
سيكفيكه إِمَّا يَدٌ مُقْفَعَةٌ⁽¹⁾ وإمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِنَانٍ⁽²⁾

وعَبْدُ الْمَطْلَبِ: سمي بذلك لأن أباه هاشمًا لَمَّا حضرته الوفاة قال لأخيه
المطلب: أدرك عبدك، أي إئت به، وهو إذ ذاك عند أخواله بني النجار؛
تزوج هاشم أمّه وهو غائب عندهم فولدته أمه ولم يزل عندهم. وقيل
قدم به المطلبُ على قريش مردفَه فقالوا: المطلبُ جاء بعبدٍ، لأنه على لون
أخواله وهو السمرة، فصار ذلك اسماً له، وكان اسمه شيبه⁽³⁾.

(1) مقفلة: متشنجة متقبضة.

(2) وكانت فاطمة هذه من أجمل النساء وأعفهن، وكانت قد قرأت الكتب، فلما رأت نور النبوة في
وجه عبد الله دعتَه إلى نكاحها ترجو أن تحمل بهذا النبي فتكون أمه، فأبى عبد الله، فقالت:

إني رأيت مخيلة نشأت فتلاأت بجناثم القطر
فلمعتها نورا يضيء به ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد وقعت به وعمارة القفر
ورأيت شرفاً أبوء به ما كل قاذح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت منك الذي استلبت وما تدري

(3) ويقال له شيبه الحمد، قيل لأنه ولد وبرأسه شيبه، وكان يذهب مع غلمان بني النجار بالمدينة
ينتضلون؛ فكان إذا خسف قال: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء، فذكر ذلك للمطلب فسار
إليه فلما رآه عرفه من بين الغلمان فقال:

عرفتُ شيبه والنجار قد جعلت أبناءها حوله بالنبل تنتضلُ

ويكنى عبد المطلب أبا الحارث وكان سيد قريش غير مدافع، كملاً وفعالاً؛ وكان يقال له
"الفياض" لجوده، و"مطعم الطير" لأنه كان يرفع مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال،
وكان من حكماء قريش وحلمائها وكان يأمر أولاده بترك الظلم ويحضهم على مكارم
الأخلاق وينهاهم عن دنيا الأمور، وكان ممن حرم الخمر على نفسه ورفض عبادة
الأصنام في الجاهلية.

وهاشم: - واسمه عمرو العلاء لعلوه على قريش - سمي هاشما لأنه كان

يهشم لهم الثريد⁽¹⁾، قال عبد الله بن الزبعرى:

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قُومٌ بمكة مُسْنِتِينَ عِجَافٍ

في أبيات أولها:

كانت قريش بيضةً فتفلّقت فألح⁽²⁾ خالصه لعبد مناف⁽³⁾

(1) وهو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف؛ فرحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ورحلة الصيف إلى الشام وغزة، وأصاب قريشا سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بجبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز وثرّده ونحر الإبل فأشبع أهل مكة فسمي لذلك هاشما.

(2) المح (بالحاء المهملة): الخالص، ومُحُّ البيض: ما في جوفه من أصفر وأبيض.

(3) وبعده: الخالطون غنيهم بفقرهم والقائلون: هلمّ للأضياف

إلى أن يقول:

سُنْتُ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشَّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصْيَافِ

ولطرود الخزاعي:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحُولُ رَحْلُهُ هَلَا نَزَلْتُ بِآلِ عَبْدِ مَنْفَرٍ

الْآخِذِينَ الْعَهْدَ مِنْ آتَانَا وَالرَّاحِلِينَ بِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ

وله فيه أيضا من قصيدة يرثي بها بني عبد مناف:

يَا عَيْنَ فَاكِئِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِياتِ يَبْكِيْنَهُ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ

يَبْكِيْنُ أَشْرَفَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ يُقَوِّلُهُ بَدْمَوْعَ بَعْدَ عِبْرَاتِ

يَبْكِيْنُ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجْرِ أَبِي الْهَضِيمَةِ فَرَّاجَ الْجَلِيلَاتِ

يَبْكِيْنُ عَمْرُو الْعَلَاءِ إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ سَمَحَ السَّجِيَّةِ بِسَامِ الْعَشِيَّاتِ

يَبْكِيْنَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزْنٍ يَا طَوْلَ ذَلِكَ مِنْ حَزْنٍ وَعَوَلَاتٍ .. إلخ.

(والبليات: جمع بلية للناقة التي تعقل عند قبر صاحبها. والفجر (محرّكة): العطاء. والهضيمة:

<<=

عمرو العلا.. إلخ.

وسبب هذه الأبيات أنه هجا آل قصي بقوله:

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ومشية مثل ما تمشي الصقارير

فربطه قومه بنو سهم بالكعبة وحلفوا أن لا يحله إلا بنو قصي، فجعل يمدحهم ويستغيث بهم فحلوه - (أهـ من الروض الأنف).

وعبد مناف⁽¹⁾، واسمه المغيرة، ويسمى القمر لجماله، وساد في حياة أبيه؛ وهو أبو أفخاذ بني عبد مناف الأربعة الذين أخذوا لغير قريش الأمان من ملك كل جهة؛ فهاشم للشام ونوفل للعراق وعبد شمس لليمن والمطلب للبحرين، كلهم يأخذون الأمان من ملك أرض من هذه الأراضي بأن يعطيه حبلا تسافر به العير ولا يتعرض لها حرمة جبل الملك. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ﴿إِنَّ لَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾⁽²⁾.

وقُصِيَّ (كسمي) تصغير قصي (كغني)، سمي به لأن أمه أقصته عن عشيرته لما تزوجت لربيعة بن حرام العذري، وتقدم بعض الكلام على

--- >>

الذل والنقص. والجليات: الأمور العظام. والسجية: الطبيعة. وبسام العشيات: أي يتسم عند لقاء الأضياف عشية). وكان يقال لهاشم وإخوته أقداح النضار، أي الذهب، ويقال لهم "المجيرون" لكرمهم وشرفهم.

(1) قال الزبير بن بكار: لما ولد لقصي ولده عبد مناف سماه عبد مناة - ومناة صنم - ثم نظر فإذا هو موافق لاسم عبد مناة بن كنانة فأحاله إلى عبد مناف، واسمه المغيرة وكنيته أبو عبد شمس. وساد عبد مناف في حياة أبيه فكان مطاعا في قريش.

(2) قريش: 2.

قصي. وفي هؤلاء يقول الشاعر:

قد أوثق المجد عبد الله شيةً عن عمرو بن عبد مناف عن قصيهم
فجاء فيهم بمن جا للسماء ومن سما على النجم في سامي بيوتهم
فالعرب خير أناس ثم خيرهم قريشهم وهو فيهم خير خيرهم
قوم إذا قيل من؟ قالوا نبيكم منا، فهل هذه تلفى لغيرهم؟

وقيل إن أم بني قصي حبي بنت حليل⁽¹⁾ الخزاعية. وسكتنا عن أمهات هؤلاء لمحيثهن في الأصل.

وكلاب (ككتاب) قيل اسمه المذهب وقيل حكيم وقيل عروة،
وسمي كلاباً لأنه كان مولعاً بالصيد بالكلاب وكان يجمعها فيسأل عنها
فيقال هذه كلاب ابن مرة، فلقب كلاباً. وأمه هند بنت سُرير⁽²⁾ بن ثعلبة
بن الحارث بن مالك بن كنانة.

ومرّة: هو أبو القبائل الثلاث: كلاب هذا وتيم ويقظة أبو مخزوم،
وأُمّه - وهي أم أخويه عدي وهصيص (كزبير) - وحشية بنت شيبان بن
محارب بن فهر⁽³⁾.

وكعب: كان عظيم القدر، حتى أرّخوا بموته إعظاماً له - إلى أن كان

(1) حليل (بصيغة التصغير) بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة - [الطبري].
(2) وأم هند هذه أمامة بنت عبد مناة بن كنانة، وأم أمامة هذه هند بنت دودان بن أسد بن
خزيمة.

(3) وفي الطبقات لابن سعد: أم مرة وأخويه محشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، وأم
محشية وحشية بنت وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة، وأم وحشية
هذه ماوية بنت وائل بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

عام الفيل فأرخوا به - وهو أول من جمع الناس في الجاهلية بمكة وخطب
وبشّر بمبعث النبي ﷺ وحضّ على اتباعه، وهو أول من سمى العروبة
الجمعة (ومعنى العروبة: الرحمة) وأمه وأم أخويه ماوية بنت كعب بن
القين⁽¹⁾ القضاعية.

ولؤي (بالهمز وبدونه، والهمز أكثر): تصغير الـ (كالعصى) للثور
الوحشي، أو تصغير لأي (كعبد) وهو البُطء، قال ابن الأُسَلت:
فدونكم بني لأي أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو

أو هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه الهمزة. وهو أبو كعب وعامر
المشهورين بالحرم ولهُ خَمْسَة بنين غيرهما دخلوا في قبائل العرب، منهم
بنو سامة بن لؤي القائل:

عين جودي لسامة بن لؤي علقـت ساق سامة العلاقه

وأُمُّه وأُمُّ أخيه تيم الأدرم (سمي به لأنه كان منقوص الذقن): سلمى
بنت عمرو الخزاعية⁽²⁾.

وغالب³: وأمه ليلي⁽³⁾ بنت سعد بن هذيل. والغرة: الشريف، وغرة

(1) القين هذا ابن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن إلفاف
بن قضاة، وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة. وقيل إن ماوية هذه أم مرة وإن
كعبا أمه وحشية بنت شيان - [كتاب الاشتقاق لابن دريد].

(2) هي سلمى بنت عمرو بن لحي، ولحي هو ربيعة بن حارثة بن مزريقا بن ماء السماء، وقيل
أم لؤي عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة - [الطبري].

(3) هي ليلي بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، وأم ليلي هذه سلمى بنت
طابخة بن إلياس بن مضر، وأم سلمى هذه عاتكة بنت نبت بن الأزد بن الغوث.

القوم شريفهم؛ وصف غالبا به لكونه شريف قومه.

وفهر: بالكسر، وهو في الأصل الحجر الذي يدق به؛ قال عبد الرحمن

بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم:

وأنت أذل من وتد بقاع يشجع رأسه بالفهر واج

وقيل إن ذلك الأصل في اسمه، وقال السُّهيلي: اسمه زيد وإنما نبزته أمه

فَهِرا، وأمّه جندلة⁽¹⁾ بنت الحارث بن مضاض الجرهمية.

ومالك: وأمّه عكرشة (بالكسر) بنت عدوان بن عمرو بن قيس

عيلان⁽²⁾.

والنَّضْر: وهو في الأصل الذهب. وذو السكة: أي المسكوك، وصفه

بالسكة لأن النضر - أي الذهب - المسكوك أحسن من غير المسكوك؛

وهو جماع قريش⁽³⁾، وقيل ذلك فُهِر، وأم النضر برة بنت مُرّ

(1) جندلة هذه بنت عامر بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمية، وقيل إن أم فُهِر سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس، وقيل جميلة بنت عدوان الأزديّة، وفي السيرة الحلبية أن حسان بن عبد كلال جاء من اليمن في حمير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة إلى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس إليه ونزل بنخلة، فخرج فُهِر إلى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب؛ فقاتله فُهِر، فانهزمت حمير ومن انضم إليهم واستمر حسان في الأسر ثلاث سنين ثم فدى نفسه بمال كثير فمات بين مكة واليمن. فهابت العرب فُهِرا وعظموه وعلا أمره. ومما يؤثر عن فُهِر قوله لولده غالب: "قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار لديك".

(2) وقيل إن أم مالك: عاتكة بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان، وقيل إن عكرشة لقب عاتكة بنت عدوان واسمها عاتكة، وقيل أمه هند بنت فهم بن عمرو بن قيس عيلان.

(3) واسم النضر هذا قيس ويكنى أبا مخلد.

بن أُدٍّ⁽¹⁾ بن طابخة خلف عليها كنانة خزيمة بعد أن ولدت لخزيمة أسداً وذلك كان سائغاً قبل، ثم نُسِخَ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾⁽²⁾.

وكنانة: وهي في اللغة جعبة من جلود توعي السهام، سمي بها عمود النسب؛ وكانت العرب تحج إليه وتتحاكم عليه لفضله وعلمه، وأمه عَوَانَةُ بنت سعد بن زيد بن قيس عيلان⁽³⁾.

وخزيمَة: وهو تصغير خزيمة، من الخزم وهو شد الشيء وإصلاحه، أو من خزمته إذا أدخلت في أنفه الخزامة؛ وأمه قضاعية⁽⁴⁾.

ومُدْرِكَة: واسمه عمرو أو عامر، وسمي مدركة لأنه أدرك الأرنب في قصة آل إلياس الآتية إن شاء الله في ذكر أمه خندف⁽⁵⁾، وهي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة وإليها ينسب بنو إلياس، يقال لهم بنو خندف، يفتخرون بها.

(1) أخت تميم بن مر، وإلى ذلك يشير جرير بن عطية بن الخطفي التميمي وهو يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان حيث يقول:

فما الأم التي ولدت قريشا بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بأنجب من أيكم وما خال بأكرم من تميم .. إلخ.

(2) النساء: 22.

(3) وقيل إن أم كنانة هند بنت قيس بن عيلان - [الاشتقاق لابن دريد].

(4) اسمها سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاة، وقيل سلمى بنت أسد بن ربيعة.

(5) اسم خندف هذه: ليلي بنت عمرو بن حلوان بن عمران.. وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار، وهي التي سمي بها حمى ضرية المشهور، وقيل إنه لقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وشرف في آبائه.

وإلياس: من "رجل أليس"، أي شجاع، وقيل سمي إلياس لأنه أوّل من أخذ داء اليأس (بالتحريك) وهو السل، واسمه حبيب. ولما أدرك أنكر على بني إسماعيل ما غيروه من سنن آبائهم وبنان فضله عليهم فجمعهم ورضوا به وردهم إلى سنن آبائهم، وهو أول من أهدى البُذُن إلى البيت⁽¹⁾، وأمه بنت قنص بن معد⁽²⁾، وأمها سوداء، كما في قصيدة ابن حازم؛ خلافا لما في الحلة السيرا (وهو ما لخصت منه هذا إلا ما قلّ).

ومُضَر: معدول عن "ماضر"، سمي به لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر، أي الحامض؛ وهو أول من حدا الإبل لأنه كان حسن الصوت. وكان يسوق إبلا على بعير فأقحمه البعير فكسرت يده، فجعل يقول: "وا يداه وا يداه..". فلما سمعت الإبل صوته طربت وانعطفت عليه، فمن ذلك كانت العرب تحدا الإبل على نحو قوله: "وا يداه". ولا أعرف أمه ولا أمهات بقية العمود⁽³⁾.

(1) ويكنى إلياس هذا أبا عمرو، وقد عظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته، وكانت لا تقضي أمرا دونه، وكان في العرب كلقمان الحكيم في قومه، وأضافه الناظم هنا إلى ضمير الغائبة العائد على سلسلة عمود النسب وكذلك فعل بمضر بعده.

(2) اسمها الرباب، وقيل هي الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان، وقيل أمه جرهمية - [الطبري والسهيلي]. وقيل إن أمه عطوى بنت إياد الحميرية وقيل الخنفاء بنت إياد بن معد - [الاشتقاق لابن دريد].

(3) أما مضر فأمه سودة بنت عك بن عدنان، وأما نزار فأمه معانة بنت جوشم بن جلهمه بن عمرو بن برة بن جرهم الجرهمية، وأم معانة هذه سلمى بنت الحارث بن مالك بن غنم بن لخم، وأما معد فأمه مهذد بنت اللّهم بن جَلْحَب بن جدیس بن جابر بن إرم. وقيل أمه تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان. وأما عدنان فأمه بلهاء بنت يعرب بن قحطان - [الاشتقاق لابن دريد].

وَنَزَارُ: وهو من "النزر"، لأنه لما ولد رأى أبوه معد نور النبوة في جبهته فنحر كثيرا وأطعم كثيرا ثم قال: كل هذا نزر في حق هذا المولود، أو لأنه فريد عصره⁽¹⁾.

وَمَعَدُّ: مِيمُهُ أصلية، لقول عمر: "تمعددوا"، أي تزيوا بزي معد في تقشفهم أو انتسبوا إليهم.

وَعَدْنَانُ: إليه ينتهي الاتفاق على صحة النسب، وفيما بينه وبين إسماعيل خلاف كثير، وسيأتي في الأصل إن شاء الله.

قوله: انتهى الخيار: أي أجداد النبي ﷺ لأنهم خيار، وجاء في الأحاديث أن آباءه مختارون، وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى. وعن ابن عباس: مات عدنان وأبوه وابنه معد وربيعه ومضر وقيس على الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام، ورؤي: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين»⁽²⁾.

ثم قال رحمه الله:

تَرْتِيبُ أُمَّهَاتِ سِلْكِ النَّسَبِ لِسْتَةٍ: آمِنَةٌ أُمُّ النَّبِيِّ
فَبِنْتُ عَمْرٍو ابْنِ عَايِذِ الْهَمَامِ فَاطِمَةُ لَالٍ مَخْزُومِ الْكِرَامِ

(1) روي أن قبر مضر بالروحاء، على ليلتين من المدينة وأن قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة - [سموط الذهب].

(2) ذكره الحلبي في سيرته، وابن سعد في الطبقات، وفي الجامع الصغير: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم».

فَبِنْتُ عَمْرٍو سَيِّدِ الْأَنْصَارِ سَلَمَى ذُوَابَةَ بَنِي النَّجَّارِ
عَاتِكَا سُلَيْمِ اللَّتَانِ مِنَ الْعَوَاتِكِ ذَوَاتِ الشَّانِ
عَوَاتِكُ النَّبِيِّ: أُمُّ وَهْبٍ وَأُمُّ هَاشِمٍ وَأُمُّ النَّدْبِ
عَبْدُ مَنْافٍ وَذِهِ الْأَخِيرَةُ عَمَّةُ عَمَّةِ الْأُولَى الصَّغِيرَةِ
وَهْنٌ بِالترْتِيبِ ذَا لِدِي الرَّجَالِ: الْأَوْقَصُ بْنُ مُرَّةٍ ابْنِ هِلَالٍ
فَالْخُثْعَمِيَّةُ الَّتِي أَقْصَتْ قُصَى إِلَى قُضَاعَةَ إِذْ آمَتْ فِي لُؤْيٍ

سلك النسب: عموده، أي الرجال، فلا تعد واحدة من جداته من
سلك النسب لأنه خاص بالرجال. قوله: لستة: أي إلى ستة آباء، لإثبات
التاء. وعائذ: هو بالياء (قاله السهيلي) ابن عمران بن مخزوم. والهمام: الذي
يفعل ما اهتم به من الخير. والذؤابة: الناصية، أو موضعها من الرأس،
وأعلى العز والشرف. وبنو النجار: يأتي ذكرهم إن شاء الله في الكلام
على الأنصار. والعواتك: جمع عاتكة، من أعلام النساء؛ وأصله الشريفة
الرئيسة. وإضافة العواتك للنبي ﷺ: لقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين:
«أنا ابن العواتك من سليم»⁽¹⁾، أو لأنهن جداته كما في القاموس والروض

(1) رواه الطبراني في الكبير، وسعيد بن منصور عن سيابة بن عاصم كما في الجامع الصغير ورمز
له بالصحة. والعواتك جمع عاتكة وهن ثلاث نسوة من سليم كن من أمهاته صلى الله
عليه وسلم، الأولى: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم
السلمية أم عبد مناف بن قصي، والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج السلمية أم
هاشم بن عبد مناف، والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية أم وهب بن عبد
مناف بن زهرة، والد آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم، فالأولى عمة الثانية والثانية عمة الثالثة.

الأنف وغيرهما. والندب: الظريف. والخثعمية: نسبة إلى خثعم، بطن من الأزد يقال لهم الجدره؛ لأنهم أول من بنى جدار الكعبة حين وهى من سيل أتاه أيام ولاية جرهم البيت، واسمها فاطمة⁽¹⁾ بنت سعد بن سيل - وسمي سيلاً لطوله - واسمه جبير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعم. وآمت المرأة: صارت أيمًا لموت زوجها أو تطليقها.

ذكر بعض جداته ﷺ

يعني أنه يذكر ست نسوة من أمهات آباء النبي ﷺ من قبل الأب وينتهي ذلك إلى قصي، لأنه السادس باعتباره صلى الله عليه وسلم، أولهن آمنه، أمه صلى الله عليه وسلم، وآخرهن فاطمة بنت سعد الخثعمية؛ وأدخل فيهن عاتكة أم وهب بالاستطراد من قوله عَوَاتِكُ النَّبِيِّ، وليست من اللواتي وعد بذكرهن، إذ ليست من جهة الآباء.

وأما اللواتي وعد بذكرهن فأولهن: آمنه بنت وهب - أمه صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

(1) وأم فاطمة هذه ظريفة بنت قيس بن ذي الرأسين - واسمها أمية - بن جشم بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان، وأم ظريفة هذه صخرة بنت عامر بن كعب بن افرك بن بديل بن قيس بن عبقر بن أنمار.

(2) كانت أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، أمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وسيأتي مزيد من ذكر أمهاتها.

والثانية: فاطمة بنت عمرو⁽¹⁾ المخزومية أم أبيه عبد الله.

والثالثة: سلمى بنت عمرو بن الحارث بن دينار بن مالك بن النجار⁽²⁾، وتُسمَّى المتدلية؛ لأنها كانت تحت أحيحة بن الجلاح الجحجي، فبيت أهلها ذات ليلة - في الحروب بين الأوس والخزرج - أي بات متهيئاً لتصبحهم بالجيش، فتدلت هي من الحائط فذهبت إلى أهلها فأخبرتهم. فضربها وكسر ذراعها وطلقها، فسميت المتدلية. فما ضل سعيها ولا فال رأيها: تزوجها هاشم، لباب صفوة العرب ثم صارت جدة النبي ﷺ: أم عبد المطلب. والرابعة: عاتكة بنت مرة بن هلال، أم هاشم، وهي عمة أم وهب.

(1) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم، وأم صخرة تخمُر بنت عبد بن قصي، وأم أبيها عمرو فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن هوازن، وأم جدها عائذ برة بنت قصي بن كلاب، وأم عمران بن مخزوم سعدى بنت وهب بن تيم بن غالب - [الطبقات لابن سعد]، وأم مخزوم بن يقظة: كلبة بنت عامر بن لؤي بن غالب، وأم يقظة بن مرة: بنت سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر.

(2) وفي الطبقات لابن سعد: وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأم سلمى هذه عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار، وأم عميرة هذه سلمى بنت عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار، وأم سلمى هذه أثيلة بنت زعور بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. فعلى ما في المتن تكون جدات النبي صلى الله عليه وسلم من قبل عبد المطلب من بني النجار أربعة، عدد أفخاذ بني النجار الأربعة، كل واحدة منهن من فخذ؛ فالأولى من بني مالك بن النجار، والثانية من بني مازن بن النجار، والثالثة من بني دينار بن النجار، والرابعة من بني عدي بن النجار. وعلى ما في الطبقات فله جدتان من بني عدي وواحدة من بني مازن وواحدة من بني دينار.

والخامسة: عاتكة بنت هلال، أم عبد مناف⁽¹⁾ وهي عمّة أم هاشم.
والسادسة: فاطمة بنت سعد بن سيل⁽²⁾، أم قصي وهي التي أقصته - أي
أبعدته - عن عشيرته حتى سمي قصيا. يعني أنها لما مات عنها كلاب بن
مرة، أو طلقها، تزوجت رجلا من عذرة (وعذرة من قضاة) - وهو
ربيعة بن حرام - وحملته معها إليهم. وقول من صوبها بالجعثمية (بالجيم
وتقديم العين على المثلثة) خلاف ما في القلقشندي، وهو مقدم في هذا الفن،
ولم يذكر جعثما ولا جعثمة وإنما ذكر خثعما وخثعمة، ونسب إليه أم
قصي ونسب إليهم الجذرة. وذكر القاموس جعثمة (بالضم) وقال: حي من
هذيل أو من أزد السراة.

قوله: وهذه الأخيرة.. إلخ: يعني أم عبد مناف، لأنها الأخيرة في ذكره
لهن، وهي عمة أم هاشم وأم هاشم عمة أم وهب الأولى في الذكر.
وقوله: وهنّ بالترتيب.. إلخ: أي إن أردت ترتيبهن مع آبائهن، ناسبا
لهن، تقول: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وعاتكة بنت مرة بن

(1) هي عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، وأمها ماوية بنت حوزة بن عمرو بن صعصعة، من بني بكر بن هوازن. وأم ماوية: رقاش بنت الأسحم بن منبه بن أسد بن عبد مناة بن عائذ الله بن سعد العشيرة المذحجية، وقيل إن أم عبد مناف حُبّ بن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعية، وأم حُبّ بن حُلَيْل هذه هند بنت عامر بن النضر بن عمرو بن عامر الخزاعية، وأم هند هذه ليلي بنت مازن بن كعب بن عمرو بن عامر الخزاعية - [الطبقات لابن سعد].

(2) بن حرب بن حمالة بن عوف بن الأزد الأزدية الخثعمية، وأم فاطمة هذه سودة بنت عمرو بن تميم - [الاشتقاق لابن دريد والسيرة للبيهي].

هلال وعاتكة بنت هلال بن ذكوان؛ فتبينت عمومية أم عبد مناف الأخيرة في الذكر - الأولى في الزمن - لأم هاشم، وعمومية أم هاشم لأم وهب الأولى في الذكر، الأخيرة في الزمن⁽¹⁾.

مَا فَوْقَ عَدْنَانَ مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ يُنْسَبُ مِنْ نَسَبِهِ لِلْكَذِبِ

قال صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ النَّسَابُونَ فِيمَا فَوْقَ عَدْنَانَ⁽²⁾» وقال: «لَا تَجَاوِزُوا مَعْدَنَ بَنِ عَدْنَانَ» وقرأ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾⁽³⁾.

وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ أَنَّ أَحْمَدًا كَانَ لِشَيْثَ وَلِنُوحٍ وَلَدًا

أي أجمعت الأمة على أن أحمد عليه السلام من ذرية شَيْثَ بن آدم وأنه من ولد نوح عليه السلام؛ واسم نوح عبد الغفار، وسمي نوحا لكثرة نوحه على ذنوبه وعلى أصحابه بعد أن غيض الماء ورأى عظامهم، وهو أول أنبياء الشريعة وأول الرسل أرسل إلى أهل الأرض.

لمحة عن نوح عليه السلام

وذلك أن آدم أرسل إلى بنيه ليعلمهم الإيمان وطاعة ربهم ولم يكونوا كفارا، ثم خلفه فيهم شَيْثَ كذلك - وإن كان إدريس رسولا فيلى مؤمنين كذلك - ونُوحٌ عليه السلام هو أول نبي بعث بتحريم البنات والعمات

(1) وكانت بنو سليم تفتخر بهذه الولادة والخؤولات لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) قال القسطلاني في المواهب: رواه ابن عباس في مسند الفردوس، والظاهر أنه من قول بن مسعود.

(3) الفرقان: 38، رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس، وذكره القلقشندي في نهاية الأرب.

والخالات، وَلَمَّا يَأْسَ من فلاح قومه أمره الله تعالى أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة سنة، فعمل منه السفينة. وكانوا يسخرون منه، يقولون له: صرت نجارا بعد أن كنت نبيا! فيقول لهم: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾⁽¹⁾. وكان يشبه آدم عليه السلام، وكان واسع الوجه سهل الخدين مليح العينين خميص البطن حسن القامة. وأُمُّه فاطمة بنت فلسوس بن إكليل بن عويل بن ملك بن قابيل بن آدم، وأولاده ثلاثة وبناته حُسُورَة وسُنُورَة وعَشُورَة وأُمُّهُم مؤمنة، وأُمُّ ابنه كنعان ارتدت بعد إيمانها.

وآمن بنوح سبعون، وهم الْمَحْمُولُونَ في السفينة، وهلك أهل الأرض كلهم بدعائه. وهو أطول الأنبياء عمرا، عاش في قومه يدعوهم إلى الإسلام ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة، ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس - (انتهى من الحلة السَّيْرَا).

شَتَّ الوَصِيُّ ثَالِثُ الْأَبْنَاءِ فِي بَطْنِهَا حَوَاءُ مِنْ صَفَاءِ
تَنْظُرُ وَجْهَهُ وَعَنْهَا خَرَجَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ دَهْرًا ثُمَّ جَا

الوصي تقدم. وقوله: ثالث الأبناء: يعني أن بطون حواء كلها اثنان

(1) هود: 38.

اثنان، ذكر وأنثى⁽¹⁾، إلا البطن الذي منه شئت فإنه ثلاثة⁽²⁾. والصفاء:
الحسن. وحواء: بفتح الحاء وشد الواو ممدود - (انتهى من القسطلاني).
وعن الأشعري أن من النساء من نبيء؛ وهن ست: حواء وسارة وأم
موسى - واسمها يُحَانِدُ - وهاجر وآسية ومريم؛ فالضابط عنده أن من
جاءه الملك عن الله بِحُكْمٍ من أمرٍ أو نهي أو بإعلامه شيئاً فهو نبي، وقد
ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من عند الله، ووقع التصريح بالإيحاء
لبعضهن في القرآن، قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ -
الآية⁽³⁾، وقال تعالى، بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾⁽⁴⁾، فدخلت في عمومهم. قال علي الجهوري:

وأفضل النساء مريم، وهل فاطمة الزهراء تليها أو أجل
ثانيهما الأصح والخلف اتضح إن لم تقل نبية، وهو الأصح

واستدل من نفى نبوءتھن بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا

(1) قال في تاريخ الطبري: كانت حواء تلد من كل بطن غلاماً وجارية وولدت لآدم أربعين
ولداً لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، وقيل ولدت له مائة وعشرين بطناً، وكان
الرجل منهم يتزوج أي أخواته شاء إلا توأمتها التي تولد معه فإنها لا تحل له، وكل أولاده
ولد بعد هبوطه إلى الأرض.

(2) وقيل ولدته فرداً بغير توأم، كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله، وقيل ولدت
معه أخاً وقيل ولدت معه أختاً وكان شئت أجمل ولد آدم - [الخميس وغيره].

(3) القصص: 7.

(4) مريم: 58.

رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ⁽¹⁾، وجعل الإيحاء في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ إلهاماً كقوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ⁽²⁾﴾. وقيل الإجماع على النبوة لمن. ولبعضهم في المختلف فيهم:

في خَصِرٍ اختلف أهل النقول قيل نبي أو ولي أو رسول
لقمان، ذي القرنين، حوا، مريما والوقف في الجميع رأي العلما

يقول إن شئت ولد مع اثنين من بطن، وإن حواء من حسنه تنظر وجهه وهو في بطنها وإنه خرج عنها دهرًا إلى الملائكة ثم رجع، وهذه ثلاث خصال مستغربات انفرد بها شئت.

وَهُوَ الَّذِي دَفَنَ آدَمَ لَدَى أَبِي قَبَيْسٍ وَانْتَفَى مَا وَلَدَا
وَنَسَلُ مَا سِوَاهُ إِلَّا نُوحًا آدَمَ الْأَصْفَرَ ابْنَهُ النَّصُوحَا

يعني أن شئت بن آدم هو الذي دفن أباه عند أبي قيس - جبل بمكة - على المشهور، بعد أن عاش آدم ألف سنة⁽³⁾ وأدرك منها إدريس ثلاثمائة

(1) يوسف: 109.

(2) النحل: 68.

(3) لما مات آدم عليه السلام اجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن وغسلوه بالماء وترأ وحنطوه وكفنوه، وقال شئت لجبريل: صل على آدم، فقال جبريل: تقدم أنت فصل على أبيك وكبر عليه ثلاثين تكبيرة؛ فأما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم عليه السلام، وألحدوا له ودفنوه بمكة في غار أبي قيس، ويعرف بغار الكنز، ثم قالوا: هذه سنة آدم في ولده - [تاريخ الطبري]. وكان شئت قد صلى عليه في كثير من الملائكة، وقيل صلى عليه جبريل واقتدت به الملائكة وبنو آدم. وعاشت حواء بعده سنة،

سنة وثمانين سنين، وبينهما أربعة آباء. وانتفى ما ولد شئت وجميع نسل آدم. وقوله: إلا نوحا: مستثنى مما ولد شئت، وأما ما ولد غيره من بني آدم فلم يستثن منه شيئا⁽¹⁾. قوله: آدم الاصغر: يعني به نوحا، سمي بذلك لأن جميع بني آدم منه. والنصوح: وزن مبالغة من "النصيحة"، فيه إشارة إلى طول لبثه في قومه يدعوهم إلى الله حتى سمي نوحا لكثرة نوحه عليهم، كما تقدم.

ثُمَّ لِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ اضْطَرَّ بِأَلْقَلِّهِ وَكَثْرَةِ مَنْ نَسَبَا

أي وانعقد الإجماع أنه صلى الله عليه وسلم ولد لإبراهيم، وترتيب ثم متوجه للولودية، لا لانعقاد الإجماع. قوله: ثم اضطررا: أي بعد انعقاد الإجماع على كونه ولد لهؤلاء الثلاثة، اضطرر النسابون فيما سواهم من الجدود، فمنهم من يقلل ومنهم من يكثر.

مَا فَوْقَ عَدْنَانَ وَمَا دُونَ الذَّبِيحِ مِنْ حَامِلِي نُورِ نَبِينَا الصَّبِيحِ
فِي عَدَّةٍ وَفِي التَّلَفُّظِ بِهِ خُلْفٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ لِرَيْبِهِ

--- >>

وقيل ثلاثة أيام، ثم ماتت ودفنت معه، وقيل دفنت بجدة، وهو المشهور - [سموط الذهب]. ولما كان زمن الطوفان استخرجه نوح عليه السلام وحمله معه في السفينة، فلما خرج منها رده في مكانه. وقيل دفن بمنى في مسجد الخيف، وقيل دفن بين بيت المقدس ومسجد إبراهيم. وقيل دفن بسرنديب في الموضع الذي أهبط فيه، وقيل غير ذلك..

(1) قال الطبري في تاريخه: وإلى شئت أنساب بني آدم كلهم اليوم، وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شئت انقرضوا وبادوا.

الذبيح: إسماعيل، على القول به؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا ابن الذبيحين⁽¹⁾»، وقال له أعرابي⁽²⁾: يا ابن الذبيحين⁽³⁾، فتبسم. فهو عند العرب إسماعيلٌ وعند أهل الكتاب إسحاقُ. والصحيح: يحتمل أنه وصف للنور فيكون معناه المضيء، ويحتمل أنه وصف لبنينا فيكون معناه الجميل. وحاملوه: أجداده صلى الله عليه وسلم.

يعني أن من إسماعيل إلى عدنان من أجداد النبي ﷺ اختلف النسّابون في عدّه، فمنهم من يكثر ومنهم من يقلل؛ واختلفوا أيضا في التلفظ بأسماء الرجال. فلما كان ذلك يؤدي إلى الريب، أي الشك، في أسماء أجداده وفي عددهم تركنا ذكره وعمدنا إلى المتفق فيه وهو ما دون عدنان، اجتنابا لنهيه صلى الله عليه وسلم: «لا تجاوزوا معد بن عدنان⁽⁴⁾»، قال ابن

(1) رواه الحاكم في المستدرک، وذكره ابن هشام: (101/1)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

(2) يا رسول الله: خلفت الكلاً يابسا والماء عابسا.. هلك المال وضاع الغيال، فعد عليّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين.

(3) ولم ينكر عليه، أخرجه الحاكم في المستدرک. قال الذهبي: وإسناده واهٍ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هذا حديث غريب جدا.

(4) وكان صلى الله عليه وسلم إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك، ومنع بعضهم الرفع في النسب من عدنان إلى آدم تمسكا بأنه ليس فيما وراء عدنان إلى آدم طريق صحيح كما صرح به النووي، وقد قال عمر: إني لأنتسب إلى معد بن عدنان ولا أدري ما فوقه. وعن عروة بن الزبير: ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان إلا تحرصا. وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم؟ فكره ذلك، قيل له: فألى إسماعيل؟ فكره ذلك أيضا وقال — مُنْكَرًا -: من أخبره بذلك حتى يعتمد عليه؟ فالذي ينبغي هو الإعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وعواسة تلك الأسماء وعدم تحرير ضبطها مع صحة الاستغناء عن ذكرها - [سموط الذهب].

حجر: والأقرب أن يقال: إن ثبت أن معدا كان في زمن موسى فيبينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء، وإن كان في زمن عيسى فيبينهما القليل. والله أعلم - (انتهى من الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى).

خَيْرُ الشُّعُوبِ شَعْبُهُ لَأَدَمَ وَقَرْنُهُ خَيْرُ قُرُونِ الْعَالَمِ

الشعب (كالمنع): القبيلة العظيمة، وبالكسر: الطريق في الجبل ومسيل الماء في الأرض؛ والشَّعب (أيضا بفتح الشين): التفرق، ولعله المراد هنا، لأن الشعوب تشعبت من عند نوح عليه السلام، وهو آدم الأصغر، أو من عند آيينا آدم قبل فناء الناس بالفرق، والشعب: النسب الأبعد وهو بالنسبة إلى النبي ﷺ عدنان، وتحتة القبيلة وهي مضر، وتحتها العمارة وهي كنانة، وتحتها البطن وهو قريش، وتحتها الفخذ (بسكون الخاء) وهو عبد مناف، وتحتة الفصيلة وهي بنو هاشم، وترادفها العشيرة⁽¹⁾، وربما ترادف ما دون القبيلة منها.

القول في معنى القرن

والقرن: الأمة بعد الأمة، كالصحابة والتابعين وتابعي التابعين.. والقرن

(1) وقد نظمها من قال:

شعب - بفتح الشين - والقبيلة من بعدها عمارة أصيلة

وهي بكسر العين تروى ثم قل بطن وفخذ بعدها ولا تمل

وسادس فصيلة تؤوي - وهي العشيرة التي تلي

وقال آخر: الشعب ثم قبيلة وعمارة بطن وفخذ والفصيلة تابعه

أيضاً: العدد من الزَّمن؛ وأَصَحُّهُ مِائَةُ سَنَةٍ، لقوله ﷺ لَغلام: «عش قرناً» فعاش مائة سنة⁽¹⁾. يعني أن خير شعوب بني آدم من آدم إلى يوم القيامة الشعب الذي منه النبي⁽²⁾ ﷺ، وخير القُرُون القرن الذي فيه النبي ﷺ، وهم الصحابة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»، وفي رواية بإعادة: «ثم الذين يلونهم» مرتين، قال عمران بن الحصين - وهو راوي الحديث -: لا أدري أقال «ثم الذين يلونهم» مرتين أو ثلاثاً⁽³⁾. فالذين يلون الصحابة هم التابعون؛ ومنهم الإمام أبو حنيفة،

(1) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير- [الإصابة، في ترجمة عبد الله بن بشر]. وعن عبد الله بن بشر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يعيش هذا الغلام قرناً»، فعاش مائة سنة. وقيل القرن ثمانون، وقيل أربعون، وقيل القرن كل طبقة مقترنين في وقت، ومنه قيل لأهل كل مدة بعث فيها نبي - قلت السنون أو كثرت - قرن ومنه الحديث: خيركم قرني - يعني أصحابي - ثم الذين يلونهم - يعني التابعين بإحسان - واشتقاقه من الاقتران - [حاشية الحفني على ابن حجر الهيتمي].

(2) وفي الحديث: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» - [رواه الترمذي]؛ وفيه أيضاً: «إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين: فقسم العرب قسماً وقسم العجم قسماً، وكانت خيرة الله في العرب؛ ثم قسم العرب قسمين: فقسم اليمن قسماً وقسم مضر قسماً وقسم قريشاً قسماً وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منهم»، رواه الطبراني وحسن العراقي إسناده - [أهـ من شرح المواهب]. وعن واثلة بن الأسقع أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» - [فتح المنعم على زاد المسلم].

(3) أخرجه البخاري ومسلم عن عمران، وبقية الحديث: «...ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن».

لأنه لقي ستة من الصحابة، والذين يلونهم هم تابعوا التابعين؛ ومنهم الأئمة الثلاثة الآخرون: مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ.

واختلف في هذه الخيرية، قيل بالعموم، أي عامة الصحابة خير من عامة التابعين، وقيل باعتبار الأشخاص فكل من تطلق عليه الصحبة خير من كل تابعي. قُلْتُ: فعلى هذا يكون مروان بن الحكم خيراً من سعيد بن المسيب، ولا تكاد النفس تقنع بهذا. ورُوي أن زوجة سعيد بن المسيب - وهي فاطمة بنت أبي هريرة - قالت: لصهرها شريح القاضي، وقد وُلد له ولدٌ من بنتها - بنت سعيد بن المسيب -: سمّه سعيداً باسم جده، فإني مكثت معه أربعين سنة ما عصى الله فيها قط.

مِنْ مُؤْمِنِينَ مُتَّكِحِينَ خَرَجَ ، لَا مِنْ مُتْسَافِحِينَ
يُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابٍ طَاهِرِينَ لَطَاهِرَاتٍ مِنْ لَدُنْ أَيْبِنَا
وَكَيْفَ لَا وَالْمُشْرِكُونَ نَجَسُ وَمِنْ أَذَى نَبِينَا مُقَدَّسُ
مِنْ سَاجِدٍ لِسَاجِدٍ تَقَلَّبَا صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا

الْمُتْسَافِحُونَ: فَاعِلُوا السَّفَاحِ أي الزني⁽¹⁾. والأذى: المكروه، نجس وغيره، والمراد هنا النجس. والمُقدَّس: المُطَهَّرُ. وفي هذه الأبيات الذب عن آبائه صلى الله عليه وسلم.

(1) وهو بكسر السين من سفح الماء إذا صبّه فكانه أراق ماءه وأضاعه سواء كان جهرًا أو سرا، ومنه دم مسفوح أي مرق.

الذب عن آبائه صلى الله عليه وسلم

يعني أنه صلى الله عليه وسلم خرج من رجال ونساء مؤمنين متناكحين،
النكاح الصحيح الشرعي. قال ابنُ الكلبي: عددت للنبي ﷺ ستمائة أم -
وفي رواية خمسمائة أم - كُلُّهُنَّ من نكاح⁽¹⁾ ليس فيهن مما كانت الجاهلية
تفعله شيء⁽²⁾، ينقل صلى الله عليه وسلم من أصلاب رجال طاهرين إلى
أرحام نساء طاهراتٍ من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله.

قوله: من ساجد.. إلخ: فسر به قوله تعالى ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾⁽³⁾

(1) قاله في المواهب اللدنية: (66/1)، وقال الزرقاني على المواهب: مراده الجدات وجدات
الجدات من قبل الأبوين، وقال التلمساني في شرح الشفاء: هذا العدد - والله أعلم - يرجع إلى
أمه عليه الصلاة والسلام وأم أبيه وأم كل أصل من الطرفين من جهة الآباء والأمهات.

(2) الجاهلية هي ما قبل البعثة، وقيل ما قبل الفتح، سموا بذلك لكثرة جهالاتهم. وقد كانت
الجاهلية تفعل كثيرا من الأنكحة الفاسدة، مثل السفاح والبغايا والاستبضاع والجمع..
وغير ذلك، أما السفاح فقد كانت المرأة تسافح رجلا مدة فإذا أعجبته وأعجبها تزوجها.
وأما نكاح البغايا فهو أن يطاء البغي جماعة فإذا ولدت ولدا ألحق بمن غلب عليه شبهه
منهم. وأما الاستبضاع فهو أن المرأة المتزوجة إذا طهرت من الحيض قال لها زوجها
أرسلني لفلان واستبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها منه فإن بان أصابها زوجها
إن أحب. وأما الجمع فهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلون على بغي ذات راية
كلهم يطؤها فإذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت لهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول:
قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت فيلحق
به لا يستطيع نفيه وإن لم يشبهه. ومنها أيضا نكاح المصافحة - [اهـ الزرقاني على
المواهب].

(3) الشعراء: 219.

أي المراد: ينقل نوره من ساجد إلى ساجد. وكيف لا يَكُونُ هَذَا وصفُهُ
والمشركون نجس، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾⁽¹⁾، والنبى ﷺ
مطهر من النجس أصلاً وفرعاً وظاهراً وباطناً. قال ابن حجر الهيتمي: إنَّ
الأحاديث مصرحة، لفظاً في أكثره ومعنى في كله، أن آباءه صلى الله عليه
وسلم، غير الأنبياء، وأُمَّهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر؛ لأن الكافر لا
يقال في حقه إنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس. وقد جاء في
الأحاديث أن آباءه مختارون وأن أمهاته طاهرات⁽²⁾؛ وأيضاً
فهم - إلى إسماعيل - من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بنص قوله
تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾⁽³⁾.

وَجَعَلَ الدِّينَ عَمُودُ نَسَبِهِ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ
وَفِيهِ رَبُّهُ لَهُ تَقَبُّلاً دُعَاؤُهُ مِنْ كُلِّ بِرٍّ سَألاً
كَتَرَكَ الْأَصْنَامَ وَتَرَكَ الْمُوبِقَاتِ وَكُلُّ مَا يُزْرِى بِمَنْصِبِ الثَّقَاتِ

عمود نسبه: إبراهيم عليه السلام. والدين: لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ
الله ﷺ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾⁽⁴⁾، قال الثعالبي:

(1) التوبة: 28.

(2) قاله ابن حجر في شرحه للهمزية (ص: 25 - 26).

(3) الإسراء: 15، قاله ابن حجر في شرحه على الهمزية. قلت: وجميع ما ذكره الناظم
والشارح في شأن نجاة أجداده صلى الله عليه وسلم هنا جاء في المواهب اللدنية وشرحه
للزرقاني وفي شرح ابن حجر على الهمزية وغيرهما.

(4) الزخرف: 28.

الضمير في وجعلها عائد على كلمة التوحيد في قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾⁽¹⁾، وقال: والمراد بالكلمة: لا إله إلا الله، وأعاد عليها الضمير وإن لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها. والعقب: الذرية وولد الولد ما امتد فرعه. وفيه: أي في عقبه. ربُّه: الضمير يعود على إبراهيم، وكذلك ضمير له ودعاءه. والبر: الخير والاتساع في الإحسان. والموبقات: المهلكات. وأزرى بالشيء: أدخل عليه العيب. والمنصب تقدم.

يقول وجعل عمودُ نسبه، الذي هو إبراهيم عليه السلام، الدين، الذي هو كلمة التوحيد، كلمةً باقية - أي لا تزال موجودة - في ذريته⁽²⁾؛ والأولى بها بعد النبيين جدوده صلى الله عليه وسلم. ودُعاؤه الذي تُقبل له قوله تعالى حكاية عنه ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ - إلى آخر الدعاء⁽³⁾. قوله: وترك الأصنام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾⁽⁵⁾، هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله؛ وقيل أسلمت أمه، وقرئ: "ولوالدي - بالإفراد - وولدي" - (اهـ من تكملة السيوطي).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَ اسْتَعْصَمَ مِمَّنْ دَعَتْهُ إِذْ تَبَيَّعُ الْأُدُمَا:

(1) الزخرف: 26.

(2) راجع الزرقاني على المواهب اللدنية.

(3) إبراهيم: 35.

(4) إبراهيم: 35.

(5) إبراهيم: 41.

”أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيهِ يَحْمِي الْكَرِيمُ عَرْضَهُ وَدِينَهُ“
وَالْعُذْرُ بِالْفِتْرَةِ وَالْإِحْيَاءِ فَيُؤْمِنُوا وَرَدَّ فِي الْأَنْبَاءِ
وَالْقَوْلُ فِيهِمْ بِخِلَافِ هَذَا يَأْبَاهُ أَنَّهُ النَّبِيُّ آذَى
وَلَعَنَ إِلَهَهُ مَنْ آذَاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي أُخْرَاهُ

استعصم: امتنع، ومنه عصمة الرسل، أي منع الله لهم من عصيانه ومن الرذائل؛ ومنه أيضا عصمة المرأة لأنَّ زَوْجَهَا يَعْصِمُهَا، أي يمنعها من تزويج غيره. والأدم: جمع أديم للإهاب. وَمَنْ دَعَتْهُ: هي فاطمة بنت عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، بنت أخي ورقة بن نوفل وبنت أختِ تَابَّطَ شَرًّا، وتقدم بعض خبرها معه في تزويج عبد الله آمنة. وَالْفِتْرَةُ (بِالْفَتْحِ): ما بين كل رسولين من فترة الوحي أي وقوفه.

استدل بقول عبد الله هذا على إسلامهم وفيه أقوى دليل، بأمور: أحدها: المبالاة بالحلال والحرام.

الثاني: تحريم الزنى وتحليل النكاح، وليس ذلك من شأن الكفار، لأنهم إذا ذكروا ما جاء به النبي ﷺ يقولون: ويحرم الزنى! وإن كان النكاح مما أبقوه من دين إبراهيم، إذ يمكن أن لا يكون ذلك تدينا عندهم بل عادة.

الثالث: إعداد الموت مجنا دون الحرام.

الرابع: حماية الدين.

قوله: والعذر بالفترة.. إلخ: أي مما يذب به عنهم أيضا أنه ورد في الأنباء، أي الأخبار، أنهم يعذرون بفترة الوحي عنهم منذ إسماعيل إلى سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، فيكونون في حكم المسلمين بنص قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁽¹⁾.

ويعتذر عنهم أيضا بالقول بأنهم يُحيون كغيرهم من أهل الفترة فيبعث إليهم نبي فيؤمن به أجداده صلى الله عليه وسلم. والقول فيهم بخلاف ما في النظم، وهو كونهم كفارا ومن أهل النار، يمنعه أنه كان يؤذي النبي ﷺ، وقد نهى عن ذلك لدخوله في عموم: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»⁽²⁾، ولعن الله من آذاه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾⁽³⁾. قال الشيخ الولي محمد بن المختار اليدالي في كتاب الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى: هذا هو الحق، بل في حديث صححه غير واحد أن الله أحيا أبويه له فأما به، خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم، ولذا نفع الإيمان به بعد الموت،

(1) الإسراء: 15.

(2) رواه الترمذي والنسائي وأحمد وقد قال ابن حجر: وما أحسن قول بعض المتوقفين في هذه المسألة: الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فإن ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات».

(3) الأحزاب: 57.

خصوصية وكرامة؛ فقد ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداءً، كرامة له صلى الله عليه وسلم.

وفائدة إحيائهما له، مع أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون، إتحافهما بكمال لم يحصل لأحد من أهل الفترة لأن غاية أمرهما السلامة من العذاب، فأتحف أبواه بمزية الإيمان زيادة في كمال شرفهما. ولا يرد على هذا آزر الذي ذكر في الكتاب العزيز أنه أبو إبراهيم عليه السلام وهو كافر؛ لإجماع أهل الكتاب على أنه عمه⁽¹⁾، والعرب تسمي العم أبا، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾⁽²⁾، مع أنه⁽³⁾ عمُّ يَعْقُوبَ، لِحَدِيثِ الْحُصَيْنِ بْنِ عُبَيْدٍ وَالِدِ عِمْرَانَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»⁽⁴⁾، أراد بأبيه عمه أبا طالب؛ لما تقرر أن العرب تسمي العم أبا.

قال السهيلي: وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه لحديث «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات». وقد ألف السيوطي كتابا سماه: "الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة"، ويُسمى أيضا "التعظيم والمنة في أنَّ أبوي النبي ﷺ في

(1) قال ابن حجر: أجمع أهل الكتابين على أن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، والعرب تسمي العم أبا.. فلعل الشارح اعتمد كلامه هنا - والله أعلم.

(2) البقرة: 133.

(3) أي اسماعيل.

(4) رواه مسلم (191/1) عن أنس أن رجلا قال: "يا رسول الله أين أبي؟" قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» - [ابن حجر الهيتمي].

الجنة" - اهـ. ثم قال: والحذر الحذر من غير هذا فإن ذلك يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات».

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ عَهْدِ نُوْحٍ مَا خَلَتْ الْأَرْضُ مِنْ إِسْلَامِ سَبْعَةٍ لَكَيْمًا تَطْمَئِنُّ

أي تثبت بأهلها ولم تمد بهم ولم تُخسَفْ، لأنَّ الأقاليم سبعة فكان كل إقليم يطمئن بمسلم؛ فإذا لم تخل الأرض من سبعة مسلمين في فترة من الرسل كان الأولى بهم واحدٌ من أجداد النبي ﷺ أو اثنان أو ثلاثة⁽¹⁾. وسمّيته⁽²⁾ رحمه الله يقول إنه أخذ هذا من الخصائص الكبرى للسيوطي.

(1) قال الزرقاني في شرحه للمواهب، وقد أسنده بسند صحيح على شرط الشيخين بلفظ: "ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض". وفي فتح النعم على زاد المسلم: ورد من الأحاديث والآثار ما يدل على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح إلى بعثته عليه السلام من ناس على الفطرة في زمان الفترة يعبدون الله ويوحّدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها، فمن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والحلال في كرامات الأولياء عن ابن عباس: «ما خلت الأرض بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض» إلى أن قال: ودلت الأحاديث على أن آباءه عليه الصلاة والسلام كانوا في كل قرن هم خيره أو من خيره فهم على كل حال في السبعة المسلمين بمقتضى الأحاديث الصحيحة.

(2) يعني الناظم أحمد البدوي رحمه الله.

القول في نسب عدنان *

لَيْسَ لِعَدْنَانَ سِوَى عَكَ مَعَدَّةٌ فَلِمَعَدَّةٍ عِدَّةٌ مِنْهَا يُعَدُّ^١
قَنْصُهُ وَدَخُلُوا فِي يَعْرَبٍ جَمِيعُهُمْ غَيْرَ عَمُودِ النَّسَبِ

لما أنهى الكلام على من تداول الحرم والملح التي بعده وما ذكر من خبر العرب البائرة وتذبذب المتذبذبة وذكر عمود النسب وبعض الأمهات والذب عن الأجداد - وذلك كله مرتبط وفيه تمهيد للمهم - سقط على الأنساب؛ وشرع في عدنان، عمود نسب النبي ﷺ، لشرفه به. لأن الجل من المطلوب بهذا النظم، بل بهذا الفن، معرفته صلى الله عليه وسلم، ومعرفته تجلب معرفة التوحيد الذي هو أصل الدين ثم معرفة الشرائع، إذ منبع ذلك كله النبي ﷺ وأصحابه.

فقال: ليس لعدنان سوى عك، وقد دخل في يعرب وتزوج امرأة من

* تقدم أن العرب غير البائرة ترجع إلى أصليين: عدنان وقحطان، وقد اختلف صنيع المؤلفين في هذا الفن فمنهم من يبدأ بذكر كل أصل ثم ينحط في التفريع من الجد الأعلى - مثل عدنان مثلاً - إلى الذي يليه ويذكر فروع وفروع فروع وهكذا.. حتى يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن بعدهم، بادئاً غالباً بحاشية عمود النسب على عموده، ويؤخر عمود النسب عناية واهتماماً به، ويبدأ بالعدنانيين - لشرفهم ولأنهم المقصود الأول من هذا الفن - ثم يثني بالقحطانيين عمود نسب الأنصار. وبهذا أخذ ابن هشام في سيرته وتبعه الناظم رحمه الله. ومنهم من يبدأ بأولية الفخر وأخريته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديمًا للمهم والمقصد الأعظم من الفن ثم يتدرج مع آبائه مرتقياً ومرتباً إلى عدنان، وبهذا أخذ ابن حزم في جمهرته، وغيره - [سموط الذهب].

الأشعرين فصار منهم⁽¹⁾، والدار واللغة واحدة. وفي القاموس: وعكُّ بن عُدْثان (بالثاء المثلثة) بن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أحما معد ووهم الجوهري - اهـ، خلافا للنسّابين. وأما معد فله عدة من الولد، أي عدد ثلاثة: عمود النسب - وهو نزار - وقنص، وإياد. أما قنص وإياد فدخلوا في عرب بن قحطان. وقوله: جميعهم: أي جميع بني معد، غير عمود النسب الذي هو نزار⁽²⁾.

وَعِنْدَ مَا أَطْلَ بُخْتُ نَصْرًا عَلَى صَغَارِ الْعُرْبِ، خَالِقُ الْوَرَى
أَمَرَ أَرْمِيَاءَ يَحْمِلُ مَعْدُ عَلَى الْبُرَاقِ لِيُجَانِبَ النَّكَدُ
وَرَاجَعَ الْحَرَمَ مِنْ بَعْدِ الْجَلَا وَأَرْبَعُونَ مِنْ بَنِيهِ النَّبْلَا
شُنُّوا الْإِغَارَةَ عَلَى الْكَلِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِلرَّحِيمِ
يَضْرَعُ بِالْدُّعَا عَلَيْهِمْ، فَنَبَا دُعَاؤُهُ لِأَجْلِ نُورِ الْمُجْتَبَى

أطل على الأمر: أشرف عليه. وبُخْتُ نَصْرًا: الجبار المعروف الذي خَرَّبَ بيت المقدس، ومعناه ولدُ الصنم؛ لأنه لا أب له ووجد عند الصنم كعادة أولاد الزنى - كصبي المسجد - فال أمره إلى أن ملك الأرض وتجبر. والصَّغار: الذل، قال:

(1) عك: بفتح العين المهملة، واسمه عامر بن عدنان، التحق بالأشعرين في اليمن فأقام فيهم.
(2) وقيل إن لعدنان أبناء آخرين منهم عدن، الذي تنسب إليه مدينة عدن، ومنهم أبين وإليه تنسب مدينة يمنية أخرى - [قاله الطبري وغيره]. وقيل أيضا إن منهم جشما وسهما وجنادة وقناصة وقنصا وعوفا وحيدان.. [راجع الروض الأنف للسهيلى].

هذا وجسدكم الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

وأرمياء: أحد أنبياء بني إسرائيل. والنكد: الشؤم. والجلاء: البعد عن الوطن. والنبلأ: جمع نبيل أي العقلاء. وشن الغارة: صبتها. والكليم: موسى عليه السلام. وضرع له وإليه: خضع وذل واستكان. ونبا الدعاء والسيف: كل. والمجتي: المختار، وهو من أسماء النبي ﷺ.

يقول لما أشرف بخت نصر على أن يهين العرب بسبب رؤيا رآها - ويأتي ذكرها إن شاء الله - أمر الله تبارك وتعالى أرمياء عليه السلام أن يحمل معدا على البراق إلى الشام، ليغيب عن شؤم بخت نصر وإذلاله لأهل جزيرة العرب؛ فكان ذلك السبب في معرفة أهل الكتاب لأنساب معد. فلما أقلع بخت نصر عن تخريب العرب - أو مات، أو قتله ابنه - رجع معد إلى الحجاز فسكن الحرم. ولما بلغ بنوه أربعين، وقيل خمسة وعشرين، أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم فلم يستجب له فيهم، إلى ثلاث مرّات وهم يُغيرون عليه وهو يدعو.. فقال: يا رب دعوتك في قوم فلم تجبني، قال: يا موسى دعوتني على قوم فيهم خيرتي آخر الزمان.

رؤيا بختنصر ومحاولته إبادة العرب

ورؤيا بُخت نصر - التي وعدنا بذكرها - هي أنه رأى في المنام شخصا رأسه من ذهب و صدره من فضة وفخذه من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فخار؛ ثم جاءته ريح أفزعته حتى نسي رؤياه. فجمع عليه علماء بني إسرائيل وقال لهم: لتخبروني برؤياي وبتعبيرها وإلا لم أبق منكم

عينا تطرف! فأوقعهم في كرب، وأجلّهم أجلا قريبا. فلما راحوا من عنده اندس إليه أحدُهم فقال له: رؤياك ليس على وجه الأرض من يخبرك عنها إلا أرمياء. فبعث إليه فأخبره عنها وعن تعبِرها: أنَّ مُلكَهُ هو الفخار وأن ملك العرب هو الذهب وينسخ ما قبله من الملك.

فانتدب لذلك بخت نصر للعرب يزعمُ أنه يُبيدهم، فأمر الله أرمياء عليه السلام أن يحمل معدا على البراق إلى الشام، خوفا عليه من معرة الجيش.

قلت: كثر ذكر الكتب لهذا وتواترهم عليه مع أن موسى عليه السلام الذي أغار عليه بنو معد هو أول رسل بني إسرائيل وأرمياء من آخر أنبيائهم، فكيف المخلص؟! والله تعالى أعلم.

وَلِنِزَارٍ الصَّرِيحَانِ مُضَرٍّ، رَبِيعَةٌ؛ إِيَادُ، أَنْمَارُ الْأَغَرِّ

الصريح: الخالص من كل شيء يشوبه، يقال لبن صريح وصرح (محرّكة) وصرّاح (بالكسر والضم، ونسب كذلك). والأغر: الكريم.

يعني أن نزارا ولد أربعة أولاد وهم الصريحان مضر وربيعة، لصراحتهما من نسب غيرهما؛ وتضرب الأمثال بكثرتهما، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليشفع في مثل ربيعة ومضر»⁽¹⁾، وقالها أيضا في أويس القرني. وإياد (ككتاب) ابن نزار. وأنمار.

(1) رواه ابن ماجه، وفي مسند أحمد: (212/4) من رواية أبي برزة: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لِمَنْ يَشْفَعُ لَأَكْثَرِ مِنْ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ».

ويقال لمضر مضر الحمراء ولربيعة ربيعة الفرس، وذلك أن نزاراً لما حضرته الوفاة قسم ماله على بنيه؛ أعطى لمضر القبة الحمراء وما شاكلها، فسمي مضر الحمراء؛ وأعطى لربيعة الفرس الدهماء وما شاكلها، فسمي ربيعة الفرس؛ وأعطى إياداً الجارية الشمطاء وما أشبهها؛ وأعطى أنماراً البدرية والمجلس وما أشبههما؛ ثم قال لهم إن اشتبه عليكم الأمر فعليكم بأفعى⁽¹⁾ الجرهمي.

أبناء نزار وبعض ذكائهم

ثم ساروا إلى أفعى فلما أتوه قال لهم: أما أنت يا مضر فلك القبة الحمراء وما شاكلها من الإبل الحمر ونحوها من الذهب وغيره من كل لون أحمر، وأما أنت يا ربيعة فلك الفرس الدهماء وما شاكلها من العبيد والسلاح، وأما أنت يا إياد فلك الجارية الشمطاء وما أشبهها من الغنم البرش والماشية البلق ورعائها، وأما أنت يا أنمار فلك البدرية والمجلس وما أشبههما من الأرض والدراهم.

ومما ظهر من ذكائهم أنهم لما نزلوا بأفعى أتاهم إنسان يسألهم عن ضالة بعير، فقال له أحدهم: بعيرك شرود؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أعور؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أبتز؟ قال: نعم، وقال آخر: بعيرك أزور؟ قال: نعم؛ فقالوا: ما رأيناه ولكن رأينا أثره! فأتى أفعى فقال له:

(1) هو أفعى بن الأفعى الجرهمي ملك نجران.

ضَيْفُكَ هَؤُلَاءِ أَكَلُوا لِي بَعِيرًا فَأَنْصَفَنِي مِنْهُمْ. فَأَتَاهُمْ فَقَالَ الَّذِي قَالَ شُرُودَ: رَأَيْتَهُ لَا يَرَعَى إِلَّا الْأَنْجَادَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ، وَقَالَ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ أَعُورٌ: رَأَيْتَهُ يَأْكُلُ مِنْ جَانِبِ الشَّجَرَةِ وَيَدْعُ الْجَانِبَ الْآخَرَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ، وَقَالَ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ أَبْتَرٌ: رَأَيْتَهُ يَضَعُ بَعْرَهُ مَجْتَمِعًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ ذَنْبٌ لَفَرَّقَهُ بِذَنْبِهِ، وَقَالَ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ أَزُورٌ: رَأَيْتَهُ وَإِحْدَى يَدَيْهِ أَرْسَخٌ مِنَ الْآخَرَى فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَزُورٌ، فَصَدَّقَهُمْ أَفْعَى.

وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَمَّا نَزَلُوا بِأَفْعَى دَعَا صَاحِبُ الشَّرَابِ وَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ لِي مِنَ الشَّرَابِ مَا أَسْقِي بِهِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ كَرَامٌ عَلَيَّ، وَدَعَا صَاحِبُ الْغَنَمِ فَقَالَ لَهُ: اذْبَحْ لِي سَخْلَةً سَمِينَةً جَدًّا. وَاسْتَكْمَنَ لَهُمْ شَخْصًا يَحْفَظُ لَهُ مَا يَقُولُونَ؛ وَمَا حَفَظَ عَنْهُمْ أَنْ قَالَ أَحَدُهُمْ فِي الشَّرَابِ: نَعَمْ الشَّرَابُ لَوْلَا أَنْ كَرَمْتَهُ مِنْ عِظَامِ آدَمِي مَيِّتٌ! وَقَالَ آخَرٌ: نَعَمْ اللَّحْمُ لَوْلَا أَنْ شَاتَهُ غَذِيَتْ بِلَبَنِ الْكِلَابِ! وَقَالَ آخَرٌ: نَعَمْ الطَّعَامُ لَوْلَا أَنْ عَاجَتَتْهُ حَائِضٌ! وَقَالَ آخَرٌ: نَعَمْ الْمَلِكُ لَوْ كَانَ لَهُ أَبٌ!.

فَدَعَا صَاحِبَ الشَّرَابِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: أَمَرْتَنِي بِخَيْرِ الشَّرَابِ فَإِذَا خَيْرُهُ مِنْ كَرْمَةٍ نَبَتَ عَلَى قَبْرِ مَيِّتٍ، وَقَالَ صَاحِبُ الْغَنَمِ: أَسْمَنُ شَاةٍ عِنْدِي سَخْلَةً مَاتَتْ أُمُّهَا وَكَانَتْ تَرْضَعُ كَلْبَةً مَعَ أَجْرِهَا، وَدَعَا الْأُمَّةَ الَّتِي عَجَنْتَ الْعَجِينَ فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهَا حَائِضٌ، ثُمَّ خَلَا بِأُمِّهِ وَقَالَ لَهَا: اصْدُقِيْنِي الْخَبْرَ، فَقَالَتْ: يَا بَنِي رَأَيْتَ الْمَلِكَ لَا يُولَدُ لَهُ فَدَعَوْتُ إِنْسَانًا فَمَكَّنْتَهُ مِنْ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ يَنْقُطَعَ الْمَلِكُ عَنِّي.

فأتاهم وقال: ارتحلوا عني فإنكم شياطين⁽¹⁾!

ثم قال رحمه الله:

أَمَّا إِيَادُ بْنُ نِزَارٍ فَارْتَحَلَ عَنْ مَكَّةَ إِذْ مُضَرٌّ بِهَا احْتَفَلَ

إياد: ككتاب. واحتفل القوم بالمكان: اجتمعوا فيه. يعني أن إياد بن نزار كانوا أهل مكة وكان يلي أمر البيت رجل منهم يقال له وَكِيعُ بْنُ سلمة بن زهير بن إياد، وكان ينطق بكثير من الأخبار؛ وقد أكثر فيه العلماء، وأكثرهم يقول كان صديقاً من الصديقين.

وأوّل إخراج مضر لهم سببه أن خرج رجل منهم وآخر من مضر يتصيدان فمرت بهما أرنب فرماها الإيادي فنزل سهمه في قلب المضري فقتله، فبلغ الخبر مضر فطلبوا منهم قود صاحبهم، فقالت إياد: إنما أخطأ

(1) وروي أنه دس إليهم من سألهم عما قالوا: فقال مضر: إنما علمت أن الكرمة غرست على قبر لأن الخمر إذا شربت أزال الهمّ وهذه بخلاف ذلك لأننا لما شربناها دخل علينا الغم. وقال ربيعة: إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت لبن كلبة لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم إلا الكلاب فإنها عكس ذلك فرأيته موافقاً له فعلمت أنه لحم شاة رضعت لبن كلبة فاكسب لحمها هذه الخاصية. وقال أنمار: إنما علمت أن الخبز عجته حائض لأن الخبز إذا فت تفتش في الطعام، وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض. وقال إياد: إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه لأنه صنع لنا طعاماً ولم يأكل معنا، فعرفت ذلك من طباعه لأن أباه لم يكن كذلك. فقال الملك: ما هؤلاء إلا شياطين! ثم سألهم عن حاجتهم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم وما كان من اختلافهم فأخبرهم بكيفية تقسيم ما تركه أبوهم بينهم، فساروا من عنده على ذلك.

صاحبنا. فأبوا منهم ذلك، فقالت لهم إياد: أجّلونا ثلاثا فلن نساكنكم في أرضكم، فأجلّوهم ثلاثا فظعنوا قِبَلَ المشرق⁽¹⁾.

فلما ساروا يوما تبعتهم فهُم وعدوان فقالوا لهم: ردوا علينا نساءنا المتزوجات فيكم، قالوا: لا تقطعوا قرابتنا، اعرضوا على النساء فأبي امرأة اختارت أهلها رددناها وإن اختارت الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها، فقالوا: نعم، وأول امرأة اختارت أهلها امرأة من خزاعة.

ولما أجمعت إيادُ الخروجَ من مكة حسدوا مضر أن تلي الحجر الأسود، فحملوه على بعير فبرك ولم يقم، ولم يحملوه على شيء إلا سقط فَبَحْثُوا له تحت شجرة ودفنوه تحتها. فلَمَّا كان بعد يومين فَقَدَتْ مُضَرُ الحجرَ فعَظُمَ في أنفسها، فقالت الخزاعية لأهلها حين رأت مشقة ذلك على مضر: خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت وأدّهم على الحجر. فأخذوا عليهم، فوليت خزاعة - (اهـ من البحر الزاخر).

وَبِالْعِرَاقِ اسْتَلَّ بِالْإِيْجَافِ أَكْتَافُهُمْ سَابُورُ ذُو الْأَكْتَافِ

العراق: بلاد معروفة من عبادان إلى الموصل طولا، ومن القادسية إلى حلوان عرضا، سميت بذلك لعراق النخل والأشجار فيها، أو لأنها على عراق دجلة والفرات، أي على شاطئهما. وفتحت في خلافة عُمر تحت

(1) وقال في *الحلة السيرا*: وكانوا في الحرم إلى أن كثر العدنانيون فانفردت مضر برئاسة الحرم وخرج بنو إياد إلى العراق وكانت لهم به آثار مشهورة إلى أن غلبهم سابور ذو الأكتاف فأبادهم وأفناهم، وقد كانت لمضر الكثرة والغلبة بالحجاز دون سائر بني عدنان.

إمّرة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما؛ وبَنَى فيها البصرة والكوفة، ويقال
لهما العراقان. ثم في زمن بني العباس بنى فيها المنصور بغداد وهي مدينة
السلام، ويقال لها بغدادُ العراقِ كما يقال دمشقُ الشامِ وصنعاءُ اليمنِ، قال:
أقام ببغدادِ العراقِ وشوقه لأهل دمشقِ الشامِ شوقٌ مبرحُ

وهي دار مملكة بني العباس كما أن دمشق دار مملكة بني أمية؛ روي أن المأمون
دخل مصرَ مع عبد الملك بن صالح بن علي فقال: قَبَّحَ اللهُ فرعونَ حيث يقول:
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾⁽¹⁾ كيف لو رأى العراق؟ فقال له عبدُ الملك بن
صالح: مهلاً يا أمير المؤمنين.. فرعون قال ذلك حين قال الله تعالى:
﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾⁽²⁾
فما ظنك بشيء كان في تدمير الله منذ ذلك إلى الآن؟!

ملك الفرس وأصل تسميته سابور

واستل: انتزع. والإيجاف: الإسراع في السير. وسابور: ملك الفرس من
الأكاسرة المتقدمين: مُعَرَّبٌ "شاه بور"، ومعناه ابن الملك؛ لأن شاه: الملك
في لغتهم، وبور: الابن. قال السهيلي في جبريل وإسرائيل: الإيل العبد وما
قبله اسم الجلالة، ومعناه عبد الله وعبد الرحمن، لأن لفظ العبد متّحد
وأسماء الله متعددة والعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف. قال:
وسبب تسمية الملك "شاه بور" أن ملك الفرس حارب ملكاً آخر فهزمه

(1) الزخرف: 51.

(2) الأعراف: 137.

وحلف أن لا يترك أحدا من أهل بيته إلا قتله، رجلا كان أو امرأة، فظفر بجوار أعجبتة إحداهن فسألها فقالت: من جَواري الملك، مستعيذة بذلك منه، فأخذها لنفسه. ثم بعد ذلك لما علمت مكانتها عنده أخبرته أنها بنت الملك، فدعا وزيرا له ناصحا وقال له: أودع هذه بطن الأرض، فذهب بها الوزير فإذا هي حامل من الملك فحفر لها مكانا في الأرض وجعلها فيه وأحسن غذاءها، ولم يذهب بها عن الملك حتى خصى نفسه وجعل خُصيتيه في حُق وجعل الحُق في خرقة وأتى بها الملك فقال: هذه وديعة لي عندك أيها الملك.

ثم بعد ذلك لما أسن الملك دخل عليه يوما فوجده واجما فقال: أيها الملك ما ذا الذي أرى عليك اليوم؟ فقال: قد طعنت في السن وعسى أن يكون قُرْب موتي وليس في صلي من يلي الملك بعدي، فقال: أيها الملك هل لي عندك من وديعة؟ قال: هي هذه، قال: علي بها، فاحضرها ففتح الحُق عن خُصيته وقال: أيها الملك لما أمرتني أن أودع المرأة بطن الأرض نظرت فإذا المرأة حامل من الملك ولم اقدر على قتل ابنه ولم أقدر على عصيان الملك، فحفرت لها في الأرض وخصيت نفسي خوف تهمة الملك، حتى إذا وضعت غلاما شبيها بالملك أحسنت تربيته، فإذا هو مع الغلمان إن أذن الملك أحضرته له. فأحضره فسُر به. ثُمَّ أمروا ذات يوم الغلمان أن يلعبوا بالكرة عند الملك فدخلت كرتهم وراء الملك فهابت الغلمان الدخول عليها، فدخل هو وأخذها، فأخذها الملك وجعل يقبله ويقول شاه بور.. شاه بور، أي ابن الملك - اهـ.

يَقُولُ لما سكن إِيَادُ العِراقِ - بعد أن فارقوا مِضرَ بَركة - بعد ذلك أَخبر أهلَ الكِتابِ سابورَ مَلِكَ الفِرسِ أن سِيخِرجَ مِنَ العِربِ نَبِيٌّ يَكُونُ اسْتِصالُ الفِرسِ عَلَى يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَسْتَأْصِلُهُمُ أَنَا قَبْلَ ذَلِكَ!. فَغَزَاهُمْ وَبَدَأَ بِإِيَادَ، وَكَانَ جَبَّارًا: يَأْخُذُ الرَّجُلَ فَيَقْلَعُ كَتِفَيْهِ وَيَتْرَكُهُ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا مِنَ هَرَبٍ وَهُوَ القَلِيلُ.

وَجَدَ ذُو الْأَكْتَفِ عَمْرَو بْنَ تَمِيمٍ لِكَبْرِ فِي الرَّيْعِ مُلْقًى كَالرَّمِيمِ
فَاسْتَنْطَقَ الْمَلِكُ عَمْرًا فَتَنَاهَا عَنْ قَتْلِ قَوْمِهِ وَمَا فِيهِمْ عَصَاهُ

الرَّمِيمُ: البَالِي. وَالْمُلْقَى: المَتْرُوكُ فِي الدَّارِ زُهْدًا فِيهِ. يَقُولُ: لما فَعَلَ سَابُورُ بِإِيَادٍ مَا فَعَلَ، قَصَدَ مِضْرَ يَريدهمَ بما فَعَلَ بِإِيَادَ؛ وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ تَمِيمٌ فَهَرَبُوا مِنْهُ وَتَرَكَوا عَمْرَو بْنَ تَمِيمٍ، جَعَلُوهُ فِي قَبَةٍ وَعَلَقُوهَا بِشَجَرَةٍ، فَبَاتَ الْجَيْشُ بِدِيَارِهِمْ. فَلَمَّا أَصْبَحَ عَمْرُو أَحْسَ بِأَطْرَافِ الْجَيْشِ فَصَاحَ بِهِمْ فَأَتَوْهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى سَابُورَ فَاسْتَنْطَقَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ أَخْبَارِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو: مَا لَكَ وَلِلْعِربِ؟ فَقَالَ: أَرِيدُ أَنْ أَسْتَأْصِلَهُمْ، أَخْبَرَنِي أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ سِيخِرجَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ يَسْتَأْصِلُ الفِرسَ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: لَعَلَّهُمْ كَذَبُوكَ، فَقَالَ: وَاقِعَ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ، فَقَالَ عَمْرُو: هُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبًا فَلَا يَنْبَغِي لَكَ الظُّلْمَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صِدْقًا فَأُولَى لَكَ أَنْ تَتْرَكَ فِيهِمُ الْيَدَ وَلَا تَتْرَكَ فِيهِمُ مَا يَغْرِيهُمْ بِكَ وَيَحْرِضُهُمْ عَلَيْكَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَنَادَى بِالرَّجُوعِ مِنْ مَكَانِهِ وَأَمَرَ مَنْ يُوَصِّلُ عَمْرًا إِلَى أَهْلِهِ. فَعَاشَ عَمْرُو بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَهَذَا مَعْنَى نَهْيِ عَمْرُو الْمَلِكِ عَنْ قَوْمِهِ تَمِيمٍ أَوْ مِضْرَ وَلَمْ يَعْصِهِ فِيهِمْ.

كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْجَوَادُ مِنْهُمْ كَذَا ابْنُ الْغَزَّ وَقَسُّ الْمُسْلِمِ

يعني أن من إياد كعب بن مامة الجواد المشهور بالجود؛ من أجواد العرب الثلاثة في الجاهلية؛ وهم: كعب بن مامة هذا، وهرم بن سنان المري، وحاتم بن عبد الله بن الحشرج الطائي. وهو الذي يعني جرير بقوله:

فما كعب بن مامة وابن سعدى⁽¹⁾ بأجود منك يا عمر الجوادا

ومن جوده أنه كان في سفر ومعه رفيق له⁽²⁾ فاقسما ماء عندهما فطلب منه الرفيق حظه من الماء فأثره به وهو في غاية العطش⁽³⁾، فلما أشرفا على الماء مات كعب عطشا، وفيه قيل:

ما كان من سوقة أسقى على ظمإ	ماء بخمر إذا ناجوؤها بردا
من ابن مامة كعب ثم عي به	زؤ المنية إلا حرّة وقدا ⁽⁴⁾
أوفى على الماء كعب ثم قيل له	ردّ كعب إنك ورّاد فما ورّدا

وكذلك منهم الحارث أو عروة بن ألغز، على اختلاف في اسمه، وهو

(1) ابن سعدى هو أوس بن حارثة بن لأم الطائي، وسعدى أمه؛ اشتهر بالنسبة إليها وهي سعدى بنت الحصين الطائية وكانت سيدة.

(2) وهو رجل من النمر بن قاسط، وكان سفرهم في شهر ناجر فضلوا فتصافنوا ماءهم؛ وهو أن يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشرب كل إنسان بقدر واحد.

(3) فارتحل القوم وقالوا: يا كعب ارتحل، فلم تكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء فقليل له: ردّ كعب إنك ورّاد، فعجز عن الجواب فلما يئسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه فمات، فقال أبوه مامة يرثيه: ما كان من سوقة.. إلخ - [مجمع الأمثال للميداني].

(4) عي بالأمر: عجز عنه. وزؤ المنية: أحداثها وما قدّر منها. والحرّة: الحرارة في الخلق. والوقد (بالتحريك ويسكن): التوقّد. أي عيت به الأحداث إلا أن تقتله عطشا.

المشهور بعظم الأثر، يقال إنه إذا أنعط تحتك الفصلان بأيره؛ وبهذا تفتخر إِيَاد، تقول: مِنَّا أَجَوْدُ النَّاسِ وهو كَعْبُ بن مامة، وَأَنكَح النَّاس وهو ابن أَلْغَز، وأشعر الناس وهو أبو داود.

ومنهم كذلك قُسُّ (بالضم) بن ساعدة. قوله: المسلم، قال فيه النبي ﷺ: «يرحم الله قُسًّا إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده»⁽¹⁾، وفيه غير ذلك من الأحاديث الدالة على إسلامه. وكان يضرب به المثل في البلاغة والحكمة⁽²⁾، وهو أول من أظهر التوحيد بمكة مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل. ولما قدم وفدُ إِيَاد على رسول الله ﷺ قال لهم: «ما فعل قس بن ساعدة» قالوا: هلك يا رسول الله، قال: «كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ويقول: أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج»⁽³⁾، ونجوم تزهر وبحار تزخر⁽⁴⁾، وجبال مرساة

(1) ذكره ابن الأثير، ورواه الأزدي في الضعفاء [كما في الجامع الصغير].

(2) وفد يوما على قيصر فقال له قيصر: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قضى به الحقوق. وكان قس هذا خطيب العرب الوحيد وكان يدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأصنام ويرشدهم إلى عبادة الخالق ويخطبهم بذلك في المحافل العامة ومواسم الأسواق، وكان مهذب الألفاظ قوي التأثير بعيدا عن الحشو في كلامه وكان الناس يتحاكمون عليه فيقضي بينهم بسديد رأيه وصائب حكمه، وقد عمر طويلا ومات قبيل البعثة.

(3) داج: مظلم، وساج: ساكن دائم، والأبراج: جمع برج وهي اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس في طول السنة.

(4) تزهر: تضيء وتتألأ، وتزخر: أي تطمي وترتفع.

وأرض مدحاة وأنهار مجرة⁽¹⁾، إن في السماء خبراً⁽²⁾ وإن في الأرض لعبراً،
 ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا،
 يُقسم قس قسماً حقاً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من
 دينكم الذي أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكراً، ويُنشد شعراً لا
 أرويه»، قال أبو بكر: أنا أرويه، قال:

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر ⁽³⁾
لما رأيت مواردًا للموت	ليس لها مصادر ⁽⁴⁾
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقي غابر ⁽⁵⁾
أيقنتُ أني لا محالة	حيث صار القوم صائر

فقال النبي ﷺ: «يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قس بن ساعدة فإن
 كان قاله فهو من أهل الجنة⁽⁶⁾» - (أهـ من القلقشندي).

ومعه إياد لقيط بن معمر الإيادي، وكان من فتيان العرب⁽⁷⁾ وكان ينادم
 كسرى⁽⁸⁾؛ فعشقه زوجته فدعته إلى نفسها فامتنع، ولم تزل به إلى أن

(1) مرساة: أي ثابتة، ومدحاة: أي مبسوطة، ومجرة: أي جارية.

(2) إن في السماء: أي في صنعها، خبراً: أي دليلاً على خالق عظيم.

(3) جمع بصيرة: العلم والخبرة.

(4) ورد الماء: أتاه ليشرب منه، وصدر عنه: شرب ورجع، أي رأيت الناس تذهب للموت ولا تعود.

(5) غابر: أي مقيم.

(6) ذكره ابن الأثير، ورواه الأزدي في الضعفاء [كما في الجامع الصغير].

(7) وكان ممن اشتهر بصناعة الكتابة في العصر الجاهلي.

(8) وكان كاتباً له.

أطاعها، وبلغت من حبه إلى أن أمرت المصورين أن يصوروا لها صورتها
ينكحها لقيط باركة، ثم اطلع كسرى على أمرهما وقتل لقيطا والمرأة.
ولما أحس لقيط بالقتل وعلم أن كسرى يغزو قومه، كتب لهم قصيدته التي
أولها:

يا دار عبلة من مختلها الجرعا	قد هجت لي الهم والأحزان والجزعا
تامت فؤادي بذات الخال خرعة	قامت تريد بذات العذبة ⁽¹⁾ البيعا
لقد جررت لنا جبل الشموس فلا	ياسا نيينه منكم ولا طمعا
إني بعيني إذ أمت حمولهم	بطن السلوطح لا ينظرون من تبعا

ومنها قوله ينذرهم كسرى:

ألا تخافون قوما لا أبا لكم	أفسوا عليكم بأمثال الدبا شرعا
فقلدوا أمركم لله دركم	رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا ⁽²⁾

وكتب إليهم أيضا:

سلام في الصحيفة من لقيط	إلى من في الجزيرة من إياد
فإن الليث يأتيكم سريعا	فلا يشغلكم سوق النقاد

(1) ذات العذبة: موضع.

(2) بعده: لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
لا مرقا إن رخاء العيش ساعده
ما زال يحلب هذا الدهر أشره
حتى استمرت على شزر مريته
هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
ولا إذا عض مكروه به خشعا
يكون متبعا طورا ومتبعا
مستحكيم الرأي لا قحما ولا ضرعا

(قوله: لا يطعم النوم.. إلخ: أي لا يطعم النوم إلا يسيرا حتى يبعثه الهم، والقحم: آخر سن
الشيخ، والضرع: الصغير الضعيف).

نسب ربيعة

وَلِرَبِيعَةَ عَدِيدُ الطَّيْسِ مِنْ نَسْلِ قَاسِطٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ

الطيس: دقاق الترب، أو خلق كثير النسل كالذباب والنمل والهوم،
والعدد الكثير، قال:

عددت قومي كعديد الطيس إذ ذهب القوم الكرام ليسي
يقول ولربيعه بن نزار عددُ حصي التراب من الذراري وكلهم من نسل
رَجُلَيْنِ قَاسِطٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ⁽¹⁾.

كِلَاهُمَا مِنْ أَسَدِ ابْنِهِ⁽²⁾ وَمِنْ نَمْرِ بْنِ قَاسِطٍ صُهَيْبُ الْمُبْنِ
بِصَفَةِ الْمَسْجِدِ فِي أَضْيَافِ نَبِينَا وَعَنْهُ لَا يُجَافِي

المبن: المقيم، قال⁽³⁾:

(1) وديار ربيعة باليمامة والعراق والبحرين.

(2) الضمير في "كلاهما" عائد على قاسط وعبد القيس، والضمير في "ابنه" عائد على ربيعة.
يعني أن قاسطا وعبد القيس ابنا أسد بن ربيعة بن نزار، ولم يكن لربيعة هذا غير أسد
المذكور وضيعة، وقيل كان له عمرو وأكلب. ودخل بنوه في خثعم إلا أسدا، وتفرعت
من ضبيعة بطون قليلة منهم بنو أحمر الذين منهم الشاعر المسيب بن علس، وبنو دوفن
الذين منهم الشاعر المشهور المتلمس، ولم يتكلم الناظم على بني ضبيعة هؤلاء لقلتهم
واقصر على بني أسد الذي تفرعت منه أكثر قبائل ربيعة.

(3) ذو الرمة من قصيدة له:

ترى الثور يمشي راجعا من ضحائه بها مثل مشي الهبرزي المسرول
إلى كل بهو ذي أخ يستعده إذا هجرت أيامه للتحول

أَبْنُ بِهِ عَوْدُ الْمَبَاءَةِ طِيبٌ نَسِيمُ الْبَنَانِ فِي الْكَنَاسِ الْمَظِلِّ

وصُفَّةُ الْمَسْجِدِ: مَوْضِعٌ مِنْهُ مَظِلٌّ - فَقَطْ - يَسْكُنُهُ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ فِي ضِيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَا يَجَافِي: أَي لَا يَزُولُ عَنْهُ، أَي لَا يَفَارِقُهُ، لَمَّا قَالَ لَهُ الْكَفَّارُ: لَا نَجَالِسُكَ وَمَعَكَ هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدُ وَالضَّعَفَاءُ نَخَافُ أَنْ يَرَانَا مَعَهُمْ أَشْرَافُ النَّاسِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾⁽¹⁾ الْآيَةُ⁽²⁾ فَكَانَ يَقُومُ عَنْهُمْ لِحَاجَتِهِ وَحَاجَةُ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الْآيَةُ⁽³⁾.

يَقُولُ كِلَا قَاسِطٍ وَعَبْدُ الْقَيْسِ مِنْ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَمَّا قَاسِطُ فَابِنِ هَنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ. وَأَمَّا عَبْدُ الْقَيْسِ فَابِنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِي. وَقَاسِطُ أَبُو النَّمْرِ⁽³⁾ بْنِ قَاسِطٍ، أَبُو الْقَبِيلَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ صَهْبِ بْنِ سَنَانِ الرَّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِصُفَّةِ مَسْجِدِ

>> - -

تَرَى بَعْرَ الصِّرَافِ فِيهِ وَحَوْلَهُ جَدِيدًا وَعَامِيًّا كَحَبِّ الْقَرْنَفْلِ

أَبْنُ بِهِ عَوْدُ الْمَبَاءَةِ.. إلخ.

(وَالْهَبْرِيُّ: الْإِسْوَارُ مِنْ أَسَاوِرَةِ الْفَرَسِ. وَالْبَهُو: كَنَاسُ الثَّوْرِ الْوَاسِعِ. وَالصِّرَافُ - جَمْعُ صَوَارٍ - الْقَطِيعُ مِنَ الْوَحْشِ. وَالْعَامِيُّ: الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ الْعَامُ. وَأَبْنُ: أَقَامَ. وَعَوْدُ: أَي رَجُوعٌ. وَالْمَبَاءَةُ: مَوْضِعُ الْعَوْدِ حَيْثُ تَبَوَّأَ. وَنَسِيمُ الْبَنَانِ: أَي كَنَسِيمُ الْبَنَانِ وَهُوَ جَمْعُ بَنَةِ لِلرَّائِحَةِ الطَّيْبَةِ وَرَائِحَةِ بَعْرِ الظُّبَاءِ).

(1) الْأَنْعَامُ: 52.

(2) الْكَهْفُ: 28.

(3) قَالَ فِي ذَيْلِ الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ: كُلُّ نَمْرٍ فِي الْعَرَبِ، كَالنَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ وَغَيْرِهِ، مَكْسُورُ النُّونِ سَاكِنُ الْمِيمِ إِلَّا النَّمْرُ بْنُ تَوَلْبٍ فَبَفْتَحَ النُّونَ وَسَكُنَ الْمِيمَ.

رسول الله ﷺ في أضيافه ولا يحيدنه عن النبي ﷺ قول الكفرة.

صهيب الرومي

ونسب إلى الروم لأنهم سَبَّوه وهو صغير، فلما بلغ هرب، وقيل إن كلبا ابتاعته وبيع بمكة ثم عَتَقَ. وأسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلا. فلما أراد الهجرة قالت له قريش: أتيتنا وأنت عبد فأعتقناك وكثر مالك عندنا فأردت أن تفارقنا! فقال لهم: أترضون مني بواحدة؟ قالوا: ما هي؟ قال: أعطيتكم مالي وتخلون سبيلي، قالوا: نعم. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ربح البيع أبا يحيى»⁽¹⁾، وكان شديد الحمرة وهو إلى القصر أقرب، وقال فيه النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيبا»⁽²⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «صهيبٌ سابقُ الروم وسلمان سابقُ فارسَ وبلال سابقُ الحبشة»⁽³⁾. وقال فيه عمر: "نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه". وأوصى إليه عمرُ بالصلاة عليه وبالصلاة بالمسلمين في ليالي الشورى الثلاث حتى يتفقوا. وكان ذا فضلٍ وورعٍ وحسن خلقٍ ودُعابة، قال: جئت إلى النبي ﷺ وهو نازل بقباء وبين

(1) رواه الطبراني: (36/8)، قال في المجمع: وفيه رجال لم أعرفهم، وذكره في *أسد الغابة* والإصابة والاستيعاب.

(2) وتماه: «حب الوالدة لولدها»، أخرجه الحاكم في معرفة الصحابة وذكره الذهبي في *ميزان الاعتدال* وسكت عنه في *التلخيص لضعفه* - [سير أعلام النبلاء].

(3) أخرجه الحاكم والطبراني: (34/8).

أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت، فقال: «أتأكل التمر على عينيك؟»
فقلت: أَكُلُّ من شق عيني الصحيحة، فضحك صلى الله عليه وسلم حتى
بدت نواجذه⁽¹⁾. ومات في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين
سنة ودفن بالبقيع.

ومر النمر أيضا بنو تيم الله بن النمر؛ منهم الضحيان، واسمه عامر بن
سعد⁽²⁾. وسمي الضحيان لأنه يجلس لقومه ضحى فيقضي بينهم.

ومن ولد أخيه عوف بن سعد: ابن القرية المشهور بالبلاغة⁽³⁾، قال له
الحجاج يوما: ما تقول في خطبتي؟ قال: إنك لتكثر الرد وتشير باليد
وتستعين بأما بعد!

ومن النمر أيضا ابن الكيس النسابة. ومنهم العباد (بالكسر)، أو هم
من عبد القيس، وهم عبد كلال وعبد ياليل، ومنهم - أي العباد - عدي
بن زيد العبادي - صاحب النعمان بن المنذر - أبو زيد بن عدي بن زيد،
قاتل النعمان بن المنذر.

بِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَإِذْ أَتَى أَتَحَفَهُ بِمَرْحَبٍ
وَمِنْهُمْ الْجَارُودُ جَرَّدَ بَنِي بَكَرِ بْنِ وَاثِلٍ وَمَا بِهِمْ مَنِي

(1) رواه ابن ماجه في الزوائد، إسناده صحيح.

(2) ابن الخزرج بن تيم الله بن النمر.

(3) اسمه أيوب ابن القرية، والقرية أمه وبها يعرف واسم أبيه يزيد - [سموط الذهب].

أتخفه: أكرمه. والجارود الأكثر في اسمه: بشر بن عمرو، ولقب الجارود لأنه أغار على بني بكر بن وائل في الجاهلية فجردهم من الإبل؛ وفي ذلك يقول الفضل العبدي:

وَدُسْنَاهُمْ بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا جَرَدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ
وَقِيلَ لَأَنَّهُ فَرَّ بِإِبْلِهِ مِنَ الْجَرْدِ⁽¹⁾ إِلَى أَسْوَاقِهِ بَنِي شَيْبَانَ، فَفَشَا الدَّاءُ فِي إِبْلِهِمْ
فَأَهْلَكَهَا. وَمُنِي بِكَذَا (كُعْنِي): ابْتَلِي بِهِ.

قدوم وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ

ومن عاداته⁽²⁾ أنه إذا كان للقبيلة خصلة محمودة أو قصة مستطرفة بدأ ذكر القبيلة بها. يقول: بينما النبي ﷺ وأصحابه يوما إذ قال لهم: «سِطْلُكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ رَكِبَ هُمْ خَيْرَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ». فَمَا بَرِحُوا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ فَقَالَ لَهُمْ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نِدَامِي⁽³⁾». قوله: ومنهم: أي من الوفد، باعتبار أفراده لأنه فيهم، أو من عبد القيس لأنه منهم. وقال حين أسلم:

شهدت بأن الله حق وسامحت بنات فؤادي بالشهادة والنهض

(1) الجرد (بالتحريك وبالبدال المهملة أو بالمعجمة): عيب معروف في الدواب، وقيل لقب بالجارود لأنه فر بإبله الجرد إلى أسواقه - [القاموس].

(2) أي الناظم رحمه الله.

(3) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وذكره في المواهب: (13/4).

فأبلغ رسول الله عني رسالةً بأنني حنيف حيثما كنت في الأرض⁽¹⁾
قُتِلَ سنة إحدى وعشرين بنهاوند وقبره بعقبة الجارود، وكانت قبله
تعرف بعقبة الطين. وهو صاحبُ حديث ضالة الإبل، قال يا رسول الله
إن بيننا وبين أهلنا ضوالَّ الإبل أفنصل عليها ونتزود منها إلى أهلنا؟ أو
كما قال، فقال النبي ﷺ: «ما لك ولها؟» الحديث⁽²⁾.
ومن هذا الوفد أشجُّ عبد القيس وهو من بني عَصْر بن عوف - قبيلة
من عبد القيس - واسمُه المنذر بن عائد، قال له النبي ﷺ: «يا أشج إن

(1) بعده:

فإن لم تكن داري يشرب فيكمُ فإني لكم عند الإقامة والخفض
وأجعل نفسي دون كل ملامة لكم جنة من دون عرضكم عرَضِي
وسكن البصرة آخر زمنه، وابنه المنذر بن الجارود كان من رؤساء عبد القيس بالبصرة،
مدحه الأعشى - ميمون بن قيس - وغيره، وحفيده الحكم بن المنذر، وهو الذي يقول فيه
الأعشى أيضا:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود
أنت الجواد بن الجواد المحمود نبت في الجود وفي بيت الجود
والعود قد نبت في أصل العود

وقيل إنها لرؤية بن العجاج، وقيل لرجل من بني الحرماز. وكان الحجاج يحسد الحكم
على هذه الأبيات.

(2) أخرجه البخاري وغيره. وروي هذا الحديث عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: جاء
رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن اللقطة فقال: «أعرف عفاصها
ووكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها» قال: فضالة الغنم؟ قال: «هي
لك أو لأخيك أو للذئب» قال: فضالة الإبل؟ قال: «ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها
ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها» - [البخاري].

فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»، فقال: أشيء من قبل نفسي أم شيء جبلني الله عليه؟ فقال: «شيء جبلك الله عليه⁽¹⁾». وهذا الوفد أربعة عشر. وترحب النبي ﷺ بهم أخذ منه العلماء استحباب الترحيب بالقادم دون غيره.

وَمَرَّ وَاثِلُ بْنُ قَاسِطٍ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ فِيهِ أُمُّهُمْ وَلَا
أَحَدٌ إِلَّا هِيَ، فَاهْتَمَّ بِهَا فَهَدَّيْتُهُ بِسَبَاعِ شَعْبِهَا
فَهْتَفْتُ بِكُلِّ ذِي نَابٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بَنُوهَا الْعُظَمَاءُ

واثل بن قاسط: أبو الحيين: بكر وتغلب المشهورين بحرب البسوس. ووادي السباع: هذا أول ما سمي، ثم اشتهر بعد ذلك بهذا الاسم. وأمهم، أي أم السباع: أسماء بنت دريم. والسباع: أولاد وبرة بن حُلوان بن عمران بن إلخاف بن قضاة. واهتم بها: راودها عن نفسها. والشعب: مصب الماء في الوادي. وهتفت: صاحت.

ابتدأ ذكر واثل بقصة أبيهم مع هذه المرأة، وفي القاموس: وادي السباع بطريق الرقة، مرَّ به واثل بن قاسط على أسماء بنت دريم فهمَّ بها حين رآها منفردة في الخباء، فقالت له: والله لئن هممت بي لدعوت أسبُعي، فقال: ما أرى في الوادي غيرك، فصاحت ببنيتها: يا كلب، يا ذئب، يا فهد، يا دُب، يا سرحان، يا سيّد، يا ضُبُع، يا نَمِرٌ.. فجاءوا يتعادون بالسيوف،

(1) أخرجاه في الصحيحين، ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

فقال: ما أرى هذا إلا وادي السباع! فهرب. فسمي وادي السباع.

وَهِنْدُ بِنْتُ مُرٍّ أُمُّ حَارِثِ شُخَيْصِ وَأُمُّ عَنَزٍ ثَالِثُهُ
وَبَرَّةٌ اخْتُهَا عَلَيْهَا خَلْفَا كِنَانَةُ خُزَيْمَةَ وَضَعْفَا
أُخْتُهُمَا عَاتِكَةَ وَنَسْلُهَا عُدْرَةُ اللَّاءِ الْهَوَى يَقْتُلُهَا

يعني أن ثلاثة من أولاد وائل أمهم هند بنت مر بن أد بن طابخة، أخت تميم بن مر، وهم: الحارث وشخيصة (بالتصغير)، وهذان دخلا في تميم. وعنزة، ودخلوا في تغلب، ولكن بقي لهم ذكر وانتساب؛ منهم سيدنا عامر بن ربيعة العنزي، حليف آل الخطاب بن عمرو بن نفيل، وخصوصا عمر رضي الله عنه. وكان من أول من أسلم ثم هاجر إلى الحبشة في الاثني عشر الأولين الذين هاجروا الهجرة الأولى، وأول من هاجر إلى المدينة مع زوجته ليلى - وتكنى أم كلثوم - بنت أبي حثمة العدوية، وهي أول طعينة دخلت المدينة مهاجرة. وهو أيضا من سرية عبد الله بن جحش، وشهد بدرًا، واستشهد ابنه عبد الله الأكبر - وبه كان يكنى - يوم الشدخة بالطائف. ولما نشب الناس في الطعن على عثمان أتى في المنام ف قيل له: قم فاسأل الله أن ينقذك من الفتنة التي أنقذ منها عباده الصالحين، فقام فدعا. فاشتكى فتوفي بعد قتل عثمان بأيام.

يُحْكِي أَنْ وائلا كان كلما ولد له ولد يسميه بأول ما وقعت عليه عينه، فحين ولد له الحارث رأى إنسانا بيده آلة حرث فسماه حارثا، ولما ولد شخيصة رأى شخصا فسماه شخيصة، ولما ولد له عنزة رأى عنزا

فسماه عنزا، ولما ولد له بكر رأى بكرا من الإبل فسماه بكرا، ولما ولد له تغلب رأى إنسانين يتغالبان فسماه تغلب.

قوله: وبرّة اختها.. إلخ: أي أخت هند هذه خلّف (بتخفيف اللام) عليها كنانة خزيمة، أي تزوجها بعده؛ وإنما حرم في شرعنا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ - الآية⁽¹⁾. وأما خلّف (بتشديد اللام) فالفاعل هو الأول وإن لم يردّه، فخزيمة خلّف كنانة على برة وكنانة خلّف (بتخفيف اللام) خزيمة عليها، لكن ضعفه السهيلي.

وقوله: أختهما عاتكة.. إلخ: يعني أخت هند وبرة بنتي مر بن أد، تزوجها سعد بن هذيم من قضاة، فولدت له عذرة؛ وهم نسلها اللاء: أي الذين، يقتلهم الهوى!. سئل أعرابي منهم: لم يقتلكم العشق؟ قال: رقة في القلوب وعفة في الأبدان. وسيأتي بعض خبرهم في الكلام عليهم.

وَابْنَاهُ تَغْلِبُ وَيَكْرُ قَامَا عَلَى الشَّقَاقِ أَرْبَعِينَ عَامًا⁽²⁾

(1) النساء: 22.

(2) وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل وقد مكثت أربعين سنة؛ وقعت فيها الأيام التالية: يوم النهي: (وهو ماء لبني شيبان) وكان لتغلب على بكر ورئيس تغلب مهلهل بن ربيعة ورئيس شيبان الحارث بن مرة. والثاني: يوم الذنائب (وهو موضع على طريق البصرة إلى مكة) وكان لتغلب على بكر أيضا، وهو أعظم وقعة كانت لهم وقتلت من بني شيبان مقتلة عظيمة قتل فيها الحارث بن مرة بن ذهل وشراحيل بن مرة بن همام بن مرة. والثالث: يوم واردات (وهو موضع عن يسار طريق مكة إلى البصرة) وكان لتغلب على بكر، واستحر القتل في بني بكر؛ وقتل فيه همام بن مرة، أخو جسّاس، فمر به مهلهل

أَنْ غَالَ جَسَّاسُ كَلِيبَ التَّغْلِبِيِّ لِقَتْلِهِ نَاقَةَ خَالَةِ أَبِي

الشقاق: الخلاف والعداوة. وغال: أهلك. وجساس (ككتان): ابن مرة بن ذهل بن شيبان، فتى بني بكر^(١). وكليب: هو ابن ربيعة، الذي يضرب المثل بعز حماه^(٢)، يقال: أعز من حمى كليب؛ كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى ما حمى، ويقول: وحش كذا وكذا في جوارى فلا يهاج! ولا يورد أحد مع إبله ولا توقد نار مع ناره ولا يُحتبى في مجلسه ولا يتكلم إلا بإذنه وأمره^(٣)، وفي ذلك يقول أخوه مهلهل بعد قتله:

نبئت أن النار بعدك أوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في أمر كل عظيم لو كنت حاضر أمرها لم ينبسوا

>> --

مقتولا فقال: والله ما قتل بعد كليب أعز عليّ فقدنا منك. والرابع: يوم عنيزة (وعنيزة موضع في اليمامة) تكافأ فيه الحيان. والخامس: يوم القصيات (وهو موضع في ديار بكر وتغلب)، وكان لتغلب على بكر. وفي هذه الأيام يقول مهلهل قصيدته الطويلة:

أليتنا بذى حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير.. إلخ.

والسادس: يوم تحلاق اللمم (سمي بذلك لأن بني بكر حلّقوا فيها جميعاً رؤوسهم) إلا جحدرا الذي فداه منهم بأول فارس كان لبكر على تغلب ولم تقم لتغلب بعده قائمة - [أيام العرب في الجاهلية وغيره].

(١) وكان جساس هذا فارساً شهماً ألياً وكان يلقب الحامي الجار المانع الذمار، وكان أصغر ولد مرة بن ذهل بن شيبان.

(٢) كليب: اسمه وائل؛ وكليب لقبه، نشأ في حجر أبيه ودرب على الحرب وتولى رئاسة بكر وتغلب إلى أن قتله جساس.

(٣) ولا يمر أحد بين يديه إجلالاً له، ولا يغير أحد إلا بإذنه، ولا يجير بكري ولا تغليي أحداً ولا بعيراً أو يحمي حمى إلا بإذنه، ولا يرحلون ولا ينزلون إلا بأمره...!

حرب البسوس

وكانَ قاده إلى ذلك انقياد معدٍّ له واجتماعهم على تسويده⁽¹⁾ حتى دخله بذلك زهوٌ شديد فبغى على قومه؛ وكان إذا مر بمرعى ألقى فيه جُرُواً فيعوي فحيث بلغ صوت الجرو لا يرعى. ومر يوماً بقبرة - وهي طائر صغير - قد باضت، فلما رآته صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال لها: أمن روعك أنت في ذمتي! ثم أنشد:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

فما جسرَ صاحب بعير أن يدخل ذلك المرعى.

وكانتُ لجسَّاس جارة - خالة له - من بني سعد تسمى البسوس؛ وكانتُ لها ناقة، فندَّت يوماً ودخلت إبلَ كليب ورَعَت فيها يومها، فأتى كليب يَبْضُ القبرة فوجد فيه بيضةً مكسورة وطئها بعير، فقال ما تجاسر

(1) قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم: عامر بن الظرب، وربيعة بن الحارث بن مرة، وكليب بن ربيعة التغلبي. أما عامر فهو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن. وأما ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب فهو قائد معد يوم الميلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن. وأما كليب التغلبي فهو قائد معد كلها يوم خزازي حتى فض جموع اليمن وهزمهم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتحيته وطاعته، فمكث بذلك حيناً من دهره حتى قيل فيه أعز من كليب وائل، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويحتمي مواقع السحاب.. إلى آخر ما ذكره الشارح عنه.

على حمّاي إلا هذه الناقة، فرماها في ضرعها. فجاءت إلى ربّتها وضرعُها يشخبُ دما ولبنا فصاحت وصرخت: وا ذلاه! فقال لها جسّاس: اسكّتي فوالله ليقتلن غدا جمل أعظم قتلا من ناقتك، يعني كليباً⁽¹⁾؛ وزعمتُ بنو تغلب أنه يريد جملا لكليب يقال له عُليان، فقالوا: دون عليان خرط القتاد!.

ثم انتجعَ الحيان فرحلوا فمروا بغدير يقال له شُبَيْثُ فحمّاه كليب، ثم مروا بالأحصّ فحمّاه كذلك، ثم نزلوا بالذّنائب. فخرج جسّاس فوجد

(1) وروي أيضا في سبب هذه القصة أن كليباً دخل يوما على زوجته جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان فقال لها: هل تعلمين على الأرض أمنع مني ذمة؟ فسكتت، ثم أعاد عليها فسكتت، ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جسّاس. فسكت كليب ومضت مدة، وبينما هي تغسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها: من أعز وائل؟ قالت: أخوأي جسّاس وهمام، فنزع رأسه منها وخرج. فاتفق يوما أن رأى ناقة البسوس خالة جسّاس يتبعها فصيل لها فرماه بقوسه فقتله، فعلمت بنو مرة بذلك فأغمضوا على ما فيه وسكتوا، ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له: ما فعل فصيل ناقتكم؟ فقال: قتلته وأخلّيت لنا لبن أمه. وأغمضت بنو مرة على هذا أيضا، ثم إن كليباً أعاد القول على امرأته: فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخوأي، فأضمّرها في نفسه وأسرّها وسكت، حتّى مرت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس فأنكر الناقة ثم قال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جسّاس، فقال: أو بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير إذني؟ فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها فولت ولها عجيج حتّى بركت بفناء البسوس، فلما رأتها صاحت وا ذلاه. فقال لها جسّاس: اسكّتي فلك بناقتك أعظم منها؛ فأبت أن ترضى حتّى صار لها إلى عشر، فلما كان الليل أنشأت تقول:

أيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإنني في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادي إليك فإنني محاذرة أن يغـدروا بينيّاتي .. إلخ.
فلما سمعها جسّاس قال لها: اسكّتي.. لا تُراعي، إني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة.

كليبا منفردًا واقفا، فقال: ما حملك على ما حملتنا عليه من العطش؟
 منعنا من الماء الفلاني والماء الفلاني؟ فقال: ما منعناكم من ماء إلا ونحن
 شاغلون له، فقال جساس: وما حملك على ناقة جارتني؟ فقال: لو وجدتها
 في غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل، فحمل عليه جسّاس فطعنه
 فاستسقاها ماء فقال: جاوزت الأحصّ وشُبَيْثًا ولم تشرب! ثم أجهز عليه.
 ثم انتهى إلى أهله، فقالت أخته: إن لجسّاس خبرا.. قد جاء خارجة
 ركبته، ما خرجتا إلا لأمر عظيم. فقال له أبوه: ما وراءك يا بني؟ قال:
 ورائي طعنة تشتغل بها شيوخ بني وائل زمانا، قال: أقتلت كليبا؟ قال:
 نعم، قال⁽¹⁾: "وددت أنك وإخوتك متم قبل هذا وما بي إلا أن كان مني
 ما تكره بنو وائل". ثم نظر جسّاس إلى أخيه نضلة⁽²⁾ فقال:

فإني قد جئيت عليك حربا تفص الشيخ بالماء القراح
 مذكرة متى ما يصح منها فتى شبت لآخر غير صاح⁽³⁾

(1) "إذن نسلمك بحريتك ونريق دمك في إصلاح العشيرة والله لبئس ما فعلت: فرقت
 جماعتك وأطلت حربها وقتلت سيدها في شارف من الإبل، والله لا تجتمع وائل بعدها ولا
 يقوم لها عماد في العرب وودت أنك وإخوتك متم قبل هذا.. الخ.
 (2) وقيل إنه يخاطب بها أباه مرة، وكان يلومه على فعلته فقال جسّاس:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح فإن الأمر جلّ عن التلاحي
 فإني قد جئيت عيك حربا .. الخ.

(3) بعده: تعدت تغلب ظلما علينا بلا جرم يعد ولا جناح
 فلما أن رأينا واستبنا عقاب البغي رافعة الجناح
 صرفت إليه نحسا يوم سوء له كأس من المسوت المتاح

فأجابه:

فإن تك قد جنيت علي حرباً فلا وإن ولا رث السلاح⁽¹⁾

ثم جاءت أمة لآل مرة همّاماً وهو ينادم مُهلَهلاً، وكان مصادقاً له؛ وكانا متعاهدين أن لا يكتُم أحدهما شيئاً عن صاحبه؛ فأسرّت الأمة إلى همّام بقتل حسّاس كليبا، فقال له مهلهل: ما تقول لك الأمة؟ فلم يخبره، فذكره بالعهد، فقال: أخبرني أن أخي قتل أخاك، فقال: استُ أخيك أضيق من ذلك! فسكت همّام وأقبلا على الشرب، فجعل همّام يشرب شرب الخائف ومُهلَهلاً يشرب شرب الآمن، إلى أن صرعت الخمر مهلهلاً، فانسل همّام فأتى قومه وقد قوضوا الأبنية وجمعوا الخيل والنعم فرحلوا ورحل معهم.

(1) بعده: ولكنني إلى العلات أجري إلى الموت المحيط مع الصباح

وإني حين تشتجر العوالي أعيد الرمح في اثر الجراج

إلى أن يقول:

فإني قد طربت وهاج شوقي طراد الخيل عارضة الرماح

وأجهل من حياة الذلّ موت وبعض العار لا يمحوه ماح

ثم أرسل مرةً إلى ابنه همّام فرسه مع جارية وأمره أن يلحق به فوجدته مع مهلهل وهما معتزلان في جانب الحي، فوثب همّام إليها فسارته أن حسّاساً قتل كليبا وأن أباه قد ظعن مع قومه، فأخذ همّام الفرس وربطه ورجع، فقال له المهلهل: ما شأن الجارية والفرس وما بالك؟ فقال: اشرب ودع عنك الباطل! قال: وما ذاك؟ فقال: زعمت أن حسّاساً قتل كليبا، فضحك المهلهل وقال: همة أخيك أضعف من ذلك وسكت. ثم أقبلا على شرايهما، فجعل همّام يشرب شرب الخائف ومهلهل يشرب شرب الآمن.. إلخ.

وظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل وصحح الخبر، فاجتمعت إليه قومه؛ فقال: لا تعجلوا على إخوانكم حتى تعذروا بينكم وبينهم، فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه⁽¹⁾ وقالوا: اختر منا خصالا: إمّا أن تدفع إلينا جَسَّاسًا نقتله وإما أن تقيدنا من نفسك وإما أن تدفع إلينا هَمَّامًا نقتله. وقد حضرته وجوه بني بكر فقالوا: تكلم غير مخذول، فقال: أما جَسَّاسٌ فإنه غلام حديث السن ركب وهرب ولا علم لنا به، وأمّا همام فأبو عشرة وأخو عشرة، ولو دفعته إليكم لتصيحُ بنوه في وجهي وتقول: دفعت أبانا في جريرة غيره، وأمّا أنا فلا أتعجل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أوّل قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ دونكم بقية بني فخذوا أحدهم بنسعة في رقبته فاقتلوه وإن شئتم فلكم ألف ناقة سوداء الحديقة.

فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك أو لتسومنا الإبل⁽²⁾!. فتفرقوا وقام مُهَلْهَل فشمّر للحرب وبدأ القتال بين الحيين وعظم

(1) ومما قالوا له: إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب من الإبل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمه وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الاعتذار إليكم ونحن نعرض عليكم إحدى خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع. فقال لهم مرة بن ذهل: ما هي؟ قالوا: تحيي لنا كليبًا أو تدفع لنا جَسَّاسًا قاتله نقتله به أو همامًا فإنه كفؤ له أو تمكنا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه. فقال: أما إحيائي كليبًا فهذا ما لا يكون، وأمّا جَسَّاس فإنه غلام حديث السن ركب وهرب... إلخ.

(2) وفي رواية: أو لتسومنا اللبن من دم كليب.

في بكر⁽¹⁾. فاجتمعوا إلى الحارث بن عباد (كغراب)، وكان قد اعتزل الحرب وقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل - فذهبت مثلاً - فقالوا له: قد فني قومك. فأرسل ابنه بجيرا، وقيل ابن أخته، إلى مهلهل وقال له: قل له أبو بجير يقرئك السلام ويقول لك قد علمت أنني قد اعتزلت عن قومي لأنهم قد ظلموك وخليتهم وإياك وقد أدركت ثأرك وقتلت. فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه، وقال له: خالي يقرئك السلام.. فقال: من خالك يا غلام؟ ونحى نحوه الرمح. فقال له امرؤ القيس⁽²⁾ - وهو ابن أخته -: يا مهلهل إن أهل بيت هذا قد اعتزلوا الحرب ولئن قتل ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله، فلم يلتفت مهلهل إلى قوله، فقتله وقال: بُؤ بشسع نعل كليب، فقال بجير: إن رضيت بذلك بنو بكر!.

فلما بلغ الحارث قتله قال: نعم القتل قتيلاً أصلح الله به بين ابني وائل وحقن دماءهم، فقالوا له: إن مهلهلاً قال له: بُؤ بشسع نعل كليب.

(1) ولما أسرف مهلهل في القتل ولم يبال بأي قبائل بكر أوقع، وكانت أكثر قبائل بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليبا، وكان الحارث بن عباد اعتزل تلك الحروب بأهل بيته وطال أمدها، اجتمعت قبائل بكر إلى الحارث بن عباد وقالوا له: قد فني قومك؛ فأرسل ابنه بجيراً.. إلخ.

(2) هو امرؤ القيس بن أبان التغلبي، وكان من سادات قومه، روي أنه لما أسر الحارث بن عباد مهلهلاً يوم تحلاق اللمم، وبعد انهزام تغلب وهو لا يعرفه قال له: دلني على المهلهل، قال: ولي دمي؟ فقال: ولك دمك: قال: ولي ذمتك وذمة أهلك؟ قال: نعم ذلك لك، قال: فأنا مهلهل خدعتك عن نفسي والحرب خدعة، فقال: كافئني بما صنعت لك بعد جرمك ودلني على كفء لبجير، فقال: لا أعلمه إلا امرؤ القيس بن أبان، فحز الحارث ناصية مهلهل وأطلقه وطلب امرأ القيس حتى قتله.

فغضب الحارث ونهض للقتال، وعظمت الحرب وقال: ردوا علي فرسي؛
وكانت قارحا فجز ناصيتها وقال: ردوها جذعة - فصارت مثلا - وقال
قصيدته التي⁽¹⁾ كرر فيها: قربا مربط النعامة مني في ثلاثين بيتا، وأولها:

(1) مطلعها:

كل شيء مصيره للزوال	غير ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعا	ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قل لأم الأغرت بك بجيرا	ما أتى الماء من رؤوس الجبال
لهف نفسي على بجير إذا ما	جالت الخيل يوم حرب عضال
وتساقى الكُمأة سماء نقيعا	وبدا البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه تدعو	يا لبكر، غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لا صلح حتى	نملأ اليد من رؤوس الرجال
وتقر العيون بعد بكائها	حين تسقي الدماء صدور العوالي
أصبحت وائل تعج من الحر	ب عجيج الجمال بالأثقال
لا بجير أغنى قتिला ولا ره	ط كليب تراجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله	ه وإني لحرها اليوم صال
قد تجنببت وائل كي يفيقوا	فأبت تغلب عليّ اعتزالي
وأشابوا ذؤابتي ببجير	قتلوه ظلما بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب!	إن قتل الكرام بالشسع غال
يا بني تغلب خذوا الحذر إنا	قد شربنا بكأس موت زلال
يا بني تغلب قتلتم قتिला	ما سمعنا بمثلـه في الخوالي
قربا مربط "النعامة" مني	لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني	ليس قولي يراد لكن فعالي
قربا مربط النعامة مني	جد نوح النساء بالإعوال
قربا مربط النعامة مني	شاب رأسي وأنكرتني الفوالي!

قَرَّبًا مَرَبُطٌ "النَّعَامَةُ" مِنِّي لَقَحْتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ
قَرَّبًا مَرَبُطٌ "النَّعَامَةُ" مِنِّي إِنْ بَيْعَ الْكَرَامِ بِالشَّعْغِ غَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلْمُ اللَّهِ ه - وَإِنِّي لِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِ

فَحَلَفَ الْحَارِثُ لَا يَسْأَلُهُمْ حَتَّى يَكْلُمُوهُ تَحْتَ الْأَرْضِ!. فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ
خَمْسَةُ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ الْعِظَامِ، أَعْظَمُهَا يَوْمُ عَنِيزَةِ، وَمِنْهَا يَوْمُ التَّحَالِقِ،
حَلَقَ الْبَكْرِيُّونَ رُؤُوسَهُمْ عَلَامَةً لَهُمْ؛ وَقَالَ لَهُمْ فَتَى مِنْهُمْ: أَشْتَرِي مِنْكُمْ
لِمَتِي بِأَنْ أَقْتُلَ مِنْهُمْ حِينَ أَلْقَاهُمْ أَشَدَّهُمْ عَلَيْكُمْ فَتَرَكُوها لَهُ، فَلَمَّا التَقَى
الْفَرِيقَانِ قَتَلَ صَاحِبَهُ ثُمَّ قَتَلَهُ بَنُو بَكْرِ غُلَطًا فِيهِ. وَمِنْهَا يَوْمُ الْبَسُوسِ وَيَوْمُ
وَارِدَاتِ وَيَوْمُ الذَّنَائِبِ، وَقَالَ مُهْلَهْلٌ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:

أَلَيْتَنَا بِذِي حَسَمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ⁽¹⁾

وَفِيهَا يَقُولُ:

فَلَوْ نَبَشَ الْمَقَابِرَ عَنْ كَلِيبٍ فَيُخَبِّرُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زَيْرٍ
بِیَوْمِ الشَّعْثَمِينَ لَقَرَّ عَيْنَا وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ؟⁽²⁾

(وَكَانَ كَلِيبٌ يَقُولُ لَهُ زَيْرُ النِّسَاءِ، يَعَاتِبُهُ بِذَلِكَ). وَمِنْهَا قَوْلُهُ:

عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا مَا ضِيمَ جِرَانُ الْمَجِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا طَرَدَ الْيَتِيمَ عَنِ الْجَزُورِ

(1) ذُو حَسَمٍ: مَوْضِعٌ، وَتَحُورِي: تَرْجَعِي، وَالذَّنَائِبُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ كَلِيبٌ وَهُوَ بَنُجْدٌ. يَقُولُ: إِنْ كَانَ طَال لَيْلِي بِهَذَا الْمَوْضِعِ لَقَتُلُ أَخِي كَلِيبٌ فَقَدْ كُنْتُ أَسْتَقْصِرُ اللَّيْلَ وَهُوَ حَيٌّ.

(2) الشَّعْثَمَانُ: مَوْضِعٌ، وَقِيلَ هُمَا شَعْثَمٌ وَعَبْدُ شَمْسِ ابْنَا مَعَاوِيَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ ذَهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَتَلَهُمَا مُهْلَهْلٌ يَوْمَ وَارِدَاتِ.

على أن ليس عدلا من كليب إذا رجفَ العضاءُ من الدُّبورِ⁽¹⁾
على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مخبئة الخُذورِ

إلى أن يقول:

فلا وأبي جليلة ما أفانا من النعم المؤبل من بعير
ولكننا نهكنا القُوم ضربا على الأثباج منهم والنحور⁽²⁾

وهي طويلة. وفي هذه الحروب قتل همام بن مرة؛ وفيه يقول مهلهل:

وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمين من النُور⁽³⁾
ينوء بصدرة والرمح فيه ويخلجه خِـدب كالبعير⁽⁴⁾

وأسر الحارثُ مهلهلا فحلف لا يشرب حتى يَرد فحلٌ للحارث،
وكان الفحل يرعى في أرض فيها الحُلاب - وهي شجرة إذا رعتها الإبل
صبرت عن الماء - فلما كاد مهلهل يموت عطشا أرسلت بنو بكر من يأتي
بالفحل قبل ظمئه، فما شرب مهلهل حتى أتوا بالفحل.

وكانت تحت كليب جليلة بنت مرة، أخت جساس، وله منها بنت
اسمها بديلة؛ ولها يقول مهلهل في قصيدته:

(1) رجف: تحرك حركة شديدة. والعضاء: كل شجر له شوك، واحدها عضة. والدبور: الريح الشمالية الغربية. واضطراب العضاء منها يدل على شدة البرد وهو موسم للإطعام.
(2) الأثباج: الأوساط. وبعده:

نكبُ القوم للأذقان صرعى وناخذ بالترائب والصدور
تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير
كأنا غـدوة وبني أبينا بجانب عنيزة رحيا مـدير .. الخ.

(3) القشعمين: تشية قشعم، وهو الهرم من النُور أو الذكر العظيم منها.

(4) يخلجه: يجذبه، والخدب: الضخم.

وتسألني بديلة عن أيها ولم تعلم بديلة ما ضميري!

والخالة: اسمها البسوس بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. والأبى: جساس لأنه أبى الضيم؛ ومن إبائه قتله كليبا.

وَوَضَحُ يَسْتُرُهُ فِي رُكْبَتِهِ أَبْرَزُهُ نَجَاءَهُ مِنْ فَتْكِهِ
وَأُمُّهُ هَائِلَةٌ ذَاتُ الْمَثَلِ إِحْسَانًا أَوْ إِسَاءَةً قَدْ احْتَمَلُ

الوضح: البرص. وأبرزه: أظهره. والنجاء: التخلص⁽¹⁾. والفتكة: من فتك به: إذا انتهز منه فرصة فقتله. وهائلة: بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وسميت بهائلة لهذه القصة حتى أغفل اسمها الأول.

وقصتها: أن ضيفا لها وجدها جاعلة فم جرابه في جراب لها وكلا الجرابين فيه دقيق، فقال: ما تصنعين؟ فقالت: أهيل لك، قال: مُحْسِنَةٌ فهيلي! فسارت مثلا يُضْرَبُ لمن يؤمر بالفعل السيئ على سبيل الاستهزاء، لأن الضيف يزعم أنه وجدها تسرق من زاده في جرابها فلما رآته جعلت تهيل في جرابه. وقوله "مُحْسِنَةٌ فهيلي": يحتمل أنه على ظاهره، ويُحْتَمَلُ أنه هازئ بها.

وَابْنُ كَلِيبٍ هَجَرِسُ الْأَنْفَاسِ فِي صَدْرِ زَوْجِهِ عَلَى جَسَّاسٍ
. وَالِدِ زَوْجِهِ وَخَالِهِ عَدَا وَبَعْدَهُ ابْنًا وَائِلًا مَا اجْتَلَدَا
وَعَلِبَتْ تَغْلِبُ حَتَّى كَلَّمُوا فِي الْأَرْضِ حَارِثًا عَسَاهُ يَرْحَمُ!

(1) وهو منصوب على الظرفية، أي أظهره وقت نجائه..

الهجرس (كزبرج): اسم ابن كليب من جليلة بنت مرة، وهي كلمة يذم بها؛ قال أسيد بن حضير لعامر بن الطفيل وأربد بن قيس لما أغلظا الكلام للنبي ﷺ: اخرجنا أيها الهجرسان. وأصله للدب والقرد ونحوهما، وإضافته للأنفاس من إضافة الموصوف للصِّفة نحو "عمر الفتوح" و"زيد الخيل"، أي هجرس ذو الأنفاس. وعلى حساس: متعلق بَعْدًا بعدُ في البيت الثاني. وابنا وائل: تغلب وبكر. واجتلدا: تضاربا، أي اقتتلا.

ومعنى الأبيات السبعة أن بكرا وتغلب ابني وائل بن قاسط مكثا على الحرب أربعين سنة من أجل أن قتل حساس بن مرة كليب بن ربيعة، لأجل قتله ناقة البسوس، خالة حساس الأبى عن الضيم. ولما قتله وهرب - من أجل قتله له - بدأ برص في ركبته حتى رآته أخته فعرفت أنه ما برز إلا لشر. وأم حساس هائلة التي ورد فيها المثل المحتمل للإساءة أو الإحسان. وآخر الحروب بينهم أن عدا - أي وثب - الهجرس بن كليب على حساس فطعنه بالرمح فقتله؛ وكان رباه إلى أن أدرك فزوجه بنته، فكان خاله وصهره على بنته. فلما علم بالخبر: أن خاله حساسا وأبا زوجته هو قاتل أبيه، أسرج فرسه وربطه قريبا، وبات كئيبا لم يدخل على زوجته ولم يكلم أحدا؛ إلى أن كان في بعض من الليل دخل عليها وتنفس بين ثدييها فنقط محل نفسه منها، فخرجت مسرعة إلى أبيها فأخبرته وقالت: والله لقد وجدت حرارة نفسه بين كتفي، فقال: ثائر ورب الكعبة. فلما أصبح حساس جمع قومه، فبعثوا إليه فأتاهم على فرسه في سلاحه، فتكلم له حساس فقال: هذا أمر كان فيه وكان.. ومات فيه فلان وفلان..

فأمهله حتى أتم كلامه ثم قال: وفرسي وأذنيه، وسرجي وركابيه،
وسيفي وغراريه، ورمحي وزجيه، لا يسلم المرء قاتل أبيه، وهو ينظر إليه.
فطعنه بالرُمح ولحق بأهله، وهو آخر قتيل بينهم بعد أن غلبت تغلب وبرؤوا
قسم الحارث بن عباد بأن حفرُوا سرباً في الأرض وجعلوا فيه رجلاً وقالوا
له: إذا مرَّ بك الحارث فأنشده:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ولمَّا اعتزل الحارث الحرب عَرَّضَ به سعدُ بن مالك بن قيس بن ثعلبة
- جد طرفة بن العبد بن سعد - فقال:

أراهـط فاستراحوا	يا بؤس للحرب التي وضعت
التَّخْيُّـل والمِـراح ⁽¹⁾	والحرب لا يبقى لجاحمها
ت والفرس الوقاح ⁽²⁾	إلا الفتى الصبار في النجدا
فأنا ابن قيس لا براح ⁽³⁾	من صد عن نيرانها

فلما انتهت الحرب قال له الحارث: أتراني ممن وضعت الحرب؟ فقال:

(1) جاحمها: مثيرها، والتخيـل: التكبر، والمراح: النشاط، أي أن الحرب تكف حدة البطر
النشط وهو تعريض بالحارث.

(2) الفرس الوقاح: الصلب الحافر.

(3) لا براح: لا ريب. وبعده:

المـوت غايتنا فلا	قصر ولا عنه جماح
وكأنمـا ورَدُ المنية	عندنا ماء وراح

لا ولكن لا عطر بعد عروس⁽¹⁾، فأرسلها مثلاً⁽²⁾.

عَمْرَوُ بْنُ كُثُومٍ وَالْأَخْطَلُ أَنْسَبُ إِلَى الْأَرَاقِمِ وَجُوهُ تَغْلِبِ

يعني أن من الأرقام - وهم قبائل من تغلب⁽³⁾ (جشم بن بكر ومالك بن

(1) هو مثل يضرب لمن لا يُدَّخر عنه نفيس، وأول من قاله أسماء بنت عبد الله العذرية؛ كان لها زوج من بني عمومتها اسمه "عَرُوس" ومات عنها فتزوجها رجل من قومها أعسر أبخر بخيل دميم اسمه نوفل. فلما أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لي رثيت ابن عمي وبكيت عند رمسه، فقال: افعلي، فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلبا في أهله وأسدًا عند الباس، مع أشياء ليس يعلمها الناس. فقال: وما تلك الأشياء؟ فقالت: كان عن الهمة غير نَعَّاس، ويُعْمِلُ السيفَ صبيحات أناس. ثم قالت: يا عروس الأغرُّ الأزهر، الطيب الخيم الكريم المحضر، مع أشياء لا تذكر. فقال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيُوفًا للخنا والمنكر، طيب النكحة غير أبخر.. أيسر غير أعسر! فعرف الزوج أنها تعرض به، فلما رحل بها قال: ضُمِّي إليك عطرِك - وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة - فقالت: لا عطر بعد عروس، فذهبت مثلاً. والقشوة (بفتح فسكون): قفة تجعل فيها المرأة طيبها أو هنة من خوص تجعل فيها القطن والقر والعطر. قال الشاعر:

لَهَا قَشْوَةٌ فِيهَا مَلَابٌ وَزَنْبَقٌ إِذَا عَزَبَ أَسْرَى إِلَيْهَا تَطْيًا

ويقال أيضا: "لا مخبأ لعطر بعد عروس"، وأصله أن رجلا يقال له "عروس" تزوج امرأة، فلما هُدِيت إليه وجدها تلفة فقال لها: أين عطرِك؟ فقالت: خبأته فقال لها: لا مخبأ لعطر بعد عروس. وقيل بل قالته بعد موته فذهبت مثلاً.

(2) ولما ذكر بني وائل، وجره ذلك إلى ذكر الحرب التي وقعت بين ابنه تغلب وبكر، أخذ يذكر بعض مشاهير الحيين، وبدأ بتغلب لقلة كلامه عليها، فقال رحمه الله:-

(3) الأرقام ستة أحياء من تغلب وهم: جشم وعمرو ومالك وثلعة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب (بصيغة التصغير) بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، سموا بذلك لأنهم لما ترعرعوا آنس منهم أبوهم جراءة وحدة فقال لغلام له: إذا جاء الليل فاستغث حتى أنظر ما يصنع أولادي هؤلاء. فذهب إلى حيث أمره فاستغاث؛ فسمعوا صوته وقصدوه وقالوا:

<<=

بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب) عمرو بن كلثوم والأخطل،
واسمه غياث بن الغوث بن الصلت. وكلثوم هو ابن مالك بن عتاب بن
سعد بن زهير بن جشم التغلبي. وأم عمرو بن كلثوم: ليلي بنت مهلهل بن
ربيعة⁽¹⁾. لما وُلِدَتْ أُمُّرُ أبوها مهلهلٌ أمَّها أن تَبْذُلَها فغيبتها، فلما نام هتف
به هاتف يقول: كم من فتى مؤمل، وسيد شمرذل، وعدة لا تجهل، في
بطن بنت مهلهل. فاستيقظ فقال: يا هندُ أين بنتي؟ قالت: قتلتها، قال:
كَلَّا وإله ربيعة - فكان أول من حلف بها - فاصدقيني فأخبرته فقال:
أحسني غذاءها. فتزوجها كلثوم فلما حملت بعمرو قالت: أتاني آت في
المنام فقال:

يا لك ليلي من ولد يقدم إقدام الأسد
من جشم فيه العدد أقول قولاً لا فند

فولدت عمرو بن كلثوم، فلما أتت عليه سنة قالت: أتاني ذلك الآتي في
الليل فأشار إلى الصبي وقال:

إني زعيم لك أم عمرو بماجد الجد كريم النجر
أشجع من ذي لبدة هزبر يسودهم في خمسة وعشر

--- >>

ويلك ما دهاك وأين القوم وأقبلوا يتحاذبونهم حتى جاء أبوهم فقال له: كف عني
بنيك فإن عيونهم عيون الأراقم فقد كادوا يقتلونني، فسموا بذلك. وقيل لأن امرأة دخلت
على أمهم وهم نيام ورؤوسهم خارجة من قطيفة فقالت: كأن عيونهم عيون الأراقم
فسموا به. [خزانة الأدب: 337/4].

(1) وكان عمرو هذا يكنى أبا الأسود، وهو سيد بني تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب
وشعرائها المجيدين للفخر، اشتهر بمعلقته المشهورة، وهو أحد الذين اشتهروا بقصيدة
واحدة، كالحارث بن حلزة، وكان شجاعاً هماماً خطيباً جامعاً لخصال الشرف.

فكان كما قال. وعاش مائة وخمسين سنة، وهو قاتل عمرو ابن هند.
وسبب قتله له أن عمرو بن هند قال يوما: هل من العرب من تأنف
أمه من خدمة أُمي؟ فقليل له: لا أبيت اللعن، لولا أمُّ عمرو بن كلثوم.
فبعث إليه أن يأتيه بأمه: أنادمك وتنادم أُمي أمك.. وتلطف له إلى أن وفد
عليه بأمه، فقال عمرو لأمه هند: احتالي في أن تخدمك أم عمرو بن
كلثوم، فأوتها إليها وأكرمتها. ثم دعت هند ماشطة تمشط لها رأسها
فسرحته، ثم قالت لليلي إيتني ببخور أو بكذا، فقالت: لتقم صاحبة
الحاجة لحاجتها، فلطمتها هند، فصاحت ليلي: وا ذلا لأمك يا عمرو!،
وكان مع عمرو ابن هند؛ فأخذ السيف وأبان به رأسَ عمرو ابن هند
ولحق بأهله مع أمه؛ وفي ذلك يقول قصيدته:

ألا هُي بصحنك فاصبحنا ولا تبقي خمُورَ الاندرينا
مشعشةً كأن الحَصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخيُنا

إلى أن قال:

بأي مشينة عمرو ابن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
فإن قناتنا يا عمرو أغويت على الأعداء قبلك أن تلينا

وهي قصيدة طَوِيلَةٌ من قصائد العرب المستحسنات يذكر فيها شجاعته
وكرمه ويذكر فيها أيضا حروب ابني وائل، وهي التي يعني الشاعر بقوله:
ألهي بني جُشم عن كل مكرمة قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم⁽¹⁾

(1) بعده: يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤول

وَأَمَّا الْأَخْطَلُ فَسَمِي بِذَلِكَ لَكِبَرِ أُذُنَيْهِ، يُقَالُ شَاةٌ خَطْلَاءٌ إِذَا كَانَتْ
عَرِيضَةً الْأُذُنَيْنِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ لَقِيَ كَعْبَ بْنَ جَعِيلٍ وَهُوَ غَلَامٌ فَقَالَ كَعْبُ:
كُوجِهْ ذَا الْفَلَامِ غَمَّ الْحَمَةِ

فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

وَنَاكَ كَعْبُ بْنُ جَعِيلٍ أُمَّةٌ

فَقَالَ كَعْبُ: قَبْحَكَ اللَّهُ مَا أَخْطَلَكَ فِي كَلَامِكَ؛ وَخَطَلَ الْكَلَامُ: كَثِيرُهُ
الْفَاسِدُ.

وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ مِنْ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ الْمَقْدَمِينَ
عَلَى غَيْرِهِمْ كَجَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ وَذِي الرِّمَّةِ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَانَ أَبُو عَمْرٍو
يُشَبِّهُ جَرِيرًا بِالْأَعَشَى وَالْفَرَزْدَقَ بِزَهِيرٍ وَالْأَخْطَلُ بِالنَّابِغَةِ. وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: أَرَاكَ تَكْثُرُ ذِكْرُ الْخَمْرِ فِي شَعْرِكَ وَنَشْرُكَ وَأَوَّلَهَا مَرَارَ
وَأَخْرَهَا خَمَارًا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ بَيْنَهُمَا سَاعَةٌ لَا نَبِيعُهَا بِمَمْلُوكِكَ، وَأَنْشَدَ:

إِذَا مَا نَدِيمِي عَلَنِي ثُمَّ عَلَنِي	ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرٌ
عَقَارُ كَعِينِ الدِّيكِ صَافٍ كَأَنَّهُ	لَعَابُ جَرَادٍ فِي الْفَلَاةِ يَطِيرُ
خَرَجْتَ أَجْرَ الذَّيْلِ تَيْهَا كَأَنِّي	عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ

يَعْنِي وَانْسَبَ عَمْرٍو بَنَ كُلْثُومٍ وَالْأَخْطَلُ إِلَى الْأَرَاقِمِ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ
وَتَقْدَمُ ذِكْرُ الْأَرَاقِمِ وَهُمْ وَجْوهُ تَغْلِبَ وَإِيَاهُمْ يَعْنِي عَمْرُؤُ بَنَ كُلْثُومٍ بِقَوْلِهِ:

--- >>

إِنَّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ كَسَاعِدٍ فَلَهُ الْأَيَّامُ مَخْطُومٌ

وَكَانَ عَمْرٍو يُخْطِبُ بِقَصِيدَتِهِ هَذِهِ بِعُكَاظٍ وَغَيْرِهَا وَحَفَظَهَا بَنُو تَغْلِبَ وَأَكْثَرُوا مِنْ
رَوَايَتِهَا لِذَلِكَ قَالَ فِيهِمُ الشَّاعِرُ أَيْيَاتُهُ هَذِهِ: أَلْهَى بَنِي تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ..إِلْخ.

برأس من بني جشم بن بكر نـدق به السهولة والحزونا .. إلخ.
 أي بني بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب، لا بكر بن وائل.
 ومن الأرقام أيضا عمير بن شهيم⁽¹⁾ القطامي، ولقب به لقوله:
 يَصُكُّهُنَّ جَانِبًا فْجَانِبًا صك القطامي القطا القواربا⁽²⁾
 والقطامي: الصَّقَر (من القطم وهو شهوة الجماع وشهوة اللحم)،
 والقطامي بالفتح والضم. ولُقِّبَ أيضا صريع الغواني لقوله:
 صريع غَوَان راقهن ورُقْنَهُ لدن شب حتى شاب سودُ الذوائب
 ثم قال رحمه الله:

وَسَيْفَ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى بَنِي حِمْدَانِهَا الْأَكْيَاسِ

سيف الدولة: علي بن أبي الهيجاء بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن
 لقمان بن راشد. والضمير في حمدانها: لتغلب. والأكياس: جمع كَيْسٍ
 (كجَيْدٍ) وهو الظريف، أو جمع أكيس للعاقل الجواد.

(1) ابن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن ملك بن بكر التغلبي، كان شاعرا إسلاميا
 حسن التشبيب بالنساء رقيقه وكان كثير الأمثال في شعره، ومن شعره:

ومن تكن الحضارة أعجبته فأني رجال بادية ترانا
 ومن ربط الجحاش فإننا فينا قننا سلبا وأفراسا حسانا
 وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا
 أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا
 وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

(2) القوارب: السوائر بالليل للورود غدا.

يعني وانسب إلى بني تغلب سيف الدولة، أي دولة بني العباس، وهو من بني حمدان؛ ويقال لهم قريش تغلب. ثم وصفهم بالكيس وهو العقل والجلود⁽¹⁾. وسمي سيف الدولة لإفادته لهم وحمايته لدولتهم، وهو في زمن المتقي بالله، ولاه على الشام وحلب. وله يقول المتنبي (أحمد بن الحسين⁽²⁾):

حلب قصدنا وأنت السيل⁽³⁾ ...

(1) قال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر: كان بنو حمدان ملوكاً أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، مشهور بسيادتهم وواسطة قلاذتهم وقبله الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء وكان أدبياً شاعراً، وقد اشتهرت مدائح المتنبي فيه، ومما مدحه به قصيدته التي مطلعها:

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيع الخود مني لماجد
يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

إلى أن يقول:

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهئت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد
وأنت أبو الهيجا بن حمدان بابنه .. إلخ.

(2) من قصيدة يمدحه بها:

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت السيل
فيك مرعى جياننا والمطايا وإليها وجيفنا والذميل
والمسمون بالأمير كثير والأمير الذي بها المأمول .. إلخ.

(3) يقول كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما بيدي من حسنه وما يستميلنا به من وروده وأزهاره فكأنه يدعونا للنزول به، اعتذرنا إليه وقلنا له: لا نقيم عندك لأن قصدنا حلب - مقام سيف الدولة - وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيباً.

ودار مملكته "مَنْبَج" (بفتح الميم وكسر الباء آخره جيم)، وله يقول:

قِيلَ بِمَنْبَجٍ مَثَوَاهُ وَنَائِلُهُ
وَأَكْثَرُ مَدَائِحِ الْمُتَنَبِّي فِيهِ؛ وَلَهُ يَقُولُ:

وَأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَا ابْنُ حَمْدَانَ بَابْنِهِ
فَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَمْدُونَ حَارِثٌ
تَشَابَهَ مَوْلُودُ كَرِيمٍ وَوَالِدُ
وَحَارِثٌ لَقِمَانٌ وَلَقِمَانٌ رَاشِدٌ⁽¹⁾

(1) بعده: أَوْلَيْتُكَ أُنْيَابَ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا
أَحْبَبْتُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
وَأَنْ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ
وَمَنْ غَرَّرَ مَدَائِحَهُ فِيهِ لَامِيَّتُهُ الَّتِي مَطْلَعُهَا:
أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طُلُوعِ
ظِلِّكَ بَيْنَ أَصْحَابِي أَكْفَكَفَهُ
إِلَى أَنْ يَقُولُ:

وَمَنْ عَلِيٌّ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي
مَعْطَى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاحِ وَالْـ
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهَ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ
مَنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ
وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تَنْجِدُهُ
لَيْتَ الْمَدَائِحُ تَسْتَوِي فِي مَنَاقِبِهِ
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ
إِنْ الْهَمَامُ الَّذِي فَخَرُ الْأَنَامِ بِهِ
بِحَمْلِهِ مَنْ كَعْبَدَ اللَّهَ أَوْ كَعَلِي
بِيضُ الْقَوَاضِبِ وَالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ
مَلَأَ الزَّمَانَ وَمَلَأَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
وَالْبَرَّ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرَ فِي خُجَلٍ
وَمَنْ عَدِيٌّ أَعَادِي الْجَبِينِ وَالْبَخِلِ
بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخُطْلِ
فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ؟
فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زَحْلِ
فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
خَيْرَ السُّيُوفِ بِكَفِي خَيْرِ الدُّوَلِ

ومات بمنبج، من عسر البول، في انسلاخ المائة الرابعة⁽¹⁾.

وَمِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ حَنِيفَةَ ابْنِ لُجَيْمِ فِتَّةٌ سَخِيفَةٌ

ولجيم (بالجيم على المشهور): تصغير لُجَم (كصرد) لدوية - وقيل

بالحاء - ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهو أبو حنيفة وعجل.

والفتة: الطائفة. والسخيفة: من سخافة العقل وهي دقاقتها.

>> - -

تمسي الأمانى صرعى دون مبلغه ولا يقول لشيء: ليت ذلك لي... إلخ.

ويقول فيه من قصيدة أخرى:

أرى كل ذي ملك إليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول

إذا مطرت منهم ومنك سحاب فوابلهم طل وطلك وابل

كريم متى استوهبت ما انت راكب وقد لقحت حرب فإنك نازل... إلخ.

ويقول فيه وكان قد عاده في مرض:

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومن فوقها والبأس والكرم المحض

وكيف انتفاعي بالرقاد وإنما بعثته يعتل في الأعين الغمض

شفاك الذي يشفي بجودك خلقه فإنك بحر كل بحر له بعض

ويقول فيه:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانهلست بها الديم

وراجع الشمس نور كان فارقها كأنما فقدته في جسمها سقم

ولاح برقك لي من عارضي ملك ما يسقط الغيث إلا حين يتسم

يُسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشبه المخدم والخدم... إلخ.

(1) ولما أنهى الكلام على بني تغلب شرع يتكلم على بني بكر بن وائل بادئا ببني حنيفة، فقال رحمه الله:

افتراءات مسيلمة الكذاب وشؤمه

يعني أن من بني بكر بن وائل⁽¹⁾ بني حنيفة بن لجيم، وهم فئة حمقاء لتصديقهم مسيلمة أخاهم، مع ما يشاهدون من كذبه وشؤمه وركاكة ترهاته التي يدعي لهم أنها قرآن كقوله - لعنه الله -: "والطاحنات طحنا.." إلى آخرها - فُضَّ فُوهُ -، و"الفيل وما الفيل.."، و"يا ضفدع بنت ضفدعين..".

(1) أولاد بكر بن وائل أربعة: عليّ ويشكر وعوف وبدر، ولم يذكر في النظم إلا ما تفرع من عليّ. أما يشكر فمنهم الفارس المشهور والسيد المذكور الحارث بن عباد، ومنهم أبو جلدّة بن عبيد الله بن غنم بن حبيب من شعراء الدولة الأموية. وأما عوف فمنهم حمل بن يزيد بن عوف بن بكر، كان له فرس اسمه خِصاف (بوزن كتاب) فطلبه منه المنذر بن قيس ليستفحله فخصاه بين يديه بحربة فسمي "خاصي خِصاف" وفيه المثل: "أجرأ من خاصي خِصاف". وأما بدر فدخل في يشكر. وأما علي فمنهم بنو حنيفة وبنو عجل وبنو عكابة بن صعب، وذكر الناظم بعض مشاهير علي هؤلاء. ومن شعر أبي جلدّة اليشكري هذا قصيدته التي يمدح بها مسمع بن مالك بن مسمع ويفتخر فيها حيث يقول:

غدت تلوم على ما فات عاذلتي	وقبل لسؤمك ما أغيت من منعا
مهلاً ذريني فإنني غالف خلقي	وقد أرى في بلاد الله متسعا
مجدي تليد وما أنفقت يُخلفه	سيسبُ الإله وخيرُ المال ما نفعا
ما عضيّ الدهر إلا زادني كرمًا	وما استكنتُ له أن جار أو خدعا
ولا تُلينُ من عُودي غوامزه	إذا المغمّز منها لآن أو خضعا
ولا أختل رب البيت غفلته	ولا أقولُ لشيء فات ما صنعا
ما يسر الله من شيء قنعتُ به	ولا أموتُ على ما فاتني جزعا

الخ..

ومن شؤمه أنه تفل لقوم في بئر لهم يريدون التبرك بريقه، فملح مأوها حتى لا ينتفع به، ومسح على رأس صبي فقرع قرعا فاحشا، ومسح على عيني رجل، استشفاء بمسحه، فابيضت عيناه. وأتاه رجل فقال له: يا نبي إن لي مالا كثيرا ولي ابنان أحب أن تدعو لهما فيرثا مالي، فقال: سأدعو لك حتى يطول عمرك ويعيشا بعدك كثيرا، فدعا له؛ فذهب إلى أهله فوجد أحدهما قد سقط في البئر ومات والثاني أكله الذئب، وقالت امرأته والله ما دعاء محمد كدعاء مسيلمة.

ومن فحشه وشؤمه أن وضع عنهم القرآن وأحل لهم الزنى وشرب الخمر، وأمهر سجاح بصلاتي العشاء والصبح! وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بالنبوة، لأنه جاء في وفد بني حنيفة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رجعوا إلى أهلهم ادعى أن النبي ﷺ أشركه في الأمر، فصدقوه إلا القليل. وبعث إليه النبي ﷺ حبيب بن زيد بن عاصم - أمه نسيبة بنت كعب - فأخذه وقطعه عضوا عضوا، كلما قطع عضوا سأله: أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله فيقول: إني أصم، فيقطع عضوا حتى قتله؛ فقتل مسيلمة أخو حبيب عبد الله بن زيد مع وحشي بن حرب، وفي ذلك يقول:

ألم تر أنني ووحشيهم	قتلنا مسيلمة المفتن
ويسألني الناس عن قتله	فقلت: ضربت وهذا طعن

ولم يكن على المسلمين أشدُّ بلاءً من بني حنيفة، حتى قيل إنهم المراد

بقوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾⁽¹⁾، وهم أيضا المرادون بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽²⁾. ويسمى أبو بكر إمام الشاكرين، لأنهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

ومن بني حنيفة هوذة بن علي، ويقال له ذو التاج؛ لأنه ملك اليمامة - ملكه عليها كسرى - ويمدحه الأعشى⁽³⁾ بقصيدة يقول فيها⁽⁴⁾:

إلى هوذة الوهاب أَعْمَلْتُ نَاقِي أَرْجِي عَطَاءَ فَاضِلًا مِنْ نَوَالِكَا⁽⁵⁾

وَكُتِبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا مَعَ سَلِيطِ بْنِ عَمْرٍو⁽⁶⁾ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ،

(1) الفتح: 16.

(2) آل عمران: 144.

(3) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل البكري.

(4) وخرق مخوف قد قطعت بجسرة إذا الجبس أعيان يروم المسالك
قطعت إذا ما الليل كانت نجومه تراهن في جَوِّ السماء سوامكا
بأدماء حرجوج بریت سنامها بسيري عليها بعدما كان تامكا
إلى أن يقول: إلى هوذة.. إلخ..

(5) تجانف عن جل اليمامة ناقي وما قصدت من أهلها لسوائكا
أَلَمْتُ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاظَهُمْ قُلُوصِي وَكَانَ الشَّرْبُ مِنْهَا بِمَائِكَا
فَلَمَّا أَتَيْتَ آطَامَ جَوِّ وَأَهْلِهِ أُنِخْتُ وَأَلْقَيْتُ رَحْلَهَا بِفَنَائِكَا
ولم يسع في الأقوام سعيك واحد وليس إناء للندی كإنائكا.. إلخ..

(6) العامري، أخو سهيل بن عمرو.

فضنَّ بملكه ولم يسلم (أعاذنا الله من البلاء)، وقال: إن أعطاني محمد شيئاً من الأرض اتبعته، فقال له صلى الله عليه وسلم: «لو سألتني سيابة ما أعطيتها له»⁽¹⁾. وكان عالماً بصفات النبي ﷺ قرأها في الكتب؛ وقال حين قرأ كتاب النبي ﷺ:

أتاني سليط والحوادث جمة فقلت له ما ذا تقول سليط⁽²⁾

من قصيدة ذكرناها في خاتمة شرح الغزوات⁽³⁾

وَمِنْ حَنِيفَةِ أَبُو ثَمَامَةٍ وَأَبْنُ أَثَالٍ سَيِّدُ الْيَمَامَةِ

(1) ذكره زاد المعاد: (696/2)، وسيابة (بفتح السين والتخفيف): البلحة وجمعها: سياب - [لسان العرب، ونسب الحديث لأسيد بن حضير].

(2) فقال التي فيها عليّ غضاضة وفيها رجاء مطمع وقنوط

(3) لم تكن هذه الخاتمة التي أشار إليها الشارح موجودة في جميع نسخ شرحه للغزوات، والموجود منها خال من هذه القصيدة؛ فلعل ما أشار إليه هنا يعتبر من إنتاجه الذي ما زال في عداد المفقود. ومن هذه القصيدة قوله:

فقلت له غاب الذي كنت أجتلي	به الأمر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره	أبا النصر جأش في الأمور ربيط
فأذهب خوف النبي محمد	فهوذة فيه في الرجال سقيط
فأجمع أمري من يمين وشمال	كأنني ردود للنبال لقيط
وأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل	أتاك رسول للنبي خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح	عليه من أوبار الحجار غبيط
سكرت ودببت في المفارق وسنة	لها نفس على الفؤاد غبيط
أحاذر منه سورة هاشمية	فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تفجّلني يا سليط فإننا	نبادر أمرا والقضاء محييط

يعني أن من بني حنيفة بن لجيم أبا ثمامة، كنية اللعين مسيلمة الكذاب. ومنهم أيضا سيدنا ثمامة بن أثال الصحابي رضي الله عنه. قوله: سيد الإمامة: أي سيد أهل الإمامة بالكرم وقدم الصحبة، وهو القائل لمسيلمة حين ادعى النبوة:

مسيلمة ارجع ولا تمحك فإنك في الأمر لم تُشرك

في أبيات ينهاه عن دعوى النبوة ويكذبه ويهجوّه.

وتبعه ألف من بني حنيفة، لأنه سيدهم وهم أهل الإمامة، وهي مدينة شرقي مكة بالتوسط، وعلى ست عشرة مرحلة من البصرة وكذلك من الكوفة، وبها تنبأ مُسَيْلِمَةُ وبنى بها حديقته التي سماها "حديقة الرحمن"، فدخلها لما انهزمت جيوشه، فاقتحمها عليه المهاجرون والأنصار حتى قتلوه، وقتل فيها منهم كثير. ويُقالُ إِنَّ أَوَّلَ من اقتحمها عليه أبو دجانة وعباد بن بشر والبراء بن مالك.

وكانت الإمامة تُسمَّى جَوًّا، فلما استأصل تبَّعُ جديسا أخذ زرقاء الإمامة - وتقدّم بعضُ الكلام عليها في خبر جديس وطسم - فسألها عن سبب حدة بصرها؟ فقالت: أكتحل كل يوم بالاثمد، فسَمَلَ عينيها فإذا عُروقهما سود. وصلبها على باب جَوٍّ، وقال سموا جوا الإمامة، فسميت بها؛ قال عمرو بن كلثوم:

فأعرضت الإمامة واشمخرت كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مَصْلَتِينَا

ثم قال رحمه الله:

ثُمَّامَةُ عَلَى قُرَيْشٍ هَجَمًا مُلَبِّيًا وَالْمِيرَ إِذْ ذَاكَ حَمَى

ثمّامة: هو ابن أثال سيد اليمامة المتقدم ذكره. وهجم عليهم: دخل عليهم بغتة بلا إذن. وملبياً: قائلاً: لبيك، في حج أو عمرة. والمير: الطعام المجلوب، والميرة (بالكسر): جلبه. وحمى الشيء: منعه.

ثمّامة بن أثال وسبب إسلامه

يعني أن ثمّامة بن أثال رضي الله عنه هو أول من دخل مكة ملبياً، هجم على قريش بالتلبية، والحال أنه إذ ذاك منعهم أن يمتاروا من اليمامة حتى يُسلموا عن آخرهم. وذلك أنه لما أسلم قدم على قريش فقالوا له: أصبأت يا ثمّامة وتركت دين آبائك؟! فقال: لا أدري ما تقولون ولكن لا يصل إليكم شيء من اليمامة حتى تتبعوا محمداً ﷺ عن آخركم.

وسبب إسلامه أنه أخذته سرية النبي ﷺ إلى القروط (وهم: قُرط وقَرِيط وقَرِيط⁽¹⁾) بنو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أتت به السرية إلى النبي ﷺ أسيراً، ولم يعرفوه؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أتعرفون أسيركم هذا؟» قالوا: لا، قال: «هو ثمّامة بن أثال واستوصوا به خيراً»⁽²⁾.

فكانوا يأتونه مساءً بجفنة ثريد ويأكلها، وصباحاً كذلك؛ وفي الغنائم لقحة تملأ العُسَّ يحلبونها له فيشربها، فكان صلى الله عليه وسلم يغدو

(1) بوزن: قفل، وأمير، وزبير؛ وهم بطون من بني كلاب.

(2) سيرة ابن هشام.

عليه فيقول: «ما عندك يا ثمامة؟»⁽¹⁾. وأتاه يوما فقالها له، فقال: إن تقتل تقتل ذا دمٍ وإن تمنن تمنن على شاكرٍ وإن تسأل المال تُعْطَ منه ما شئت. ثم أتاه يوما آخر، فأعاد عليه المقالة، فأسلم وأمره أن يغتسل، وقال: «اللهم إن أكلة من لحم جزور أحب إلي من دمِ ثمامة»، فقال: يا رسول الله أخذتني سريتك وأنا معتمر أأتمُّ عمرتي؟ قال: «نعم إن شئت».

فلما أسلم أتوه بالجفنة فأصاب منها قليلا وأتوه بلبن اللقحة فكَذَلِكَ، فقال لهم النبي ﷺ: «أتعجبون من رجل أكل بالأمس وهو كافر في سبعة أمعاءٍ فأسلم فأكل في معيٍّ واحد» - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - وقيل ورد هذا الحديث في غيره - (اهـ بمعناه من عيون الأثر والروض الأنف وغيرهما)⁽²⁾.

وَابْنُ أَبِيهِ عَجَلُ الَّذِي رَنَتْ حَذَامُ أُمُّهُ الْقَطَا فَفَطَنْتُ
بِأَنْ أَثَارَهُ الْبَيَاتُ، وَأَبُو دَلْفِ النَّدْبِ إِلَيْهِمْ يُنْسَبُ

رنت: من الرنو (كالذُّنُو) وهو إدامة النظر بسكون الطرف ويتعدى بـ"إلى"، يقال: رنى إليه؛ وعدَّاه إلى القطا بحذف الخافض أو بتشريب الفعل مَعْنَى أبصر، أي أبصرت القطا. وحذام: (على وزن قطام) مبني على الكسر⁽³⁾:

وابنِ علي الكسر فعال علما ...

(1) البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد.

(2) ولما فرغ من الكلام على بني حنيفة أتبعه الكلام على بني عمهم بني عجل، فقال رحمه الله:

(3) قال محمد بن مالك في ألفيته:

وابنِ علي الكسر "فعال" علما مؤنثا وهو نظير جشما.. الخ.

وهي بنت حسن بن تيم العذرية، زوجُ لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والقطا: معروف وفيه المثل: "أهدى من القطا"، ويقال أنسب من قطاة، لأنها في طيرانها بالليل تقول: قَطًا قَطًا - وبذلك سميت - وهي من أكثر الطير ورودا في كلام العرب يسمون بها ويشبهون بها؛ واسم ذكورها القطامي وبه سمي عمير بن شهيم لقوله:

يصكهن جانباً فجانباً صك القطامي القطا القواربا
وأثاره: أنهضه وأطاره. والبيات: أهل التَّبييت، أي العدوُّ البائت يريد
تصبيح القوم بالغارة. وأبو دلف: الجواد المشهور والندب الظريف.
يقول ومن بني بكر أيضا: ابن أبي حنيفة، وهو لجيم - كما مرَّ - وابنه
عجل بن لجيم⁽¹⁾ وأمه حذام العذرية، التي يقول فيها زوجها لجيم:

(1) وعجل بن لجيم هذا كان من الحمقاء المعروفين، يحكى أنه كان له فرس جواد فقليل له:
لكل جواد اسم يعرف به فما اسم فرسك؟ فقال: لم أسمه بعد، فقليل له: سمه، ففقأ عينه
وقال: سمته الأعور! فضرب به المثل في الحماسة فقليل: "أحمق من عجل"، وفي ذلك يقول الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وأي امرئ في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده فصارت به الأمثال تضرب بالجهل؟

(وعار عينه: إذا فقأها).

ومن ضرب به المثل في الحماسة أيضا هبنقة وأبو غبشان وجحا وبيهس ومالك بن زيد مناة، فقالوا:
أحمق من هبنقة وأحمق من أبي غبشان وأحمق من جحا وأحمق بن بيهس وأحمق من مالك بن زيد
مناة. وضربت العرب أيضا المثل في الحماسة بالبهايم والطير وغيرهما، فقالوا: أحمق من الضبع،
وأحمق من ذبابة؛ قيل لأنها ترضع ولد الضبع. وأحمق من نعجة على حوض، لأنها إذا وردت الماء
أكبت عليه ولا تنثني، وأحمق من حمامة لأنها لا تصلح عشها وربما سقط بيضها فانكسر وقد
تبيض على الأوتاد فيقع البيض. وأحمق من نعامة لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت
بيضها. وأحمق من رخمة. وأحمق من كروان، لأنه إذا رأى إنسانا سقط على الطريق فيأخذه. ومن
الموصوف بالحمق الحبارى والطاووس والزرافة والبعير.

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وذلك⁽¹⁾ أن مر بها القطا - ليلا - طائرا، ففطنت له فإذا هو غير وارد ولا
ثائر لشيء ذلك الوقت؛ فقالت لزوجها: قُمْ الآن وارتحل، فقال: ولم؟
قالت: "لو ترك القطا ليلا لنام" - وأرسلتها مثلا - والله ما أثار هذا القطا
إلا العدو مبيتكم، فذكر زوجها ذلك للحي فلم يعبأوا به، وارتحل هو
ذلك الوقت فصبح الجيش الحي، وسلم هو ومن معه؛ فقال: إذا قالت
حذام.. إلخ، وصارت مثلا.

وأبو دُلف: هو القاسم بن محمد العجلي، من أمراء بني العباس، مشهور
بالجود، ومدحه الشعراء كثيرا. ومن مدحه أبو تمام، ومن مدحه له قصيدته
التي منها⁽²⁾:

(1) أن حربا وقعت بين حيها وحي آخر، فأراد عدوُّ حيها بياتهم بالغارة فسار ليلا فأثار القطا
ففطنت له..

(2) ودَّعْ فُؤادَكَ توديع الفراق فما أراه من سفر التوديع منصرفا
يجاهد الشوق طورا ثم ترجعه مجاهدات القوافي في أبي دلفا
بجوده انصاعت الأيام لابسة شرح الشباب وكانت حلَّة شرفا
حتى لو ان الليالي صورت لغدت أفعاله الغر في آذانها شنفا

إلى أن يقول:

وغيضة الموت أعني البدَّ قُدتْ لها عرمرما لحزون الأرض معتسفا
كانت هي الوسط الممنوع فاستلبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طرفا
فظل بالظفر الإفشين مرتديا وبات بأبكها بالذلِّ ملتحفا
أعطى بكلتا يديه حين قيل له هذا أبو دلف العجلي قد دلفا

إلى أن قال: نامت همومي... إلخ.

نامت هُمومي عني حين قلت لها حسبي أبو دلف حسبي به وكفى⁽¹⁾
 ومن جوده وحلمه أنه وفد عليه شاعر تميمي، فلما دخل عليه قال له:
 من أنت؟ قال: من تميم، فأنشد أبو دلف:
 تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبُل المكارم ضلّت
 فقال التميمي: بتلك الهداية أتيتك! فحجل أبو دلف وأحسن جائزته. ومما
 قيل فيه:

إنما الدنيا أبو دلف بين مَبْداه ومحتضره
 فإذا ولي أبو دلف ولّست الدنيا على أثره⁽²⁾

(1) وله يقول دعبل الخزاعي من قصيدة:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على يدك بخير يا أبا دلف
 أعطى أبو دلف والريح عاصفة حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف.. الخ.
 (2) كل من في الأرض من عرب بين بادييه إلى حضره
 مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره
 ولعبد الله بن محمد البواب في مدح أبي دلف:
 طرقتك صائدة القلوب رباب ونأت فليس لها إليك مآب
 وتصرمت منها العقود وغلقت من دون نيل طلابها الأبواب
 فلاصدفن عن الهوى وطلابيه فالحب فيه بلية وعذاب
 وأخص بالمدح المهذب سيّدا نفحاته للمجتدين رغب
 وإلى أبي دلف رحلت مطيقي قد شفاها الإرقال والإتعاب
 تعلو بنا قُلل الجبال ودونها مما هوت أهوية وشعاب
 فإذا حللت لدى الأمير بأرضه نلت المنى وتقضت الآراب
 ملك تأثّل عن أبيه وجده مجداً يُقصر دونه الطلاب

وإذا وزنست قديم ذي حسب به خضعت لفضل قديمه الأحساب
قوم علوا أملاك كل قبيلة فالناس كلهم لهم اذئاب
ضربت عليه المكرمات قباها فعلا العمود وطالت الأطناب
عقم النساء بمثله وتعطلت من أن تضمن مثله الأصلاب

ويقول آخر:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجدا جوادا كريما راجح الحلم سيّدا
أبو دلف الخيرات أندهم يدا وأبسط معروفًا وأكرم محتدا
تراث أبيه عن أبيه وجده وكل امرئ يجري على ما تعودا .. إلخ.

ويقول آخر من قصيدة في مدحه:

لولا ابن عيسى القرم كنا هملا لم يؤثّل مجد ولم يرع حسب
ولم يقم في يوم بأس وندى ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكاد تبدي الأرض ما تضمّره إذا تداعت خيله: هلاً وهباً!
ويستهل أملاً وخيفة جانبها إذا استهلّ أو قطب
وهو وإن كان ابن فرعي وائل فبمساغيه ترقى في الحسب
وبُعلاءه وُعلاء آبائه تحوى غداة السبق أخطار القصب
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى ويا مجير الرعب من يوم الرهب
لولاك ما كان سدّى ولا ندّى ولا قريش عرفت ولا العرب .. إلخ.

طريقة: حكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة أبي دلف: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البخترى وهب بن وهب القرشي الأسدي وفتى من ولد أبي دلف العجلي، فقال المبرد لابن أبي البخترى: أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم لم يسبق إليها، قال: وما هي؟ قال: دُعِيَ رَجُلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم:

نبيذان في مجلس واحدٍ لإيثارٍ مُثّرٍ على مُقْتِرٍ

وقبيلته من عجل، بنو دلف بن جشم بن قيس؛ منهم عمير بن المهتجر
الشاعر، والأغلب بن جعشم المعمر القائل:

طول الليالي أسرع في نقضي نَقَضْنَ كُلِّي وَنَقَضْنَ بَعْضِي

وهما صحابيان. وصحب غيرهما من بني عجل: أبو سفيان بن الحارث
ومعتب بن قشير العجليان وجماعة أخرى من الصحابة. (أه من الحلة السرا
بعضه). ومنهم أبو النجم الشاعر المشهور⁽¹⁾، ذكره الذهبي في الصحابة.

وَدَغَةَ أُمُّ بَنِي الْجَفَرَاءِ بَلَعَنَبِرِ بْنِ عَمْرِو الْغَوْغَاءِ

--- >>

فلو كان فعلك ذا في الطَّعَامِ لزممت قياسك في المُسْكِرِ

ولو كنت تطلبُ شأوَ الكرام صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتَرِي

تتبعَ إخوانه في البلادِ فأغنى المقلَّ عن الكثيرِ

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عَمَّار فقلت له: قد فعل جد
هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا، قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أن رجلاً
افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته: افترض في الجند فقال:

إليك عني فقد كلفني شَطَطًا حَمَلَ السَّلَاحِ وَقَوْلِ الدَّارِعِينَ قِفْ

أمن رجال المنايا خلّتي رجلاً أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التلف

تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها بارز الكتف

حسبت أن نزال القرن من خلقي أو أن قلبي في جنبي أبي دلف!

فأحضره أبو دلف ثم قال: كم أمّلت امرأتك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار، قال:
وكم أمّلت أن تعيش، قال: عشرين سنة، قال: فذلك علي ما أمّلت امرأتك في مالنا دون
مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه. قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي
البختري انكساراً شديداً - [أه منه].

(1) ذو الأراجيز واسمه فضل بن عبد الله بن عبيدة العجلي.

يُقول: ومن بني عجل دغة بنت منعج (وهي بفتح الدال، وقيدها ابن خلكان بكسرهما)، وهي أم العنبر بن عمرو بن تميم، ويقال لبيه بلعنبر بنو الجعراء، لأنَّ أمَّهم - دغة - لما ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت في بعض الغيطان، فولدت وانصرفت تُقدِّرُ أنها تغوطت، فقالت لضررتها: يا هنتاه.. هل الجعر يفتح فاه؟! قالت: نعم ويدعو أباه! فَمَضَتْ ضررتها وأخذت الولد، فلذلك سمي بلعنبر بنو الجعراء.

والغوغاء: الضَّعَافُ، وأصله شيء كالبعوض لا يقدر على العض لضعفه، فشبه به ضعاف الناس - (أهـ من القاموس).

وَلِعُكَابَةُ بْنُ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ سَلِيلِ بَكْرِ ابْنِ وَاثِلِ الْعَلِيِّ
ثَعْلَبَةُ، وَتَحْتَهُ الْبُرْشَاءُ أُخْتُ بَنِي ثَغْلَبَ وَالْجَذْمَاءُ

يعني أن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل: تحته البرشاء، واسمها رقاش بنت الحارث بن عتيك بن غنم بن تغلب التغلبية، وتحته أيضاً الجذماء، واسمها أسماء بنت حل بن عدي بن الرباب، من بني بكر. ومعنى العكابة: الدخان. ومعنى البرشاء: أنها رمتها ضررتها بنار فاحترقت فبرشت فسميت البرشاء، ووثبت هي عليها فقطعت يدها فسميت الجذماء. والجذم: القطع والأجذم: مقطوع اليد، قال عنتره:

وترى الذباب بها يغني وحده هَزَجًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَمِّمِ
غردا يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَ الْمَكْبَ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

فَأَوْلَدَ الْجَذْمَاءُ تَيْمَ اللَّهِ وَذَاتُ الْأَنْحَاءِ لِذِي الْعِضَاهِ
وتيم الله معناه: عبد الله، ومنه تيمه الحب: أي عَبَّده وذَلَّله. والأنحاء:

جمع نَحْيٍ لِرِزْقِ السَّمن. وذات الأنحاء: يعني ذات النحيين وجمع مراعاةً للقول بأن أقل الجمع اثنان، أو لأنَّ العرب ربما تجمع المثنى، كقول مطرود الكعبي:

وهاشم في ضَرْيحٍ وسط بلقعة تسفي الرياح عليه وسط غزات

واسم ذات النحيين خولة بنت عدي. والعضاه: أعظم الشجر، عبر به عن القبيلة؛ يريد أنها بالنسبة إلى القبائل كالعضاه بالنسبة إلى سائر الشجر. ولم يذكر منها إلا هذه المرأة المشتهرة بقصتها في الجاهلية مع خوات بن جُبَيْر رضي الله عنه.

قصة ذات النحيين

وذلك أنها قدمت تعرض نحيين لها على السوق، وكانت ذاتَ منظر؛ فأَمَهلها خواتٌ حتى انصرفت بهما فلاحق بها وقال لها: هَاتِي أُجَرِّبُ نَحِيكَ لأشترى منهما واحداً. فحل أحدهما فذاقه وقال: امسكي حتى أجرب الآخر، فحله وذاقه وقال: امسكي، فأمسكته بيدها الأخرى؛ فلما اشتغلت يداها بالنحيين أقبل عليها حتى قضى وطره منها. فكان فيهما المثلان: "أشغلُّ من ذات النحيين" و"أغلم من خوات"⁽¹⁾. وفي ذلك يقول

(1) غلم واغتم: اشتدت شهوته للجماع. وقد مرَّ خَوَاتُ بن جبير هذا قبل إسلامه بنسوة فأعجبه حسنهنَّ فجلس إليهنَّ وسألهنَّ أن يفتلن له قيذاً لبعير له زعم أنه شارد، فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث إليهن فأعرض عنه. فلما أسلم سأله - وهو يتبسَّم - عن ذلك البعير الشارد؟ فقال خوات: قيده الإسلام يا رسول الله، وقد رزق الله خيراً وأعوذ بالله من الحور بعد الكور، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تسكن غلمته فسكنت بدعائه - [مجمع الأمثال للميداني وغيره].

نحوات رضي الله عنه:

وذاة عيال واثقين بعقلها خلجت لها جار استها خلجات
فشدت على النحين كفاً ضينة فأعجلتها والفتك من فعلائي

يعني أن ثعلبة بن عكابة له من امرأته الجذماء تيم الله بن ثعلبة، أبو
القبيلة العظيمة التي منها ذات النحين، ومنها أيضا عكرمة الفياض؛ الذي
يقول فيه الشاعر:

إذا بهشت ربيعة للمعالي⁽¹⁾ فعكرمة بن رباعي فتاها

ومنهم عبيد الله بن ظبيان، الذي قتل مصعب بن الزبير فأتى برأسه
عبد الملك فسجد شكرا. وكان عبيد الله يقول: ما ندمت على شيء
ندمي على أني لم أقتل عبد الملك حين خر ساجداً، لأكون قتلت ملكي
العرب في يوم واحد.

وَمِنْ بَنِي الْبُرْشَاءِ شَيْبَانُ الْأَلَى بِذُهُلِهِمْ غَصَّتْ سَبَاسِبُ الْفَلَا

الألى: الذين. وغصت: امتلأت وضاحت. والسباسب: جمع سبب
للأرض المستوية البعيدة. والفلا: جمع فلاة للصحراء الواسعة، وإضافة
السباسب إلى الفلا من إضافة الشيء إلى نفسه على مذهب الكوفيين في
تجويزهم ذلك إذا اختلف اللفظان.

(1) الباهش: المسرع إلى الشيء سرورا به كما يهش الغلام إلى أمه، قال الشاعر:

سبقت الرجال الباهشين إلى الفلا كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

يقول ومن أولاد ثعلبة من البرشاء، شيبان الذين كثروا حتى عمرت بهم الفلوات.

مِنْهَا الْمُثْنَى الْفَارِسُ الْهُمَامُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الْإِمَامُ

أي من شيبان: المثنى بن حارثة، الصحابي المشهور بالفروسة والبطالة. أمره خالد بن الوليد على جيوش العراق، حين بعث إليه أبو بكر أن يسير إلى الشام؛ قيل إنه بعث إليه أن يؤمر مكانه المثنى. ولم يزل يجاهد الفُرسَ ويولي البلاءات الحسنة إلى أن استشهد من جراحات أصابته يوم جسر أبي عبيد، وقيل يوم البُوَيْبِ. فتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته. وكانت معه يوما - وقد أقعدته عن القتال قروح به - وهما ينظران إلى الناس يقتتلون فقالت: وا مثناه! فاعترت الغيرة سعدا فلطمها وقال: هل المثنى إلا رجل من المسلمين يقاتل في سبيل الله.

المثنى بن حارثة

وهو من الرهط الأربعة الذين طلب منهم النبي ﷺ النصره قبل الهجرة بمكة، حين كان يتعرض وفود القبائل يطلب منهم النصره على قريش - وهم: هانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو والمثنى هذا والنعمان بن شريك - ومعه أبو بكر وعلي؛ وأبو بكر يُعرِّفُه الناسَ ويخبره بساداتهم، فقال له: هؤلاء غرر في قومهم. فلما دعاهم كان كل يجيبه بكلام ويحيل على

صاحبه.. إلى أن بلغت النوبة إلى المثني، وهو أصغرهم⁽¹⁾ وله ذؤابة، فقالوا:

(1) روي أنه لما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما إلى القوم كان مفروق بن عمرو أدنى القوم مجلسا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا لحين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يدلنا مرة ويدل علينا.. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: أو قد بلغكم أنه رسول الله؟ فها هو ذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى من تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد.

فقال مفروق: وإلى مَ تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا صلى الله عليه وسلم: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ - الآية (الأنعام: 151) فقال مفروق: وإلى مَ تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ - الآية (النحل: 90). فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتي يا أخا قريش وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لأول مجلس جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا؛ ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني فقال: وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثني: قد سمعت مقالتي يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر.. الخ - [الروض الأنف].

هذا المثنى هو فارسنا وصاحب حربنا. ثم قالوا له: إِنَّ تَرَكْنَا دِينَنَا وَاتَّبَعْنَا
لك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، زلة في الرأي
وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن
نعقد عليهم عقدا. فإن أحببت أن ننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، وقد
أنزلنا قومنا بين صَرِيي الإمامة والعراق، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما
هذان الصَّريان؟» فقالوا: مياه ما يلي العراق منها لكسرى وما يلي الإمامة
للعرب؛ أما ما يلي العرب منها فلا نبالي بهم، وأما ما يلي كسرى فلا
طاقة لنا به. فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم
بالصدق وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاط بجميع جوانبه، أرأيتم أن
تلبثوا، إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم
نساءهم تسبحون الله وتقدسونه»، فقال له النعمان بن شريك: اللهم
لك ذلك.

فلما انصرفوا قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، يا علي: آية أخلاق في
الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتجاوزون
فيما بينهم».

وأسلم هؤلاء بعد ذلك، أما المثنى فقدم في وفد من قومه وأسلم سنة
تسع - أو عشر - واستشهد سنة أربع عشرة.
والهمام: الذي يفعل ما اهتم به من الخير.

الإمام أحمد بن حنبل

وسمه بني شيبان أيضا الإمام أحمد⁽¹⁾ بن محمد بن حنبل، أحد أئمة

(1) هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان الشيباني، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة. ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ببغداد، ونشأ مُنكبًا على طلب العلم وسافر في طلبه أسفارا كثيرة إلى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها، وأخذ عن أكثر من مائتين وثمانين شيخا، منهم الإمام الشافعي وسفيان بن عيينة الهلالي، وكان غاية في الحفظ والضبط، وصنف الكثير من المؤلفات، منها *السند* وكتب في التاريخ والناسخ والمنسوخ والتفسير وفضائل الصحابة والمناسك والزهد. ولم يوجد في زمنه أعلم منه بفقه الحديث ومعانيه، وإليه المنتهى في معرفة السنة علما وعملا ومعرفة الفقه وفروعه. وكان رأسا في الزهد والورع والعبادة والصدق، وقد قال فيه الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل من أحمد بن حنبل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى. وقال فيه إسحاق بن راهويه: لولا أحمد وبذل نفسه لذهب الإسلام، وقال فيه: أحمد حجة بين الله وبين خلقه. وقال فيه ابن المديني: أعز الله الدين بالصدق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة.

وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ولما امتنع أحمد عن القول بذلك سجن وقيد بقيود الحديد وحمل من مكان إلى مكان ومن سجن إلى سجن وهو مقيد وناظروه فرادى وجماعات، ليلا ونهارا، ورغبوه وهددوه، وأدخلوه مجلسا فرأى السيوف قد جردت والرماح ركزت والتراس صففت والسياط وضعت.. وعلقوه بين خشبتين حتى انخلعت يداه وتعاقب عليه الجلادون حتى أغمي عليه وذهب عقله، وجعلوا يكبونه على وجهه مرة ويطرحونه على ظهره مرة أخرى ويدوسونه.. ولم يزد ذلك إلا ثباتا وتصميما وقوة وصلابة وشدة قلب وشجاعة حتى تخلوا عنه. وكان بين أخذه وتخليهم عنه نحو ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل أثر الضرب في ظهره إلى أن مات.

ولما رفعت المحنة رجع إلى بغداد وهو متأثر من أثر الضرب والحبس، ولم يزل بها إلى أن مرض مرض الموت وهو في الثامنة والسبعين من عمره، وتسامع الناس بمرضه فكثروا حتى امتلأت الشوارع. فسمع الخليفة بكثرة الناس فجعل حراسا على بابه وأغلق الزقاق،

<<=

المسلمين الأربعة في الدين والسنة. ضُرب كثيرا وحبس على أن يقول بخلق القرآن فامتنع. وقيل له: هَلَا ورَّيت كما ورَّى غيرك فنجاء؟ فقال: ومن يقوم به بعدي؟ ولا تحصى مناقبه وأخباره الحميدة. ويوم مات أسلمت ألف من أهل الكتاب أو أكثر، وتوفي ببغداد رضي الله عنه ونفعنا ببركته.

وَدَغْفَلُ النَّسَابَةِ السَّؤُولُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ عَقُولُ

يعني أن من بني شيبان ثم من بني سدوس بن ذهل بن شيبان دَغْفَلُ بن حنظلة، العالم بأنساب الناس⁽¹⁾، لكونه سؤول اللسان عقول القلب؛ دخل يوما - وهو شيخ - على معاوية فسأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن

-- >>

فكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطلت بعض الأسواق. وجاء القضاة والأعيان، وأرسل إليه السلطان أنه يجب أن يراه، فلم يأذن له ولا لأحد من هؤلاء. وتوفي يوم الجمعة صدر النهار، فكثر الصياح وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت وامتألت السكك والشوارع. وحزر من حضر جنازته من الرجال بألف ألف وثمانين ألفا، ومن النساء بستين ألفا. وروي عن ابن صالح القبطري قال: شهدت الموسم أربعين عاما فما رأيت جمعا مثل هذا - يعني مشهد أحمد بن حنبل - وأظهر الناس الذين حضروا جنازته السنة والطعن على أهل البدع، فسر الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العز وعلو الإسلام وكبت أهل الزيغ. ولزم بعض الناس قبره ووقع المأتم والنوح في المسلمين والنصارى واليهود والمجوس، وأسلم لذلك المشهد العظيم عشرون ألفا، وفي رواية عشرة آلاف من اليهود والنصارى والمجوس، ورئيت له بعد موته مرثي حَسَنَة متواترة - [اهـ من سير أعلام النبلاء وغيره].

(1) هو دَغْفَلُ (بغين معجمة وبوزن جعفر) - اسمه حجر ودَغْفَلُ لقبه - وهو ابن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان بن ذهل الشيباني الذهلي، كان أعلم الناس بأنساب العرب والآباء والأمهات وأحفظهم للمحاسن والمساوئ.

النجوم.. فقال له: بم نلت هذا من العلوم؟ قال: بِلِسَانِ سؤُولِ وَقَلْبِ
عَقُولِ، وَآفَةِ الْعِلْمِ النِّسيَانِ.

سَأَلَهُ عَنْ شَأْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَعَنْ أُمَيَّةَ مُعَاوِيٍّ فَسَبَّ
أُمَيَّةً بِكَوْنِهِ أَزْيِرَقًا يَقُودُهُ ذَكْوَانٌ: عَبْدُ الْحَقِّ
بَعْدُ بِهِ، وَالْمُصْطَفَى نَفَاهُ إِذْ لِقُرَيْشٍ عُقْبَةً نَمَاهُ
وَقَالَ فِي شَيْبَةِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ: بَدْرٌ تَحْفُهُ بُنُونٌ كَالذَّهَبِ

يقول مما سأل عنه معاوية دَغَفَلَا خَبِرُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَأُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ
وصفتهما وحققة أمرهما؛ قال له: أتعرف عبد المطلب؟ قال: نعم أعرفه:
هو كبد التمام ويحفه بنون كالذهب. ثم قال: أتعرف أمية؟ فقال: نعم
أعرفه: أزيرق يقوده عبده ذكوان، قال: قل ابنه، قال: أنتم تقولون ذلك!

قوله: والمصطفى نفاه.. إلخ: يعني يوم بدر، إذ نسبه عقبة بن أبي معيط
إلى قريش بقوله: أأقتل بين قريش صبرا؟ حين أمر رسول الله ﷺ عليا -
وقيل عاصم بن ثابت - بضرب عنقه في الأسر، فقال له النبي ﷺ: «لست
من قريش وإنما أنت من يهود صفورية⁽¹⁾» - وقال عمر: "حَنٌّ قِدْحٌ لَيْسَ

(1) صفورية: قرية في فلسطين شمال غربي الناصرة، كان أمية قد اشترى منها أمة من يهودي
وهي حامل فولدت جده أبا عمرو، فسماه أمية وتبناه فنسب إليه؛ ثم تنوسي التبنّي وظنت
البنوة.

منها⁽¹⁾ - وقال: يا محمد ما تركت للصبية؟ قال: «النار».

وقوله: بعد به: أي بعد أن كان عبدا تبناه أمية فتزوج بعده أم بنيه الأعياص - كما يأتي إن شاء الله⁽²⁾ - فولدت له ابنه أباناً، وهو أبو معيط⁽³⁾، وذكوان هو أبو عمرو.

وكان عقبة من المؤذنين لرسول الله ﷺ بمكة؛ وجده يوما ساجداً فوطئ عنقه الشريفةً بقدمه الخبيثة حتى آذاه جداً، ووضع عليه يوماً آخر سلاً جزور، لعنه الله. (ويُخرج الحي من الميت: فقد آمن بنو عقبة وكانوا من أكابر الصحابة وفضلائهم، منهم هشام وخالد وعمارة وأم كلثوم، ومنهم الوليد بن عقبة، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم).

ومن بني سدوس أيضاً بشير ابن الخصاصية، وهي أمه، وكان اسمه زحماً بن معبد فسماه النبي ﷺ بشيراً. ومنهم عمران بن حطان الشاعر الخارجي، كان سنيا فتزوج امرأة من الخوارج وقال: لأردها عن دينها، فغلبت عليه (والعياذ بالله تعالى)، طلبه الحجاج وعبد الملك فهرب إلى الشام ولم يزل ينتقل من أحد إلى أحد متوارياً مختفياً؛ أقام مرة عند روح

(1) أراد التعريض بنسبه، وذلك أن القداح في الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلج واليمن فيستعار لذلك ويسمى المنبح، فإذا حرك في الرابطة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح فيقال: "حنّ قدح ليس منها"، فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش. وكان قتل عقبة هذا بعرق الظبية وهو موضع بطريق بدر من المدينة بين الروحاء وصحيرات اليمام - [الروض الأنف]. والفلج: الفوز. والضمير في منها عائد على القداح المعلومة من القدح المذكور؛ قال ابن بونا رحمه الله:

واستغن عن مفسر الضمير بالكلّ والجزء وبالنظر إلخ.

(2) راجع التكملة (رياض السيرة والأدب): 1/74-292. (3) كني بابن له يسمى معيطاً لم يعقب.

بن زنباع، فلما خاف من الظهور عليه انسل من غير شعور به إلى زفر بن الحارث فأقام عنده مدة، وهو لا يعرفه كما لا يعرفه روح قبله. ثم انسل عنه أيضا.. إلى أن مات في تواريه على خارجيته⁽¹⁾، وله في ذلك أشعار حسنة منها قوله:

ولي نفس تنازعني إذا ما أقول لها لعلني أو عساني

ومر بني ذهل بن شيبان بنو مرة بن ذهل: همّام وجساس وإخوتهما، وهم عشرة⁽²⁾ وولدوا عشر قبائل، وتفرع من همّام ثمانية وعشرون قبيلة - (قاله في الحلة السيرة).

مَعْنُ وَهَانِيٌّ وَمَفْرُوقُ السَّرِيِّ دَعَاهُمَا لِلدِّينِ خَيْرُ مُضَرٍ
فِي فِئَةٍ مِنْ قَوْمِهِمْ فَأَمْتَتَعُوا أَنْ يُؤْمِنُوا أَوَّلَ وَهْلَةٍ دُعُوا

قوله معن: معطوف على ما ذكر قبله من رجال بني شيبان بحذف العاطف؛ يعني: منها المثني وأحمد بن حنبل ودغفل ومعن.. ثم استأنف الكلام فقال: .. وهانئ ومفروق - وأخبر عنهما بدعاهما - وضمير: التثنية يعود إلى هانئ ومفروق دون معن. والسري: الشريف السيد، وخص به

(1) وقيل إن الحجاج أخذه وقال لعماله اضربوا عنق ابن الفاجرة، فقال له عمران: لبئس ما أدبك أهلك يا حجاج، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به.. أبعد الموت منزلة أصانئك عليها؟ فأطرق الحجاج استحياء وقال: خلوا عنه فخرج إلى أصحابه فقالوا: والله ما أطلقك إلا الله فارجع إلى حربه معنا، فقال: هيهات "غلّ يدا مُطلقها وأسر رقبة معتقها" - [زهر الآداب].

(2) هم: جساس وهمّام وسعد والحارث ونضلة وبجير وثعلبة وجندب وذؤيب وصبرة، بنو مرة بن ذهل بن شيبان، وأشهرهم همّام وجساس؛ واسم جساس عدي وهو أصغرهم، ويقال لبني سعد وبجير والحارث وجندب وذؤيب من بني مرة هؤلاء: بنو هند.

مفروقا. والفئة: الطائفة. وضمائر الجمع في: قومهم إلى آخر البيت.. تعود إلى هانيء ومفروق والفئة.. وتقدمت قصتهم في الكلام على المثني لأنه أحد المدعوين. وأول وهلة: أول شيء؛ يشير إلى قولهم: "ونرى ان اتبعناك وتركنا ديننا لدينك لأول مجلس..". إلى آخر كلامهم. ويشير أيضا إلى أنهم أسلموا بعد ذلك، أما مفروق فهو ابن عمرو الأصم بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الشيباني. وأما هانيء فهو ابن قبيصة بن هانيء بن مسعود بن عامر الشيباني. ومن قبيصة: بنته بجيرة، قتل عنها عبيد الله بن عمر بصفين. وفي الموطأ أن هانئا ابن قبيصة ورجلا من بني عمه أتيا عمر في الحج فقال هانيء: يا أمير المؤمنين بينا تعادى بنا خيلنا ندد منا ظيقتلناه ونحن محرمان فما جزاؤه؟ فدعا عمر عبد الرحمن بن عوف وقال: تعال نحكم في هذا. فحكما فيه بشاة، فخرج هانيء يقول: مثل أمير المؤمنين لا يحكم في هذا حتى يستعين عليه غيره! فدعاه عمر وقال: أقرأ القرآن؟ قال: أقرأ منه، قال: أقرأ سورة المائدة؟ قال: لا، قال: لو كنت تقرأها لأوجعتك ضربا⁽¹⁾.

(1) ثم قال إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هُدًى بِالْغَايَةِ﴾، وروى ميمون بن مهران أن أعرابيا أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: قتلت صيدا وأنا مُحَرَّمٌ فما ترى عليّ من الجزاء؟ فقال أبو بكر لأبي بن كعب وهو جالس عنده: ما ترى فيها؟ فقال الأعرابي: أتيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فإذا أنت تسأل غيرك! فقال أبو بكر: "يقول الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمر أمرناك". فسبحان الله لقد بين له الصديق الحكم برفق وتؤدة وبينه الفاروق بقوة وشدة رضي الله عنهما.

وأما معن فهو ابن زائدة⁽¹⁾ المشهور بالجود، كان مختفيا من أبي جعفر المنصور؛ فخرج من البصرة وحده على جمل، فبينما هو يسير وحده إذا هو برجل أسود: قال ولم أشعر به حتى أخذ بخطام الجمل وأناخه بي فقال: أنت معن بن زائدة الذي جعل فيك أمير المؤمنين كذا وكذا لمن يأتيه بك؟ قال: فأخرجت صرة من ذهب كانت معي وقلت: يا هذا خذ هذه ودعني وسبيلي يرحمك الله، فقال: جُعِلُ أمير المؤمنين فيك أكثر من هذا وطاعته واجبة، فقلت: خذ معها هذا الجمل وما عليه وخلني، فأبى؛ فقلت: خذ السيف وخلني. فقال: يا معن حدثني عن جودك الذي تزعم ويذكر عنك: هل خرجت يوما من جميع مالك؟ قلت: لا، قال: وهل خرجت من نصفه؟ قلت: لا، قال: وثلثه؟ قلت: لا، قال: وأي جود عندك؟ فأرسل خطام الجمل وتركني ولم يأخذ مني شيئا! وما زلت أسأل

(1) ابن عبد الله بن مطر الشيباني، يكنى أبا الوليد من أشهر أجياد العرب وأحد الشجعان الفصحاء. أدرك العصرين الأموي والعباسي، وكان في الأول مكرما وولي فيه الولايات العظيمة. وكان ممدحا، ورثاه الشعراء مرثي كثيرة من جملتها مرثية الحسن بن مطير الأزدي التي منها:

أما على معنٍ وقولا لقبره	سقتك الغواذي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف وارىت جوده	وقد كان منه البر والبحر مترعا؟
ويا قبر معن أنت أول حفرة	من الأرض خُطت للسماحة مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت	ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته	كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى	وأصبح عرنيين المكارم أجدها

عنه بصفته ولم أر من يذكره⁽¹⁾.

ذَهْلُ ابْنِهَا مِنْهُ الْإِمَامُ الْمَازِنِيُّ مَقَوْمُ اللَّحْنِ لِكُلِّ لَاحِنٍ

قوله: ذهل ابنها: أي ابن البرشاء، وهو ذهل بن ثعلبة، احترازا من ذهل بن شيبان. منه: أي من ذهل بن ثعلبة، أبو عثمان المازني، نسبة إلى مازن بن ذهل بن ثعلبة. قوله: الإمام أي في النحو، ويحتمل في غيره. ومقوم اللحن.. الخ: يشير إلى قصته مع الجارية والوائق بالله.

قصة المازني مع الواثق

وهي أن أبا عثمان سأله يهودي أن ينسخ له كتاب سيبويه بمائة دينار، قال: فنظرت في الكتاب فإذا فيه ثلاثمائة آية فكرهت أن أجعله في يد ذمي، فامتنعت؛ وعنفني زوجتي لأنا في غاية الاحتياج إلى المائة، وذكرت الحديث: «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه»⁽²⁾. فاتفق أن غنت جارية الواثق بقول العرجي:

أظلموم إن مصابكم رجلا أهدي السَّلامَ تحية ظلم

فنصبت "رجلا" ولحنها بعضُ الندماء، فقالت: هكذا لقني شيخي أبو

(1) ولم يزل معن مختفيا ويسكن في البادية خوفا من العباسيين حتى كان يوم الهاشمية وثار جماعة من أهل خراسان على المنصور وقاتلوه، فتقدم معن وقاتل بين يديه حتى أفرج الناس عنه، فحفظها له المنصور وأكرمه وجعله في خواصه وولاه اليمن ثم ولي سجستان فأقام فيها مدة وابتنى دارا، فدخل عليه ناس في زي العمال فقتلوه غيلة، وله أخبار عجيبة.
(2) أحمد في مسنده.

عثمان المازني ولا أقوم عنه. فحاضوا في الكلام فيه واتفقوا على أن رجلاً خبر "إن"، وهي مصرة على النصب. فأرسل الواثق من أتاب المازني ليلاً، فلما دخل عليه قال: من الرجل؟ [قال:] فقلت: من بكر، وكرهت أن أواجهه بالمكر (لأنهم يدلون الباء من صدر الكلمة ميماً فيقولون في بكر: مكر)، وفطن لي وأعجبه ذلك مني وقال: كيف تروي بيت العرجي: أظلم إن مصابكم.. إلخ؟.

فجعل الصواب مع الجارية، فقال له الواثق: بم نصبت "رجلاً"؟ قال: "بمصابكم" لأنها بمعنى إصابتكم، ألا ترى أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم؟ ففهم الجماعة البيت ورجعوا إلى قول الجارية فتحدثوا ساعة.

ثم قال لي: ما عليك من الدين؟ قلت: كذا وكذا، قال: كم عيالك؟ قلت: بنت، قال: ما قالت لك حين خرجت عنها؟ قلت: قالت:

أبانا فلا رمت من عندنا فإننا بخير إذا لم تـرم⁽¹⁾

قال: وما قلت لها؟ قال: قلت:

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: بالنجاح إن شاء الله، فأمر لي بألف دينار وهدايا، وأمرت لي الجارية بثلاثمائة، وقال: إن شئت بت معنا بقية ليلتنا وإن شئت أمرنا من يوصلك أهلك، فاخترت أن يوصلني إلى أهلي ليسكن وجلهم علي. فقلت

(1) بعده: فإنك إن أضمرتك البلا د نجفى وتقطع عنا الرحم

لامرأتي: تركنا مائة لله فعوضنا عنها هذا - (انتهى من كثير من الكتب⁽¹⁾).

(1) ومن شيان أيضا بنو الشقيقة، وهم سيار وسمير وعبد الله وعمرو أولاد سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان. والشقيقة أمهم، وهي بنت عباد بن زيد بن عوف بن ذهل بن شيان، وهم مرده لا يأتون على شيء إلا أفسدوه، وإياهم يعني الشاعر بقوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو الشقيقة من ذهل بن شيانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

ومن شيان أيضا أبو الصقر؛ إسماعيل بن بلبل الشيباني، كان من الشعراء البلغاء والأجواد الكرماء، وكان غاية في الشجاعة وعلو الهمة وصغر الدنيا عنده، وكان من قواد أبي جعفر المنصور، وتولى الأعمال الجليلة وهو ممدوح ابن الرومي، ومما قال فيه قصيدته المشهورة التي منها:

قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم كلا لعمرى، ولكن منه شيان

تسمو الرجال بآباء وآونة تسمو الرجال بأبناء وتزدان

وكم أب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنان

ومنها:

هو الذي حكمت قدما بسؤدده عدنان ثم أجازت ذاك قحطان

ويقول فيه من قصيدة أخرى:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيان بين الضال والسلم

أمسى وأصبح بين الناس أرفعهم ذكرا وأشهرهم بالمجد والكرم

كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا نار على علم... إلخ.

يعني بالبرج قصره العالي، لما شبهه بالشمس جعل قصره برجاً وأراد التلميح إلى قول الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ولما أنهى الناظم الكلام على بني شيان شرع يتكلم على بني قيس بن ثعلبة، فقال رحمه الله:

مِنْ قَيْسِهَا طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ كَجَدِّهِ مُسْعِرُ حَرْبٍ مُرْدٍ

قيسها: أي البرشاء؛ وهم قيس بن ثعلبة القبيلة المشهورة العظيمة من قبائل بكر، منهم زينب بنت بشر الصحابية أم جعفر وعبيدة ابني الزبير بن العوام وأم غيرهما من قريش. يعني من قيس بن البرشاء طرفة بن العبد بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة⁽¹⁾. وجده: يعني به سعد بن مالك، قال:

رأيت سعوذاً من شعوب كثيرة فلم تر عيني مثلاً سعد بن مالك

قوله: كجده، يعني في الشجاعة وإيقاد الحروب؛ لأن جده هو القائل، مُعَرِّضاً بالحارث بن عُباد حين اعتزل الحرب:

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا أبرح (الأيات).

ومسعر حرب: موقدها. ومرد: مهلك.

طرفة وقصة قتله

وطرفة هو سادس الشعراء المدون شعرهم، وكان هجاء للملوك في

(1) اسمه عمرو، مات عنه أبوه وهو صغير وولي أمره أعمامه. ومال إلى البطالة واللهو والأخذ بأسباب الفتوة وقول الشعر والوقوف به في أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله، وهجا عمرو بن هند، ملك العرب بالخيصة، مع أنه كان يتعرض معروفه. وكان أقصرَ فحول الجاهلية عمراً وأجودهم وأوصفهم للناقة. قتله عامل عمرو بن هند بالبحرين وهو ابن عشرين سنة؛ فلذلك قيل له ابن العشرين. وقيل ابن ست وعشرين، وعليه قول اخته، أو عمته، خرنق:

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيذا ضحماً
فجعنا به لما رجونا إيا به على خير حال لا وليدا ولا قحماً

شعره ويذكر فيه الحروب.. إلى أن قتله عمرو بن هند. وذلك أنه هجاه فلم يبلغ عمرا هجاؤه؛ فلما كان ذات يوم دخل عليه عبدُ عمرو بن بشر بن مرثد فأمره أن يجلس معه على سريره، فبدا كشحه فضحك عمرو بن هند، فسأله عن ضحكته فقال: تذكرت قول طرفة قاتله الله:

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أهضما

قال عبد عمرو: يقول فيك أقبح من هذا، فقال: ما هو؟ فندم على قوله وأنكره - خوفا عليه لأنه ابن عمه - فلم يزل به إلى أن أنشده أبياته فيه: فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثة⁽¹⁾ حول قبتنا تخور! .. إلخ.

فأضمر عمرو بن هند الضغنَ على طرفة. إلى أن وفد عليه مع المتلمس⁽²⁾، فكتب لهما كتابا إلى عامل له بقتلهما، وهو يريهما أنه كتب إليه ليعطيتهما. فلما قربا من العامل لقيا راعي غنم فقال المتلمس: تعال نعرض كتابينا على هذا الراعي إن كان يقرأ لنعرف ما فيهما، فأبى طرفة وقال: لا يكون ذلك منه، لا يقتلني. ففتح المتلمس كتابه ودفعه إلى الراعي؛ فلما قرأه قال الراعي: ثكلت المتلمس أمه! قال: ويحك ولم ذلك؟ قال: في هذا الكتاب قتل المتلمس.

وطرفة لم يفتح كتابه. فأما المتلمس فألقى الصحيفة وهرب، وأما طرفة

(1) الرغوثة: التي ترضع (فَعُول بمعنى مفعولة) من رغوثة الجدي أمه إذا رضعها وأرغوثة النعجة ولدها: أرضعته، والأكثر استعماله في الضأن خاصة.

(2) وكان المتلمس خال طرفة، وقد بلغ الملك عنه مثل ما بلغه عن طرفة فأظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين.

فقدم بها على العامل، فأخبره العامل بما يراد فاتهمه، فقتله. وصدق فيه
تفرسُ المسيَّب بن عَلسٍ لما أنشد بين يدي عمرو بن هند، وطرفةٌ حاضِرٌ:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مُكْدَمٌ⁽¹⁾

فقالَ طرفة: استنوق الجمل⁽²⁾ (يعني أن الصيعرية من سمات النوق ولا
تكون على الذكور)، فغَضِبَ المسيَّب وقال: ليقتلن هذا الغلامَ لسانه.
فكان كما تفرس فيه.

ومر بني قيس بن ثعلبة: الأعشى، ميمون بن قيس، ويكنى أبا بصير؛
جاهلي أدرك الإسلام فخرج يريد النبي ﷺ ومعه ابنه، فلما كان قريباً من
مكة لقي رجلاً من قريش فسأله عن النبي ﷺ فقال: يا أبا بصير إنه يحرم
الزنى، فقال: والله لا حاجة لي به قط، قال: ويحرمُ الخمر، فقال: أمّا هذه
فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا عُلاَلَاتٌ، ثم قال: أرجعُ فأتعلل منها عامي هذا إلى القابل
فأسلم؛ فرجع ومات في عامه قبل القابل (والعياذ بالله). ولما خرج يريد
النبي ﷺ قال قصيدته التي امتدحه فيها وأولها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً وبتَّ كما بات السليم مسهداً

إلى أن قال:

(1) الصيعرية: سمة في عنق الناقة خاصة، وقال أبو علي في التذكرة: الصيعرية: وسمٌ لأهل اليمن
لم يكن يوسم إلا النوق. ومكدم: غليظ شديد.

(2) أي إنك كنت في صفة جمل فلما قلت "الصيعرية" عدت إلى ما توصف به النوق.

فآليت لا أرثي لها من كلاله ولا من حفي حتى تلاقي محمدا ﷺ
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تُراحي وتلقني من فواضله ندى
رسول أتى بالمعجزات وذكره أغار لعمرى في البلاد وانجدا

وآخرها:

وياك والأوثان لا تعبدنَّها ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
ويُسَمَّى أبوه قيس قتيل الجوع، لأنه دخل غارا يستظل به من الحر
فوقعت صخرة على فم الغار فأغلقتة فلم يزل به حتى قتله الجوع.
ومن شيان زفر بن مسعود بن سنان الذي يقول فيه الشاعر:
من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم أضأوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شأوا
فلو أن السماء دنت لجـ ومكرمة دنت لهم السماء
بُناة مكارم وأساءة كلـ دماؤهم من الكلب الشفاء

ومنهم سعد بن إلياس، صحابي؛ ثم صحب عبد الله بن مسعود،
وعاش مائة وعشرين سنة.

لهنا انتهى الكلام على ربيعة ويتلوه الكلام على أخيه مضر وهو عمود
نسب النبي ﷺ، وذلك صنيعة يؤخر عمود النسب للاهتمام به، ولأنه في
هذا كله بان على قصد النبي ﷺ والمقصود الأهم يؤخر غالبا.
قال ذاكرا ابني مضر، ولم يذكره اتكالا على ذكره مع إخوته،
ولا استلزامه بذكر أبيه:

الكلام على ولد مضر

إِلْيَاسُ وَالنَّاسُ أَخُوهُ انْتَشَرَا وَمِنْهُمَا كَانَ جَمِيعُ مُضَرَ

إلياس: من اليأس (بالتحريك)، سمي به لأنه أول من أخذه داء اليأس - وهو السل - ومات به وبكته خندف كثيرا من السنين. والناس: أخو إلياس. و انتشرا: كثرا. ومنهما: أي من إلياس والناس كان مضر كلهم، لأنهما ابناه وليس له ابن غيرهما. قال صلى الله عليه وسلم: «مضر صخرة الله التي لا تنكل»، أي لا تدفع عما وقعت عليه. وقال أيضا: «إذا اختلف الناس فالحق مع مضر»⁽¹⁾، وقال: «لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مسلمين»⁽²⁾، وقال للقائل:

إني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضرا

«ذلك أبعد لك من الله ورسوله»، وقيل قالها معاوية.

وَالنَّاسُ عَيْلَانُ وَقِيلَ لَقَبُ وَالنَّاسُ قَيْسٌ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ
خَصْفَةُ الْعَزِيزُ، سَعْدٌ، عَمْرُو لَخَصْفَةٍ مُحَارِبُ الْغُمَرِ

قوله: والناس عيلان: أي الناس هو الاسم ولقبه عيلان، أو هو كلبه أو خادمه أو جبل ولد عنده. وقيل الناس لقب؛ فإذاً يكون الناس وقيس واحداً، قيس هو الاسم والناس هو اللقب. وعلى أن الناس اسمٌ فعيلان

(1) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

(2) تقدم تخريجه (ص 124).

لقبه وقيس ابنه. ويروى في كلامهم قيس بن عيلان، واجتمع ذلك في قول الحماسي:

لحى الله قيسا، قيسَ عيلان إنها أضاعت ثُغورَ المسلمين وولت
فشاول بقيس في الطعان ولا تكن أخاها إذا ما المشرفية سُلّت
ألا إنما قيس بن عيلان بقية إذا شربت ماءَ العصير تغت

فالبيت الثالث يدل على أن قيسا ابن الناس والناس هو ابن مضر وعيلان لقبه، والبيت الأول يدل على أن قيسا هو ابن مضر والناس لقبه. وعيلان (بالعين المهملة⁽¹⁾) مضاف إليه قيس، ولو كان لقبا لما أضيف إليه قيس، إذ "لا يضاف اسم لما به اتحد معنى.." ⁽²⁾ عند البصريين. قوله: وإليه ينسب: أي وإلى قيس - على كلا القولين - ينسب خصفة. العزيز: أي قبائله التي نتجت منه الآتية قريبا إن شاء الله. وسعد: هو أبو غطفان. وعمرو: هو أبو فهم وعدوان. وأما خصفة (بالتحريك، وسكنه للضرورة) فله: مُحَارِبُ الغمر: أي الجهال، أو لفيف الناس؛ وصفهم به لأنهم أوّل الأمر أقبح الناس ردا على النبي ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام. وذلك انه دعا يوما إلى الإسلام بأحد مواسم العرب فقال رجل من محارب: واللات لأقتلنه، فركب فرسه وركض نحو النبي ﷺ فسقط عن فرسه ميتا ومات الفرس.

(1) وليس في العرب عيلان بمهملة غيره، وقيل قيس هو الناس بن مضر وعيلان عبد لمضر حضن ابنه الناس فنسب إليه - [سموط الذهب].

(2) قال ابن مالك في الخلاصة (الألفية):

ولا يُضاف اسمٌ لما به اتَّحدُ معنى وأوّلُ مُوهَمًا إذا وردَ

ولكن أسلموا بعد ذلك؛ ومنهم من الصحابة أبان المحاربي، وقد على النبي ﷺ، حديثه: «من قال إذا أصبح الحمد لله ربي لا أشرك به شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غفرت ذنوبه حتى يمسي ومن قالها حين يمسي غُفرت ذنوبه حتى يصبح»⁽¹⁾. ومنهم الأسود بن هلال وغورث بن الحارث صاحب القصة⁽²⁾ مع النبي ﷺ فأسلم وذكر في الصحابة. ومنهم جماعة كثيرة؛ وهم من القبائل التي تستلئهم العرب وتستحقرهم وتهجوهم الشعراء، كباهلة وطُفاوة وسلول وغيرهم.. ومِمَّا هُجُوا به:

تَبَقُّ بلا شيء شيوخُ محارب وما خَلَّتْها كانت تُرِش ولا تَبْرِي⁽³⁾

رُوي أنه سامر رجل من محارب رجلا من بني هلال على غدير، فقال الهلالي: ما تركتنا شيوخ بني محارب الليلة ننام! يعني الضفادع - والنقيق صُياح الضفدع - فقال المحاربي: إن شيوخ بني هلال أضلت برقعا لها فهي تطلبه! يعني قول الشاعر:

لكل هلالي من اللؤم بُرَقْعٌ ولا بن هلال برقع وقميصُ

(1) رواه أبو داود.

(2) وذلك أنه قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال أفتك به. فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال: يا محمد أنظرُ إلى سيفك هذا؟ قال: «نعم»، فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهمُّ فيكبته الله، ثم قال: يا محمد أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: «لا، بل يمنعني الله منك».. وقيل أخذته الزلخة حتى سقط لوجهه، فأسلم - [روض النهاية على شرح نظم الغزوات].

(3) تُرِش: أي تُعين وتُغني، وتُبري: أي تهزل وتُضعِفُ، وأصله نَحْتُ العُود.

وَبَعَثَ رَجُلٌ مِنْ مُحَارِبٍ - عَامِلٌ لِقَتِيْبَةِ بْنِ مُسْلِمٍ - رَجُلًا مِنْ سُلُوْلٍ إِلَى قَتِيْبَةٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ الرَّسُوْلَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ نَدْمَائِهِ: يَا بَنِيَّ الْأُمِّ الْعَرَبِ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: سُلُوْلِي رَسُوْلٌ مُحَارِبِي إِلَى بَاهِلِي! ⁽¹⁾.

الكلام على سليم وهوازن

مَنْصُورٌ وَالِدُ سُلَيْمٍ وَأَخِيهِ هَـوَازِنٌ، فَمِنْ سُلَيْمٍ النَّبِيَّةُ
رُبْعُ الْإِسْلَامِ صَفِيُّ الْمُصْطَفَى عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ خَيْرُ مُصْطَفَى ⁽²⁾

يقول: لخصفة أيضا من الولد منصور بن خصفة، أبو سليم وهوازن. ثم شرع في الكلام على سليم ⁽³⁾ مرتبا باللف والنشر فقال: فمن سليم: العاقل الفطن، ربع الإسلام، أي رابع من أسلم بالنبي ﷺ ⁽⁴⁾، كما في حديث مسلم، لما عرض عليه الإسلام قال: من معك على هذا الأمر؟ قال:

(1) ثم شرع في الكلام على سليم وهوازن ابني منصور بن خصفة بن قيس عيلان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) منصور (بالرفع): معطوف على محارب الغمر في البيت السابق بحذف العاطف. ووالد سليم.. إلخ: صفة لمنصور. وهوازن (بالجر): بدل من أخيه. والنبية: مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله. وربع الإسلام وصفي المصطفى (بالرفع فيهما): صفتان للنبية. وعمرو (بالرفع): بدل من النبية. وابن عبسة وخير مصطفى (بالرفع فيهما) أيضا: صفتان لعمر.

(3) وسليم هؤلاء هم أكبر قبائل قيس عيلان، وهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم لأن منهم العواتك؛ وكانوا يفتخرون بخؤولاتهم هذه.

(4) عمرو بن عبسة (بنون وبغيرها) بن عمرو بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمي الصحابي الجليل.

«حُرَّان وعبدٌ»⁽¹⁾ - يعني أبا بكر وزيد بن حارثة وبلا لا - فأسلم ورجع إلى قومه، ولم يزل فيهم إلى أن فشا الإسلام. ثم هاجر إلى المدينة بعد الخندق فسكنها، ثم نزل الشام. وكان أخا أبي ذر لأمه. روى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثاً، وكان يقول: أنا رابع الإسلام. وقوله: صفى المصطفى: يعني أنه كان صديقاً للنبي ﷺ⁽²⁾. وهو ابن عبسة (كحسنة) كما في تقييد اليدالي، وهو ظاهر القاموس، وصرح اليدالي بالخطأ بالنون، وفي الإصابة بنون وبغيرها.

ثم قال رحمه الله:

مِرْدَاسُ عَبَّاسُ ابْنُهُ أَخْبَرَهُ شَخْصٌ عَلَى نَعَامَةٍ أَبْصَرَهُ
بِخَيْرِ مُرْسَلٍ فَأَمَّنَ بِهِ وَهُوَ قَرِيعٌ وَبَلِيغٌ حَزْبِهِ

يقول: ومن سليم أيضاً مرداس بن أبي عامر بن جارية. وابنه عباس بن مرداس سبب إسلامه أنه أخبره راكب أتاه على نعامة بالنبي ﷺ، فأتاه وآمن به. وهو - أي العباس - قريع: أي سيد، حزبه: أي قومه. وهو أيضاً بليغهم، أي شاعرهم وخطيبهم.

قصة إسلام عباس بن مرداس

والقصة أنه كان في لقاح له وسط النهار، قال: بينما أنا في لقاح لي

(1) رواه أيضاً النسائي وابن ماجه وأحمد.

(2) أي قبل البعثة.

وسط النهار إذ أبصرت نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فوقف عليّ وقال: يا عباس ألم تر أن السماء قد كَفَّت حراسها، وأن الحرب قد حرقت أنفاسها، وأن الخيل قد وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل بالبر والتقوى، صاحب الناقة القصوى؟! قال: فرجعتُ مرعوباً وجئت ضمّار (كحذام) - وهو صنم يعبدونه - فإذا صائح يصيح من جوفه:

قل للقبائل من سليم كلها	أودى ضمّار وعاش أهل المسجد
أودى ضمّار وكان يعبد مرة	قبل الكتاب إلى النبي محمد
إن الذي ورث النبوءة والهدى	بعد ابن مريم من قریش مهتد

قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما رآني تبسم وقال: «يا عباس كيف كان إسلامك؟» فقصصت عليه القصّة فقال: «صدقت». وأسلمت أنا وقومي⁽¹⁾. والعباس هذا هو القائل:

وكانت نهاباً تلافيتها	بكرّي على المهر في الأجرع ⁽²⁾
وإيقاظي القوم أن يرقّدوا	إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد ⁽³⁾	بين عينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تذرٍ	فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أباعير أعطيتها	عديداً قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في مجمع

(1) أورده ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل - [البداية والنهاية].

(2) الأجرع: المكان السهل.

(3) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس.

وما كنت دون امرئ منهم ومن تضع اليوم لا يُرفع

وذلك أن النبي ﷺ أعطى يوم حنين الأكثر من المؤلفة قلوبهم من الإبل مائة مائة، وأعطى الأقل خمسين خمسين⁽¹⁾؛ وزاد أبا سفيان أربعين أوقية، فقال: يا رسول الله وابني يزيد؟ فقال: «أعطوه مائة ناقة وأربعين أوقية»، فقال: وابني معاوية؟ فقال: «أعطوه مائة ناقة وأربعين أوقية»، وزنها لهم بلال (وليس يزيد من المؤلفة قلوبهم وهو أفضل بني أبي سفيان). ثم قال أبو سفيان: والله يا رسول الله إنك لكريم فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب أنت، ثم سالمتك فلنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيرا. ولما قال العباس بن مرداس هذا الشعر - وكان أعطي أقل مما أُعطي المؤلفة - قال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»، فكملا له مائة⁽²⁾.

وكان العباس أشجع الناس في الشعر، وأشعاره يوم الفتح وحنين من أحسن الشعر⁽³⁾؛ وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية. روى عنه

(1) ومن أعطى خمسين: مخزومي - [سيرة ابن هشام].
المخزومي - [سيرة ابن هشام].

(2) فرضي بذلك، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم - [سيرة ابن هشام: 117/4].

(3) من شعره يوم فتح مكة:

منا بمكة يوم فتح محمد	ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه	وشعارهم يوم اللقاء مُقدّم
في منزل ثبتت به أقدامهم	ضنك كان الهام فيه الحنتم
جرت سنا بكها بنجد قبلها	حتى استقاد لها الحجاز الأدهم

ابنه كنانة، وصحب ابنه جلهمة بن العباس. ومن نسل العباس عبدُ الملك
بن حبيب، الفقيه المشهور الأندلسي المالكي.

وكان مرداس أبوه صديقا لحرب بن أمية، فأتاه يوما وقال له: وجدت

>> - - -

الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرينه متطلع ثغر المكارم خضرم
ومن شعره يوم حنين:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رسالة نصح فيه تبيان
إني أظن رسول الله صابحكم جيشا له في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد والأجربان: بنو عيس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبة وفي مقدمه أوس وعثمان

(وأوس وعثمان: قبيلة مزينة). وله أيضا من قصيدة:

وغداة نحن مع النبي جناحه ببطاح مكة والقنا يتهزّع
كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنع
في كل سابعة تخير سردها داود إذ نسج الحديد وتبع
ولنا على بثري حنين موكب دمع النفاق وهضبة ما تقلع
نصر النبي بنا وكنا معشرا في كل نائبة نضر ونفزع
ذدنا غدائنا هوازن بالقنا والخيّل يغمرها عجاج يسطع
إذ خاف حدهم النبي وأسندوا جمعا تكاد الشمس منه تخشع
تدعى بنو جشم وتدعى وسطه أفناء نصر والأسنة شرع
حتى إذا قال الرسول محمد: أبني سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم بالمؤمنين وأحرزوا ما جمّعوا

غِيْضَةً حَرِيَّةً بِالزَّرْعِ إِنْ زَرَعْتَ فَهَلْمْ فَلنَزْرَعَهَا. فَخَرَجَ مَعَهُ حَرْبٌ فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ: نَعَمْ الْمَزْدَرَعُ هِيَ، فَأَشْعَلَا فِيهَا نَارًا فَسَمِعَا فِيهَا ضَجِيجًا وَأَنِينًا وَسَمِعَا قَائِلًا يَقُولُ:

وَيْلَ امِ حَرْبِ فَارَسَا مَقَاعَسَا مَدَاعَسَا
لنَقْتُلَنَّ بِقَتْلِهِ جَحَاجِحَا عَنَابَسَا

فَفَزِعَا لِذَلِكَ، وَقَالَ مَرْدَاسُ:

إِنِّي انْتَخَبْتُ لَهَا حَرْبًا وَإِخْوَتَهُ إِنِّي بِجَبَلٍ وَثِيقِ الْعَهْدِ دَسَاسُ
إِنِّي أَقُومُ قَبْلَ الْأَمْرِ حِجَّتَهُ كَيْ لَا يَقَالَ وَلِي الْأَمْرَ مَرْدَاسُ

فَمَاتَ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَرِيبٍ.

وَابْنُ الْمُعْطَلِ بَرِيءُ الْإِفْكِ مُدْرِكُ عُكْلِ فِي لِقَاحِ الْمَكِيِّ

البريء: المبرأ. والإفك: الكذب، وهو هنا الذي برئت منه أُمنا عائشة وصفوان رضي الله عنهما. ومدرك: أي لاحق؛ من أدرك أي لاحق. وعكل: بنو عوف بن عبد مناة بن أد، سموا بعكل، أمة حضنتهم. والمكي: النبي ﷺ.

صفوان بن المعطل

يقول: ومن سليم أيضا صفوان بن المعطل⁽¹⁾ المبرأ من الإفك بالوحي

(1) المعطل (بفتح الطاء كما في فتح الباري) هو ابن ربيعة (بالتصغير) - أو ربيعة - بن خزاعي (بلفظ النسب) ابن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم السلمي الذكواني، أسلم قبل المريسع وشهده مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل شهد الخندق وما بعدها. وكان خيرا فاضلا شجاعا بطلا.

الكريم، ولا حِقْ عكل يوم انتهابهم للقاح النبي ﷺ⁽¹⁾، وهم الذين اجتووا⁽²⁾ المدينة فخرجوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال لهم: «اخرجوا إلى ذود لنا بالغابة وعليكم بألبانها وأبوالها»⁽³⁾، ففعلوا. فلما صحوا وسمنوا غدروا، فساقوا الإبل وقتلوا الراعي، أو الرعاة. فاستنفر لهم النبي ﷺ عشرين فارساً أمّر عليهم كرز بن جابر الفهري، وفيهم صفوان بن المعطل؛ وذلك إدراكه لهم الذي ذكر الناظم. واستوفينا أخبارهم في شرح الغزوات.

واستشهد صفوان بن المعطل بن ربيعة سنة ثمان - أو تسع - وخمسين؛ غزا الروم فاندقت قدمه، فلم يزل يطاعن بها حتى قتل، وقيل استشهد يوم اليمامة فوجد حصوراً⁽⁴⁾.

وَأَبْنُ عَلَاطٍ وَالِدُ الشَّهْمِ السَّرِيِّ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ طَرِيدِ عُمَرَ

ابن علاط: هو الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة⁽⁵⁾ السلمي، يكنى أبا كلاب. سكن المدينة وبنى داراً ومسجداً يعرف به؛ وسبب إسلامه

(1) لأنه كان ضمن السرية التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم.

(2) أي كرهوا المقام بالمدينة ولم توافقهم.

(3) أخرجه البخاري ومسلم، ورواه ابن ماجه وأحمد.

(4) الحصور: المجهود. قيل لم يتزوج قط؛ فعن عائشة أنه قال: "ما كشفت كنف أنثى قط"، وقيل بل تزوج. وقيل إنه استشهد في خلافة عمر في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة. والله أعلم.

(5) وقيل خالد بن نويرة (بالثاء المثلثة وبصيغة التصغير) ابن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم.

أنه خرج في ركب يريد مكة فجئ عليهم الليل بواد مخوف، فقام يكلأ أصحابه وجعل يقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحتي من كل جني بهذا النقب
حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قائلاً يقول: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾⁽¹⁾، فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشا فقالوا: صبأت والله يا أبا كلاب، والله إن هذا مما كان يزعم محمد أنه أنزل عليه، فقال: والله لقد سمعته وسمعه هذا النفر. ثم أسلم وحسن إسلامه.

نصر بن حجاج وسبب نفيه من المدينة

والشهم: الذكي المتوقد الفؤاد. والسري: الشريف ذو المروءة، يريد نصر بن حجاج بن علاط، الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة لما سمع المرأة تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
فانظر إلى السحر يجري في لوحظه وانظر إلى دغج في طرفه الساجي
وانظر إلى شَعَرَاتٍ فوق عارضه كأنهن نَمَالٌ دبَّ في عاج

ويقال إن هذه المرأة أم الحجاج بن يوسف⁽²⁾، ولذلك كتب إليه عبد

(1) الرحمن: 33.

(2) اسمها الفريعة بنت همام.

الملك في كتاب يهدده فيه: يا ابن المتمنية ويا ابن المستفرمة بعجم الزبيب⁽¹⁾.. وفيها يقول نصر بن حجاج:

ليتني في المؤذنين نهارا إنهم ينظرون من في السطوح
فيشيرون أو يُشار إليهم بهذا كل ذات دلّ مليح

ولما سمع عمر قولها: هل من سبيل - البيت - حلق رأسه، ثم سمعها تنشد:

حلقوا رأسه ليكسب قبحا غيرةً منهم عليه وشحاً
كان صباحا عليه ليل بهيم فمحووا ليله وأبقوه صباحا

فطرده عمر من المدينة، ولحق بالشام فأواه أبو الأعور السلمي. ثم رأى أبو الأعور امرأته تكتب في الأرض فكفأ جفنة على ما خطت ودعا من يقرأ فإذا المكتوب: "لا صبر عنك!"، فطرده أبو الأعور⁽²⁾.

(1) المتمنية لقب هذه المرأة؛ لقبت بذلك لقول عمر فيها: - حين سمعها تنشد: هل من سبيل إلى همر فأشربها.. إلخ: - "من هذه المتمنية"؟. وقد أحبت نصر بن حجاج هذا حتى ضنيت من حبه ودنفت من الوجد به ولهجت بذكره حتى ضرب بها المثل فقيل: "أصب من المتمنية" كما أن نصرا أحبها حبا شديدا حتى ضرب به المثل فقيل فيه: "أدنف من المتمنى". والمستفرمة: التي تجعل الدواء في فرجها ليضيق. وعجم الزبيب: حبه وهو مما يستفرم به؛ يريد أنها تعالج به فرجها ليضيق ويستحصف - [اللسان].

(2) وفي رواية أنه جاء إلى البصرة فأواه مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي من أجل قرابته وجعله في منزله وأخدمه امرأته، وكانت أجمل امرأة بالبصرة؛ فعلقته وعلقها، وكان يتحدث مع مجاشع، وكان مجاشع أميا لا يقرأ، وكانت المرأة تقرأ. فلما عيل صبر نصر بن حجاج كتب على الأرض بحضرة مجاشع: "إني قد أحبتك حبا لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلك"، فوقعت تحته غير محتشمة: "وأنا"، فسألها مجاشع عما كتبا فلم تصدقه فكفأ على الكتابة جفنة ودعا بغلام من الكتاب فقرأ عليه، فالتفت إلى نصر وقال له: يا ابن

<<=

وولد نصر أيام النبوة وشهد خبير مع أبيه.

يقول: ومن سُليْمٍ أيضا الحجاج بن علاط أبو الشريف الذكي الجميل نصر، الذي طرده عمر، أي نفاه من المدينة، لما سمع النساء يتشبن به، خوف أن يفتن نساء حرم رسول الله ﷺ.

حَجَّاجُ ذَا اسْتَخْلَصَ بِاحْتِيَالِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ جَمِيعَ مَالِهِ

حجاج ذا: يعني ابن علاط. واستخلص: استنقذ. يشير إلى أن الحجاج لما أسلم شهد خبير واستأذن النبي ﷺ في القول على قريش ليستخلص منهم ماله، فأذن له في كل ما يقول. فأتى أهل مكة كاتما إسلامه، وكان حديث عهد بهم على الكفر، فقالوا له: بلغنا أن القاطع سار إلى خبير. قال: نعم ولكن هزم هزيمة لم يسمع بمثلها، وأسر محمد؛ وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلونه بمن كان قتل منهم، فاجمعوا لي مالي في تجار مكة لأصيب من فل محمد وأصحابه في خبير قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال: فَقَامُوا وجمعوا لي مالي، وقلت مثل ذلك لصاحبي أم شيبه بنت أبي طلحة، وقد كان لي عندها مال موضوع. فجاءني العباس، وقد سمع

-- >>

عم ما سِيرَك عمر من خير.. فقم فإن وراءك أوسع. فنهض مستحيا وعدل إلى منزل بعض السُّلميين، فضني من حب المرأة ولم يزل على ذلك حتى مات. فضرب به أهل البصرة المثل "أدنف من التَّمَنَّى" - [مجمع الأمثال للميداني وغيره].

هذا، فقلت له: اكنم عني حديثي ثلاثاً ثم قل ما شئت، فإني قد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه، فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم صفية، ولقد افتتح خيبر وانتقل ما فيها وصارت له ولأصحابه. فلما كان اليوم الثالث أخبر العباس أهل مكة بحقيقة الخبر، فقالوا: انفلت منا عدو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن⁽¹⁾، ولم يلبثوا أن جاءهم حقيقة الخبر.

وَصَاحِبُ الضَّبِّ عَلَى يَدَيْهِ أَسْلَمَ أَلْفٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ

صاحب الضب: اشتهر في كتب الحديث والسير ذكره بهذا الوصف من غير تسمية، كأنه اغتني بهذا الوصف عن اسمه ونسبه⁽²⁾. وحديثه أنه اصطاد ضباً فجعله في طرف ثوبه، فأتى فوجد رسول الله ﷺ في ملأ يحدث الناس فقال: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قال: أهذا الذي يزعم أنه نبي؟ والله لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب. فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب»، فطار الضب ومثل بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال: لبيك يا رسول الله وسعديك والخير كله بيدك. قال: «من تعبد؟» قال:

(1) ومات رضي الله عنه في أول خلافة عمر، كما في الإصابة، وله أخ اسمه صالح بن علاط مات في الجاهلية.

(2) وقد قيل إن اسمه قيس بن شعبة السلمي، ونظم ذلك ابن النازم حبيب بن أحمد البدوي، معلقاً به على نظم والده رحمهما الله فقال:

وَصَاحِبُ الضَّبِّ الشَّهِيرُ السُّلَمِيُّ قَيْسٌ سَلِيلُ شُعْبَةَ فَلْتَعْلَمِ

الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة ثوابه وفي النار عقابه. قال: «من أنا يا ضب»؟ قال: محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين والشفيع في المذنبين، السعيد من والاك والشقي من عاداك. فأمن السلمي وأتى قومه بالحديث، فأسلمت منهم ألف على يديه. (أهـ من الشفاء للقاضي عياض)^(١).

وَرَأَشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الَّذِي بَالَ عَلَى صَنَمِهِ الْمُنتَبِذِ
لِذَاكَ بَعْدُ الثُّعْلَبَانُ فَكَسَرَ صَنَمَهُ وَجَاءَ سَيِّدَ الْبَشَرِ

المنتبذ: المنبوذ، أي المطروح الملقى. والثعلبان: يروى بضم الثاء واللام وبالضمة على النون - علامة للرفع - وهو ذكر الثعالب؛ ويروى بصيغة تشية ثعلب.

يقول: ومن سليم أيضا راشد بن عبد ربه الذي كان سادنا للصنم^(٢)، فأتاه يوما فوجد أثر ثعلبين أقبلًا يشتدّان حتى تسنماه فبالا عليه؛ فكسره وأنشد^(٣):

أربُّ يبول الثعلبان برأسه؟ لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب!

(١) وذكره أبو نعيم في دلائل النبوة.

(٢) أي خادما له، يعني صنم سليم.

(٣) لقد خاب قوم أمْلوك لشدة أرادوا نزالا أن تكون تحارب
فلا أنت تفني عن أمور تواترت ولا أنت دفاع إذا حل نائب
أربُّ يبول...

ثم قال: يا معشر سليم لا والله، لا يضر هذا ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، فكسره ولحق بالنبي ﷺ فأسلم، وقال له: «ما اسمك»؟ فقال: غاوي بن عبد العزى، فقال صلى الله عليه وسلم: «بل أنت راشد بن عبد ربه»⁽¹⁾، فكان ذلك اسماً له.

أَلْفٌ مَعَ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفَتْحِ أَمَامَهُ لَوَاؤُهُمْ كَالصُّبْحِ

يعني أن سليماً غزت منهم ألف مع النبي ﷺ غزوة الفتح، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس⁽²⁾:

... وفينا - ولم يستوفها معشر - ألفا

(1) رواه ابن منده كما في الإصابة.

(2) من قصيدة له:

فإن تتبع الكفار أم مؤمل	فقد زوّدت قلبي على نأيها شغفا
وسوف ينبئها الخبر بأننا	أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وإنا مع الهادي النبي محمد	وفينا - ولم يستوفها معشر - ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة	أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم	مصاعب زافت في طروقتها كلفا
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس	أسودا تلاقت في مراصدها غضفا
بنا عز دين الله غير تنحل	وزدنا على الحي الذي معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا	عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا

إلى أن يقول:

فكائن تركنا من قتيل ملحسب	وأرملة تدعو على بعليها لهفا
رضى الله ننوي لا رضى الناس نبتغي	ولله ما يبدو جميعا وما يخفى

إلخ..

ومكملهم الألف: الضحاك بن سفيان الكلابي، وزنه النبي ﷺ بمائة وأمره على جيش سليم وهو تسعمائة، فكان به ألفاً؛ وفي ذلك يقول العباس بن مرداس⁽¹⁾:

تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا كما مشى الليث في غاباته الخدر
من قصيدته الرائية التي أولها:

ما بال عينك فيها عائر سهر مثل الحماسة أغضى فوقها الشفر⁽²⁾

وَكُلُّهُمْ مِّنْ بُهْثَةٍ وَمِنْهُمْ رِعْلٌ وَذَكْوَانٌ عُصِيَّتُهُمْ

(1) دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
واذكر بلاء سليم في موطنها
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا
إلى أن يقول:

الضاربون جنود الشرك ضاحية
حتى دفعنا وقتلاهم كأنهم
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
إذ نركب الموت مخضرا بطائنه
تحت اللواء مع الضحاك.. إلخ.

(2) عين تأوبها من شجوها أرق
كأنه نظم دُرٌّ عند ناظمه
يا بعد منزل من ترجو مودته
دع ما تقدم من عهد الشباب.. إلخ.

يعني أن سليما كلهم من بهثة (بضم الباء وبالثاء المثلثة بعدها هاء التأنيث)، إذ لم يعقب من أولاد سُلَيْمٍ إلا بُهْثَةً؛ وأولاده خمسة كلهم أبو قبيلة أو قبائل؛ وهم: ثعلبة بن بهثة، وامرؤ القيس، والحارث، ومالك وعوف⁽¹⁾. ومنهم: أي ومن بهثة؛ وجعله الضمير رويًا سائغ في أشعار العرب، قال أبو محجن الثقفي الصحابي:

كفى حَزَنًا أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمتُ عَنَّا الحديدُ وأغلقت مصارع من دوني تصم المناديا

وقال أبو جهل:

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدتني أُمي

أما ذكوان فمنهم صفوان بن المعطل، المتقدم ذكره، ومنهم أخوال النبي ﷺ أهل العواتك: الأوقص بن مرة بن هلال بن ذكوان، وتقدمت أبوتهم للعواتك.

وأما رعل فهم الذين كان النبي ﷺ يُقْنِتُ بالدعاء عليهم مع عصية، لأنهم أنجدوا عامر بن الطفيل على قتل أهل بئر معونة.

(1) أما ثعلبة بن بهثة فمنهم بنو ذكوان، الذين منهم بريء الإفك صفوان بن المعطل، وأما امرؤ القيس فمنهم بنو رعل وعُصية، وأما الحارث فمنهم العباس بن مرداس.
(2) أي أجداده.

وَمِنْ عَصِيَّةَ بَنُو الشَّرِيدِ فَازُوا بِكُلِّ شَاعِرٍ مُجِيدٍ

يقول ومن عصية بنو عمرو بن الشريد - أو عَمَرُو اسم الشريد - بن
بغضة بن عصية.

ذكر الخنساء وأخويها: صخر ومعاوية

ولما كان بنو الشريد من عصية فازوا - أي عصية - بالشعراء المجيدين
للشعر؛ وهم الخنساء وأخوآها صخر ومعاوية، لأنهم كلهم شعراء، وإن
اشتهرت به الخنساء⁽¹⁾؛ ومن شعرها:

هريقي من دموعك واستفيقي وصبرا إن أطق ولن تطيقي⁽²⁾
إلى أن قالت:

(1) قال ابن عبد البر: قدمت الخنساء على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد بني سليم
فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدنا ويعجبه
شعرها، فكانت تنشده ويقول: «هيه يا خنساء»، ويومئ يده. قال: وأجمع أهل العلم
بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها.

(2) وقولي إن خير بني سليم وفارسهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا ليال وأيام لنا بلىوى الشقيق
وإذ نحن الفوارس كل يوم إذا حضروا وفتيان الحقوق
وإذ فينا معاوية .. إلخ..

فبكيه فقد أودى حميدا أمين الرأي محمود الصديق
فلا والله لا تنساك نفسي لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيرا من النعلين والرأس الحليق

وكانت المرأة في الجاهلية إذا أصيبت بحميم حلفت رأسها وأخذت يديها نعلين تصفع بهما
وجهها وصدرها.

وإذ فينا معاوية بن عمرو على أدماء كالجمل الفنيق

(والفنيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته على أهله).

ولها أيضا:

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدار

وهو مطلع قصيدتها الرائية في صخر ومنها:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه عَلم في رأسه نارُ

وإن صخرًا لوالينا وسيّدنا وإن صخرًا إذا نشْتُوا لِنَحَارُ

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره أهل الميآه وما في ورده عارُ

وذكر الولي اليدالي في الحلة السيرا أن عمر استنشدتها فأنشدته:

ترى الأمور سواء وهي مقبلة وفي عواقبها تبيان ما التبسا

ترى الجليس يقول القول تحسبه نصحا وهيئات ما نصحا به التمسا

فاسمع مقالته واحذر عداوته والبس له ثوب شك مثل ما لبسا

فقال لها: أنت أشعر كل ذات ثدين، فقالت: وكل ذي خصيين.

وكان بشار بن برد يقول: ما قالت امرأة شعرا إلا وظهر عليه

الضعف؛ ف قيل له: حتى الخنساء؟ قال: لا، تلك لها أربع خصي!

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سمع عائشة تذكر اليرنا - وهي

الحناء - فقال لها: «ممن سمعت هذه اللفظة»؟ قالت: من الخنساء.

ومر بها دريد بن الصّمة وهي تهناً بعيرا لها⁽¹⁾ فقال فيها:

(1) أي تطليه بالحناء؛ وهو القطران، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أزاحم جملا

قد هنئ بقطران أحب إلي من أن أزاحم امرأة عطرة» - [لسان العرب].

حيوا تماضر⁽¹⁾ واربعوا صحي وقفوا فإنَّ وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله كالיום طالي أينق جُرب
متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب⁽²⁾
أخناسُ قد هام الفؤاد بكم وأصابه تَبْلٌ مِّن الحبِّ

ثم خطبها، فبعثت جاريتها تنظر في بوله هل يثير أو يقعر؟ فأنتها فقالت:
بل يثير، فردته⁽³⁾ فهجاها. ف قيل لها: هلا هجوته؟ فقالت: ما كنت لأجمع
عليه الرد والهجو. ثم هجته بعد ذلك فقالت:

معاذ الله ينكحني حبرُكي قصير الشبر من جشم بن بكر⁽⁴⁾

(1) تماضر: اسم الخنساء بنت عمرو السلمية.

(2) الهناء (بالكسر): الطلاء، والنقب: الجرب.

(3) وفي رواية أنها قالت لها: انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ويخذ فيها ففيه بقية، وإن كان يسيح على وجه الأرض فلا بقية فيه، فرجعت إليها وأخبرتها أن بوله ساح على وجه الأرض؛ فقالت: لا بقية في هذا، وأرسلت إليه: ما كنت لأدع بني عمِّي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخاً من بني جشم. فقال دريد:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي إذا ما ليلة طرقت بنحس
تريد شربث الكفين شئنا يقلب بالحديدة كل كرس
وقالت: إنه شيخ كبير وهل خَبَرْتُها أني ابن أمس؟!

(والشربث: الغليظ الكفين والرجلين. وشئت الكف: خشنت وغلظت).

(4) يرى مجداً ومكرمة أتاها إذا عَشَى الصديقَ جريمَ تمر
ولو أصبحت في جشم هديا إذن أصبحت في دنسٍ وفقر

والحبركي: الضعيف الرجلين كأنه مقعد لضعفهما والطويل الظهر القصيرهما - [القاموس]،
(وجريم التمر: يابسه).

وأسلمت الخنساء وصحبت، وكان لها ثلاثة من الولد فتيان نجباء. فلما كان قتال الفرس بالقادسية، في ليلة يريد فيها المسلمون الغدو على القتال، دعتهم ثلاثتهم وذكّرت لهم تربيتهنّ لهم وتأديبها لهم، ثم قالت لهم: يا بني لا أريدكم لأعظم من أن أقدمكم شهداء ولا تريدون لأنفسكم أكرم من الشهادة، فإذا زحفتُم غداً للمشرّكين فإياكم أن ترجعوا إلي إلا بأحسن البلاء أو يرزقكم الله الحسنى وهي الشهادة العظمى، وأوصيكم بتقوى الله العظيم وأوصوني به وموعدكم الجنة إن شاء الله، أو كما قالت.

فلما لاقوا العدو غداً جعلوا يرتجزون بقولها ووصيتها، حتى استشهدوا عن آخرهم، جازاهم الله خيراً وجازاها عنا وعنهم خيراً - [أهـ من الكلاعي].

وأخوها صخر بن عمرو، كان فارساً جواداً مغواراً شجاعاً؛ أغار على هذيل مراراً وقتل منهم قتلى، فلما كان ذات يوم أغار عليهم آخر النهار فكمنوا له حيث لا يظنهم، فمر بالكمين فطعنه رجل في صدره فجرح؛ فلم يزل الجرح يعالج إلى أن نبت فيه مثلُ اليد فأعيا الأطباء. فلما أُئس منه وقَفَ رجل على زوجته وقال: كيف صخر؟ قالت: لا حي فيرجى ولا ميت فيريح، وهو يسمع⁽¹⁾، فأنشأ يقول:

(1) وفي رواية أنه كانت له امرأة حسناء مفخمة الخلق ذات ردف ثقیل، فمر بها رجل من قومه فقال لها: أبيع الكفل؟ فقالت: نعم، عما قريب. فسمعها صخر فقال: لئن استطعت لأقدمك قبلي، وسمع امرأة تسأل أمه تقول: كيف صخر؟ فقالت أمه: نحن بخير ما رأينا سواده (تعني شخصه)، ثم سمع امرأة أخرى تسأل امرأته عنه فقالت: لا حي فيرجى ولا ميت فيُسلى فلقد لقينا منه الأمرين. فعزم على قتلها فقال لها: يا سليمي ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي، فناولته إياه، فإذا هو لا يقدر على أن يقله فردته إليها وقال:

أرى أم صخر لا تملُ عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في شقى وهوان

ومات منه قبل الإسلام. وهو أخو الخنساء لأبيها⁽¹⁾، وأما معاوية فأخوها
للأب والأم⁽²⁾، وكان من فتيان سليم وفرسانهم. وكان يواصل بغيًا

--- >>

أرى أم صخر لا تملُ عيادتي .. إلخ.

وبعده:

وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة .. إلخ.
أهم بأمر الحرب لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها معرّسٌ يعسوب بحدّ سنان

(1) ومما قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مُصْعِدا
يكلفه القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولدا
تري الحمد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا

(2) وكان صخر أحب إليها من معاوية لأنه كان حليما جوادا محببا في العشيرة، وكان مقتل
معاوية قبل مقتل صخر فكانت الخنساء تندبه فلما أصيب صخر نسيت به ما كان قبله من
مصاب معاوية. وكان معاوية فارسا شجاعا.

وينازعه فيها هشام بن حرملة الفزاري، أو هي زوجته؛ وكانت فرس معاوية أدماء - كما قالت الخنساء - شديدة الحمرة، وكانت لها غرة، فحنى غرتها وركب في فرسان من قومه يريدون المرأة، فاستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره فعصاها، فلما أتى المرأة عرف هشام بن حرملة الفرس، فدعا خيله فركبوا ولحقوا بهم، فرماه هشام فقتله⁽¹⁾. وكان في خيل معاوية خفاف بن نُدبة، فثنى عنان فرسه وطعن مالك بن حرملة - أخا هشام - بالرمح فقتله؛ وفي ذلك يقول:

فإن تك خيلي قد أصيبَ صَمِيمُهَا	فعمداً على عيني تيممت مالكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته	وجانبت شبان الرجال الصعالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتي	لأبني مجداً أو لأثار هالكاً
فجادت له يميني يدي بطعنة	كست متنه من أسود اللون حالكا
أقول له والرمح ياطر متته:	تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا!

وكان أبوهما عمرو بن الشريد يمسك بيدي ابنه صخر ومعاوية في الموسم ويقول: أنا أبو خيرى مضر⁽²⁾ ومن أبى ذلك فلينا فرني، ولم ينكر أحد عليه.

(1) ورثته أخته الخنساء بقولها:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية	إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
بداهية يصفى الكلاب حسيها	وتخرج من سر النجي علانية
وكان لزاز الحرب عند شوبها	إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها	سعال وعقبان عليها زبانية
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي	عليك بحزن ما دعا الله داعية

(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، وغيره.

وَلَهُمْ ابْنُ نُدْبَةَ خُفَافٌ فَارِسٌ قَيْسٌ كُلُّهَا يُضَافُ

قوله: ولهم: أي لعصية. وندبة (بالضم ويفتح): أمه، وهي أمة، وأبوه عمير. وخفاف من أغربة العرب⁽¹⁾، وكان أسود.

يقول ولعصية يضاف خفاف ابن ندبة، فارس قيس عيلان كلهم؛ شهد الفتح وحنينا والطائف، حديثه: أتيت النبي ﷺ فَقُلْتُ: على من تأمرني أنزل، أعلى قريش أم على الأنصار أم أسلم أم غفار؟ فقال: «يا خفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق فإن عرض لك شيء نصرته وإن احتجت إليه رفدك»⁽²⁾.

وَهُوَ أَبُو خُرَاشَةَ، بِيَدِهِ لِقَاؤُهُمْ فِي الْفَتْحِ دُونَ جُنْدِهِ

وهو: أي خفاف، ويكنى أبا خراشة. وهو حامل لواء مسلمي سليم يوم الفتح دون سائر سليم، لأنه فارسهم، وهو قاتل مالك بن حرملة - أو حمار - كما قدمنا قريبا. وله يقول العباس بن مرداس، وكانت بينهما مهاجاة في الجاهلية:

أبا خراشة إما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبعُ

والضبع: السنة، يعني أنهم ذوو عدد ومنعة.

ومن مفاخر سليم، وهي أعظمها، أنهم يوم الفتح ألف مع النبي ﷺ.

(1) خفاف (بوزن غراب). وأغربة العرب ثلاثة: خفاف هذا والثاني عنزة بن شداد العبسي والثالث السُّليكَ (بصيغة التصغير) واسم أمه السلكة (بضم ففتح)، وأمهاث الثلاثة سود.

(2) رواه الخطيب في جامعہ عن خفاف بن ندبة وله طرق، قال العجلوني: وكلها ضعيفة.

وَمِنْهَا أَنْ عَمْرُ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ الْآفَاقِ أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ أَفْضَلَهُ رَجُلًا؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَتَبَةَ بْنَ فَرْقَدٍ السُّلَمِيَّ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ مَجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ السُّلَمِيَّ وَأَهْلُ الشَّامِ أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ وَأَهْلُ مِصْرَ مَعْنَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيَّ. وَمِنْهَا أَيْضًا أَنْ مَعْنًا هَذَا شَهِدَ هُوَ وَأَبُوهُ يَزِيدُ وَجَدُّهُ أَبُو يَزِيدَ بْنَ الْأَخْنَسِ بْنُ حَبِيبٍ بَدْرًا وَلَيْسَتْ لِسَوَاهِمُ. قَالَ نَازِمٌ أَهْلُ بَدْرٍ:

يَا رَبِّ بِالْأَخْنَسِ وَالنَّجْلِ يَزِيدُ السُّلَمِيِّ وَمَعْنِ الْحَفِيدِ

وَقَالَ فِي الْإِصَابَةِ: وَلَا يَصِحُّ شَهِودُهُ بَدْرًا وَإِنَّمَا قَالَ: بَايَعْتُ أَنَا وَأَبِي وَجَدِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ سُلَيْمٍ أَيْضًا أَنَسُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ، ابْنُ خَالِ طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيٍّ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ فِيمَنْ قَتَلُوا أَهْلَ بَيْتِ مَعُونَةَ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ. وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمِنْهُمْ أَيْضًا ذُو الْيَدَيْنِ وَاسْمُهُ الْخَرْبَاقُ (بِحَاءٍ مَعْجَمَةٌ كَقَنْطَارٍ) بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيَّ صَاحِبَ حَدِيثِ السَّهْوِ⁽¹⁾، وَلَيْسَ هُوَ بَذِي الشِّمَالَيْنِ عَمِيرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو بْنُ نَضْلَةَ الْخَزَاعِيِّ، وَغَلَطَ مَنْ جَعَلَهُمَا وَاحِدًا؛ لِأَنَّ ذَا الشِّمَالَيْنِ خَزَاعِيٌّ وَاسْتَشْهَدَ بَبَدْرٍ؛ وَذُو الْيَدَيْنِ حَدِيثُهُ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَخَيْرٍ فِي الْعَامِ السَّابِعِ.

(1) الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْقَضَتْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «أَحَقُّ مَا يَقُولُ»؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيْنِ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ].

ومنهم أيضا سفيان بن عبد شمس، كان عليه مدار حرب معاوية بصفين؛ شهد حيننا كافرا ثم أسلم.

هنا انتهى الكلام على سليم، ثم شرع يتكلم على أخيه هوازن فقال:

الكلام على نسب هوازن

أَمَّا هَوَازِنُ فَبَكَرُ ابْنِهِ مِنْهُ مِنْبُهُ الْحَصِينُ حِصْنُهُ
وَسَعْدُ الَّذِي أَرْضَعُوا خَيْرَ الْبَشَرِ وَمِنْ مُعَاوِيَةَ ثَالِثِ النَّفَرِ
صَعَصَعَةٌ وَجُشَمٌ وَنَصْرَةٌ فَجُشَمٌ مِنْهُ دُرَيْدٌ بِدَرِهِ

منبه: هو ثقيف. وقوله: الحصين حِصْنُهُ: يحتمل المعنى: أي لعزتهم ومنعتهم، ويحتمل الحصن: أي حصن الطائف الذي تحصنوا به من النبي ﷺ فحاصرهم فيه سبعة عشر - أو عشرين - يوما ولم يؤذن له في الفتح؛ وكان يوم الشدخة في هذا الحصار، مات فيه عدة من أكابر قريش شهداء؛ ضربوا لهم منجنيقا وأخذوا دبابة فمشوا تحتها يريدون قلع الحصن، فرمتهم ثقيف بالحجارة المحماة حتى ألقوا الدبابة، فرشقوهم بالنبل فأصابوا منهم قتلى كثيرة.

يقول أما هوازن بن منصور فولد بكرا، وولد بكر ثلاثة أولاد: منبه؛ وهو ثقيف، وسعد، ومعاوية؛ ولم يذكره في نسق أولاد بكر اتكالا على ذكره في الكلام عليه بقوله: ومن معاوية.. إلخ. والنفر: ما دون العشرة من الرجال ويُنَّه بثالث.

أما منه فيأتي الكلام عليه، وأما سعد فهم أظآر النبي ﷺ، منهم الحارث بن عبد العزى وزوجه حَلِيمَةُ بنت أبي ذؤيب⁽¹⁾، أبواه صلى الله عليه وسلم. أما الحارث فأسلم باتفاق وكذلك حليلة على الصحيح⁽²⁾. وفي الشفاء للقاضي عياض أنها كانت تأتي أبا بكر وعمر بعد النبي ﷺ فيبَالغان في إكرامها. وبنتها الشيماء⁽³⁾ سُبِيت يوم حنين، فقالت للذين سبوها: أنا أخت صاحبكم. فأتوا بها النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «وما علامة ذلك⁽⁴⁾؟» قالت: عضة بين كتفي عضضتيها وأنا متوركتك. فعرف العلامة، فخيرها بين أن تقيم معه مكرمة وبين أن يصلها ويوصلها أهلها، فاختارت قومها فأعطاهما جارية وغلما اسمه مكحول؛ فزوجت أحدهما من الآخر، ولم يزل فيهم من نسلهما بقية⁽⁵⁾، وأعطاهما أيضا قطيع

(1) أما الحارث فهو ابن عبد العزى بن رفاعه بن ملأى بن ناضرة بن قصبه بن نصر بن سعد بن بكر بن معاوية بن هوازن السعدي، قدم مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. وأما حليلة فهي بنت أبي ذؤيب - واسمه الحارث - بن عبد الله بن شجنة بن جابر بن ناضرة بن فضية بن نصر بن سعد بن بكر بن معاوية بن هوازن السعدية.

(2) في شرح جسوس لشمائل الترمذي قال: ألف مغلطاي مؤلفا في إسلام حليلة وصحح ابن حبان وغيره إسلامها، وذكرها في الإصابة والاستيعاب.

(3) بالشين المعجمة بعدها ياء ساكنة، أو الشماء، واسمها خدامة (بخاء معجمة مكسورة وتضم ثم ذال معجمة وتهمل) أسلمت يوم حنين حين سبيت.

(4) زاد المعاد، وذكره ابن هشام.

(5) قاله ابن كثير في البداية والنهاية: (3/576-577). وفيه رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر لا يبلى». فكشفت عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة، فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال: «سلي تعطي واشفعي تشفعي».

إبل وغنم، قال البوصيري رحمه الله:

وأتى السبي فيه أخت رضاع	وضع الكفر قدرها والسبأ
فجباها برا توهمت الد	أس به أنما السبأ هـداء
بسط المصطفى لها من رداء	أي فضل حواء ذاك الرداء
فقدت فيه وهي سيدة النس	وة والسيّدات فيه إماء

وتفرقوا في الإسلام حتى لم يبق منهم حي يعرف.

وأما معاوية فأولاده أيضا ثلاثة: جشم ونصر وصعصعة. أما جشم فمنهم دريد بن الصمة، وهو بدره: أي سيده وزينه. وأفرد ضمير جشم وذكره باعتبار الحي، ولو أراد القبيلة لأنث الضمير أو أراد أفرادها لجمعه. وقبائل جشم: عدي وعصمة وغزية.

فمن عدي زهير بن معاوية الجشمي، قاتل سعد بن معاذ يوم الخندق على قول (والمشهور أن قاتل سعد حبان بن العرقة، من بني عامر بن لؤي). وذكر زهير في الصحابة.

ومن عصمة الفقيه أبو الأحوص، واسمه عوف بن مالك. ومنهم جعدة بن خالد بن الصمة الصحابي، حديثه: سمعت النبي ﷺ يقول لرجل سمين يومئ إلى بطنه: «لو كان هذا في غير هذا كان خيرا لك».

وأما دريد فعشيرته من جشم غزية (كغنية وسُمية)، وذلك قوله⁽¹⁾:

(1) أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوْى
وَقُلْتُ لَهُمْ إِنْ الْأَحَالِيفُ كُلُّهَا
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
وَهْلَ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ - الْبَيْتِ.

فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
قَعَوْدَ عَلَى مَاءِ التَّلِيلِ فَتَهَمَدَ
غَوَايَتُهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرَ مَهْتَدِ

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد
من قصيدة يرثي بها أخاه عبد الله لما قتله عبس وأثبتت الجراحات دريدا.
ومنها:

دعاني أخي والخيـل بيني وبينه	فلما دعاني لم يجدني بقُفد
تنادوا وقالوا أردت الخيل فارسا	فقلت أعبد الله ذلكم الردي؟
فإن كان عبد الله خلى مكانه	فما كان وقافا ولا طائش اليد
ولا برما إذا الرياح تناوحت	برطب العضاه والضريع ⁽¹⁾ المعضد
كميش الإزار ⁽²⁾ خارج نصف ساقه	صبور على الأواء طلاع أنجد
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه	فلما علاه قال للباطل: ابعـد

ومن جشم أيضا أبو وهب الجشمي، حديثه: «اربطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفأها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار وعليكم بكل كميـت أغرَّ محجَّل أو أشقر أغرَّ محجل أو أدهم أغرَّ محجَّل». ومنهم أيضا زهير بن صرد الجشمي، الذي قدم في وفد هوازن على رسول الله ﷺ، فوجدوه بالجرعانة، وعنده سباياهم ولم يقسمها بعد؛ فأسلم وأنشده قصيدته التي أولها:

امن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر⁽³⁾

(1) الضريع: نبت له شوكٌ كبار.

(2) كميش الإزار: مشمره.

(3) يا خير طفل ومولود ومنتخب في العالمين إذا ما حصل البشر
امن على بيضة قد عاقها قدر مشئت شملها في دهرها غير

إلى أن يقول:

امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك قملؤه من محضها الدرر

فَاعْفُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظُّفُرُ
وهذا البيت هو آخرها، وكان زهير رئيس قومه. وسائر القصيدة والأخبار
المتصلة بها ذكرته في شرح الغزوات وكذلك خبر مالك بن عوف.

وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ الْمُحَزَّبُ هَوَازِنًا لِنَصْرِهِمْ يَنْتَسِبُ

المحزب: من حزّب القوم أي جمعهم للحرب وألبهم. يعني أن مالك بن
عوف الذي جمع هوازن لحرب النبي ﷺ من بني نصر بن معاوية⁽¹⁾، لما
هزمت هوازن وقف على ثنية في طريق الفلّ حتى أجاز قومه بني نصر بعد ما
استحرقّ فيهم القتل ثم تحصن مع ثقيف في حصنهم. وقال النبي ﷺ: «لو أتاني
لرددت عليه ماله وأهله»⁽²⁾، فسمعها مالك فأتاه⁽³⁾، فرد عليه ماله وأهله
وأعطاه مائة ناقة واستعمله على من أسلم من قومه. فقال يمدح النبي ﷺ:

-- >>

إِذْ كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتُ تَرْضَعُهَا وَإِذَا يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نِعَامَتُهُ وَاسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرُ زَهْرٍ

إلى أن يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ
إِنَّا نَوْمِلُ عَفْواً مِنْكَ تَلْبَسُهُ هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذَا تَعَفَّوْا وَتَنْتَصِرُ
فَاعْفُ عَفَا اللَّهُ .. إلخ.

(1) وهو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن
هوازن، النصرى، كان رئيس المشركين يوم حنين.

(2) ذكره ابن إسحاق.

(3) أي وأسلم.

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عودت أنيابها⁽¹⁾ بالسهمري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد

الكلام على بني عامر بن صعصعة

صَعَصَعَةٌ مِّنْهُ الْعَزِيزُ عَامِرٌ وَعَامِرٌ مِّنْ صُلْبِهِ أَكَابِرُ
مِنْهَا رَبِيعَةٌ أَبُو كِلَابٍ وَكَعْبُ الْأَمَاجِدِ الصَّلَابِ

يعني أن من ولد صعصعة بن معاوية عامرا الذي منه بنو عامر بن صعصعة، القبيلة المشهورة. ومن بنيه أيضا مرة بن صعصعة⁽²⁾، أمُّ بنيه سلول بنت ذهل بن شيان - وسموا بها⁽³⁾، [وسياتي الكلام عليهم].

وأما عامر فمن بنيه لصلبه: أي لظهره أصالة ليس بينه وبينه أب أكابر. وأكابر: جمع كابر للعظيم. قوله منها، أي من أكابر ربعة: أبو كلاب

(1) في نسخة: عردت أبناؤها بالسهمري..

(2) وأخو عامر ومرة هذين وائل، أمهم عمرة بنت عامر بن الظرب. ومن بني صعصعة أيضا غالب وأمُّه غاضرة وبها يعرفون؛ وقيس وعوف ومساور وسيار، أمهم عدية وبها يعرفون؛ وكثير وعمرو وزبيبة وأمهم وائلة وبها يعرفون؛ وعبد الله والحارث وأمهما عادية وبها يعرفون؛ وربعة وأمهم عويصرة وبها يعرفون. واقتصر الناظم من هذه البطون على بني عامر لكثرتهم وشهرتهم ومجدهم في العرب.

(3) وهم نهار وعمرو وضبيعة وجندل وغاضرة وجبار، وعرفوا ببني سلول وهي أمهم. وكان حبشي بن جنادة من ذرية جندل بن مرة وقردة بن نفاعة من ذرية عمرو بن مرة.

وكعب الأماجد: جمع ماجد أي فاعل المجد. الصَّلاب: أي الأقوياء⁽¹⁾.
ومن بني عامر أيضا بنو هلال وبنو نمير، ويأتي الكلام عليهما إن شاء الله.
ثم قال رحمه الله:

وَمِنْ كِلَابٍ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ مُرْدِي زُهَيْرٍ ذِي الْإِتَاوَةِ السَّرِيِّ

يقول ومن كلاب خالد بن جعفر بن كلاب، مردى: أي قاتل زهير بن جذيمة العبسي. ذي الإتاوة (بالكسر): الخراج. والسري: الشريف.
وابتداء الخبر أن زهيرا كانت قيس تؤدي إليه الإتاوة كل عام، فجاءته يوما عجوز من بني عامر بعكة⁽²⁾ غير ملئى ووجدته في موسم من المواسم⁽³⁾، فدفع في صدرها فوقعت على قفاها منكشفةً، فضحك منها أهلُ الموسم؛ فسمع بها خالد وحلف ليقتلن زهيرا، ثم التقيا عند قريش فحجزت بينهما، فقال خالد: اللهم اجعل يدي هذه القصيرة الشعراء من وراء عنق زهير ثم أعني عليه. فقال زهير: اللهم اجعل يدي هذه الطويلة البيضاء من وراء عنق خالد ثم خل بيننا؛ فقالت له قريش: هلكت والله يا زهير. فقال: إنكم لا تعلمون شيئا أيقتلني هذا!.

(1) وصفهم بذلك لأن العرب لا تبالي بغيرهما من بني عامر، ولذا قال دريد يوم حنين: "لو كان يوم عز وعلاء لما غابت عنه كعب وكلاب"، وأولاد كلاب بن ربيعة: عامر وربيعة وكعب وجعفر وأبو بكر وعمرو والحارث وعبد الله والضباب. وأولاد كعب بن ربيعة: عبد الله وجعدة وقشير وعقيل.

(2) العُكة: آنية السَّمْن، أصغر من القرية.

(3) واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس.

ثم سمع خالد أن زهيرا انعزل في جيرة قليلة منها أخوه أسيد بن جذيمة، فندب بني عامر؛ فركب في خيل منهم. فلما كانوا يرون سرح الجيرة نزلوا عن خيلهم وجعلوها في مكان وربطوا أذناها لئلا تذبذب بها فيرى تحركها، حتى روت رعاة بني جذيمة فقالوا: رأينا اليوم أكمة ما كنا نعهدا في ذلك المكان الذي هي به، فقال أسيد: تلك والله خيل بني عامر⁽¹⁾، فشرع في التقويض والهرب، فقال زهير: كل أرب نفورا! وكان أسيد كثير الشعر. فحلف زهير لا يبرح حتى يصبح في ذلك المكان؛ فتحملوا فبقي هو وبنوه ممسكي رؤوس خيلهم حتى دهمتهم الخيل، فركبوا هاربين فشرع زهير يضرب فرسه إذ أحس بالقوم، فقال أحد بنيه: شيء عظيم يحمل الشقراء على الضرب. فلحقه غلام من القوم على مهرة فطعن فرسه في الفخذ، فجعل زهير يدني منه شقها الثاني ليطعنها فيه فتستوي في الظلع ولا ينقص ذلك من جريها، ففطن له خالد فزجر الغلام، ثم لحق به وجعل يده من وراء عنقه - كما سأل قبل - فنزل به إلى الأرض. وكرّ على زهير بنوه وضربوا خالدا من فوق زهير فلم يغنوا شيئا؛ وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير⁽²⁾:

(1) فقال له زهير: أين بنو عامر؟ أما بنو كلاب فكالحية إن تركتها تركتك وإن وطئتها عضتك، وأما بنو كعب فإنهم يصيدون اللآي، يعني الثور الوحشي، وأما بنو غير فإنهم يرعون إبلهم في رؤوس الجبال، وأما بنو هلال فيبيعون العطر، فشرع أسيد في التقويض..

(2) رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

ألا ليت أني يوم أضرب خالداً ويمنعه مني الحديد المظاهر
ويا ليت أني قبل أيام خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر⁽¹⁾
وشلت يميني يوم أضرب خالداً وشل بناناها وشل الخناصر

فلما لحق أصحاب خالد لم يجدوا حيث يضربون زهيرا من تحت خالد،
قال لهم خالد: اقتلونا معا⁽²⁾، فقتلوا زهيرا ورجعوا. ثم قال خالد ما فعلتم
شيئا.. لعل الرجل لم يمت وعجلنا عنه، فقال له أحدهم: لا والله لقد
مات، ضربته بالسيف حديد والساعد شديد، فوجدت شيئا على غرب
السيف فذقته فإذا هو حلو فعلمت أنه الدماغ⁽³⁾. والغلام الذي لحق زهيرا
وطعن فرسه هو أخيل، جد ليلي الأخيلية، واسمه معاوية بن عبادة بن عَـقِيل
بن كعب.

وكان قيس بن زهير ليلة قتل أبيه غلاما له ذؤابة، فلما شب شرع في
طلب ثأر أبيه باشتراء الخيل والسلاح واستنجد العشائر، إلى أن وقع في

--- >>

إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر
ألا ليت أني يوم أضرب .. إلخ.

العجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها، لعجلتها في ذهابها ومجيئها جزعا.

(1) تماضر: هي بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمية، امرأة
زهير بن جذيمة.

(2) وكان في أصحاب خالد رجل اسمه حندج فقال لخالد: نحّ رأسك فنحى خالد رأسه
فضرب حندج زهيرا ضربة على دهش، ثم ركبوا وتركوه.

(3) واستسقى زهير بنيه فمنعوه حتى نهك عطشا، وذلك لأن المصاب في الدماغ يخاف عليه
الماء، فلما بلغ منه العطش جعل يهتف: أميت أنا عطشا؟ وينادي: يا ورقاء يا شأس، فلما
رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة.

وَعَالَهُ ابْنُ ظَالِمٍ فَهَرَبَا إِلَى تَمِيمٍ وَالْحُرُوبَ أَلْهَبَا

غاله واغتاله: أهلكه. وابن ظالم: هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان. يعني أنه لما قتل خالد بن جعفر هرب إلى تميم^(٢) فاستجار بزُرارة بن عدس، لأن قومه تشاءموا به وكره أن تكون لهم عليه منة. فأهلب، أي أوقد، الحروب بين تميم وبني عامر بن صعصعة ومن معهم من قيس عيلان؛ فكان بينهم يوم جيلة^(٣). (وولد عامرُ بن الطفيل ليلة جيلة، فقال فيه متفرس: سيسود هذا الغلام؛

(١) حرب مشهورة جرت بين عبس وذبيان، وتعرف أيضا بحرب داحس والغبراء: فرسي قيس بن زهير، والحنفاء والخطار: فرسي حذيفة بن بدر. ذكره الشارح عند قول الناظم:

ومن فزارة بن ذبيان بنو بدر وفي حرب الرّهان وهنوا

(٢) وكان خالد بن جعفر قد أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ فقتل الرجال وبقيت النساء، والحارث يومئذ غلام. وزعموا أن أباه ظالمًا هلك في تلك الواقعة من جراحة أصابته يومئذ، فنشأ الحارث على بغض خالد وأردف ذلك قتله زهير بن جذيمة فاستحق خالد العداوة في غطفان، إلى أن التقى الحارث وخالد عند النعمان بن المنذر وجرت بينهما المحاورة المذكورة، التي جرّت إلى قتل الحارث لخالد في جوار الملك؛ فخرج الحارث هاربا يطوف في البلاد يلتمس من يجيره.

(٣) يوم جيلة (بالجيم والباء الموحدة محرّكة): كان بين بني عبس وذبيان ابني بغيض، وفيه يقول بعض رجّازهم:

لم أر يوما مثل يوم جيلة يوم أتتنا أسدٌ وحنظلة

وغطفانُ والملوكُ أزفله نضربهم بقضبٍ منتحله

وجيلة: هضبة حمراء بين الشُرَيْف والشَّرَف؛ وهما ماءان؛ الشُّرَيْف لبني نُمير والشَّرَف لبني كلاب، ويقال لهذا الموضع أيضا شِعْبُ جيلة.

ويقال إنه ما ولد غلام في ضيق إلا وساد. وعام جبلة هو عام مولد النبي ﷺ.

الحارث بن ظالم وقصة قتله لخالد

ثم لحق الحارث بقريش بعد أن استجار بهم وانتسب إليهم، لما يقال إن عوفا - أبا مرة - ابن عوف بن لؤي، وسيأتي ذلك إن شاء الله. وذلك قول الحارث:

رفعت السيف إذ قالوا قريشا	وبينت الشمائل والعتابا
فما قومي بثعلبة بن سعد	ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي إن جهلت بنو لؤي	بمكة علّموا مضر الضرابا
سفّهنّا باتّباع بني بغيض	وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهمة مخرق لما تروى	هراق الماء واتّبع السرابا

وحديث قتله لخالد أنه وفد في أول فتوته على النعمان بن المنذر، فوجد عنده خالد بن جعفر، وكان ذا مكانة عنده - ولم تزل بين بني عامر وغطفان الضغائن منذ قتل خالد زهيرا - وكان الحارث لا يعبأ بخالد في كلامه ودخوله وخروجه، وخالد يُضمر له ذلك. ثم غداهما النعمان وأشركهما في تمر، فجعل خالد يلقي النوى بين يدي الحارث، ففطن له الحارث ولكن لم يكثر به. ثم قال خالد للنعمان: انظر - أبيت اللعن - ما أكل هذا الغلام من التمر، قال الحارث: نعم ولكن أكلت أنت أكثر مما أكلت، قال: وأين نواه؟ قال: ابتلعتة! فضحك النعمان وغضب خالد وقال له: والله لألحقنك بابن عمك زهير الذي قتلت ولم أنبّه فيه من نومي، فقال: والله ما نسيت زهيرا ولا نسيه أحد من غطفان. وكان بينهما كلام في بقية ذلك اليوم يغلظ عليه فيه خالد ويبدؤه بالسوء، فلما

كان الليل تعرف الحارث البيت الذي نام فيه خالد، فأمهله حتى نام الناس فدلف إليه ودعاه باسمه حتى عرف مكانه فعلاه بالسيف فقتله وقتل شخصين معه، فهرب من الليل.

فبلغ عمرو بن الاطنابة - من بني الحارث بن الخزرج - قتل الحارث لخالد، وكان صديقاً له؛ وكانت لخالد بن جعفر صداقة في الأوس والخزرج، كعمرو بن الاطنابة وحضير بن سيماء بن عتيك الأشهلي؛ ولما سمع خالد بقتل حضير قال يرثيه:

أتاني حديث فكذبته وقالوا خليلك بالارمس
فيا عين بكّي حُضير الندى حضير الكتائب والمجلس

ولما بلغ عمرو بن الاطنابة قتل خالد⁽¹⁾ دعا بشرابه، ووضع تاجه على رأسه ودعا بالقيان يغنيه:

عللاني وعللاً صاحبياً واسقياني من المروء رياء⁽²⁾

(1) قال: والله لو لقي الحارث خالداً وهو يقظان لما نظر إليه، ولكنه قتله نائماً؛ ولو أتاني لعرف قدره. ثم دعا.. الخ

(2) المروء: المصفي من الشراب، وبعد البيت:

إن فينا القيان يعزفن بالدف فلفتياننا وعيشاً رخياً
يتبارين في النعيم ويصبين خلال القرون مسكاً ذكياً

إلى أن يقول:

إننا لا نُسرُّ في غير نجدٍ إن فينا بها فتى خزرجياً
يدفع الضيم والظلامة عنها فتجافي عنه لنا يا منياً

<<=

إلى أن قال يعني الحارث بن ظالم:

إنما يقتل النيام ولا يقـ تل يقظان ذا سلاح كـما

(وهي طويلة).

ولما سمع الحارث القصيدة، سار حتى انتهى إلى المدينة فكمن إلى الليل، فأتى إلى دار عمرو بن الاطنابة فاستغاث وهتف به: أغثني أيها الملك فإني مستجير بك. فخرج إليه عمرو مصلّتا سيفه يقول: جاءك الغوث فمن أنت؟ قال: أنا الحارث بن ظالم، بلغني قولك: إنما يقتل النيام.. وجئت لأقتلك يقظان متسلحا، فخذ حذرك فإني قاتلك وما جئت إلا لذلك. فقال عمرو: أمهلني إلى الصباح، قال: لا، قال: أنا شيخ ولا أبصر بالليل فأمهلني إلى الصباح أبارزك، ثم وضع عمرو سيفه من يده فقال: أما أعلمتك أني شيخ والشيخ لا يجدي بالليل.. هذا السيف سقط من يدي وبقيت لك أعزل تفعل بي ما شئت، قال: خذ سيفك، قال: أخاف أن تغدرني إن هويت لأخذه، قال: وذمة ظالم لا أمسك حتى تأخذه، قال: وذمة الاطنابة لا آخذه أبدا! فانصرف عنه الحارث وتركه، وقال في ذلك قصيدته الطويلة التي أولها:

إِغْزَفَا لِي بِلَذَّةِ قَيْنَتِيَا قَبْلَ أَنْ يَكْرَ الْمَنُونُ عَلَيَا

--- >>

أبلغ الحارث بن ظالم الرّعـ ديد والناذر النذور عليا
إنما يقتل النيام...

قبل أن يُبَكِّر العواذل إني كنت قدما لأمرهنَّ عَصِيًّا⁽¹⁾

إلى أن قال:

بلغتنا مقالة الملك عمرو ...

ثم بعد هذه الحروب قدم على كسرى فأقام عنده، وكانت لكِسْرَى ناقة داجنٌ رباها لتعبث بالناس، ترعى في واد ثم تجيء ويدفع لها التمر والزَّرْع، فبلغت مبلغ السمن؛ فعرف الحارث الوادي الذي ترعى به الناقة فتبعها فنحرها.

ثم فقدت ناقة كسرى وفقد الحارث، فبعث كسرى من يطلب الناقة في واديهما فوجدوا الحارث كامنا في لحمها، فأتوا به كسرى وقال له: تَبَّا لك يا أعرابي متى جَوَّعْنَاكَ حتى تفعل هذا بِنَاقَتِنَا؟ فقال: أَيُّهَا الملك إنا معاشر العرب زمن الشتاء إذا لم نأكل لحم الإبل نفسد، والملك أيسر شيء عنده ناقة وأعز شيء عنده حفظ جاره، فأكلت ناقة الملك حفظا لجاره،

(1) ما أبالي أراشداً فاصبحاني
من سلاف كأنها دم ظبي
بلغتنا مقالة المرء عمرو
قد هممنا بقتله إذ برزنا
غير ما نائم تعلل بالحل
فمننا عليه بعد علو
ورجعنا بالصفح عنه وكان الـ
حَسْبَتْنِي عواذلي أم غويا
في زجاج تخاله رازقيا
فأنفنا وكان ذاك بديا
ولقيناه ذا سلاح كمي
م مُعِدًّا بكفه مشرفيا
بوفاء وكنت قدما وفي
مَنْ منا عليه بعد تلياً

فتركه كسرى وعفا عنه. ولا أدري ما فعل الله به بعد هذا⁽¹⁾.

مِنْ جَعْفَرٍ أَرَبْدُ قَتْلُ الصَّاعِقَةِ وَعَامِرٌ أَرَدَتْهُ أَذْهَى بَائِقَةٍ

أربد: هو ابن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، أخو لبيد لأمه. وقُتل (بكسر القاف): أي قَتِيلٌ. وعامر: هو ابن الطفيل بن مالك بن جعفر. وأردته: أهلكته. والبائقة: الداهية، أي أهلكته أعظم داهية.

قصة أربد وعامر مع النبي ﷺ

يشير إلى قصتهما وهي أنهما تواطئا على اغتيال النبي ﷺ، فلما كانا

(1) وقد اختلف في مصيره، ف قيل قتله كسرى وقيل قتله النعمان. وقد روي في سبب نحره لهذه الناقة أنه كانت معه امرأتان فوحمت إحداهما فطلبت إليه شحما - وكانت الناس قد أصابتها سنة شديدة - فقال: ويحك وأنى لي بالشحم؟ فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد ونحرها وأطعم امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكتها. وفقدت الناقة فوجدت نحيرا، فأعلموا الملك بذلك فأمر بقتله، فقال: إنك قد أجزتني فلا تغدرني، فقال: لا ضير إن غدرت بك مرة فقد غدرت بي مرارا.. فقتل الحارث. وقيل إن النعمان بن المنذر بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهن، فخرج الحارث إلى ابن للنعمان كان في حجر سلمى بنت ظالم فاحتال عليه حتى أخذه فقتله وقال في ذلك:

فإن تك أذواذاً أصبت ونسوة فهذا ابن سلمى أمره متفاقم
علوتُ بذى الحيات مفرق رأسه وكان سلاحه تحتويه الجماجم
فتكت به فتكا كفتكي بخالد وهل يركب المكروه إلا الأكارم
بدأت بهذي ثم أثني بمثلها وثالثة تبيض منها المقادم
شفيت غليل الصدر منه بضربة كذلك يأبى المغضبون القمام

فقال النعمان: ما يعني بالثالثة غيري، فاحتال له وراسله وأعطاه الأمان حتى ظفر به فقتله.
[من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وغيره].

قرب المدينة قال له عامر: إني شاغل عنك الرجل فاعلُله أنت بالسيف فاقتله. فأتياه فجعل عامر يكلمه ويقول له: ما تجعل لي إن اتبعتك على أمرك هذا؟ قال: «أجعل لك أعنة الخيل»، قال: أو ليست لي؟ قال: «ليست لك ولا لآبائك»⁽¹⁾، فقال: والله لأملأنَّها⁽²⁾ عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً حتّى لأربطن بكل نخلة فرساً. فقال صلى الله عليه وسلم: «يأبى الله ذلك وأبناء قيلة»⁽³⁾. فسمع أسيد بن حضير هذا فأتاهم فجعل يدفع في صدورهما ويقول: اخرجوا أيها الهجرسان، فقال عامر: من أنت؟ قال: أنا أسيد بن حضير، قال: أبوك خير منك، قال: كذبت أنا خير منه، أنا مؤمن وهو كافر، فخرجوا؛ فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفنا شر عامر وأربد بما شئت»⁽⁴⁾.

وقال عامر لأربد: ما لك لا تقتل الرجل وقد شغلته عنك؟ والله لا أرهبك بعدها وقد كنت أعدك من الرجال! فقال: لا تعجل علي.. والله ما علوته بالسيف إلا رأيته دونه وما أريد أن أقتلك⁽⁵⁾.

فخرجوا، فلما دخلا على حي من سلول - وهم الأدنون من أحياء بني

(1) وفي رواية: «ليس ذلك لك ولا لقومك»، أخرجه الطبراني في الكبير، وفي سنده عبد العزيز بن عمران ضعفه الهيثمي.

(2) أملأنها: يعني المدينة.

(3) أخرجه الطبراني، وذكره الواحدي في أسباب النزول.

(4) وفي رواية: «شر عامر بن الطفيل» - [ابن إسحاق].

(5) وقيل إنه لما أراد سلّ سيفه من غمده سلّ بعضه وغلبه الباقي منه.

عامر - أخذت عامراً غدة، فجعل يتأسف ويوبخ نفسه على ذلك؛ لأن سلولا معروفون عند بني عامر باللؤم، فقال: إيتوني بفرس، فركبها وجعل يقول: أغدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من سلول؟! حتى مات.

وسار أربد إلى أهله فقص عليهم الخبر، فأخذ جملاً له وركبه لبيعه في بعض أحياء العرب، فاعترضته سحابة في غير زمن المطر؛ فلما علتة نزلت عليه صاعقة فقتلته والجمال. فقال لبيد يرثيه:

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِ	وَتَبَقِيَ الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ ⁽¹⁾
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضْنَةٍ	فَفَارَقْنِي جَارُ بَارِبِدٍ نَافِعٍ
فَلَا عَجَبُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا	فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعٍ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ	يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنْ الْمَنِيَّةُ مَوْعِدٌ	عَلَيْنَا فِدَانٌ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
أَتَجَزَّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ يَا فَتَى	وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تَصِبْهُ الْقَوَارِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى	وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وكان عامر بن الطفيل فارساً جواداً سيداً شاعراً، وقيل إنه من مُقبلي الظعن. وكان مناديه ينادي بسوق عُكاظ: هل من راجلٍ فأحمله؟ هل من جائع فأطعمه؟ هل من خائف فأمنعه؟ وهو القائل:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدٍ عَامِرٍ	وَفَارِسُهَا الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ مَوْكَبٍ
فَمَا سَوَدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةٍ	أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبٍ
وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاها وَأَتَّقِي	أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِي

(1) المصانع: القصور جمع مصنع.

ولكنه - والعياذ بالله تعالى - شقي في بطن أمه، خزي في سعيه وهمه، إذ همه مُعَادَاة النبي ﷺ وإذايته؛ وهو قاتل أهل بئر معونة (حسبنا الله ونعم الوكيل).

كَذَاكَ جَبَّارُ بْنُ سَلْمَى الْمُسْلِمِ وَمَالِكُ بْنُ جَعْفَرٍ قَرْمُهُمُ
أَبُو بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةُ «الضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ الْخِضْعَةِ»
أَبُو بَرَاءِ الطُّفَيْلُ سَلْمَى رَابِعُهُمْ رِبِيعَةٌ إِذْ يُنْمَى

قوله: كذاك: أي كأربد وعامر، في كونهما من بني جعفر، جبار بن سلمى المسلم الصحابي، قاتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة؛ ثم أسلم وكان يقول: مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا فقال: فزت ورب الكعبة. فقلت: ما فاز أليس قد قتلته؟ ف قيل لي: يعني الشهادة. رُوي أنه كان يقول: مَنْ رجل لما طعنته طار منه نور صعد في الهواء إلى أن دخل في السماء وكان ذلك سبب إسلامي؟. والقَرْمُ: السيد. يعني أن مالكا بن جعفر سيد بني كلاب، وهو أبو بني أم البنين⁽¹⁾ الأربعة الذين افتخر بهم لبید في قوله:

نحن بنو أم البنين [الأربعة الضارين] .. الخ.

والخِضْعَةُ: الغبار واختلاط الأصوات في الحرب. وهم:

(1) اسم أم البنين: لیلی بنت عمرو بن عامر فارس الضحیاء ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، زوج مالك بن جعفر؛ ويقال إنها أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبناء.

عامر أبو براء، ويقال له ملاعب الأسنة؛ سمي به لأنه كان يوما مع أخيه الطفيل فدهمتها خيل من العدو ففر الطفيل وترك عامرا في أيدي العدو، فلم يزل يقاتلهم حتى نجا منهم فقال: ما هذا إلا تلاعب الأسنة، فسمي ملاعب الأسنة وملاعب الرماح، فقال الشاعر في الطفيل:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا يلاعب أطراف الوشيح المزعزع⁽¹⁾

وفد أبو براء على النبي ﷺ ولم يُسلم وأهدى إليه هدية، فقال صلى الله عليه وسلم: «لو كنت أقبل هدية من مشرك لقبلتها من هذا»⁽²⁾. وهو الذي حمل النبي ﷺ على بعث أهل بئر معونة؛ قال له: لو بعثت إلى أهل نجد من يدعوهم ويرشدهم إلى الدين فإن فيهم إسلاما، فقال صلى الله عليه وسلم: «أخاف عليهم من أهل نجد»⁽³⁾، قال: لا تخف إني جار لهم. فخفّره⁽⁴⁾ فيهم ابن أخيه عامر بن الطفيل؛ وكان قد استنجد قبيلته بني عامر

(1) الوشيح: شجر الرماح. وفي خزانة الأدب: سمي ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر:

ولاعِبَ أطرافَ الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعا في الجاهلية. والمرباع: ما يأخذه الرئيس وهو رُبْع الغنيمة، وكانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، قال ابن عثمة:

لَكَ المِرباعُ منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

(والصفايا: ما يصطفيه الرئيس. والنشيطه: ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحي. والفضول: ما عُجز عن قسمه لقلته فيخص به).

(2) وفي رواية: «إني لا أقبل هدية من مشرك» - رواه الطبراني.

(3) ذكره ابن إسحاق.

(4) أي انتهك ذمته.

فأبت أن تعينه عليهم خوفاً من أبي براء، فاستنجد لهم قبائل من سليم،
لأنهم أحوال طعيمة بن عدي الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر
كافراً، فأجحدوه لذلك.

والثاني من بني أم البنين الطفيل، ويقال له طفيل قُرْزُل، وقرزل فرس له؛
ومعناه القيد، كأنه قيد المسابقين أو قيد الوحش، كما يقال قيد الأوابد.

والثالث سلمى أبو جبار المسلم الصحابي.

ورابعهم ربيعة⁽¹⁾ أبو ليبد.

مِنْهُ لَيْبِدُ بْنُ رَيْعَةَ الْأَبِي فَازَ بِصُحْبَةٍ وَفَضْلٍ أَدَبٍ
رَوَتْ لَهُ مِنَ الْأُلُوفِ اثْنَى عَشَرَ عَائِشَةً وَكُلُّ شِعْرِهِ دُرٌّ

قوله: منه، أي من ربيعة بن مالك بن جعفر: ليبد: الصحابي رضي الله
عنه الأبى عن الضيم والذل والمكروه؛ يقال رجل أبى (من أيين)، وآب
(من أبة وأيين)، قال:

رئمت لسلمى بؤ ضيم وإنني قديماً لأبى الضيم وابن أبة

(1) ويلقب سلمى بنزّال المضيف، وربيعة بربيع المقترين، والخامس معاوية ويسمى مُعوّد
الحكماء قيل لقب بذلك لقوله من قصيدة:

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

وإنما اقتصر ليبد على أربعة منهم لأن أباه إذ ذاك كان قد مات أو لضرورة الشعر، وقيل إن
ثالث هؤلاء الخمسة اسمه عبيدة الوضاح - بدل سلمى - وهم خمسة أم البنين، أما سلمى
فأمة خالدة بنت سنان بن حارثة بن عبد بن سليم، فهو أخوهم لأب وشقيقه أبو شريك
عتبة؛ فهؤلاء السبعة أبناء مالك بن جعفر بن كلاب.

لبيد بن ربيعة

وفاز لبيد⁽¹⁾ بصحبة النبي ﷺ، وبالأدب الفاضل، كالإسلام والكرم

(1) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي الجعفري الصحابي، يكنى أبا عقيل. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه - بني جعفر - فأسلم وحسن إسلامه. وكان من فحول الشعراء، قال له النابغة الذبياني بعد أن استنشده وهو شاب: اذهب فأنت أشعر العرب. وسئل لبيد نفسه: من أشعر العرب؟ فقال: الملك الضليل، يعني امرأ القيس الكندي؛ ف قيل له: ثم من؟ قال: الغلام القليل، يعني طرفة البكري؛ ف قيل له: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل، يعني نفسه. ومن شعره معلقته المشهورة:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عُرِّيَ رسمها خلقا كما ضمّن الوحي سلامها

وفيها يقول:

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها

أدعو بهن لعافر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الجيب كأنما هبطا تبالة مخصبا اهضامها

إلى أن يقول:

إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عزيمة جشامها

ومُقَسَّمٌ يُعْطَى العشرة حقها ومُغْذَمٌ لِحَقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها

إن يفزعوا تلق المغافر عندهم والسن يلمع كالكوكب لامها

وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتا رفيعاً سمكه فسما إليه كهلها وغلामها... إلخ.

(المغذمر: من يأخذ من هذا فيعطي هذا ضاربا بعض حقوق الناس في بعض).

والشجاعة والشعر الجيد والظرافة ومكارم الأخلاق. منها ما روي أن عمر قال له: أنشدني من شعرك، فقال له: ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران؛ فأعجب ذلك عمر وزاده في عطائه خمس مائة، وكان ألفين.

وقال له معاوية: هذان الفودان فما بال العلاوة؟ (يعني بالفودين الألفين وبالعلاوة الخمسمائة)، فقال له: أموت الآن ويبقى لك الفودان والعلاوة. فمات بعد ذلك بيسير وعمره مائة ونحو العشرين؛ وعاش منها ستين في الجاهلية وستين - أو قريبا منها - في الإسلام، وقيل عاش مائة وخمسا وأربعين. ورُوي أنه لم يقل من الشعر في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو:

الحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا⁽¹⁾

وقال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

(1) وقد قيل إن هذا البيت لقردة بن نفثة السلولي، وإن البيت الذي قال [لبيد] في الإسلام هو قوله:

ما عاتب المرء الكريم نفسه والمرء يصلحه القرين الصالح
وأخرج ابن منده وسعدان بن نصر من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: رحم الله لبيدا حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينفعون ولا يرجي خيرهم ويُعاب قائلهم وإن لم يطرب
ثم قالت عائشة: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عروة: رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا؟! قال هشام: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا؟! واتصلت السلسلة هكذا إلى سعدان وإلى ابن منده..

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل»⁽¹⁾

وكان شريفا في الجاهلية والإسلام. ومن جوده انه نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم؛ فهبت الصبا يوما على جماعة فيها الوليد بن عقبة⁽²⁾ فقيل هبت ريح أبي عُقيل فأياكم يُعِينُهُ؟ فقال الوليد: أنا أعينه بمائة بكرة سوداء، فأرسل بها إليه وبهذه الأبيات:

(1) أخرجه البخاري ومسلم؛ وهذا البيت من قصيدة له يرثي بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهي:

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول	أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
حبائله ماثوثة في سبيله	ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل
إذا المرء أسرى ليلة خال أنه	قضى عملا والمرء ما عاش عامل
فقلولا له إن كان يقسم أمره	ألمّا يعظك الدهر أمك هابل؟!
فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضى	ولا أنت مما تحذر النفس وائل
فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب	لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان والدا	ودون معد فلتزعك العواذل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم	بلى كل ذي لب إلى الله واسل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تحدث بينهم	دويهيّة تصفرّ منها الأنامل
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه	إذا كشفت عند الإله الحصائل

.. إلخ.

(والواصل: هو الراغب إلى الله تعالى، بمعنى ذو وسيلة. والدويهيّة: الداهية العظيمة - تصغير تعظيم -).

(2) ابن أبي معيط، وكان أميرا على الكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ليبد بالكوفة أيضا.

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عُقيل
أشم الأنف أصيدَ عامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابنُ الجعفري بحلفتيه على العِلاتِ والمال القليل
بنحر الكوم إذ سُحِبَت عليه ذيولُ صَبَا تجاوبُ بالأصيل

فقال لبيد لابنته: أجيبه يا بنتاه فقد والله عشت برهة من الدهر وما

أعنى بجواب شاعر؛ فقالت:

إذا هبت رياح أبي عُقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عشميا أعان على مروءته ليذا
بأمثال الجبال كأن ركبا عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فَعُذْ إِنَّ الكَريمَ لَهُ معاد وظني بابن عقبة أن يعودا

فقال: أحسنت يا بنيتي إلا أنك استطعمتيه، فقالت: إن الملوك لا يستحيى من مسألتهم، فقال: وأنت يا بنيتي في هذه أشعر.

قوله: روت له من الألوف.. إلخ: قالت: أنا أروي له اثني عشر ألفا، ولم تأت بالتميز، لا بيتا ولا قصيدة ولا أرجوزة، ويحتملُهما؛ والأشبهُ بيتا⁽¹⁾ لاستكثار غيره بالنسبة إلى شعر لبيد.

ولما كان في آخر عمره قال:

(1) في الاستيعاب: عن يوسف بن عمرو عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: رويت للبيد اثني عشر ألف بيت.

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف ليبد⁽¹⁾

وقال أيضا:

تمننى ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
إذا حان يوما أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعرُ
وقولا هو المرء الذي ليس جاره مضاما ولا خان الصديق ولا غدرُ
إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ومن يك حولا كاملا فقد اعتذرُ

وهذا يخالف ما مرَّ من أنه ما قال في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو: الحمد

(1) روي أن ليبدأ لما بلغ سبعا وسبعين سنة أنشأ يقول:

نفسى تشكى إلى الموت مُجهشةً وقد حملتُك سبعا بعد سبعينا
فإن تُرادي ثلاثا تحدّثي أملا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ مائة وعشرا أنشأ يقول:

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عُمرُ؟

فلما بلغ مئة وعشرين سنة أنشأ يقول:

وغنيت سبتا بعد مُجرى داحسٍ لو كان للنفس اللّجوج خلودُ

(والسبت: الدهر). ولما بلغ مائة وأربعين سنة أنشأ يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ..إلخ.

واختلف في قدر عمر لبید، فقل عاش مائة وعشرين، وقيل مائة وأربعين، وقيل مائة وسبعا وخمسين، قيل توفي في خلافة عثمان، وقيل في عهد معاوية بن أبي سفيان بالكوفة؛ ودفن في صحراء بني جعفر بن كلاب.

لله إذ لم يأتي.. الخ، وهو للسهيلى فى الروض الأنف.

وأما شرفه فى الجاهلية فمشهور.

دور لبىء فى إبعاد الربىء بن زىاء عن النعمان بن المنذر

ومن خبره أن أعمامه كانوا يفدون على النعمان بن المنذر فىكلمونه فى أمورهم، فىمنعه من قضائها الربىء بن زىاء العبسى لكونه من أردافه⁽¹⁾، فىعودون مهمومىن. فرأى لبىء كآبتهم بسبب ذلك فأراد المشى معهم إىله فمنعوه من ذلك لصغره، فتبعهم وهم لا يعلمون به فلاحقهم بالطرىق؛ فدخلوا به على النعمان وهم يستحقرونه لصغره لا يظنون به فائدة. فوجدوا النعمان يأكل مع الربىء، فأنشده لبىء، وقد قرع رأسه:

أكل يوم هامتى مقرعة يا رب هىجا هى خىر من دعة
نحن بنو أم البنىن الأربعة سىوف جن وجفان مربعة
نحن خىار عامر بن صعصعة الضاربون الهام تحت الخىضعة
والمطعمون الجفنة المدعدة⁽²⁾

وبالربىء بن زىاء شرداً أن كان للنعمان فىه أنشداً:
«مهلاً. أبىت اللعن. لا تأكل معه إن استه من برص ملمعه»

(1) وقد كانت بنى بنى عامر قىلة لبىء وقىلة عبس خلافات ومناوشات، وقد استغل الربىء بن زىاء صداقته للنعمان لىوغر صدره على بنى عامر الذىن كان النعمان يكرمهم وىحسن وفادتهم.

(2) المدعدة: المملوءة.

وإنه يُوج فيها اصبعه

يدخله حتى يوارى أشجعة كأنه يطلب شيئا أودعه!

فرفع النعمان يده وقال: خبثت علي طعامي يا غلام. فرحل عنه الربيع بسبب ذلك⁽¹⁾.

والربيع: هو ابن زياد - هو ربيع الواقعة - أحد حفدة الخرشب الآتي ذكرهم إن شاء الله. وشَرَّد به: أجلاه وضيق عليه الأرض، قال تعالى: ﴿فَشَرَّدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾⁽²⁾. والنعمان: هو ابن المنذر بن المنذر ابن ماء السماء، ملك الحيرة؛ وهو آخر المناذرة ملكا للحيرة من قبل كسرى. وأبيت اللعن: خطاب ملوك الجاهلية، بمنزلة أمير المؤمنين للخلفاء.

والنعمان عمه عمرو ابن هند - وهي أمه - وأبوه المنذر بن ماء السماء، وإنما نسب لأمه لأن أخاه عمرو ابن مامة؛ فإذا انتسب أحدهما للمنذر التبس بأخيه فانتسبا لأميهما.

وكان النعمان منادما لعدي بن زيد العبادي، فغار منه لما كان عدي يفعل من خلال الملوك من بذل الأموال وإطعام الطعام.. حتى صرف إليه وجوه الناس وأشعار الشعراء؛ فاحتال له النعمان حتى قتله.

زيد بن عدي وإيقاعه بالنعمان لدى كسرى

وترك عدي ابنه زيدا غلاما صغيرا، فتلطف الغلام للنعمان إلى أن اتخذه

(1) فلم يجالسه بعد ولم ينادمه، وجعل يكرم العامرين ويعيد إليهم مكانتهم السابقة لديه.

(2) الأنفال: 57.

كالابن لما وجدته أديبا أريبا، والغلام يضمن للنعمان ما يضمن. فلما شب جعله مكان أبيه ثم كان يرسله إلى كسرى فيما بينهما. فلما علم الغلام بمكانته عند كسرى جعل يريه النصيح في أموره التي بينه وبين النعمان، ثم ذكر له بنات النعمان وجههن وأدبهن.. إلى أن وقع في نفس كسرى التزويج منهن، وزيد يعلم أن النعمان يأنف من تزويجهن للعجم. فأرسله كسرى يخطب له منهن. فلما أتى النعمان بذلك قال له: اعتذر له عني. فقال زيد: سأفعل عن تطف، فقال النعمان: أو ما يلحقك من تزويج بنات العرب للعجم ما يلحقني؟ قال: نعم.

فأتى كسرى بغير هذا من الإجابة؛ فلما أراد كسرى أن يرده ليزوجه ويأتيه بالمرأة، قال له: أيها الملك أنا رجل عربي لا أعرف نكاحكم ولا سيرة الملوك فيكم فابعث معي رجلا من خاصتك يعلم ذلك كله يفعل لك ما تريد، فإني أخاف أن أضيع من أمر الملك ما يغضبه علي، والتمس رجلا ليبي يتكلم بلغة العرب ويفقهها. فبعث معه رجلا على تلك الصفة، فلما قربا من النعمان قال له: لا يعلم أحد أنك تفقه العربية حتى تعلم ما عند الناس لتكون ناصحا في أمر الملك.

فتكلم زيد للنعمان بخطبة كسرى، فقال النعمان: أما يجد الملك في بقر سواد العراق ما يكفيه عن بناتنا؟! فنبه زيد الرجل على كلمة النعمان، فلما قدما على كسرى قال: ما فعلتما؟ فقال زيد: الجواب مع هذا، فقال الرجل الكلمة لكسرى، فلما رأى زيد ذلك قال: ومعى أيها الملك أخرى، قال: وما معك؟ قال زيد: قال النعمان: أو ما يلحقك من تزويج بنات العرب للعجم معرفة؟.

ثم أقام زيد عند كسرى خوفا من النعمان، وبعث كسرى إلى النعمان أن يأتيه. فلما أتاه الرسول علم أنه للشّر فخرج من الحيرة يأتي أحياء العرب يستجير بهم من كسرى، فلم يجد من يجيره، فقليل له: لا أرى لك خيرا من أن تأتي كسرى، فإما أن يردك إلى ملكك أو يقتلك، والقتل خير لك من هذا الذي دخلت فيه. فرجع إلى كسرى، فلما دنا منه تعرض له زيد، فقال له: والله لئن نجاني الله لألحقنك بأبيك، فقال له زيد: امض يا نعيم! قد والله خبأت لك خبيئة لا يقطعها المهر الأرن⁽¹⁾.

فأجلسه كسرى في طريق الفيلة تطؤه حتى تحطم؛ وفي ذلك يقول الأعشى، يعني كسرى:

هو المنزل النعمان بيتا سماؤه نحر الفيول بعد بيت مسردق
ورأى رجل من العرب النعمان في نومه، متحليا بحل منها دماليج
وخلاخل؛ فقص رؤياه على النبي ﷺ فقال: «ارتفع شأن العرب ذلك سيدهم»⁽²⁾.

ومنهم أيضا عروة الرّحال، وهو ابن عتبة بن جعفر بن كلاب⁽³⁾، الذي قتله البرّاض بن قيس الكناني⁽⁴⁾. فبسبب قتله قامت "حرب الفجار".

(1) الأرن: النشيط المرح.

(2) ذكره صاحب زاد المعاد، وابن سعد، وابن سيد الناس.

(3) من بني عامر بن صعصعة، سمي الرّحال لرحلته إلى الملوك.

(4) كان البرّاض هذا فاتكا يجني الجنايات على أهله فخلعه قومه وتبرأوا من صنيعه ففارقهم وقدم مكة فحالف حرب بن أمية ثم نبا به المقام بمكة أيضا ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق، وقدم على الملك النعمان بن المنذر فأقام بيباه.

سبب حرب الفجار

وذلك أن النعمان كان يبعث في كل عام لطيمة مسك⁽¹⁾ في جوار رجل من أشرف العرب حتى تباع له هناك⁽²⁾، فقال يوما - وعنده البراض والرحال -: من يجيرها؟ فقال له البراض: أنا أجيرها على بني كنانة، فقال له النعمان: أنا لا أريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتهامة، فقال له عروة: أنا أجيرها على أهل الشيخ والقيصوم، فقال له البراض: أعلى بني كنانة تجيرها؟ قال: على الناس كلهم.

فدفعها له النعمان، فخرج بها وتبعه البراض فقتله؛ وكان فاتكا غدارا، فلما رآه عروة ناشده وقال: قد كانت مني زلة. فلما قتله خرج يرتجز:

قد كانت الفعلية مني ضلُّه هلا لغيري تركت الزَّلَّة⁽³⁾

وَمِنْ كِلَابٍ أَيْضًا الْمُحَلَّقُ رَفَعَهُ الْأَعَشَى الْبَلِيغُ الْمُفْلِقُ

المحلَّق (كمعظم): اسمه عبدُ العزى بن جشم بن شداد بن مرة بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب. لقب به لأنه أصابه سهم فكوي بحلقة. ورفعته: أي رفع بالمدح ذكره وشأنه. والشاعر المفلق: الآتي

(1) اللطيمة (بفتح أوله): الإبل التي تحمل الطيب والبز وعروض التجارة.

(2) أي في عكاظ وغيرها من أسواق العرب ومواسمها بالحجاز.

(3) فضرِبَ المثل بفتكته هذه فقليل: أفتك من البراض، وفيها يقول أحد الشعراء:

والفتى مَنْ تعرَّفَتْهُ الليالي والفيافي كالحَيَّةِ النضناضِ
كلَّ يومٍ له بصرف الليالي فتكةٌ مثل فتكة البراضِ

بالعجيب⁽¹⁾. والأعشى صاحب المخلق هو ميمون بن قيس المتقدم ذكره.

علو شأن المخلق بمدح الأعشى

ورفعه له بالمدح سببه أن المخلق كان فقيرا ذا بنات كثيرة، وكان لا يؤبه به لذلك؛ فبينما هو ذات يوم مع امرأته إذ رأيا الأعشى يقود به ابنه، فقالت: هل لك في تزويج بناتك - ولم تكن منهن إذ ذاك متزوجة - وتبديل حالك إلى أحسن منها؟ قال: ما ذاك؟ قالت: قم إلى هذا الشاعر فأحسن ضيافته الليلة مع ما قدرت عليه من إكرامه والتلطف به، قال: ويحك بما ذا؟ قالت: انحر له ناقتنا هذه تطعمنا منها وتقريه هو - والحي إذ ذاك مستنون⁽²⁾ -.

فقام وأخذ بزمام ناقتة حتى أناخها به عند بيته، وهو من أصغر بيوت الحي وأقلها أثاثا. فلما راحت الناقة حلبها له ثم نحرها فبات يصطفي له من أطائبها ويدهنه من شحمها ويخدمه هو وبناته حتى أصبح. فخرج عنهم بالقصيدة المشهورة، كلما ورد على حي من أحياء العرب أنشدها؛ فجعل الناس يسألون عن المخلق وعن خبره، فيذكر الأعشى بناته ويثني

(1) المفلق: اسم فاعل من أفلق الشاعر إذا أتى بالفلق (بكسر فسكون) وهو الأمر العجيب، وأصله الداهية. ويقال للشاعر المجيد: فحل، ولمن دونه: مفلق، ثم شاعر، ثم شويعر، ثم شعور؛ وزاد بعضهم متشاعرا. والبليغ: هو من كانت البلاغة ملكة له، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحاً - [زهر الأفنان وغيره]. وسميت البلاغة بلاغة لإبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع.

(2) أسنت القوم: أصابهم الجذب والقحط.

عليهن. ويقال إنه زوجهن كلهن ذلك اليوم حتى أمسين ما منهن أيم⁽¹⁾.
وأول القصيدة⁽²⁾:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
رضيحي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عَوْضُ لا نتفرّق⁽³⁾

(1) وفي رواية أنه لما مدحه نوه به في سوق عكاظ، فلم يمض عام حتى لم تبق منهن جارية إلا وهي زوج لسيد كريم، وكن ثمانى بنات عوانس قد رغب الرجال عن خطبتهن لفقرهن ولا يؤبه بهن لذلك. وكان الأعشى لجلالة شعره وطلاوته ورؤعته يرفع به الوضع الخامل ويخفض الشريف النابه. وكانت العرب تمدح فترفع وتهجو فتضع، فإذا مدحت الشيء بلطافتها وذلاقة ألسنتها اختير وبسط عذره، كما غطت بالهجاء محاسنه، وقد قال الشاعر:

فعين الرضى عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

(2) أرقّت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشّق
ولكنّ أراني لا أزال بحادث أغادى بما لم يمسّ عندي وأطرق
إلى أن يقول:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة .. إلخ.

(3) يداك يدا صدق فكف مفيدة وأخرى إذا ماضنّ بالمال تنفق
ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
وأما إذا ما أوبّ المخل سرحهم ولا ح لهم من العشيات سملق
نفى الذمّ عن آل المخلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
يروح فتى صدق ويغدو عليهم بملء جفان من سديف يدفق
وعادى فتى صدق عليهم بجفنة وسوداء لا يابى المزايدة تمرق
ترى القوم فيها شارعين ودونهم من القوم ولدان من النسل دردق
طويل اليدين رهطه غير ثنية أشم كريم جاره لا يرهق
كذلك فافعل ما حييت إليهم وأقدم إذا ما أعين الناس تبرق

تروح على آل المخلق جفنة كجاية الشيخ العراقي تدفق

وَشَمْرُ قَاتِلِ الْحُسَيْنِ وَزُفَرُ إِحْسَانِهِ الْجَمِّ الْقَطَامِيِّ شَكْرُ

شمر (ككتف⁽¹⁾): ابن ذي الجوشن. وزفر: ابن الحارث. والجم: الكثير.
والقطامي: لقب عمير بن شهيم التغلبي، وتقدم.

يقول ومن كلاب أيضا ثم من بني الضباب: شمر بن ذي الجوشن،
الذي قتل - على قول - السيد السبط الحسين بن علي رضي الله عنهما -
بتولية عمرو بن سعد بن أبي وقاص، بوزارة عبيد الله بن زياد ابن أبيه،
بإمارة يزيد الفويسق - يوم كربلاء. وفي ذلك يقول شمر:

أوقر ركابي فضة وذهبا إني قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم - إذ يُنسَبون - نسا

وأبوه ذو الجوشن اسمه أوس بن الأعور الضبابي، صحابي، كان مع
علي في حروبه وقتل معه بصفين.

وأما زفر فمن بني كلاب، من غير بني الضباب، بل من بني عمرو بن
كلاب. وإحسانه الذي أشار إليه وشكر القطامي له هو أنه أسر القطامي،
فأشارت إليه ابنته ضباعة بإطلاقه ليمدحه، فأطلقه وأعطاه مائة ناقة، فقال
في ذلك:

قفي قبل التفريق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

(1) وسكنه الناظم ضرورة.

إلى أن قال:

أكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا
ومن يك قد أساء على ثوي فقد أحسنت يا زفر المتاعا

وكان زفر بن الحارث مع الضحاك بن قيس يوم "مرج راهط"⁽¹⁾،
والضحاك على جيش ابن الزبير، وقيل على جيش نفسه، فقاتلوا مروان
وهو يدعو لنفسه، فهزمهم مروان وقتل الضحاك. وفي ذلك يقول زفر:

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جُردًا للمنية ضمرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا
وكنا حسبا كل بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحميرا
إلى أن لقينا الحي بكر بن وائل ثمانين ألفا دارعين وحسرا

وَمِنْهُمْ الضَّحَّاكُ سَيَّافُ النَّبِيِّ بِمِائَةٍ وَزَنَّهُ خَيْرُ نَبِيٍّ

قوله: ومنهم: يعني بني معاوية بن كلاب، وهو الملقب بالضباب ولذلك
يقال لهم بنو الضباب⁽²⁾ والنسبة إليهم ضبابي. وسيف النبي: يريد أنه كان
يقوم على رأسه بالسيف. والضحاك: هو ابن سفيان بن عوف بن كعب
بن معاوية بن الضباب بن كلاب بن ربيعة، أسلم قديماً واستعمله النبي ﷺ

(1) مرج راهط: موضع بالشام كانت به وقعة لمروان بن الحكم على الضحاك بن قيس
الفهري.

(2) وإنما سموا الضباب لأن في أولاده: ضبا ومضبا وضبابا - [جمهرة النسب للكلي].

على من أسلم من قومه، وَبَعَثَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ أَيُّورَثُ امْرَأَةً أُشَيْمَ الضَّبَّابِي مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا⁽¹⁾؟. ثُمَّ هَاجَرَ وَأَمَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى سَرِيَّةٍ إِلَى قَوْمِهِ بَنِي كَلَابٍ، فَهَزَمَهُمْ وَأَدْرَكَ أَبَاهُ عَلَى فَرَسٍ فَعَرَقَبَهُ بِهِ وَحَبَسَهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَبَى، وَحَبَسَهُ إِلَى أَنْ جَاءَ رَجُلٌ فَأَمَرَهُ بِقَتْلِهِ؛ وَكَانَ أَنْفٌ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ. وَوَزَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمِائَةِ فَارِسٍ، وَأَمَّرَهُ عَلَى سَلِيمٍ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَكَانُوا تِسْعَ مِائَةٍ فَصَارُوا بِهِ أَلْفًا؛ وَذَلِكَ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ:

... وَفِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا

وَقَالَ أَيْضًا:

تَحْتَ اللُّوَامِعِ وَالضَّحَاكِ يَقْدَمُنَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدَرِ

وَمِنْهُمْ كَلَابُ الْقُرْطَاءِ، وَهُمْ: قُرْطٌ وَقَرِيْطٌ وَقُرَيْطٌ، بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ؛ وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ وَأَخَذُوا ثَمَامَةَ بْنَ أَثَالٍ أَسِيرًا، وَجَدُوهُ فِيهِمْ وَكَانَ يَرِيدُ الْعِمْرَةَ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ حَتَّى قَدَمُوا بِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَا قَدَمْنَا.

وَمِنْهُمْ أَيْضًا الْحَوْصُ، رَهْطٌ عُلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْوَصِ، مُنَافِرُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَهُ يَقُولُ الْأَعْشَى:

عُلْقَمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ النَّاqِضُ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ

إِنْ تَسُدُّ الْحَوْصَ فَلَمْ تَغْدُهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

وَجَدُّهُمْ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ بَنِي عَامِرِ.

(1) فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوْرَثَهَا مِنْ دِيَّتِهِ - [أَسَدُ الْغَابَةِ].

يروى أن بني كلاب ظعنوا يوماً من أرض جدبة، والأحوص يقاد به جمل وقد عُمر وكُف بصره، فلما كان آخر النهار أحس بالإبل ترعى فقال: ما ترعى هذه الإبل؟ قالوا: نصياً وصلياناً، قال: منبته ذراها مكفتة رُغاهاً⁽¹⁾.

منافرة عامر وعلقمة على هرم بن قطبة

أما حديث المنافرة الذي هو سبب قول الأعشى لبيته المتقدمين، فأثاره أن رأى عامراً وعلقمة يستخلي فضحك وقال: ما إن رأيت كالיום عورة!. فسمع علقمة مقالته فأتاه فقال له: أما إنها غضيضة عن جاراتها، يُعرضُ بأن عامراً كان يُتهم بجاراته - وذلك من أعظم العيوب عند العرب - فتساباً إلى أن قال أحدهما للآخر: إن شئت تنافرنا، فقال له الآخر: نعم. فأجمعا على المنافرة.

فمكثا زماناً يستعدان للمنافرة وأتى عامر عمه أبا براء يستعينه فقال له: خذ نعلي هاتين فإني ربعت فيهما أربعين مرباعاً، ولم يرض منه بذلك. ثم قدما على أبي سفيان بن حرب ليحكم بينهما فامتنع، وكذلك

(1) النصي (بفتح النون وكسر الصاد): نبت سبط من أفضل المراعي جمعه: أناص، قال الشاعر:

ترعى أناص من حرير الحمض

وأنصت الأرض كثر نصيها. والصليان: (بكسرتين مشددة اللام): نبت له سنمة عظيمة كأنها رأس القصبة إذا خرجت أذناها تجذبها الإبل، والعرب تسميه خبزة الإبل، وفي حديث كعب: «إن الله بارك لدواب المجاهدين في صليان أرض الروم كما بارك لها في شعير سورية» أي يقوم لخيولهم مقام الشعير. وسورية: هي الشام - [لسان العرب وغيره]. والاكفات: العقد والطي. والرغى: جمع رغو، يعني أنها جيدة لأبدانها وألبانها.

كل من أتياه من حكام العرب.. إلى أن أتيا هرم بن قطبة الفزاري فوعدهما بالحكم بينهما، فقدمَا عليه ومع كُلُّ ناصِرُوه والشعراء والقيان؛ ينحران ويطعمان.

فلما كانت الليلة التي أراد الحكم بينهما صبيحتها، خلا بكل واحد منهما، من غير شعور أحد وقال له: ما حملك على منافرة ابن عمك وهو يفعل كذا ولا تفعله؟ حتى لا يشك أنه يُنفره عليه، فيناشده بالله والرحم أن لا ينفر عليه؛ فيقول له: قد تحاكمتما إلي ولا أقول بينكما إلا الحق، فيمضي من عنده لا يشك أنه ينفره عليه. ويريد هرم بذلك أن يرضيا بالتساوي.

وأمر هرمُ بنيه أن ينحروا للناس ليشغلوا بذلك عن الحرب حين الحكم. ثم قال: أما أنتما يا هذان فقد رضيتما لي للحكم بينكما وليس لي أن أقول فيكما إلا ما أعلم ولا أعلمكما إلا كفرسي الرهان وركبتي البعير الأزم، يريد تساويهما (لأن فرسي الرهان - وهو المسابقة - لا يبعثان حتى يجتهد في تساويهما، والبعير الأزم - بالزاي - الذي يرفع رأسه لداء بأنفه وحينئذ تستوي ركبته).

وبعد ذلك قال عمر بن الخطاب لهرم: لم لا تنفر أحدهما على الآخر؟ قال: يا أمير المؤمنين لو فعلت لم تزل الحرب بينهما إلى يوم القيامة.

ومر كلاب أيضا النواس بن سَمْعَان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، الصحابي من أهل الحديث. وذكر القرطبي أن أباه سمعان وفد على النبي ﷺ فأسلم ودعا له. وأعطاه بغلته وزوجه أخته؛ فلما دخلت عليه استعادت منه فتركها. وهي الكلابية المستعيذة؛ قال لها النبي ﷺ:

«استعذت بمعيد»⁽¹⁾. وذكر أيضا أنه بكسر السين، من السَّمْع؛ وهو سبع متولد بين الذئب والضبع وهو أحبث منهما، وبفتحها: فعَلان من السمع - (اهـ من التذكرة للقرطبي)⁽²⁾.

هنا انتهى الكلام على بني كلاب بن ربيعة؛ فشرع يتكلم على بني كعب، فقال رحمه الله:

- (1) وفي رواية: «لقد عذت بعظيم» - رواه البخاري وابن ماجه والنسائي.
(2) ومن كلاب أيضا القرنيس، أحد بني بكر بن كلاب، القائل يمدح بني عمرو الغنوين:

هَيُونٌ لَيُونٌ أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء ايسار
إن يُسأل الخير يُعطوه وإن خَبِرُوا في الجهد أدرك منهم طيبُ أخبار
فيهم ومنهم يُعدُّ الخير مُتَلِدًا ولا يُعدُّ نثا خِزْيٍ ولا عار
لا ينطقون عن الأهواء إن نطقوا ولا يمارون إن مارُوا ياكثار
من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وكان الأصمعي يقول: هذا المحال: كلابي يمدح محاربيًا! - [النوادر].
ومن كلاب أيضا عبد العزيز بن زرارة الكلابي، وهو شاعر إسلامي كان في أول الدولة الأموية. قال في شرح الحماسة: وقد تولى مصر لمعاوية، وكان قد أقام على بابه سنة لا يأذن له، وكان في شملة من صوف ثم أذن له وقربه وأدناه وأحسن منزلته فقال: يا أمير المؤمنين دخلت إليك بالأمل واحتملت جفوتك بالصبر ورأيت ببابك أقواما قدمهم الحَظُّ وآخرين أخرهم الحرمان فليس ينبغي للمقدم أن يأمن عواقب الأيام ولا للمؤخر أن يئس من عطف الزمان. فما خرج حتى ولاه مصر - [هـ منه].

ومن بني عمرو بن كلاب أيضا: زرعة بن عمرو بن خويلد الكلابي الذي يقول:

وأرملته تنوء على يديها من الضراء أو قصص الهزال
خلطتُ بفتها سِمَنِي فأضحيتُ شريكسةً من يُعدُّ من العيال
وأفتني الليالي أم عمرو وحلّي في التائف وارتحالي
وتربيقي الصغير إلى مداه وتاميلي هلالا عن هلال - [الحماسة].

نسب بني كعب

مِنْ كَعْبِهِمْ قُشَيْرٌ بَلْعَجْلَانٍ عُقَيْلٌ جَعْدَةٌ وَذُو الْأَسْنَانِ
لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ تَبَّتْ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا
مِنْهُمْ وَقَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ الْعَمِيدُ وَمِنْ عُقَيْلٍ حَيُّ أَخِيْلَ الْمَدِيدُ

قوله: من كعبهم: أي من كعب بني عامر، وهو كعب بن ربيعة بن عامر، أخو كلاب المتقدم ذكره. وكعب أولاده أربعة: عبد الله، وهو أبو بني العجلان، وقشير (كزبير)، وعقيل، وجعدة. وبذكرهم بدأ الناظم رحمه الله بعد أن أخرهم في الذكر، ليعود الضمير الآتي في منهم على أقرب مذكور. قوله: وذو الأسنان.. إلخ: أراد النابغة الجعدي، واسمه قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب، وقيل غير ذلك.

النابغة الجعدي

وإنما قيل له النابغة لأنه تنبغ بالشعر، بعد ثلاثين سنة لا يقوله؛ وكان شاعرا محسنا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني⁽¹⁾، قيل عُمر مائة وثمانين سنة وقيل مائتين وعشرين؛ ولما أتت

(1) فقد نادى الذبياني النعمان بن المنذر ونادم الجعدي المنذر أبا النعمان، وفي ذلك يقول:

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى	ومن عادة المحزون أن يتذكرا
نداماي عند المنذر ابن محرق	أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
ومحرق الذي نسبه إليه جده وليس أباه.	

عليه مائة واثننا عشرة سنة قال:

أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذلك واثنان
فمن يك سائلا عني فإني من الفتیان أيام الخُـنـان
وقد أبقت صروفُ الدهر مني كما أبقت من الذكر اليماني
ألا زعمت بنو سعد بآني وما كذبوا كبير السن فان⁽¹⁾

(وأيامُ الخُـنـان: لعله يعني زمن الخُـنـان، وهو في زمن المنذر بن ماء السماء وماتت فيه الإبل من الخُـنـان؛ وهو زكام يأخذ الإبل في أنوفها).
وكان النابغة في الجاهلية يذكر دين إبراهيم ويصوم ويستغفر. ومِمَّا قال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلما

وقدِمَ على النبي ﷺ فأنشده⁽²⁾ قوله:

(1) ويقول أيضا:

المرء يهوى أن يعيش وطول عمر قد يضره
وتتابع الأيام حتى ما يرى شيئا يسره
تفنى بشاشته ويب بقى بعد حلو العيش مره

(2) قصيدته التي مطلعها:

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا ثمما قضى الله واصبرا
ألم تريا ان الملاممة نفعا قليل إذا ما الأمر ولّى وأدبرا

<<=

أتيت رسول الله إذا جاء بالهدى ويتلو كتابا واضح الحق أكبرا

فلما أتى على قوله:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

قال له النبي ﷺ: «إلى أين المظهر يا أبا ليلي؟» قال: إلى الجنة، قال: «نعم إن شاء الله». ولما أتى على قوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرها

قال له صلى الله عليه وسلم: «لا يفضض الله فاك»⁽¹⁾، فما سقطت له سن بعد ذلك على تعميره؛ وقيل إنها تسقط وتنبت مكانها أخرى أحسن منها، وذلك الذي يريد الناظم رحمه الله.

وقد وفد النابغة على عبد الله بن الزبير بمكة في خلافته في عام مجذب

--- >>

تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا

إلى أن قال:

أتيت رسول الله .. إلخ، وبعده:

أقيم على التقوى وأرضى بفعالها وكنت من النار المخوفة أحذرا

ومنها في الفخر:

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

(1) رواه الحاكم، وذكره ابن الأثير، وابن الجوزي في أسد الغابة.

جدا، فأمر له بوقر نواضحه ميرا؛ ثم جعل النابغة يأكل الزرع بين يدي ابن الزبير، فضحك منه وقال: شد ما بلغ بك الجهد يا أبا ليلي! فغضب النابغة، وجعل ابن الزبير يخفضه ويترضاه.

ومما يحكى عن النابغة أنه حين كان أبو موسى الأشعري أميرا على البصرة من قبل عُمر بن الخطاب سمع النابغة من يصرخ: يا لعامر، فأجابه ويده عصية، فعزّره أبو موسى الأشعري بأن جلده خمسين سوطا، لأنه أجاب من تعزى بعزاء الجاهلية وهو: يا لبني فلان، ولم يقل: يا للمسلمين؛ بعد أن كرهها النبي ﷺ منذ غزوة المريسيع وقال: «دعوها فإنها منتنة»⁽¹⁾، وقال: «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنّوا»⁽²⁾، أي قولوا له: "عض أير أبيك" ولا تكنوا بالهن عن الأير، وذلك سب العرب؛ كانوا كما قال أبو بكر لعروة بن مسعود بين يدي رسول الله ﷺ يوم الحديبية: امصص بظر اللات.

ولعل تعزير أبي موسى الأشعري النابغة بخمسين سوطا هو الذي انتزع منه الفقهاء تعزير الإمام بما زاد على الحد، بل بما رأى، ولو أتى على النفس⁽³⁾، وقد صحَّ حديث: «لا يجلد المؤمن فوق عشرة أسواط إلا في حد

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه أحمد في المسند والنسائي وابن حبان.

(3) لعله يشير رحمه الله بذلك إلى قول خليل بن إسحاق في باب الشرب من مختصره: "وضرب بسوط أو غيره وإن زاد على الحد وأتى على النفس" الخ.

من حدود الله»⁽¹⁾.

ودخل النابغة الجعدي على النابغة الذبياني وعنده الخنساء بنت عمرو بن الشريد، فأنشده، فقال له الذبياني: لولا ما أنشدنيه الأعمى قبلك - يعني الأعشى - لقلت إنك أشعر الناس، فقال: أنا أشعر منك ومن الأعمى ومن هذه.. فقال الذبياني: أنت قلت:

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ...

فخرت بمن ولدت لا بمن ولدك، وقلت "لنا الجففات" ولم تقل "لنا الجفان" (يعني جمع القلة ولم ينطق بجمع الكثرة)، وقلت "الغر" ولم تقل "البيض"، وقلت "يلمعن" ولم تقل "يشرقن"، وقلت "بالدجى" ولم تقل "بالضحى"، وقلت "يقطرن" ولم تقل "يسلن".. واسكت فإنك لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع⁽²⁾

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) والذي وقفت عليه أن هذه القصة كانت بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت الأنصاري، والبيتان من قصيدة لحسان وردت في ديوانه أولها:

ألم تسأل الربع الجديد التكلم بمدفع أشداخ فبرقة أظلما

أبى رسم دار الحي ان يتكلما وهل ينطق المعروف من كان أبكما؟

إلى أن يقول:

متى ما تزننا من معد بعصبة وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

بكل فتى عاري الأشاجع لاه قراع الكماة يرشح المسك والدما

إذا استدبرتنا الشمس درت متونا كأن عروق الجوف ينضحن عندما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

وكان النَّابِغَةُ الجعدي آخر الصحابة موتا بأصبهان.
ومر جعدة أيضا عبدُ الله بن الحُشْرَج^(١)، من عمّال ابن الزبير؛ وفيه
يقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والنّدى في قُبّة ضربت على ابن الحُشْرَج

قيس بن الملوّح قَتيل العشق

قوله: وقيس بن الملوّح: يعني المجنون المشهور الذكر والشعر؛ وهو ابن

-- >>

نُسُوْدُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مَرُوءَتُهُ فِينَا وَإِنْ كَانَ مُعْدِمًا
وإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا مِنْ الشَّحْمِ مَا أَضْحَى صَحِيحًا مُسْلِمًا
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرُّ يَلْمَعْنَ بِالضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا ..إلخ..

اللهم إلا أن يكون الشارح وقف على ما أثبت والله أعلم.

(١) كان أحد سادات قيس، جوادا ممدحا، وكان من أمرائها؛ ولي أكثر أعمال خراسان وفارس
وكرمان. وكان أبوه الحُشْرَج بن الأشهب سيدا شاعرا وأميرا كبيرا، وأورد له في الحماسة:

أَلَا بَكَرْتَ تَلُومَكَ أَمْ عَمْرُو وَغَيْرَ اللُّسُومِ أَدْنَى لِلْسُدَادِ
وَمَا بَذَلِي تِلَادِي دُونَ عَرْضِي بِإِسْرَافٍ أَمِيمٍ وَلَا فِسَادِ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا أُعْطِيَ صَدِيقِي مَكَاشَرَتِي وَأَمْنَعُهُ تِلَادِي
وَلَكِنِّي أَمَرُّ عَوْدَتِ نَفْسِي عَلَى عِلَاتِهَا جَرِي الْجَوَادِ
مَحَافِظَةٌ عَلَى حَسْبِي وَأَرَعَى مَسَاعِيَّ آلِ وَرْدٍ وَالرُّقَادِ

ومن جعدة أيضا وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة شاعر جاهلي، ومن شعره:

تَحْمَلْتُ مِنْ نَعْمَانِ عَوْدَ أَرَاكَةَ لِهِنْدٍ وَلَكِنْ مِنْ يَبْلَغُهُ هِنْدًا؟
خَلِيلِي عُوجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدَ لَأَرْضِكُمَا قَصْدًا
وَقَوْلَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا

الملوح بن مزاحم بن عدي بن ربيعة بن جعدة، وعند ربيعة يلتقي مع
النابعة. والعميد: الهالك من العشق، قال الشاعر:

ولكنني من حبها لعميد

يعني عشقه ليلي العامرية - وليست بليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير -
وهي من بنات عمه، فلما أخبله حبها خطبها أهله إلى أبيها فقال: حلفت
أن لا أزوج عاشقاً.

فلم يزل يهيم بها ويقول الشعر إلى أن قتله حبها. ومن أول ما قاله
فيها من الشعر، قبل أن يعلم الناس بخبرهما:

كلانا مظهر للناس بغضا وكل عند صاحبه مكين
تخبرنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوى دفين

ومن أحسن ما قاله فيها قوله:

تَعَشَّقْتُ ليلي وهي ذات ذوائب ولم يبدُ للعينين من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبرِ البهم

وقال أيضاً:

كان القلب ليلة قيل يُغدى بليلى العامرية أو يـراحُ
قطاة غرّها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرخان في قفـرٍ بأكـ على غصنٍ تُمِيلُهُ الرياحُ
إذا سمعا هبوب الريح نصّا وقد أودى بأمهما المتأخُ
فلا بالليل نالت ما تُرجي ولا بالصبح كان لها سراحُ

وقال يخاطب زوجها:

بعيشك هل ضممت إليك ليلي قيل الصبح أو قبّلتَ فاها؟

وهل زُفَّت إليك قرونٌ ليلي زفيفَ الاقحوانة في نداها؟

وقال أيضا:

وأذنيّني حتى إذا ما سبيّتي بقول يُحِلُّ العصم سهل الأباطح
تناءيت عني حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

وأخباره معها وأشعاره فيها لا قدرة لنا على حصرها، فيليق بنا أن نضرب عنها إلى ما كنا فيه.

ومر جعدة الفقيه المشهور الإمام أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، صاحب الإمام مالك.

قوله: ومن عقيل... إلخ: هو بضم العين، ورأيت بخط جدي مُحَمَّدًا - رحمه الله - أن كل عقيل في العرب بضم العين بصيغة التصغير، إلا عقيل بن أبي طالب وعقيل بن عُلفَة⁽¹⁾ المري الجافي.

توبة وليلى الأخيلية

ولم يذكر من بني عقيل إلا بني أخيل بن عبادة بن عُقيل، رهط ليلي

(1) (بضم العين المهملة وتشديد اللام وفتح الفاء مخففة) وكان عقيل هذا شاعرا مجيدا مُقَلا من شعراء الدولة الأموية. لكنه كان مشهورا بالجفاء شديد الهوج والعجرفة، ومن جفائه ما قاله حين خطب إليه عثمان بن حيان - وهو أمير المدينة - إحدى بناته: "أبكرة من إبلي أيها الملك تعني؟!"، فأمر بإخراجه على أسوأ حالة. وخطب عنده عبد الملك بن مروان إحدى بناته لبعض أبناء عبد الملك فقال له: إن كان ولا بد فجنبي هجاءك!.. وغير ذلك من جفائه، وكان لا يرى أن له كفئا؛ وهو من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه، وكانت قريش ترغب في مصاهرته - [الأغاني].

الأخيلية التي تشبَّبَ بها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عامر بن عُقيل⁽¹⁾؛ وهي ليلي بنت عبد الله الرَّحَّال بن شداد بن كعب بن أخيل، واسمه معاوية⁽²⁾، ويقال لقومها الأخایل⁽³⁾. ولما اشتهر أمرُ توبةَ ويليى شكاه أهلها وزوجها إلى السلطان فأباح لهم دمَه، فلما علمت بذلك ليلي - وكان قد حلف لها زوجها لئن أنذرتَه ليقتلنها - خرجت مسفرةً حتى جلست في طريقه، وكانت قبل ذلك تخرج إليه في بُرقعها؛ فلما رآها على تلك الحالة علم، فركضَ فرسه ونجا، وذلك قوله⁽⁴⁾:

(1) عقيل هذا ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(2) معاوية هذا ابن عبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(3) وهي القائلة:

نَحْنُ الْأَخَائِلُ لَا يَزَالُ غَلَامُنَا حَتَّى يَدْبُ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورَا
تَبْكِي السِّيفُ إِذَا فَقَدْنَا أَكْفَنَا جَزَعَا وَتَعَرَّفْنَا الرِّفَاقَ بِحُورَا
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نَسَائِكُمْ مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ الصَّرَاخُ بِكُورَا

وقيل الأبيات لأبيها.

(4) نَأْتِكَ بَلِيلِي دَارَهَا لَا تَزُورُهَا وَشَطَّتْ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا

إلى أن يقول:

حَمَامَةٌ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْنُمِي سَقَاكِ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمَا وَلَا زَلْتَ فِي خَضِرَاءِ دَانٍ بَرِيرُهَا
وَأَشْرَفَ بِالْغُورِ الْيَفَاعُ لَعْنِي أَرَى نَارَ لَيْلِي أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتُ لَيْلِي ..إِلخ
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ كَانَ بَعْلُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا
وَإِنِّي إِذَا مَا زَرْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمِي وَمَا كَانَ فِي قَوْلِي اسْلَمِي مَا يَضِيرُهَا ..إِلخ.

وكنـت إذا ما زرت ليلي تبرقت وقد رابني منها الغداة سفورها
وكان توبة في غاية الفتوة ظرافة وجمالا وشعرا وشجاعة. وجدّه
الفرزدق يوما مع ليلى فحسده وغار منه فقال له: صارِعني، وكان توبةً
أيّداً، فقام إليه فصرعه فصرطَ الفرزدق، فقال في ذلك جرير:

فجئت إلى ليلي لتحظى بقربها فخانك أست لا يزال يخون
ورأته يوما بثينة ومعه جميل، فجعلت تنظر إليه، وشق ذلك على جميل
فقال له: صارِعني يا توبة، فصارعه فصرعه جميل، وقال له: ناضلني فنضله
جميل، وقال له سابقني فسبقه جميل؛ فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا
بنظر هذه الجالسة ولكن اهبط بنا إلى الوادي، فهبطا إلى الوادي فصرعه
توبة ونضله وسبقه.

ومن شعره في ليلي قوله:

ألا إن أهوائي بليلى قديمة وأقتلُ أهواء الرجال قديمها

وقوله:

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندل وصفائحُ
لَسَلِمْتَ تسليم البشاشة أو زقا إليها صدّى من جانب القبر صائحُ

وقوله:

أما والذي حجّ الملبّون بيته وعظّم أيام الذبائح والنحر
لقد زادني للجفر حبا وأهله ليالٍ أقامتهن ليلى على الجفر

ثم إن توبة حارب بني عمه بني عوف بن عامر بن عقيل، وهو من بني
خفاجة بن عامر بن عقيل، فاغار عليهم وقتل منهم. فخرجوا في طلبه
فلحقوه وقد ارسل فرسه وهو راجل، فلما رأهم أراد فرسه فشردت عنه

فقتلوه. وفي ذلك تقول ليلي:

فإن تكن القَتْلَى بواءً فإنكم
فتى كان أحيى من فتاة بخدرها
وأكثرت فيه المراثي، منها قولها:

أيا عين بكّي توبة بن حمير
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر
فيا توب للمولى ويا توب للندى

ومنها قولها فيه من قصيدة:

معاذ إلهي كان والله توبة
عفيفا بعيدا لهم صلبا قناته
أغرّ خفاجيا⁽³⁾ يرى البخل سبة
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره
أنته المنايا حين تمّ تمامه
وصار كليث الغاب يحمي عرينه
جواداً على العلات جمّ نوائله
جـيـلا محياه قليلا غوائله
تحلب كفاه الندى وأناملـه
لديه أناه نيله وفواضله
وأقصر عنه كل قرن يناضله
وترضى به أشباله وحلائله

وقالت فيه أيضا:

جزى الله خيرا والجزاء بفضله
فتى من عقىل ساد غير مكلف

(1) بواء: (بالفتح والمدّ) أي سواء، يقال: دم فلان بواء لدم فلان أي كفؤ له.

(2) أنته المنايا دون درع حصينة وأسمّر خطي وجرداء ضامر
كأن فتى الفتيان توبة لم يُنخ قلائص يفحصن الحصا بالكراكر... إلخ.

(3) خفاجيا: أي منسوباً إلى خفاجة وهو من آباء توبة.

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جم التصرف⁽¹⁾

وكانت ليلي مع شعرها ذات أدب وظرافة وعلم بالأنساب، وكانت تفد على الملوك. وفدت على معاوية ومدحته فأمر لها بخمسين بعيرا، ثم سألها عن مضر فقالت: فاخر بقريش وحارب بقيس وكاثر بتميم وناطق بأسد. فقال: يا ليلي أكما يقول الناس كان توبة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس في توبة حقاً، الناس يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت؛ كان والله توبة سبط البنان حديد اللسان جميل المنظر عفيف المنزر، فقال: الناس يزعمون أنه كان كذا وكذا، فقالت: معاذ إلهي.. - القصيدة - وأنشدتها إياه، فقال معاوية: قد جرت بتوبة قدره، فقالت: لو رأيته يا أمير المؤمنين لعلمت أني قصرت في نعته.

(1) ولها فيه أيضا:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى	إذا لم تصبه في الحياة المعاييرُ
وما أحد حيا وإن عاش سالما	بأخلد ممن غيبتة المقابر
ومن كان مما أحدث الدهر جازعا	فلا بد يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذي عيش عن الموت مذهب	وليس على الأيام والدهر غابر
فلا الحي مما يحدث الدهر مُعتَبٌ	ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل شباب أو جديد إلى بلى	وكل امرئ يوما إلى الله صائر
وكل قرين ألفة لتفريق	شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر
فلا يُعِدَّنكَ الله يا توب هالكا	أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر
فأليت لا أنفك أبكيك ما دعت	على فنن ورقاء أو طار طائرُ

إلخ..

ووفدت على عبد الملك، وقد أسنت، فقال لها: ما رأى فيك توبةً حين هَوَاكَ؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين وَلَّوك! فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها. وقال الشعبي لعبد الملك: إن شئت أضحكك منها؛ فقال لها: ما لكم يا بني عامر لا تكتنون؟ - وكانوا يكسرون حرف المضارعة - فقالت: له أما نكتني؟ - فكسرت نون المضارع - فقال: ما فعلت، ولو فعلت لاغتسلت! فحجلت واستحيت.

ووفدت أيضا على الحجاج وامتدحته، فأحسن جائزتها ثم قال لها: أقسم عليك إلا صدقتني هل كانت بينك وبين توبة ريبة؟ فقالت: لا والله أيها الأمير، إلا أنا خلونا ذات ليلة فقال لي كلمة ظننت أنه خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحباً وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعد ذلك حتى مات.

ثم بعد هذا كله مرت بقبر توبة مع زوجها، فقال لها: هذا قبر توبة الكذاب الذي يقول: ولو أن ليلي الأخيلية - البيتين - أعزم عليك لتسلمنَّ عليه، فقالت: دعه عنك فإني لم أعرف فيه كذبة قط، وقيل إنها أرادت ذلك فنهاها زوجها فتقدمت وسلمت، فطار طائر من جانب القبر فنفر منه بعيرها فوقعت فاندقت عنقها، فماتت من ساعتها ودفنت إلى

جانب قبر توبة⁽¹⁾.

انتهى الكلام على عُقيل وجعدة ابني كعب، فشرع يتكلم على قشير
أخيها فقال رحمه الله:

وَمِنْ قُشَيْرِ الَّذِي أَلْفًا قَتَلَ وَرَجُلُهُ عَنْ قَطْعِهَا إِذْنُ ذَهَلُ
حَتَّى انْتَهَى لِأَهْلِهِ: حِيَّاسُ وَكَانَ بِالْيَرْمُوكِ ذَا الْمِرَاسُ

ذهل عن الشيء (كمنع): نسيه لشغل. وحياس: هو ابن قيس بن
الأعور، لم يذكره صاحب الإصابة في الصحابة. واليرموك: وادٍ بناحية الشام
فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم، أميرها يزيد بن أبي سفيان واللواء
عند أبيه، وفُتت عينه الأخيرة يومئذ، ومات من الروم ما لا يحصى ولا
يعد، واستشهد كثير من المسلمين. والمراس: القتال.

يعني أن من قشير حياس بن قيس، وتزعم الناس أنه قتل ألف رجل يوم

(1) ومن عُقيل أيضا مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث العقيلي، وهو شاعر إسلامي بدوي
فصيح كان في زمن الفرزدق وجريز. روي أن الفرزدق دخل يوما على عبد الملك بن
مروان فقال له: أتعرف أحدا أشعر منك؟ قال: لا إلا أن غلاما من بني عقيل يركب أعجاز
الإبل وينعت الفلوات فيجيد. ثم جاء جريز فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق، فأجابه
بجوابه، فلم يلبث أن جاء ذو الرمة فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني
عُقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشيا من الشعر لا يُقدر على مثله.
ومن شعره:

وددت على ما كان من سرفِ الهوى وغَيَّ الأمانى أن ما شئت يفعل
فترجع أيام تقضت ولسدة تولت وهل يشئى من الدهر أول

اليرموك وقطعت رجله ولم يشعر بها حتى قدم على أهله. وهو الذي يعني
سواد بن أوفى بقوله:

ومنا ابن عتاب وناشد رجله ومنا الذي أذى إلى الحيّ حاجبا⁽¹⁾

وقيل إنما كان ذلك بالقادسية، ويؤيده قول حياس:

أقدم أخا سهم على الاساوره ولا تهوئك رجل نادره

فإنما قصر⁽²⁾ك ترب الساهره ثم تعود بعدها في الحافره

من بعد ما كنت عظاما ناخره

لأن الاساورة من الفرس وهم أهل القادسية، واليرموك أهله الروم.

وقشير ابنه سلمة الخير وسلمة الشر؛ فأما سلمة الخير فمن ولده

الصحابي قرة بن هُبيرة بن عامر بن سلمة الخير، وقد على النبي ﷺ فأسلم

وقال: الحمد لله يا رسول الله، إنا كنا نعبد آلهة لا تنفعنا ولا تضرنا،

فقال ﷺ: «نعم ذا عقلا»⁽³⁾، فولاه صدقات قومه.

ومن قشير أيضا خالد وحرملة ابنا هُوذة بن ربيعة، وفدا أيضا على

النبي ﷺ فسرّ بهما وأسلما، وهما من المؤلفة قلوبهم. ومن خالد هذا ابنه

العداء بن خالد؛ اشترى من النبي ﷺ العبد أو الأمة، وكتب له العهدة

(1) يعني به مالكا بن سلمة الخير بن قشير وكان قد أسر حاجبا بن زرارة يوم جيلة، وفي رواية:
ومنا الذي أرى من الموت حاجبا.

(2) قصر: أي قصارى أمر، أي غايته ونهايته، وفي رواية "فإنما قصدك".

(3) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب والحافظ في الإصابة معزّوا إلى ابن أبي عاصم وابن شاهين
بسند منقطع، ولفظه: «أفلح من رزق لُبّا».

وأسلم⁽¹⁾.

ومنهم ضباعة بنت عامر بن قرط بن كعب بن قشير، أم سلمة بن هشام بن المغيرة، وله تقول:

لاهم رب الكعبة المحرمه أظهر على كل عدو سلمه

وهي القائلة أيضا في جاهليتها:

واليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

ثم أسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ فأخبره أبو بكر أن بها كبرة فتركها.

ومنهم أيضا الولي المشهور أبو القاسم القشيري صاحب "الرسالة"⁽²⁾.

لقي أبو القاسم أعرابيا فقال: ممن أنت؟ قال: من عقيل، فقال: من أيهم؟ فقال: من بني خفاجة، فقال القشيري:

رأيت شيئا من بني خفاجة

(1) بعد الفتح وحنين، وحسن إسلامه وروى أبو رجاء العطاردي عن العداء بن خالد قال: ألا أقرئك كتابا كتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوزة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى منه عبدا - أو أمة (شك من راوي الحديث) - مبايعة المسلم - أو بيع المسلم - لا داء ولا غائلة ولا خبثة» قال الأصمعي: سألت سعيد بن أبي عروبة عن الغائلة؟ فقال: الإباق والسرقة والزنا، وسألته عن الخبثة؟ فقال: بيع أهل عهد المسلمين - [الاستيعاب].

(2) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري مؤلف الرسالة القشيرية في علم التصوف، ألفها سنة: 437 هـ.

فقال الخفاجي: ما شأنه؟ قال:

له إذا جَنَّ الظلام حاجة

قال: وما هي؟ قال:

كحاجة الديك إلى الدجاجة

فاستغفر الخفاجي وتاب وقال: سبحان الله ما أعرفك بسرائر الناس!.
ومنهم الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد العالم الكبير، القائل: ما
تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلا إلا أعددت لذلك جوابا بين يدي الله⁽¹⁾.
ومن بني كعب بنو العجلان، ولم يتكلم فيهم الناظم رحمه الله بغير

(1) وكان ابن دقيق العيد هذا عالما ورعا زاهدا جمع بين مذهبي مالك والشافعي وكان مفتيا
فيهما وكان من أبرز علماء عصره في مصر ورحلت إليه الطلبة من الآفاق وولي قضاء
الديار المصرية، وكان يجيد الشعر، ومن شعره:

تمنيت أن الشيب عاجلٌ لِمَتي وقرب مني في صباي مَزاره
لأخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

ومنه:

قالوا فلان عالم فاضل فأكرمُوه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تُقى تعارض المانع والمقتضى

ومنه:

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت نفسك لا خلاعة ماجنٍ حصّلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الـ أخرى ورحت عن الجميع بمعزل
وله عدة مؤلفات.

ذكرهم. وهم الذين هجاهم الخطيئة بقوله:

إذا غضب الإله على أناس ... الخ.

وقال فيهم أيضا:

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب، فاستنشدتهم شعره فيهم فقالوا: قال:

إذا الله عادى أهل لؤم وذلة فعادى بني العجلان رهط بن مقبل

فقال عمر: إنما دعا عليكم بقوله فعادى ولعله لا يجاب، قالوا: فقال:

قِيْلَةُ لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال: وددت لو أن آل الخطاب كانوا كذلك، قالوا: قال:

ولا يردون الماء إلا عشيية إذا صدر الورد عن كل منهل⁽¹⁾

فقال: ذلك أصفى للماء، فقالوا: أسأل حسان؛ فأرسل إلى حسان فسأله

هل هذا هجاء؟ فقال حسان: ما هجاهم ولكن سلح عليهم!.

(1) بعده:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

وابن مقبل المذكور في هذا الشعر هو تميم بن مقبل العجلاني شاعر مشهور، وكان بنو العجلان هؤلاء يقولون إن أباهم لقب العجلان لتعجيله قرى الضيوف وكانوا يفتخرون بهذه النسبة ويتبححون بهذا اللقب إلى أن هجاهم الخطيئة بهذا الشعر فاتضعوا بعد رفعتهم وذلوا بعد عزتهم حتى صاروا يفرون من الانتساب إلى العجلان وجعل أحدهم إذا سئل عن نسبه يقول كعبي مخافة أن يسخر منه.

فحبسه عمر، ثم كتب إليه يستعطفه⁽¹⁾:

باسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله، أما بعد يا عمر
ما ذا تقول لأفراخٍ بذى مرخ هم الحواصل لا ماء ولا شجرُ
أقيت كاسبهم في قعر مظلمة فامنن عليك سلام الله يا عمر

فأخرجه عمر وحلفه أن لا يهجو أحدا بعد ذلك.

ومنهم زيد بن أسلم، الصحابي البصري حليف بني عمرو بن عوف.
ومنهم تميم بن مقبل الشاعر.

نسب بني هلال

مِنْ عَامِرٍ أَيْضًا بَنُو هِلَالٍ أَصْهَارُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَهْلُ الْمَالِ
سِتُّونَ أَلْفَ نَاقَةٍ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ وَكَهْمَسٌ مِنَ الْأَمَاجِدِ

كهمس: هو ابن معاوية بن أبي ربيعة الهلالي، قدم على النبي ﷺ
فأسلم، وغاب عنه سنة فأتاه وقد ضعف ونحل فقال: يا رسول الله أما
تعرفني؟ قال: «من أنت»؟ قال: كهمس بن معاوية، ما نمت بعدك ليلا
ولا أفطرت نهارا، قال: «صم شهر الصبر ويوما من كل شهر»، قال:
أقدر على أكثر من ذلك، قال: «صم يومين من كل شهر» قال: أقدر على
أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة من كل شهر»⁽²⁾.

(1) سيأتي تصويب المؤلف لنفسه بأن هذا إنما كان في هجو الحطيئة للزبرقان - الآتي ذكره -
وأن الشاعر الذي هجا بني العجلان هو النجاشي - (انظر الصفحة 402).

(2) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.

ومنهم حميدُ بن ثور⁽¹⁾ الهلالي وهو القائل:

أصبح قلبي من سليمي معمدا إن خطأ منه وإن تعمدا
حتى أرانا ربنا محمدا يتلو من الله كتابا مُرشدا
فلم نكذب وخررنا سجدا نعطي الزكاة ونقيم المسجدا

قوله: من الأماجد: لمصاهرة النبي ﷺ. وقوله: ستون ألف ناقة.. إلخ: ذلك خاص بقبيلة منهم يقال لها بنو رياح، وهو غير صحيح عند اليدالي⁽²⁾؛ وعلى تقدير صحته فإنما كان ذلك في آخر الزمان.

أَصْهَارُ هِنْدَ بِنْتِ عَوْفِ الْفَضْلَا نَبِينَا بِزَيْنَبٍ ثُمَّ عَلَى
مَيْمُونَةٍ بِنْتِي بَنِي هِلَالٍ فَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ قُطْبُ الْآلِ
عَلَى لُبَابَةِ وَأُخْتُ هَذِهِ وَتِلْكَ أَيْضًا أُمُّ خَالِدٍ وَهِيَ
لُبَابَةُ الصُّغْرَى وَأُمُّ الْفَضْلِ لُبَابَةُ الْكُبْرَى فَخُذْ عَنِّي

لما أنهى الناظم رحمه الله الكلام على بني كلاب وبني كعب، الأجددين عند العرب؛ ولا يبالون بغيرهما من بني عامر، كما قال دريد بن الصمة:

(1) ابن حزن بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن نهيك بن هلال.

(2) يعني محمد اليدالي بن المختار بن محمد سعيد الديمان المتوفى سنة 1166هـ، صاحب التصانيف الجزيلة والتأليف المفيدة، ولعله يشير هنا إلى ما ذكره في كتابه *الحلة السرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى*، ونصه: "ومن بني هلال بنو رياح كانوا أهل إبل يكون للرجل منهم نحو ستين ألف بعير؛ قال صاحب *مسالك الأبصار*: حدثني بذلك الشيخ أبو يحيى المغربي الإمام بالقصر الشريف السلطاني"، ثم قال: "والعهدة عليه في ذلك" - [أهـ منه].

"لو كان يوم جد لما غابت عنه كعب و كلاب"، وكما قال جرير:

... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

شرع يتكلم على غيرهما من بني عامر، فبدأ ببني هلال، فاستعجله - عن ذكر غير كهمس ومدحهم - الطربُ إلى استطراد هؤلاء الأصهار الفضلاء، لأن منهم النبي ﷺ مرتين وفضلاء الصحابة؛ ونزههم عن أن يذكر معهم الوليد بن المغيرة - وإن كان له شرف في الدنيا - فاستلزم ذكره بذكر خالد.

وهند بنت عوف حميرية، وقيل أسدية، ويضرب المثل بها بكرم الأصهار؛ يقولون: أكرم عجوز في العرب أصهارا. وإنما ذكرهم هنا لأن بناتها من بني هلال، سوى الخثعميتين أسماء وسلمى بنتي عميس. وزينب بنت خزيمة⁽¹⁾ أم المساكين، سميت بذلك لشفقتها وكثرة صدقتها على المساكين؛ كانت عند عبدة بن الحارث بن المطلب فطلقها فتزوجها أخوه الطفيل فطلقها فتزوجها عبد الله بن جحش، واستشهد عنها بأحد. فلما حلت تزوجها رسول الله ﷺ ومكثت عنده شهرين أو ثلاثة فتوفيت رضي الله عنها.

وقوله: ثم على: يحتمل أنه فعل ماض ناصب للفظ ميمونة على المفعولية؛ لأنهم يقولون فلانة تحت فلان إذا كانت زوجته، ويحتمل أنه حرف جر، أي ثم صاهرها بعد زينب على ميمونة؛ وهي بنت الحارث بن

(1) زينب أم المؤمنين هذه بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وفي هلالٍ تلتقي بأختها من الأم ميمونة بنت الحارث الهلالية.

حزن بن بجير بن هُزَم بن رُوَيْيَة بن عبد الله بن هلال، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ من نسائه؛ تزوجها في عمرة القضاء؛ قيل معتمرا، وهو المشهور، وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم، وعند الشافعي تزوجها بعد ما حل. قال له العباس: يا ابن أخي هذه ميمونة بنت الحارث تأيمت من أبي رهم بن عبد العزى، من أمرها كيت وكيت.. فتزوجها فإنها تليق بك. فخطبها، ويقال إن الخاطب وجدها راكبة فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ؛ فسقطت عن البعير فرحا. فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها منه، فلما قالت قريش لرسول الله ﷺ اخرج عنا وعن أرضنا فقد تم الأجل بيننا وبينك - وهو ثلاثة أيام تصالحوا عليها عام أول في صلح الحديبية - قال لهم: «دعوني أقيم عندكم أولم على عرسي وأطعمكم»⁽¹⁾، قالوا: لا حاجة لنا إلى طعامك فاخرج عنا بطعامك وعرسك. فخرج حتى كان بسرف (ككتف) وهو قريب من التنعيم - وهو أقرب مواضع الحل - أعرس بها عنده وكان به قبرها بعد ذلك؛ وذلك أنها قدمت مكة للحج فمرضت وأقام عليها الناس ينتظرون وفاتها، فأفاقت وقالت: احملوني فقد كنت أسمع من رسول الله ﷺ أنني لا أموت بمكة، فحملوها فماتت عنده ودفنت في الموضع الذي أعرس بها فيه رسول الله ﷺ. وهي بنت خال أبي سفيان بن حرب، لأن أبا سفيان أمه صفية بنت حزن، كما في الروض الأنف وغيره. وفيه أن ميمونة وزينب بنتا

(1) ذكره ابن كثير وابن سعد وزاد المعاد ونحوه في سيرة ابن هشام.

عم، وخالف في ذلك الشيخ اليدالي فلم يلاقهما إلا في هلال.

وقوله: **قطب الآل**: يعني آل النبي ﷺ، وهم مؤمنو بني هاشم. **والقطب**: عود الرحي الذي تدور عليه، ونجم يهتدى به إلى القبلة، وسيد القوم؛ يعني أن العباس سيد مؤمني بني هاشم.

يعني أن العباس صاهر هند بنت عوف على لبابة، كما صاهرها رسول الله ﷺ على زينب وميمونة بنتي بني هلال.

قوله: **وأخت هذه وتلك أيضا**: يعني بالإشارة القرية لبابة الكبرى، زوج العباس، وبالإشارة البعيدة - وهي تلك - ميمونة.

يعني أن أم خالد بن الوليد شقيقة ميمونة - أم المؤمنين - ولبابة زوج العباس. ثم قال: **وهي لبابة الصغرى**، يعني أم خالد، والكبرى وهي زوج العباس، أم الفضل وإخوته: عبد الله وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن ومعبد وأم حبيب. قوله: **فخذ عن نقل: نبّه به على القول بأصغرية أم الفضل وأكبرية أم خالد وعلى ضعفه**.

وجعفر العتيق حيدرتهُم أسماءُ أي بنت عميس زوجهم

يعني أن جعفرا وعلياً ابني أبي طالب، وأبا بكر رضي الله عنهم أصهاراً لهند بنت عوف على أسماء بنت عميس الخثعمية. أما جعفر فتزوجها قبل وهاجر بها إلى الحبشة الهجرة الثانية، ومعه اثنان وثلاثون رجلاً واثنان عشرة امرأة، وجعفر سيدهم وخطيبهم عند النجاشي؛ فلم يزالوا يرجعون إلى أن بقي جعفر ورهط معه قليل. ثم كتب النبي ﷺ كتاباً مع يعلى بن

أمية إلى النجاشي أن يقدم عليه جعفرا ورهطه وأن يزوجه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ففعل. ووافوا النبي ﷺ بخير قد افتتحها فقال: «لا أدري أي الفرحتين أشد: فتح خير أم قدوم جعفر»، فعانقه النبي ﷺ حين قدم عليه⁽¹⁾، (وذلك قول سفيان الثوري لمالك: عانق من هو خير منك من هو خير مني).

وولدت أسماء لجعفر بالحبشة بنيه الثلاثة: محمدا وعونا وعبد الله، وهو أكبرهم؛ ويوم ولد عبد الله ولد للنجاشي ولد فسماه عبد الله - باسم ابن جعفر - وأرضعته أسماء وأرضعت عبد الله بن جعفر امرأة النجاشي، وكانا يتواصلان بهذه الرضاعة.

فلما استشهد جعفر بمؤتة قال لها النبي ﷺ: «تسلي ثلاثا فأخبريني»⁽²⁾. ثم لم يُقدَّر تزويج النبي ﷺ لأسماء، لكن كانت من خاصته

(1) رواه الطبراني في الكبير والصغير.

(2) وفي رواية: "تسلي ثلاثا ثم اصنعي بعد ما شئت" رواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان. ومعنى تسلي: أي البسي ثياب الحداد السود، وتسلبت المرأة: لبست السَّلاب وهي ثياب المأتم السود، قال ليبد:

يخمشن حُرَّ أوجه صحاح في السُّلب السود وفي الأمساح

وفي الحديث: أن بنت أبي سلمة تسلبت على حمزة ثلاثة أيام فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرها أن تسرح شعرها وتكتحل.

وكانت أسماء هذه قديمة الإسلام، أسلمت قبل دخول دار الأرقم وبايعت وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنها جماعة منهم ابنها عبد الله بن جعفر وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

تدخل عليه وتخرج، وباشرت لده في مرضه ولمست عند موته موضع الخاتم تختبر به موته؛ وانظر: هل ذلك لمكان أختها ميمونة فيكون فيه متعلق لمن يرى ذلك، أو خصوصية؟⁽¹⁾.

ثم تزوجها أبو بكر بعد جعفر وولدت له محمداً، ولدته بذى الحليفة حين أحرم النبي ﷺ والناس بحجة الوداع، فمنعها النفاس من الطواف، كما منع الحيض عائشة منه في تلك الحجة⁽²⁾. ثم تزوجها علي بعد أبي

(1) قوله: وانظر هل ذلك: أي ما ذكر من دخولها عليه ومبشارتها لده ولمسها موضع الخاتم منه، لمكان أختها أمنا ميمونة فتكون كالمحرم. وقوله: فيكون فيه متعلق (بصيغة اسم المفعول): أي مستند ودليل لمن يرى - أي من العلماء - أن من يحرم جمعها مع الزوجة، كأختها، حكمه حكم المحرم الذي تدوم محرميته أو هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم دون غيره. وقد روي أن الذي لمس موضع الخاتم منه هو أمنا عائشة رضي الله عنها؛ ففي تعليق عبد المعطي على دلائل النبوة للبيهقي (ج1/ص: 260) عن عائشة - في صفة خاتم النبوة - قالت: كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة وكانت مما يلي القفا، قالت: "فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع". والله أعلم.

(2) عن عائشة رضي الله عنها قالت: نُفِسْتُ أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة (أي بذى الحليفة، وكانت هناك شجرة) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن تغتسل فتَهْلٍ - [رواه أبو داود]. وفي رواية: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل بالحج وتصنع ما يصنع الناس إلا أنها لا تطوف بالبيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحائض والنفساء إذا أتتا على الوقت تغتسلان وتحرمان وتقضيان المناسك كلها غير الطواف بالبيت». رواه أبو داود. وإنما أمرت بالاغتسال للإحرام لأنه إما تعبدى أو هو للنظافة، فهو كوضوء الجنب لا يؤثر في الحدث ولا يفيد طهارة - [انظر شرح النسائي].

بكر⁽¹⁾، فولدت له يحيى - ومات صغيرا - قيل ويزيد.

وَأُخْتُهَا بِنْتُ عُمَيْسٍ سَلْمَى بِحَمْزَةٍ عَمَّ النَّبِيِّ تُسَمَّى

وأختها: أي أسماء⁽²⁾. وتُسَمَّى: أي تُعَلَى، من السمو وهو العلو⁽³⁾. يعني أن من أصهار هند بنت عوف سيدنا حمزة رضي الله عنه، إذ تعلق بتزويجه بنتها سلمى بنت عميس؛ وهي أم ابنه يعلى وبناته، واختلف في عمارة هل هو ابن - كما ذكر صاحب الإصابة - أو هي بنت كما قال السهيلي في الروض الأنف، وذكر لها حديثا في الميراث بالعتق. وقد استوفينا ذلك في شرح الغزوات في الكلام على حمزة رضي الله عنه.

وَمِنْهُمْ ابْنُ جَحْشٍ الْمُجَدَّعُ بِزَيْنَبٍ قَبْلَ النَّبِيِّ يُمْتَعُ

أي ومن أصهارها عبد الله بن جحش، كما قدمنا تزويجه بزَيْنَبِ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ وبعد ابني الحارث بن المطلب. والمجدع: سيدنا عبد الله بن جحش، جدع في الله يوم قُتِلَ بأحد؛ وإنما سمي "المجدع" بعد موته، لكن

(1) وهي التي غسلت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بوصية منه، ويحكى أنها بعد ما تزوجها علي تفاخر ابنها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما للآخر: أنا أكرم منك أبا، فقال لها علي: اقضي بينهما، قالت: ما رأيت شابا خيرا من جعفر ولا كهلا خيرا من أبي بكر، فقال لها علي: فما أبقيت لنا؟.

(2) أي لأب وأم، فهما بنتا عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن خلف ابن افتل وهو خثعم بن أثمار.

(3) من أسماء - الرباعي - أي أعلاه.

صارت له علما؛ لأن المشركين مثلوا به: جدعوا أنفه وأذنيه؛ لأنه دعا الله قبل ذلك أن يفعله به أسد من آساد المشركين، ليسأله الله يوم القيامة: من فعل بك هذا؟ فيقول: فلان، فيقول الله: فيم؟ فيقول: فيك؛ فسأل سعد بن أبي وقاص أن يؤمن على دعائه وألح عليه فأمن سعد.

وأم عبد الله بن جحش: أميمة بنت عبد المطلب، وهو من المهاجرين الأولين؛ أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهو أول من بعثه النبي ﷺ في سرية وأول من خمّس الغنيمة في سبيل الله ثم نزلت: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية⁽¹⁾، ودفن هو وحمزة في قبر واحد. وآل جحش حلفاء بني عبد شمس. ويمتع: أي يتمتع.

ولم يذكر الناظم من الأصهار الكرام ابني الحارث على زينب، كما قدمنا. ولما أنهى الكلام على بني هلال واستطرد ذكر الأصهار، شرع يتكلم على بني نغير فقال رحمه الله:

نَمِيرُ الَّذِي الْهَجَاءُ وَضَعَهُ نَمِيرُ ابْنِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ
مِنْهُمْ جِرَانُ الْعَوْدِ وَالرَّاعِي الَّذِي جَرَّ لَهُمْ هَجْوَ جَرِيرِ الْبَذِي

جران البعير: جلد مقدم عنقه من منخره إلى مذبجه. والعود: المسن من الإبل. والهجو: الكلام القبيح. والبذي: الفاحش.

(1) الأنفال: 41.

هجاء جرير الذي وضع بني نمير

يعني أن من بني عامر بن صعصعة بني نمير بن عامر بن صعصعة الذين وضعهم الهجاء، بعد أن كانوا يعدون من جمرات العرب الثلاث، وأن منهم عامر بن الحارث بن كلفة النميري؛ وكان شاعراً⁽¹⁾ إسلامياً غلب عليه لقبه جِران العُود، ولقب به لقوله:

خُذْ حَذْرًا يَا جَارَتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ
يَخَاطِبُ امْرَأَتَهُ وَيَهْدِدُهُمَا بِالضَرْبِ بِالْحَبْلِ مِنْ جِرَانَ الْعُودِ. وَالرَّاعِي شَاعِرُ
بَنِي نَمِيرٍ، وَاسْمُهُ عُبَيْدُ بْنُ حَصِينٍ⁽²⁾، وَلَقِبَ الرَّاعِي لِقَوْلِهِ يَصِفُ إِبِلًا وَرَاعِيهَا:
لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّاتِ بِأَخْفَافِهَا مَرَعَى تَبَوَّأَ مَضْجَعًا
فَقَالَتِ الْعَرَبُ: مَا هَذَا إِلَّا رَاعٍ! وَقِيلَ بَلْ لَقِبَ بِهِ لِقَوْلِهِ:

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذَّنْبَ رَاعِيَهَا وَانْهَ لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبَدِ
الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدِيَّةً بِيَدِي

(1) جيد الشعر حسن التشبيه فصيح العبارة لطيف المعاني، وكان هو وعروة بن عتبة بن الرحال العامري متصادقين فتزوج كل واحد منهما، فلقى كل منهما ما يكره فأنشد كل واحد منهما قصيدة يذكر ما لقيه من امرأته، وكانت قصيدة جران العود أجود سبكاً وأحسن لفظاً من قصيدة عروة. ومما قاله جران العود يخاطب امرأته:

لَقَدْ كَانَ لِي عَنْ ضَرَّتَيْنِ عَدَمْتُني وَعَمَّا أَلَاقِي مِنْهُمَا مُتَزَحِّزِح
أَلَاقِي الْخَنَى وَالْبَرْحَ مِنْ أَمِّ جَابِرٍ وَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْ بَشِينَةِ أَبْرَح
خُذْ حَذْرًا يَا جِسَارَتِي فَإِنِّي ..إلخ.

(2) ابن معاوية، ينتهي نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة، وغلب عليه لقبه "الراعي" لكثرة وصفه للإبل ونعته إياها وإصابته في ذلك.

وهو شاعر محسن، لكن لما هاجى جريرا هجاء وهجا قومه بقصيدة طويلة ذات حسن وفحش كلام، وتلقته العرب بالقبول، وأولها:

أَقْلَى اللّوم عاذِلُ والعُتابا وقولي إن أصبتُ: لقد أصابا

ومنها - وهو الواضع لنمير:-

فَقَضَّ الطَّرْفَ إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فلو وُضعت شيوخُ بني نمير على الميزان ما عدلت ذبابا

وكانت بنو نمير قبل هذا البيت ينتسبون إلى نمير، ويفخمون كلامهم عند ذكر نمير افتخارا به؛ لأنهم كانوا يعدون من جمرات العرب، ثم صاروا بعد ذلك لا ينتسبون إلا إلى بني عامر؛ فإذا سئل أحدهم: ممن أنت؟ يقول: عامري. وقدم على الحجاج - أو غيره من الأمراء⁽¹⁾ - أسارى من بني نمير، فسمع أحدهم آخر الليل يترنم ويقول، وقد لاحت بروق:

ألا يا سنى برق على قُللِ الحِمَى لَهْنَسِكَ من برق علي كريم

لمعت اغتذاء الطير والقومُ هُجَّع فهيجت أحزانا وأنت سليم

فبت مُجِدَّ المرفقين أشيمه كأني لبرق بالنسار حميم

فهل من معير طرف عين خلية فإنسان عين العامري كريم⁽²⁾

فلما سمع الأمير الأبيات أطلقه.

وأرسل يوما رجل من باهلة عبده وارداً على ماء عليه نمير، وقال له:

(1) وقيل إن صاحب الأسرى بُغَا التركي.

(2) رمى طرفه البرق الهلالي رمية بذكر الحِمَى وهنا فبات يهيم

إن منعوك الماء فأنشدتهم هذا البيت: ففض الطرف.. إلخ، فجاء العبد - ونسي البيت - فقال لهم: "غمض طرفك وإلا جاءك ما تكره"، فتفاسحوا عنه. ومرت امرأة يوما بملاً منهم، فجعلوا ينظرون إليها ويتكلمون فيها، فقالت: يا بني نمير والله ما أراكم امثلتم واحدة من اثنتين: لا قول الله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾⁽¹⁾، ولا قول جرير: ففض الطرف إنك من نمير.. فحجّلوا وكفوا عنها.

ومن قصيدة جرير، يذكر أم الراعي، قوله:

تري برصا بمجمع اسكتيها كعنفة الفرزدق حين شابا

يحكى أنه لما قال أول البيت غطى الفرزدق عنفقه، وكان حاضرا؛

فخرج وهو يقول: اللهم اخزه، يعني جريرا. ومما أجابه به الراعي قوله:

نمير جمرة العرب التي لم تزل في الحرب تلهب التهابا

ولولا أن يقال هجا نميرا ولم نسمع لشاعرهم جوابا

رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يشاتم الناس الكلابا!⁽²⁾

(1) النور: 30.

(2) فما ضر ذلك كليباً ولا جريراً ولا نفع نميراً ولا الراعي. وكان سبب هجاء جرير للراعي وقيلته أن الراعي كان يقضي للفرزدق على جرير ويفضله عليه، ومن ذلك قوله من قصيدة:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم؟ ثم خرج ذات يوم يريد لقاء الراعي، وكان للراعي والفرزدق جلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها؛ فلقيه

<<

وكان جرير يسمي قصيدته هذه "الدامغة"، ويقول: قد والله أخزيتهم
لآخر الدهر!

ومن نمير قيس بن عاصم بن أسيد الصحابي وفد على النبي ﷺ، وله
يقول الشاعر:

إليك ابن خير الناس قيس بن عاصم جشمت من الأمر العظيم المجاشما

ومر بني عامر أيضا بنو سُوءة (كخُرافة) بن عامر بن صعصعة؛ منهم
جابر بن سُمرة بن عمرو بن جندب بن حجر بن سُوءة، راوي حديث

--- >>

منصرفا من ذلك المجلس على بغلة له وخلفه ابنه جندل على مهر له، فاستقبله جرير وقال
له: مرحبا بك يا أبا جندل، ثم قال له: يا أبا جندل إن قولك ليستمع وإنك لتفضل علي
الفرزدق تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم، وهو ابن عمي دونك ويكفيك
من ذلك إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تتحمل مني ولا منه لائمة. فلم يرد
عليه، فلحق ابنه جندل فضرب عجز بغلته وقال: ما لي أراك واقفا على كلب من بسني
كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا، وأنشد يقول:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

ومضيا على وجهتهما. وانصرف جرير مغضبا، فقال قصيدته الفاضحة لبني نمير، فكانت
من بحر البيت المذكور وعلى رويته. فلما أصبح سار بها، وقد أخذ الناس مجالسهم بالمربد؛
وكان يعرف مجلس الراعي والفرزدق حتى إذا كان بموقع السلام منهم اندفع في القصيدة،
فلما أنشدتها نكس الفرزدق رأسه وأطرق الراعي؛ فلو انشقت له الأرض لساخ فيها. فلما
فرغ جرير منها وثب الراعي وركب بغلته وتفرق أهل المجلس، ومر الراعي بأصحابه وقال
لهم: ركابكم فليس لكم هنا مقر فضحكم جرير، فترحلوا، فما وصلوا أهلهم حتى وجدوا
فيهم قول جرير: ففض الطرف.. إلخ يتناشده الناس فقال الراعي: والله ما بلغه إنسي ولكنه
كان لجرير أشياعه من الجن، فتشاءمت بنو نمير بالراعي وسبوا ابنه وطرردوه، وندم الراعي
على إساءته، حتى أن بني نمير زعموا أنه مات قبل انقضاء السنة كمدا.

ترجع النبي ﷺ وغيره؛ وكان من المكثرين من الحديث، أمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد صحابية أسلمت وهاجرت، وأبوه سَمُرَة حليف بني زُهرة صحابي يروي عن النبي ﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»⁽¹⁾. ومنهم أيضا مسلم بن جنادة بن جندب صحابي أيضا.

ومن سواة أيضا أبو جحيفة وهب بن عبد الله بن قارب، توفي النبي ﷺ وهو مراهق بعد أن رأى وسمع، قال: رأيت النبي ﷺ وهذه منه بيضاء، وأشار إلى عنفقه. وشهد مشاهد عليّ كلها وولي له بيت المال. وهو آخر الصحابة موتا بالكوفة، وقيل عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي وهو الأصح. ومن عامر أيضا بنو البكاء، واسمه ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ منهم بشر بن معاوية، وفد على النبي ﷺ فأسلم ومسح برأسه ودعا له، وفي ذلك يقول ابنه محمد بن بشر:

وأنا ابن من مسح النبي برأسه ودعا له بالخير والبركات

ومنهم صيداء التي شَبَّ بها ذو الرمة بقوله:

أَمِنْ دَمْنَةٍ جَرَّتْ بِهَا ذَيْلُهَا الصَّبَا	لَصَيْدَاءَ مَهْلًا مَاءُ عَيْنِكَ سَافِح
لَعَمْرُكَ مَا أَشْوَانِي الْبَيْنُ إِذْ غَدَا	لَصَيْدَاءَ مَجْذُوزٍ مِنَ الْوَصْلِ جَامِح
أَصِيدَاءُ هَلْ قِظَ الرَّمَادَةُ رَاجِع	لِيَالِيهِ أَوْ أَيَامُهُنَّ الصَّوَالِحُ؟

(القصيدة).

ومن صعصعة أيضا بنو سلول، وهم بنو مرة بن صعصعة؛ عرفوا بأُمِّهم

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

سلول بنت ذهل بن شيبان، منهم حبشي بن جنادة الصحابي؛ يكنى أبا الجنوب. ومنهم قردة (بالتحريك) بن نفاثة الصحابي أيضا؛ قدم على النبي ﷺ في وفد سلول فأسلموا وأمره عليهم. وعاش مائة وخمسين سنة وهو القائل:

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين لما بُورك البصر⁽¹⁾

هنا انتهى الكلام على هوازن - غير ثقيف - ثم شرع يتكلم عليهم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب ثقيف

وَمِنْ مُنْبِهِ ثَقِيفُ الْهَازِلِ أَحْلَافُهُ بِالْمُصْطَفَى وَالْقَاتِلُ
رَسُولُهُ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ عَظِيمُ قَرِيَةِ اللَّثَامِ

يعني أن منبّه بن بكر بن هوازن ابنه ثقيف⁽²⁾، واسمه قسي (سمي قسيًا لقساوة قلبه، لأنه قتل أخاه وعمه⁽³⁾)، وعمد إلى الطائف فتزوج زينب

-
- (1) وبعده: وكنت أمشي على الساقين معتدلاً فصرت أمشي على ما تنبت الشجر
- (2) وأم ثقيف هذا أميمة بنت سعد بن هذيل بن مدركة، وكان لثقيف من الولد: جشم وناصر وعوف، واشتهر بنوه (القبيلة) باسمه.
- (3) وقيل لأنه مر على أبي رغال، وكان مصدقا، فقتله ف قيل قسا قلبه؛ فلقب قسيًا، قال شاعرهم:

نحن قسي وقسي أبونا

ويقال قسا قلبه قسوة وقساوة وقساء: صلب وغلظ فهو قاس، وفي الذكر: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ - (البقرة: 74).

بنت عامر بن الظرب، فقالوا ما أثقفه إذ تزوج بنت عامر بن الظرب.
والطائف مدينة على مرحلتين من مكة، وهي من أرض نجد؛ وهي
مصدر قوت أهل مكة، وأهلها ثقيف. وهي إحدى القريتين في قوله تعالى
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾،
وكان ثقيف يزعمون تكافؤ قريش يصاهرونهم. وتقول العرب إنهم من
بقايا ثمود، جدهم أبو رغال منعه الحرم من العذاب؛ وكان الحجاج يقول:
كذبوا لأن الله تعالى يقول ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾⁽²⁾. وقيل [هم] موال
لهوازن، وقيل من إياد، قال الفرزدق:

ولولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إياد

وهم قبيلتان: الأحلاف وبنو مالك.

ويعني أيضا أن الأحلاف منهم هم الذين هزلوا بالنبي ﷺ إذ جاءهم
يدعوهم إلى الإسلام ويستنصرهم ويستجير بهم من العرب حتى يبلغ
الرّسالة - كما فعلت الأنصار - فردوا عليه أقبح الرد، إذ قال له أحدهم:
ما كان الله ليرسلك، وقال الثاني: أما وجد الله من يرسله غيرك؟ وقال
الثالث: والله لا أكلمك؛ إن كنت نبيا فأنت أعظم خطرا من أن أرد
عليك وإن كنت كاذبا فلا ينبغي لي أن أكلمك. فقال صلى الله عليه

(1) الزخرف: 31.

(2) النجم: 51.

وسلم: «أما إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني»⁽¹⁾، وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك؛ فأبوا وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة، ومعه زيد بن حارثة يقيه الحجارة، فكلما أذلقوه بالحجارة جلس فيأخذون عضديه فيقيمونه.. حتى دميت قدمه، وشج زيد. وبهذا فسر قول البوصيري:

دميت في الوغى لَتُكْسِبَ طيباً ما أراقست من الدم الشهداء

لأن قدمه صلى الله عليه وسلم لم تدم في الحرب قط غير هذا؛ ورد على قائل هذا بأنه قال في الوغى وليس هنا جهاد، فقال بل فيه جهاد لأن زيدا جاهد عنه.

وهذا هو يوم قرن الثعالب الذي ذكره صلى الله عليه وسلم حين سأله عائشة رضي الله عنها: هل مرّ عليك قط يوم كيوم أحد؟⁽²⁾.

(1) ذكره في المواهب.

(2) فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّنتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» — [أخرجه البخاري ومسلم]. (والعقبة: هي التي بمنى. وقرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد ويسمى أيضا قرن المنازل؛ بينه وبين مكة يوم وليلة. والأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس ومقابله قيععان؛ وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهم).

قوله: والقاتل رسوله: يعني عروة بن مسعود بن معتب⁽¹⁾، أمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف؛ لما ارتحل النبي ﷺ عن الطائف ولم يؤذن له في الفتح خرج في إثره حتى لحق به وأسلم فقال: يا رسول الله أرسلني إلى ثقيف أدعهم إلى الإسلام، فقال: «أخاف أن يقتلوك»⁽²⁾، فقال: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أسماعهم وأبصارهم. فرجع إليهم فدعاهم، فرموه بالنبل فقتلوه، فأتاه قومه⁽³⁾ فقالوا: ما ذا تريد أن نفعل بك؟ فقال: إنما دمي مثل دم هؤلاء الشهداء فادفنوني معهم، يعني الذين قتلوا من المسلمين بالطائف.

وقوله: هو عظيم قرية اللثام: يشير إلى قوله تعالى حاكيا عن قريش: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يعنون بعظيم مكة: الوليد بن المغيرة - وقيل عتبة بن ربيعة - وبعضهم الطائف: عروة هذا. وقوله: قرية، وهي مدينة: تبعا للفظ الآية؛ لأن الطائف مدينة لدخولها في حد المدينة، وهي قرى ذات سور من ورائها؛ وأما الآية فلعله من باب التغليب، كمكتين لمكة والمدينة، أو لأن المدينة يصدق عليها اسم القرية، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾⁽⁴⁾ وهي مدينة انطاكية، قال

(1) ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.

(2) ذكره ابن أسحاق وزاد المعاد.

(3) قبل أن يموت.

(4) الكهف: 77.

تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾⁽¹⁾، وقال عليه الصلاة والسلام: «أمرت بقرية تأكل القرى»⁽²⁾ يعني المدينة، تأكل القرى والمدن، والله أعلم.

قوله اللئام: يعني إذ ذاك لكفرهم ومعاداتهم النبي ﷺ، وأما بعد إسلامهم فكرام. وذكرنا في صدر الكتاب سبب تسمية الطائف.

جَدُّ ابْنِ يُوسُفَ وَعَمُّ الدَّاهِي فَاقِدِ عَيْنٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَهُوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ السَّرِيِّ وَالْعَمُّ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الْجَرِي

ابن يوسف: يعني الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن عروة بن مسعود، وأخوه محمد بن يوسف رثاه جرير هو ومحمد بن الحجاج بقوله:
إن الرزية لا رزية مثلها فقدان مثل محمد ومحمد⁽³⁾

ومحمد بن يوسف هذا هو جد الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، قال الناظم رحمه الله:

وَأُمُّهُ بِنْتُ أَخِي الْحَجَّاجِ فَفَسَقُهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَزَاجِ

وهو أيضا أبو زينب بنت محمد بن يوسف، التي يقول فيها محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي:

(1) الكهف: 82.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) مَلِكًا قَدْ خَلَّتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمَا أَخَذَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصَدِ

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنَ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفَرَاتٍ
دَعَتْ نَسْوَةَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بُدْنًا نَوَاعِمَ لَا شَعَثًا وَلَا غَبَرَاتٍ
أَجَلٌ وَالَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ أَوَانِسُ بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَمَرَاتٍ
مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رَحْنٍ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتٍ⁽¹⁾
يَخْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ جَنَحَ اللَّيْلِ مُخْتَمَرَاتٍ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سَرَبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مَعْتَمَرَاتٍ
فَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضْتُ وَكُنَّ مَنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ⁽²⁾

المغيرة بن شعبة

وأما المغيرة فهو ابن شعبة بن مسعود⁽³⁾. هكذا نسب اليدالي المغيرة والحجاج؛ وأما غيره فجعل بين شعبة ومسعود أبا عامر، يقولون: شعبة بن أبي عامر بن مسعود. وفقئت عين المغيرة يوم اليرموك وهو من دهاة الصحابة، أسلم عام الخندق، وأوَّلُ مشاهدته الحديبية؛ وكان واقفا على

(1) مؤتجرات: أي طالبات الأجر.

(2) روي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة المدينة فسمع من يتغنى بقول النميري هذا: تَضَوَّعَ مَسْكَاً.. الأبيات، فقال: هذا والله مما يلذ استماعه، ثم قال:

ولست كآخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف للجمرات
وعَلَّتْ بَنَانُ الْمَسْكِ وَخَفَا مُرَجَّلًا عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ
وَقَامَتْ تَرَاءَى يَوْمَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتَ بِرُؤْيَيْهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عَرَفَاتِ

فكانوا يرون هذا الشعر لسعيد بن المسيب. وبنان المسك أصابعها المغمورة به، فكأنها هو. وعَلَّتْ: أي سقت أصابعها شعرها الطيب مرة ومرة. والوحف: الشعر الغزير؛ يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر.

(3) يكنى أبا عبد الله، وأمه أمانة بنت الافقم بن عمرو، من بني نصر بن معاوية.

رأس رسول الله ﷺ وعروة بن مسعود يكلمه ويدخل يده في لحيته، فقال له: أخر يدك عن حية رسول الله ﷺ، وضرب يده بصفح السيف؛ فقال عروة: من هذا؟ - وكان المغيرة متقنعا بالحديد - فقال رسول الله ﷺ: «ذلك المغيرة بن شعبة»⁽¹⁾، فقال عروة: ويحك وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس! يعني عروة بذلك أن المغيرة وفد مع ناس من ثقيف على ملك غسان فآثر قومه عليه، فلما كانوا بالطريق قافلين غدر بهم فقتلهم وأخذ ما لهم وأتى النبي ﷺ فأسلم، ولم يقبل منه النبي ﷺ الخمس؛ فودى عروة المقتولين.

ويقال إن المغيرة أحسن ألف امرأة في الإسلام. ولاءه عمر البصرة ثم عزله وولاه الكوفة، ثم عزله عنها عثمان إذ ولي، ثم ولاءه عليها معاوية وبها مات سنة خمسين⁽²⁾. ومن أحسن دهائه أنه لما وضع رسول الله ﷺ في قبره طرح خاتمه في القبر فقال: خاتمي وقع مني، فدخل عليه فأخذه، ليكون آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، وكان يقال له: مغيرة الرأي⁽³⁾.

مِنْهُمْ حَلِيفًا زُهْرَةَ: الْأَلَدُ، أَبُو بَصِيرٍ الْهُمَامُ الْجَعْفَرُ

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) ولما توفي المغيرة وقف ابن هبيرة الشيباني على قبره وأنشد قول مهلهل:

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَخَصِيمًا أَلَدٌ ذَا مِفْلَاقٍ

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرَبْدٌ لَا يَنْدُ فَعَمَّهَا السَّلِيمُ نَفْثُ الرَّاقِي

ثم قال: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت شديد الأخوة لمن آخيت.

(3) ثم أخذ الناظم يتكلم على الأحلاف فقال رحمه الله:

أي ومن ثقيف حليفاً بني زهرة، وهما الأخنس بن شريق وأبو بصير.
والألد: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق. والهمام: السيد الشجاع
السخي. والجعد: الكريم⁽¹⁾.

أما الأخنس فكان اسمه أياً فسُمِّي الأخنس، لأنه خنس عن بدر بني
زهرة حين أتى رسولُ أبي سفيان قريشاً أن يرجعوا، قال: إنما خرجتم
لتمنعوا صاحبكم - يعني مخزومة بن نوفل (كان في العير) - وعيركم، وقد
نجاهما الله. فأطاعوه، ورجعت معهم بنو عدي؛ فزاده ذلك علواً وشرفاً
فيهم. وكانوا يقولون ما ساد حليف إلا الأخنس. لكنه - والعياذ بالله -
نافق، وجاء يوماً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مؤمن بك
ومصدقك ومحبك والله يشهد على ما في قلبي وعلى أني صادق فيما قلت
لك. فخرج من عنده فمر بمرث وحمير لبعض المسلمين ليلاً، فعقر الحمُرَ
وحرق الزرع؛ فنزلت فيه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ - الآية⁽²⁾. وفي
الروض الأنف: قدم رجل من أهل الخيرة في القرآن مكة فسئل عن نزلت
فيه هذه الآية، وفي الحضرة رجل من ولد الأخنس، فقال: نزلت في
الأخنس بن شريق. فلما تفرقت الجماعة قال له الذي من ولد الأخنس: يا

(1) والمراد بالألد هنا الأخنس بن شريق الثقفي، وأبو بصير معطوف على الألد بحذف
العاطف، والهمام والجعد: صفتان لـ أبو بصير.

(2) البقرة: 204.

هذا إن القرآن نزل في أهل مكة مجملا وإياك أن تعين أحدا ما دمت هنا.

أبو بصير وقطعه الطريق على المشركين

وأما أبو بصير فاسمه عبيد أو عتبة بن أسيد - بضم الهمزة - بن جارية بن أسيد⁽¹⁾، انفلت من حبس المشركين في هُدْنَةَ الحديبية ولحق برسول الله ﷺ، فبعث إليه ازهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق جنادة بن مليح العامري ورجلا معه ليرده، فبعثه النبي ﷺ معهما مكرها. فلما قالوا⁽²⁾ جعل يتحدث معهما ويأنس بهما فأخرجا زادهما من التمر فتغدى معهما؛ ثم أخذ سيف جنادة فقال: ما أجود سيفك يا جنادة! فقال جنادة: ذلك سيف سأعمله في الأوس والخزرج إلى الليل، فقال: أتأذن لي أن أسله؟ فقال: سله وجربه. فسله وجعل يهزه إلى أن رضي، فضربه به وأبان رأسه؛ فهرب زميله، فأخذ أبو بصير المتاع وتبعه. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد يريد الصلاة خرج عليهم الرجل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لقد رأى هذا ذعرا»، فقال له: «مالك ويحك؟»، قال: قتل صاحبي وإني لمقتول⁽³⁾. ثم طلع عليهم أبو بصير بإثره متوشحا بالسيف، فقال: يا رسول الله قد وفيت بعهدك رددتني إليهم فردني الله، وخذ خمس هذا. فأبى

(1) ابن عبد الله بن مسلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، وفي نسبه أسيد (بصيغة التصغير) وجارية (بالجيم) وغيره (بوزن عتبة). وقد أسلم أبو بصير هذا بمكة فحبسه المشركون وانفلت من حبسهم..

(2) قالوا: من المقييل وهو النزول وقت القائلة.

(3) أخرجه البخاري وأحمد.

رسول الله ﷺ عن الخمس وقال: «ويحه مِحْشٌ حرب لو وجد رجالا»⁽¹⁾.
فلما رأى أبو بصير أن رسول الله ﷺ سيرده، خرج من الليل إلى
العيص (موضع بسيف البحر)، فسمع به المحبوسون بمكة وسمعوا قول
رسول الله ﷺ: «لو وجد رجالا»، فخرجوا إليه؛ فلم يزالوا يزدادون
ويأوي إليهم من أسلم ممن هناك من قبائل الأعراب، كجهينة وقبائل بكر
بن كنانة، إلى أن بلغوا مائتين أو أكثر.

فلم يزالوا يقطعون الطريق على كل من خرج من قريش لغير أو
غيرها، فبعثت قريش إلى رسول الله ﷺ: أن أسقطنا هذا الشرط من صلحنا
فضم إليك القوم، فلم يفعل، إلى أن كتبوا إليه يستعطفونه بالله والرحم؛
فكتب إليه كتابا.

فوافى كتابه أبا بصير وهو يجود بنفسه، فأخذ الكتاب وقرأه وجعله
على صدره، ومات والكتاب بيده على صدره، فصلى عليه أبو جندل
وبني مسجدا على قبره. فهاجرت قريش إلى رسول الله ﷺ، ورجع من
أسلم من القبائل إلى أهلهم على إسلامهم، وفي ذلك يقول أبو جندل:

أبلغ قريشا عن أبي جندل أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تحفق أيمانهم بالبيض فيها والقنا الذابل

عُثْمَانُ وَلَاهُ النَّبِيُّ فَأَبَى أَنْ يَرْجِعُوا لِكُفْرِهِمْ وَوَهَبَا

(1) وفي رواية: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال» - [رواه البخاري وأحمد].

يعني أن من ثقيف أيضا عثمان بن أبي العاص بن بشير بن عبد دُهمان،
ولاه النبي ﷺ على الطائف، وكان في وفد ثقيف، فرآه أكثرهم قراءة
للقرآن. فلما توفي النبي ﷺ أبى لهم أن يرتدوا، قال لهم: لا تكونوا آخر
العرب إسلاما وأولهم ارتدادا؛ فكان ذلك سببَ تمسكهم بالإسلام. ثم لم
يزل على الطائف إلى سنتين من خلافة عمر، فعزله وولاه عُمان والبحرين؛
وفتح الفتوحات. وهو القائل: "الناكح مُغْتَرِسٌ فليَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيَّنْ يَضَعُ
غرسه فَإِنَّ عرق السُّوءِ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِعَ".

توفي في خلافة معاوية، وكان أقطعه عثمان الف جريب، وذلك قول
الناظم رحمه الله: ووهبا،

لَهُ ابْنُ عَفَّانَ الرِّضَى أَلْفَ جَرِيبٍ وَابْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَغِيلَانُ اللَّيْبِ
أَنْ كَانَ لَا يَقْتَاتُ تَمْرًا وَلَبَنٌ وَالنَّفَرُ انْقَضَ بِبَكْرَةٍ وَمَنْ
نَبِينَا عَلَيْهِ بِالْعَتَقِ، أَبُو بَكْرَةٍ فِي الْهَابِطِ هَذَا يُحْسَبُ

ابن عفان: هو عثمان رضي الله عنه. والرضى: المرضي عنه. والجريب:
مكيال معروف، أو المزرعة أو الوادي، والله أعلم أيها المراد هنا، إلا ان
لفظ اقطع أقرب إلى المزرعة أو الوادي، ولفظ وهب يحتمل المكيال. وابن
أبي الصلت: يعني أمية؛ الشاعر المشهور، أمه رقية بنت عبد شمس بن عبد
مناف، وهو ابن خالة عروة بن مسعود. قال فيه النبي ﷺ: «آمن شعره ولم
يؤمن قلبه»⁽¹⁾، وهو القائل:

(1) رواه مسلم.

الحمد لله ممسنا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

كان في وفد قريش وثقيف على سيف بن ذي يزن، ومدحه بقصيدته التي منها:

اشرب هنيئا فقد شالت نعماتهم وأسبل اليوم في برديك إسبالا
واشرب هنيئا عليك التاج مُرتَفَقًا في راس غمدان دارا منك محلا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ

وهو أول من كتب من العرب باسمك اللهم؛ وسبب ذلك أنه خرج في تجارة، فلما كانوا في فلاة من الأرض مضيعة، سلط الله عليهم حية عظيمة جدا صاحت عليهم فنفرت إبلهم فلايا ما حبسوها عليهم، فلم تزل بهم كذلك: كلما ردوا عليهم إبلهم جاءتهم فتصيح بهم فتنفّر إبلهم، فكادوا يهلكون عطشا وتعبا.. إلى أن جن عليهم الليل، فسار أمية هائما على وجهه، فبينما هو يهيم إذ رفعت له نيران، فلما دنا منها آنس أنها ليست للإنس لكثرة اضطرابها وكثرة اللغط حولها واقشعر جلده فقال: إني عائد بزعيم هذا الحي، فقيل له: أمنت فاذهب إليه، فجاءه فقال له: ما شأنك يا إنسان؟ فقص عليه خبره فقال: اذهب إلى قومك فكلما جاءكم فقل: "باسمك اللهم"، ففعل فلم يروها بعد ذلك. فلم يزل أمية يُعوّذ بها ويكتبها في الرسائل ونحوها، واقتدت به العرب في ذلك، إلى أن نسخها الإسلام ببسم الله الرحمن الرحيم.

وكان أمية وعروة - لخؤولتهما - كرجلين من رؤساء قريش يشركونهما في أمورهم ويسكنان عندهم. وكان أمية يقرأ الكتب ويعدّ برسالة النبي ﷺ. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم غلب عليه الشقاء (نسأل الله العافية) فحسده وقال: كنت أظن أنه أنا أو من ثقيف، فلما كان من قريش لا

أتبعه أبدا. وكان أمية لدة عبد المطلب، فعمر إلى السنة الثانية من الهجرة،
فلما احتضر غشي عليه فأفاق وهو يقول:

كل شيء وإن تطاول دهرا آئل أمره إلى أن يزولا

ثم غشي عليه أيضا فأفاق وهو يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

فذلك آخر العهد به. وابنه وهب صحابي أعطاه النبي ﷺ ميراث وهب
بن خويلد بن ظالم، الصحابي من ثقيف أيضا.

قوله: وغيلان اللبيب.. إلخ: هو غيلان بن سلمة بن شَرْحُبِيل الثقفي،
أسلم هو وبنوه⁽¹⁾ ومواليه بإسلام ثقيف وتحتة عشر نسوة، فأمره النبي ﷺ
أن يتخيرَ منهن أربعا، ففعل⁽²⁾. وفد على كسرى فسأله: أي ولدك أحب

(1) من بنيه الذين أسلموا معه: عامر وعمار ونافع وبادية، وكان غيلان هذا شريفا في قومه
وقائدهم في الجاهلية وكان أحد حكام قيس في الجاهلية، وكانت له وفادة على كسرى
وكان شاعرا؛ روى عنه ابن عباس بعض شعره. وسئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَتِيَابُكَ
فَطَهَّرَ﴾ قال: لا تلبس على معصية ولا غدره، ثم قال سمعت غيلان بن سلمة يقول:

فإنني بحمد الله لا ثوبَ فاجر لبست ولا من غُدرة أتقنع

ومن شعره:

لم ينتقص مني المشيب قلامة والآن حين بدا ألب وأكيس

والشيب ان يحلل فإن وراءه عمرا يكون خلاله متنفس

(2) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث ابن عمر، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له «اختر منهن أربعا وفارق سائرهن»، وقال له يوما: «يا غيلان إئت هاتين الشجرتين
فمر إحداهما تنضم إلى الأخرى حتى أستتر بهما» ففعل، فانقلعت إحداهما تحدا الأرض
حتى انضمت إلى الأخرى.

إليك؟ قال: المريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم والصغير حتى يكبر، قال: مَا لَكَ ولهذا الكلام؟! هذا كلام الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة لهم فما غذاؤك؟ قال: لُبَابُ الْبُرِّ، قال كسرى: هذا العقل من لباب البر، وإنما أضر بالعرب التمر واللبن.

قوله: والنفر انقضَّ.. إلى آخره: يعني أن من ثقیف عثمان بن أبي العاصي الذي ولاه النبي ﷺ على ثقیف فثبتهم على الإسلام، ووهب له عثمان بن عفان ألف جريب. ومنهم أيضا أمية بن أبي الصلت. ومنهم غيلان بن سلمة اللبيب، أي العاقل الحكيم؛ لأنه لا يقتات التمر ولا اللبن المضرين بالعقل وإنما يقتات لباب البر. ومنهم أيضا نفر الذين انقضوا من حصن الطائف، أي هبطوا ببكرة، وهي الآلة التي يسقى بها على البئر، فأتوا النبي ﷺ فأعتقهم، وهم: نفيع ونافع ابنا مسروح، والحارث بن كلاب وإبراهيم بن جابر والمنبعث، وكان اسمه المضطجع، فسماه النبي ﷺ المنبعث، قيل إن ليلة الطائف أمر النبي ﷺ مناديا ينادي: أي عبد أتانا فهو حر، فهبط هؤلاء. فلما أسلمت ثقیف كلموا فيهم النبي ﷺ فقال: «أولئك عتقاء الله»⁽¹⁾.

قوله: أَبُو بَكْرَةَ فِي الْهَابِطِ هَذَا يَحْسَبُ: أي يعد في هؤلاء الهابطين بالبكرة من الحصن، وهم الذين ذكرنا. واسم أبي بكرة: نفيع، وإنما كُنِيَ أَبَا بَكْرَةَ لَفَعْلِهِ هَذَا؛ وهو من فضلاء الصحابة ومن رُوَاةِ الْحَدِيثِ، وَأُمُّهُ سَمِيَّةُ أُمَّةٌ

(1) رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

الحارث بن كلدة، وأخوه لأمه - سمية - زياد بن أبيه؛ ولما سمع استلحاق معاوية له غضب على أخيه وقال: ما يفعل بحرم النبي ﷺ، أيدخل عليها بهذه الدعوى أم يحتجب عنها فيبطل استلحاقه؟ ويحه من هذا الاستلحاق..

وابنه عبد الرحمن بن أبي بكرة أول من ولد بالبصرة من أولاد المسلمين. ومات أبو بكرة بالبصرة سنة إحدى وخمسين - (قاله في مختصر الإصابة). وكان أبو بكرة يعد من موالي رسول الله ﷺ، وكان ممن اعتزل الحرب بين علي ومعاوية.

ومر ثقيف أيضا أبو عبيد بن مسعود، الذي ولاه عمر على جيش المسلمين إلى الفرس، فكانت وقعة الجسر واستشهد بها: برك عليه الفيل فقتله، بعد ما أوجع في الفرس؛ لكن كانت لهم الوقعة، فقد قتلوا من المسلمين ألفا ومائتين، منهم سبعون من الأنصار.

وبنته صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر، زوجه لها أبوه بخمسماية، ودس إليهم مائتين بلا علم من أبيه. وهي أم عدة من بني عبد الله بن عمر، منهم سودة زوج عروة بن الزبير بعد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. وابنه أيضا الكذاب المختار بن أبي عبيد.

أبو محجن الثقفي

ومن ثقيف أيضا أبو محجن بن حبيب بن عمرو، وكان من الشجعان؛ حده عمر في الخمر مرات، فهرب إلى سعد بن أبي وقاص وهو يُحارب بالقادسية فحبسه، فلما كان يوم من الأيام - وهو يوم أغواث - أصاب

المشركون من المسلمين، فرأى أبو محجن ذلك - وهو في القيد - مع سلمى بنت قبيصة زوج سعد (وكانت قبله عند المثني بن حارثة) فقال:

كفى حزنا أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمت عَنائي الحديدُ وأغلقت مَصارغُ من دُوني تُصمُّ المناديا

فناشد الله سلمى أن تطلقه، وعاهدها أن يعود إلى قيده إن سلمه الله؛ فحلته وأسرجت له "البلقاء"، فرس سعد - وكانت عندها لأن سعدا لم يقاتل لشدة قروح به وإنما كان مشرفا على الناس ينظر ما يفعلون - فركب أبو محجن الفرس وفعل العجب بالناس، فقال سعد: لولا محبسُ أبي محجن لقلت إنها بعض شمائله، ويقول: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إنه ملك. ثم ربط أبو محجن الفرس مكانها وعاد إلى محبسه وقيوده. فلما رجع سعد قالت له سلمى: كيف كان قتالكم اليوم؟ قال: لقينا ولقينا.. حتى بعث الله رجلا على فرس أبلق، لولا أن أبا محجن في قيوده لقلت إنه هو على اللقاء، قالت: هو والله أبو محجن، كان من أمره كيت وكيت. فدعا به وحل قيوده وقال: لا نحدك في الخمر أبدا بعدها⁽¹⁾، فقال أبو محجن: وأنا لا أشربها بعد أبداً، وكنتُ آنف من أن أتركها من أجل حدكم. فلم يشربها بعد ذلك، قيل إنه ريء قبره بأذريجان - أو نواحي جرجان أو أرمينية - عليه أصول كرم طالت وأثمرت وهي مغروسة عليه،

(1) في خزانة الأدب: أنكر ابن فتحون قولَ من روى أن سعدا أبطل عنه الحدَّ، وقال: لا يُظنُّ هذا بسعد؛ ثم قال: لكن له وجه حسن ولم يذكره وكأنه أراد أن سعدا أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره وهو إن لم يثبت عليه أنه شربها، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحا فلم يعد إليها.

ومكتوب على القبر: هذا قبر أبي محجن - (أهـ من مختصر الإصابة وغيره).

وكان مشغوفاً بالخمير وفيها يقول:

إذا مُتُّ فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي في الممات عروقها

ولا تدفني في الفلاة فإنني أخافُ إذا ما مُتُّ أن لا أذوقها⁽¹⁾

وروي أيضاً أنه حبسه الحجاج، وهو من بني عمه، ثم قال له يوماً:

(1) أبأكرها عند الشروق وتارة يعاجلني عند المساء غبوقها

وللكأس والصهباء حلق معظم فمن حقها أن لا تضاع حقوقها .. إلخ

ويروى أن ابناً لأبي محجن دخل على معاوية فقال له معاوية: أبوك الذي يقول: إذا مت فادفني لدى جنب كرمة.. إلخ؟ فقال له: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره، قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل الناس عن جودي وعن خلقي

قد يعلم الناس أنني من سرائهم إذا تطيش يذُ الرُّغْدِيدةَ الفرق

قد أركب الهول مسدوداً عساكره وأكتم السر فيه ضرباً العُنُق

أعطي السنان غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العَلَق

وأطعن الطعنة النجلاء قد علموا تنفي المسابير بالإنزباد والفَهَق

عَفُ المطالب عما لست نائله وإن ظلمت شديد الحَقْدِ والحنق

وقد أجود وما مالي بذني فَنَعِ وقد أكرُّ وراء المُجَحَّرِ البرق

قد يقتر المرء يوماً وهو ذو حسب وقد يثوب سوام العاجز الحمق

ويكثر المال يوماً بعد قلته ويكتسي العود بعد الجذب بالورق

فقال له معاوية: لئن أسأنا القول لنجزلن الصلّة، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولدت النساء فلتلد مثلك - [خزانة الأدب]. (والنجلاء: الواسعة الشق. والمسابير: جمع مسبار وهو الميل الذي تقدر به الجراحات ليعرف غورها. والفَهَق: كثرة الدّم. قوله: بذني فنع: أي بذني كثرة. والمُجَحَّر - بتقديم الجيم -: المضيق عليه في الحرب. البرق: الشاخص البصر).

إني أريد أن ألقىك على هذا الأسد - وكان ألقى في الحبس أسدا ضاريا -
فإن قتله سرحناك وإن قتلك أراحنا منك، فقال: ذلك إليك أيها الأمير،
فأدلاه إلى الأسد. فلما أحس به الأسد وثب عليه، فقال أبو محجن:

ليث وليث في محلّ ضنكٍ كلاهما ذو جرأة وفتكٍ
إن يكشف الله قناع الشك فأنت لي في قبضتي وملكِي

فكثرت الأصوات وارتفع الغبار بينهما، ثم سمعوا تكبير أبي محجن فعلموا
أنه قتل الأسد، فسرّحه الأمير⁽¹⁾.

(1) المشهور أن صاحب هذه القصة جحدر بن مالك العجلي، الشاعر الفاتك؛ كان بأرض
اليمامة فبلغ خبره الحجاج فبعث في طلبه قوما فلما ظفروا به أوثقوه وساروا به إليه فمروا
في طريقهم بموضع يسمى حجرا فأنشأ يقول:

ومما هاجني وازددت شوقا بكاء حَمَامَتَيْنِ تفردان
تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على غُصْنَيْنِ من غربٍ وبان
فقلت لصاحبي وكنت احزو ببعض القول ما ذا تحزواني؟
فقالا: الدار جامعة قريبا فقلت: وأنتما متمنيان
إذا جاوزتما نخلات حجر وأنديّة اليمامة فانهياني
وقولا جحدرا أمسى رهينا يعالج وقع مصقول يماني
يحاذر صولة الحجاج ظلما وما الحجاج ظلما لعان
كذا المغرور بالدنيا سيردى وتهلكه المطامعُ والأمانِي

فلما قدموا به على الحجاج قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: فما
حملك على ما صنعت؟ قال: جرأة الجنان وكلب الزمان وجفوة السلطان، فقال: ما الذي
بلغ من أمرك فيجراً جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ فقال: لو بلاني الأمير
لوجدني من صالح الأعوان وأهم الفرسان؛ فإني لم ألق فارساً إلا كنت عليه مقتدراً. فقال

<<=

له الحجاج: سنقذف بك في جب ليث فإن هو قتلك كفانا مؤنتك وإن أنت قتلتنا خرينا
عنك وأحسننا جائزتك، فقال: نعم أصلح الله الأمير.. قربت المحنة وأعظمت المنة فافعل إن
شئت. فبعث إلى عامله على "كسكر" فأرسل إليه أسدا ضاريا فجوّعه أياما وأمكن
جحدرًا من سيف قاطع وأدخله على الأسد، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما، فلما
نظر الأسد إلى جحدر قد أقبل ومعه السيف تهيأ وتمطى فأنشد جحدر:

ليث وليث في محلّ ضحك .. الخ

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلّقه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها حتى خالط
ذباب السيف لهواته وتخضبت ثيابه من دمه ووثب وهو يقول:

يا جُمْلُ إنك لو رأيت كريهتي في يوم هيج مسدف وعجاج
وتقدّمي لليت أرسف موثقا كيما أكابده على الاحراج
جهم كان جبينه لما بدا طبق الرجا متعجر الاثباج

إلى أن يقول:

ففلقت هامته فخرّ كأنه أطم تساقط مائل الأبراج
ثم انشيت وفي ثيابي شاهد لما جرى من شاخب الأوداج
أيقنت أني ذو حفاظ ماجد من نسل أملاك ذوي اتراج .. الخ..

فقال له الحجاج: يا جحدر إن أحببت المقام معنا فأقم وإن أحببت الانصراف إلى بلادك
فانصرف، فقال: بل أختار صحبة الأمير والكيونة معه، ففرض له في شرف العطاء وأقام
ببابه؛ فكان من خواص أصحابه.

ومن وقع له مثل هذه القصة من فتاك العرب وأبطالها بشر بن أبي عوانة الذي يقول في ذلك:

أفطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذا لرأيت ليثا رام ليثا هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس إذ تقاعس عنه مهري فقلت له: عقرت اليوم مهرا!
أنل قدمي ظهر الأرض إنني وجدت الأرض أثبت منك ظهرا

ومرّ ثقيف أيضا هبيرة بن سبل بن العجلان⁽¹⁾، أسلم عام الحديبية واستعمله النبي ﷺ على مكة حين سار إلى الطائف، وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح⁽²⁾. (وقتل من بني مالك يوم حنين سبعون كافرا منهم رئيساهم يومئذ: ذو الخمار بن الحارث وعثمان بن عبد الله بن ربيعة).

وعروة بن مسعود وأبو عبيد وأبو محجن من الأحلاف، ورئيسهم حين بعث النبي ﷺ عبدُ ياليل بن عمرو، وكان شيخا كبيرا؛ فلما رأت العرب رمي النجوم من السماء وهالهم ذلك أتوا إليه يسألونه فقال: لأحد أمرين:

-- >>

وفي يمناي ماضي العزم أبقى	بمضربه قراع الموت أثرا
فأنت تروم للأشبال قوتا	ومطلبي لبنت العزم مهرا
فلما ظن أن النصح غش	وخال مقالتي زورا وهجرا
مشى ومشيت من أسدين راما	مراما كان إذ طلباه وغسرا
هززت له الحسام فخلت أني	سللت به لدى الظلماء فجرا
وجدت بضربة جاءته شفعا	بساعد ماجد تركته وترا
فخر مجندلا فحسبت أني	هدمت به ببناء مشمخرا
وقلت له: يعز علي أني	قتلت مناسبي جلدًا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه	سواك فلم أطق يا ليث صبرا
فلا تجزع، فقد لاقيت حرا	يحاذر أن يعاب فمت حورا

(1) سبل: هو بالسين المهملة، والعجلان هو ابن عتاب بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن ثقيف، ورواه صاحب الاستيعاب بالشين المعجمة.

(2) ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وأراد الانصراف إلى المدينة أمر على مكة عتاب بن أسيد.

إما لانقراض الدنيا، وإما لأمر عظيم حدث فيها.
هنا انتهى الكلام على سليم وأخيه هوازن ابني منصور فأتبعهما الكلام
على أخيهما مازن، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب مازن

مِنْ صُلْبِ مَنْصُورٍ كَذَاكَ مَازِنٌ وَقَدْ تَشَرَّفَتْ بِهِ الْمَوَازِنُ

أي كما أن سليما وهوازن ابنا منصور، كما قال: منصور والد سليم
وأخيه هوازن.. إلخ.. كذاك مازن ابنه لصلبه؛ وإنما لم يذكره معهما لكثرتهم
وعلوهم عنه، أو لأن منصورا هذا ليس بمنصور بن خصفة وإنما هو
منصور بن حمزة بن قيس عيلان. ولم يذكره القلقشندي وذكره اليدالي⁽¹⁾،
مع أنه نص على أنه إنما أخذ كتابه من القلقشندي.

وقد تشرفت به الموازن: أي تعالت به القبائل من العرب الذين اشتركوا
معه الاسم، وهم: مازن بن الأزد. ومازن بن النجار، من الأنصار، الذين
منهم قيس بن مخلد البدرى وغيره من البدرين والصحابة. ومازن بن مالك
بن عمرو بن تميم، وهو أشرف إخوته؛ كما قال الشاعر قرط بن أنيف:

لو كنت من مازن لم تستبح أبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيانا

ومنهم قطري بن الفجاءة. ومازن بن ذهل بن ثعلبة، الذين منهم أبو

(1) وقد ذكره أيضا كل من ابن عبد البر وابن هشام في نسب عتبة بن غزوان.

عثمان المازني النحوي. ومازن بن ذبيان؛ منهم هرم بن قطبة الحاكم بين المتنافرين، ثم أسلم.

وإنما قال فيهم هذا لإفراده لهم عن أخويهم⁽¹⁾، أو لأن منهم عتبة بن غزوان، كما قال رحمه الله وعفا عنه:

وَعُتْبَةُ سَلِيلُ غَزَوَانَ بَنَى لَمَّا بَنَى الْبَصْرَةَ ذِكْرًا حَسَنًا
لِمَازِنٍ⁽²⁾ وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَ التَّوَى عَنِ الْإِمَارَةِ فَنَالَ مَا انْتَوَى

عتبة: هو سيدنا عتبة بن غزوان بن جابر⁽³⁾ المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف. أسلم بعد ستة رجال، كما قال: رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام غير ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا. هاجر إلى الحبشة، وهو من سرية عبد الله بن جحش التسعة، وشهد بدرًا - هو ومولاه سعد - وما بعدها. وهو من أكابر الصحابة وفضلائهم، وهو أشهر

(1) أي وإنما وصف الناظم مازن بن منصور بأنه تشرف به من شاركه في اسمه من بطون العرب لإفراده له عن أخويه سليم وهوازن ابني منصور أو لأن منه عتبة بن غزوان؛ ففي وصفه لمازن بهذا الوصف جبر لعدم ذكره مع أخويه وإدراجه فيهما، وردّ الشارح هنا ضمير الجمع على مازن باعتبار بنيه أو القبيلة.

(2) قوله: بنى: فعل ماض فاعله ضمير يعود على عتبة ولما (بفتح اللام مشدد الميم): ظرف بمعنى حين، والبصرة (بالنصب): مفعول به لبنى الثانية، وذكرنا: مفعول به لبنى الأولى، وخسنا: صفة للذكرا، والبناء الأول معنوي والثاني حسي. يعني أن عتبة بن غزوان بن جابر مازني وأنه خلف آثارا حسنة منها بناؤه البصرة ومسجدها الأعظم.

(3) وجابر هذا ابن وهب - أو وهيب - بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور.

من أن تذكر له مناقب ومزايا. وقوله: بنى.. إلخ: يعني أنه أول من نزل
البصرة واختطها وأمر محجن بن الأذرع الأسلمي فبنى مسجدها الأعظم.
وكان عتبة ولاء عمر على البصرة، فلما بنى منها ما بنى خرج حاجا
فاستعفى عمر من الإمارة فأبى، فلما خرج من مكة قاصدا البصرة قال:
اللهم لا تردني إليها، فسقط عن راحلته فمات سنة سبع عشرة بالرّبذة،
وسنة سبع وخمسون سنة.

والتوى: الموت. وانتوى: قصد.

يعني أن عتبة بن غزوان - وذكر ما ذكر من مُحاسِنِهِ - من مازن بن
منصور، ولم يذكر لهم غيره.

هنا انتهى خَصْفَةُ وَهُوَ أَبٌ أَوْ هُوَ أُمٌّ وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ
وَالْأَبُ عِكْرِمَةُ ابْنُ النَّاسِ وَلَهُمَا يُنْسَبُ بَعْضُ النَّاسِ

يعني أنه أنهى الكلام هنا على خصفة العزيز الذي ذكر أنه ابن قيس
عيلان، ثم ذكر الخلاف بين النسابين في خصفة، فمنهم من يقول هو ابن
قيس عيلان، كما ذكر هو، ومنهم من يقول إن خصفة امرأة وهي زوج
عكرمة بن قيس عيلان، لكن ينسب إليها بنوها، كما ينسب إلى خندف
بنو إلياس؛ وبعض النسابين ينسب إليهما جميعا ويبدأ بالنسب إلى خصفة
الأم فيقول: منصور ابن خصفة ابن عكرمة بن الناس، ويكتب إذا ألف ابن
عكرمة، كما يكتب ابن أبي ابن سلول، لأن المعنى ابن خصفة وابن
عكرمة. قال السهيلي في الروض الأنف: أَلِفُ ابْنٍ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهَا تَكْتُبُ

كما تكتب إذا نون الأول أو نودي.

قوله: هنا انتهى خصفة.. لم يبال بمحارب بعد أن ذمَّهم بالغمر لسوء ردهم على النبي ﷺ حين دَعاهم إلى الإسلام كما فعلت ثقيف، بل هم أقبح ردًّا لحلف أحدهم - بعد أن يئس منهم النبي ﷺ وتولى عنهم - ليقتلنه فركض فرسه نحوه، فلما دنا منه وَقَعَ هو وفرسه مَيَّتَيْنِ - والله الحمد - لكن كان منهم بعد ذلك كثيرٌ من الصحابة؛ منهم أبان المحاربي وغورث بن الحارث وآخرون [كما مر] ⁽¹⁾.

فَهْمُ بْنُ عَمْرٍو ابْنِ عَيْلَانَ عَدَا عَلَيْهِ عَدَوَانُ أَخُوهُ وَغَدَا
لَهُ الْإِفَاضَةُ وَتَمَّتْ بِأَبِي سَيَّارَةَ وَعَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ
حَكِيمُهُمُ وَاللَّيْثُ بَحْرُ الْعِلْمِ ضِيَعَهُ أَقْوَامُهُ مِنْ فَهْمٍ

يعني أن فهم بن عمرو بن قيس عيلان عدا عليه عدوان ⁽²⁾ أخوه، أي وثب عليه أو ظلمه فقتله، فصارت له الإفاضة بعده؛ وهي الدفع من عرفة أو الرجوع عنها والإسراع إلى مكان غيرها، أو إجازة الناس من المزدلفة

(1) ولما أنهى الكلام على بني منصور بن عكرمة بن قيس عيلان أخذ يتكلم على بني عمرو بن قيس عيلان - بني عمومته - فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) كان لعمرو بن قيس عيلان ابنان: فهم وعدوان، واسم عدوان الحارث؛ وكان الحارث هذا قد عدا على أخيه فهم فقتله فلقب بعدوان فصارت له من بعده الإفاضة. وكان لعدوان بطن متسع وكانت منازلهم بالطائف بعد إيراد العمالقة حتى غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة.

إلى منى. ثم لم تزل فيهم إلى أن تمت بأبي سيارة⁽¹⁾، وهو عميلة بن خالد الأعزل، وفيه يقول الشاعر:

نحن دفعنا عن أبي سيارة وعن مواليه بني فزارة⁽²⁾
حتى أجاز سالما حمارة⁽³⁾ مستقبل القبله يدعو جارة⁽³⁾
وقد أجاز الله من أجارة

وكان يدفع الناس على أتان له عوراء⁽⁴⁾، وقيل حمار أسود، وفيه المثل:
أصح من غير أبي سيارة، وله يقول:

لاهم ما لي في الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحسد
فقد أبا سيارة المحسد من شر كل حاسد إذ يحسد

وكان يقول⁽⁵⁾: اللهم حب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل أمرنا بيد صلحائنا واجعل المال بأيدي سمحائنا، وفي رواية: حب بين نسائنا في شأننا. ومعنى إفاضة الناس إجازتهم من المزدلفة إلى منى؛ وأجاز الناس من المزدلفة إلى منى على حمارة هذا أربعين سنة؛ وكان يقول: اشرق ثبير كيما نغير، أي كي نسرع إلى النحر (وثبير جبل بمكة، أو جبال).

(1) أي فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر إلى أن جاء الإسلام.

(2) يعني بمواليه: بني عمومته لأنه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان.

(3) يدعو جارة: أي يدعو الله عز وجل، يقول: اللهم كن لي جارا ممّا أخافه، أي مجيراً.

(4) وكانت عقوقا خطامها ليف، قال الجاحظ: لا نعرف حمارة أهليا عاش مثل عمر حمارة أبي سيارة، عاش أربعين سنة يجوز عليه من المزدلفة إلى منى.

(5) أي قبل الإفاضة: اللهم حب.. إلخ.

ومن عدوان أيضا حكيمُ العرب عامر بن الظرب، أوّل من حكم في الخنثى المشكل في الجاهلية⁽¹⁾. وذلك أنه كانت له أمة تدعى سخيلة ترعى عليه غنمه ويضربها على تمسيها للغنم وعلى كل أمر الغنم، فأتاه حكم الخنثى، فبات ليلة يتململ ويتفكر في الجواب فيه؛ فلما أصبح قالت له الجويرية: يا سيدي أراك بتّ ساهراً فما شأنك؟ قال: سرحي غنمك يا سخيلة.. أمر ليس إليك! فلما ألحت عليه قال: أشكل عليّ حكمُ الميراث في الخنثى فلا أدري ما أجيب فيه إلى الآن، قالت: يا سيدي الأمر أهون: أتبع المال المبال⁽²⁾؛ فقال: فرّجتها يا سخيلة، أمسي أو أصبحي.. والله يا سخيلة لا أضربك بعدها.

وأول من حكم به في الإسلام أميرُ المؤمنين عليّ كرم الله وجهه.
يعني ومن عدوان أيضا: عامر بن الظرب حكيم عدوان، أو حكيم العرب.
ومن بني عدوان أيضا ذو الاصبع العدواني، شاعر جاهلي قديم، سمي

(1) قال ابن إسحاق: وكانت العرب لا يكون بينها كائنة ولا معضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه؛ في خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة، فقالوا: أئجله رجلا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر أعضل منه، فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب..

(2) أو قالت: سبحان الله، أتبع القضاء المبال: أقعده فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وإن بال من حيث تبول المرأة فهي امرأة. فقال: مَسِّي سخيلُ بعدها أو صَبَّحِي، فرَّجَتَهَا والله. ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت عليه به.

ذا الاصبع لأنه نهشته حية فقطعت إصبعه، وهو القائل:

يا من لقلب طويل الهم محزون أمسى تذكّر رياً أمّ هارون
- القصيدة، ومنها -:

لاه ابن عمّك لا فضّلت في حسَبٍ عني ولا أنت ديانِي فتخزوني
قل إنه عاش ثلاثمائة سنة.

وقوله والليث بحر العلم.. إلى آخره: يريد به نسبه إلى فهم بن عمرو الذي عدا عليه أخوه، أي وأما فهم فمنهم الإمام الكبير العالم الليث بن سعد الفهمي؛ رفع الشافعي رحمه الله مقامه في الذكر ورجحه في الفضل، ثم قال: ولكنه ضيعه أصحابه.

وكان له مع جزالة العلم ضخامة المال ولكن لا يُبقي منه على شيء لغلبة الجود والسخاء عليه، وكانت له بقلقشندة دار فهدمها ابن عمه عبد الملك بن رفاعة أمير مصر، عنادا له، فعمرها الليث فهدمها، فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم إذا هاتف يهتف به: أتمم البيت ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾⁽¹⁾ فأصبح ابن رفاعة وقد أصابه فالج، فأوصى إلى الليث ومات بعد ثلاث - [انتهى من القلقشندي]. ويعني بضيعه قومه قول الشافعي وقصة ابن رفاعة.

(1) القصص: 5.

تأبط شرا

ومن فهم أيضا تأبط شراً، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان. لقب تأبط شرا لأنه قتل الغول وتأبطها حتى أتى بها أهله، وقيل لأنه خرج من عند أمه متأبطا سيفاً ورمحاً وسكيناً، ثم جاءها من يسأل عنه فقالت: لا أدري.. تأبط شرا وخرج. وهو من صعاليك العرب ومن العدائين، وهو خال الشنفرى الأزدي، الصعلوك العداء أيضاً، وهو الذي يعني بقوله:

إن بالشَّعْب الذي دون سلع لقتيلاً دُمُهُ ما يُطْلُ
قذف العباء عليّ وولّى أنا بالعباء له مستقلّ

إلى أن قال:

حَلَّتْ الخمر وكانت حراماً فبلائي ما أَلَمَّتْ تحلّ
فاسقنيها يا سواد بن عمرو إنّ جِسمي بعد خالي لَنَحْلُ

وهو رَبِيبُ أبي كبير الهذلي، الشاعر، وفيه يقول يرثيه:

ممن حملن به وهن عواقد حُبْك النطاق فشب غير مهبل
علقت به في ليلة مزؤودة كرها وعقد نطاقيها لم يحلل

ومنها:

وإذا نظرت إلى أسيرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وقد نظرت عائشة رضي الله عنها يوماً إلى النبي ﷺ وهو يخصف نعله فرأت النور في وجهه، فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنت والله أولى بييت أبي كبير الهذلي: وإذا نظرت إلى أسيرة وجهه.. إلخ، فقام صلى الله عليه وسلم إليها فقبل رأسها.

وكان تأبط شرا من الفتاك، حارب هذيلاً وقتل منهم، فلم يزالوا يطلبونه إلى أن وجدوه يوماً على جبل يشتر العسل⁽¹⁾، ولم يشعر بهم إلى أن أحاطوا بأسفل الجبل فصب عكة عسل على مكان من الجبل لا يصعد فيه ولا يهبط منه لملاسته، فانبطح على العسل فانساخ به إلى الأرض، فنجا وفاتهم؛ وفي ذلك يقول أبياته التي منها:

فأبتُ إلى فهم وما كدت آتياً وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ولم تزل هذيل يحتالون له ويطلبونه إلى أن قتلوه؛ فحلف ابن أخته الشنفرى ليقتلن به منهم مائة. وقال يكيه: إن بالشعب.. القصيدة، ومنها:

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذيب لها يستهل

وقيل إن فهم تأبط شرا فهم بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان، وفهم الليث فهم بن عمرو بن قيس عيلان. ولم يذكر القلقشندي إلا هذا الأخير.

ولما أنهى الكلام على خصفة وعمرو رجع إلى أخيهما سعد الذي ذكر معهما، فقال رحمه الله:

الكلام على سعد بن قيس عيلان

ثَعْلَبَةٌ وَأَعْصُرُ وَغَطَفَانُ عَمْرُو سَعْدِ ابْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ

(1) أي يجنيه.

يعني أن سَعْد بن قيس عيلان له من الولد أربعة: عمرو وثعلبة، ولم يتكلم عليهما، وغطفان وأعصر⁽¹⁾.

أما ثعلبة فمنه الكسعي الذي يضرب المثل بندايمته، واسمه عامر بن الحارث الكسعي؛ أعجبه عود نبع فلم يزل يسقيه وَيُعَالِجُهُ إلى أن استقام وصلاح، فعمل منه قوساً وعمل من نجارتها سبعة أسهم؛ فرصد بها للحممر على الماء، فجعل كلما رَمَى واحدة أنفذها السهم ويصيب الحجارة من ورائها فيوري نارا فيظن أنه قد أخطأ؛ فعمد إلى القوس فكسرها. فأصبحت الحممرُ صرعى على الماء، فندم على كسر قوسه حتى عض على إبهامه فقطعها، وأنشد:

ندمت ندامةً لو أن نفسي تطاوعني إذن لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مـني لعمر أيبك حين كسرت قوسي

نسب باهلة

بَاهِلَةٌ، طَفَاوَةٌ، غَنِيٌّ لَأَعْصُرِ بَاهِلَةٌ الدَّنِيُّ
مِنْهُ الْأَدِيبُ الْأَصْمَعِيُّ الْمُنْكَرُ نَسَبَهُمُ وَالظَّالِمُ الْمُنتَشِرُ

(1) اسم أعصر هذا منه، ولقب أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما فقد الشباب أتى بلون منكرو
أعمير إن أباك غير رأسه مرُّ الليالي واختلاف الأعصر

أما باهلة فهي بنت صعب بن سعد العشيرة، أهل عز مَذْحِج، بل اليمن؛ تزوجها مالك بن أعصر فولدت له ثم خلف عليها ابنه بعده معن بن مالك فولدت له ولدين، وله من غيرها عدة أولاد، فحضنت الجميع وسُمُوا بها، فكان كل من ولد مالك بن أعصر يدعى باهلة⁽¹⁾.

وأما طُفاوة فهي امرأة من قضاة⁽²⁾ سمي بها من ولدت من بني أعصر. يعني أن الحي المسمى باهلة والمسمى طُفاوة والمسمى بني غني: لأعصر بن سعد، أي ينتسبون لأعصر. أما طُفاوة وغني فلم يتكلم فيهم⁽³⁾.

(1) وتشمل قبيلة باهلة عدة بطون منها: بنو سهم وبنو أصمع وبنو وائل وبنو فرّاص وبنو معن وغيرهم..

(2) وهي الطفاوة بنت جرم بن زبان، وبها عرفت قبيلة طفاوة التي تتألف من ثلاثة أولاد: معاوية وعمرو وثعلبة بني أعصر بن سعد، ولها بطون منها: بنو حسر وبنو سنان.

(3) وقد تفرعت غني إلى عدة بطون منها عبيد وزبان وصريم وصبيعة وبنو جِلَّان وبنو عتريف، فمن غني ثم من بني جِلَّان بن غنم بن غني منهم: عبد الله بن عقبة، ابن عم الطفيل الغنوي المذكور؛ كان فيمن شهد قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وفي ذلك يقول الشاعر:

وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تعد وتذكر

ومنهم أيضا كعب بن سعد الغنوي الشاعر الإسلامي القائل:

وذي ندب دام الاظل قسمته	محافظة بيني وبين زميلي
وزاد رفعت الكف عنه عفاة	لأوثر في زادي علي أكيلي
ومن لا ينل حتى يسد خلاله	يجد شهوات النفس غير قليل
وعوراء قد قيلت فلم ألفت لها	وما الكلم العوراء لي بقبول
وما أنا بالشيء الذي ليس نافعي	ويغضب منه صاحبي بقؤول
ولن يلبث الجهال أن يتهضموا	أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

ومن غني: كناز بن الحصين رضي الله عنه، وهو أبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب؛ شهد هو وابنه مرثد بدرًا، وقتل مرثد في بعث الرجيع، وعاش أبوه إلى خلافة عمر وقيل عثمان؛ حديثه: «إن سرکم أن تقبل صلاتکم فليؤمکم خيارکم فإنهم وفدکم فيما بينکم وبين ربکم»⁽¹⁾.

ومنهم الطفيل الغنوي، الشاعر⁽²⁾ الذي قال أبو بكر للأنصار: والله ما نحن وأنتم يا معشر الأنصار إلا كما قال الطفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمانا تلاقي الذي لا قوه منا ملّت

باهلة وبعض ما قيل عنهم

وأما باهلة فأول كلامه فيهم قوله: باهلة الدني، وأخبر عنه بقوله: منه الأديب.. ووصفهم بالدناءة لكثرة ما تهجوهم العرب وتسخر منهم، حتى قيل إن في الحديث: «تَكَافَأَ دِمَاؤُكُمْ وَلَوْ قَتَلْتُمْ رَجُلًا مِنْ بَاهِلَةَ»⁽³⁾، وأما

(1) رواه الطبراني والحاكم.

(2) هو طفيل بن عوف بن خلف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلال بن غنم بن غني بن أعصر، شاعر جاهلي فارس، كان من أوصاف العرب للخيال؛ قال فيه الأصمعي: كان طفيل أحد نعات الخيل، وكان يسمي طفيل الخيل لكثرة وصفه إيّاها ويسمى أيضا المحبر لحسن وصفه لها أو لحسن شعره وتحبيرة له، وقد قال فيه عبد الملك: من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل، وقال فيه معاوية: دعوا لي طفيلًا ولكم سائر الشعراء، وكان أكبر من النابغتين: الذبياني والجعدي.

(3) وفي رواية: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم» - أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

أقوال العرب فيهم فلا تُحصى نظمًا ونثرًا، منها قول الشاعر:
وما ينفَعُ الأصلُ من هاشم إذا كانت النفس من باهلة
وقوله:

ولو قيل للكلب يا باهلي ي عوى الكلب من لؤم ذاك النسب
وقوله:

إذا باهلي تحته حنظلية له ولد منها فذاك المدرع

ومنها أن قتيبة بن مسلم قال لهيرة بن مسروح: أي رجل أنت لو كان
أخوالك من غير بني سلول، فقال: أصلح الله الأمير بادل بهم من شئت
من العرب وجنّني باهلة!

وقيل لبعضهم: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قال: نعم ولكن
بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنني باهلي! ولقي أعرابي رجلا باهليا فجعل
يرثي له ويقبل يديه ويتبرك منه، فقال له الباهلي: ولم؟ فقال: إن الله ما
ابتلاك في الدنيا إلا ليعوضك عنها في الآخرة. وحج أبو جزء بن سعيد بن
سلم في زي حسن، فوافى في الموسم قوما من بني الحارث بن كعب
فأعجبهم زيه وأدبه ثم سألوا عنه رجلا من خاصته فالتمس لهم أحسن ما
يذكر به فلم يزألوا به إلى أن أوصله إلى باهلة، فقام أحدهم وقال: ويحكم
قوموا بنا هذا الذي نجالسه منذ اليوم باهلي، فقال لهم الرجل: هذا أبو
جزء بن سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم، أمير وابن أمير وابن آخر.. إلى
أربعة، فقالوا له: الإمارة أعظم أم الخلافة؟ قال: الخلافة، قالوا: الخلافة

أعظم أم النبوءة؟ قال: النبوءة، قالوا: والله لو ذكرت له من النبوءة أضعاف ما ذكرت له من الإمارة، ثم ذكرت أنه باهلي لكما قلت إنه باهلي! قال الرجل: فقلت لأبي جزء: قم بنا عن هؤلاء فما رأيت أسوأ منهم أدبا.

وذكر الوصف والضمير وأفردهما باعتبار لفظ الحي. والأصمعي: هو أديب وراويّة زمانه، واسمه عبد الملك بن قريب (كزبير) بن عبد الملك بن علي بن أصمع - المنسوب إليه - بن مُظَهَّر⁽¹⁾. وعن اليدالي: أن أصمع وأباه مظهرا أدركا النبي ﷺ وأسلما. ولم يذكر في مختصر الإصابة في الصحابة.

وإنكاره لنسب باهلة أنه كان يقول: لم تلدني باهلة، لأن جدي قتيبة بن معن لم تلده، فكيف أكون من باهلة والناس إذا كانوا منها تبرأوا من نسبهم، فكيف بمن لم تلده قط؟! وكان الأصمعي في الدولة العباسية، سمع يوما الكسائي ينشد قول افنون التغلبي:

(1) بوزن معظم؛ ومظهر هذا ابن رياح بن عبد شمس بن اعيان بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن أعصر بن عمرو بن قيس عيلان. نشأ الأصمعي هذا بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة وأخذ عن فصحاء الأعراب وأكثر الخروج إلى البادية وشافه الأعراب وساكنهم وتعلم من خلف الأحمر نقد الشعر ومعانيه وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة: إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، فقال له رجل: منها البيت والبيتان، فقال: والمائة والمائتان. وكان صاحب لغة ونحو، إماما في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، وكان عالما حافظا فطنا عارفا بأشعار العرب وأخبارها وكان دينا. توفي رحمه الله بالبصرة في صفر سنة سبع وعشرين ومائتين. ومما رثي به:

لله در بنات الدهر إذ فجعت بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناس منه ولا من علمه خلفا

أَنْى جَزُوا عَامِرَا سُوءَا بِفَعْلِهِمُ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونِنِي السُّوَاىَ مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعْطِي الْعُلُوقَ بِهِ رِيْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللِّبَنِ

فقال: كيف رفعت ريمان؟ فقال الكسائي: اسكت ما لك ولهذا؟ يجوز رفعه بدلا من العلوق ونصبه على الحال وخفضه بدلا من الضمير. ولم يقنع الأصمعي بقول الكسائي ولكن سكت عنه تأدبا معه.

قوله: والظَّالْمُ المنتشر: يعني المنتشر بن وهب الباهلي، كان في الجاهلية مشهورا بالظلم؛ روي أن العرب أقحطوا، فاجتمعوا وتعاقدوا على العافية وعدم الظلم حتى يمحطوا، فقال قائل: هذا الأمر لا يقبله المنتشر بن وهب؛ فبعثوا إليه بذلك مع رجل من بني ضبة، فلما سمع قوله: قال ما تأكل قومي إلى ذلك؟ فتوارى الضبي عنه فطلبه ليقتله فلم يجده، فركب وأغار.

وهو من سادات العرب، وكان أخذ رجلا من محارب فقطعه عضواً عضواً وأنملةً أنملةً، والرجل اسمه صلاءة، ثم أخذت محارب منتشرا فقتلوه؛ ورثاه الأعشى بقصيدته التي هي من أحسن المراثي، وأولها:

إِنِّي أَتَنِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا	مَنْ عُلُوًّا لَا عَجَبٌ فِيهَا وَلَا سَخَرُ
فَبِتْ مُرْتَفَقًا لِلنَّجْمِ أَرْقَبُهُ	حَيْرَانٌ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ	وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مَعْتَمِرُ
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ	حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مَضَرُ
بَنَعِي مِنْ لَا تَغِبُ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ	إِذَا الْكُوَاكِبُ أَخْطَا نَوَاءَهَا الْمَطَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَكْدِرُهُ	عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ
لَا يَأْمَنُ الْقَوْمُ مَمْسَاهُ وَمَصْبَحُهُ	مَنْ كُلُّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يَنْتَظَرُ

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا يعرض على شرسوفه الصفر⁽¹⁾
لا يغمز الساق من أين ومن نصب ولا تراه أمام القوم يقتفر
وتفزع الشسول منه حين تبصره حتى تقطع في أعناقها الجرر

وآخرها:

إذا سلكت سيلا كنت سالكها فاذهب فلا يُعدنك الله منتشر

قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَحَدُهَا الْمُشْتَوِي عِفَاقٌ فِيهِ سَبُّهَا
«إِنَّ عِفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلَةٌ تَمْشُوا عِظَامَهُ وَكَاهِلُهُ»

قتيبة: معطوف على الأديب بحذف العاطف، وهو سائق لا سيما في
النظم. وكذلك أحدها. يعني أن باهلة منها الأديب الأصمعي والظالم
المنتشر وقتيبة بن مسلم وأحدب باهلة⁽²⁾.

أما قتيبة بن مسلم⁽³⁾ فهو أمير خراسان المشهور بالجرود والعدل
والرئاسة، أمره الحجاج بإرشاد عبد الملك، فافتتح منها ما وراء النهر وان
من خوارزم وسمرقند وبخارى وفرغانة، وكان يأمر بالدابة فيركبها ويأتي

(1) يتأرى لما في القدر: أي لا يقيم لانتظاره والشرسوف (بوزن عصفور): طرف الضلع المشرف
على البطن. والصفر (بالتحريك): الجوع، يقال "عض على شرسوف الصفر" أي جاع.
(2) وقوله: إن عفاقا.. إلخ: بدل من قوله: فيه سبها، أي وفي أحدب باهلة هذا سب قبيلته الذي
هو قول الشاعر: إن عفاقا أكلته باهلة.. إلخ.

(3) ابن عمرو بن حصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال
الباهلي. نشأ قتيبة هذا في الدولة مروانية وترقى وتولى الإمارة وفتح الفتوحات العظيمة
وكان شجاعا جوادا دمث الأخلاق ذا رأي. وقتل في خلافة سليمان بن عبد الملك.

السوق فيشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، امتثالا للحديث: «من دخل السوق» - الحديث⁽¹⁾.

وأما أحدب فهو ابن عمرو بن عمار بن عبد العزى، وجدّه - عمار بن عبد العزى - هو الذي قتل عبد الدار بن قصي، لكنه أكل رجلا من بني عامر بن صعصعة يقال له عفاق بن مرة بن سلمة بن قيس بن كعب بن ربيعة من عامر بن صعصعة، فسبت به باهلة، مع ما هم عليه، لأنه أكله لأجل الجوع؛ فقل فيهم:

إن عفاقا أكلته باهلة تمششوا عظامه وكاهلة
وتركوا أم عفاق ثاكلة

ومن باهلة أبو أمامة الباهلي الصحابي، واسمه صدي بن عجلان. ومنهم الهرماس بن زياد؛ وفد هو وأبوه زياد على النبي ﷺ، قال: رأيت النبي ﷺ راكبا على ناقته العُضْبَاءِ وأنا صغير قد أردفني أبي على جمل، فمددت يدي ليباعني فلم يبايعني.

(1) ولفظه: «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة - وفي رواية - وبني له بيتا في الجنة» - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد، وهو من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده.

ومنهم سلمان بن ربيعة الذي يقال له سلمان الخيل، صاحب الفتوحات لعثمان؛ إن لم يدرك النبي ﷺ فقد كاد.

ومنهم سُحبان وائل الذي يضرب به المثل في الفصاحة⁽¹⁾، وباقل الذي يضرب به المثل في الفهاهة⁽²⁾، وهما من قبيلة من باهلة يقال لها وائل؛ أبوها وائل بن معن بن مالك بن أعصر.

ومن باهلة أيضا سعيد بن سلم، ولي الولايات للمنصور والهادي، وهو الذي مدحه الشاعر بقوله:

أيا ساريا بالليل لا تخش ضلّة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حثا في وجه كل جواد

قال سعيد: مدحني فأبلغ، وقصرت عن جائزته فهجاني فأبلغ فقال:

(1) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، يعرف بسحبان وائل كان من المخضرمين الذين أسلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا معه. وكان خطيبا فصيحاً بليغاً يضرب به المثل في البيان، وكان إذا خطب لا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ. وقام يوما في مجلس معاوية بأمر منه فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتداء في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء، فما زالت تلك حالته حتى أشار معاوية إليه بيده فأشار إليه سحبان أن لا تقطع عليّ كلامي فقال له معاوية: أنت أخطب العرب، فقال سحبان: والعجم والإنس والجن!

(2) الفهاهة، والفهّة: العي، وفهه: عي - [القاموس]. ومن فهاهة باقل هذا أنه اشترى يوما ظبيا بأحد عشر درهما فسئل عن شرائه ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه فانفلت الطيبي، فضرب به المثل في العي!

مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه ترابُ
لكل أخي مدح ثواب علمته وليس لمدح الباهلي ثوابُ

بَاهِلَةٌ مُحَارِبٌ سُلُولٌ أَزْرَتْ بِهَا إِخْوَتُهَا الْفُحُولُ⁽¹⁾

يعني أن هذه القبائل كان فيها بعض ما يكون في قبائل العرب من الشعر والغناء في العدو وغير ذلك من صفات العرب، لكن وضعها قصورها عن شرف إخوتها. أما باهلة فوضعهم شرف إخوتهم غطفان، وأما محارب فوضعهم مآثر سليم وهوازن، وأما سلول فوضعهم قصورهم عن إخوتهم من بني عامر بن صعصعة، حتى كانوا يستنكفون عن مساكنتهم؛ كما قال عامر بن الطفيل: أغدة كفدة البعير وموتا في بيت امرأة من سلول!⁽²⁾

(1) باهلة: مبتدأ. ومحارب وسلول: معطوفان عليه بحذف العاطف، وجملة: أزرت بها.. إلخ: خبر المبتدأ. وإخوتها: فاعل أزرت، والضمير في بها: عائذ على باهلة والمعطوفين عليها. والفحول: صفة للفاعل وهو جمع فحل ويستعار - كما هنا - للكريم العظيم.

(2) ولما أنهى الكلام على بني أعصر أخذ يتكلم على بني أخيه غطفان وهم ثلاث قبائل: ذبيان وعبس وأشجع. فقال رحمه الله وعفا عنه:

نَسَبُ غُطْفَانَ

عَبْسًا وَذُبْيَانًا وَأَشْجَعَ أَنْسَبَ لَغُطْفَانَ وَلِذُبْيَانَ الْأَبِي
 سَعْدُ أَبُو عَوْفٍ أَبِي الْحَيِّ بْنِ غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفِ الْمُبْتَنِي
 بِهِرَمٍ وَالْحَارِثِيِّنِ سُودَدًا أَوْ لِلُّوَيِّ عَوْفُهُمْ وَأَنْشَدَا
 فِيهِ ابْنُ سَعْدٍ إِذْ رَأَاهُ أَبْطَأَ جَمَلُهُ وَالرَّكْبُ عَنْهُ قَدْ نَأَى
 «حَبَسَ عَلَيَّ ابْنُ لُؤَيٍّ جَمَلَكَ تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلَا مَتْرَكَ لَكَ»

عبسا: مفعول به لانسب، وذبيان وأشجع معطوفان عليه. ولغطفان متعلق بانسب. أما عبس وذبيان فبواسطة وهما: بغض وريث، وأما أشجع فبواسطة واحدة وهو عمهما. قوله وذبيان الأبى: ذبيان بضم الذال وكسرهما. والأبى: صفة له، وهو من أسماء الأسد ومعناه الأبى عن الضيم، قال:

رئمت لسلمى بؤ ضيم وإنني قديما لأبى الضيم وابن أباة

والسودد (بالضم)، والسؤدد (بالهمز، كقنفذ): السيادة من تكرير الأصل. ولؤي: هو ابن غالب، عمود النسب؛ وهو بالهمز: تصغير اللأى وهو الثور الوحشي، أو هو تصغير اللأى وهو الأناة⁽¹⁾، وعليه قول أبي أسامة الجشمي:

(1) يقال لم يجئ إلا بعد لأي أي ببطء واحتباس، ولعله بمعنى الأناة.

فدونكمُ بني لأي أخاكم ...⁽¹⁾

يعني: وينسب لذبيان سعد بن ذبيان، وهو أبو عوف بن سعد؛ الذي هو أبو القبيلة المشهورة بني مرة، وحيث أطلق المُرِّيُّ فهو منهم. وذكر أنهم ابتنوا المجد والسؤدد بثلاثة منهم، وهم:

الحارث وهرم ودورهما في الصلح بين عبس وذبيان

الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن غيظ بن مرة، كان سيدا في الجاهلية وهو قائد غطفان في الأحزاب إلى النبي ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه، وخطب إليه النبي صلى الله عليه وسلم بنته فاعتذر إليه أن بها برصا، فلما قدم عليها وجدها برصاء⁽²⁾. وسأل رسول الله ﷺ أن يبعث معه رجلا إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فبعث معه رجلا من الأنصار فقتلوه، ولم يقدر الحارث على منعه؛ فبعث إليه يعتذر بدية المقتول فقبلها صلى الله عليه وسلم ودفعها إلى ورثته، فقال حسان في ذلك:

يا حارِ من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمدا لم يغدر⁽³⁾

(1) تمامه: ودونك مالكا يا أم عمرو ، وتقدم.

(2) زاد المعاد: 114/1.

(3) وبعده: إن تغدروا فالغدر منكم شيمة والغدر ينبت في أصول السَّخْبَرِ

وأمانة المري.. إلخ..

والسخبِر: شجر ينمو فتتدلى أغصانه، قيل إنه قال ذلك لأن منازل قوم الحارث تنبت ذلك النوع من الشجر.

وأمانة المري ما استودعته مثل الزجاجة صدعها لم يجبر⁽¹⁾

وهو أحد المتحملين الحملات بين عبس وذبيان، هو وابن عمه هرم بن سنان.

وسبب ذلك أنه قال يوما للحارث بن ظالم: هل في العرب من تأنف أن أتزوجها؟ قال: نعم، قال: من هي؟ قال: بنت أوس بن حارثة بن لام، قال: اركب معي إليها. فركبا، فلما رآهما أوس قام فقال: مرحبا بسيد العرب ما حاجتك؟ قال: جئت خاطبا، قال: أنت عندي فوق ذلك، ففهمها الحارث فثنى رأس جملة موليا.

فدخل أوس على امرأته فقالت: من الراكبان؟ قال: ذلك سيد العرب اليوم الحارث بن عوف، قالت: ما يريد؟ قال: يخطب، قالت: ما قلت له؟ قال: رددته، قالت: ولم تقول إنه سيد العرب وترد خطبته عن بناتك، تطلب أحدا أكرم منه أم تريد عضلهن؟ اذهب فالحقه وزوجّه من شاء منهن. فخرج أوس في أثره يقول: اربّع لي يا حار، والحارث بن ظالم يستوقفه فيأبى.. فلأيا مّا وقفّا. فردهما وبنى لهما بيتا، ثم دخل على بناته وبدأ بالكبرى فاعتذرت، فقال: بارك الله فيك، ثم الوسطى فكذلك، ثم أتى الصغرى فقالت: نعم أنا الحسناء وجهاً، الصنعاء يدا؛ فزوجها منه.

فلما أصبح قال له الحارث بن ظالم: هل فرغت من أمر عرسك - يعني

(1) وجاء الحارث هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر له وأدّى له دية الأنصاري وقال له: يا محمد إني عائد بك من لسان حسان.

الدخول -؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: قالت: أعند أبي وحول بيت أمي؟
فأمر بالرحيل، فلما كانوا في الطريق سأله الحارث بن ظالم فقال له:
أفرغت؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: قالت: تريد أن تجعلني كالأمّة الجليبة؟
لا والله حتى نقيم عند أهلِكَ. فلما قدموا أراد منها ذلك، فقالت: كنت
أسمع أنك سيد العرب وأنّ من أمرِكَ كيت وكيت.. العرب تتفانى وتتقاتل
عن يمينك وعن شمالك ولا يهتمك إلا أمرُ النساء! فلما أصبح دعا ابن عمه
هرما ابن سنان فقاما في الصلح بين ذبيان وعبس وتحملا الحمالات بينهما.
وفي ذلك يقول زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشيم

الثاني: هرم بن سنان بن أبي حارثة، ممدوح زهير؛ وهو أحد أجواد
العرب في الجاهلية - وهم ثلاثة كما ذكر كتاب الغرد: هرم هذا وحاتم
الطائي وكعب بن مامة الإيادي - فلما أكثر زهير من مدحه وأكثر هو من
عطاء زهير، قال زهير: والله لا أمدحه بعد، فقال هرم: والله لا يسلم
علي إلا أعطيته، فكان زهير إذا أتى النادي وفيهم هرم يقول: عموا صباحا
غير هرم وخيركم تركت، فيعطيه عبدا أو وليدة أو فرسا.

قال عمر يوما لبعض ولد زهير: ما فعلت الحلل التي كسا هرم أباكم؟
قال: أبلاها الدهر، قال عمر: لكن الحلل التي كساها أبوكم هرما لم يبلها
الدهر وقد ذهب ما أعطاكم وبقي ما أعطيتموه.

وأبوه سنان بن أبي حارثة، فقد فطّبوه في الآفاق فلم يجدوه، وفي ذلك
يقول زهير:

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبغي غطفان يوم أضلت⁽¹⁾

يقال إنه هوي امرأة فتفأقم به حبها فتاه على وجهه، وتزعم بنو مرة أن الجن استطارته فأدخلته بلادها فاستفحلت لكرمه⁽²⁾. ومما مدح به زهير هرما قوله:

إليك أعملتها فتلا مرافقها	شهرين يجهض في أرحامها العلق
حتى أنحنا إلى حلو شمائله	كالغيث يبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم	ينى لهم في جنان الخلد مرتفق
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا	كما تنوفس عند الباعة الورق
إن فاحروا فحروا أو قامروا قمروا	أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا

- الأبيات، وهي في غير ديوانه - والعرب مقرة بالله وعالمة بالجنة والنار.

الثالث: الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ، كان من شياطين العرب وفتاكهم وشجعانهم⁽³⁾، وقد منا ما تيسر من خبره في قتله

(1) إنَّ الركاب لتبغي ذا مرةً بجنوب نخل إذا الشهور أحلت
ينعون خير الناس عند كريهة عظمت رزيئهم هناك وجلت
ولنعم حشو الدرع كان إذا سطا نهلت من العلق الرماح وعلت

(2) وقيل إنه هرم حتى بلغ مائة وخمسين سنة فهام على وجهه خرفا ففقد، وقيل إنه خرج لحاجة بالليل فأبعد، فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتا، فرثاه زهير بقوله: إن الرزية.. إلخ..

(3) آلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة. ولما قتل خالد بن جعفر جدت بنو عامر في طلبه، وطلبه النعمان بن المنذر أيضا فشاع خبره في القبائل فتحامت العرب شره، ونشبت من أجله معارك كثيرة. وصار الحارث من حي إلى حي ثم جعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام فقتل في حوران - [الزركلي].

لخالد بن جعفر.

قوله: أو للؤي عوفهم.. إلى آخره: يعني أن بني عوف بن سعد يزعمون أن عوفاً هذا ابن لؤي، وليس لسعد بن ذبيان؛ ولكن كان في رفقة فيها ثعلبة بن سعد، فأبطأ بعوف جملة؛ فلم يعرج عليه من الرفقة إلا ثعلبة أناخ له جملة وأنشده البيت⁽¹⁾. فحلف عوف لا يفارقه بعد ذلك، فأخاه حتى انتسب إلى أبيه سعد بن ذبيان⁽²⁾، وذلك معنى قول الناظم:

فَهُوَ إِذَا مُذَبَذَبٌ بَيْنَ لُؤَيٍّ وَبَيْنَ سَعْدٍ مِّثْلَ مَا كَانَ لُحَيٍّ

ولكن حبسهم عن قريش أنهم كانوا في غطفان في الرتبة العليا من الشرف والسؤدد. وقال الحارث بن ظالم حين قتل خالد بن جعفر وتشاءم به قومه، فأنف أن تكون عليه لقومه منة، وأتى قريشا بهذا الانتساب، فأنشد:

رفعت السيف إذ قالوا قريش	وبينت الشمايل والعتابا
فما قومي بثعلبة بن سعد	ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي - إن جهلت - بنو لؤي	بمكة علموا الناس الضرابا
سفها باتباع بني بغيض	وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة محرق لما تروى	هراق الماء واتبع السرابا

(1) وهو قوله: احبس علي ابن لؤي جملك تركك القوم ولا مترك لك

(2) قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادّعت بني مرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الاشباه مع ما نعرف موقع ذلك الرجل حيث وقع - يعني عوف بن لؤي - وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نبحده وإنه لأحب النسب إلينا.

وقوله: مُذْبَذَبٌ (بالكسر والفتح) أي متردد بين الانتساب إلى لؤي، فيكون من قريش، أو إلى سعد بن ذبيان فيكون من غطفان؛ مثل تذبذب لُحَيٍّ بين الانتساب إلى قمعة - كما في الحديث - فيكون من عدنان، أو إلى حارثة الغطريف - كما عند النسابين مع اعتبار ضعف الحديث - فيكون من قحطان.

ولما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر استاق بنو عامر إبلا لجارات الحارث، فتبعها الحارث فوجد حالبين يحلبان ناقة منها تسمى اللِّفَاع - وكانت غزيرة اللبن جدا وكانت عند الحلاب تجتر وتدمع عَيْنَاهَا وتصغي برأسها وتتفاج تفاج البائل - فصاح بهما: خَلِّيا عنها فليست لكما، فعرف البائن صوته فضرط، فقال المعلّي: والله ما هي لك، فقال الحارث: است البائن - أو قال: است الضارط - أعلم، فذهبت مثلاً⁽¹⁾؛ (والباين الذي يأتي

(1) فخليا عنها، وارتجز قائلا:

إذا سمعت حنة اللِّفَاع فاذعي: أنا ليلي ولا تراعي

واستنقذ الحارث إبل جاراته وامواهن. وقتل الحارث بن ظالم هذا قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين أو أكثر، وضرب المثل بفتكه. ومن بني مرة بن سعد بن ذبيان شبيب ابن البرصاء، والبرصاء أمه وبها يعرف - وهي بنت الحارث بن عوف - وشبيب هو ابن يزيد بن جمرة، شاعر فصيح إسلامي. ومن شعره، من قصيدة له:

وإنني لتراءك الضغينة قد بدا تراها من المولى فلا استثيرها
مخافة أن تجنني عليّ وإفما يهيج كبريات الأمور صغيرها
لعمري لقد أشرفت يوم عنيزة على رغبة لو شد نفسي مريها

<<=

الخلوبة من شمالها⁽¹⁾.

وَالْبَسْلُ فِيهِمْ أَشْهُرُ ثَمَانِيَّةٍ يُحَرِّمُونَهَا شُهُورُ عَافِيَةٍ

في القاموس: البسل: الحرام والحلال - ضد⁽²⁾ - وهو هنا الحرام، أي تحريم أربعة أشهر مع الأشهر الحرم، وهو في بني مرة بن عوف خاصة دون العرب - أو معهم غيرهم من غطفان - كالنسيئ في كنانة، يجعلون الأشهر ثمانية لا يتعرضون فيها لأحد ولا يتعرض لهم.

مسلم بن عقبة وجرائم جيشه في وقعة الحرة على المدينة

وَمِنْهُمْ ابْنُ عُقْبَةَ الْمَرِيدُ مُجْرِمٌ اسْتَوْزَرَهُ يَزِيدُ

قوله: ومنهم أي من بني مرة. والمريد: العاتي أو البالغ الغاية في العتو.

--- >>

تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتَقْبَلُ أَشْبَاهَا عَلَيْكَ صَدُورُهَا
إِذَا افْتَخَرْتَ سَعْدُ بْنُ ذِيانٍ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَنَيْنَا لَا يُعْدُ فَخُورُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي الْعِيدَانِ إِلَّا صِلَابُهَا وَلَا نَاهِضَاتِ الطَّيْرِ إِلَّا صَقُورُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَا نَسُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ لِلظُّلَمَاءِ فِي النَّاسِ نُورُهَا

(1) أي الذي يكون من الجانب الأيسر، والمعلي: هو الذي يُعَلِّي الإناء إلى الضرع ويكون من الجانب الأيمن ويقال له أيضا المستعلي.

(2) فمن مجيئه للحرام قول الشاعر:

بَكَرْتَ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي
أَي حَرَامٍ. وَمِنْ مَجِيئِهِ لِلْحَلَالِ قَوْلُ الْآخَرِ:
أَيُّبْتُ مَا زِدْتُمْ وَتُلَفِّي زِيَادَتِي دَمِي إِنْ أَجَلَّتْ هَذِهِ لَكُمْ بَسْلُ
أَي حَلَالٍ لَكُمْ - [لسان العرب].

والمجرم: المذنب والجاني أو الكافر، قال تعالى ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾⁽¹⁾. ولقب به مسلم بن عقبة هذا، ويقال له أيضا مسرف، وكلاهما تبديل اسمه للشر؛ وهو أهل لذلك لاستيزار يزيد الفويسق له، ولوقعته بأهل المدينة المسماة "الحرّة" - لأنها في حرّة واقم - أمره يزيد على الجيش وقال: لا تتعرض لأهل الشام فيما يفعلون بأهل المدينة. وكان مسلم يشتكي بطنه فقال يزيد: إن مات مسلم فالحصين بن نمير مكانه. فلما فرغ مسرف من أهل المدينة - لا جازاه الله خيرا - سار قاصدا مكة، وعليها عبد الله بن الزبير، فمات في الطريق بين مكة والمدينة وولي الحصين مكانه على الجيش؛ فلم يزل محاصرا ابن الزبير إلى أن أتاه موت يزيد فرجع، بعد أن أشار إلى ابن الزبير أن يرشيه فيبايعه فلم يفعل، فقال: سبحان الله أسأرك وتجاهرني وألاينك وتقاسيني!. وكان لعبد الملك بن مروان صديق من أهل الكتاب يسمى يوسف، قال له عبد الملك حين سار جيش يزيد إلى المدينة: ما أعظم جيش عدو الله إلى حرم رسول الله، فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه إلى حرم رسول الله! فقال: عياذا بالله يا يوسف، فقال: والله ما قلته شاكا ولا مرتابا.

تردد أهل المدينة في مبايعة يزيد ثم خلعهم إياه

وكان أهل المدينة بايعوا ليزيد في حياة معاوية، أخذ عليهم البيعة له؛

(1) القصص: 78.

المكره أكره والمطيع أطاع. فلما قتل الحسين - رضي الله عنه ولعن قتلته -
تضجر أهل المدينة من يزيد وتداعوا إلى خلعه، فلم يتوافقوا على ذلك
وبعثوا إليه وفداً، فأكرم الوفد وأجزل جوائزهم؛ ولكن أنكروا عليه دينه
وما هو عليه من الفسق، فقدموا على أهل المدينة بخلعه؛ فخلعوه إلا ابن
عمر وأبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله.

وباع أهل المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل؛ فقتل فيمن قتل. وقتل
من الصحابة سبعمائة ومن أبناء الصحابة ألف أو أكثر.

وكان⁽¹⁾ يأخذ الرجل فيقول له: بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قن إن
شاء أعتق وإن شاء استرق؛ فإن قال: أبايعه على أنني حر مؤمن، قتله وإن
أقر بالعبودية أهانه ونتف شعره وأرسله. واستباح المدينة سبعة أيام، وقيل
لم تبق فيها عذراء إلا افتضت؛ وبقيت أياماً لم يدخلها إلا الضباع
والذئاب. وقيل إن يوم الحرة لم يبق بعده بدري [ويأتي ذكره إن شاء الله].

وقال [عبد الرحمن] ابن سعيد بن زيد في يوم الحرة:

فإن تقتلونا يوم حرة واقم	فإننا على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم بيدر أذلة	وجئنا بأسلاب لنا منكم نفل
فإن ينج منها عائذ البيت سالما	فكل الذي نلقاه من دونها جلل

وقال فيه الشاعر يرثي يعقوب بن طلحة بن عبيد الله:

لعمري لقد جاء الكروسي كاظما على خبر للمسلمين فظيع

(1) يعني مسرفاً، وزير يزيد.

شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت منازلهم من رومة فبقيع
فوالله ما هذا بعيش فيشتهى هنيء ولا موت يريح سريع

ثم قال رحمه الله:

وَمِنْ فِزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بَنُو بَدْرِ وَفِي حَرْبِ الرَّهَانِ وَهَنُوا

فزارة (كسحابة): منقول من الفزارة، وهي أنثى النمر⁽¹⁾. وبنو بدر عدة، منهم حذيفة وحمل وحصن وزمعة وغيرهم. وحرب الرهان: هو حرب داحس والغبراء والحنفاء والخطار المشهور. وقوله: وهنوا: أي ضعفوا.

سبب حرب الرهان

وسبب حرب الرهان أن قيس بن زهير قام في طلب ثأر أبيه الذي قتله خالد بن جعفر فأتى الأنصار يستعينهم، ويقال لهم إذ ذاك بنو قيلة، فأعانوه بذات الفضول⁽²⁾؛ فلما قدم بها قال له الربيع بن زياد: أرني

(1) وفي خزنة الأدب أن فزارة اسمه عمرو؛ ضربه أخ له ففزره فسمي فزارة (والفزر: الكسر والشق من الضرب). وقد تفرع من فزارة خمسة بطون هي: بنو بدر بن عدي بن فزارة وذكرهم الناظم، وبنو شمع (بالحاء المعجمة) ابن فزارة، وبنو غراب بن ظالم بن فزارة، وبنو سعد بن فزارة، وبنو العشاء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سعد بن مازن بن فزارة. فمن بني شمع سمرة بن جندب الصحابي والهيثم بن مبشر الذي يقول فيه ابن سيار الشاعر:

لكل أناس حاتم يعرفونـه وحاتمنا يوم الحماله هيثم

ومنهم أيضا منظور بن زبان ومرداس بن نهيك الآتيان.

(2) ذات الفضول: اسم درع سميت بذلك لفضلة كانت فيها وسعة. وقيل كان اسم درع النبي صلى الله عليه وسلم [لسان العرب].

درعك هذه أنظر فيها، فأعطاه إياها، فلبسها وأبى أن يخلعها بعد. فأغار
قيس على مائة ناقة لبني زياد فباعها بمكة من قریش بالسلاح وغيره، وفي
ذلك يقول:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى بأدراع وأسياف حداد

يعني بالقرشي عبد الله بن جُدعان⁽¹⁾.

ثم جاور فزارة يستنجدهم على ثأره، ثم كان من أمرهم أن تراهنوا
على مسابقة فرسي قيس: داحس والغبراء، وفرسي حذيفة الخطار
والحنفاء؛ فتراهنا على عشرين بعيرا، وجعلا الغاية مائة غلوة، والمضمار
أربعين ليلة، والجري من ذات الاصاد. فأرصد بنو فزارة كميناً: غلمانا
بأيديهم أرغفة، وقالوا لهم إن جاءكم الغبراء سابقة فردوها والطموا
وجهها، ففعلوا.

فتطالب القوم الرهان، فكل منهما يدعي سبق فرسه.. إلى أن تشاحنا،
فبعث حذيفة ابنه إلى قيس يطلب الرهن فقتله قيس. وكان الربيع بن زياد
العُبَسي مصاهرا لبني بدر مجاورا لهم. ثم بعث حذيفة فرسانا إلى مالك
بن زهير فقتلوه، وكنتم ذلك عن الربيع بن زياد، فوجده الفرسان مع الربيع

(1) وفي العقد الفريد (5/152): فاطرد قيس لُبونا لبني زياد فأتى بها مكة فعاوض بها عبد الله بن
جدعان بسلاح. وفي رواية أنه أغار على أربعمائة ناقة للربيع بن زياد وقتل رعاءها وأنه
باعها من حرب بن أمية بن عبد شمس كما في الحلة السرا، وكما سيأتي للمصنف.

فقال لهم: هل ظفرتم بحماركم؟ قالوا: نعم، فجعل الربيعُ يلومه ويقول له: العرب تتقاتل، وتتعب خيلك في حمار وحش!! فلما أكثر عليه قال: إليك عني، خيلي كانت تقتل مالك بن زهير؛ فارتحل الربيع بأهله. فلما كان من الغد بعث حذيفة في أثره رهطا وقال لهم: إن وجدتموه ارتحل البارحة وكسر أواني الخمر فارجعوا وإلا فاتبعوه فستلحقونه واقتلوه؛ فوجدوه لم يترث وكسر أواني الخمر وترك الثقل وألقاها، فرجعوا. وكان في الليلة التي بعد ارتحاله من بني بدر - حين أخذ المضجع - دنت منه زوجته فقال لها: إليك عني وجعل يقول:

أبعد مقتل مالك بن زهير	ترجس النساء عواقب الأطهار
من كان مسرورا بمقتل مالك	فليات نسوتنا بوجه نهار
يجسد النساء حواسرا يندبته	يكن قبل تبلج الأسحار

ولم تزل الحرب بين الحيين إلى "يوم جفر الهباءة"، وهو يوم غزت فيه ذبيان عبسا؛ فلما هجموا عليهم أمر قيس بن زهير عبسا أن يولوهم أدبارهم ويخلوا بينهم وبين النعم والأثاث؛ فاشتغلت ذبيان بالغنائم، فلما تَوَلَّوْا وفرقتهم الغنائم ندب قيس الناس في أثرهم، فعرف أثر الحنفاء⁽¹⁾ فقصوها. فقطع حزام حذيفة فانحاز إلى صخرة ووقف عليها حتى شدَّ حزامه، خوف أن يقفَ على الأرض فيعرف أثره.

فلحقوا بهم قائلين على ماء يقال له "الهباءة"، وكانوا أوقفوا ربيئة ينظر

(1) الحنفاء: فرس حذيفة بن بدر، وهي من أفراس الرهان المذكور.

على أثرهم خوف الطلب؛ فأتاهم فقال لهم: ما رأيتم على الأثر إلا نعمة،
فقال حذيفة: ذلك الطلب والله؛ فلم يأخذوا السلاح حتى وافاهم شداد
بن معاوية - أبو عنتره - فجعل حذيفة يقول لقيس كلاما يستعطفه فيه،
فضرب حمل في صدره وقال له: اتق مآثور القول⁽¹⁾ - فذهبت مثلاً - وقتل
حذيفة وحمل؛ وفي قتلها يقول قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني

وقال يرثيها⁽²⁾:

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباء لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم⁽³⁾

ثم اصطلحت ذبيان وعبس، فقال قيس بن زهير لقومه: يا بني عبس
شاعكم السلام⁽⁴⁾، والله لا أنظر في وجه ذبيانية قتلت أباهما أو

(1) أي دع عنك قولاً لا ينجيك تخضع فيه وتقتل فيؤثر عنك أي ينقل ويشتهر.

(2) ويروى أنه أول من رثى مقتوله.

(3) أظن الحلم دلّ عليّ قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمفجّع عليّ ومُستقيم
ألاقي من رجال منكرات فأنكرها وما أنا بالظلموم

(4) شاعكم السلام: أي السلام عليكم، وهذا دعاء يقوله من أراد أن يفارق أصحابه.

أنحاه⁽¹⁾، فعليكم بالوفاء فيه تتعايشون، وإياكم والظلم فإنه صرع أبي زهيرا⁽²⁾. وسار إلى أرض عُمان وسكنها وفيها عقبه بعد ذلك.

عينه بن حصن وبعض جفائه

مِنْهُمْ عَيْنَةُ الْمُطَاعِ الْأَحْمَقُ لِوَأُوهُ عَلَى الْأُلُوفِ يَخْفِقُ

منهم: أي من بني بدر، وهو عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، واسمه حذيفة؛ ولقب عينة لشتر في عينه - ويكنى أبا مالك وهو من المؤلفه - قيل أسلم قبل الفتح وشهدها، وقيل أسلم بعدها. ولم تنزل في إسلامه جفوة، وشهد بُزاحة مع طليحة بن خويلد، وأُتي به أبو بكر، فجعل الصبيان يضربونه في طرق المدينة ويسخرون منه ويقولون له: أي عدو الله ارتددت بعد إسلامك، فيقول: والله ما أسلمت قط!.

(1) أو زوجها أو ولدها. ثم لحق بالنمر بن قاسط فقال: يا معشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حريب فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر؛ فزوجوه امرأة منهم، وقال لهم: إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي؛ إني امرؤ غيور فخور أنف ولست أفخر حتى أبتلى ولا أغار حتى أرى ولا أنف حتى أظلم. فأقام فيهم زمنا ثم أراد التحول عنهم فقال: يا معشر النمر إني أرى لكم عليّ حقا بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظهركم وإني آمركم بخصال وأنهاكم عن خصال؛ عليكم بالأناة؛ فيها تدرك الحاجة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح، وعليكم بالوفاء...

(2) .. وحمل بن بدر، والسرف في الدماء؛ فإن قتل أهل الهبأة أورثني العار، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق.

ومن جفوته أنه استضافه عمرو بن معديكرب، فقال له عمرو: أي الشراب أحب إليك أسقيكه؟ فقال له عيينة: اسقني شرابنا الأول الذي تعرفنا نتنادم عليه، فقال عمرو: أو ما حرم الله الخمر؟ فقال: متى حرمها إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁽¹⁾ فسكت وسكتنا. ومنها أنه دخل على النبي ﷺ بلا إذن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الإذن؟» فقال: ما استأذنت على أحد من مضر، ثم التفت إلى عائشة فقال: من هذه الحميراء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «عائشة أم المؤمنين»، فقال: ألا أنزل لك عن أجمل منها⁽²⁾، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: من هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذا أحق مطاع في قومه». وكانت تتبعه عشرة آلاف قناة⁽³⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «أداريه لأني أخاف أن يفسد عليّ خلقا كثيرا». واستأذن يوما على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «بئس أخو

(1) المائدة: 91.

(2) الطبراني.

(3) في الإصابة أن حصن بن حذيفة أوصى ولده عند موته وكانوا عشرة - وكان سبب موته أن كرز بن عامر العقيلي طعنه فاشتد مرضه - فقال لهم: الموت أروح مما أنا فيه فأياكم يطيعني؟ قالوا: كلنا، فبدأ بالأكبر فقال: خذ سيفي هذا فضعه في صدري ثم اتكئ عليه حتى يخرج من ظهري، فقال: يا أبتاه هل يقتل الرجل أباه؟، فعرض ذلك عليهم واحدا بعد واحد فأبوا إلا عيينة فقال له: يا أبت أليس لك فيما تأمرني به راحة وهوى ولك فيه مني طاعة؟ قال: بلى، قال: فمرني كيف أصنع، قال: ألق السيف يا بني فإنني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي فهو أطوع لي بعد موتي، فاذهب فأنت سيد ولدي من بعدي ولك رئاستي، فجمع بني بدر فأعلمهم بذلك، فقام عيينة بالرئاسة بعد أبيه، وقتل كرزاً قاتل أبيه.

العشيرة هو»⁽¹⁾، فلما دخل أحسن معه الخلق حتى خرج، فقالت عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألت له القول؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إنا لنبش في وجوه قوم - وفي رواية: لنكش في وجوه قوم - وإن قلوبنا لتلعنهم»⁽²⁾، (ويؤخذ منه جواز غيبة الفاسق⁽³⁾).

ودخل يوما مع ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: والله يا ابن الخطاب لا تقسم بالعدل ولا تعطي بالجزل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال ابن أخيه: "يا أمير المؤمنين ﴿خذ العفو﴾ إلى آخر الآية"⁽⁴⁾، فسكن غضبه، وكان عمر وقافاً عند كتاب الله.

ودخل عينة يوما المسجد وفيه النبي ﷺ وأصحابه، فلما دخل كشف ثوبه ليبول فصاحوا به، فنهاهم رسول الله ﷺ وقال: «لا تزرموه»، فقال: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال صلى الله عليه وسلم: «حجرت واسعا»⁽⁵⁾، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بماء فصب على البول.

(1) البخاري وأبو داود وأحمد.

(2) رواية البخاري في الصحيح: «إنا لنكشُرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم».

(3) ذكر العلماء أن الفاسق المجاهر بالفسق ليست له غيبة، لما ورد في الخبر: «مَن القى جلباب الحياء فلا غيبة له»، وفيه: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذرهُ الناس»، فالغيبة إذن في المرء الذي يستر نفسه. وروي عن الحسن أنه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر»، وقال أيضا: "ليس لأهل البدع غيبة" - [قاله القرطبي (339/16)].

(4) الأعراف: 199.

(5) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه. ومعنى «لا تزرموه»: أي لا تقطعوا عليه بوله، الإضرار القطع.

وقوله المطاع الأحمق: يحتمل أنه إشارة إلى الحديث الذي أجاب به صلى الله عليه وسلم عائشة، المتقدم في المسودة.

ويقال: ما ساد أحمق قط إلا عيئة، وما ساد فقير إلا أبو طالب أو عتبة بن ربيعة، ولا حليف إلا الأخنس بن شريق.

وقوله: يخفق: أي يضطرب ويتحرك. يعني لواء عيئة، لما ورد أنه يقود عشرة آلاف.

والحر بن قيس هذا هو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى⁽¹⁾

(1) أي الذي سأل السبيل إلى لقيه هل هو الخضر أو غيره؟ فابن عباس يقول هو الخضر واسم الخضر بلياً وهذا هو المشهور، أما قول الحر فلم أقف عليه. وهذا التماري الذي وقع بين ابن عباس والحر غير التماري الذي وقع بين سعيد بن جبير ونوف البكالي، لأن هذا في صاحب موسى هل هو الخضر أو غيره وذلك في موسى هل هو موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة أو غيره. فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه موسى بن عمران عليه السلام. وعن نوف بن فضالة البكالي هو موسى بن ميثا بن افرايم بن يوسف عليه السلام. وموسى بن ميثا هذا قبل موسى بن عمران، وقد قال بعض أهل الكتاب إن موسى الذي رحل إلى الخضر هو موسى بن ميثا، وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم، ومن ذلك نوف بن فضالة الحميري البكالي الدمشقي وهو تابعي فاضل من أهل دمشق، قيل كان ابن امرأة كعب الاحبار، وكان يعرف كثيرا من الإسرائيليات.

والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل، كما ان المشهور ان صاحب موسى بن عمران هو الخضر عليهما السلام وأن فتى موسى الذي رافقه إلى الخضر هو يوشع بن نون - قيل كان ابن أخت موسى - وانه هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام - [راجع فتح الباري والبداية والنهاية].

عليه السَّلام، وابنه عبد الله بن الحرّ هو القائل:

فإن تك أُمي من نساء أفاءها جياذ القنا والمرهفات الصفائح
فتباً لفضل الحر إن لم أنل به كرائم أولاد النساء الصرائح

وَمِنْ أولاد عيينة أبانُ بن عيينة، وابنه سعيد بن أبان هو الذي قتله عبدُ الملك بن مروان مع حَلْحَلَة بن قيس بن اشيم. وذلك أن كلبا قتلوا من فزارة قتلى كثيرة، فتلافى عبدُ الملك أمرهم فتحمل لفزارة نصف الحمالات وضمن النصف الآخر إلى العام القابل؛ ثم إن فزارة أخفرت ذمة عبد الملك وأوقعوا بكلب، فأمر عبدُ الملك الحجاج إذا فرغ من ابن الزبير أن يوقع بفزارة؛ فلما فرغ منه احتال إلى أن أتاه سعيدٌ وحَلْحَلَة المذكوران فأوثقهما ربطا وبعث بهما إلى عبد الملك، فلما أتياه⁽¹⁾ أتى ابن سويد الكلبي - وكان أبوه ممن قتلته فزارة - فقال: يا حلحلُ هل أحسست سويداً؟ فقال: عهدي به وقد انقطع خروؤه في بطنه، فقال ابن سويد: أما والله لأقتلنك، فقال: كذبت.. والله ما أنت الذي يقتلني، وإنما يقتلني ابن الزرقاء - وهي بنتُ علقمة بن صفوان (أمُّ مروان) - فقال عبد الملك: صبرا يا حلحل، فقال: أي والله،

(1) قال: الحمد لله الذي أقاد منكما، فقال حلحلة: أما والله ما أقاد مني ولقد نقضت وتري وشفيتُ صدري وبردت وحرى، فقال عبد الملك: من كان له عند هذين وتر يطلبه فليقم إليهما، فقام سفيان بن سويد الكلبي وكان أبوه.. إلخ.

أصبر من ذي الضاغط العركر ك ألقى بواني زوره للمبرك⁽¹⁾

ثم التفت إلى ابن سويد فقال: يا ابن الستهاء أجد الضربة فقد وقعت مني ضربة لأبيك أسلحته حتى عددت النجوم في سلحه، فضرب ابن سويد عنقه، ثم قدم سعيد بن أبان بن عيينة فناده عبد الملك: صبرا يا سعيد، فقال:

أصبر من عود بدفيه الجلب قد أثر البطان فيه والحقب⁽²⁾

بعثه إلى تميم النبي وجاء بالسبي به أتى الأبي
قوم ونادوا من وراء الحجرات وفاخرت وأسلمت تلك الحماة

الضمير في بعثه لعينة⁽³⁾. والسبي: ما يسبي من النساء والصبيان، ولا يقال للرجال. والأبي: الأسد، والأبي عن الضيم؛ ويحق ذلك الوصف

(1) فصار هذا مثلاً للصابر، يقال: أصبر من ذي الضاغط، والضاغط: انفتاح إبط البعير. والعركر ك: الغليظ. والزور: الصدر. والبواني: القوائم والأكتاف، ويقال للمقيم: ألقى بواني وألقى برأسه.

(2) وصار هذا أيضاً مثلاً. والعود: المسن من الإبل. ودفأه: جنباه. والجلب: جمع جلبة (كغرفة وغرف): أثر الدبر.

(3) والنبي: فاعل بعثه. والأبي: فاعل جاء. والمراد به عيينة، ومعناه الذي يأبى الضيم. وبه: جار ومجرور متعلق بأتى بعده. وقوم: فاعل أتى. والمراد بالقوم هنا وفد تميم. وفي قوله: الأبي والحماة إقامة الظاهر مقام الضمير. والمعنى أن عيينة بن حصن الأبي عن الضيم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية إلى حي من تميم، فأغار على الحي وأخذ أمواله وسبيهم وجاء بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء وفد تميم بسبب ذلك ففاخروا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فآل أمرهم إلى أن أسلموا ورد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم سبيهم وأحسن جوائزهم.

لعينة. والقوم منهم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم والأقرع بن حابس
وقيس بن عاصم وعطارد بن حاجب بن زرارة.. وغيرهم من أشرف
تميم، وفدوا على رسول الله ﷺ في سنة تسع بسبب هذا السبي.
والحجرات: حجرات نساء أمهات المؤمنين، جمع حجرة وهي ما يحجر
عليه من الأرض بحائط ونحوه؛ وهو هنا مساكن أزواجه رضي الله عنهن.
وكان هؤلاء القوم جاؤوا وقت القيلولة، فلم يعلموا في أي الحجرات
كان النبي ﷺ ففرقوا عليها، فكل واحد قام من وراء حجرة ونادى:
اخرج إلينا يا محمد، فذمهم الله تعالى بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾. وفي مصحف ابن
مسعود: "أكثرهم بنو تميم لا يعقلون" - (قوله الثعالب).

والحماة: جمع حامية للرجل الذي يحمي أصحابه، ووصفهم الناظم رحمه
الله بالحماية لأنها التي أوفدتهم.

يعني أن عينة بن حصن أمّهُ النبي ﷺ على سرية بعثها إلى حي من تميم
كانوا مجاورين لحي من العرب بعث إليهم النبي ﷺ مُصَدِّقِينَ، فلما أخذوا
الصدقة قالت بنو تميم لمجاوريهم: لِمَ تعطون أموالكم هذه؟ فقالوا: هي
زكاة أموالنا؛ فعمد بنو تميم إلى الأموال فنهبوها.

فوجدتهم عينة نازلين بالقيلولة وقد سرحوا أموالهم، فهرب منه الرجال
وأخذ الأموال والسبي. ثم جاء الوفد، فأل أمرهم إلى أن أسلموا كلهم

(1) الحجرات: 4.

ورد عليهم النبي ﷺ سبيهم وأحسن جوائزهم، بعد أن فاخروا الصحابة بالخطب والشعر؛ فكان خطيبُ تميم الأقرع بن حابس، فلما خطب قال النبي ﷺ لثابت بن قيس الأنصاري وكان خطيبه: «قم يا ثابت فأجبه»، ففعل، فقام شاعر تميم وهو الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يفاخرنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

(القصيدة)،

فقال النبي ﷺ لحسان: «قم يا حسان فأجبه»⁽¹⁾، فقام حسان فقال:

إنَّ الذوائب من فھر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبعُ

(إلى آخرها)،

فقال الأقرع بن حابس: إن هذا الرَّجل لمؤتًى له: لَخَطيبُه أخطبُ من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم تعلو أصواتنا.

وفي هذا الوفد سأل النبي ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان⁽²⁾، فقال

(1) البخاري والترمذي وابن ماجه.

(2) وكان الزبرقان قد جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم، فقال الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجّاب، أمنعهم من الظلم وأخذ منهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك؛ وأشار إلى عمرو بن الأهتم، فقال عمرو: هو مطاع في أدنيّه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني! فقال عمرو: أما والله إنه لزمر المروءة ضيق العطن، أحق الولد لئيم الخال، حديث المال، مضيع في العشيرة.. فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله، فقال: والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في

صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»⁽¹⁾.

وَمِنْهُمْ أُمُّ قَرْفَةٍ وَبَزَّهَا أَنْ سَبَّتَ أَفْضَلَ الْأَنَامِ عِزَّهَا

أم قرفة (بالكسر): فاطمة بنت زمعة بن بدر، كانت عند مالك بن حذيفة بن بدر (والقرفة: رائحة القرنفل). وبزها: سلبها. وعزها، يضرب به المثل، يقال: أعز وأمنع من أم قرفة؛ لأنها كانت يعلق في بيتها خمسون سيفاً لمحارمها.

يعني أن من بني بدر أم قرفة التي يضرب المثل بعزها، لكن سلبه منها سبها للنبي ﷺ يوم "وادي القرى" بسرية زيد بن حارثة؛ أمر بها فربطت بجبلين إلى بعيرين فأرسل كل واحد إلى جهة فشقاها شقين⁽²⁾ وسبوا ابنتها

-- >>

الأخرى، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت، فقال عليه الصلاة والسلام «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا» - [أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس]. (ومعنى زمر المروءة: قليلها، والعطن: مناخ الإبل حول الماء؛ وهو كناية عن البخل، وحديث المال: أي قريب العهد بالغنى).

(1) رواه البخاري وأبو داود وأحمد وغيرهم. يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر، ومعنى السحر إظهار الباطل في صورة الحق. والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن، وإنما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له. يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة - [أه من مجمع الأمثال].

(2) ذكره ابن حجر في الإصابة وقال: "كانت شديدة على المسلمين". وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى لكن قال: قتلها محمد بن قيس بن المحسر قتلاً عنيفاً. ورواه الدارقطني في سننه بلفظ: بفرسين..

فأتوا بها النبي ﷺ فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب، فأولدها عبد الرحمن بن حزن - وحزن جد سعيد بن المسيب بن حزن - ونحوولته للنبي ﷺ أنه ابن خال أبيه، فهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

وقيل إن بنت أم قرفة فدى بها النبي ﷺ أسيرين كانا بمكة، وهو عندي أصح أو هو الصحيح. وقتل لأم قرفة تسعة بنين يوم بزاخة مع طليحة بن خويلد.

وَسَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ فِي النَّارِ سَقَطَ وَالنَّبِيُّ ذُو إِخْبَارٍ
بِمَوْتِهِ بِالنَّارِ وَالْكُزَّازُ قَدْ عَالَجَهُ بِالْمَاءِ فِي الْقَدْرِ اتَّقَدْ

أي ومن بني فزارة - من غير بني بدر - سمرة بن جندب بن هلال. والكزاز (كغراب أو رمّان): مرض من شدة البرد، أو هو الرعدة الناشئة عن شدة البرد، أخذت هذا الصحابي فكان يعالجها بالقعود على قدر مملوء ماء حاراً، إلى أن سقط فيها، فمات من ذلك رضي الله عنه. وكان ذلك تصديقاً للنبي ﷺ، رآه يوماً مع أبي هريرة ورجل آخر - لم أقف على اسمه⁽¹⁾ - فقال لهم: «آخركم موتاً بالنار»⁽²⁾، فكان سَمْرَةُ آخَرَهُمْ مَوْتاً، مات بعد أبي هريرة بيسير؛ وكان أبو هريرة يقول: اللهم إني أعوذ بك

(1) في الإصابة أن ثالثهم أبو محذورة.

(2) ذكره ابن الأثير: (5/126)، وفي الطبراني: (7/211) بدون ذكر سمرة.

من رأس الستين، فتوفي قبلها، وذلك لما سمع من رسول ﷺ: «إن على رأس الستين يكون الأمر بأيدي أغيلمة من قريش يفعلون كذا وكذا»⁽¹⁾، فكان ذلك ولاية يزيد.

أَجَاذَهُ نَبِيُّنَا أَنْ صَرَعَا أَسَنَّ مِنْهُ وَلَهُ كَانَ وَعَى
سَكْتَةً إِنْ كَبَّرَ أَوْ إِنْ تَمَّمَا فَاتِحَةً وَبَيْنَ الْإِنْصَارِ نَمَا

يعني أن النبي ﷺ يوم أحد كان يرد من لم يبلغ خمس عشرة سنة ويجيز من بلغها، وردّ عدة غلمان، منهم عبد الله بن عمر وعرابة بن أوس بن قيطي وزيد بن ثابت وسعد بن خيثمة، واسترد رافع بن خديج فقال له أهله: إن رافعا كان راميا، فأجازه، فقال أهل سمرة - وكان رده -: يا رسول الله إن ابننا يصرع هذا الذي أجزته؛ فأمرهما فتصارعا فصرعه سمرة فأجازه.

رواية سمرة للسكتين في الصلاة

ووعى: حفظ، أي حفظ له سكتين، إحداهما إن كبر تكبيرة الإحرام والأخرى إن تم الفاتحة⁽²⁾، فأنكرهما عليه عمران بن حصين، فكتبنا إلى أبي بن كعب فقال: صدق سمرة⁽³⁾. وهو من الحفاظ الكثيرين من الحديث.

-
- (1) رواه البخاري وأحمد بلفظ قريب من هذا ليس فيه "إن على رأس الستين".
(2) وفي قول الناظم: وعى سكتة.. اقتباس من نص حديث سمرة المذكور؛ فقد روي عنه أنه قال: سكتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكرهما عليه عمران.. إلخ.
(3) رواه الترمذي وأبو داود في سننيهما وأحمد في مسنده، وغيرهم..

وبالسَّكَّتَيْنِ أخذ الشافعيُّ، أما الأولى فكان يقرأ فيها دعاء الاستفتاح،
والثانية يقرأ فيها الفاتحة مَنْ لم يدرك دعاء الاستفتاح، لاشتغاله بالدعاء
حين قراءة الإمام الفاتحة^(١).

قوله: وبين الانصار نما: أي نشأ. يعني أنه كان حليفا لهم وولد بينهم
ونشأ^(٢)، إلى أن مات رضي الله عنه، وكان يقول: كنت أحفظُ عن
رسول الله ﷺ وما يمنعني من القول إلا أن هناك رجالا أسن مني. ولي
البصرة معاوية ثم عزله.

وَرَبِّي أَقْسَمَ أَنْ لَا يَضْحَكَا حَتَّى يَرَى مَصِيرَهُ فَنَسَا

(١) ولدعاء الاستفتاح عدة روايات من أشهرها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم
باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من خطاياي بالماء
والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»،
وكانت له سكتان؛ الأولى بعد الإحرام وقبل القراءة يقرأ فيها دعاء الاستفتاح، والثانية بعد
الفاتحة يقرأ فيها المأموم الفاتحة، وينبغي تطويلها بقدر الفاتحة. وروي أن هناك سكتة ثالثة
بين القراءة والركوع، والمشهور أنها سكتة لطيفة للراحة وتراد النفس، لأنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن يصل القراءة بالركوع؛ فمن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة ومن لم يذكرها فلقصرها.

(٢) وسكن رضي الله عنه البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها ستة أشهر وعلى الكوفة ستة
أشهر، فلما مات زياد استخلفه، وكان استخلفه على البصرة وأقره معاوية عليها سنة ثم
عزله. وكان شديدا على الحرورية، كان إذا أتى بأحد منهم قتله ويقول: شر قتلى تحت
أديم السماء، يُكفرون المسلمين ويسفكون الدماء. وكان ابن سيرين والحسن وفضلاء
البصرة يثنون عليه، وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين، وقيل تسع
وخمسين. وكان من الحفاظ الكثيرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه
جماعة من الصحابة والتابعين.

فَرِيءَ يَضْحَكُ قُبِيلَ الْقَاصِمَةِ وَهَكَذَا فَلَيْكَ حُسْنُ الْخَاتِمَةِ

ربيعي (بالكسر) بن حراش (بالمهمله وبالشين المعجمة، وككتاب):
تابعي، وأخواه الربيع ومسعود تابعيان أيضا. ونسك: تعبد. والقاصمة:
أراد بها الموت.

يعني أن ربيعيا هذا من فزارة، وذكر أنه أقسم أن لا يضحك حتى يعلم ما
يؤول إليه من جنة أو نار؛ فلما احتضر رآه أخوه يضحك حين غشيه الموت فأفاق
فقال: لأخيه اسرعوا بي فإن رسول الله ﷺ أقسم أنه لا يبرح حتى أقدم عليه.
وقوله: وهكذا فليك.. إلخ: معناه التعجب والتفخيم لشأن هذا الصالح.

مَنْظُورُ النَّاكِحِ مَقْتًا وَحَلَفَ خَمْسِينَ مَا لَهُ عَلَى مَنْعٍ وَقَفٌ

منظور: هو ابن زبَّان بن هاشم من بني بدر، وسمي منظورا لأنه مكث
في البطن سنين، وفيه يقول أبوه:

فما جئت حتى قيل ليس بوالدٍ وسميت منظورا وجئت على قدرٍ
وإني لأرجو أن تكون كهاشم وإني لأرجو أن تسود بني بدر

وقوله الناكح مقتا: هو ما كانت الجاهلية تفعله من تزويج الابن زوجة
أبيه بعده، فنسخته شريعتنا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ
آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾. والمقت: أشدُّ البغض إلى الله.

(1) النساء: 22.

يعني أن منظورا تزوج امرأة أبيه بعده⁽¹⁾، فلما اطلع عليه عمر بن الخطاب حلفه خمسين يمينا بعد العصر في المسجد أنه ما سمع فيه بأمرٍ قط يحرمه، ففارقها بكرهٍ منه وفي ذلك يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر إذا مُنعت مني مليكةٌ والخمر⁽²⁾
فإن تك قد أمست بعيدا مزارها فحي ابنة المُرِّي ماطلع الفجرُ

فتزوجت بعده، فلقي زوجها فقال له: كيف وجدت أثر أيري؟ فقال له: كما وجدت أثر أير أبيك!.

صَاهِرُهُ أَبُو خُبَيْبٍ وَالْحَسَنُ وَافْتَاتَتْ إِذْ أَعْطَتْهُ خَوْلَةُ الرَّسَنِ
فَأَنْجَبَتْ بِالْحَسَنِ الْمُثَنَّى وَبَعْدَهُ بِخِطْبَةٍ مِّنْ عَنَا:
تَرُدُّهُ تَأْنُفًا مِّنْ حَمًا بَعْدَ رَسُولِ الْأُمَّةِ الْمُنَبِّأِ

أبو خبيب: عبد الله بن الزبير، كني به لأنه أكبر بنيه؛ بُشر به قُدومه من فتح إفريقية في خلافة عثمان مع أحد إخوته. ومات خبيبٌ تحت سياط عمر بن عبد العزيز حين كان أميراً على المدينة من قبل الوليد بن عبد

(1) وهي مُلَيْكَةُ بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المريّة، فولدت له هاشما وعبد الجبار وخولة، ولم تزل معه إلى خلافة عمر فرفع أمرهما إليه فأحضره وسأله عما قيل فيه من شربه الخمر ونكاحه امرأة أبيه، فاعترف بذلك فقال: ما علمت أن هذا حرام، فحبسه إلى صلاة العصر وحلفه ثم خلى سبيله.

(2) وما منهما إلا عظيم فراقه صَبُوح المَدَامِي والمخدرة البكر
فإن تك قد أمست .. إلخ.

الملك أو عبد الملك، ولا أدري في حَدٍّ أو أدب⁽¹⁾، وكان عمر إذا مدح ببعض أفعاله الكريمة يبكي ويقول: ما فعل خبيب⁽²⁾؟.

وافتات على أبيها: أنكحت بدون أمره. وعن: عرض. والتأنف: التكبر والاستنكاف عما لا يليق. والحمؤ، والحمؤ، والحمأ (بالتحريك): أبو زوج المرأة أو أحد أقارب الزوج أو الزوجة، والمراد هنا الأول، لأن رسول الله ﷺ أبو الحسن، لقوله: «إن ابني هذا سيّد⁽³⁾» - الحديث، ولخصوصيته بتعصيب بني بناته أصالة، كبني فاطمة وعلي وأمامة ابني أبي العاص بن الربيع وعبد الله بن عثمان، أمّا أمّ كلثوم فلم تلد.

يعني أن منظور بن زبان هذا صاهره عبد الله بن الزبير على ابنته تماضر؛ وسبب مصاهرته أنه بعثه الزبير إلى العباس يستعير منه رحلا، فوافى

(1) كان خبيب هذا فاضلا صالحا ناسكا وكان طويل الصلاة قليل الكلام، لقي كعب الأحبار وكثيرا من العلماء وقرأ الكتب وعلم علما كثيرا لا يعرف وجهه ولا مذهبه فيه، يشبه ما يدعي الناس من علم النجوم، وكان يتكلم وهو يحدث نفسه بكلام لا يفهم ويخبر ببعض الأمور المغيبة فتقع على نحو ما قال، وكان الوليد بن عبد الملك قد غضب عليه لأمر بلغه عنه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز - وهو إذ ذاك واليا له على المدينة - أن يجلد مائة سوط ويسجنه، ففعل فاشتد وجعه فأخرجه وندم على ما فعل فلما سمع بموته سقط على الأرض واسترجع - [حلة السيرا ونسب القرشيين لابن قدامة وأنساب الأشراف للبلاذري].

(2) وقيل إنه قسم من ماله قسما في خلافته فقال الناس: دية خبيب، وكان خبيب هذا عقيما لم يولد له.

(3) .. ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» - [أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد].

العباسَ قد أطعم فأمره أن يأكل مع الناس، فاستضعفَ أكله؛ فقال له العباس: ذهب بك لين آل أبي بكر، فمر أباك أن يزوجه من الأعراب، فزوجه تماضر بنت منظور وهي أم بنيه؛ وهي التي يقول فيها الفرزدق:

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشُفعتُ بنتُ منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتررا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا!

وصاهر منظورا أيضا على ابنته خولةَ سيدنا الحسن السبط؛ قدمت على أختها تماضر تزورها فتزوجها الحسن بغير إذن أبيها، فلما سمع بذلك غضب وقال: أمثلي يفتات عليه! فركز رايته، فلم يبق قيسيٌّ إلا دخل تحتها، فسار بجنوده إلى المدينة. فدفع إليه الحسنُ ابنته فسار بها، فلما كانا في الطريق كلمته ابنته وقالت له: أتريد عضلي أم ما ذا؟ قال: لا، قالت: فلمن تريدني بعد ابن رسول الله ﷺ؟ قال: صدقت، ولكن نقيم هنا فإن كان الرجل يريدنا فسيلحقنا وإلا فالعار أن نرجع إليه.

فلما سمع ذلك الحسن تبعهم مع عدةٍ من أبناء الصحابة، فردها معهم؛ وولدت له الحسن المثني. ثم بعد الحسن من تعرض لها بالخطبة تقول: ما كنت لأتخذَ حمًا بعد رسول الله ﷺ. وفي خولة هذه يقول الشاعر:

قفا في دار خولة فأسألاها تقادم عهدُها وهجرتماها
بمحلال كأن المسك فيه إذا فاحت بأطيبه شذاها

قيل لها بعد أن أسنت: كيف أنتِ حينِ قِلتُ فيكَ الأبيات؟ قالت: أحسن من نار القرى في عين التائه الصرد.

الربيع بن ضبع أحد المعمرين

ومرّ فزاره أيضا الربيعُ بن ضبع⁽¹⁾ الشاعر المعمرُ، قيل إنه عاش أربعمئة وثلاثين سنة، ولما بلغ ثلاثمئة سنة قال⁽²⁾:

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء
وقد كملتها وضممت أخرى إليها والدُّهور لها بقاء
ومن شعره أيضا:

أقفر من مية الجريب إلى الزج ين إلا الظباء والبقرا
كأنها درة منعمة من نسوة كنّ قبلها دررا

إلى أن قال:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أمسك رأس البعير إن نفرا
والذيب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا!
أصبح عني الشباب مبتكرا إن ينأ عني فقد ثوى عُصرا

(1) ابن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزاره الفزاري.

(2) ألا أبلغ بنيّ بني ربيع فأنذال البنين لهم فداء
بأنّي قد كبرت ودقّ عظمي فلا تشغلکم عني النساء
فإنّ كنائني لنساء صدق وما آلا بنيّ وما أساءوا
إذا كان الشتاء فأدفئوني فإنّ الشيخ يهدمه الشتاء
فأمّا حين يذهب كل قر فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى .. إلخ.

فَارَقَنِي قَبْلَ أَنْ أَفَارِقَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جِهَانَا وَطَرَا⁽¹⁾

وَهُوَ جَاهِلِي لَمْ يُسْلَمْ⁽²⁾.

انتهى كلامه على ذبيان فأتبعه الكلام على عبس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نَسْبُ عَبْسٍ

وَانْسَبْ لِعَبْسٍ عُرْوَةَ بَنِ الْوَرْدِ حَفْدَةَ الْخُرْشُبِ خَيْرَ جَدٍّ⁽³⁾

(1) هَا أَنَا ذَا آمَلِ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حَجَرًا

أَبَا أَمْرِي الْقَيْسُ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ طَالَ ذَا عُمُرًا

وروي أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا ربيع أخبرني عمّ أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية؟! فقال: أنا الذي أقول إذا عاش الفتى مائتين عاما.. إلخ. فقال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك يا ربيع لقد طار بك جد غير عاثر ففصّل لي عمرك. قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ومائة وعشر سنين في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. فقال: أخبرني عن فتية من قريش متواطئي الأسماء. قال: سل عن أيهم شئت. قال: أخبرني عن عبد الله بن عباس. قال: فهم وعلم وعطاء جزم ومقرى ضخم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن عمر، قال: حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانة طيب ريحها لين مسّها قليل على المسلمين ضرها. قال: فأخبرني عن عبد الله بن الزبير، قال: جبل وعر يتخذ منه الصخر. قال: لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم. قال: قرب جوار وكثرة استخبار. وقد قيل إذا كان هذا الخبر صحيحا فقد يكون سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية - [راجع سموط الذهب].

(2) قال في الإصابة إنه جاهلي أدرك الإسلام، ويقال إنه عاش ثلاثمائة سنة منها ستون في الإسلام، ويقال لم يسلم.

(3) قوله: عروة (بالنصب): مفعول به لانسب. وحفدة (بالنصب أيضا): عطف عليه بحذف العاطف. وخير (بالجر): صفة للخرشب. والحفدة: جمع حافد وهو ولد البنت. والمراد بالحفدة هنا بنو زياد العبسيون، جدهم من الأم الخرشب. أي وانسب لعبس.. إلخ.

أي وانسب لعبس عروة بن الورد وحفدة الخُرشب⁽¹⁾.

عروة بن الورد

وكان عبدُ الملك بن مروان يقول: من زعم أن حاتمًا أَسْمَحُ العرب فقد ظلم عروة بن الورد، وقال فيه أيضا: ما أحب أن لي أبا بأبي إلا عروة بن الورد. وكان عروة من الشجعان والفرسان والشعراء إلا أنه لم يدرك الإسلام، وكانت له جارية اسمُها أمُّ وهب وكان استولدها ويحبها حبا شديدا فقدم بها على بني النضير، وكان ينادمهم ويمرونه ويختلف إليهم، فسقوه الخمر ثم ابتاعوها منه، فلما صحا منعوها منه؛ وفي ذلك يقول قصيدته التي منها:

سَقُونِي الخمر ثم تَكْنَفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ من كَذِبٍ وزور

وآخر معهد من أم وهب معرنا فويق بني النضير

سأل عمرُ بن الخطاب عبسًا: بِمَ تغلبون؟ قالوا: سيدنا قيس بن زهير، وشاعرنا عروة بن الورد، وفارسنا عنتره بن شداد؛ وهذا يدل على أنه أشعرُ من عنتره. وكان مع رئاسته وكرمه يعد من الصعاليك.

ومن شعره في تصعلكه:

أَقُولُ لِقَوْمٍ بالكَيْبِ تَرَوُّحُوا	عَشِيَّةً بتنا عند مَاوَانِ رُزَّحْ
تَنَالُوا الغنى أو تَبْلُغُوا من نفوسكم	إِلَى مُسْتَرَّاحٍ من حِمَامٍ مُبْرِحْ
وَمِنْ يَكْ مثلي ذَا عِيَالٍ ومَقَاتِرَا	مِنَ المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحْ

(1) ولعبس من الولد: قطيعة (بوزن جهينة) وورقة، ومنهما تفرعت أفخاذ عبس. فمن قطيعة بن عبس: بنو بجاد وبنو المقاصف وبنو غالب. ومن عبس أيضا بنو جذيمة وبنو جروة وبنو هزم.

ليبلغ عذرا أو يصيب رغبة ومُبلغُ نفس عذرها مثل مُنجم⁽¹⁾

والحفدة: جمع حافد والمراد به هنا ابن البنت، لأن بني زياد - وهم ربيع الواقعة وأنس الفوارس وزيد الحفاظ - أمُّهم فاطمة بنت الخرشب (كَبْرُقَع) وهي إحدى المنجبات؛ سئلت: أي بنيتها أفضل؟ فقالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل؛ هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين بابها⁽²⁾. انتهت ليلة

(1) ومنه أيضا:

لما الله صعلوكا إذا جنَّ ليله	مُصافي المشاش آلفا كل مجزر
يعدُّ الغنى من نفسه كل ليلة	أصاب قراها من صديق مُيسر
ينام عشاءً ثم يصبح ناعسا	يحت الحصى عن جنبه المتعفر
يعين نساء الحي ما يستعنه	ومسي طليحا كالبعير المحسّر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه	كضوء شهاب القابس المنسور
مطلا على أعدائه يزجرونه	بساحتهم زجر المنيع الشهر
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه	تشوف أهل الغائب المتنظر
فذلك إن يلق المنيّة يلقها	حميدا وإن يستغن يوما فأجدر

(2) وفي خزانة الأدب: أنهم الربيع وأنس وعمارة وقيس، وأن كل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشا، ويقال لهم الكلمة؛ وكان لكل واحد منهم لقب، فكان عمارة يقال له: الوهاب، والربيع يقال له: الكامل، وقيس يقال له: الجواد، وأنس يقال له: أنس الحفاظ. وكان عمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوت أسير ينادي في الليل ألا افتكّه. ونظمهم من قال:

أبناء فاطمة بنت الخرشب	بضم خائنه وشينه الأبي:
ربيعهم وقيسهم وأنس	عمارة مجدهم قد أسسوا
ثكلتهم إن كنت أدري أيهم	أفضل قول أمهم، فأمهم

على رجل يريدھا بالسوء، فصرخت بينها فأرادوا قتله، فأخذه منهم
الربيع وقال: انج بنفسك، فأطلقه منهم وقال لهم: إن قتلتموه أو حبستموه
حتى يعلم به غيركم تكون لكم سبة آخر الدهر.

وكانوا أول حرب الرهان بينهم وبين قيس بن زهير عداوة بني العم،
حتى نهب منهم أربعمئة ناقة وباعها على مائدة عبد الله بن جُدعان
بالسلاح - كما قدمنا - وفي ذلك يقول:

ألم يأتيك والأنباء تنمى	بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى	بأدراع وأسياف حـداد
كما لاقيت من حمل بن بدر	وإخوته على ذات الاصاد
فهم فخرُوا علي بغير فخر	وردوا دون غايته جوادي
جزيتك يا ربيعُ جزاء سوء	وقد يجزي المقارض بالأيادي

فلما قتل مالك بن زهير دخلوا في الحرب مشمرين عن ساعد الجد.

وَابْنُ سِنَانٍ خَالِدٌ نَبِيَّهُمْ وَضِيعُوهُ، وَالْحُطَيْئَةُ لَهُمْ

يقول وانسب لعبس أيضا خالد بن سنان، ويحتمل أن يكون وابن سنان
مبتدأ، وخالد بدل منه، ونبيهم: خبره. قوله: وضيعوه: يعني قول النبي ﷺ -
إن صحَّ -: «ذلك بني ضيَّعه قومه»⁽¹⁾.

روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل وفد عبس عن خالد بن سنان،
فقالوا: مات وترك بنتا، فقال: «ذلك بني ضيَّعه قومه». وفي حياة الحيوان أنه

(1) رواه الحاكم في المستدرک، وذكره في الإصابة ومجمع الزوائد ومصنف ابن أبي شيبة.

عند موته قال لقومه: إذا دفنتموني تأتي عانة حُمْرٍ يقدّمها عَيْرٌ من أمره كَيْتَ وكَيْتَ.. فإذا انتهى إلى القبر نبش عند رأسي؛ فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني أخبركم بعلم الأولين والآخرين. فلما دفنوه وانصرفوا عنه جاءت الحُمْرُ كما وصف لهم، حتى انتهى ذلك العيرُ إلى القبر فنبش عند رأسه، فأرادوا أن يخرجوه، فأبى أقاربه - أو بنوه - فقالوا: نخاف أن نغير بنبشه.

وقيل إنَّ خالدًا ابن سنان هو النبي الذي دعا على العنقاء فطارت من الأرض وفقدت، وهي طائر عظيم الرأس كان يصطاد الصبيان وصغار البقر فشكاه الناس إلى نبي - قيل هو خالد هذا - فدعا عليه فطار جنسه كله من الأرض ولم ير بعد ذلك؛ فكانت العرب تضرب به المثل في الشيء المفقود، يقولون: طارت به العنقاء. والأصح أنها طائر معروف الاسم، مجهول الجسم - كما في القاموس - قال:

الغول والبوم والعنقاء ثالثها أسماءُ أشياء لم تُخلق ولم تكن

ولم يجمع على نبوءة خالد، لقوله صلى الله عليه وسلم في عيسى ابن مريم: «ليس بيني وبينه نبي»⁽¹⁾، ولذا لم يكفر من سبّه، لأن كفر من سب النبي أو الملك مقيد بالجمع على نبوءته أو ملكيته.

الحطيئة ومدحه لبني أنف الناقة

والحطيئة اسمه جرول، وكنيته أبو مليكة؛ أدرك الجاهلية والإسلام

(1) رواه البخاري وأبو داود وأحمد.

وأسلم في عهد النبي ﷺ؛ ويدل شعره على رده، وإن كان أسلم بعد،
ولكن في إسلامه جفوة؛ وهو القائل:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فوا عجباً ما بال دين أبي بكر
أيورها بكرة إذا قام بعده؟ فتلكم وبيت الله قاصمة الظهر!

ويقال إنه أشعر الشعراء لولا ما يُكدر شعره من الطمع والهجو، حتى
قيل إنه ما قال قط بيتاً إلا وهو مشتمل على مدح أو هجو؛ وكان مع
ذلك بخيلاً يطرد الضيفان ويضربهم ويهجوهم. بينما هو في غنيمة إذ رأى
ضيفاً عند بيته فأتاه فقام إليه الضيف يزعم أنه إنما جاء لاستضافته، فأهوى
إليه عصا في يده، فقال الضيف: ويحك أنا ضيف، فقال الحطيئة: للضيفان
أعددتها!. وهو القائل:

أعددت للأضياف كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من أرزن
ومعاذر كذبا ووجها بأسرا وتشكياً عض الزمان الألزن

(والأرزن: شجر صلب. والباسر: العابس. والزمان الألزن: الضيق الشديد.
وعضه: منعه).

وكان الحطيئة ينتسب إلى طيء إذا لم ترضه عبس. ومن شعره في ذلك:

سري أمام فإن المال يجمعه سيب الإله وإقبالي وإدباري
إلى معاشر منهم يا أمام أبي من آل عمرو بدور غير اسرار

وكان الحطيئة يكثر مدح بني جعفر بن قريع (كزبير) بن عوف بن
كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم بنو أنف الناقة. وسبب ذلك أنه
خرج يريد بني تميم، فلقي في الطريق الزبرقان بن بدر ذاهباً بالصدقات إلى

عمر بن الخطاب، فَقَالَ لَهُ الزبرقان: سر إلى أهلي وانتظرنى عندهم حتى آتيك؛ وهم في البلد الفلاني، فسَلَّ عن بيت القمر ابن القمر إذا قدمت. فسار الخطيئة حتى نزل بيت الزبرقان، فعلم به بنو أنف الناقة فحسدوا عليه الزبرقان، فأتوا امرأته فقالوا لها: إن له بنتا جميلة والزبرقان يريد تزويجها. فأساءت إليه وطرده، فذهب به بنو جعفر بن قريع إلى أهلهم فأكرموه ووشوا له في الزبرقان حتى هجاه ومدحهم. ومن مدحه لهم قوله⁽¹⁾:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟
قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا⁽²⁾

(1) من قصيدة أولها:

طافت أمانة بالركبان آونة يا حسنها من قوام ما ومنتقبا
إذ تستبيك بمصقول عوارضه حَمَشَ اللَّثَاثِ تَرَى فِي غَرْبِهِ شَنَا
قد أخلقت عهدها من بعد جدته وكذبت حباً مَلْهُوفٍ وما كذبا
إلى أن يقول:

قالت أمانة لا تجزع فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد غلبا
هلاً التمسست لنا إن كنت صادقة مالا نعيش به في الخرج أو نشبا
حتى نجازي أقواما بسعيهم من آل لأي وكانوا سادة نجبا
إلى أن يقول:

قوم يبيت قرير العين جارهم إذا لَوَى بِقَوَى أَطْنَابِهِمْ طَبَا
قوم هم الأنف.. إلخ..

(2) العناج: جبل يشد أسفل الدلو إذا كانت ثقيلة ثم يشد إلى العراقي. والكرب (بالتحريك): عقد الرشاء الذي يشد على العراقي؛ أو هو الجبل الذي يشد في وسط العراقي ثم يثنى ويثلى ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفن. أراد الخطيئة أنهم إذا عقدوا لجارهم عقدا أحكموه وأوثقوه.

وكانوا يغضبون من هذا اللقب؛ لأن أصله أن جعفرًا - جدّهم - نحر أبوه جزورا في سنة شهباء فقسمها بين نسائه فأرسلت جعفرًا أمّه⁽¹⁾ ليأتيها بنصيبها، فلم يدرك إلا الرأس مع العنق؛ فقال له أبوه: شأنك به، فجعل يجره بين البيوت وجعل الناس يضحكون منه، فسمي بذلك أنف الناقة (لأنه مدخل يده فيه ويجر به العضوين⁽²⁾). فلما مدحهم الحطيئة بهذين البيتين صاروا يحبون هذا اللقب ويفتخرون به⁽³⁾؛ ومن مدحه لهم قوله:

وإن التي نكبتها عن معاشرٍ	علي غضاب ان صددت كما صدوا
أت آل شماس بن لأيٍ وإنما	أتاهم بها الأحلام والحسبُ العد ⁽⁴⁾
فإن الشقي من تعادي صدورهم	وذا الجد من لانوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعما عليهم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

(الأبيات⁽⁵⁾).

(1) اسمها الشموس، وهي من بني وائل بن سعد هذيم.

(2) وصاروا يعيرون به ويغضبون منه حتى ان الرجل منهم كان إذا سئل ممن هو يقول: من بني قريع؛ فيتجاوز جعفرًا أنف الناقة، فرارا من هذا اللقب!

(3) وأصبحوا يتطاولون بهذا اللقب والنسب ويمدون به أصواتهم بجهارة.

(4) العد: القديم.

(5) وإن قال مولاهم على كل حادث من الدهر ردوا بعض أحلامكم ردوا مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبني الجد وتعذلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعدا!

ومما هجا به الزبرقان قصيدته السينية التي منها قوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
وهذا البيت هو الذي قال فيه حسان، حين استعدى عليه⁽¹⁾ الزبرقان عمرَ
بن الخطاب، فسأل عمر رضي الله عنه حسان: هل هجاه أم لا؟ فقال
حسان: ما هجاه ولكن سلح عليه!، فحبسه عمر حتى قال قصيدته:
باسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله، أما بعد يا عمر
فأخرجه وأحلفه أن لا يهجو أحدا بعد ذلك.

وهذا هو محل هذه القصة، لا ما قدمنا في بني العجلان، لأن الشاعر
الذي هجاهم هو النجاشي، وهو غلط منا وخطأ.
ومن قصيدة الخطيئة السينية قوله:

من يفعل الخير لم يعدم جوائزَه لا يذهب العرف بين الله والناسِ
وقال كعب الأحبار: هذا البيت والله في التوراة كما قاله، إلا أن في
التوراه بين الناس والله.

ومعنى الخطيئة: القصير الدميم، وسمي به جرول لأنه كان كذلك.
وكان هجا نفسه بقوله، وقد نظر في المرأة:
بدا لي وجهه قبح الله خلقه وقُبَّح من وجهه وقُبَّح حامله!!

ولما احتضر دخل عليه الناس يُعُودونه فوجدوه يجود بنفسه فكلما
سألوه عن شيء أجابهم بما يضحكهم، فقالوا له: بم توصينا به لليتامى؟

(1) أي على الخطيئة.

فقال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم. فلما اشتدت عليه السكرَةُ أمر أهله أن يفرشوا له فروة على أتان ويحملوه عليها، ففعلوا، فجعل يقول:

لا أحد ألام من حطيئة هجا البنين وهجا المريئة

ومات محمولا على فريوة

قول الناظم: والخطيئة لهم: يصح أن يكون محل الخطيئة الخطيئة (بالحاء المعجمة، غير مصغر): الذنب - أي والخطيئة لعبس إذ ضيعوا نبيهم خالد بن سنان - لولا أنه يُؤدِّي إلى إغفال ذكر جرّول الشاعر.

وَابْنُ الْيَمَانِ حَبْرُهُمْ وَعَنْتَرَهُ وَدَّ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى لَوْ ابْصَرَهُ

ابن اليمان: سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، واليمان اسمُه حُسَيْلُ بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعَة (كجهينة) بن عبس، وسمي اليمان لأنه أصاب دما في قومه فدخل في الأنصار، لأنهم أصلا من أهل اليمن، وهو حليف الأنصار.

حذيفة بن اليمان وما خصه به النبي ﷺ

وخير النبي ﷺ حذيفة بين الهجرة والنصرة فاختار النصرَة (وليت شعري ما معنى ذلك؟) ⁽¹⁾. وأول مشاهدته أُحُدٌ، وقتل أبوه بها؛ قتله عتبة بن مسعود

(1) لعل معناه أنه صلى الله عليه وسلم خيره بين أن يكون معدودا في المهاجرين - وذلك لأنه كان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد إلى المدينة ولأنه ليس من الأنصار في الأصل - أو يكون معدودا في الأنصار - لأنه كان قد حالفهم وسكن فيهم - فاختار رضي الله عنه أن يكون من الأنصار. والله أعلم.

يظنه من العدو، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فقال له النبي ﷺ: «خيرا فعلت»⁽¹⁾، وزاده ذلك عنده. وبعثه النبي ﷺ ليلة الخندق ينظر له أمر قريش، وضمنه منهم ويكون رفيقه يوم القيامة؛ فدخل فيهم إلى أن جلس في نادي أبي سفيان، فسمع كل ما يقولون؛ وسمع قول أبي سفيان: ليتعرف كل أحد بجليسه، فأخذ بيد من يليه وقال من هذا؟ فقال: أنا معاوية بن أبي سفيان. قال حذيفة: فأتيت النبي ﷺ فوجدته يصلي.

وكان حذيفة هذا يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ⁽²⁾، لأنه يسر إليه أخبار المنافقين ويُعرفه بكل منافق - وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي لجنابة لا يخرج إليها حتى يخرج إليها حذيفة⁽³⁾، لما يعلم أنه يعلمهم⁽⁴⁾ من غيرهم - ويسر إليه أيضا أخبار الفتن وأخبار ما يأتي من الدهر والأمراء. وأما علم السر فأهله أبو بكر وعليٌّ لا غيرهما - (قاله أبو حامد الغزالي في الإحياء). وأما سر النبي ﷺ في ذات نفسه فصاحبه عبد الله بن مسعود. والله تعالى أعلم.

وسئل حذيفة رضي الله عنه أي الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر ولا تدري أيهما تتركب. وقال: لا تقوم الساعة حتى يسود

(1) رواه أحمد.

(2) في الصحيحين ان أبا الدرداء قال لعقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة. وروى مسلم من حديث حذيفة قال: لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة.

(3) راجع الاستيعاب في ترجمة حذيفة.

(4) أي يعلم المنافقين.

كلّ قبيلة منافقوها.

ولم يزل رضي الله عنه يشهد المشاهد في حياة رسول الله ﷺ وبعده، وأخذ الراية لما قتل النعمان بن مقرن "بنهاوند" فكان الفتح على يديه، وفتح "الري" و"الدينور"، وتوفي في أول خلافة علي، وأوصى ابنه: صفوان وسعيدا أن يكونا مع علي؛ فقتلا معه.

والحبر (بالكسر ويفتح): العالم والصالح (قاله في القاموس)، قال عبد الباقي الزرقاني في الكلام على اللقطة: "الحبر بالفتح - وان صدر صاحب القاموس بالكسر - عالم أهل الذمة، ويستعار لعالمنا".

وعنزة بن شداد بن معاوية، وأبوه شداد فارس جرّوة، وهو السابق من طلب عبس إلى بني بدر يوم "جفر الهباءة". وكانت أم عنزة أمة سوداء، ويذكر ذلك في شعره، وهو سادس الشعراء الستة. وكان يذكر مكارم الأخلاق في شعره، كقوله:

يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكّل

وذكر الولي محمد بن المختار بن سعيد اليدالي أن النبي ﷺ أنشد بيت عنزة هذا فقال: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنزة»؛ ومن ذلك أخذ الناظم رحمه الله قوله: ود النبي المصطفى لو أبصره.

يقول ومن عبس عالمهم حذيفة بن اليمان، لأنه من علماء الصحابة وأكابرهم، ومنهم أيضا عنزة الشاعر الذي تمنى النبي ﷺ أن يراه.

وَابْنُ زُهَيْرٍ فَارِسُ الْغُبَرَاءِ وَدَا حِسٍ ذُو الْمَكْرِ وَالْدَّهَاءِ

يعني ومن عبس أيضا قيس بن زهير، صاحب الفرسين المشهورين:
داحس والغبراء، والقول إنهما لحمل بن بدر مردود.

سبب تسمية الفرس داحس

وداحس يضرب به المثل يقال: أشأم من داحس، لأنه قام عليه حرب
الرهان المتقدم ذكره؛ وسمي داحسا لأن أمه جلوى الكبرى فرس لبني ضبة
- لرجل يقال له قرواش - مرت بذي العُقَال (كرمان) فرس حوط بن أبي
جابر، وكان عند جاريتين من الحي؛ فلما رأى جلوى أدلى، فضحك
شباب من الحي، فاستحيت الجاريتان فأرسلتاه فنزا عليها فوافق قبولها.
فعرف حوط - صاحب ذي العُقَال - ذلك حين رأى عين فرسه - وكان
شريرا - فطلب منه أرش فحله.

فلما عظم الخطب بينهم قالوا له: دونك ماء فحلك، فجعل يده في ماء
وتراب وأدخلها في رحمها، حتى ظن أنه قد أخرج الماء. واشتملت الرحم
على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسمي داحسا لذلك، وخرج كأنه ذو
العُقَال أبوه. ثم نهبه قيس من بني ضبة أو من غيرهم.

والمكر الخديعة. والدهاء: العقل وجودة الرأي. وكان قيس بن زهير من
دهاة العرب، ومن عقبه المساور بن زهير، الذي هاجى المزار الأسدي؛
ومن هجوه للمزار قوله:

ما سرنى أن قومي من بني أسد وإن ربي ينجي من النار

وانهم زوجوني من بناتهم وان لي كل يوم ألف دينار⁽¹⁾

سَأَلَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ خَالِدًا نَارًا تَكُونُ آيَةً وَشَاهِدًا
وَلَمْ يَضِرَّهُ أَنْ عَلَيْهَا دَخَلَا إِذْ سَأَلُوهُ كَشْفَهَا، وَسَأَلَا
مُنْتَظِرًا خُرُوجَهُ وَكَشْفَهَا أَنْ لَا يُنَوِّهَ بِهِ وَنُؤَهَا

يعني أن خالد بن سنان سأله قيس بن زهير وبنو عبس معجزة دالة على نبوءته، قالوا له: أخرج لنا من هذا الوادي نارا تكون آية وشاهدا على نبوءتك. فخرجت لهم من الوادي نار فهربوا منها واستغاثوا به منها فقالوا له اكشفها عنا، فقال لهم: إذا دخلتها فلا تنوّهوا بي ما دمت فيها - أي لا تنادوني باسمي - فلما دخلها وكشفها عنهم جعلوا ينادونه ويقولون: يا خالد. ولعل ذلك تضييعهم له الذي ذكر النبي ﷺ في قوله: «نبي ضيعه قومه». والله تعالى أعلم.

وقيل إن ربعيا بن حراش (بكسر الراء من الأول والحاء من الثاني) - الذي ذكره الناظم في فزارة - من عبس.

عَبَسُ وَذُبْيَانُ انْتَهَوْا وَسَلِكُهُمْ بَغِيضُ، رَيْثُ، غَطَفَانُ مَلَكُهُمْ

مراده بهذا البيت التنبية على انتهاء ما ذكر من عبس وذبيان، وذكر ما

(1) ومن شعره فيهم:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم ألف وليس لكم إلف
أولئك آمنوا جوعا وخوفا وقد جاعت بنو أسد وخافوا

بينهما وبين غطفان من الآباء؛ وهما اثنان: بغض وريث. فهما أخوان ابنا بغض بن ريث بن غطفان. أما أشجع الذي ذكر معهما فهو عمهما ابن ريث بن غطفان. وقوله ملكهم⁽¹⁾: تميم، وأراد به أن جد القبيلة كالملك عليهم. وقوله سلكهم: أي نسبهم⁽²⁾.

وَابْنُ سِنَانٍ مَعْقِلُ اللَّوْذَعِيِّ وَصِنْوُهُ مُؤَمِّلٌ لِأَشْجَعِ

اللوذعي واللوذع: الظريف والحديد الذهن والفؤاد والفصيح اللسان كأنه يلذع كالنار لذكائه. والصنو: الأخ الشقيق، وهو المراد هنا، ويطلق على الابن والعم⁽³⁾. بدأ بذكر أشجع بابني سنان الصحابين معقل ومؤمل؛ أما معقل فشهد الفتح، وكان شابا تقيا فاضلا يكنى أبا سنان، قتله مسرف ابن عقبة يوم الحرة صبرا، وكان على المهاجرين يومئذ؛ وفيه يقول الشاعر:

فأصبحت الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان

يقول وابنا سنان معقل ومؤمل ينسبان لأشجع، وينسب لهم أيضا

(1) قوله: ملكهم: أي جدهم الجامع لهم فهو تميم على سبيل الاستعارة.

(2) ثم أفرد أشجع عنهما، لأنه عمهما وطفق يتكلم عليه فقال رحمه الله وعفا عنه:

(3) ومؤمل: بالرفع بدل من صنوه. يقول ومن أشجع بن ريث بن غطفان الصحابي الجليلان معقل ومؤمل ابنا سنان بن مظهر بن عركى بن قينان بن سبيع بن بكر بن أشجع الأشجعيان، وبدأ رحمه الله ذكر أشجع بهما. ولأشجع من الولد بكر وسليم وعمرو، ولبكر منهم ابنه سبيع، ولسبيع هذا قينان وخلاوة، فمن قينان بن سبيع بن بكر بن أشجع معقل ومؤمل ابنا سنان هذان رضي الله عنهما.

المذكورون بعدهم:

وَابْنُ حَرَامٍ زَاهِرُ الْبَادِيَةِ لِلْمُصْطَفَىٰ أَعْظَمُ بِهَا مِنْ خَاصِيهِ⁽¹⁾
غَمَّضَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَقَالَا: مَنْ يَشْتَرِي عَبْدًا، فَعِ الْمَقَالَا

شهد زاهر بدرا وسكن البادية في حياة النبي ﷺ، وكان لا يأتيه إلا أتى
بطرفة من طرف البادية حتى قال صلى الله عليه وسلم: «لكل حاضرة
بادية وبادية آل محمد زاهر»⁽²⁾. ووجده رسول الله ﷺ بسوق المدينة يوما
فوضع يديه الكريمتين على عينيه من ورائه وقال: «من يشتري العبد؟»
فأحس به زاهر فقال: "إذا تجدني كاسيدا يا رسول الله، فقال: «بل أنت
عند الله رابح»⁽³⁾.

ثم انتقل إلى الكوفة.

وَعَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الَّذِي السَّلْمُ أَلْقَاهُ لِلْجَيْشِ وَغَالَهُ الْحُطَمُ
مُحَلَّمٌ وَالْأَرْضُ إِذْ دَعَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ أَلْقَتْهُ فَلَمْ تُغَيَّبِ

السلم: الانقياد. والحطم: الغشوم الظلوم كالحطمة، ومنه الحديث:

(1) يعني أن من أشجع أيضا ثم من بني بكر منهم الصحابي الجليل زاهرا بن حرام الأشجعي
الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بادية آل محمد، فما أعظمها من منقبة خصه
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) نحوه في الجامع الصغير وأحمد وذكره في المواهب.

(3) رواه الترمذي في الشمائل وأحمد والطبراني والبخاري.

«شر الرعاة الحطمة»⁽¹⁾. ومحملم (كمحدث) ابن جثامة الليثي؛ كان من حديثه أنه كان في سرية، فتعرض لهم راكب على ناقة جيدة ومعه وطب لبن ومتاع، فسلم عليهم وقال لهم إنه يريد النبي ﷺ، فرمأه محلم هذا وأخذ الناقة وما عليها. فلما أتوا النبي ﷺ وأخبروه غضب - وذلك في طريقه إلى فتح مكة - فتفاقم أمر الناس فيه. فتنافس عليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن؛ فالأقرع متعصب للقاتل لأنه من خندف، وعيينة للمقتول لأنه من غطفان، والنبي ﷺ في ظل شجرة؛ فبينما الناس في شغل من ذلك إذ قبل أهل المقتول الدية. فأتوا به النبي ﷺ يستغفر له فقال: «ما اسمك؟» فقال: محلم، فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «اللهم لا تغفر لمحلم»⁽²⁾ قالها ثلاث مرات. فقام من عنده وهو يتلقى دموعه بفضل ردائه، فمات بعد ذلك بسبع ليال فدفنوه فلفظته الأرض إلى ثلاث مرات، فوضعوه بين صخرتين فرضموا عليه بالحجارة؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الأرض لتنطبق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في جرم ما بينكم وبين ربكم بما أراكم منه»⁽³⁾، وأنزل الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾⁽⁴⁾ - أي انقاد وأذعن - وقرئ بـ «السَّلَام»⁽⁵⁾ أي التحية،

(1) رواه مسلم وأحمد.

(2) رواه أبو داود وأحمد.

(3) رواه ابن ماجه وذكره البيهقي في دلائل النبوة وابن كثير في البداية والنهاية.

(4) النساء: 94.

(5) قرأ نافع وابن عامر وحمزة بالقصر، وقرأ باقي السبعة بالمد.

وقيل نزلت في أسامة لما قتل مرداس بن نهيك الجهني، فقال له النبي ﷺ: «هلا شققت عن قلبه؟»⁽¹⁾. وأخو محلم هذا الصعب بن جثامة الليثي الصحابي.

ومر أشجع أيضا نعيم بن مسعود بن عامر رضي الله عنه، الذي شتت أمر الأحزاب ليلة الخندق، وهو أيضا الذي نزلت فيه ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾⁽²⁾ وذلك يوم حمراء الأسد، فالمراد بالناس الأولى نعيم وحده والثانية المشركون.

ومنهم أيضا مسعود بن رخيعة الذي قاد أشجع يوم الأحزاب إلى النبي ﷺ ثم أسلم بعدُ وحسن إسلامه.

ومنهم أيضا فالج بن خلاوة الذي يضرب به المثل في التبري من الأمر، يقال: أنا منه فالج بن خلاوة؛ وذلك أنه قتل أنيساً الأسدي، فلما كان يوم الرقم قيل له: هل أحسست أنيساً؟ قال: أنا منه بريء.

ومعنى البيتين ومن أشجع عامر بن الاضطرب، الذي ألقى السلم إلى جيش المسلمين فقتله محلم بن جثامة الليثي، فدعا عليه النبي ﷺ فلم تقبله الأرض.

لهنا انتهي الكلام على الناس الذي هو قيس عيلان، فشرع يتكلم على أخيه إلياس عمود النسب؛ وذلك صنيعة يذكر عمود النسب ويؤخره حتى يُشعَّبَ إخوته فينزل عليه، لأنه الأصل والسلك والعرب جمائه كما قال: جُمَانُ سِلْكِ نَسَبِ النَّبِيِّ ... فقال رحمه الله:

(1) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

(2) آل عمران: 173.

الكلام على نسب إلياس

فِي صُلْبِ إِيَّاسَ لِحَيْرِ الْأُمَمِ تَلْبِيَّةٌ يَسْمَعُ مَنْ بِالْحَرَمِ

الصلب (بالضم وبالتحريك): الظهر. وإلياس سمي به لأنه أوّل من أخذ داء اليأس (وهو السل). وخير الأمم: النبي ﷺ، فالأُمم جمع أمة للرجل الجامع للخير، فالنبي ﷺ خير ذلك الجنس. والأمة: كل جيل من ولد كل حي، والنبي ﷺ خير كل مخلوق، والأمة: كل جماعة أرسل إليها رسول؛ فكل أمة خيرها رسولها، وخير كل رسول سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ. والتلبية: قول لبّيك.

يعني أن جميع من بمكة يسمع، إذا كان إلياس يلبي، تلبية النبي ﷺ في ظهره؛ وذلك يدل على إسلام إلياس بل على كونه من الأكابر، وإسلام إلياس يدل على إسلام جدوده كما تقدم.

ومن صنيعه رحمه الله أنه إذا كان في القبيلة مكرمة أو قصة دمج ذكر القبيلة في ذكرها.

أَوْلَادُهُ مِنْ خِنْدِفِ الشَّامِخَةِ قَمْعَةٌ، مُدْرِكَةٌ وَطَائِخُهُ

خندف (كزبرج): لقب زوج إلياس واسمها ليلي بنت حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاة؛ وسميت خندفا لأن إلياس لقيها يوما وهي تخندف، أي تمشي الخندفة - وهي مشية كالتبختر - فقال لها: إلى أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم. وقد خرجوا فنفرت إبلهم من أرنب،

فأدرك عمرو الإبل فسمي مدركة، وتَصَيَّدَ عامر الأرنب وطبخها فسمي طابخة، وقمع عمير الإبل فسمي قمعة. والشامخة: الرافعة بأنفها عزاء، ووصف بها خندفا لأنها تستحقه؛ وكل بني إلياس إذا أراد أحدهم أن يفتخر بنسبه يقول: من خندف⁽¹⁾، بل غلب انتسابهم إليها على انتسابهم إلى إلياس⁽²⁾.

قَمْعَةُ قَيْلٍ جَدُّ عَمْرِو بْنِ لَحْيٍ ذِي الْقُصْبِ فِي حَدِيثِ أَفْضَلِ لُؤْيٍ

قمعة (بالتحريك، وسكنه للضرورة): لقب عمير بن إلياس. والقُصْب (بالضم): المعى. والحديث الذي يعني: قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر

(1) ومنه قول قصي بن كلاب:

إني لدى الحرب رخيُّ اللَّبِّ أمَّهتي خندف وإلياس أبي

ويقول العجاج من رجز له:

فخندف هامة هذا العالم

وقال نصر بن سيار:

أنا ابن خندف تنميني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلان

(2) ومن خندف هذه عرب الحجاز وجُلُّ عرب نجد، فمنها قريش وكنانة أجمع وأسد ابنا خزيمه بن مدركة، وهذيل بن مدركة، ومنها أسلم وخزاعة - على القول بأنَّ أباهم عمرو بن لحي بن قمعة - ومنها تميم بن مر بن أد بن طابخة؛ وهي من أعظم قبائل العرب وأشجعها، وضبة بن أد بن طابخة، وسائر الرباب وهم: عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة وقيم بن عبد مناة بن أد وثور بن عبد مناة وعكل، وهم بنو عوف بن عبد مناة بن أد؛ ومنها مزينة وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة. وتنقسم مضر إلى قسمين: إلى قيس المتقدم ذكرهم، وإلى خندف الذين أخذ النازم في ذكرهم وبدأ بقمعة فقال رحمه الله وعفا عنه:

عمرو بن لحي: «رأيتُه يجر قصبه في النار وأشبهُ الناس به أكثم هذا»، يعني أكثم بن الجون، فقال أكثم: أضرني ذلك الشبه يا رسول الله؟ قال: «لا أنت مؤمن وهو كافر»، وأول الحديث عمرو بن لحي بن قمعة، ثم إن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين القائلين إن لحيًا: ابن حارثة الغطريف - والد الأوس والخزرج - لكن قال بعض النسابين إنه ابن حارثة بالتبني، وإن حارثة خلف على أم لحي بعد قمعة فتبناه؛ وهذا القول جامع بين الحديث وكلام النسابين.

أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ أَكْيَاسَ الْحَرَمِ لِكُفْرِهِ عَلَى عِبَادَةِ الصَّنَمِ

الأكياس: جمع كيس، أي عاقل. يعني أن عمرو بن لحي هو أول من حمل أهل الحرم على عبادة الأصنام، لأنه كان كثير المال كثير الإنفاق⁽¹⁾.

(1) قال في الروض الأنف: كانت العرب قد جعلت عمرو بن لحي ربا لا يتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم؛ فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى أنه اللات الذي يلت السوق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات، ويقال إن الذي يلت كان من ثقيف، فلما مات قال عمرو إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة؛ ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات. ويقال دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة، فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذ صنما يعبد - اهـ.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مئاب - من أرض البلقاء - وبها يومئذ العماليق، وهم ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يقال له هُبُلُ، فقدم به مكة

<<=

عمرو بن لحي وابتداعه عبادة الأصنام

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمَا إِذْ أَحْدَثَا فَمُسَخَا أَهْلُهُمَا
وَصَلَبًا عَلَى الصِّفَا لِيَتَّعِظَ عَنِ الزَّنى بِمَكَّةِ كُلُّ يَقِظٍ

يعني أن من كفر عمرو بن لحي أن جرهماً قبل أحدث منهم رجل وامرأة في الطواف، أي تلامسا عن ريبة - وقيل زنيا - فمسخا حجرين، لعظم حرمة الحرم، فأخرجهما أهلهما - وهم جرهم - وصلبوهما على الصفا ليتعظ ويتذكر وينتهي عن الزنى ونحوه كل يقظ، أي كل منته غير نائم عن العواقب. والرجل اسمه إساف (ككتاب أو سحاب) ابن عمرو، والمرأة اسمها نائلة بنت سهل؛ فجرا في الكعبة فمسخا حجرين. فقال عمرو بن لحي: حقهما أن يعبدا فعبدتهما؛ قيل أدخلهما، وقيل وضع أحدهما على

--- >>

فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه لا يظعن من مكة ظاعن منهم - حين ضاقت عليهم والتمسوا التفسح في البلاد - إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى خرج بهم ذلك إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى أتت بذلك قرون ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات.

وفي الزرقاني قال: صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم عليه السلام على دينه، لم يكفر منهم أحد إلى أن جاء عمرو بن لحي؛ فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم، وكان زمنه قريبا من زمن كنانة.

الصفاء والآخر على المروة، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة؛ ثم عبدتهما قريش.
وأول عبادة عمرو بن لحي الأصنام أنه خرج إلى العمالق فوجدهم
بالشام يعبدون الأصنام، فاستوهم منها فأعطوه واحدا فقدم به مكة،
قيل هو هبل، صنم قريش الذي قال له أبو سفيان يوم أحد: اعلُ هبلُ،
فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه «قولوا له: الله أعلى وأجل»⁽¹⁾.

مَلِكٌ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَسَمَلُ عَنْ شُكْرِهَا أَعْيُنَ عِشْرِينَ جَمَلُ
وَكَادَ يُعْبَدُ، فَكُلُّ مَا أَمَرُ بِهِ مِنَ الْمُخْتَلَقَاتِ يُتَدَرُّ

يعني أن عمرو بن لحي مع ابتداعه عبادة الأصنام وحمله العرب وذوي
العقول من أهل مكة على الكفر، أعطاه الله ما لم يعط غيره من الأموال،
حتى أنه ملك أربعين ألف ناقة - استدراجا وإملاء له (حسبنا الله ونعم
الوكيل) - فزعم أن شكر ذلك أن يسمل - أي يفقأ - عن كل ألف عين
فحل؛ فسمل عيون عشرين جملا شكرا للأربعين الألف، كالزكاة! قال
تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾،
وقال تعالى جوابا لقول المترفين الكافرين: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا
وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ﴾⁽³⁾، أي مطيعا كان، كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأنس بن

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) الأعراف: 182.

(3) سبأ: 35-36.

مالك وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من الصحابة والصالحين بعدهم، وعاصيا؛ كعمرو بن لحي والوليد بن المغيرة وغيرهما إلى الآن.. لأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، كما قال صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾⁽²⁾. وكاد الناس يعبدون عمرو بن لحي لمساعدة الدنيا له بكثرة الأموال، لأن الناس أعوان من أعانتهم دولته⁽³⁾، ولكثرة إحسانه عليهم؛ فكان يطعم أهل المواسم ويكسوهم كلهم وينفق كثيرا.. إلى أن أحبته القلوب، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، وأفعال الأبدان منقادة إلى أهواء القلوب. فبسبب ذلك كان الناس يتدرون كل ما أمر به مما اختلقه، ولو خالف ما كانوا عليه من الدين ومكارم الأخلاق⁽⁴⁾.

كَالْوَصْلِ وَالْبَحْرِ وَكَالتَّسْيِبِ وَكَالْحِمَايَةِ وَكُلِّ رَيْبٍ
وَتَصِلُ الْأَخَ الْعُنَاقُ وَتَقِي مِنْ ذَبْحِهِ لَالِهَاتِ الْأَخْرِقِ

(1) «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها..» - [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

(2) الزخرف: 33.

(3) يشير إلى قول الشاعر:

الناس أعوان من والته دولته وهم عليه إذا خانتهم أعوان

(4) ثم ذكر بعض مختلقات عمرو بن لحي التي سنّ لهم، فقال رحمه الله:

بَحِيرَةٌ فَعِيلَةٌ مِنْ بَحَرًا تُشَقُّ طَوْلًا أُذُنُهَا بِلا امْتِرًا
 إِنْ وَلَدَتْ عَشْرًا وَلِلذُّكُورِ يَحِلُّ لَحْمُهَا عَلَى الْمَسْطُورِ
 وَسَيِّبُوا لِنَاقِهِ وَقَادِمِ تَقَرُّبًا كَالْعَتَقِ فِي الْعِظَائِمِ
 وَالْفَحْلُ يَحْمِي ظَهْرَهُ إِنْ وَلَدَا وَلَدُهُ أَوْ رِيضٌ فِيمَا وَرَدَا

البحر في اللغة: الشق، ويكون ضد الوصل. والتسيب: الإهمال.
 والحماية: الوقاية. والريب: ما يُريب أي يشكك، وهو أصل السوء.
 والعناق: الأنثى من أولاد المعز. والأخرق: الأحمق، وأراد به ذم عمرو بن
 لحي. وآلهته: الأصنام، ثم شرع في تفسير مَخْلَقَاتِهِ فقال: وتصل الأخ: يعني
 أنهم بنوا فعيلة - بمعنى فاعلة - من وصل، وذلك أن الشاة إذا ولدت ذكرا
 وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلا يذبحون الذكر لآلهتهم؛ أو هي شاة تلدُ
 ذكرا ثم أنثى فلا يذبحون أخاها من أجلها، فإن ولدت ذكرا قالوا هذا
 قربان لآلهتنا. وقيل الوصلة من الشاء التي ولدت ستة أبطن، عناقين
 عناقين، فإذا ولدت في السابعة عناقا وجديا قالوا وصلت أخاها، فلا
 يشرب لبنها إلا الرجال. وبحيرة: بناء فعيلة - بمعنى مفعولة - من فَعَلَ بِحَرَ،
 وفسر ذلك بقوله: تشق طولاً أذنفا. وترك مشقوقة غير مقطوعة فيكون
 ذلك سمة لها. بلا امتراء: أي بلا شك، وهو تميم.

قوله: إِنْ وَلَدَتْ عَشْرًا: يحتمل فتح الهمزة من أن فتكون مصدرية
 للتعليل، أي تبحر لأجل ولادتها عشرة أبطن؛ ويحتمل كسر همزتها على
 أنها شرطية، أي تبحر الناقة إِنْ وَلَدَتْ عَشْرًا.

وفي شرعهم أن البحيرة يأكل الرجال لحمها ويحرم على النساء. وجمع البحيرة: بحر، وقد توجد منها إبل كلها بحر، قال الشاعر يصف روضا:

بعازب النَّبْت يرتاع الفُؤَاد له رأَدَ النهار بأصوات من النعر
والأزرق الأخضرُ السربال منتصبا قيد العضا فوق ذيال من الزهر
به من الاخرج الوضاح قرقرة هدر الدبابي وسط الهجمة البحر

قوله: وسيبوا: أي واختلقوا أيضا السائبة، وهي الناقة تهمل فلا تركب ولا تمنع من كلاً ولا ماءً لنذر إذا نقه أحدُهم من مرض — أي برئ بعض البرء أو أفاق من مرضه — أو قدم من سفر بعيد، أو نجح من حرب أو مشقة؛ وإنما يفعلون ذلك تقرباً، كما نفعل نحن في الأمور العظام من العتق. ومما اختلقوا أيضا الحماية، وهي أن الفحل إذا أدرك نتاج نتاجه قالوا حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه وكذلك إذا ريض ولده، أي ذُلَّ⁽¹⁾.

وَالْعُرْبُ قَبْلُ مُتَدَيِّنُونَ بِمِلَّةِ الْخَلِيلِ يَعْمَلُونَ

* *

وَهُوَ أَبُو خُزَاعَةٍ وَأَكْثُ شَبَّهَهُ بِهِ النَّبِيُّ مِنْهُمْ

يعني أن العرب قبل مختلقات عمرو بن لحي متدينون: أي أصحاب دين، أي إسلام، يعملون بملة إبراهيم الخليل، عليه السلام. وبقي منها أربع خصال لم تنسخ إلى أن بعث نبينا محمد ﷺ؛ وهي: الحج والنكاح والاغتسال من الجنابة وقرى الضيف (والله أعلم). قال السهيلي: يدل

(1) وقد تحدث القرآن العظيم عن هذه المختلقات في مواضع مختلفة من سورة الأنعام.

خطاب العرب بالطهارة على أنهم كانوا عارفين لها، قال تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾⁽¹⁾، ولم يصف لهم الطهارة كما وصف لهم الوضوء، بقوله تعالى ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾⁽²⁾.. إلى آخر الوضوء، ولو كانوا يعرفون الوضوء كما يعرفون الطهارة لقال فتوضأوا. قوله: وهو أبو خزاعة: يعني قبائل خزاعة؛ وهم: كعب، وعدي، وسعد، ومليح، وسلول.

أما كعب فمنهم عمرو بن سالم الذي استصرخ لخزاعة، حين غدرت بهم بنو بكر بن كنانة، النبي ﷺ بقوله:

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأثلدا

(القصيدة)

فقال له النبي ﷺ: «لا نصرني الله إن لم أنصرك»، وقال، وقد استهلت عليهم سحابة: «إن هذه السحابة لتستهل لنصر بني كعب»⁽³⁾.

وأما سعد فمنهم بنو المصطلق - واسمه خزيمة - بن سعد، أهل أمنا جويرية؛ وسمي المصطلق لحسن صوته، وهو أول من غنى من خزاعة.

وأما عدي فمنهم بديل بن ورقاء بن عبد العزى، الصحابي، أسلم يوم الفتح هو وابنه عبد الله وشهدا ما بعد الفتح، وقيل أسلم عبد الله قبل

(1) المائة: 6.

(2) المائة: 6.

(3) رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة.

الفتح. وكان عبد الله سيد خزاعة، وكان مع ابن عامر في فتوحه، وهو الذي صالحه مع أصبهان زمن عثمان، ثم كان مع علي في الجمل وصفين؛ وفي صفين يقول:

لم يبق إلا الصبر والتوكل ثم التمشي في الرعيل الأول
مشي الجمال في حياض المنهل والله يقضي ما يشا ويفعل

وكان عليه درعان ومعه سيفان يضرب بهما، حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه هو وأصحابه، فرموه بالحجارة حتى أثخنوه فقتلوه، وأقبل عليه معاوية وعبد الله بن عامر، وألقى عليه ابن عامر عمامته وقال لمعاوية: والله لا يُمثل به وفي روح، فقال معاوية: وهبناه لك؛ فكشف معاوية عن وجهه فقال: هذا كبش القوم ورب الكعبة.

وأخوه نافع بن بديل قتل يوم بئر معونة، وفيه قيل:

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغي ثواب الجهاد

قوله وأكثم: هو إلى المثلثة أقرب، لأن المجد⁽¹⁾ أهمله - ويقل فيه ذلك - وذكر آخرين بالمثلثة، ولم يذكر في المثناة معنى يُسلط عليه به. قوله: شبهه به النبي.. إلخ: أي ومن خزاعة ثم من بني كعب أكثم بن الجون؛ وتقدم هذا التشبيه في حديث عمرو بن لحي.

عَمْرَانُ الْمُعَايِنُ الْمُكَلَّمُ قَعِيدُهُ حَتَّى اكْتَوَى قَرْمَهُمُ

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط.

يقول إنَّ عمران بن حصين قزم: أي سيد خزاعة، وهو أيضا من كعب
ثمَّ من بني غاضرة، وكان يرى بعينه قعيده، أي حفظته، قال تعالى ﴿عَنِ
الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾⁽¹⁾، ويكلمهم ويأنس بهم، حتى أصابه مرض
فاكتوى، فغابوا عنه؛ فقال: يا رسول الله ما بال قوم كنت آنس بهم
وأراهم؟ فقال: «لَعَلَّكَ اُكْتُوتَ»⁽²⁾؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه
وسلم: «سبعون ألفا من أمتي لا حساب عليهم الذين لا يكتوون ولا
يُسْتَرْقُونَ وعلى ربهم يتوكلون»⁽³⁾، قال القاضي عياض وغيره: ولا يختص
عدم الحساب بالمتوكلين الذين لا يكتوون ولا يسترقون، لأن النبي ﷺ
تداوى من الأمراض واسترقى من السحر وجاءه ذلك من ربه تعالى، وأمر
بالتداوي والرقية وأمر الله تعالى بالأسباب، لكن لم ينه عن التوكل معها؛
كما قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن أمية الضمري: «بل قيدها
وتوكل»⁽⁴⁾، ولو كان في السبب غضاضة لما رَبط النبي ﷺ البراق في الحلقة
التي كان الأنبياء يربطونها فيها - (انتهى قول القاضي وغيره بالمعنى
والاختصار).

(1) سورة ق: 17.

(2) ذكره في المواهب اللدنية.

(3) رواه البزار عن أنس. وحديث «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا...» متفق عليه.

(4) رواه ابن خزيمة والطبراني.

يكنى عمران أبا نُجَيْد⁽¹⁾، أسلم عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة؛ وكان يحدث عن إسلامه وقال: أتيت النبي ﷺ فجعل يحدثنا ببَدْءِ الوحي، فقال قائل: يا ابن الحصين راحلتك انفلتت، فقامت فرأيتها يتقطع السراب من دونها وليتني تركتها. مروياته من الحديث مائة وثمانون، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة؛ وكان عبد الله بن عامر استقضاه عليها فاستعفاه، ففعل. وكان مجاب الدعوة ويذكر أن الدعاء يستجاب عند ذكره. وأبوه حصين بن عبيد بن خلف بن عبدنهم، صحابي؛ قال له النبي ﷺ: «من تعبد؟» قال: عشرة آلهة، قال: «وما هم وأين هم؟» قال: تسعة في الأرض وواحد في السماء، قال: «فالغ التسعة»⁽²⁾.

كثيرٌ، بديلٌ، أمٌ معبدٌ، دِعْبِلُ هَاجِي الخلفاءِ المعتدي

يعني ومن خزاعة - بالإجمال - كثير وبديل بن ورقاء - وتقدم الكلام عليه - وأم معبد ودعبل (كزبرج)، الذي كان يهجو خلفاء بني العباس. والمعتدي: المجاوز حده.

كثير عزة

أما كثير فهو لقبه، وهو بالتصغير، وكنيته أبو جمعة، واسمه عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي؛ الشاعر المشهور وكان رافضياً،

(1) بنون وجيم، مصغرا - [الإصابة].

(2) رواه أبو داود وأحمد.

وكان يحقق متكبرا جدًّا، ويقال له كثير عزة - ينسب إليها⁽¹⁾ - لشدة كلفه بها. وكان معاصرا لجرير والفرزدق وذي الرمة ونصيب. ومن أحسن شعره في عزة قصيدته:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت

ومن شعره فيها أيضا قوله:

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة ممطول معني غريمها⁽²⁾

(1) وعزة هذه بنت حُميل بن حفص الحاجبية من بني حاجب بن غفار. ومن شعره فيها:

وددت - وما تغني الودادة - أني بما في ضمير الحاجبية عالم
فإن كان خيرا سرنى وعلمته وإن كان شرا لم تلمني اللوائم
وما ذكرتك النفس إلا تفرقت فريقين منها عاذر لي ولائم
فريق أبي أن يقبل الضيم عنوة وآخر منها قابل الضيم راغم

(2) وقال فيها أيضا:

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة بعيران نرعى في الخلا ونعذب
كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقل على حسنهما جرتي فتغدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله علينا فما ننقك نرْمى ونضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة هجان وأني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

فقال له عمر بن أبي ربيعة: ويلك تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمي والطرْد والمسخ، فأبي مكروه لم تمنَّ لها ولنفسك؟ ولقد أصابها منك قول الأول: معاداة عاقل خير من مودة أحمق، فحجل كثيرٌ وضحك منه أهل المجلس، وفيهم الأحوص ونصيب وغيرهما من الشعراء.

قيل إن أم البنين بنت عبد العزيز سألتها عن هذا الدين؟ فقالت: وعدته بقُبلة فلم أنجز، فقالت: أنجزها وعلي إثْمُها!.

وكان مداحا لعبد العزيز بن مروان؛ فمدحه مرة فقال له: تَمَنِّ، فقال: تجعلني مكان كاتبك "ابن رمانة"، فقال: ويحك هو كاتب وأنت شاعر، ويعدون ذلك من حمقه. ورُوي أن عبد العزيز أرسل يوما إلى عزة فأدخلها بيتا وأسبل عليها سترا، فأرسل إلى كُثَيِّر وقال له: سلمي حاجتك كائنة ما كانت. فقال: أرضك الفلانية ومائة ناقة برعاتها، فقال: هل تريد غير ذلك؟ قال: لا، قال عبد العزيز: يا غلام ارفع الستر، فنظر فإذا عزة، فأنشأ يقول:

عجبت لتركي خُطَّةَ الرشد بعدما	بدا لي من عبد العزيز قبولها
حلفت برب الراقصات إلى مني	يجوب الفيافي نصُّها وذمُّها
لئن عاد لي عبدُ العزيز بمثلها	وأمكنني منها إذن لا أقبلها

ومن شعره فيها أيضا، وقد هجرته زمانا ثم حجت، فلما قفلت من الحج مرت بجمل لكثير في مطايا الحاج فسلمت عليه؛ فسمع بذلك كثير فقال:

حَيْتُكَ عزة بعد الحج وانصرفت	فَحَيِّ ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها	مكان يا جمل حيث يا رجل
لو كنت حيثها ما زلت ذا كرم	عندي ولا مَسَّكَ الإدلاج والعمل

وفي عبد الملك بن مروان يقول:

إذا هَمَّ بالأعداء لم تثنِ هَمُّه	حصان عليها نظمٌ دُرٌّ يزيناها
نهته فلما لم تر النهي عاقه	بكت فبكى مما شجاها قطينها

ولما أراد عبدُ الملك المسير إلى مُصعب بن الزبير نهته زوجته عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية، فلما لم ينته بكت فبكى لبكائها حشمها؛ فقال عبد الملك: قاتل الله أبا جمعة كأنه شاهد يومنا هذا، ثم قال: علي بأبي جمعة. فقال [له]: إن أنت أخبرتني عن بيتين من شعرك وردا علي اليوم أخبرتك بما تحدثك به نفسك، فقال: ما هو إلا أنك نهتك عاتكة بنت يزيد عن المسير، فلما امتنعت بكت فبكى معها خدماها؛ قال: صدقت، وأنت تقول لك نفسك أنا أشقى الناس.. أخرج مع رجل ليس علي ديني إلى رجل هو أحب الناس إلي، فقال: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين. وكثير من بني غاضرة؛ وهم من كعب. وأما بديل فتقدم الكلام عليه قريبا وأنه من عدي.

أم معبد وخبرها مع النبي ﷺ

وأما أم معبد فهي من بني كعب أيضا، وهي عاتكة بنت خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم صاحبة الشاة. ومن خبرها أنها وجدها النبي ﷺ وأصحابه بقديد في فناء خيمة، فأنأخوا؛ ثم قال النبي ﷺ: «هل من قري؟» - وكانوا مرملين عليهم أثر السفر جدا - فقالت: لا والله، ولو كان عندنا لقدمناه لكم، ثم قال: «ما هذه الشاة التي بكسر الخيمة؟» فقالت: شويهة خلّفها الجهد، فقال لها النبي ﷺ: «أتأذنين لي في حلبها»⁽¹⁾؟ فقالت: بأبي أنت وأمي هي أجهد من ذلك وإن شئت

(1) سيرة ابن كثير: (260/1)

فاحلبها؛ فأمر النبي ﷺ أصحابه فأخرجوها من الخيمة، فنفض ضرعها بيده
الكريمة فتفاجت ودرت، فأمر بعُس⁽¹⁾ فحلب فيه حتى ملأه، فناول أبا بكر
فقال: بل أنت فاشرب يا رسول الله، فقال: «ساقى القوم آخرهم
شرباً»⁽²⁾، ثم ناول القوم واحداً بعد واحد - وهم ثلاثة: أبو بكر ومولاه
عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن الأريقط - حتى رووا، ثم حلب
فشرب، ثم حلب حتى ملأ العُس فتركوه عندها وساروا.

فلم تلبث أن جاء زوجها يسوق شياها يتساوكن⁽³⁾ هزالاً، فقال: يا أم
معبد ما بال هذا اللبن عندكم والغنم عازبة؟ قالت: ما هو إلا أن مر بنا
رجل مبارك من أمره كيت وكيت.. فحلب هذه الشويهة حتى أروى
أصحابه ثم حلبها فخلّف عندنا هذا الإناء مملوءاً لبناً، فقال: صفيه يا أم
معبد، فوصفته فأحسنت، فقال: هذا والله صاحب قریش الذي يزعمون
أنه ساحر وهو نبي، والله لألحقن به أو لأجهدن، فتبعه حتى لحقه فأسلم
وباع.

وكان آل أم معبد يؤرخون بذلك اليوم، يقولون: يوم الرجل المبارك.
وقدمت بعد ذلك أم معبد المدينة، ومعها بُني لها صغير فرأى النبي ﷺ
يخطب، فأتاها يشتدُّ يقول: أي أمّاه إني رأيت الرجل المبارك، فقالت: أي

(1) العُس (بالضم ومهملتين): القدح الضخم يروي الثلاثة والأربعة أو أكثر، وفي حديث
المنحة: «تغدو بعُس وتروح بعُس».

(2) رواه البيهقي في الدلائل، ورواه مسلم وأبو داود في غير هذا السياق.

(3) التساوكن: السير الضعيف.

بُنِيَ ذلك رسول الله ﷺ.

وبقيت عندهم هذه الشاة إلى آخر خلافة عمر، وكانت عام الرمادة عندهم تأدم لآل أم معبد وجيرانها، قاله هشام⁽¹⁾ أخو أم معبد. قاله السهيلي وغيره، وقال: اختلف فيها هل هي نعجة أم عنز؟ والأصح أنها نعجة بيضاء.

وأما دعبل فهو ابن عبد الله بن زيد بن إسماعيل الخزاعي، الشاعر المشهور⁽²⁾. كان مولعا بالهجو، هجا الخلفاء ومن دونهم، وطال عمره،

(1) هشام هذا ابن حبيش عمته أم معبد فهو ابن أخيها ويلقب الأشعر ويكنى أبا صخر، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: أنا رأيت الشاة وإنها لتأدم لأم معبد وصرمها - أي أهل ذلك الماء - عام الرمادة.

(2) وقيل هو ابن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء، واختلف في اسمه، فقيل الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد، واشتهر بلقبه دعبل، وقيل في نسبه وأصله غير هذا. وكان فصيحاً أدبياً شاعراً عظيم الشأن عليّ المنزلة؛ واشتهر بالتشيع، وكان ذلك مما دفعه إلى هجاء الخلفاء العباسيين، وله في مدح آل البيت وذكر مناقبهم جمعا وفردا ورثائهم وما أصابهم من الكوارث وألم بهم من الرزايا والحوادث.. قصائد كثيرة منها قوله:

لو كنت أركنُ للدنيا وزينتها	إذن بكيت على الماضين من نفري
أخني الزمان على أهلي فصدهم	تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر
بعض أقام وبعض قد أهاب به	داعي المنيّة والباقي على الأثر
أما المقيم فأخشى أن يفارقني	ولست أوبة من ولّي بمنتظر
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي	كحالم قص رؤيا بعد مدّكر
لولا تشاغل نفسي بالألى سلفوا	من أهل بيت رسول الله لم أقر

إلى أن يقول:

<<=

وكان يقول: لي خمسون سنة وأنا أحمل خشبتين على كتفي أدورُ بهما على من يصلبني عليهما فما وجدت من يفعل⁽¹⁾! وهو المشهور بأبي

-- >>

أنسى الحسين ومسراهم لمقتله	وهم يقولون هذا سيد البشر
يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن	حُسنِ البلاءِ على التنزيل والسور
خَلَقْتُمُوهُ عَلَى الْأَبْنَاءِ حِينَ مَضَى	خِلَافَةُ الذُّئْبِ فِي أَبْقَارِ ذِي بَقَرِ
وليس حي من الأحياء نعلمه	من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دِمَائِهِمْ	كما تشارك أيسار على جزر
قتلا وأسراً وتحريقاً ومنهبة	فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمة معذورون إن قَتَلُوا	ولا أرى لبني العباس من عذر

إلخ..

(I) وتوفي دعبل سنة ست وأربعين ومائتين، ومن شعره:

أحببت قومي ولم أعدل بهم أحداً	قالوا تعصبت جهلاً قولَ ذي بهتٍ
دعني أصل رحي إن كنت قاطعها	لا بدَّ للرحم الدنيا من الصلة
فاحفظ عشيرتك الأدين إن لهم	حقاً يفرق بين الزوج والمرّة
قومي بنو مذحج والأزد إخوتهم	وآل كندة والأحياء من غلّة
ثبت الحلوم فإن سلّت حفائظهم	سلّوا السيوف فاردوا كلّ ذي عنّت
لا تعرضنّ بمزح لا مرئ طبن	ما راضه قلبه أجراه في الشفة
فرُبّ قافية بالمزح جارية	مشؤومة لم يُردّ إنماؤها نمت
إني إذا قلت بيتاً مات قائله	ومن يقال له والبيت لم يمت

وله أيضاً:

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِ غَيْرُ شَامَتِ	وغيرُ عدو قد أصيبت مقاتله
يقولون إن ذاق الردى مات شعره	وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضي بيت يحمد الناس أمره	ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردي الشعر من قبل أهله	وجيده يبقى وإن مات قائله

الشيص⁽¹⁾، وكان صديقا لأبي البختری الشاعر، ومات قبله هو وأبو تمام
فرثاهما أبو البختری بقوله:

قد زاد في كلفی وأوقد لوعتي مئوی حبيب يوم مات ودُعبل
أخوان لم تزل السماء بخيلة تغشاهما بسماء مزن مسبل

ومر خزاعة، ثم من كعب: بشرُ بن أبي سفيان، بعثه النبي ﷺ في غزوة
الحديبية وحده عينا. قال السهيلي: يؤخذ من هذا جوازُ أن يسافر الرجلُ
وحده إذا مسَّت إليه الحاجة؛ ويفهم من كلام السُّهيلي أنه لا يجوز إلا إذا
مسَّت الحاجة، وهو موافق لقوله ﷺ: «الواحد شيطان»⁽²⁾.

ومنهم أيضا خراش بن أمية، بعثه أيضا النبي ﷺ يوم الحديبية إلى قريش
على جملة الثَّعلب، فعقروا الحملَ وأذوه. وهو الذي حلق رأس النبي ﷺ
يومئذ. ومنهم ذو الشمالين عميرُ بن عبد عَمْرِو الذي شهد بدرا واستشهد
بها. ومنهم معتب بن عوف، الذي يقال له ابن الحمراء، هاجر الحبشة
وشهد بدرا وأخى النبي ﷺ بينه وبين ثعلبة بن حاطب.

ومن خزاعة أيضا: أبو كبشة، الذي تُشَبَّه به قريش النبي ﷺ. ومنهم
أيضا أبو غُبْشان. ومنهم قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة، ولد أوَّلَ سنة من
الهجرة وقيل عام الفتح، وأتى به النبي ﷺ فدعا له، فكان ذا علم وفقه؛

(1) وقيل أبو الشيص لقب ابن عمه محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي، الشاعر المتوفى سنة
ست وتسعين ومائة.

(2) رواه الترمذي وأحمد.

وأبوه ذؤيب بن حلحلة صحابي، بعث معه النبي ﷺ الهدي إلى مكة وقال له: «إِنْ عَطِبَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْحِرْهُ وَخَلِّ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُ»⁽¹⁾.

ومنهم عمرو بن الحمق؛ والحمق (ككتف): الخفيف اللحية، شهد مع علي حروبه، ثم فر من زياد وأتى الموصل فدخل في غار فنهشته به حية فمات، وبعث صاحب الموصل برأسه إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وذكر السهيلي قولاً بأن أول رأس حمل في الإسلام رأس أبي عزة الجمحي. قلت: ولو صح ذلك لما كرهه الفقهاء.

ومن خزاعة أيضاً بالولاء، وتيم بالنسب، وزهرة بالحلف: سيدنا خبّاب بن الأرت؛ قيل إنه تيمي النسب أصابه سباء فبيع من خزاعة بمكة وأعتقته امرأة من خزاعة فحالف بني زهرة⁽²⁾.

(1) رواه ابن ماجه والدارمي، ومسلم بلفظ قريب من هذا.

(2) ومن خزاعة أيضاً طلحة الطلحات الجواد المشهور، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، أضيف إلى الطلحات لأنه فاق في الجود خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة؛ وهم: طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وطلحة الدراهم وطلحة الندى، قال الناظم في الغزوات:

فالطلحات خمسة سوى العلم	فطلحة الجود ابن عمه الخضم
وطلحة الخير وطلحة الندى	إلى الحسين وابن عوف اسندا
وطلحة الدراهم العتيق	جَدُّ أبيه بالْعُلا حقيق
سادسُها طلحتها الخزاعي	أجودُهم كُلا بلا نزاع

وقيل سمي بذلك لأنه كان في أجداده جماعة اسم كل واحد منهم طلحة. وقيل إنما سمي

<<=

هنا انتهى الكلام على قمعة فشرع يتكلم على أخيه مدركة عمود النسب، وخالف عادته⁽¹⁾ فقال رحمه الله:

نسب مدركة

مُدْرِكَةٌ مِنْهُ هُذَيْلُ الَّذِي مِنْهُ خُنَاعَةٌ⁽²⁾ الَّتِي مِنْهَا احْتُذِي
أَصِيلُ شَوْقِ النَّبِيِّ مَكَّتَهُ وَزَوْجَهُ بِوَصْفِهِ فَأُسْكَّتَهُ

--- >>

بذلك لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة وأخوها طلحة بن الحارث، فقد تكنفه الطلحات فعرف بهذه الإضافة من غيره من الطلحات. وكان والي سجستان وبها مات، ومما مدح به قول سحبان وائل البليغ المشهور:

يا طلح أكرم من مشى حسباً وأعطاه لتالذ
منك العطاء فأعطني وعليّ حمدك في المشاهد

فحكّمه وأعطاه ما أراد. ورثاه ابن قيس الرقيات بقصيدة منها:

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات
كان لا يخرم الخليل ولا يعـ تل بالبخل طيب العذرات
بسط الكف بالنوال إذا ما كان جود البخل حبس العذات

(والعذرات: أفنية الدور).

(1) فقدم مدركة - عمود النسب - على فروع بني طابخة بن إلياس، وذلك لقلّة مدركة غير عمود النسب، وكثرة بني طابخة.

(2) ولد مدركة بن إلياس رجلين هما: خزيمة - عمود النسب - وهذيل، وهذيل من الولد سعد وجناب وعميرة وهرمة ولحيان، وتفرعت منهم بطون كثيرة؛ فمن بني سعد بنو صاهلة وبنو صبيح؛ فمن بني صاهلة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي، ومن بني صبيح أبو كبير الهذلي، ومن بني عميرة بن هذيل بطن يقال له خناعة بن سعد بن عميرة؛ وقد تفرع من خناعة ثلاثة بطون هم: بنو الحارث وعوف ومعاوية بنو تميم بن خناعة.

خناعة (كثامة) بن سعد بن هذيل. واحتذي: قطع. وأصيل (كزبير) بن عبد الله، أي قبيلته التي هو منها كأنه قطع منها؛ ويحتمل أنه قطع منها بسابقة الإسلام. وزوجه: يعني أمنا عائشة.

قدم من مكة فوجد النبي ﷺ مع عائشة فقال له: «كيف تركت مكة؟» قال: تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثامها وأغدف اذخرها وأمشر سلمها! فقالت عائشة: يا رسول الله اسمع ما يقول أصيل. فقال صلى الله عليه وسلم: «اسكت يا أصيل شوقتنا»⁽¹⁾. وقيل إن عائشة هي التي سأله كيف تركت مكة. (قوله: حين ابيضت أباطحها: يعني أنها أمطرت فبيضت السيول أباطحها وأنقتها من الأوساخ. وقوله: وأحجن ثامها أي خرجت حجنته، وهي التي تخرج من رأس العود. وقوله: وأغدف اذخرها أي صار كلون الغداف وهو الجناح الأسود أو الشعر الأسود. وقوله: وأمشر سلمها صارت فيه المشرة، وهي الخوص أو هي نعومة الأغصان).

وَمِنْ هُذَيْلٍ صَاحِبُ السَّوَادِ وَالسَّرُّ وَالسَّوَاكِ وَالْوِسَادِ
وَالنَّعْلِ وَالسَّتْرِ لَدَى الْمُغْتَسَلِ وَالِإِذْنِ فِي الْمَجْلِسِ مَا لَمْ يُعْزَلِ
وَهُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ مُبَشِّرُ النَّبِيِّ بِرَأْسِ عَمْرِو بْنِ هِشَامِ الْغَبِيِّ

السواد: الشخص⁽²⁾. والسر هنا: سر النبي ﷺ في نفسه، كان يفشي إليه

(1) ذكره في الإصابة.

(2) والمراد به هنا شخص النبي صلى الله عليه وسلم. يعني أن من هذيل بن مدركة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي عرف بصاحب سواد النبي صلى الله عليه وسلم، لقول

ما يريد أن يفعل ومَن يريد غزوه، ويوري لغيره. وأما سره لحذيفة فهو إخباره بما سيكون من الفتن ونحوها إلى يوم القيامة وإفشاء أسرار المنافقين وتعيينهم، حتى كان عمر إذا دعي لجنازة لا يخرج إليها حتى يخرج حذيفة إليها لعلمه أنه يعلم المنافق من غيره.

وأما علم السر، الذي هو علم الحقيقة، فلم يرمز به إلا لأبي بكر وعلي؛ ولذلك كانت طريقتاه إليهما، أمّا الجيلية فأبى بكر وأما الشاذلية فأبى علي. والله تعالى أعلم.

ومعتمدي في هذا ما اقتطفت من كتب أهل الحقيقة، وقولي لم يرمز: لأنهم قالوا لم يتكلم فيه إلا بالرمز والإيماء. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه، وعلم أمرني بكتمانه، وعلم خيرني فيه⁽¹⁾»، أو كما قال ﷺ. أما الذي أمره بإفشائه

-- >>

رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «لا يفارق سوادي سوادك»، أي شخصي شخصك، أي حتى أنهاك. وهو أيضا صاحب سره وسواكه ووساده ونعله وطهوره، أي يستره إذا أراد أن يغتسل؛ وهو الذي بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر برأس أبي جهل الغبي، أي الذي لا فطنة له.

(1) ذكر هذا الحديث غير واحد كالصاوي على الجلالين وروح المعاني للألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.. الآية، وذكره صاحب روح البيان والشيخ سيد المختار الكنتي في جذوة الأنوار وفي فتح الودود عند قول ابن مالك [في المقصور والممدود]:

كفى بالفنا قوتا لنفيس فناؤها قريب.. إلخ..

وقد قيل إنه حديث موضوع.

فظاهر أنه علم الظاهر، وأما الذي خيره فيه فيشبه أن يكون علم الحقيقة لإيمائه به إلى بعضٍ وكتمانه عن بعض، وكل ذلك نصيحةٌ منه صلى الله عليه وسلم وأداء لأمانته؛ وأما الذي أمره بكتمانه فما يعلمه سواه غير الله وحاشا رسول الله ﷺ أن يخالف أمر ربه حيا أو ميتا.

ترجمة عبد الله بن مسعود

يعني ومن هذيل: الذي قال له النبي ﷺ: «لا يفارق سوادك - أي شخصك - سوادي حتى أنهاك»⁽¹⁾؛ وكان يقال له صاحب السواد، وهو أيضا صاحب سره - كما قدمنا - وصاحب سواكه، كلما أراد الاستياك أتاه به؛ وكان يحفظ عليه وساده ويأتيه به، وكان يلبسه نعله ويعلق النعل في ذراعه، ويستره إذا أراد أن يغتسل، ويوقظه إذا نام، ويمشي أمامه. قوله: والإذن في المجلس ما لم يعزل: يعني أنه كان النبي ﷺ يقول له: «إذني لك ما لم أعزلك عني»⁽²⁾، أي حتى أقول لك اخرج عني في هذه الساعة. والله تعالى أعلم.

قوله: وهو ابن مسعود: أي وهذا الذي هذه أوصافه: عبد الله بن مسعود بن غافل (بالفاء والغين المعجمة) ابن حبيب بن شمش بن فار بن

(1) رواه مسلم، وذكره ابن سعد: (109/3).

(2) رواه مسلم والطيالسي وذكره ابن سعد.

مخزوم بن صاهلة⁽¹⁾، أبو عبد الرحمن؛ أمه أمُّ عبد - كُنيت به لأن قريشا كانوا يقولون له ابن أم عبد - بنت عبد بن عبد ود⁽²⁾. أسلم قديما وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والحديبية وصلى إلى القبلتين؛ وكان حليفا لبني زُهرة.

وسبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر به النبي ﷺ فقال: «هل في غنمك من لبن؟»⁽³⁾ قال: نعم لكني مُؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟» قال: فأتيته بشاة فأخذها ومسح صلى الله عليه وسلم موضع الضرع فتدلى فدرت عليه لبنا غزيرا فحلبه في إناء فشرب، ثم قال للضرع: «اقلص اقلص»⁽⁴⁾ فارتفع. فأسلم وقال: هل أتبعك؟ قال: «لا حتى أظهر».

وقوله: مبشر النبي.. إلخ: يعني أنه وجد يوم بدر أبا جهل بين القتلى وبه رمق فقال له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: خلّ عني وأخبرني لمن الدّابة؟ قال: لله ولرسوله وللمؤمنين. فأراد أن يجهز عليه، فقال: أبلغ عني صاحبك هذا وافعل ما تريد، قال: أبلغه أني ما عاديته قط مثل هذه الساعة. قال ابن مسعود فحزرت رأسه وأتيت به النبي ﷺ فقلت: يا

(1) صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل الهذلي.

(2) عبد ود بن سواء بن قديم بن صاهلة بن كاهل..

(3) متفق عليه.

(4) وفي رواية: فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: «هل في غنمك؟».. إلى أن قال: فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع - الحديث - [أخرجه أحمد في مسنده].

رسول الله أبشر.. هذا رأس عمرو بن هشام، فقال: «آ لله الذي لا إله إلا هو»؟، فقلت: آ لله الذي لا إله إلا هو. فلما أبلغته مقالته قال: «ويحه كفر بي حيا وميتا».

وكان عبد الله بن مسعود مع جلالته في غاية القصر يواريه الجالسون، أمره النبي ﷺ يوما أن يصعد شجرة فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا، فقال رسول الله ﷺ: «إنهما في الميزان أثقل من أحد»⁽¹⁾. وشهد له النبي ﷺ بالجنة، وقال فيه: «خذوا القرآن من أربعة..»⁽²⁾ منهم عبد الله بن مسعود. وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن على جبريل كل سنة مرة؛ فقرأه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وحضرهما عبد الله بن مسعود، فعرف ما نسخ وما بدل وما أحكم؛ وكان يقول: ما نزل شيء من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله مني، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته، ثم استحيا مما قال فقال: وما أنا بخيركم.

وبعته عمر معلما إلى الكوفة، وكان يقول فيه: "كُنِيفٌ مُلِىَ عِلْمًا". والكنيف تصغير "كنف" - تصغير التعظيم - والكنف ما يجعل فيه الراعي متاعه. واستأذن يوما عليه فتیان من قريش يطلبان العلم قبل طلوع الشمس فأذن لهما، فلم يدخلتا حتى استأذنا عليه مرة أخرى فأذن لهما

(1) رواه أحمد.

(2) متفق عليه.

فدخلوا، فقال لهما: ما لكما لا تدخلان حين أذننا لكما؟ قالا: نخاف أن يكون أحد من أهل البيت نائماً، فقال: لقد ظننتم بآل أم عبد سوءاً؛ ثم قال: انظري يا جارية هل طلعت الشمس؟ قالت: نعم، ثم قال: الحمد لله الذي أنقذ آل أم عبد من هذا اليوم.

ودخل عليه عثمان رضي الله عنه يعودُه في مرضه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: وما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني، قال: أمر لك بعطاء، قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». ولما جمع عثمان القرآن أمر بجميع المصاحف أن تحرق أو تحرق أو تغرق، فأبى هو بمصحفه وقال لتلامذته: غلوا مصاحفكم ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾⁽¹⁾.

وتوفي رضي الله عنه في آخر خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وأوصى الزبير أن يصلي عليه ويدفنه ليلاً، ففعل؛ فعاتب عثمان الزبير على أن لا يعلمه. وقيل صلى عليه عمار وقيل عثمان، والأول أصح⁽²⁾.

(1) آل عمران: 161.

(2) ولما أنهى الكلام على هذيل بن مدركة أخذ يتكلم على من تفرع من طابخة بن إلياس، أخي مدركة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَمِنْ بَنِي أَدَّ سَلِيلٍ طَابِخَهُ ضَبَّةٌ إِحْدَى الْجَمَرَاتِ الرَّاسِخَةِ
وَالْجَمَرَاتُ مَا عَدَاهَا: عَبْسٌ ءَالُ الْمَدَانِ، لَا نَمِيرُ النَّكْسُ

السَّلِيلُ: الولد. والراسخة: الثابتة⁽¹⁾. والنكس (بالكسر): الضعيف.

جمرات العرب

يقول ومن بني أد بن طابخة: ضبة⁽²⁾، أبو بني ضبة الذين هم إحدى
الجمرات الراسخة، أي الثابتة، يعني جمرات العرب الثلاث؛ وهي: ضبة
هؤلاء وبنو عبس وبنو الحارث بن كعب بن المدان، قال وليس منهم بنو
نمير النكس: أي الضعيف، يعني الحي كما زعموا مكان عبس.

وهؤلاء سموا بالجمرات من بين العرب⁽³⁾، لأن امرأة من العرب رأت في
المنام أنه خرج ثلاث جمرات من فرجها، فتزوجها كعب بن المدان فولدت
له الحارث جد بني الحارث بن كعب أشراف اليمن، ثم تزوجها أد بن
طابخة فولدت له ضبة جد بني ضبة أولي البأس والنجدة، ثم تزوجها بغيض
بن ريث فولدت له عبسا فرسان العرب.

(1) وقوله: آل المدان (بالرفع): عطف على عبس، وقوله: لا نمير: عطف مغايرة على عبس.

(2) أولاد أد بن طابخة: مر بن أد وضبة وعبد مناة وعمرو وزيد مناة وآخرون. أما ضبة فجد
بني ضبة إحدى جمرات العرب، وأما مر بن أد فمنه تميم والغوث وظاعنة وإخوتهم، وأما
عمرو فجد بني مزينة، وأما زيد مناة فمنه عدي أبو بطن من طابخة كان له من الولد: جل
وملكان، ومن عدي أيضا ذو الرمة غيلان بن عقبة.

(3) وهم إخوة لأم، فجمرتان منهم في مضر وجمرة في اليمن.

ولبني ضبة تعرف النجدة والبأس، وهم القائلون:

نحن بني ضبة أصحاب الجملِ والموت أحلى عندنا من العسل
نحن بنو الموت إذا الموت نزل لا عار في الموت إذا حمّ الأجل

والجمل الذي يعنون: العسكر، جمل عائشة المسمى به اليوم، وقطعت على خطامه يومئذ من بني ضبة سبعون يداً.

وتزعم نمير وبعض العرب أن ثلاثة الجمرات نمير لا عبس، قال شاعرهم الراعي:

نمير جمره العرب التي لم تزل في الحرب تلهبُ التهاباً⁽¹⁾

”أَسْعِدُ أُمَّ سَعِيدُ“ الْمَثَلُ فِي سَلِيلِ الْجَمْرَةِ ضَبَّةُ الْحَفِيِّ
إِذْ خَرَجَا وَلَمْ يَوُبْ سَعِيدُ فَاسْتَشَامُوا بِهِ وَذَا الْفَقِيدُ
أَهْلَكَهُ الْحَارِثُ ثُمَّ افْتَخَرَا بِقَتْلِهِ لَضَبَّةٍ، إِذْ لَا يَرَى
أَنَّ أَبَاهُ ضَبَّةٌ، فَقَتَلَهُ وَ”سَبَقَ السِّيفُ الْعِتَابَ“ أَرْسَلَهُ

الحفي: المكرم. وسعيد هذا قيده بعضهم بصيغة التصغير، ولم يذكر فيه المجد ذلك.

يعني أن المثل السائر في العرب: "أسعد أم سعيد؟" أصله أن سعداً وسعيداً ابني ضبة - إحدى الجمرات - خرجا في طلب إبل فرجع سعد ولم

(1) وعلى القول الأول درج الناظم، ونبه على هذا القول بنفيه حيث قال: "لا نمير النكس"، وهذا النوع من التنبيه على القول المضعف شائع في اصطلاح المؤلفين.

يؤب سعيد، أي لم يرجع؛ فمن ذلك استشأم به العرب، يقولون في السؤال عن الأمر أخير أم شر هو: أسعد أم سعيد؟ فإذا كان خيراً قيل سعد، لأنه رجع، وإذا كان شراً قيل سعيد الذي لم يرجع.

وهذا المفقود قتله الحارث بن كعب بن المدان - أخو ضبة لأمه - جاهلاً له، ثم بعد ذلك بينما الحارث وضبة يتحدثان إذ هبطا واديا فقال الحارث لقيت يوماً بهذا الوادي فتى من أمره كيت وكيت... إلى أن عرفه ضبة - فقتلته وسلبته هذا السيف، وهو يفتخر بذلك؛ فأخذ ضبة السيف وقتل به الحارث. ولو ظن الحارث أولاً أن الفتى ابن ضبة ما قتله لأنه ابن أخيه، ثم لو علم بعد ذلك ما أخبر به ضبة. وقوله: وسبق السيف العتاب: أي لما قتل ضبة الحارث قيل له في ذلك، قال: سبق السيف العدل، فأرسلها مثلاً⁽¹⁾.

(1) ومن بني ضبة ثم من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة منهم: سُلَيْمِي بن ربيعة الضبي ثم السدي، شاعر جاهلي كانت تحته امرأة تسمى تماضر، فاستنكرت عليه استهلاكه للمال وتعرضه نفسه للمعاطب ففارقته ولحقت بأهلها، فقال في ذلك:

حلت تماضر غربة فاحتلت	فلجاً وأهلك باللوى فاحلة
فكان في العينين حب قرنفل	أو سُبُلًا كُحِلت به فانهلت
زعمت تماضر أنني إما أمت	يسدد ابينوها الاصاغر خلتي
تربت يداك وهل رأيت لقومه	مثلي على يسرٍ وحين تَعَلَّة؟
رجُلًا إذا ما النائبات غشينه	اكفى لمعضلة وإن هي جَلَّت
ومناخ نازلة كفيست وفارس	نهلت قناتي من مطأه وعلت
وإذا العذارى بالدخان تقنعت	واستعجلت نصب القدور فبلت
دارت بأرزاق العفاة مغالق	بيدي من قمع العشار الجلة

<<=

عَبْدُ مَنَاةِ ابْنُ أَدُّ تُنْسَبُ لَهُ الرَّيَّابُ زُمْرٌ تَرِيبُوا
مَعَ تَمِيمٍ وَهِيَ: ثَوْرٌ، عَجَلٌ، تَيْمٌ، عَدِيٌّ، ضَبَّةٌ وَعُكْلٌ

يعني أن أد بن طابخة تنسب إليه ضبة الجمرة كما تقدم، وليس بضبة
بن عبد مناة بن أد الذي هو من الرباب، بل هو عمه كما يأتي قريباً إن
شاء الله. وعبد مناة تنسب له قبائل الرباب، وسموا الرباب لأنهم تعاقدوا
مع تميم بأنهم أدخلوا أيديهم في رُبِّ وتحالفوا بذلك، فكانوا من قبائل تميم
العظام؛ قال جرير:

يَعُدُّ النَّاسُ بَنُونَ إِلَى تَمِيمٍ يَمُوتُ الْمَجْدُ أَرْبَعَةَ كِبَارَا
يَعُدُّونَ الرَّيَّابَ وَآلَ سَعْدٍ وَعُمَرَاءُ ثُمَّ حَنْظَلَةُ الْخِيَارَا
وَيَذْهَبُ بَيْنَهَا الْمَرْئِيُّ لَفُوا كَمَا الْغَيْتُ فِي الدِّيَةِ الْحَوَارَا

وهم ست قبائل كما عد في النظم.

وعكْل⁽¹⁾ بنو عوف بن وائل بن عوف بن عبد مناة، حضنتهم أمة يقال
لها عكل فاشتهروا بها. ومنهم النمر بن تولب العكلي الصحابي، وفد على
رسول الله ﷺ وقال:

--- >>

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ثَايَ الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِيَهَا اللَّتَا وَالْتَا
وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَرَفَدْتُهَا نُصَحِي وَلَمْ تُصَبِّ الْعَشِيرَةُ زَلَّتَا
وَكَفَيْتُ مَوْلَايَ الْأَحْمَ جَرِيرَتِي وَحَبَسْتُ سَائِمَتِي عَلَى ذِي الْخَلَّةِ

ولما فرغ الناظم من بني ضبة أخذ يتكلم على بني عمهم عبد مناة بن أد، فقال رحمه الله:

(1) هم: الحارث وجشم وقيس وسعد وعلي، بنو عوف.. إلخ.

إنا أتيناك وقد طال السفرُ نقود خيلا ضمرا فيها صعر
نُطعمها اللحم إذا عزَّ الشجر يا قوم إني رجل عندي خبر
الله من آياته هذا القمر والشمسُ والشعري وآيات أخرُ

وهو القائل أيضا:

أودى الشبابُ وحب الخالة الخلبة وقد برئت فما في الصدر من قلبة
وقد تثلم أنيابي وأدركني قرن عليّ شديدٌ فاحشُ الغلبة
وقد رمى بسُراه اليوم معتمدا في المنكبين وفي الساقين والرقبة

(الخالة: أهل الخيلاء. والخلبة: جمع خالبٍ للنساء. ويعني بالقرن: الهرم)⁽¹⁾.

ومدح النبي ﷺ. حديثه: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحرَّ الصدر⁽²⁾».

ومن عكل أيضا خزيمة بن عاصم بن قطن⁽³⁾، أسلم واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه.

(1) ومن شعره أيضا:

تدارك ما قبل الشباب وبَعْدَه حوادثُ أيام تمُرُّ وأغفلُ
يسرُّ الفتى طولُ السلامة جَاهِدًا فكيف يرى طولَ السلامة يفعلُ
يرُدُّ الفتى بعد اعتدالِ وصَحَّةٍ ينوءُ إذا رام القيام ويَحْمَلُ

ومنه:

لا تغضبَنَّ على امرئٍ في ماله وعلى كرائم حُرٍّ مالك فاغضب
وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

(2) رواه أحمد في المسند والنسائي في السنن.

(3) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام قومه فأسلم وحسن إسلامه ومسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه، فما زال جديدا حتى مات، وكتب له كتابا.

ومن عكل: الذين اجتوا المدينة، أو هم بنو عرينة من القحطانية، أو بعضهم من عكل وبعضهم من عرينة. وبعث النبي ﷺ عشرين فارسا في إثرهم، أمر عليهم كرز بن جابر؛ فلحقهم وجاء بهم مردفين. وفقد رسول الله ﷺ لقحةً من الإبل يقال لها "الحنى" فسأل عنها، فقيل له نحرؤها. فسمّل أعينهم قصاصا⁽¹⁾، وتركهم في الحرة مستلقين يستسقون ولا يُسقون حتى ماتوا، للحرابة أو لارتدادهم، وكان أحدهم يلقي لسانه في الأرض يكدمها به ليجد بردها. واستشكل هذا، لأن المرتد لا يمنع من السقي والإطعام. وقيل لأنهم لا حرمة لهم كالكلب العقور. وقيل إن النبي ﷺ لم يعلم بذلك. وأما سمل أعينهم وتكحيلها بمسامير النار وعرز الشوك في ألسنتهم وكل ما فعل بهم، فذلك كله قصاص لأنهم فعلوه بالراعي أو الراعين - على أنهما اثنان - وليس بالمثلّة المنهي عنها، لأن المثلّة ما كان ابتداء من غير جزاء. وقيل أيضا إن تعطيشتهم قصاص، لأنهم عطشوا آل البيت؛ لأنهم كانت تأتيهم قرية لبن من اللقاح فتلك الليلة لم يأتهم لبن فعطشوا، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعطش من أعطش أهل بيت نبيك»⁽²⁾.

ومر الرباب، ثم من بني عدي بن عبد مناة: ذو الرمة الشاعر، غيلان بن عقبة بن نهيش (كزير)، وسيأتي في النظم. والشيخ رحمه الله ذكره في

(1) لقتلهم راعييه كما يأتي قريبا.

(2) رواه النسائي.

جملة تميم، لأن الرباب يُعَدُّون لَتميم. قال جرير: يعد الناسون إلى تميم.. الخ
كما مر.

وَأَنْسَبُ لَثَوْرِ الَّذِي مَا اسْتَوْدَعَا حِجَاهُ مَعْلُومًا فَخَانَ مَا وَعَى
وَهُوَ سَمِيُّ ابْنِ عَيْنَةَ الْعَلَمِ مَوْلَى بَنِي هِلَالِ النَّدْبِ الْحَكَمِ

الحجا (كإلى): العقل والفتنة؛ قال ذو الرمة:

خليلي لا رسم بوهين مخبر ولا ذو حجا يستنطق الدار معذر

ووعى: حفظ. والندب: الظريف.

يقول وانسب لثور بن عبد مناة بن أد، الذي هو من الرباب: الإمام
سفيانا الثوري، أحد الأئمة المشهورين. قوله: ما استودعا.. إلى آخره، نظم
به مقالة سفيان: "ما أودعت قلبي شيئا فخانني"، يعني أنه ما نسي شيئا قط
علمه. وعبر الناظم بالحجا - وهو العقل - عن القلب، لأن قول سفيان
"قلبي" يعني به العقل؛ لأن القلب محل العقل - على المشهور - ومُتَنَزَّهه
الدهاغ، كما قال أبو الحسن اليوسي، جمعا بين قولَي مالك وأبي حنيفة.
قوله: وهو سمي ابن عينة: يعني أن اسمه واسم ابن عينة⁽¹⁾ واحد، ويقال

(1) هو سفيان بن عينة بن أبي عمران، ميمون، مولى محمد بن مزاحم - أخي الضحاك بن
مزاحم - الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام: أبو محمد الهلالي الكوفي. لقي الكبار
وحمل عنهم علما جما وأتقن وجوّد وجمع وصنّف وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه وانتهى
إليه علو الإسناد ورحل إليه من البلاد؛ وقال فيه الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عينة
لذهب علم الحجاز.

لهما السفينان، وهما معاصران لمالك والشافعي؛ ومراسيلهما في الحديث تقارب مراسيل ابن المسيب التي لها حكم الاتصال. ثم وصف ابن عينة بالعلم لشهرته بالعلم والصلاح وبولاية بني هلال، وبالندب: أي الظريف، وبالحكم: أي العاقل المجرب ذي الحكمة. وأما الثوري فهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد⁽¹⁾.

يضيق الكاغد ويكل القلم عن مناقبهما. ريء سفيان الثوري في المنام ف قيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي	هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا	بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده	وزرني فإني منك غير بعيد ⁽²⁾

نسب مزينة

مُزِينَةُ أُمِّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ أَدٍّ وَفِي رِبَابَةِ الرَّبَابِ قِيلَ عُدَّ

شرع يتكلم على مزينة، وهي قبيلة ذات غنى وشرف قائمة وحدها،

-
- (1) بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة، الثوري الكوفي، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وسيد العلماء العاملين في زمانه وأمير المؤمنين في الحديث. فاق أهل زمانه في الفضل والعلم والعبادة والورع وكان غاية في الحفظ والذكاء.
- (2) ومن ثور بن عبد مناة أيضا: الربيع بن خيثم الفقيه المشهور، قال بعض علماء النسب: لولا سفيان الثوري والربيع بن خيثم ما عرفت ثور. ثم شرع يتكلم على مزينة فقال رحمه الله وعفا عنه:

وقيل تَرَبُّوا مع إخوتهم المتقدمين: بني عبد مَنَاة، وذلك قوله: وفي ربابة
الرباب قيل عُذٌّ.

وهم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أُدٍّ، نسبوا إلى أمهم مزينة بنت
كلب بن وبرة، وقيل إن مزينة اسم أبيهم.

وَالْإِخْوَةُ السَّبْعَةُ مِنْ مَزِينَةَ مَزِينَةُ التَّيْسِ لِأَدِّ زِينَةُ
إِذْ هَاجَرُوا لَطِيبَةَ . وَلَا تُرَى لِغَيْرِهِمْ . وَفَتَحُوا لِلْأُمَرَاءِ

قوله: والإخوة السبعة: يعني بني مقرن (كمحدث)⁽¹⁾ الذين ﴿تَوَلَّوْا
وَأَعَيْنُهُمْ تَفِيزُ مِنْ أَلَدِّمْ حَزَنًا﴾⁽²⁾ لما قال لهم النبي ﷺ في غزوة تبوك:
﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾⁽³⁾.

يعني أنهم زينة لبني أد بن طابخة، لأنهم هاجروا السبعة إلى المدينة ولم
تكن لغيرهم من العرب، سبعة إخوة هاجروا؛ وهم: النعمان ونعيم وضرار
وحذيفة ومقل وسان وسويد.

(1) ابن عامر بن صبح بن هجير بن نصر بن حُبشية بن كعب بن عبد بن ثور بن هُذَمَة بن
لاطم بن عثمان بن عمرو بن أُدٍّ، وبنو عمرو بن أد هم مزينة، وسماهم في الجمهرة:
النعمان ونييم وسويد ومعاوية وعقيل ومقل وعمرو، وكان أولاد مقرن عشرة أسلم
منهم هؤلاء السبعة وهاجروا وبقي ثلاثة على كفرهم.

(2) التوبة: 93.

(3) رواه البخاري ومسلم.

وقوله: وفتحوا للأمر: أمّا النعمان فكان بيده لواءٌ مزينة يوم الفتح. وبعثه عمر بثلاثي أهل الكوفة إلى نهاوند وقال لهم: إن يقتل النعمان فحذيفة مكانه، ففتح أصبهان؛ ثم أتى نهاوند فقال: يا معشر المسلمين شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل أوّل النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر، وقال: إني أهرز اللواء ثلاث مرات فإذا هزرت الثالثة فاحملوا ولا يلوي أحد على أحد؛ فلما هز الثالثة حمل فحمل الناس، فكان أول صريع؛ وأخذ حذيفة الراية ففتح الله عليه، وذلك يوم الجمعة. وبكى عليه عمر حين نعي له.

وأما نعيم فكان من وجوه الصحابة ووجوه مزينة، وكانت له فتوحات كثيرة. وأما ضرار فكان مع خالد في الحيرة.

وسُمّوا مزينة التيس لأنهم أسروا ثابت بن المنذر بن حرام، والد حسان، وأبوا أن يأخذوا في فدائه إلا تيساً، فامتنع أهله من ذلك خوفاً السب به، فبعث إليهم ثابت أن اعطوهم ما طلبوا. فأتوهم بتيس، فقال ثابت: خذوا أخاكم واركبوا لهم أخاهم! فسموا بذلك مزينة التيس.

وَمِنْ مُزَيْنَةِ إِيَّاسُ الذَّكِي وَذُو الْبِجَادَيْنِ وَكَعْبُ الزَّكِيِّ

الذكي: العاقل والسريع الفطنة. والبيجاد: الكساء غير الجيد. والذكى: الصالح. يقول ومن مزينة إياس بن معاوية الذكي، المشهور بالذكاء، وعبد الله بن عبدنهم ذو البيجادين، وكعب بن زهير الشاعر.

إياس بن معاوية وذكاؤه

أمّا إياس⁽¹⁾ فمن ذكائه أن اجتمع الناس لرؤية الهلال، وفيهم أنس بن

(1) فهو القاضي أبو واثلة إياس بن معاوية بن مرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن مزينة، المزني التابعي. قيل لأبيه معاوية: كيف ابنك لك؟ فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وروى إياس هذا عن جماعة من الصحابة منها أنس بن مالك. وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان عمر كتب إلى عامله بالعراق - وهو عدي بن أرطاة - أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني فولّ قضاء البصرة أنفذهما، فجمع بينهما فقال له إياس: أيها الأمير سل عني وعن القاسم فقيهي المصر: الحسن البصري ومحمد بن سيرين. وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال له: لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال إياس: أيها الأمير إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف. فقال عدي بن أرطاة: أما إذ فهمتها فأنت لها واستقضاه. وله في الفراسة والفطنة حكايات غريبة. روي أنه قال له يوما رجل: يا أبا واثلة حتى متى يبقى الناس وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟! فقال إياس: حتى تتكامل العدتان عدة أهل الجنة وعدة أهل النار. وسأله رجل عن النبيذ؟ فقال: هو حرام. فقال الرجل: أخبرني عن الماء؟ فقال: حلال. قال: فالكسور؟ قال: حلال. قال: فالتمر؟ قال: حلال. قال: فما باله إذا اجتمع يحرم؟ فقال إياس: أرأيت إن رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال: لا توجعني. قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال: لا توجعني. قال: أفأريت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك به أيوجعك؟ قال: أي والله وتقتلني. قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت. ومن كلام إياس: "لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله". وذكر عنده يوما رجلا آخر بسوء، فقال له: أغزوت الروم؟ قال: لا. قال: فالسند؟ قال: لا. قال: فالهند؟ قال: لا. قال: فالترك؟ قال: لا. فقال له: أتسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!.

مالك - وهو شيخ - فقال: انظروا إليه قَدْ رأيته؛ فنظر الناس كلهم فلم يروهُ، وأنس يقول: انظروا إليه.. فجاءه إياسُ من خلفه فغطى حاجبيه وقال: يا عم رأيته؟ فلم يره، وقال: هل رأيته الآن؟ فقال: لا. فعلم إياسُ أنَّ أنساً إنما رأى شعرة من حاجبيه طالت وانعطفت. ومن ذكائه أيضا أنه نظر يوما إلى رجل يدور في الناس فقال: هذا الرجل غريب وهو يطلب عبدا وهو أيضا معلم صبيان ومن أهل واسط. فأتوا بالرجل فسألوه عن ذلك فأقر؛ فقالوا له: ما هذا؟ فقال: أمّا أنه غريب فلأنه لا يأنس إلى أحد، وأمّا أنه ينشد عبدا فلأنه يأتي العبيد ويقف عليهم، وأمّا أنه من أهل واسط فعلى ثيابه لونُ أرضها، وأمّا أنه معلم صبيان فكان يجلس إليهم. ومن ذكائه أيضا أنه قال يوما لجلسائه: تحت هذا الحجر حية. فقلبوا الحجر فوجدوها؛ فقالوا له: لم علمت أن تحت الحجر حية؟ فقال: أحسست بندى فيها ولا يكون الندى إلا من نفس. ورأى يوما نسوة سمعن ذعرا، فقال: إحداهن مرضع وأخرى حامل وأخرى عذراء؛ فسئل فقال: المرأة إذا سمعت بفجع تضع يدها على أعز ما عندها: رأيت المرضع وضعت يدها على ثديها، والحامل على بطنها، والعذراء على حِرها. ويضرب المثل بذكائه، قال أبو تمام⁽¹⁾:

(1) في مدح أحمد بن المعتصم، من قصيدته التي مطلعها:

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس
فلعل عينك أن تعين بمائها والدمع فيه خاذل ومواس

إلى أن يقول:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف.. إلخ.

... في حلم أحنف في ذكاء إياس

وهو من التابعين، ووهم من ذكره في الصحابة، وإنما ذكره ابن حجر في القسم الرابع في الإصابة الذي ينفي عنه الصحبة.

وأما ذو البجادين⁽¹⁾ فحبسه أهله حين أسلم في بجاد وضيّقوا عليه، ثم هرب منهم إلى النبي ﷺ؛ فلمّا دنا منه شق بجاده نصفين تأزّر بواحد وارْتدى بآخر. وغزا مع رسول الله ﷺ تَبُوكَ فَمَاتَ في الطريق، وَلَحَدَهُ النبي ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؛ فرأى ابن مسعود الضوء نحوهم من نار أوقدوها فسار نحوهم فوجد النبي ﷺ واقفاً في القبر يقول لهما: «أدلياه عليّ»، ثم قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه»⁽²⁾، فقال ابن مسعود: فتمنيتُ أن أكون صاحب الحفرة.

ذكر إسلام كعب بن زهير وبعض شعره

وأما كعب بن زهير فبلغه أن النبي ﷺ أهدر دمه وأمر بقتله، فضاق

(1) فهو عبد الله بن عبدنهم بن عفيف بن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن سعد بن عدي من بني عثمان بن عمرو بن أد المزني، كان اسمه عبد العزى فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه، قيل كان يتيماً في حجر عمه وكان محسناً عليه فبلغه أنه أسلم فنزع منه كل شيء أعطاه له حتى جرده من ثوبه، فأتى أمه فقطعت له بجادا لها قطعتين اثتزر نصفاً وارْتدى نصفاً، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «أنت عبد الله ذو البجادين»، ولزم باب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يرفع صوته بالذكر، فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أمراء هو؟ فقال: «بل هو أحد الأواهين» - [سموط الذهب].

(2) سيرة ابن هشام: (143/4).

عليه أمره⁽¹⁾، فلما رجع النبي ﷺ من الطائف أتى كعب المدينة ليلاً، فنزل على رجل من جهينة كان صديقاً له؛ فأتى به المسجد حين صلاة الصبح فأشار له إلى النبي ﷺ⁽²⁾ فقال له: يا رسول الله إن كعب بن زهير بلغه أن من أتاك تائباً مسلماً تغفو عنه، فجاء تائباً مسلماً فهل أنت تغفو عنه؟

(1) روي أن كعباً خرج هو وأخوه بجير يريدان النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغا ابرق العُزَاف (موضع بين الربذة والمدينة)، فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم لك هنا. وفي رواية أن بجيراً قال له: اثبت في الغنم هنا حتى آتي هذا الرجل فأسمع كلامه وأعرف ما عنده، فأقام كعب وقدم بجير على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم، فبلغ ذلك كعباً فشق عليه إسلامه وكتب إليه:

ألا بلغا عني بجيراً رسالة	فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
سقاك بها المأمون كأساً روية	فأنهلك المأمون منها وعَلَّكَ
ففارقت أسباب الهدى واتبعته	على أي شيء وَيَبَ غيْرَكَ دَلَّكَ
على مذهب لم تلق أما ولا أبا	عليه ولم تعرف عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فلسْتُ بآسف	ولا قائل إما عثرت لعاً لك

(ويب: كلمة مثل ويل وويح [الصحاح]. ولعا: كلمة يدعى بها للعائر معناها الارتفاع [لسان العرب]).
فكتب إليه بجير:

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي	تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده	فتنجو إذا كان النجاء فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمُفْلِتٍ	من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه	ودين أبي سلمى عليٍّ محرم

وكتب إليه أن أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك إن فعلت ذلك قبل منك.
(2) فقام إليه حتى وضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه.

قال: «نعم»، قال: فأنا كعب بن زهير. فقام إليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فنهاه عنه. فبايعه ثم جعل ينشد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

رُوي أن النبي ﷺ قال له: «ومن سعاد»⁽¹⁾؟ فقال: إحدى بنات عمي يا رسول الله؛ فلما أتمها رمى إليه رسول الله ﷺ بردة كانت عليه. وذلك قوله رحمه الله:

خَوَّلَهُ النَّبِيُّ بُرْدَةً عَلَى "بَانتُ سَعَادُ" وَغَلَّتْ كُلُّ الْغَلَا

خوله: أعطاه تفضلاً. وقوله: على بانت سعاد: أي جائزة ومجازاة عنها حين أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك غلت في الثمن كل الغلاء. وكان كعب لا يلبسها إلا تبركا بها؛ فلما ولي معاوية سامها منه بعشرين ألف درهم، فقال: ما كنت لأبيع ثوبا مسَّ جلد رسول الله ﷺ بالدنيا. فلما توفي كعب اشتراها معاوية من ورثته بثلاثين ألف درهم. وقيل إنها البرد الذي تداولته الملوك بعد ذلك.

وهذه القصيدة لما أنشدها كعب بين يدي النبي ﷺ عدها العلماء حديثاً لا يستحسن عليها غيرها من الشعر، وأردت إيرادها تبركاً بها وإعجاباً، وهي:

بَانتُ سَعَادُ فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول⁽²⁾

(1) سيرة ابن كثير: (707/3)

(2) متبول: هائم سقيم. متيم: مذل بالحب. لم يفد: لم يجد من يفديه. مكبول: أسير مقيد.

وما سعادُ غداةَ البين إذا رحلوا
هيفاءً مقبلةً عجزاءُ مدبرةً
من اللواتي إذا ما خلّت صدقت
تجلّو عوارض ذي ظلمٍ إذا ابتسمت
شجّت بذى شيم من ماء مخنية
تنفي الرياحُ القذى عنه وأفرطه
أكرم بها خلة لو أنها صدقت
لكنها خلّة قد سيط من دمها
فما تدوم على حال تكون به
ولا تمسّك بالعهد الذي زعمت
إلا أغنّ غضيض الطّرف مكحول⁽¹⁾
لا يشتكى قصراً منها ولا طول
يشفي مضاجعها شَم وتقبيل⁽²⁾
كأنه مُنهل بالراح معلول⁽³⁾
صافٍ بأبطح أضحي وهو مشمول⁽⁴⁾
من صوب سارية بيضٍ يعاليل⁽⁵⁾
موغودها أو لو ان النصح مقبول⁽⁶⁾
فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل⁽⁷⁾
كما تلوّن في أثوابها الغول⁽⁸⁾
إلا كما يُمسك الماء الغرايل⁽⁸⁾

- (1) البين: الفراق. أغن: في صوته غنة، وهو صوت محبوب يخرج من أقصى الأنف؛ وهو صفة للغزال. غضيض الطرف: فاطر النظر منكسر الأجفان. مكحول: أسود الطرف من غير اكتحال.
- (2) تجلّو: تكشف. العوارض: الضواحك من الأسنان. الظلم: ماء الأسنان وبريقها. والمنهل: المسقى مرة أولى. والراح: الخمر. والمعلول: المسقى مرة بعد أخرى.
- (3) شجّت: مزجت. ذو شيم: البارد. المخنية: ما انعطف من الوادي، وماؤه يكون أصفى وأرق. الأبطح: المسيل المتسع. المشمول: الذي أصابته ريح الشمال فبردته.
- (4) أفرطه: ملأه. السارية: السحابة التي تمطر ليلاً. والبيض: الجبال. يعاليل: المفرطة في الطول.
- (5) يقول: أكرم بها صاحبة لو أنها تصدق وعدها أو أنها تقبل النصح في من يهواها.
- (6) سيط: خلط. الفجع: الإصابة بما يكره. الولع: الكذب. أراد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب والكذب في الاخبار وإخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر.. وصار ذلك سجية لها وطبعاً يلزمها.
- (7) الغول: السعلاة، وقد زعمت العرب أنها تغتالهم وأنها تتراءى لهم في الفلوات على صور مختلفة وأشكال متباينة فتضلهم عن الطريق.
- (8) أراد أنها لا تفي بعهودها ومواثيقها.

فلا يفرنك ما مننت وما وعدت	إن الأمانني والأحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً	وما مواعيدُها إلا الأباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها	وما إخال لدينا منك تنويل ⁽¹⁾
أمسست سعاد بأرض لا يُبلغها	إلا العتاق النجيات المراسيل ⁽²⁾
ولن يُبلغها إلا عذافرة	لها على الأئمن إرقال وتبغيل ⁽³⁾
من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت	عرضتها طامسُ الاعلام مجهول ⁽⁴⁾
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق	إذا توقدت الحزان والميل ⁽⁵⁾
ضخم مقلدُها عبل مقيدها	في خلقها عن بنات الفحل تفضيل ⁽⁶⁾
غلباء وجناء علكوم مذكرة	في دفها سعة قدامها ميل ⁽⁷⁾
وجلدها من أطوم ما يؤيسه	طلح بضاحية المتنين مهزول ⁽⁸⁾

- (1) التنويل: العطاء؛ يقول: رغم اتصاف سعاد بالجفاء وإخلاف الوعد فإنني لا أقطع الرجاء من مودتها، ثم التفت يخاطبها قائلاً: ولا أحسب أن لي منك عطاء أرجوه.
- (2) العتاق: النوق الكرام الأصول. النجيات: الكريمة. المراسيل: السريعة اليدين في السير.
- (3) العذافرة: الصلبة القوية. الأئمن: التعب والنصب. الإرقال: ضرب سريع من السير. التبغيل: ضرب من الهملجة.
- (4) النضاجة: السائلة. الذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن. عرضتها: همتها. الطامس: المندرس المختفي.
- (5) الغيوب: آثار الطرق التي غابت معالمها عن العيون. المفرد: المنفرد، أراد به الثور الوحشي. لهق: شديد البياض. الحزان (جمع حزن): ما غلظ من الأرض. الميل: ما تراكم ومال من الرمل.
- (6) الضخم: العظيم. المقلد: موضع القلادة من العنق. عبل: غليظ. المقيد: موضع القيد وهو الرسغ. بنات الفحل: النوق.
- (7) غلباء: غليظة. وجناء: عظيمة الوجنتين (الوجنة: طرف الوجه). علكوم: صخمة. مذكرة: تشبه الذكر. الدف: الجنب. قدامها ميل: أي طويلة العنق.
- (8) الاطوم: السلحفاة. يؤيسه: يؤثر فيه. الطلح: القراد. ضاحية المتنين: ما برز للشمس من ظهرها.

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّةٍ	وعمها خالها قوداء شميل ⁽¹⁾
يَمْشِي الْقُرَادَ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهَا	مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ ⁽²⁾
عِيرَانَةٌ قَذَفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضِ	مَرْفَقِهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ ⁽³⁾
كَأَنَّمَا فَاتٌ عَيْنِيهَا وَمِذْبَحُهَا	مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بَرِطِيلُ ⁽⁴⁾
تَمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ	فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْإِحَالِيلُ ⁽⁵⁾
قَنَوَاءٌ فِي حُرْتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا	عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ ⁽⁶⁾
تَخْذِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ	ذَوَابِلُ مَسْهُنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ ⁽⁷⁾
سُمْرُ الْعُجَايَاتِ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زَيْمًا	لَمْ يَقْهِنَنَّ رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيلُ ⁽⁸⁾

(1) حرف: ضامرة؛ أو تشبه حرف الجبل أي القطعة الخارجة منه في القوة والصلابة. مهجنة: كريمة. قوداء: طويلة العنق. شميل: خفيفة. وقوله: أخوها أبوها.. إلخ: يشير به إلى خلوص نسبها وجودة أصلها وهو محتمل لأمرين: أحدهما التشبيه أي أن أخاها يشبه أباه في الكرم وأن عمها يشبه خالها، والثاني أنها من إبل كرام يحمل بعضها على بعض حفظا للنوع؛ وذلك يحتمل صوراً منها أن فحلاً ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فأتت بهذه الناقة. ومن صور قوله: أخوها أبوها: أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة.

(2) اللبان: الصدر. الأقرب: الخواصر. الزهاليل (جمع زهلول): الأملس.

(3) عيرانة: تشبه العير. قذفت: رميت. النحض: اللحم. عن عرض: أي رميت به من كل جانب. والزور: الصدر أو وسطه. ومفتول: مجاف عنه.

(4) فات: تقدم. الخطم: مقدم الأنف. البرطيل: المعول من حديد.

(5) عسيب النخل: الجريدة، شبه بها ذنب الناقة. الخصل: لفائف الشعر. الغارز: الضرع. تخونه: تنقصه. الأحاليل (جمع إحليل): مخرج اللبن من الثدي.

(6) قنواء: في أنفها حذب. الحرتان: الأذنان. العتق: الكرم. تسهيل: أي سهولة وليونة.

(7) اليسرات: القوائم. لاحقة: ضامرة. الذوابل: اليابسة. التحليل: التقليل.

(8) العجايات: الأعصاب المنحدرة من ركبته إلى فرسنها؛ شبهها بالرماح السمر في القوة والصلابة. والزيم: المتفرقة لشدة وطئ هذه الناقة. والأكم (جمع أكمة): الراية المرتفعة من

كأنَّ أَوْبَ ذُرَاعِيهَا إِذَا عَرَقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ⁽¹⁾
 يَوْمًا يَظْلُ بِهَ الْحِرْبَاءُ مَصْطَخِدَا كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ⁽²⁾
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَرَقَ الْجَنَادِبِ يَرْكُضُنَ الْحَصَى قِيلُوا⁽³⁾
 شَدَّ النَّهَارِ ذُرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفِ قَامَتْ فَجَاوِبُهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ⁽⁴⁾
 نَوَاحِي رُخْوَةِ الضَّبَّعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكَرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ⁽⁵⁾
 تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفِيهَا وَمِدْرَعُهَا مُشَقَّفٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَايِلُ⁽⁶⁾

>> --

الأرض. والتنجيل: شد النعال، وخص الأكم لأنها تبقى بها الحجارة الخشنة، فلا تحتاج إلى تنجيل لصلاية حوافرها.

(1) أوب ذراعيها: رجوعهما وسرعة حركتهما. تلفع: التحف. القور: كل موضع مرتفع. العساقيل (جمع عسقول): السراب.

(2) الحرباء: حيوان بري يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ويتلون ألوانا، ويصير وقت الهاجرة في أعلى الشجرة يمسك ساق الشجرة ولا يرسله حتى يمسك ساقا آخر، قال الشاعر:

وكن كأنك حرباء الهجير ضحى لا يترك الساق إلا ممسكا ساقا

المصطخذ: المحترق بحر الشمس. ضاحيه: ما ظهر منه للشمس. المملول: الذي أنضجته النار بشدة حرها.

(3) الجنادب: ضرب من الجراد، والورق: الخضر منه التي تضرب إلى السواد. يركضن: يضربن بقوائمهن. قيلوا: استريحوا في القائلة؛ أي وسط النهار.

(4) شد النهار: وقت ارتفاعه. ذراعا: ثنية ذراع (خبر كأنَّ المتقدمة). العيطل: الطويلة. النصف: متوسطة في السن. النكد: التي لا يعيش لها ولد. المثاكيل (جمع مثكال): كثيرة الثكل وهو فقدان الولد.

(5) نواحة: كثيرة النوح. الرخوة: المسترخية. الضبعين: العضدين.

(6) تفري: تشق. اللبان: الصدر. المدرع: القميص. الرعايل: القطع المتخرقة، يعني أنها تخذش نحرها وصدرها وتشق مدرعها لما هلك من ولدها.

يسعى الوُشاةُ جنابيسها وقولُهمُ
وقالَ كلُّ خليلٍ كنتَ آملُهُ
فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبا لكمُ
كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُهُ
أنبتُ أن رسولَ الله أوعدني
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
لا تأخذني بأقوال الوُشاة ولم
لقد أقومُ مقاما لو يقوم به
لظل يرعدُ إلا أن يكون له
حتى وضعتُ يميني لا أنازعه
لذاك أهيبُ عندي إذ أكلمه
من خادر من ليوث الأسد مسكنه
يغدو فيلجهم ضرغامين عيشهما
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول
لا ألهينك إني عنك مشغول
فكلُّ ما قدر الرحمنُ مفعول
يوما على آلة حذاء محمول
والعفو عند رسول الله مأمول
قرآن فيها مواعيطٌ وتفصيلُ
أذنب وإن كثرت في الأقاويل
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
من الرسول بإذن الله تنويل⁽¹⁾
في كفّ ذي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ القيل⁽²⁾
وقيل إنك منسوبٌ ومسؤول
في بطن عثر غيلٍ دونه غيل⁽³⁾
لحم من القوم مغفور خراذيل⁽⁴⁾

- (1) يقول: لقد حضرت مجلسا هائلا لو حضره الفيل ورأيت أمرا عظيما وسمعت كلاما عجيبا لو رآه وسمعه الفيل.. لظل يرعد: أي تأخذه الرعدة من شدة الخوف، وخص الفيل لأنه أعظم الحيوانات وأضخمها جثة؛ لأنه أراد التهويل والتعظيم. والتنويل: العطاء والمراد به هنا التأمين.
- (2) وضعت يميني: أشار به إلى مصافحته للنبي صلى الله عليه وسلم. والنقمة: جمع نقمة، وصفه به لأنه كان ينتقم من أعدائه. قِيلُهُ: أي قوله هو القول المعتمد النافذ.
- (3) الخادر: الداخل في خدره أي أجمته وهي الشجر الملتف، وخص الأسد لأنه أعظم الحيوانات هيبة حتى ان الإنسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخوف؛ وخصه بالكينونة في خدره لأن الأسد في الوحوش كالملك في الآدميين كلما كان مخفيا عن العيون كان أشد هيبة ووقعا في النفوس. وعثر: مأسدة. والغيل: الملتف من الشجر.
- (4) يلحمهما: يطعمهما لحما. والضرغام: في الأصل الأسد الضاري والمراد به هنا ولد الأسد وهو الشبل. المغفور: الملقى في العفر وهو التراب. والخراذيل: المقطع.

إذا يساور قِرنا لا يحسُّ له	أن يترك القرن إلا وهو مجدول ⁽¹⁾
منهُ تظلل سباعُ الجوّ ضامزة	ولا تمشي بواديه الأراجيل ⁽²⁾
ولا يزال بواديه أخو ثقفة	مطرح البز والدرسان ما كول ⁽³⁾
إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاء به	مهتدٌ من سيف الله مسلول
في فتيةٍ من قريش قال قائلهم	ببطن مكمة لما أسلموا: زولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ	عند اللقاء ولا ميل معازيل ⁽⁴⁾
شمُ العرانيين أبطال لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سرايل ⁽⁵⁾
بيض سوابغٌ قد شكَّت لها حلقٌ	كانها حلقُ القفعاء مجدول ⁽⁶⁾
لا يفرحون إذا نالت رماحهم	قوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا ⁽⁷⁾

- (1) يساور: يواثب. القرن: الخصم. الجدول: الملقى بالجدالة وهي الأرض.
- (2) الجوّ: ما اتسع من الأودية. الضامزة: الساكنة. الأراجيل: ضد الراكبين.
- (3) مطّرح: مطروح. البز: السلاح. الدرسان: الأثواب المتخرقة البالية.
- (4) زالوا: هاجروا. أنكاس (جمع نكس): الضعيف الجبان. كشف (جمع أكشف): الذي لا ترس له في الحرب. ميلٌ (جمع أميل): وهو الذي لا يحسن ركوب الخيل أو الذي لا سيف له. المعازيل: من لا سلاح معهم.
- (5) شم العرانيين: كناية عن الأنفة والإباء. لبوسهم: ما يلبسونه من السلاح. نسج داود: صنعه. الهيجا: الحرب. السرايل: الدروع.
- (6) بيض: مصقولة. سوابغ: طويلة تامة. شكّت: أدخل بعض حلقها في بعض وسمرت. القفعاء: نبت ينبسط على وجه الأرض له حلق كالخواتم. الجدول: المحكم الصنعة.
- (7) المجازيع (جمع مجزاع): للشديد الجزع والخوف. يقول إنهم لا يفرحون بالانتصار لكونه من عاداتهم ولا يجزعون بالهزيمة لثقتهم بالتغلب على عدوهم. قال في المتع (384): والعرب تتمادح بذلك، ويقال إن أبا مسلم هزم نيفا وستين هزيمة فما روي عليه كآبة الانهزام، وفتح له مثلها فما روي عليه أثر الفرح.

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عَرَّد السُّودُ التنايل⁽¹⁾
لا يقع الطعن إلا في نُحُورِهِمْ فما لهم عن حياض الموت تهليل⁽²⁾

(1) الزهر: البيض. عَرَّد: أي جبن وتأخر. السود: جمع أسود. التنايل (جمع تنال): القصير. يعني أنهم سادات لا عبيد، وعرب لا أعراب.. موصوفون بامتداد القامة وعظم الخلق والرفق في المشي وذلك دليل على الوقار ويحميهم من الأعداء ضربهم إياهم بالسيوف والرماح، لا التحصن بالحصون والقلاع.

(2) حياض الموت: موارد الهلاك. التهليل: التأخير أو الجبن والفرار، يقول: لا يقع طعن الأعداء في ظهورهم لأنهم لا يفرون وليس لهم تأخر عن موارد الردى.

ولما فرغ كعب من مدح النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين شق على الأنصار كونه لم يذكرهم مع إخوانهم - وكان رجل منهم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دعني أضرب عنقه - فقالوا له: ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريش؟ ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك: «ألا ذكرت الأنصار بخير، فإن الأنصار لذلك أهل»، فقال يمدحهم ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من سَرَّه كَرَمُ الحياة فلا يزل	في مَقْنَبٍ من صالحى الأنصار
تَزِنُ الجبالَ رزانة أحلامهم	وأكفهم خَلَفَ من الأمطار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر	إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهري بأذرع	كصواقل الهندي غير قصار
والناظرين بأعين محمرة	كالجمر غير كليلية الإبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
والذائدين الناس عن أديانهم	بالمشـرـفـي وبالقنا الخطار
يتطهرون يروونه نسكا لهم	بدماء من علقوا من الكفار
دَرَبُوا كما دَرَبَتْ بطن خفية	غلب الرقاب من الأسود ضوار
وإذا حللت ليمنعوك إليهم	أصبحت عند معاقل الأغفار
ضربوا علياً يوم بدر ضربة	دانست لوقعتها جميع نزار

<<=

وتوجد الحكمة في شعر كعب بن زهير كقوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدرُ
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها فالنفس واحدة والهـم منتشرُ
والمرء ما عاش ممدود له أجلٌ لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

وكقوله:

إن كنت لا ترهب شتمي لما تعلم من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي إذ أنا منصت فيه لمسموع خنى القائل
فسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمؤه بالحق وبالباطل⁽¹⁾

-- >>

لو يعلم الأقوام علمي كله فيهم لصدَّقني الذين أماري
قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين النازلين مقار
في الغر من غسان من جرثومة أعييت محافرها على المنقار

إخ..

(وقوله: ضربوا عليا.. يعني بعلي: بني كنانة بن خزيمة.)

(1) ومن جيد شعره قصيدته التي يفتخر بها على مزرد، وأولها:

أتعرف رسماً بين دهمان بالرقم إلى ذي مراهيـط كما خط بالقلم
عفته رياح الصيف بعدي بمورها وأودت به الجوزاء بالوبل والديم

إلى أن يقول:

ألا أبلغا هذا المعرض آية أيقظان قال القول إذ قال أو حلم
فإن تسأل الأقوام عني فإنني أنا ابن أبي سلمى على رغم من رغم
أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة فلم يخز يوماً في معدٍّ ولم يلم
وأكرمـه الأكفاء من كل معشر كرام فإن كذبتني فاسأل الأمم
أقول شبهات بما قال عالما بهنّ ومن يشبه أباه فما ظلم

<<=

وكان ابنه عقبة شاعرا، وابن ابنه العوَّام بن عقبة شاعرا؛ ومن شعره:

ألا ليت شعري هل تغيَّر بعدنا ملاحه عيني أم عمرو وجيدها

وهل بليت أثوابها بعد جـدة ألا حبذا أخلاقها وجديدها⁽¹⁾

(يعني بالأثواب العهود، أي هل بقيت على عهدنا أم لا؟).

وأبو سُلمى - أبو زهير - شاعرٌ أيضاً، وهو بضم السين؛ وليس في العرب سُلمى بضم السين غيره.

--- >>

فأشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينزعني شبه خال ولا ابن عم

أعيرتني عزاً قديماً وسادة كراما بنوا للمجد في باذخ الشمم

هم الأصل مني حيث كنت وإنني من المزنيين المضيفين للكرم... إلخ.

(1) [الأخلاق: جمع خلق للثوب القديم، ويقال: ثوب أخلاق]. ومن شعره أيضاً:

إن سجمعت في بطن واد حمامة تجاوبُ أخرى ماء عينيك غاسق

كأنك لم تسمع بكاء حمامة بليل ولم يحزنك إلف مفارق

ولم تر مفجوعاً بشيء يحبه سواك ولم يعشق كعشقك عاشق

بلى فأفلق عن ذكر ليلي فإنما أخو الصبر من كف الهوى وهو تائق

ومما قيل في هذا المعنى لرجل من نهشل:

ألام على فيض الدموع وإنني بفيض الدموع الجاريات جدير

أيكي حمام الأيك من فقد إلفه وأصبر عنها؟ إنني لصبور

ولآخر من بني الصيда:

دعت فوق أفنان من الأيك موهنا مطوقة ورقاء في إثر ألف

فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق تحت الشراسف

بكت بجفون دمعها غير ذارف وأغرت جفوني بالدموع الذوارف

وصه مزينة قره بن إياس الصحابي، جد إياس الذكي؛ وهو ابن معاوية بن قره.

ومنهم معاوية بن معاوية، قيل إن أباه معاوية بن مقرن، وليس من الذين هاجروا المذكورين في النظم. وبنو مقرن عشرة هاجر منهم سبعة ولم أر إسلامًا للباقيين. ولما مات معاوية بن معاوية نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: يا محمد مات معاوية بن معاوية أتحب أن تصلي عليه؟ فقال: «نعم»، فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضععت، فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة، كل صف سبعون ألفًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا جبريل بم نال معاوية هذه المنزلة؟» قال: بمحبة قل هو الله أحد وكثرة قراءته لها⁽¹⁾.

ومن مزينة معن بن أوس المزني الشاعر القائل:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلْ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمِيَةَ أَوَّلُ؟
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمَ الْعَهْدَ لَمْ أَحُلْ إِنْ ابْنَاكَ خَصَمٌ أَوْ نَابَا بِكَ مَنْزِلُ
أَحَارِبُ مِنْ حَارِبَتْ مِنْ ذِي عِدَاوَةٍ وَأَحْبَسُ مَالِي إِنْ غَرِمْتُ فَأَعْقِلُ⁽²⁾

(1) رواه الطبراني في الكبير - كما في مجمع الزوائد - وفيه العلاء بن زيد قال الذهبي عن ابن حبان إنه منكر، وعزا البيهقي للبخاري أنه منكر الحديث [انظر ميزان الاعتدال وضعفاء العقيلي]. وقال في عون المعبود: "لا يصح فإن في إسناده العلاء بن زيد قال علي بن المديني كان يضع الحديث..".

(2) بعده: وَإِنْ سَأَلْتَنِي يَوْمًا صَفَحْتَ إِلَى غَدٍ لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرَ مَقْبَلٍ
كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسَخَطِي وَمَا فِي رَيْبِي مَا تَعْجَلُ

وإني على أشياء منك تربييني
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني
وفي الناس إن رثت حبالك واصل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه
وكنت إذا ما صاحب رام ظني
قلبت له ظهر المجن ولم أقم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد

وله أيضا:

وذي رحم قلّمت أظفار ضيغنه
إذا سمته وصل القرابة سامني
فأسعى لكي أبني ويهدم صاحلي
يحاول رغمي لا يحاول غيره
فما زلت في لين له وتعطف
لأستل منه الضغن حتى سللته

وله أيضا:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة
ولا قادني سمعي ولا بصري لها
وأعلم أنني لم تصبني مصيبة
ولست بماش ما حيت لمنكر
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة
ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
من الدهر إلا قد أصابت فتى قلبي
من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
وأوثر ضيغي ما أقام على أهلي

ولما فرغ الناظم من مزينة - وهم بنو عمرو بن أد - أخذ يتكلم على بني عمهم مُر بن أد، فقال رحمه الله:

وَأَنْسَبُ لِمُرَّابْنٍ أَدُّ مَازِنَهُ، تَمِيمَهُ وَغَوْثَهُ وَظَاعِنَهُ
أُمُّهُمْ الْحَوَّابُ بِنْتُ كَلْبٍ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ قَرِيعِ الْعُرَبِ⁽¹⁾

أما مازن بن مر فلا ذكر لهم. وأما ظاعنة ففيهم يضرب المثل فيما فات
[يقال]: طعنت به ظاعنة. وأما الغوث⁽²⁾ فهم صوفة الذين كانت لهم إجازة
الناس في الحج من المزدلفة إلى عرفة ومن عرفة إلى منى - وهي الإفاضة -
يقول صاحبها منهم: أجيزي صوفة، فإذا جازوا يقول: أجيزي خندف،
فإذا أفاض خندف أذن للناس في الإفاضة. وذلك قول الناظم رحمه الله:

وَالْغَوْثُ لَا يُفِيضُ دِيَّارٌ إِلَى مَنِيٍّ بِدُونِ إِذْنِهِمْ وَإِنْ عَلَا

ديار: أحد، أي لا يفيض أحد من عرفة إلى منى حتى يأذنوا له. وإن

(1) ذكر الناظم في البيت الأول أربعة من أولاد مر بن أد بن طابخة، وهم مازن وتيمم والغوث،
وأضافهم إلى ضمير أبيهم، والرابع ظاعنة؛ وترك من أبنائه محاربا وسلمة وبكرا ومالكا، ولم
يكن لهم ذكر. وأما بنات مرّ فهن: برة أم النضر بن كنانة وإخوته، وهند وهي أم بكر
وتغلب وعنزي وائل، وتكمة وهي أم غطفان بن سعد وأم سليم وسلامان ابني منصور،
وجديلة وهي أم فهم وعدوان وإليها ينسبون، وعاتكة وهي أم عذرة بن سعد وإخوته -
[جمهرة ابن حزم].

(2) فهو ابن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وهو جد من أعيان مضر في الجاهلية، قيل إن
أمه نذرت إن هي ولدت ذكرا لتجعلنه خادما للبيت.. ثم ربطته عند البيت فمرت به وقد
أصابه الحر فسقط فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فصار يسمى صوفة واشتهر بها بنوه
بعده.

علا: أي عظم وعز، لأنها لهم من بين الناس⁽¹⁾؛ ومنه قول الشاعر:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صوفانا

وفي القاموس: الصَّوابُ آل صفوانا⁽²⁾.

وأُمُّ بني مر بن أد الذين ذكر: الحوَّابُ (كجوهَر) بنت كلب بن وبرة، سمي بها الماء المعروف. وقريع العرب: سيدهم وبه عنى كلب بن وبرة، يعني أنه من ساداتهم.

وشرَّ حَبِيلٍ مِنْهُمْ ابْنُ حَسَنَةٍ رَأَيْي الْفُتُوحَ لِلْعَتِيقِ فِي السَّنَةِ

(1) وإنما كانت لهم لأن أم جدّهم الغوث بن مر بن أد امرأة من جرهم، وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت ابناً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله جرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة ومكان أخواله جرهم، ثم وليها ولده من بعده حتى انقرضوا. فورثهم في ذلك بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم. وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث، وكان صفوان هو الذي يجيز الناس ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام. وفي ذلك يقول أوس بن تميم بن مَغَرَاء السعدي:

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم حتى يقال أجزوا آل صفوانا

مجد بناه لنا قدما أوائلنا وأورثوه طوال الدهر إخوانا

(2) نص القاموس: "صوفة أبو حي من مضر وهو الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاجّ في الجاهلية، أي يُفيضون بهم من عرفات، وكان أحدهم يقوم فيقول: أجزى صوفة، فإذا أجازت قال: أجزى خندف، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة. أو هم قوم من افناء القبائل تجمّعوا فتشبعوا تشبك الصوفة. وقول الجوهري: ومنه: حتى يقال أجزوا آل صوفانا: وهم، والصواب: آل صفوانا. وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة، قال أبو عبيدة: حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان" - [أه منه].

منهم: أي من الغوث، وشرحبيل هو ابن عبد الله بن المطاع⁽¹⁾. وحسنة أمه، وهو قُرشي بالحلف، قديم الصِّبَّة، هاجر الحبشة هجرتها الثانية ثم هاجر المدينة. وكان من وجوه قُرَيش ومن وجوه الصَّحابة. قوله: رائي الفتوح للعتيق في السَّنة: العتيق: أبو بكر. والسَّنة: النوم؛ يعني أنه رأى في نومه الفتوح التي فتح أبو بكر وقصها عليه، فاستعمله على جيش من جيوشه إلى الشام، ثم ولاه عمر في خلافته على ربع من أرباع الشام إلى أن مات في طاعون عَمَواسَ سنة ثمان عشرة، وهو ابن سبع وستين سنة. هؤلاء بنو مر من غير تميم.

نسب تميم

أَمَّا تَمِيمٌ فَهُوَ كَاهِلٌ مُضَرٌ زَيْدُ مَنَاةَ ابْنُهُ قَدْ اِنْتَشَرَ

في الحديث: «تميم كاهل مضر وعليه الحملان»⁽²⁾؛ والكاهل: الحارك،

(1) ابن عمرو أو ابن عبد الله بن الغطريف بن عبد العزى بن جثامة بن مالك، اشتهر بالنسبة إلى أمه حسنة وهي مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي.

(2) وفي الكامل للمبرد أن معاوية بن أبي سفيان قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال معهما من بني سعد، كلاماً أحفظهم فردوا عليه جواباً مُقْدَعًا؛ فلما خرجوا جاءته بنت قرظة، وكانت في بيت يقرب منه وقد سمعت كلامهم، فقالت: يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاماً تَلَقَّوْكَ به فلم تنكر فكدت أخرج إليهم فاسطو بهم. فقال لها: إن مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد. وروي أن صعصعة بن ناجية، جد الفرزدق، دخل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحملان: الحمل، وذلك لكثرتهم.

وبنو تميم لصلبه ثلاثة: زيد مناة - وهو أكثرهم قبائل، وذلك قوله: قد
انتشر، أي كثرت قبائله - وعمرو والحارث.

ومن زيد مناة بنو سعد بن زيد مناة. ومنهم الاضبط بن قريع بن
عوف بن كعب بن سعد، القائل لما أغضبه قومه فارتحل عنهم، فكل من
نزل به لم يحمده، فقال: أينما أذهب ألقى سعدًا، أو قال: بكل وادٍ بنو
سعد، أي الناس كلهم مثل بني سعد⁽¹⁾، وهو القائل:

لكل هم من الهموم سعة	والمسئ والصبح لا فلاح معه
قد يجمع المال غير آكله	ويأكل المال غير من جمعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به	من قر عينا بعيشه نفعه
وصل حبال البعيد إن وصل الـ	حبل وأقص القريب إن قطعه
لا تهين الفقير علك أن تر	كع يوما والدهر قد رفعه

وأخوه جعفر بن قريع الملقب بـ"أنف الناقة" هو أبو الحي من بني أنف
الناقة. وسبب تلقيبه به أن أباه نحر جزورا في سنة شهباء فبعثته أمه إليه
فوجده قد قسمها بين نسائه إلا رأسها، فقال له: شأنك به فجعل عودا في

--- >>

فقال: «كيف علمك بمضر»؟ قال: يا رسول الله أنا أعلم الناس بهم: تميم هامتها وكاهلها
الشديد الذي يوثق به ويحمل عليه، وكنانة وجهها الذي فيه السمع والبصر، وقيس
فرسانها ونجومها، وأسد لسانها. فقال صلى الله عليه وسلم: «صدقت» - [سموط
الذهب].

(1) يعني أنه لم يجد من أحد خيرا كما لم يجده من قومه بني سعد بن زيد مناة، فصار مثلاً.

الأنف وجعل يسحبه بين الحي، فضحكوا منه وسموه أنف الناقة. وكان هذا الحي يكرهون هذا اللقب ويعيرون به، حتى مدحهم الحطيئة بقوله:

قوم هم الأنف والأذنانُ غيرهمُ ومن يسوي بأنفِ الناقة الذنبا؟
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

فصاروا بعد ذلك يفتخرون به، وأجزلوا جائزة الحطيئة وأكثر في مدحهم وأحسن وأجاد⁽¹⁾.

مِنْ كَعْبِ ابْنِ سَعْدِ عَطَارِدُ مُقَاعِسُ وَمِنْقَرُ الْأَمَاجِدُ

يعني أن من قبائل زيد مناة أيضاً ثم من بني سعد: بني عطارد وبني مقاعس وبني منقر (كمنبر). ويعني بالأماجد بني منقر، لأن فيهم شرفاً تميم.

ومن عطارد كَرَبُ بن صفوان الذي كان يُفيض الناس، بعد أن كان ذلك في بني الغوث فورثه منهم، قال الشاعر:

ولا يرمون بالتعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صفوانا

ومن عطارد أيضاً أبو رجاء واسمه عمران بن عبد الله العطاردي، كان يقول: لم أر ناساً أضل من العرب يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها فيأتي الذئب فيأكلها فيجيئون بأخرى، وإذا رأوا صخرة حسنة جاؤوا بها وصلوا إليها، وإن رأوا أحسن منها تركوها و جاؤوا بتلك يعبدونها. وقد

(1) راجع بعضه في ص: 400.

أسلم على عهد النبي ﷺ. ومات في خلافة هشام بن عبد الملك وهو ابن
مائة وعشرين سنة. وقال فيه الفرزدق:

ألم تر أن الناس مات كبيرهم وقد عاش قبل البعث بعث محمد⁽¹⁾
وأما مقاعس فولده الحارث وعبيد.

ومن الحارث سلامة بن جندل الذي يقول:

أودى الشباب عجيا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب
ولى حثيثاً وهذا الشيب يتبعه لو كان يُدركه ركضُ اليعاقب
إن الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

وأما منقر فهو ابن عبيد بن مقاعس. ولم يذكر الناظم رحمه الله أحداً
لبنى عطار ولا لمقاعس إلا بني منقر، وصفهم بالمجد وذكر لهم رؤساء؛
فقال رحمه الله:

قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَخُوهُمْ سُبَيْتُ بِنْتُ لَهُ وَخَيْرَتْ إِذْ جُلِيَتْ
بَيْنَ أَبِيهَا وَالْحَلِيلِ السَّابِي فَاخْتَارَتْ الْحَلِيلَ عَنْ إِيَابِ
فَغَازَاهُ ذَاكَ وَشَنَّ وَأَدَا عَلَى بَنَاتِهِ؛ وَسَنَّ إِذَا

(1) ولم يغن عنه عيش سبعين حجة وستين لما بات غير موسد
إلى حفرة غبراء يكره وردها سوى أنها مثوى وضيع وسيد
ولو كان طول العمر يُخلد واحداً ويدفع عنه عيب عمر ممدد
لكان الذي راحوا به يحملونه مقيماً ولكن ليس حي بمُخلد
نروح ونغدو والحتوف أماننا يضعن لنا فخَّ الردى كل مرصد
إلخ..

قوله أخوهم: يعني بني منقر، منهم قيس بن عاصم الذي قال فيه النبي ﷺ، حين قدم عليه في وفد تميم الذين نادوه من وراء الحجرات سنة تسع: «هذا سيد أهل الوبر».

قيس بن عاصم وسبب وأده لبناته

وقصة بنته أن بني تميم منعوا الاتاوة من النعمان بن المنذر، فبعث إليهم أخاه ريان بن المنذر فسبى منهم نسوة، منهن بنت لقيس بن عاصم. فلما استرد بنو تميم نساءهم من النعمان خير النساء بين من سباهن وبين الإياد - أي الرجوع - إلى أهلهن، فكل النساء اختارت أهلها إلا بنت قيس بن عاصم فإنها اختارت سابيتها ريان بن المنذر عن الرجوع إلى أبيها؛ فغاض ذلك قيسا على بناته فشن - أي صب - عليهن الوأد، وهو المعروف الذي ذمّت به الكفار؛ فسَنَ بذلك إذا، أي إثما عظيما.

ويفهم من هذا أنه أوّل من وأد، وليس كذلك؛ إلا أن يكون أول من وأد من قومه⁽¹⁾. أسلم قيس حين وفد على رسول الله ﷺ، لكن قيل إنه

(1) وروي أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إني وأدت ثمانى بنات في الجاهلية، فقال: «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة» فقال: إني صاحب إبل، قال: «اهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة» - [سموط الذهب].

وفي الإصابة أن أبا بكر سأل قيس بن عاصم ما حمله على وأد بناته؟ فقال له: خشيت أن يخلف عليهن غير كفاء. قال: فضف لنا نفسك. فقال: أما في الجاهلية فما هممت بملامة ولا حُمْتُ على تهمة ولم أرَ إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة أو حامي جريرة، وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾. فأعجب أبو بكر بذلك.

ارتد بعد ذلك وتبع سجاح العنبرية، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقال يهجو
سجاح ومسيلمة الكذاب:

أضحت نبيتنا أنثى نطوفُ بها وأصبحت أنبياء الله ذُكرانا
يا لعنة الله والأقوام كلهم على سجاح ومن بالكفر أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت أصدأؤه ماءً مزن حيثما كانا

وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية. وسبب ذلك أنه يوما غمز بنته
وهو سكران، وسبَّ أبويه، ورأى القمر فتكلم بما لا يليق، وأعطى الخمار
مالا كثيرا. وكان مشهورا بالعقل والحلم؛ ومما قال في الخمر:

رأيت الخمر صالحةً وفيها خصالٌ تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا ولا أشفي بها أبدا سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي ولا أدعو لها أبدا ندima
فإن الخمر تفضَّحُ شاربيها وتجنهم بها الأمر العظيما

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من خالي قيس بن
عاصم؛ رأيته يوما بفناء بيته يحدث قومه محتبيا بحمائل سيفه إذ أتى برجل
مكتوف ومعه آخر مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما
قطع كلامه ولا حل حبوته، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه وقال له: بئسما
فعلت يا ابن أخي أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت
نفسك بسهمك؛ ثم قال لابن له آخر: قم يا بني حل كتاف ابن عمك
ووار أخاك وسُقْ مائة ناقة إلى أمك دية ابنها، فإنها غريبة؛ ثم قال:

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابني ولم تُرد
كلاهما خلف عن فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ولما حضرته الوفاة قال: لا تنوحوا علي، فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه^(١).

وَأَيْنَ مُحْيِيَهُنَّ مِنْهُ: صَعَصَعَةُ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ الَّذِي قَدْ رَفَعَهُ

قوله وأين محييهن: أي ما أبعده منه في الفضل، يقال أين فلان من فلان، إذا كان أفضل منه أو كان على عكسه، لأن هذا أماتهن وذلك أحياهن؛ وتقدم سبب إماتة قيس لهن.

صعصعة بن ناحية وإنقاذه للموءودات

وأما سبب إحياء صعصعة لهن أنه أضل ناقتين فخرج في طلبهما، فبينما هو يسوقهما إذ رُفِعَ له بيت، فوجد أهله يئدون جارية فاشتراها منهم بالناقتين والجمل الذي كان ينشد عليه الناقتين. ثم لم يزل يشترى الموءودات بمثل ذلك إلى أن اشترى منهن كثيرا فردهن إلى أهلهن. فلما أسلم سأل النبي ﷺ هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا».

(١) ودعا بنيه وقال لهم: يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنه منبّهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر مكسب الرجل. ورثاه عبدة بن الطيب بقوله:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ويقال إن هذا البيت أرثى بيت قالته العرب.

وصعصعة هو ابنُ ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع.
والفرزدق بن غالب بن صعصعة، وكان يفتخر بإحياء صعصعة للموءودات
لأنه رفعه في الجاهلية؛ يقول مفتخرا على جرير في قصيدة⁽¹⁾:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوءد

وقوله قد رفعه: أي رفع صعصعة إحياءه للموءودات، ويحتمل: رفع
الفرزدق على جرير جده صعصعة، لأنه كان يفتخر به عليه.

مِنْ ابْنِ عَاصِمٍ تَعَلَّمَ الْأَدَبُ وَالْحِلْمَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَذَرِبُ

يشير إلى ما قدمنا قريبا في الكلام على قيس من قول الأحنف: تعلمت
الحلم من خالي قيس.. إلى آخره⁽²⁾. قوله: وذرب: أي حمل عنه الذرابة، أي

(1) ألم تر أنا بني دارم زُرارة منا أبو مَعْبَدٍ

ومنا الذي منع ... إلخ.. وبعده:

ألسنا بأصحاب يوم النصار وأصحاب ألوية المربد

ألسنا الذين تميم بهم تُسامي وتفخر في المشهد

وناجية الخير والأقرعان وقبر بكاظمة المـورد

ومجد بني دارم دونه مكان السماكين والفرقد

(2) أي آخر كلامه الذي مر آنفا، وكان يقول: لست بحليم ولكنني أتحلّم، ويقول - إذا عجبَ
الناس من حلمه - : إني لأجد ما تجدون ولكنني صبور، وسئل عن الحلم ما هو؟ فقال: هو
الذل مع الصبر، وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال، ويقول: في ثلاث خصال
ما أقولهنَّ إلا ليعتبر فيّ معتبر؛ ما دخلتُ بين اثنين قط حتى يُدخِلاني بينهما، ولا أتيت
باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه - يعني الملوك - ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس

<<=

الأحنف بن قيس وحلمه

وذكر هنا الأحنف بن قيس وليس من منقر، ولكن من مرة بن عبيد — أخي منقر بن عبيد - للمناسبة بينه وبين قيس بن عاصم في الحلم والعقل والأدب. واسم الأحنف: الضحاك، وقيل صخر وكنيته أبو بحر؛ وكان في رجله حنف فادح وبه لقب، وكانت أمه ترقصه وتقول:

والله لولا حنف في رجله ما كان في رجالكم من مثله

وهو ابن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال، وأمه⁽¹⁾ من باهلة. أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ وحبسه عمر بالمدينة سنة ثم قال له: ما حبستك إلا لأعلم هل أنت بريء من النفاق فوجدتك بريئاً منه. ورؤي أنه اشتكى إليه رجل وجع الضرس فأعرض عنه فاشتكى إليه، فقال له: يا أخي لي ثلاثون سنة وأنا فاقد البصر من إحدى عيني ولم أشعر بذلك أحداً (يأمره بالكتمان للمرض). وكان يقول: ما طلبتُ شيئاً قط إلا أُعطيته، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: لأنني لا أسأل مستحيلاً.

— — — >>

إليه. ومن كلامه: ألا أدلكم على المحمّدة بلا مرزأة الخلق السجيج، والكف عن القبيح، ألا أخبركم بأدواء الداء: الخلق الدنيئ واللسان البذيئ، ويقول: ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الأموات للأحياء أفضل من اصطناع معروف، وقال كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئاً عرف به.

(1) حُبَي بنت قرظ الباهلية.

وذكر أبو العباس المبرد في الكامل في باب جامع الأخبار أن الأحنف تحمل الحملات بين تميم وبين بني شيبان، فجعل يجمعها للناس، فذكر له حي من تميم بنجد فأقبل إليه، فأناخ عند شيخ كُبار فسأله عن شأنه فأخبره، وسأله عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعن عمر. فلما أصبح أعطى مائة عقال لمائة راع كلهم أمره أن يعقل له ناقة، ولم يعلم الشيخ من أي تميم، ولم يسأل الشيخ الأحنف من أي تميم هو.

ولا تحصى مناقب الأحنف، ومنها الشجاعة؛ لما استنجد يزدجرد خاقان ملك الترك، لتدمير المسلمين للفرس، قال خاقان: أنا بريء من الظلم ولكن لا يستنجدني أحد إلا أنجدته، فأعطاه جيوشا؛ فساروا فلما دخلوا العراق سمع بهم المسلمون فشق عليهم ذلك. وكانت عادتهم أن أشجعهم يأخذ طبلا فيتقدم به فيأتي إلى مكان مرتفع فلم يزل يضربه حتى تأتيه الجيوش؛ فسمع المسلمون طبلين لهم كل واحد في مكان، فانسل الأحنف من بين الناس ولم يشعر به أحد فأقبل نحو أحد الطبلين فأتى صاحبه فقتله وكسر طبله وساق فرسه وأقبل نحو الآخر ففعل به مثل ذلك، وصبح فرسيهما عند المسلمين؛ فبعث جنود الترك إلى خاقان بذلك فقال: إني لأعلم أن أولئك لا يُغلبون لمطاوعتهم لنبيهم، وأيضا بلغني أن نبيهم نهاهم عنا ما تركناهم؛ فاسترد جنوده.

وقوله:

وَهُوَ حَفِيدُهُ وَالْأَهْتَمَ هَتَمٌ وَالِدَ عَمْرٍو ابْنِ عَمِّهِ الْخَضَمُ

وهو: أي الأحنف، حفيده: أي قيس بن عاصم؛ وفيه نظر، لأن أم الأحنف

من باهلة - كما قدمنا - إلا أن يكون الناظم رحمه الله بنى على قول الأحنف: تعلمت الحلم من خالي قيس بن عاصم. لأن من كان له خال يكون هو حَفِيدُهُ، اللهم إلا أن تكون للأحنف خؤولة في بني منقر، فهي التي يعني، لأن قيساً سيدهم بل سيدُ أهل الوبر كما قال صلى الله عليه وسلم، وكما قال الشاعر يرثيه:

عليك سلام الله قيسُ بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

قوله والأهْتَمَ هَتَمَ: أي هتم قيسُ الأهْتَمَ أبا عمرو بن الأهتم، ضربه بقوس فهتمه، أي كسر ثنيته؛ وفي القاموس أنه هُتِمَ يوم الكلاب. واسم الأهتم سنان بن خالد⁽¹⁾. وقوله ابن عمه: يعني أن عمرو بن الأهتم ابنُ عم قيس بن عاصم. وقوله الخضم: يعني عمرو بن الأهتم، وكان يضرب به المثل في البلاغة والشعر والجمال والجود. ومن بلاغته ما قال فيه النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا»، وذلك أنه سأله عن الزبرقان بن بدر، حين وفدا عليه في وفد تميم، فقال عمرو: الزبرقان مطاع في أذنيه⁽²⁾، شديد العارضة في قومه، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر من ذلك ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما الزبرقان فزَمِرُ المروءة،

(1) بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري.

(2) الأذنين (بوزن أمير): النداء، يعني أنه إذا نادى قومه لحرب أو نحوها أطاعوه. وفي رواية: مطاع في أذنيه. والأذنون: جمع الأدنى: بمعنى الأقرب.

ضيق العطن⁽¹⁾، لئيم الخال أحق الولد. ثم قال: والله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية، ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت. فقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ من البيان لسحرا⁽²⁾». وكان يدعى المكمل لجماله. ومن شعره⁽³⁾:

ومستبح بعد الهدوء دعوته وقد حان من ساري الشتاء طُروقُ

إلى أن قال:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق⁽⁴⁾

مِيَّةٌ مِنْ قَيْسٍ وَذُو التَّمِيمَةِ لِفَزَعٍ عَلَّقَهَا بِرُمَّةٍ
لَأَدٍّ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَشْعَارُهُ مُشْعِرَةٌ أَنَّ تَمِيمًا دَارُهُ

(1) زمر المروءة: أي قليلها، وضيق العطن كناية عن البخل.

(2) رواه البخاري.

(3) ذريني فإنَّ البخلَ يا أمَّ مالكٍ لصالح أخلاق الرجال سرُّوقُ

ذريني وحظي في هواي فإنني على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

ذريني فإنني ذو فعالٍ تهْمُنِي نوائبُ يَغْشَى رزؤُها وحقوقُ

وكل كريم يتقي الدم بالقرى وللحق بين الصالحين طريقُ

ومستبح بعد الهدوء.. إلخ.

(4) وله أيضا:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب

فأصبح ما في الود بيني وبينه كأن لم يكن، ذا الدهر فيه عجائب!

إذا المرء لم يحبك إلا تکرُّهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب

مية: هي بنت بلال بن طُلبة بن قيس بن عاصم، وتكنى أمَّ ثور. والرمة (بالضم وتكسر): قطعة من حبل، وبها لقب هذا الشاعر واسمه غيلان بن عقبة بن نهيش (كزبير، بنون وهاء آخره شين معجمة) ابن مسعود بن حارثة. واختلف في سبب هذا اللقب، ف قيل إنه كان به فزع وهو صغير فكتبت له تيممة⁽¹⁾ فعلمت عليه بقطعة حبل، وقيل إنه أول يوم رأى فيه مية أنه كان في رهط فرفعت لهم بيوت، فمال إليها ليشرب فأتى بيتا فيه امرأة ومعها جارية، فاستسقى المرأة ماءً فقالت للجارية اسقيه يا مية فجاءته بماء، وكانت على كتفه قطعة حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرمة؛ وكانت قد سلبته منذ رآها، فخرج وهو يقول⁽²⁾:

قد عجبت أخت بني ليبد وهزأت مني ومن مسعود
رأت غلامي سفر بعيد يدّرغان الليل ذا الصرود
مثل ادّراع اليلمق الجديد

ثم كان من أمره ما كان، حتى ضرب به المثل، وسمي بها. وتشبب

(1) قوله: كان به فزع: هو بالفاء والزاي وقيل قرع بالقاف والراء. والتيممة: واحدة التمام أي التعاويذ.

(2) هل تعرف المنزل "بالوحيد" قفراً محاه أبد الأبيد
والدَّهْرُ يُبْلِي جِدَّةَ الجديد لم يبق غير مُثَلِّ ركود
غير ثلاث باقيات سود وغير مشجوج القفا موتود
فيه بقايا رَمَّةٍ التقليد

إلى أن يقول: قد عجبت أخت بني ليبد.. إلخ.
(ومشجوج القفا: الوتد يدقُّ رأسه. ومسعود: أخ لذي الرمة).

أيضا بنسوة آخر، منهن خرقاء امرأة من بني البكاء⁽¹⁾، وهم من بني عامر بن صعصعة. وذكره الناظم رحمه الله هنا تبعا لذكر مية، وحقه أن يذكر في نسبه، وهو الرباب.

ومر منقر أيضا: منازل بن ربيعة، وهو الذي يقال له اللعين، سمي بذلك لأن عمر سمعه ينشد والناس يصلون فقال: من هذا اللعين؟ فعلق به ذلك اللقب؛ وهو شاعر، ومن شعره يهجو رؤبة:

أبا الأراجيز يا ابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور⁽²⁾

(1) قال المفضل الضبي: كنت أنزل في بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوما: هل لك في خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ قلت: بلى، فتوجَّهنا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر ميل، فإذا أبيات فقرع منها بيتا فخرجت إلينا منه امرأة حسناء بها قوة فتحدثنا معها طويلا فقالت: أحججت قبل هذه؟ قلت: بلى، قالت: فما منعك من زيارتي أما علمت أنني منسك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذلك؟ قالت: أما سمعت قول ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

(2) ويحكى أنه اعترض الفرزدق وجريرا وقال لهما:

سأقضي بين كلب بني كليب وبين القين، قين بني عقال
بأن الكلب مرتعه وخيم وأن القين يعمل في سِفال

فلم يجبه أحد منهما، فقال:

فما بُقيَا عليَّ تركتُماني ولكن خفتما صردَ النبال
فدونكما انظرا أهجوتُ أم لا فذوقا في المواطن من نبال
وما كان الفرزدق غير قَيْنٍ لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جده الخطفي جرير ويندب حاجبا وبني عقال

فلم يلتفتا إليه فسقط. وكان اللعين هذا هجاء للأضياف من ذلك قوله:

<<=

ومنهم أيضا أبو العلاء المنقري، كان صديقا لذي الرمة، فلما مات ذو الرمة صادقاه أخوه.

ومنهم الحارث بن شريح، كان مع قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم في وفد تميم إلى النبي ﷺ حين نادوه من وراء الحجرات ففاخروا وأسلموا وأحسن النبي ﷺ جوائزهم.

ومنهم القلاخ بن جناب القائل:

أخا الحرب لباسا إليها جلالها وليس بولاج الخوالف أعقلا
وهو القائل أيضا:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خنائير أقود الجملا
(والخنائير: الدواهي)⁽¹⁾.

ومن بني مرة بن عبيد، أخي منقر، قبيلُ الأحنف بن قيس - وليس الأحنف من منقر وإنما هو من إخوتهم بني مرة بن عبيد - ومنقر بن عبيد.

--- >>

وأبغض الضيف ما بي جُل مأكله إلا تنفجُـه عندي إذا قَعَدَا
ما زال ينفج كتفِيهِ وجسوته حتى أقول لعلَّ الضيف قد وَلَدَا!

(1) وله أيضا:

سقى جدثا وارى أريبَ بن عسّسٍ عن العين غيثٌ يسبق الرعدَ وابلُهُ
مُلث إذا ألقى بأرض بعاعه تعمّد سهل الأرض منه مسائلُهُ
وذي تدرا ما الليث في أصل غابه بأشجع منه عند قرن ينازله
قبضت عليه الكف حتى تقيده وحتى يفي للحق أخضع كاهله
فتى كان يستحيي ويعلم أنه سيلحق بالموتى ويُذكر نائله

ومن مرة - غير الأحنف - جارية بن قدامة، الصحابي، يقال له المحرق، لأنه حرق دارا على ابن الحضرمي وأصحابه، وهم سبعون؛ بعثهم معاوية إلى أهل الكوفة يحرضهم على غزو علي فحرق عليهم دارا من دور الكوفة. ومنهم الفقيه أبو بكر الابهري. ومنهم سيدنا خباب بن الارت، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في ذكره في قريش.

مِنْ مَّالِكِ بْنِ سَعْدِ الرَّبَّاعِ حَنْظَلَةُ وَمِنْهُمْ الْيَرَّابِعُ

سعده: أي سعد بن زيد مناة بن تميم. والرَّباع: جمع ربيعة وهم: ربيعة الجوع بن مالك بن سعد، وربيعه الوسطى بن حنظلة بن مالك، وربيعه الصغرى بن مالك بن حنظلة بن مالك؛ كلهم عم الآخر. ومثلهم في ذلك الثعالب كلهم عم الآخر: ثعلبة بن رومان، وثعلبة بن ذهل بن رومان، وثعلبة بن جدعان بن ذهل بن رومان.

قوله ومنهم اليرابيع: أي من حنظلة، لأن يربوعا: ابن حنظلة، أخو ربيعة الوسطى؛ ويقال لبني حنظلة هؤلاء حنظلة الأكرمون.

وَهِيَ كَلَيْبُ وَرِيَّاحُ، ثَعْلَبَةُ، غُدَّانَةُ وَعَنْبَرُ ذُو الْمَثَلَبَةِ

وهي: أي اليرابيع: كليب بن يربوع، ورياح بن يربوع، وثعلبة بن يربوع، وغدانة وعنبر ابنا يربوع.

ومن بني يربوع واقد بن عبد الله الصحابي، حليف آل الخطاب، أول من قاتل في سبيل الله؛ قتل عمرو بن الحضرمي في سرية عبد الله بن جحش آخر يوم من رجب بنخلة، وهو موضع بين مكة والطائف. وفي ذلك يقول أبو بكر رضي الله عنه، وقيل عبد الله بن جحش:

تَعْدُونَ قَتْلَى فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْهَا لَوْ يَرَى الرَّشْدُ رَاشِدُ
صَدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكَفَرْتُ بِهِ وَاللَّهُ رَأَى وَشَاهِدُ

ومنها:

سَقِينَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبُ وَاقِدُ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا يَنَازِعُهُ غِلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ

أسلم قبل دخول دار الأرقم وشهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنهما.

ومن يربوع أيضا ابنا نويرة: مالكٌ ومتمم (كمُعَظَمٌ، وقال ابن خلكان: كمُحَدَّثٌ)؛ بعثهما النبي ﷺ على صدقات قومهما. وكان مالك من سادات تميم فلما سمع بوفاة رسول الله ﷺ فرق الصدقات على قومه، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد يقاتل أهل الردة، وكان يُبَيِّتُ الحي فإذا سمع فيهم الأذان عدل عنهم وإذا لم يسمعه أوقع بهم؛ ولم يسمعه بالحي الذي منهم مالك، فكان يكلمه ويقول له مالك: قال صاحبك وتوفي صاحبك - يعني رسول الله ﷺ - فقال له خالد: أو ليس بصاحبك يا عدو الله؟ فأمر ضرار بن الأزور فقتله، وفي ذلك يقول متمم:

نعم القَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ خَلْفَ الْبُيُوتِ قَتَلْتَ يَا ابْنَ الْأَزُورِ
أَدْعَوْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَرْتَهُ؟ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدُرْ⁽¹⁾

(1) لا يضمم الفحشاء تحت ردائه حلّ شئائله عفيف المئزر
ولنعم حشؤ الدرع يوم لقائه ولنعم مأوى الطارق المتور

يقال إن خالدا تزوج امرأته - أم متمم - وبنى بها تلك الليلة، فقال عمر لأبي بكر: ارجم خالدا، فقال: إن كان خالدًا لم تأولا؛ أي ما كان خالد إلا متأولا (إن نافية واللام بمعنى إلا، على حد ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾⁽¹⁾ على أحد التأويلين). وشهد على إسلام مالك رجلا من الأنصار: ثابت بن قيس وعباد بن بشر، لا ترد شهادتهما وخالد سيف الله سلّه على أعدائه.

ومن مرثي متمم لمالك قوله، وقد تزوج امرأة من الأنصار فلم يتوافقا:

أقول لهندٍ حين لم أرض فعلها أهذا دلال الحب أم فعل فارك
أم الصرم تختارين؟ كل مفارق يسير علينا فقدّه بعد مالك⁽²⁾

وقال له عمر رضي الله عنه⁽³⁾: وددت أني رثيت أخي زيدا. بمثل ما

(1) الطارق: 4.

(2) ومنها:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
أمن أجل قبر بالفلا أنت نائح على كل قبر أو على كل هالك؟
فقال أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدّكادك؟
فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعني، فهذا كله قبر مالك!
ألم تره فينا يقسم ماله وتاوي إليه مرملات الضرائك
(والضرائك: الفقراء والسيئو الحال).

(3) حين سمعه ينشد مرثيته وقد بلغ قوله:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
قال له: هذا والله التأبين ولوددت.. إلخ..

رثيت به أخاك، فقال له متمم: لو علمت أن أخي صار إلى ما صار إليه أخوك ما رثيته. وقال في مدحه نثرا: "كان أخي يركب الجمل الثَّفالَ بين مزادتين غير معتدلتين في ليلة باردة وهو يقود الفرس الجرُورَ وعليه الشَّمْلَة الفلُوت⁽¹⁾ ويُصبح يبتسم".

ومَّا يحكى عن مالك أنه أسر له أسير فقدم على الحي الذين أسروه، وهم لا يعرفونه، فلم تبق امرأة منهم إلا تطلعت لرؤيته لجماله؛ فأناخ بالبيت الذي عنده الأسير فاجتمع إليه الناس فلم يزل يحدثهم ويتعجبون من حسنه وحسن حديثه، فلما أحضروا الغداء نظر إلى الأسير فقال: من هذا؟ قالوا: أسير، قال: حلوه حتى يأكل معنا، فأطلقوه فأكل معهم ثم أرادوا أسره فقال: أفُّ له! إنه قد أكل معنا فصار منا، فكان ذلك تسريحا له.

ومر كليب بن يربوع جرير بن عطية بن الخطَفى، مهاجي الفرزدق والراعي والأخطل وغيرهم.. رُوي أنَّه سأله رجل: من أشعر الناس؟ فدعا أباه عطية فخرج إليه واللبن يسيل على لحيته، فقال: هذا ضنٌّ أن يمس لبن العنز الإناء فكان يخلبها في فيه، وأشعر الناس من هذا أبوه. وأفحم سبعين

(1) الثَّفال (كسحاب): البطيء الذي لا يكاد ينبعث. والمزادة: القربة، قال أبو منصور: المزاد - بغير هاء - هي الفردة التي يحتقبها الراكب برحله، وأما الراوية فإنها تجمع المزداتين يعكمان على جنبي البعير وكل واحدة منهما تسمَّى مزادة؛ وتكون المزادة من جلدتين ونصف وثلاثة جلود لتتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة. والفرس الجرور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه إنما يجر الحبل. والشَّمْلَة: كساء أو مئزر يتشح به. والفلُوت: التي لا ينضم طرفاها لصغرها أو التي لا تثبت على صاحبها لينها أو خشونتها.

شاعراً. وكان هو والفرزدق على مهاجتهما يصطحبان كالمتصادقين لا
عداوة بينهما ولا شحناء ويهجو أحدهما الآخر وهو معه في مجلس
ويضحكان!. ومن ذلك أن جريرا كان يهجو الراعي بقصيدته التي وضع
بها نميرا، فلما انتهى إلى قوله: ترى برصاً بجمع اسكتيها، وكان الفرزدق
جالساً فغطى عنفقه، فقال جرير: كعفة الفرزدق حين شابا، فخرج الفرزدق
يضحك ويقول: اللهم اخزه. ومن شعره في عبد الملك، يخاطب أمه:

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

إلى أن قال:

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطوناً راح

فقال له عبد الملك: أيرضي أمك يا جرير مائة بكرة من إبل كلب سود
الحدق؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ولكن من يرعاها؟ فقال: غلامان أو
غلام وجارية، وزاده قدحا من ذهب.
ولما مات الفرزدق رثاه بقوله:

لعمري لئن كان المخبر صادقا لقد عظمت بلوى تميم وجلت
فلاً حملت بعد الفرزدق حرّة ولا ذات حمل من نفاس تعلت

فقليل له: أترثيه وقد هاجاك أربعين سنة؟ فقال: والله ما تساب رجلا
ولا تناطح كبشان فمات أحدهما إلا وتبعه الآخر عن قريب. فمات بعده
بأربعين يوما.

ومر رباح سحيم الشاعر القائل:

أنا ابن جلا وطلاغ الشايب متى أضع العمامة تعرفوني
وإن مكاننا لبني نـمير مكان الليث في وسط العرين

ولو أنا على حجر ذُبَحنا جرى الدميان بالخبر اليقين
دعي ما ذا عَلِمْتُ سَأْتِقِيهِ ولكن بالمغيَّب نبَّيْنِي

وقيل إنّ سُحَيْمًا عبد حبشي اشْتَرَاهُ عبد الله بن أبي ربيعة لعثمان،
فقال له: لا تفعل، فإنك إن أدنيتَه وقربته تشبب بنسائك وإن باعدته
وخوفته هجأك؛ فردّه لأهله. ثم انه هوي بنت مولاة فقال فيها:

عميرة ودَّعْ إن تَجَهَّزْتَ غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
تُوسِدُنِي كفا وتُثْنِي بمعصم علي وتُحْنِي رجلها من ورائيا
وهبت شمالاً آخر الليل قرّة ولا ثوب إلا درعها وردائيا
وما زال ثوبي طيباً من نسيمها إلى الحول حتّى أنْهَجَ الثوب باليا

وأما ثعلبة بن يربوع فهم الذين يعني جرير بقوله:

أثعلبةُ الفوارس أم رياح عدلت بهم طهية والخشابة

ومنهم طليحة بن أقرم القائل:

كرب القلب من جواه يذوب حين قال الوشاة هند غَضُوبُ

وأما غُدانة (بضم الغين) بن يربوع فهم الذين يعني الشاعر بقوله:

بني غُدانة ما إن أُنْثِمُ ذهباً ولا صريفا ولكن أنتم الخزف⁽¹⁾

سجاج وخبر تنبئها مع مسيلمة

وأما عنبر بن يربوع، أهل المثلبة، فمنهم سجاج بنت الحارث، وقيل

(1) ويقول فيهم الأبيرد بن المعذر بن قيس اليربوعي الرياحي من أبيات له:

ألا ليت حظّي من غُدانة أنها تكون كفافاً لا عليّ ولا ليا
أبي الله أن يهدي غُدانة للهدى وأن لا تكون الدهر إلا مواليا

بنت أوس؛ والمثلبة⁽¹⁾ هي تنبؤ أختهم واتباعهم لها. وتبعها كثير من تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من ربيعة؛ تنبأت في زمن مسيلمة ثم أسلمت في زمن معاوية وحسن إسلامها.

فلما تبعها من تبعها قصدت إلى مسيلمة إذ سمعت به، وسجعت في ذلك أساجيع، فلما أتته قال لها: أبعدي أصحابك، ففعلت. فضرب لها قبة عظيمة وطيبها بالبخور واجتمعوا فيها وقال لها: ما أوحى إليك؟ فقالت له: ما أوحى إليك أنت؟ قال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمةً تسعى، من بين صفاق وحشا. قالت أيضا: وما أنزل إليك؟ قال: إن الله خلق للنساء أفرأجا، وجعل الرجال لهن أزوأجا، فيولجون فيهن إيلأجا، ثم يخرج ما يشاء منهن إخراجا، فَيُنتجن لهم نتأجا. فقالت: أشهد أنك نبي! فقال لها: هل لك أن أتزوجك؟ قالت: نعم، قال: فقد جعلت صداقك صلاة العتمة وصلاة الصبح أضعهما عن أصحابك وأصحابي، ثم قال لها: هل لك أن أرتجز؟ قالت: نعم، فقال:

ألا قومي إلى النيك	فقد هنا لك المضجع
فإن شئت ففي البيت	وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت سلقناك	وإن شئت على أربع
وإن شئت بثليته	وإن شئت به أجمع

فقالت: بل به أجمع، فهو للشمل أنفع. قال: وبذلك أوحى إلي! فأقامت

(1) المثلبة: العيب ويعني بها هنا تنبؤ أختهم.. الخ

عنده ثلاثة أيام ثم انصرفت إلى قومها.

وصه العنبر بن يربوع أيضا الخشخاش بن الحارث العنبري، له ولبنيه الثلاثة صحبة، ورؤي عنه قال: أتيت النبي ﷺ ومعني ابني فقال: «لا تحني عليه ولا يجني عليك»⁽¹⁾. ومنهم أيضا ذوئيب بن شعثن - أو شعثم - كان اسمه الكلاح فسماه النبي ﷺ ذؤيبا - وكان له ذؤابة طويلة - ويكنى أبا رديح، نزل البصرة.

مِنَ الْحَنَاظِلِ الْخِشَابُ دَارِمٌ طُهَيَّةٌ أَخُوهُمْ الْأَلَائِمُ

الحناظل: جمع حنظلة، يعني القبائل؛ أي من قبائل حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم: دارم وقبيلات الخشاب وطهية. أخوهم: أي أخو الخشاب ودارم، بنو مالك بن حنظلة⁽²⁾. والألائم: جمع لئام⁽³⁾. أما الخشاب فثلاث قبائل، وهم: ربيعة ورزام وكعب، ويقال لبني كعب ذئاب الغضا. وأما دارم فاسمه بحر بن مالك، وسمي دارما لأن أباه أتاها قوم من العرب في

(1) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

(2) لمالك بن حنظلة هذا أحد عشر ولدا هم: دارم، وبنو طهية الثلاثة: الأسود وعوف وحبيش بنو مالك، والخباب وهم: ربيعة ورزام وكعب بنو مالك، وبنو العدوية وهم: زيد والعداء ويربوع بنو مالك.

(3) وهو جمع لئيم قال الشاعر:

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ أَلَائِمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّخُ

ووصف به بني طهية وجمع الوصف باعتبار أفراد بني طهية، وطهية (كسمية) أمهم، وهي بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

حمالة فناده يا بحرُ إيتني بخريطة المال فأتاه بها يذرُم تحتها، أي يقارب خطوه في عجلة. وأما طُهية فهم: الأسود وعوف وحبيش بنو مالك بن حنظلة، عرفوا بأمهم طهية بنت عبد شمس.

وقوله: الألائم: يشعر بإعراضه عن ذكر أحد من طُهية الخشاب.

ومن بني حنظلة بن مالك: بنو العدوية، منهم يعلى بن أمية بن أبي عبيد؛ ويقال له ابن مُنية⁽¹⁾، وهي أم أبيه حضنته فنسب إليها. أسلم عام الفتح هو وأبوه، قال أبوه أمية لرسول الله ﷺ: يا رسول الله بايعنا على الهجرة. فقال: «لا هجرة بعد الفتح»⁽²⁾. وشهد يعلى حنيناً والطائف وتبوك؛ استعمله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وكان عظيم الشأن عند عثمان فقام في نصرته جداً، أعان الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريش واشترى "العسكر" لعائشة بمائة دينار، وهو الجمل المسمّى به اليوم، قيل إنه لما تجهز سقط عن بعيره فانكسرت فخذه، وقيل إن ذلك عبد الله بن أبي ربيعة؛ وكلاهما كان عاملاً لعثمان. ثم كان يعلى - بعد أن شهد الجمل مع عائشة - مع علي، لما تبين له أنه بريء من دم عثمان وأنه على الحق؛ فشهد معه صفين وقتلَ بها، وكان معروفاً بالسخاء.

(1) منية (بضم الميم وسكون النون) بنت الحارث بن جابر والدة أمية والد يعلى، وهي أيضاً أم العوام والد الزبير، فهي جدة الزبير ويعلى، وقيل هي عمّة عتبة بن غزوان، وقيل أخته.

(2) متفق عليه.

ذكر قبائل دارم

مِنْ دَارِمٍ مُجَاشِعٌ وَنَهْشَلٌ وَعُدَسٌ حَاجِبُهُ الْمُحْتَمِلُ
مِائَةَ نَاقَةٍ طَعَامًا حَمَلَتْ بِقَوْسِهِ يَرْهَنُهَا فَقَبِلَتْ

ثم شرع يتكلم على بني دارم، مع تخطيط لا يسلم من الغلط، لقوله في الحناظل - وهي البراجم - مُعَمَّمًا، ودارم ليسوا من البراجم وإنما هم إخوتهم، لأن البراجم من أولاد حنظلة، ولذكره العنبر بن عمرو بن تميم في جملة زيد مناة، وإنما أبوهم العنبر بن عمرو بن تميم، وسيأتي إن شاء الله. وأما قبائل دارم فهي مجاشع ونهشل والأحلاف وبنو عبد الله بن دارم، وهو أعزهم، بل أعز بيت في تميم. فهؤلاء المشهورون من قبائل دارم، بل هم المعروفون.

أما مجاشع فمنهم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع؛ قال السهيلي: سمي الأقرع لسؤدده، من القرع وهو السيد؛ وقال غيره: لقرع كان برأسه. وهو من حكام العرب إليه يتحاكمون ويتنافرون، قال جرير بن عبد الله البجلي، وقد تنافر إليه مع رجل من أهل اليمن:

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع

وهو ممن أعطاهم رسول الله ﷺ مِائَةً⁽¹⁾ يوم الفتح تألفاً. وشهد الفتح وحنينا والطائف، وشهد مع خالد حرب العراق، ثم استعمله ابن عامر

(1) من الإبل.

على جيش ووجهه إلى خراسان فأصيب هو والجيش. وكان من السادات في الجاهلية والإسلام واسمه فراس. وابن عمه صعصعة بن ناجية بن عقال، وأعين بن ضبيعة بن ناجية بن عقال، الذي عقر الجمل بأمناء عائشة رضي الله عنها يوم الجمل⁽¹⁾.

وأما نهشل فمنهم بنو حازم، الذين يقول أحدهم:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصري حازم وابن حازم
عَطَسْتُ بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

روي أن الفرزدق قال له⁽²⁾: والله لتعطينيهما أو لأنبشن أمك من قبرها، فقال: خذهما لا بارك الله لك فيهما. وكان الفرزدق يقول مكان "حازم وابن حازم": دارم وابن دارم.

وأما الأخلاف⁽³⁾ فمنهم المنذر بن ساوى، ملك البحرين الذي أرسل له النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب فأسلم. ومنهم مسكين بن عامر

(1) وكان مع علي يومئذ، ويقال إن عائشة رضي الله عنها دعت عليه أن يقتل غيلة فكان كذلك؛ فقد بعثه علي إلى البصرة لما غلب عليها عبد الله بن الحضرمي فقتل غيلة سنة ثمان وثلاثين، وأعين هذا هو والد النوار زوج الفرزدق.

(2) أي لقائل هذين البيتين.

(3) الأخلاف هم: عبد الله ومرة وحارثة وربيعة وجناب ومالك بنو دارم بن مالك، سمووا بالأخلاف لتحالفهم على أخيهام عدس بن دارم، فكانوا يدا واحدة عليه، وهم إخوة مجاشع ونهشل وعدس بني دارم.

الدارميُّ الشاعر^(١).

وأما عدس فهو ابن عبد الله، تحالف عليه الأحلاف فصاروا يدا واحدة عليه. منه حاجبُ بن زُرارة بن عدس ولقيط بن زرارة بن عدس، الذي أسرته بنو عامر يوم شِعْبِ جبلة فأبى أن يطعم شيئاً، فكانوا يفتحون فاه

(١) من بني زيد بن عبد الله بن دارم، واسمه ربيعة، وسمي مسكينا لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جدد نطق

أو لقوله:

وسميت مسكينا وما بي حاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

ومن شعره:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أني جماعها
لكل أمرئ شعب من القلب فارغ وموضع نجوى لا يرام اطلاعها
يظنون شتى في البلاد وسرهم إلى صخرة أعى الرجال انصداعها

ومنه أيضا:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
وما طالسب الحاجات إلا معذبا وما نال شيئا طالسب لنجاح
لحى الله من باع الصديق بغيره وما كل بيع بعته برباح
كمفسد أدناه ومصلح غيره ولم ياتمر في ذاك غير صلاح

وله أيضا:

اصحب الأخيار وارغب فيهم رب من صاحبه مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

فيصبون فيه فيمجه حتى مات جوعاً وعطشاً.

وقوله: وعدس حاجبه المحتمل: أشار إلى أن حاجب بن زرارة قدم على كسرى فاستأذن عليه فقال: من أنت؟ قال: رجل من العرب. فلما جلس بين يديه قال: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: أنت بالباب تقول رجل من العرب والآن قلت سيد العرب؟ قال: كنت بالباب من العرب فلما جلستُ معك صرت سيدهم! فأعجبه وملاً فاه دُرّاً وقال له: ما حاجتك؟ قال: إن بلادنا أجدبت وأريد أن تأذن لبني تميم يرعون العراق وأحتمل لك مائة ناقة تحمل الطعام. فقال كسرى: وما ترهنني؟ قال حاجب: قوسي. فضحك منه الحاضرون، فقال كسرى: العربي لا يُسلم قوسه، فقبلها. فرعت تميم العراقَ حتى أخصبت بلادهم فرجعوا إليها، ومات حاجب فأخذ بنوه مائة ناقةٍ تحمل الطعام فقدموا بها على كسرى وأخذوا قوس أبيهم⁽¹⁾. وقيل إنه قال له: تعطيني مائة ناقة تحمل الطعام فإذا صرت إلى أهلي بعثت إليك ثمنها.

قوله: وعدس حاجبه: أي حاجب بني عدس، وهو ابن زرارة بن عدس وابنه عطارذ بن حاجب الصحابي كان في وفد تميم المشهور سنة تسع.

(1) وإلى قصة قوس حاجب هذه يشير أبو تمام في قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي ويذكر يوم ذي قار، وقد كان فيه غنائاً لبني عجل:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وَمَنْ مُعَاوِيَةَ بِالْإِخَاءِ وَرِثَهُ وَصَاحِبُ الصَّفَاءِ
لِلْمُصْطَفَى فِي ثِيَابِهِ يَطُوفُ وَهُوَ عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ الْعُطُوفُ

قوله: ومن معاوية.. إلى آخره: أي ومن دارم أيضا: الذي ورثه معاوية بالمؤاخاة، وهو الحُتَات (بتائين منقوطين بإثنتين من فوق) ابن زيد بن علقمة بن جزى بن سفيان بن مجاشع. وفد على النبي ﷺ فأخى بينه وبين معاوية بن أبي سفيان. ثم زمن الإمساك⁽¹⁾ فرَّ من علي إلى معاوية، فلما مات ورثه معاوية بتلك الأخوة⁽²⁾. وكان الصحابة حين آخى النبي ﷺ بينهم يتوارثون بها إلى أن نزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾⁽³⁾ فرجعت الموارثة للأرحام كما في التنزيل.

توريث معاوية بالمؤاخاة

وفعل معاوية هذا لعله مما يقال فيه "مذهب صحابي"، لأنه خالف النص، والصحابة رضي الله عنهم مجمع على عدالتهم؛ وهو كإراقة عمر اللبن على وجه من غشاه، ومعاوية رضي الله عنه إمام وكاتب وحي

(1) الإمساك: مصطلح يعبر به عن الفتنة الكبرى التي جرت بين علي ومعاوية ومن معهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأصله حديث: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» كما في الجامع الصغير.

(2) وعبارته في الإصابة: لما مات الحتات قبض معاوية ماله فخرج إليه الفرزدق وهو غلام فأنشده: أبوك وعمي.. إلخ، فدفع إليه ميراثه، وكان للحتات بنون. ثم قال: وينظر كيف يجمع هذا مع قصة معاوية في حيازته ميراثه.

(3) الأنفال: 75.

رسول الله ﷺ. وفي هذه الموارثة يخاطب الفرزدق معاوية بقوله:

أبوك وعمّي يا معاوي خلفا تراثا وتحتّاز التّراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث صخر جامد لك ذائبه؟⁽¹⁾

وليس الفرزدق يعني بقوله: عمي، أنه أخو أبيه، وإنما يعني أنه ابن عمّه وأسنّ منه؛ كما تقول العرب لمن هو أسنّ: يا عم، ويقول الكبير للصّغير: يا ابن أخي. والفرزدق أيضا لا يريد ميراث الحتات لنفسه، لبعده عنه ببني الحتات، عبد الله وعبد الملك ومازن⁽²⁾. ومن شعر الحتات:

لعمر أيك فلا تكذبن لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد فتن الناس بعد النبي وأبقى ابن عفان شرّا طويلا

ومر دارم أيضا صاحب الصفاء: أي المصادقة للنبي ﷺ في الجاهلية - ومن مصادقتهما أنه إذا قدم مكة يطوف في ثياب النبي ﷺ لئلا يطوف عريانا أو يترك ثيابه في الحطيم فتكون لقي - وهو، أي صاحب مصادقة النبي ﷺ والطواف في ثيابه، عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع الصحابي. والعطوف: الشفيق.

وهي البراجم وعنبر الذي بالذلّ عابّه بليغه البذي

(1) فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت من المرء القليل حلاته... إلخ.

وحلائب الرجل أقاربه وأنصاره، وفي الإصابة وغيرها أن معاوية رضي الله عنه دفع إلى الفرزدق ميراث الحتات.

(2) وقد ولي بنو الحتات هؤلاء لبني أمية، كما في الإصابة.

البراجم في اللغة: تكاميش ظهور الأصابع، ولا أدري لم سميت به هذه القبائل⁽¹⁾؛ وفي الحديث: من آدابه "غسل البراجم"⁽²⁾ والرواجب"، وهي ما تحت الأظافر وبطون الأصابع. قوله: وهي: يعني الحناظل، ولكن ليس منهم دارم⁽³⁾. ومن البراجم ضابئ بن الحارث بن ارطاة؛ الذي حبسه عثمان بالمدينة في جناية فقال⁽⁴⁾:

(1) في زهر الأفيان: البراجم خمسة من أبناء حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم: قيس وكلفة وظليم وغالب وعمرو، وسموا البراجم لأنهم كانوا قليلين، فقال لهم رجل منهم، وهو حارثة بن عامر بن حنظلة: "أيتها القبائل التي قل عددها تعالوا فلنجتمع كبراجم الكف"، ففعلوا وتعاضدوا، فسموا بهذا الاسم.

(2) أخرجه مسلم وأصحاب السنن. وأخرجه أحمد بزيادة "الرواجب"، وذكره في فتح الباري.

(3) الذي يقتضي المعنى أن تكون عبارة الناظم: "ثم البراجم" بعطفها على من قبلها من قبائل بني زيد مناة ويكون قوله: وعنبر.. إلخ: ابتداء في الكلام على بني عمرو بن تميم، ويكون الحبطات في البيت التالي معطوفا عليه، ويكون المعنى: ومن عمرو بن تميم بنو العنبر بن عمرو ومنه أيضا الحبطات - [قاله في سموط الذهب].

(4) قيل إنه كان قد استعار كلبا من بعض بني جرول بن نهشل يصيد الظباء، فطال مكثه عنده فطلبوه منه فامتنع عليهم فانتزعوه منه فغضب وهجاهم ورمى أمهم بالكلب فقال في ذلك من أبيات:

فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما حباهم بتاج الهرمزان أمير!
وقلدتهم ما لو رميت متالعا به وهو مغبر لكاد يطير
فيا راكبا إما عرضت فبلغن ثامة عني والأمور تدور
فأمكم لا تتركوها وكلبكم فإن عقوق الوالدات كبير.. إلخ.

فشكوه إلى عثمان فحبسه وقال: والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لأحسبته نزل فيك قرآن، وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك.
فقال وهو في السجن:

<<=

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب
ثم أمر به عثمان ليؤدبه، فشدد سكيناً بساقه ليقتل بها عثمان، ففطن له
عثمان فأحسن أدبه وأطلقه⁽¹⁾، فقال:

وقائلة إن مات في السجن ضابئاً لنعم الفتى تخلو به وتواصله
وقائلة لا يبعد الله ضابئاً إذا الخصم لم يوجد له من يناضله⁽²⁾
هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
ولما قُتل عثمانُ يوم الدار دخل عليه عمير بن ضابئ فوطئ على ضلعه

-- >>

- دعاك الهوى والشوق لما ترغمت هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوبها ورق طربن لصوتها فكل لكل مسعد ومجيب
فمن يك أمسى .. إلخ.
- وما عاجلات الطير تدني من الفتى رشاداً ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا يضيرك نأيها وللقلب منها خشية ووجيب
ولا خير في من لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب
ولست بمستبق صديقاً ولا أخا إذا لم تفده الشيء وهو قريب
- (1) وقيل لم يزل في الحبس إلى أن مات، فقال في ذلك أبياتا منها: وقائلة إن مات .. إلخ.
- (2) بعده: فلا تبعيني إن هلكت ملامه فليس بعار قتل من لا أقاتله
فلا تقربن أمر العزيمة بامرئ إذا رام أمرا عوقته عواذله
هممت ولم أفعل .. إلخ.
- فما الفتك ما استامرت فيه ولا الذي تحدثت من لاقيت أنك فاعله
وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة إذا هم لم ترعد عليه خصائله

فكسرها⁽¹⁾. فلما ولي الحجاج العراق ودخل الكوفة صعد منبرها وخطب، فلما نزل مرَّ به عمير بن ضابئ فجعل يأمر الناس بالطوع له ويحضهم، فلما ذهب قال له إنسان: أيُّها الأمير أتعرف هذا؟ فقال: من هو؟ قال: عمير بن ضابئ الذي كسر ضلع عثمان. فاستردَّه فأمر بقتله، وهو أوَّلُ قتل للحجاج بالعراق⁽²⁾. ثم إن الحجاج جهز الناس إلى المهلب في قتال

(1) انتقاماً لأبيه ضابئ، وهو يقول:

أين تركت ضابئاً يا نَعَثْلُ

ونعثل لقب يطلقه اعداء عثمان عليه رضي الله عنه.

(2) وروي أن الحجاج لما صعد المنبر مكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، فقال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصيه لكم؟ فقليل له: أمهل حتى ننظر، فلما رأى الحجاج أعين الناس ترمقه حسر اللثام عن وجهه ونهض قائماً ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الشايبا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء تَرَقْرُقُ ما بين العمام والمحي.. إلى أن يقول: إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشَّنان وإن أمير المؤمنين نثل كنانته فعجم عيدانها عوداً عوداً فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى.. فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال. ثم قال: وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله مني بدلاً؟ فقال له الحجاج: نفعل أيها الشيخ. فلما ولى قال له قاتل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ هذا عمير بن ضابئ الذي كسر ضلع عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: ردوه. فقال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلاً يوم الدار؟ إن في قتلك لصالحاً للمسلمين، فأمر بضرب عنقه.

الأزارقة، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي⁽¹⁾:

تَخَيْرُ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عَمِيرًا وَإِمَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبَا
هُمَا خَطَا خَسَفَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلًا مِنَ الثَّلَجِ أَشْهَبَا⁽²⁾

ومر البراجم الذي فيه المثل: "إن الشقي وافد البراجم"؛ وأصله أن عمرو ابن هند حلف ليحرقن مائة من دارم بأخيه سعد بن المنذر - وكان مات فيهم غيلة؛ أتاهاهم يطلب اتاوة أخيه عليهم - فحرق منهم تسعة وتسعين؛ فشتم البرجمي رائحة القطر من لحوم الناس فظنه شواء صنعه الملك فعدل إليه ليرزأ منه⁽³⁾، فكمل به الملك المائة من دارم [وتأتي قصته قريباً].

لنا انتهى كلامه على قبائل زيد مناة بن تميم، الذي ذكر أنه انتشر، إلا قوله الآتي في بهدلة وذكره الأقرع بن حابس والفرزدق لدارم.

ومر قبائل زيد مناة: امرؤ القيس الذين يهجوهم ذو الرمة، ولم أقف

(1) وكان قد لقيه إبراهيم بن عامر الأسدي في السوق فسأله عن الخبر فقال:

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ: أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مَتَشَعِّبًا
تَجْهَزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقَّ الْجَيْشُ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبًا
تَخَيْرُ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ ..إلخ.

(2) بعده: فَمَا إِنْ أَرَى الْحِجَاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرِكَ الطِّفْلَ أَشْيَا

فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا!! ..إلخ.

وقوله: خطتا خسف.. إلخ: أي أمران فيهما الهوان والهلاك لا ينجي منهما إلا مهلكة ثالثة هي أن تعتصم بذروة جبل بعيد شامخ يلبسه الثلج الأشهب حولا كاملا، أو الحولي ما أتت عليه سنة من فرس وبعير لونه أشد شهبه من الثلج.

(3) رزأه رزأ ومرزئة: أصاب منه خيرا - [القاموس].

على ذكر أحد منهم، لا في الصحابة ولا في غيرهم.

ومن بني حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة، بالولاء: الزاهد العالم الولي سيدنا عبد الله بن المبارك المروزي، الذي تسأل الرحمة عند ذكره. أبوه من الترك، كان عبداً لرجل من همدان فاشتراه رجل من تميم فاستعمله على ضيعة له فأتاه غير ما مرة فلم يجده ينقص منها شيئاً فقال له: ما لهذه الضيعة على حالها لم تأكل منها؟ قال: لم تأمرني بذلك، فلم يزل يجربه فوجده في غاية الورع فأتى به زوجته فقال لها: لا بد أن أزوج مباركاً ابنتي، فأعتقه وزوجه ابنته فجاءت بعبد الله⁽¹⁾.

ومن بني ربيعة بن مالك بن سعد - وهو ربيعة الجوع؛ وهو الأكبر من الربائع - علقمة الفحل ابن عبدة بن النعمان أحد الشعراء الستة.

(1) فتمت عليه بركة أبيه، فكان نادرة في العلم والزهد والورع. تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عن مالك الموطأ وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة، وروي أنه قدم مرة على مدينة الرقة فاستقبله خلق كثير وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد هارون الرشيد لذلك وقالت: ما هذا؟ فقيل لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان. وكان ابن المبارك يقول الشعر، ومن شعره:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق تبتاع بالدين أموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به وليس يفلح أصحاب الشواهين

ومن كلامه: تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا. وكان مولده بمرو سنة مائة وثمان عشرة، وتوفي في رمضان سنة مائة وإحدى وثمانين وهو غاز بـ"هيت" وهي مدينة على الفرات حول الأنبار من أعمال العراق، وقبره هناك يزار.

ومن سعد بن مالك بن سعد - أخى ربيعة الجوع - رؤية وأبوه العجاج بن رؤية، الرّاجزان المشهوران؛ كانا من أعراب البصرة. لقي العجاج أبا هريرة، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خرابُ الأخبية، قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزا يمنعنا أن نُظْلَمَ وهو الأدب البارع والفهم الناصع، وإن لنا حلما يمنعنا أن نُظْلَمَ وهو الأدب المستطرف والطبع التالد. فقال عبد الملك: لكلماتك أشعر من شعرك.. لقد أصبحت يا عجاج حكيما. قال: وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيُّ أمير المؤمنين.

ومر قبائل سعد بن زيد مناة: حميد بن مالك، فهو حميد الأرقط الشاعر. ومنهم الأسود بن سريع بن حمير السعدي الصحابي، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فأوصى أن لا تقتلوا الذرية، فقال: يا رسول الله إنهم أولاد المشركين؟ فقال: «أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! ما من مولود يولد إلا على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه»⁽¹⁾. وكان شاعرا، وأظنه الذي يقول:

أما ترين وقد قطعني عدلا	ما ذا من الفضل بين البخل والجود
لا يعدم السائلون الخير أفعله	إما نوالا وإما حسن مردود
إن لا يكن ورق عندي أجود به	للخابطين ⁽²⁾ فإني لئن العود

(1) متفق عليه.

(2) أي السائلين المعروف من غير أصرة.

قوله وعنبر الذي.. إلى آخره: يشبه أن يكون أراد عنبر بني يربوع، لأنه المتقدم، أو الذي عابه شاعره البذي - أي الفاحش - بالذل⁽¹⁾: بلعنبر بن عمرو بن تميم، على ما عندنا؛ لأن مازنا الذي ذكر: مازن بن عمرو بن تميم تمنى أن يكون منهم، لأن مازنا هو أشرف إخوته بني عمرو بن تميم. والبذي الذي عاب أهله بلعنبر: هو قرط، أو قريط، بن أنيف (كزبير): شاعر جاهلي، أغارت بنو ذهل بن شيبان على إبله في حرب بينهم وبين تميم فلم يستطع تخليصها⁽²⁾، فجعل يقول:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصري معشر خشن	عند الحفيظة إن ذو لوثه لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا إليه زرافات ووحدا ⁽³⁾
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عَدَدٍ	ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق خشيته	سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا	شئوا الإغارة فرسانا ورُكبانا

وَالْحَبَّطَاتُ مِنْ تَمِيمٍ عَمْرُهُ وَكُلُّهُمْ كَانَ وَضِيعًا قَدْرُهُ

(1) أي الضعة والهوان.

(2) وكان قد استنجد قومه فلم ينجدوه فأتى بني مازن بن عمرو بن تميم، فركب معه نفر منهم فطردوا لشيبان مائة بعير فدفعوها له، وكانت إبله التي أغارت عليها بنو ذهل ثلاثين بعيرا.

(3) زرافات: جماعات. ووحدا: أفرادا.

يقول: إذا أردت أن تعرف الحبطات من تميم فهم من عمرو بن تميم، بنو الحارث بن مالك بن عمرو، ويسمى الحبط (بالسكون، ويحرك) لعظم بطنه؛ والحبط: داء يأخذ البهيمة إذا أكلت الخضر أول ما ينبت فتنتفخ ويعظم بطنها، وسمي به هذا الرجل لعظم بطنه. وكلُّ بنيه وضيع القدر في تميم، ولم أقف على مشتهر منهم غير عبادة بن الحصين بن أوس.

مِنْ عَمْرٍو أَيْضًا الْحَكِيمُ أَكْثَمُ هِنْدُ أَبُو هَالَةَ سَيِّدُهُمْ

يعني من عمرو بن تميم أيضا - بعد الحبطات - أكثم (بالمثلثة) بن صيفي. قوله: الحكيم: يعني أنه كان من حُكماء العرب في الجاهلية، وهو جد حكيم العباسيين في الإسلام القاضي يحيى بن أكثم (بالمثلثة أيضا)، ولي القضاء وهو ابن ثمان عشرة سنة. سأله يوما رجل قضى عليه، فأراد أن يحطه، فقال: أصلح الله القاضي كم سنُّه؟ فقال: ثمان عشرة سنة: كسنّ عتاب بن أسيد حين ولاه النبي ﷺ قضاء مكة، فأفحم الرجل⁽¹⁾. وكان - مع علمه - يبرز باللواط، إذ لا سلامة من الخلق.

وسمع المأمون برجل تنبأ فقال ليحيى: اذهب بنا إلى هذا المتنبئ، فركبا

(1) وروى ابن خلكان أنه لما ولي البصرة وكانت سنه نحو العشرين استصغره أهل البصرة فقالوا له: كم سنُّ القاضي؟ فعلم أنهم استصغروه فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح، ومن معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن، ومن كعب بن سور حين وجه به عمر قاضيا على البصرة؛ فجعل جوابه احتجاجا.

فأتياه متنكرين فجلس المأمون عند يساره وجلس يحيى عند يمينه، فقال له المأمون: متى عهدك بجبريل؟ فقال: آفأ، قال: فما قال لك؟ قال: قال: يأتيك رجلان الذي يجلس عن يمينك هو ألوط أهل زمانه. فضحك المأمون وقال: أشهد أنك نبي! وفيه يقول الشاعر:

تقول: سل المعروف يحيى بن أكثم فقلت: سليه ربّ يحيى بن أكثم

قوله: هند أبو هالة سيدهم: أي سيد عمرو بن تميم، وإنما سوده الناظم لتزويجه أمنا خديجة قبل رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وهو هند أو مالك بن النباش بن زرارة الأسديّ حليف بني زهرة، وكان شاعرا جدا، فكان مداحا لنبيه بن الحجاج السهمي، وفيه يقول قصيدة ذكرناها في شرح الغزوات⁽²⁾.

ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم حنظلة بن الربيع بن صيفي، ابن أخي أكثم الحكيم، كتب لرسول الله ﷺ. قالت امرأته ترثيه:

تعجبت هند لمخزونة تبكي على ذي شيبة شاحب

(1) وقد كانت خديجة أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهنّ شرفا وأكثرهنّ مالا، وكل قومها حريص على التزوج بها لو يقدر على ذلك، ولولا سؤدد أبي هالة في قومه بل وفي قريش لما تزوج بها، وأبو هالة هي كنيته واختلف في اسمه فقيل: هند، وقيل: النباش بن زرارة، وقيل: مالك بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي بن جروة بن أسيد (بضم الهمزة وتشديد الياء) بن عمرو بن تميم التميمي الأسدي..

(2) أولها قوله:

دع عنك ربطة واكس الرجل ناجية أدما مخلقة كأنها فيل
هل تبلغني فتى محضا ضرائب مؤملا وأبوه قبل مأمول

إن تسألني اليوم ما شفي
إن سواد العين أودى به
أخبرك قولا ليس بالكاذب
حزن على حنظلة الكاتب

تخلف عن علي يوم الجمل ومات في خلافة معاوية.
وهؤلاء من أسيد بن عمرو، وأسيد: بتشديد الياء، وقيل تخفف، قال
شاعرهم⁽¹⁾:

حولي أسيد والهجوم ودارم فإذا رجعت فحول بيتي خضم
تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة زغف ترد السيف وهو مثل⁽²⁾
(وخضم - كبقم - قيل إنهم بنو العنبر، سموا بذلك لكثرة أكلهم⁽³⁾. والهجوم
أيضا قبيلة من تميم).

وَالْحَارِثُ ابْنُهُ رَيْبُ الْمُصْطَفَى أَوَّلُ مَقْتُولِ نَمْتِهِ الْحَنْفَا

(1) هو طريف بن تميم العنبري فارس قومه:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم
فتوسموني إني أنا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث معلّم
حولي أسيد.. إلخ.

(والعريف: رئيس القوم لأنه عُرف بذلك. والنثرة: الدرع الرحبة في صلابة. والتوسم:
التفرس).

(2) النثرة: الدرع الرحبة في صلابة. والزغف: الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة
السلاسل.

(3) قال في السبائك: وخضم (بتشديد الضاد) يقال لبني عمرو بن عفير بن تميم، قال الجوهري:
وهم يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم وهو المضغ، يعني أنهم قوم كرام يكثر عندهم
أكل الضيفان، وقيل خضم اسم العنبر بن عمرو بن تميم وقد غلب على القبيلة.

وَأَوَّلُ الْكَفَرَةِ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَمْرُو قَتِيلٌ وَأَقْدِ الْخَذِمِ

ابنه: أي أبو هالة. وريب المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه ابن خديجة⁽¹⁾. ونمته: نسبه وعزته إليهم. والحنفاء: الصحابة، لأنهم على الملة الحنيفة، ملة إبراهيم عليه السلام، والحنفاء: جمع حنيف لصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. وذكر الحارث هذا وقصة قتله الشهاب أحمد بن حجر في كتابه الإصابة، قال: لَمَّا نَزَلَ ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾⁽²⁾ طاف النبي ﷺ بالبيت وهو يدعو قريشا إلى الإسلام، فقاموا يضربونه، فصرخت صارخة؛ فأتاه ريبه الحارث بن أبي هالة فحال بينهم وبينه، فلم يزالوا يضربونه حتى مات بضربهم، فكان أول قتيل قتله المشركون، كما أن أول قتيل كافر قتله المسلمون عمرو بن الحضرمي الذي قتله سرية عبد الله بن جحش، وتولى قتله واقد بن عبد الله اليربوعي حليف آل الخطاب.

والخزم: القاطع. وبنو الحضرمي: خلفاء عتبة بن ربيعة، واسم أبيهم

(1) فيه تجوز، إذ ليس ابنها وإنما هو ربيبها لأنه ابن زوجها أبي هالة؛ ولما كان ربيبها وأخا ابنها هالة وهند - ربيبه صلى الله عليه وسلم - وكان مع خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد تزوجها منه صار في حكم الريب للنبي صلى الله عليه وسلم معدودا في أربائه على وجه التعظيم لأن أي علاقة بالنبي صلى الله عليه وسلم - سيما هذه العلاقة - تستحق الذكر، خاصة بعد أن آمن به وصدقه وأصبح يدافع عنه كفار قريش مدافعة الابن عن والده حتى كان أول شهيد في الإسلام. ولم أقف على أم الحارث هذا.

(2) الحجر: 94.

الحضرمي: عمادٌ، وهم العلاء بن الحضرمي، الصحابي الصالح؛ أرسله النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى التميمي ملك البحرين ثم استعمله عليها، واستعمله عمر على البصرة ومات قبل الوصول إليها بأرض لا ماء بها ومعه ركب فيه أبو هريرة فتركوه غير مدفون، ثم وجدوا الماء قريباً فرجعوا إليه ليغسلوه فوجدوه ابتلعتهم الأرض. وكان مجاب الدعوة، خاض البحر بكلمات وهي: "يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم"، فلم يغرق شيء ممن معه.

ومن بني الحضرمي عامر، الذي استنشده أبو جهل يوم بدر ثأره، لما همت قريش بالرجوع فأنكشف الناس وهو يقول: وا ثأراه! وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين.

ومنهم الصعبة بنت الحضرمي، أم طلحة بن عبيد الله، أسلمت وهاجرت وكانت قبل عبيد الله بن عثمان تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها، وفيها يقول:

وإني وصعبة فيما يرى	بيدان والودّ ودّ قريب
فيا لقُصيّ ألا تنظروا	إلى الوبر صار الغزال الريب
وإلا يكن نسبٌ ثاقب	فعند الفتاة جمال وطيب

ولما قتل عمرو بن الحضرمي تفاعلت اليهود على المسلمين فالأ كانت عقوبته عليهم، قالوا: عمرو: عمرت الحرب، وواقد: وقدت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب! فكان شؤم ذلك عليهم، والحمد لله.

بِذَكَرَيْنِ: هَالَةٍ وَهِنْدٍ⁽¹⁾ نَجَلِي أَبِي هَالَةَ قَبْلَ الْمَهْدِيِّ⁽²⁾
جَاءَتْ خَدِيجَةُ، وَمِنْ عَتِيقٍ بِنْتِهَا هِنْدٌ عَلَى التَّحْقِيقِ
هِنْدُ ابْنُهَا وَأَصِفُ خَيْرَ الْعَالَمِينَ وَهِنْدُهُ لِمُصْعَبٍ خَيْرُ مُعِينٍ
وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَضَمِ زَائِدَةُ الْقَرَمِ الْهُمَامِ ابْنِ الْأَصَمِّ

لما ذكر لبني عمرو بن تميم أبا هالة، ذكر له ابنه الذكرين من أمنا خديجة قبل أن يتزوجها النبي ﷺ، وهما: هالة وهند الصحابيان⁽³⁾؛ أما هالة فلم أقف له على مشهور خبر إلا أن له ابناً يسمى هنداً روى عنه، وأما أخوه هند فقتل يوم الجمل مع علي، وكان فصيحاً مشهوراً بالفصاحة؛ وهو صاحب حديث وصف النبي ﷺ⁽⁴⁾ رواه عنه الحسن والحسين

(1) قوله: "بذكرين" عبر به لأن لفظ هالة وهند من الأعلام المؤنثة غالباً، وأيضاً للاحتراز من بنت خديجة من عتيق بن عائذ التي تسمى هند أيضاً، وللتنبية على أن الحارث بن أبي هالة المذكور إنما هو من غير خديجة بل هو ربيها، ولما كانت أمه مجازاً - لأنه ولد زوجها أبي هالة - عبر الناظم عنه بـ "ريب المصطفى" صلى الله عليه وسلم كما مر. والله أعلم.

(2) المهدي من أسمائه صلى الله عليه وسلم؛ وهو بضم الميم: اسم فاعل (من أهدى الرباعي) أي الدال على الله الداعي إليه، وبفتح الميم: اسم مفعول أي الرشيد الموفق - [مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات].

(3) وقيل ولدت له أيضاً ابناً اسمه الطاهر وبنتاً اسمها زينب ابني أبي هالة. [راجع ابن إسحاق وغيره].

(4) رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر.. عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: "سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم، وكان وصافاً؛ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: كان فحماً يتلأأ وجهه تلأأ القمر ليلة البدر..." إلى آخر الحديث الطويل.

وغيرهما. وجاءت، قبل أبي هالة، من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وهو أبو عذرها⁽¹⁾ - بينتها هند، التي تسمى الطاهرة أم محمد ابن الطاهرة؛ وهو محمد بن صيفي بن رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وقوله: وهنده لمصعب: يعني مصعب بن الزبير، قُتل معه يوم قتل مصعب المختار بن أبي عبيد. ثم استطرد ذكر أم خديجة لما ذكر بنيتها فقال: وأمها، أي خديجة، هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم⁽²⁾، أحد بني معيص (كأمير) بن عامر بن لؤي. ووصف زائدة بالثلاثة الأوصاف لأنه جدُّ أمنا خديجة. والخضم (كخذب): السيد الحمول المعطاء، وهو خاص بالرجال. والقرم: السيد. والهمام: العظيم الهمة، خاص بالرجال أيضا.

وقيل في موت هند بن أبي هالة غير ما قدمنا من أنه قتل يوم الجمل مع علي؛ وهو أنه مات بطاعون البصرة ومات يوم موته خلق كثير⁽³⁾ فاشتغل الناس بجنازتهم عن جنازته؛ فلم يوجد من يحملها، فرأت نادبة ذلك فصاحت: وا هند بن هنداه، وا ريب رسول الله ﷺ! فطرح الناس

(1) يقال: هو أبو عذرها إذا كان هو الذي افتضها، والأصل فيه أبو عذرتها فحذفت التاء منه. وقيل ولدت له أيضا ابنا اسمه عبد مناف بن عتيق..

(2) واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص، وأم فاطمة هذه هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأم هالة قلابة بنت سعيّد بن سعد بن سهم، وأم قلابة هذه بنت سعيّد بن سهم، وأم بنت سعيّد هذه عاتكة بنت عبد العزى بن قصي.

(3) نحو من سبعين الفا.

جنائزهم وأتوا جنازته فرفعوها على أطراف الأصابع⁽¹⁾.

ومر عمرو بن تميم: النضر بن شميل العالم المشهور، كان بالكوفة فشيعة ثلاثة آلاف تلميذ له، فلما أرادوا الرجوع عنه قال: شيعكم الله يا أهل الكوفة والله لو وجدت من يتكفل لي بدينار كل يوم ما فارقتم، فلم يجبه أحد. وخرج إلى خراسان فأصاب بها أموالا كثيرة.

ومن مازن بن عمرو: قَطْرِيُّ بن الفجاءة الخارجي، خرج زَمَنَ مُصْعَب بن الزبير فمكث عشرين سنة يسلم عليه بالخلافة، ويحاربه الحجاج بالمهلب بن أبي صفرة؛ وأكثر أيامهم يظفر فيها قطري بن الفجاءة. وله في ذلك أشعار جيدة منها قوله:

يا رب ظل عقاب قد وقيت به مهري من الشمس والأبطال تجتلدُ

ورب يوم همى ارعت عقوبته خيلي اقتسارا وأطراف القنا وَقْدُ⁽²⁾

ومنهم أعشى بني مازن، ولم تجاوز الكتب ذلك في نسبه واسمه عبدُ الله، ويأتي ذكره في النظم قريبا؛ كانت عنده امرأة من بنات عمه يقال لها معاذة فغاب عنها ليمتار فهربت بعده واستجارت برجل من بني الحرماز بن عمرو يقال له مطرف بن بهصل، أعز في قومه من الأعشى، فأتى الأعشى النبي ﷺ فأنشده:

يا سيد الناسِ وديَّانَ العربِ إني نكحت ذربة من الذرب

(1) إعظاما لريب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) القنا: الرماح: جمع قناة. والوقد (بالتحريك): المتقدة.

خرجت أبغيها الطعام في رجب فخالفني بنزاع وهرب
أخلفت الوعد ولطّمت بالذنب وهن شر غالب لمن غلب⁽¹⁾

فكتب النبي ﷺ إلى مطرف أن يردها عليه⁽²⁾، فأتى المرأة فقال لها: لا مرد
لكتاب رسول الله ﷺ، فقالت: نعم، ولكن خذ لي الأمان من زوجي فإني
أخاف أن يعاقبني، فقال: أما هذه فنعم، فأخذ لها الأمان وأمره أن
يترضاها، فقال: إن شاءت بالعطاء وإن شاءت بالشعر؛ فاختارت الشعر،
فقال:

لعمرك ما حي معاذة بالذي يغيره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزالها غواة رجال إذ يناجونها بعدي

ومن تميم عسعس بن سلامة (بفتح العين) حديثه: إن رجلا من
أصحاب النبي ﷺ أتى الجبل يتعبد ففقد فطلب، فأتى به النبي ﷺ فقال:
يا رسول الله إني نذرت أن اعتزل فأتعبد، فقال رسول الله ﷺ: «لا يفعله
أحد منكم - ثلاث مرات - فلأن يصبر أحدكم ساعة من نهار في بعض
مواطن الإسلام خير له من عبادته خاليا أربعين عاما»⁽³⁾.

(1) فقال صلى الله عليه وسلم: «وهن شر غالب لمن غلب».

(2) رواه أحمد.

(3) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: مر رجل من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت الناس
فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله
أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في

ومن تميم أيضا المستوغر⁽¹⁾ بن ربيعة، المعمر؛ عاش ثلاثمائة عام وأدرك النبوءة فهدم "رُضًا" - بيتا كانت ربيعة يعظمونه - ومما يحكى من تعميره أنه رآه رجل يقود شيخا فانيا فقال له: ارفُقْ به فطالما رفق بك، فقال له من تراه مني؟ فقال: أراه جدك، فقال المستوغر: بل هو ابن ابني، فقال الرجل: ما رأيت كاليوم مستوغرا! فقال: أنا المستوغر. ولُقِّب المستوغر لقوله:

يَنشُ الْمَاءُ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيشَ الرِّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ⁽²⁾

وَعِزُّ كَعْبٍ وَتَمِيمٍ بِهِدَلُهُ وَرَجُلُ ذِي الْبُرْدَيْنِ ذَا تَشْهَدُ لَهُ

كعب: يعني كعب بن سعد بن زيد مناة. وذو البردين اسمه عمرو بن أحيمر. والواو في قوله وقيم: عاطفة بمعنى بل، أي وعز كعب بن سعد بل وعز تميم في بني بهدلة بن عوف بن كعب. وذا: مبتدأ وخبره تشهد له. والمشار إليه كون عز تميم في بني بهدلة.

--- >>

سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة»، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وروي أن عسعس بن سلامة هذا قال لأصحابه: سأحدثكم بيت شعر، فتعجبوا فقال:

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا أَخَالُكَ نَاجِيَا

أي إن تنج من مسألة القبر. فأخذ القوم ييكون بكاء ما بكوا مثله من شيء.

(1) واسمه عمرو بن ربيعة بن كعب - [القاموس].

(2) قاله في القاموس، والنشيش صوت الماء وغيره إذا غلَى. والرَّضْفُ: الحجارة المحماة يوغر بها اللبن. والوغير: اللبن ترمى فيه الحجارة المحماة ثم يشرب.

قوله: ورجل ذي البردين: أي وقصة ذي البردين (ولا يعني الرجل التي قال صاحبها: من أزالها عن مكانها.. لأن القوة توجد في العزيز والذليل) وإنما يعني القصة التي فيها ذكر الرجل؛ وهي أن النعمان بن المنذر وفدت عليه وفود العرب فأخرج إليهم بردي عمه عمرو ابن هند فقال: ليقم أعز العرب فليأخذهما، فقام عمرو بن أحيمر فأخذهما ولم ينازعه أحد، فقال له النعمان: لم أخذتهما؟ فقال: إنك قلت أعز العرب وعز العرب في مضر⁽¹⁾ ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة، ومن أنكر هذا من الناس فلينافرنى. وسكت الناس. فقال له النعمان: هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت وأهل بيتك؟ قال: أما أهل بيتي فأنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم رجال وخال رجال، وأما أنا في بدني فهذا شاهدي: فوضع قدمه على الأرض وقال: من أزالها عن مكانها فله مائة ناقة، فلم يقم إليه أحد؛ فذهب بالبردين ولقب بهما.

وإنما آخر بهدلة عن مكانهم، وهم من بني كعب بن زيد مناة الذين بدأ بهم، ليذكر أنهم أعز تميم، كأنه قال: ولتعلم أن تميما هؤلاء كلهم أعزهم بنو بهدلة⁽²⁾؛ لأن منهم الزبرقان بن بدر⁽³⁾ - واسمه الحصين - ولقب الزبرقان

(1) وفي رواية أنه قال له: عز العرب في معد ثم في نزار ثم في مضر.. الخ.

(2) ومما يشهد لذلك قصة ذي البردين. ولما أنهى الكلام على قبائل تميم شرع يذكر بعض شعرائهم، وبدأ بالزبرقان لأنه من قبيلة بني بهدلة التي هي بيت العز في تميم، وهي المحدث عنها في الحال، فقال رحمه الله: من مفلقيها.. الخ.

(3) بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، التميمي السعدي.

لجماله، لأن الزبرقان القمر، ويقال له القمر بن القمر؛ وقيل سمي الزبرقان لأنه لبس عمامة مزبرقة، أو لأنه لبس حلة، فراح إلى نادي قومه فقالوا: زبرق الحصين. وقدما وفوده على النبي ﷺ وإسلامه. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه، فكان من أصحاب النبي ﷺ وولاته، وهو سيد بني بهدلة ومن سادات بني تميم؛ وذكره الناظم في ذكر شعراء تميم فقال:

مِنْ مَفْلِقِيهَا الزَّبْرَقَانُ الْبَهْدَلِي كَذَاكَ ذُو الْآثَارِ مِنْهَا النَّهْشَلِي

قوله: من مفلقيها: يعني تيمما، من أفلق الشاعر إذا أتى بالشعر العجيب.

ذكر بعض شعراء تميم

لما أنهى الكلام على قبائل تميم شرع يذكر بعض شعرائهم، وبدأ بالزبرقان، إيصالاً له بقبيلته بني بهدلة. ومن شعره قصيدته التي قال في مفاخرة الوفد لرسول الله ﷺ وأصحابه، إذ هو شاعرهم - أما خطيبهم فالأقرع بن حابس، وقيل عطارد بن حاجب بن زرارة - فلما أنشد القصيدة، وهي:

نحن الكرام فلا حي يفاخرنا	منا الملوك وفينا تنصب البيع
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا	للنازلين إذا ما أنزلوا شعبوا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا	من الشواء إذا لم يونس الفرع
أما ترى الناس تأتينا سرائهم	من كل أرض هوينا ثم نصطنع
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم	إلا استقادوا فكان الرأس يقتطع

إنا أبينا ولا يابسى لنا أحدٌ إنا كذلك عند الفخر نرتفع
أمر النبي ﷺ حسناً أن يجيبه؛ فقال:

قد بينوا سنةً للناس تتبع	إن الذوائب من فھر وإخوتھم
تقوى الإله وكل الخير يصطنع	يرضى بها كل من كانت سريرته
أو حاولوا النفع في أشیاعھم نفعوا	قوم إذا حاربوا ضروا عدوھم
إن الخلائق - فاعلم - شرُّها البدع	سجیةً تلك منهم غیر محدثة
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا	لا يرقع الناس ما أوھت أكفھم
فكل سبق لأدنى سبقھم تبع	إن كان في الناس سباقون بعدهم
أو وازنوا أهل نجد بالندی متعوا	إن سابقوا الناس يوما فاز سبقھم
ولا يكن همك الأمر الذي منعوا	خذ منهم ما أتوا عفوا إذا غضبوا
أسدٌ ببیشه في أرساغها فدع ⁽¹⁾	كانھم في الوغى والموت مكتنع
إذا تفاوتت الأهواء والشيع	أكرم بقوم رسول الله شيعتھم
فيما أحب لسان حائك صنع	أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره

فلما فرغ منها قدّم الوفد الأقرع بن حابس ليخطب فخطب. فأمر
النبي ﷺ ثابت بن قيس أن يجيبه؛ فلما أجابه قال الأقرع: إن هذا الرجل
لمؤتّى له؛ لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا
ولأصواتهم تعلو أصواتنا..

قوله كذاك ذو الآثار منها: أي من مفلقي تميم، وهو الأسود بن لقيط
بن زرارة، سمي ذو الآثار لأنه إذا هجا قوما ترك فيهم آثارا. وقوله:

(1) الوغى: الحرب، مكتنع: دان. الفدع: الميل والعوج.

النهشلي، فيه نظر، لأن الأسود بن لقيط بن زرارة لم يكن من بني نهشل وإنما هو من بني عدس، وعدس ونهشل أخوان، ابنا دارم، إلا أن يكون هذان الاسمان لغير لقيط بن زرارة العدسي⁽¹⁾.

جَرِيرُ يَرْبُوعٍ مُتَمِّهِمٌ أَغْشَى بَنِي مَازِنٍ عَمَرُوهُمْ

أي ومن شعراء تميم أيضا: جرير بن يربوع؛ وهو جرير بن عطية بن الخطفي، وتقدم بعض الكلام عليه، وهو من كليب بن يربوع، وله يقول الفرزدق:

(1) ويحتمل أن يكون المراد بالأسود هنا الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن حارثة بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي النهشلي، وهو ممن يلقب بالأعشى، وكان ممن يهجو قومه - [قاله في خزنة الأدب]، إلا أنه لم يذكر أنه يلقب ذا الآثار ولم ينف عنه ذلك اللقب، إلا أن ذكره له باسم الأسود النهشلي وأنه كان ممن يهجو قومه وأنه شاعر فصيح مشهور، ناسب أن يكون هو المراد هنا. ومن شعرائهم أيضا: حطائط بن يعفر، الذي يقول لأمه - واسمها رُهم بنت العباب - وقد عاتبته على البذل:

تقول ابنة العباب رُهمُ حربتنا	حطائط لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما أفدنا صرمة بعد هجمة	تكون عليها كابن أمك أسودا
فقلت ولم أعي الجواب تأملي	أكان هزالا حتف زيد وأربدا؟
أريني جوادا مات هزلا لعلي	أرى ما ترين أو بخيلاً مغلدا؟
ذريني أكن للمال رباً ولا يكن	لي المال ربا تحمدي غبه غدا
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية	يقي المال عرضي قبل أن يتبددا
ذريني فما أعنى بما حل ساحتي	أسود فأكفي أو أطيع المسودا

إذا قيل أي الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع
فوا عجا حتى كليب تسبني كأن أباهَا نهشل أو مجاشع

يحكى أن أمه رأت في المنام، وهو في بطنها، أنها ولدت حبلا من شعر
فجعل يشب على الناس ويلتوي على عنق كل أحد؛ فعبر لها أنها تلد شاعرا
هجاء للناس، فسمي جريرا؛ لأن الجرير في اللغة هو الحبل. وممن هاجى
من الشعراء الفرزدق والراعي بقصيدته التي وضع بها قبيلة بني نمر، منها:
ففض الطرف إنك من نمر فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والأخطل بقوله:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل
والصلتاني العبدى، وغيرهم.. حتى قيل إنه أفحم سبعين شاعرا.
وقوله: متمهم: يعني يربوعا، وتقدم الكلام عليه، كما تقدم على
الأعشى قريبا.

والأقرع بن حابس، الفرزدق لدارم ودارم المحرق
حرق منهم مائة جرأ أخيه كملها بالبرجمي المعتفيه

يعني أن من شعراء تميم أيضا الأقرع بن حابس، وتقدم ما تسر من
الكلام عليه، وهو من حكام العرب الذين يتحاكمون عليهم ويتنافرون
إليهم في الجاهلية ومن رؤسائهم. ومن أعظم رئاسته منازعته مع عيينة بن
حصن في خبر عامر بن الأضبط ومسلم بن جثامة، والنبي ﷺ جالس حين
قتل مسلم عامرا بن الأضبط، فكان عيينة يحمي عنه لأنه من أشجع،

وأشجع من غطفان - وهي قبيلة عيينة بن حصن - والأقرع يحمي عن محلم بن جثامة، لأنه من كنانة الذين هم من خندف، وتميم - قبيلة الأقرع - من خندف؛ حتى رضيت أشجع بالعقل. وتقدم بعض هذا.

ترجمة الفرزدق

ومن شعرائهم أيضا الفرزدق، وهو والأقرع من بني دارم؛ واسم الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، الذي تقدم. والفرزدق في اللغة: القطعة من العجين، وبها لقب لجهامة وجهه؛ وكان أول أمره هجاء للناس، ويكثر في شعره ذكر المعاصي بالنساء وغيرها، إلا أن له شرفا؛ قال عمرو بن هبيرة الفزاري: ما رأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميرا ومدحني أسيرا. وذلك أن عمرا لما ولي العراق من جهة بني مروان قال فيه الفرزدق، يخاطب فيه الوليد بن عبد الملك:

أمين لست بالطبع الحريص	أمير المؤمنين وأنت عدل
فزاريا أجد يد القميص	أوليت العراق ورافديه
وعلم قومه أكل الخبيص	تفهم بالعراق أبو المشي
ليأمنه على وركي قلوصل!	ولم يك قبلها راعي مخاض

(قوله: رافديه: يعني الكوفة والبصرة، وقوله: أجد يد القميص: يرميه بالسرقة، لأن السارق يقصر يد قميصه. وكانت العرب ترمي فزارة بنكاح النوق⁽¹⁾ وذلك قوله:

(1) قال الشاعر: لا تأمن فزاريا خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار

ليأمنه.. إلى آخره).

ودخل الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وأنشده أبياتا من سحف شعره، فقال له سليمان: لا بد من إقامة الحد عليك لأنك أقررت عندي بالزنى وأنا إمام. قال الفرزدق: كتاب الله يدرأ عني الحد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾ وأنا قلت ما لم أفعل، فتبسم سليمان وقال: أولى لك. ودخل يوما على سليمان فاستنشده من شعره - وإنما أراد سليمان أن يمدحه - فأنشده:

وركب كأن الريح تطلب عندهم	لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخطون الريح وهي تلفهم	على شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا نارا يقولون ليها	- وقد حضرت أيديهم - نارُ غالب

يعني أباه. فغضب سليمان حتى رأى الحاضرون الشر في وجهه، فقال له نصيب: إن شاء أمير المؤمنين أنشدته من رويّه، فقال: نعم، فأنشد:

أقول لركب صادرين لقيتهم	قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني	لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فاثنوا بالذي أنت أهله	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فالتفت سليمان إلى الفرزدق وقد سري عنه فقال: وما تقول فيه؟ فقال: هو أشعر أهل جلدته، فقال سليمان: وأهل جلدتك.

ومن شرف الفرزدق، مما يظن له به الخير، قصيدته التي امتدح بها

(1) الشعراء: 226.

سيدنا عليا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم. وسببها أن هشام بن عبد الملك حجَّ فرأى الناس مقبلين على زين العابدين بالإجلال والهيبة، فغضب لذلك حسداً وقال: من هذا؟ فقال الفرزدق في ذلك:

هذا سليل حسين، نجل فاطمة	بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم
يكاد يمسه - عرفاناً راحتته -	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا؟ بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

فلما سمع زين العابدين القصيدة بعث بمال إلى الفرزدق، فردده وقال: لم أرد بها العوض من الدنيا، فردده إليه وقال: لا ينقص هذا من أجرك، وإنا أهل البيت لا نعود فيما وهبناه، فأخذه الفرزدق.

ويُدخل بعضُ الرواة في القصيدة بيتين ليسا منها، وهما:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فما يكلم إلا حين ييتسم
في كفه خيزران ريحها عبق	في كفٍّ أروع في عرينه شم

وإنما هما للحزين الدؤلي في عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

وكانت للفرزدق بنت عم تسمى النوار، فوكلته على نفسها فزوجها من نفسه، فامتنعت منه وهربت إلى عبد الله بن الزبير وهو بمكة في خلافته فاستجارت بزوجه تماضر بنت منظور بن زبان، وتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد الله بن الزبير، فكان بنو عبد الله يصلحون له شأنه بالنهار فتفسده تماضر بالليل، فقال في ذلك:

أما البنون فلم تُقبل شفاعتهم وشُفِّعت بنتُ منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا!

ثم توافقا بعد ذلك وولدت له، وفيها يقول:

حنت نوار ولات هنا حنت وبدا الذي كانت نوار أجنت

يروى أنه كان يراود امرأة عن نفسها فامتنعت منه فهددها بالهجو، فاشتكت إلى النوار فقالت لها: عدي به بما يريد منك وواعديه مكانا ووقتا ثم إئتني، ففعلت معه ذلك. فجاءت إلى النوار فأخبرتها؛ فأخذت لباس المرأة فلبسته وأتت مكان الموعد في وقته، فجاءها الفرزدق - يظنها المرأة - فواقعها، فلما فرغ تراءت له النوار وجعلت تسبه وتخزيه، فقال لها: سبحان الله ما أبرذك حلالا وأطيبك حراما!.

وتنسك الفرزدق في آخر عمره. وجمعته يوما مع الحسن البصري جنازة، فقال الفرزدق: يا أبا عبد الله أتدري ما يقول الناس؟ يقولون: جمعت هذه الجنازة خير الناس يريدونك وشر الناس يعنونني، فقال الحسن: لستُ بخير الناس ولستُ بشر الناس ولكن يا أبا فراس - وهي كنية الفرزدق - ما أعددت لمثل هذا اليوم عليك؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وخمس نجائب لا يدركن، يعني الصلوات الخمس.

وكانت عند سليمان بن عبد الملك أسارى من الروم فقدمها يوما للقتل، فكان يدفع كل واحدٍ لرجل يقتله؛ فكان الناس يتفاحرون بكيفية القتل، فقدم واحدا للحسين بن زيد فضربه وأبان رأسه ويده وقطع الغُل، فقال سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، ودفع آخر للفرزدق وأعطاه سيف الحارث بن ظالم فقال له: لا أضربه إلا بسيف جدي

مجاشع، فأعطاه إياه فضربه ولم يقطع شيئاً، فضحك منه الحاضرون، وقال:
كأنني بابل المراغة - يعني جريرا - يقول:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وأنا أقول له:

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أو أبا مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحيانا مناط التمام

ومعنى بيتي الناظم أن الأقرع بن حابس والفرزدق من شعراء تميم وهما
من بني دارم؛ ثم استطرد فعلة عمرو بن هند لدارم وذكر البرجمي الذي
كَمَّلَ به المائة من دارم.

قوله ودارم مبتدأ. والمحرق: مبتدأ آخر خبره: جملة حرق الفعلية. والمحرق
وخبره: خبر دارم.

وافد البراجم الشقي!

والقصة أن عمرو ابن هند حلف ليحرقن مائة من دارم بأخيه سعد بن
المنذر. وكان للمنذر ابنان يسمي كل واحدٍ منهما بعمرو فنسب كل
منهما إلى أمه ليمتاز عن أخيه، وهما عمرو ابن هند وعمرو ابن مامة،
الذي كان يحاربه على الملك إلى أن مات في ذلك؛ وأما ابن هند فاستقام
له الملك وبقي فيه إلى أن مات فقام فيه ابن أخيه النعمان بن المنذر. وكان
سعد بن المنذر مسترضعا في دارم فقتل فيهم غيلة، فحلف أخوه عمرو ابن
هند ليحرقن منهم مائة جرّاءه، أي لأجله (يقال فعلت كذا جراك وجراءك
- مشددة، مقصورة وممدودة ومكسورة كذلك - أي من أجلك)، فأخذ

منهم تسعة وتسعين فحرقهم وبقي عليه الموفي المائة، فمرَّ واحد من البراجم فاشتَم رائحة لحوم الناس وشحومهم فظن أن الملك أطعم، فقصده ليرزأ من طعامه، فلما رآه قال له: من أنت؟ فقال: أبيت اللعن أنا وافدُ البراجم، فقال: إن الشقي وافد البراجم، فألقاه في النار ليكمل المائة به فيبر يمينه. والمعتفيه: الطالب رزقه أو فضله.

ومن خبر هذا البرجمي صارت تميم تعير بحب الطعام حتى قيل فيهم:

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بلحمٍ أو بجبز أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد! ⁽¹⁾

ويحكى أنه دخل الأحنفُ بن قيس على معاوية، فأراد معاوية ممازحته فقال له: ما الشيء الملفف في البجاد؟ فقال له الأحنفُ: السخينة يا أمير المؤمنين. والسخينة طعام كانت قريش تصنعه في المجاعة وكانوا يعيرون به حتى كانوا يسمون به، قال رجل من هوازن:

يا شدة ما شدَدْنَا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

(1) الأبيات لأبي مُهْوس الفقعسي، وبعد البيتين:

تراه يُطَوِّفُ الآفاقَ حرصًا ليأكل رأس لقمان بن عادٍ

والشيء الملفف في البجاد: وطْبُ اللبن، والبجاد: كساء فيه خطوط يلفف فيه الوطاب ويترك حتى يروب، والوطب: زق اللبن خاصة. وإنما ذكر لقمان بن عاد لجلالته، يريد أنه لشدة نهمه وشره إذا ظفر بأكلة فكأنه قد ظفر برأس لقمان لسروره بما نال وإعجابه بما وصل إليه، وهذا كما يقال لمن يزهو بما فعل ويفخر بما أدرك: كأنه قد جاء برأس خاقان.

ذكر بعض الأجوبة المسكتة

وجواب الأحنف لمعاوية من الأجوبة المسكتة، كما قال له عقيل بن أبي طالب، حين قال له: إنكم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له عقيل: كما أنكم معشر بني أمية تصابون في بصائركم. وقال يوما لرجل من أهل اليمن: ما أحق قومك حين ولوا عليهم امرأة. فقال له الرجل: "وأحق منهم قومك حين قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا االلَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁾ ولم يقولوا فاهدنا إليه". ويشبه هذا ما وقع للفرزدق ورجل من فقعات لقيه، فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ فقال: من فقعات، قال الفرزدق: فكيف تركت القنان؟ فقال: تركته يساير لصافا؛ يشير الفرزدق إلى قول الشاعر:

ضمن القنان لفقعات سوءاتها إن القنان بفقعات خبير

ويشير الفقعاتي إلى قول الشاعر:

وإذا تسرك من تميم خصلة فلما يسوءك من تميم أكثر
قد كنت أحسبهم أسود خفية فإذا لصاف تبيض فيه الحممر!

(الحممر: بتشديد الميم وتخفيفه⁽²⁾). والقنان: جبل لفقعات يذكره زهير في قوله:

جعلنا القنان عن يمين وحرته ومن بالقنان من محل ومحرم

ولصاف: جبل لتميم).

(1) الأنفال: 32.

(2) جمع حُمرة (بالتخفيف والتشديد): طائر أحمر اللون.

ودخل أعرابي من بني محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي، وقد بات
بقرب غدير فيه الضفادع، فقال: ما تركتنا شيوخ بني محارب البارحة
ننام؛ يشير إلى قول الأخطل:

تَنَقُّ بلا شيء شيوخُ محارب وما خلتها كانت تنقُّ ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتُها حية البحر

قال المحاربي: أصلح الله الأمير أضلت برقعا لها فهي في بغائه! يشير إلى
قول الشاعر:

لكل هلالي من اللؤم بُرْقَع ولا بن هلال برقع وقميص

وسُمي عمرو بن هند محرقا لتحريقه دارما، وقيل سمي محرقا لإفساده في
الأرض، ويسمى أيضا مضرط الحجارة.

هنا انتهى الكلام على تميم مع تخليط فيه، أو قرب تخليط؛ وهل يصح
الكلام عليهم بلا تخليط لكثرتهم؟ وكانت العرب تضرب الأمثال
بكثرتهم، وقالت ليلي الأخيلية: كاثرُ بتميم. ولذلك كانت فيهم قبائل
الكرم والجود والعز في الجاهلية والإسلام. ومنهم في زمن الفقهاء: يحيى بن
يحيى التميمي، عالم الأندلس كله تلميذُ مالك بن أنس. وفيهم القبيلات
اللثام رعاء الشاء لا غير. ولم أقف على ذكر أحد منهم بمكرمة ما.

ومنهم أهل الرئاسة والكرم في الجاهلية، كحاجب ولقيط ابني زرارة
وأشباههما. ومنهم من جمع رئاسة الجاهلية والصحبة كالأقرع بن حابس
وصعصعة بن ناجية وقيس بن عاصم والأحنف بن قيس والزبرقان بن بدر
وغيرهم ممن لا يحصى..

ولما أنشأ الكلام على تميم نزل على بني خزيمة بن مدركة بن إلياس، وإن خالف صنيعة؛ لأن صنيعة أن يجعل عمود النسب أصلاً ويذكر الفروع قبله ثم ينحط عليه، وهنا قدم مدركة بن إلياس - عمود النسب - على فروع بني طابخة بن إلياس، لقلة مدركة غير عمود النسب، وكثرة بني طابخة؛ فقال:

نسب خزيمة

أَمَّا خُزَيْمَةٌ فَمِنْ أَسَدِهِ غَنَمُ بْنُ دُودَانَ ذُوو رَشَدِهِ
إِذْ هَاجَرُوا لَطِيئَةَ كُلُّهُمْ وَآلُ جَحْشٍ الْكَرَامُ مِنْهُمْ

قوله: فمن أسده: أي أسد خزيمة⁽¹⁾، الذين قالت فيهم ليلى الأخيلية: ناطق بأسد، تعني فصاحتهم؛ لما يقال إنهم أفصح العرب، وإن قال النبي ﷺ: «واسترضعت في بني سعد بن بكر بن هوازن»⁽²⁾.

(1) لخزيمة من الولد: كنانة - عمود النسب - وأسد والهون، وقد تفرع من الهون بطنان هما: عضل والقارة، وأما أسد فله من الولد دودان وكاهل وعمرو وصعب وحلمة، وتفرعت منهم بطون كثيرة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ عديدة؛ فمن دودان بنو غنم الذين كانوا أهل إسلام وهجرة بنسائهم إلى المدينة، ومن بني غنم بن دودان هؤلاء: بنو جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم.

(2) ذكره الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد: «..أنا أعرب العرب ولدني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن». وروى ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير: «أنا سيد ولد آدم بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد واسترضعت في بني زهرة» قال: "ويروى: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش..» الخ". وقال: في إسناده مبشر بن عبيد وهو متروك.

وغنم ودودان كلاهما بالضم. والرشد (بالتحريك): الرشد والصواب، قال تعالى ﴿وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾⁽¹⁾. وطيبة: المدينة. وآل جحش: بنو عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب: عبد الله بن جحش المجدع. وابنه محمد بن المجدع. وأبو أحمد الأعمى بن جحش الشاعر، قيل اسمه عبد الله وقيل ثمامة، أسلم قديما وهاجر وطلب من النبي ﷺ أن يرد إليهم دورهم بعد الفتح فأعرض عنه، فقليل له إن النبي ﷺ يحب أن لا يرجع إليكم ما نزع منكم في الله، وتوفي آخر خلافة عمر. وعبيد الله، هاجر الحبشة الهجرة الثانية مع زوجته أمنا رملة - وهو أبو بنتها حبيبة التي تكنى بها - وتنصر ومات على نصرانيته (نسأل الله العافية). وأمنا زينب. وحمنة، مات عنها مصعب بن عمير يوم أحد، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «إن زوج المرأة لمكانة عندها»⁽²⁾، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض في زمن النبي ﷺ. وجحش هو ابن رئاب بن كبير، كان اسمه برة فقالت زينب لرسول الله ﷺ: غير اسم أبي، فقال: «لو كان أبوك مسلما لسميته باسم رجل من أهل البيت ولكن أسميه جحشا والجحش أكبر من البرة»؛ والبرة: دويبة.

يقول: أمّا خزيمة عمود النسب فمن أسد ابنه غنم بن دودان بن أسد، أهل رشد لأجل هجرتهم كلهم إلى المدينة، وأيضا منهم بنو جحش الكرام

(1) الكهف: 10.

(2) ذكره ابن هشام.

حلفاء بني عبد شمس. وكان عتبة بن ربيعة بعد هجرتهم يمر بدورهم تخفق
فيها الرياح فيتنفس الصُّعداء وينشد:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحبوب

وَمِنْهُمْ ابْنُ مِحْصَنٍ عُكَّاشُهُ بُزَاخَةُ آخِرُ يَوْمٍ عَاشُهُ
أَهْلَكَهُ طُلَيْحَةُ الْعَادِلُ أَلْفًا وَبَعْدَ رِدَّةِ الْقَاتِلِ
أَسْلَمَ مُخْلِصًا وَقَادَ أَسَدًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَأَثَخَنَ الْعِدَى

أي ومن غنم بن دودان عكاشة (بضم العين وتشديد الكاف) بن
مِحْصَن (كمنبر) بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبر⁽¹⁾ بن غنم بن دودان،
كان في سرية ابن عمه عبد الله بن جحش - التي هي أول وقعة لنا في
المشركين - ثم شهد بدرا وما بعدها؛ وهو الذي فيه مثل الحديث:
«سبقك بها عكاشة»؛ وذلك أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي
سبعون ألفا لا حساب عليهم» فقال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن
يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، فقال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني
منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «سبقك بها عكاشة»⁽²⁾، عدل صلى

(1) حرثان: بضم الحاء المهملة وسكون الراء وبالثاء المثناة وبعد الألف نون كما في أسد الغابة،
وكبير بالباء الموحدة وبوزن أمير، كذا في الطبقات الكبرى لابن سعد، وفي الاستيعاب: كثير
بالثاء المثناة بدل الباء، وفي الإصابة: بكير بالباء الموحدة مضمومة.

(2) متفق عليه.

الله عليه وسلم عن "لست منهم" تأدُّباً وتلطفاً بأصحابه. قال السهيلي:
عكاشة سأل ساعة الإجابة والرجل سأل وقد فاتت، وقال أيضاً: وفي
الحديث روايتان إحداهما: فقام رجل من الصحابة، والثانية: فقام رجل
منافق معلوم النفاق - [اهـ].

وكان عكاشة جميلاً شجاعاً، انكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ
عرجونا فعاد سيفاً في يده واستمر عنده يقاتل به إلى أن بيع في الدولة
العباسية من بُغا التركي⁽¹⁾، وكذلك دفع لعبد الله بن جحش يوم أحد
عِذْق نخل فعاد سيفاً في يده، وكان بعد ذلك بيد ابنه محمد بن عبد الله
المجدع؛ ولم أقف على ما آل إليه أمره.

وابن أخي عكاشة: سنان بن أبي سنان، شهد بدراً، وهو أول من بايع
تحت الشجرة بيعة الرضوان، وقيل أبوه أبو سنان، والصحيح الأول.
وبزاحة (كثمامة): موضع به وقعة خالد بن الوليد على أهل الردة الذين
اتبعوا طليحة بن خويلد حين تنبأ، منهم بعض بني أسد وفزارة؛ قائدهم
عيينة بن حصن؛ فلما استشعر الغلب جعل يسب طليحة. وقال الخطيئة
شعراً يمدح به الذين آمنوا بطليحة ويهجوا به غيرهم، منه:

(1) بغا التركي يقال لقائدين من الترك في عهد العباسيين وهما بغا الكبير: (ت: 248 هـ) قائد
تركي الأصل اشتهر في عهد المعتصم قاده حملات ضد البيزنطيين. اشترك في تنصيب
المستعين بعد اغتيال المتوكل. وبغا الصغير: (ت: 254 هـ) قائد تركي قاد حملة حربية على
ثوار أذربيجان في عهد المتوكل، تأمر على المتوكل واغتاله وأصبح الأمر والناهي. قتله
الخليفة المعتز بالله.

فدا لبني نصر طريفي وتالدي عشية ذادوا بالرماح أبا بكر
فباست بني بكر وباستاه طيئ وباست بني دودان حاشي بني نصر
أبوا غير ضرب يجثم الهام وقعته وطعن كأفواه المزفتة الحمر

ويروى منه:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فوا عجا ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكرا إذا قام بعده فتلكم وبيت الله قاصمة الظهر!

ثم قال طليحة: أما الدين فلا دين وأما أنتم فقاتلوا عن أحساب قومكم - ويروى هذا عن مسيلمة -. ولما انهزم جيش طليحة ركب فرسه وفر إلى الشام، فلحقه عكاشة آخر النهار فدعاه للبراز فقتله، ثم لحقه ثابت بن أقرم البلوي حليف الأنصار فقتله أيضا، وفي ذلك يقول:

عشية غادرت ابن أقرم ثابثا وعكاشة الغنمي عند مجالي
أقمت لهم صدر الحمالة إنها معودة قيل الكماة: نزال
فيوما تراها في جلال مصونة ويوما تراها تحت ظل عوال
فإن تك أذواد أصبن ونسوة فلن تذهبوا فرغا بقتل حبال

(وفرغا: هدرا، وحبال: قتل يومئذ؛ وهو حبال بن مسلمة بن خويلد، ابن أخي طليحة)، ومسلمة أعان أخاه طليحة على قتل عكاشة.

فلحق طليحة بالشام، ثم أسلم وتاب وقدم المدينة مخلصا الإيمان، وشهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسنا؛ وقاد إليها أسدا، واستشهدت منهم بها ألف، ثم استشهد [هو] بـ"نهاوند".

يقول ومن غنم بن دودان عكاشة بن محصن، وآخر أيامه من الدنيا يوم بزاخة؛ قتله طليحة بن خويلد الذي يوزن في القتال بألف فارس، ثم إن

طليحة بعد تنبئه وردته أسلم مخلصا للإسلام وقاد قبيلته بني أسد إلى القادسية وأثخن فيها العدى، أي أكثر قتلهم. وال في القاتل للعهد، أي وهذا القاتل لعكاشة. والقاتل: مبتدأ خبره: جملة أسلم. ومخلصا حال.

مِمَّنْ بِأَلْفٍ يُوزَنُ: الْمُقْدَادُ، خَارِجَةٌ، عُبَادَةُ الْآسَادِ
كَذَا الزُّبَيْرُ، وَعَلَى أَجْدَرُ وَخَالِدٌ بِالْعَدِّ مِمَّنْ ذُكِرُوا

ذكر رحمه الله طليحة بن خويلد في ذكر عكاشة، وهما من بني دودان ابن اسد؛ لكن عكاشة من بني غنم وطليحة من بني قعين (كزبير) وقعين من بني ثعلبة بن دودان، وكذلك ذكر بني أسد إجمالا؛ ثم شرع يفصل قبائلهم وينسب الرجال إليها؛ وبنو أسد قبائلهم كثيرة، وكبرائهم ثلاثة: بنو دودان وبنو عمرو وبنو كاهل؛ الذين قتلوا والد امرئ القيس فقال فيهم:

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

وأكثر قبائلهم يتفرع من بني دودان.

مَنْ يوزن بألف فارس

ولما ذكر الناظم طليحة وذكر أنه يعدل بألف - أي ألف فارس - استطرد ذكر من يوزن بألف فارس كذلك؛ وهم أربعة غير طليحة: الزبير بن العوام. وخارجة بن حذافة بن غانم العدوي، الذي قال قاتله: أردت عمرا وأراد الله خارجة، وسيأتي ذكره في نسبه إن شاء الله؛ ويروى أن أبا عبيدة بعث إلى عمر يستمده فبعث إليه الزبير وخارجة وقال له: قد

أمددتك بألفي فارس!. الثالث: المقداد بن عمرو البهراوي. والرابع: عبادة بن الصامت الأنصاري.

يقول ممن يعدل بألف فارس - غير طليحة - المقداد بن عمرو البهراوي حليف بني زهرة، صاحب رسول الله ﷺ وخاله بالحلف وصهره على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب؛ وخارجة بن حذافة؛ وعبادة بن الصامت؛ وكذلك منهم الزبير بن العوام.. الآساد: أي المشبهون بالآساد في الشجاعة، بل هم أشجع من الأسد إذ لا يعدل أسد بألف فارس، لكن غاية الشجاعة عند العرب الأسد.

ثم قال في نفسه غير مستند إلى أحد: وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد أجدر: أي أحق، بالعد فيمن يوزن بألف من هؤلاء المذكورين. قلت: لكن هؤلاء خصوا بهذه الصفة، وهي عدالة الألف، دون غيرهم من الشجعان؛ ولا أراهم أشجع من حمزة بن عبد المطلب وأبي دجانة والبراء بن مالك وأمثالهم..

مِنْ أَسَدٍ أَيْضًا دُبَيْرٌ، فَقَعَسُ، عَرَارُ وَالْكُمَيْتُ وَالْمُنَبِّجِسُ
بِالشَّعْرِ إِذْ بِأُخْتِهِ رَمَاهُ أَحَدُهُمْ وَإِفْكُهُ شَجَاهُ
«ذَاكَ عَبِيدٌ قَدْ أَصَابَ مَيًّا يَا لَيْتَهُ أَحَقَّهَا صَبِيًّا»

يقول: من أسد أيضا ثم من ثعلبة بن دودان قبيلتا دبير وفقعس، وعرار بن عمرو بن شأس والكميت بن زيد الشاعر، والمنبجس بالشعر، أي المتفجر به بعد أن لم يكن شاعرا، لأجل أن رماه أحد بني أسد بالإفك

وشجاه: أي أحزنه.

أما دُبِير (كزبير) فهو من بني قعين وكذلك فقعس، ومنهم عبد الله بن الزبير (كأمير) الشاعر؛ قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فلم يعطه شيئاً فاستحمله، فقال: ما بال ناقتك؟ فقال: نقت ودبرت، فقال: انعلها وداوها، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك! فقال: إنَّ وراكبها⁽¹⁾. وخرج عنه يقول:

أرى الحاجات عند أبي خبيب نُكِبْنَ ولا أمية في البلاد
ومن فقعس أيضا ابن كوز، الذي قيل فيه وقد خطب امرأة:

تمنى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستاد⁽²⁾ منا إن شتونا لياليا
فلا تخطبها يا ابن كوز فإنه غذا الناس مذ قام النبي الجواريا

(أي ترك الناس منذ بعث النبي ﷺ الوأد، وتزويجها إياك يا ابن كوز وأذ لها!).
ومنهم أيضا عبد الله بن الريس، الشاعر.

هؤلاء من فقعس. وأما عرار فهو ابن عمرو بن شاس الصحابي، من بني سعد بن ثعلبة بن دودان، وكان عمرو بن شاس شاعرا، وهو القائل:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بذكراك هاديا

وشهد الحديبية، وهو القائل أيضا في ابنه عرار يخاطب امرأته، وكان عرارُ

(1) إن بمعنى نعم، أي لعنها ولعن راكبها.

(2) أي يخطب إلينا، واستادوا سيدهم خطبوا إليه.

أسود⁽¹⁾:

أردت عرارا بالهوان ومن يرد
فإن كنت مني أو تريدني صحبتي
وإن كنت تهوين الفراق - ظعيني -
وإن عرارا إن يكن غير واضح
عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
فكوني له كالسمن ربت له الأدم
فكوني له كالذئب ضاعت له الغنم
فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

ثم اتفق أن أميراً من أمراء عبد الملك بعث عراراً إلى عبد الملك، فلما دخل عليه استخف به لسواده، فلما كلمه أعجبه كلامه وأدبه، فأنشد عبد الملك:

أردت عرارا بالهوان.. البيت، فقال عرار: يا أمير المؤمنين أتعرف عرارا؟
قال: لا، قال: أنا عرار، فتعجب عبد الملك وأحسن جائزته.

وأما الكميت فهو ابن زيد بن الأخنس من بني سعد بن ثعلبة بن دودان أيضاً - مثل عرار - وكان شاعراً مجيداً

(1) لأن أمه أمة سوداء كانت لأبيه فأولدها عرارا، وامرأته التي يخاطبها هي أم حسن السعدية وكانت تبغض عراراً وتشتمه وتؤذيه وتغير أباه به، ولما أعيا عمراً أمرها ولم يقدر على إصلاحها في شأن عرار هذا قال:

ألم يأتها أني صحوت وإنني تحلّمت حتى ما إعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لبائيه الشجاع لقد أزم
وان عرارا إن يكن ذا شكيمة تقاسينها منه فما أملك الشيم
أردت عرارا بالهوان.. إلخ. (وعرار: بالمهمله وبوزن سحاب وكتاب).

شيعيا⁽¹⁾، وأول ما قال من الشعر قصيدة يمدحُ بها آل النبي ﷺ، فخلا بالفرزدق وقال له: إني قلت قصيدة وأردت أن أعرضها عليك، إن كانت شعرا فأخبرني وإلا فاکتم عني؛ فأنشده إياها، فقال له: أراك أشعر الناس.. اذهب فقل ما شئت من الشعر. والقصيدة⁽²⁾ منها:

(1) وكانت للكميت خصال لم تكن في شاعر؛ كان خطيب بني أسد وفقه الشيعية وحافظ القرآن، وكان ثبت الجنان كاتباً حسن الخط، وكان في صغره ذكياً لودعياً. يحكى أنه وقف وهو صبي على الفرزدق وهو ينشد، فأعجبه سماعه فلما فرغ قال: يا غلام كيف ترى ما تسمع؟ قال: حسن يا عم، قال: أيسرك أني أبوك، فقال: أما أبي فلا أبغي به بدلاً ولكن يسرنى أنك أُمي! فحصر الفرزدق وقال: ما مر بي مثلاً. وكان الكميّ قال الشعر وهو صغير وبرع فيه. روي أنه سئل معاذ الهراء عن أشعر الناس؟ فقال: من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص، ومن الإسلاميين الفرزدق وجريّر والأخطل. ف قيل له: ما رأيّناك ذكرت الكميّ؟ قال: ذلك أشعر الأولين والآخرين. وله في أهل البيت قصائده المشهورة البليغة وهي أجود شعره.

(2) أولها:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضّب

إلى أن يقول:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب
إلى نفر البيض الذين بجهم إلى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناح مودتي إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
بأي كتاب أم بأية سنة.. إلخ. ومنها:

<<=

بأيّ كتابٍ أم بآيَّة سنة ترى حبّهم عارا عليّ وتحسب؟
وما ليّ إلا آل أحمد شيعة وما ليّ إلا مذهب الحق مذهب

عبيد بن الأبرص وتنبغه بالشعر

وأما المنبجس الذي يشير إليه وإلى قصته فهو عبيد (كأمير) ابن الأبرص، شاعر بني أسد في الجاهلية؛ ولم يدرك الإسلام بل مات قبيل البعثة. وكان تربّ عبد المطلب، وعاش مائة وعشرين سنة، فقتله النعمان بن المنذر. وكان للنعمان يوم نعيم من ورّد عليه فيه أغناه، ويوم بؤس من أتاه فيه قتله، فوافي عبيدُ يوم البؤس فقتله.

والقصة أنه أورد هو وأخته يوما غنما لهما، فزاحمه على الماء رجل من بني أسد فغلبه على الماء، فأتى هو وأخته إلى ظل شجرة فجلسا فيه ينتظران فرجة الماء، فقال الرجل يهجوّه ويسخر به ويبهته: ذاك عبيد.. إلخ. فابتهل عبيد إلى الله وقال: اللهم إن فلانا ظلمني ورماني بالبهتان، اللهم إن كنت تعلم هذا فأدِلني عليه⁽¹⁾. وغلبته عيناه فنام، فرأى أن شخصا رمى في فيه بكبة من شعر فانتبه يرتجز.. فكان شاعر بني أسد!.

-- >>

ومن غيرهم أرضى لنفسه شيعة ومن بعدهم - لا - من أجل وأرحب
إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازغ من قلبي ظماء والبب
وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقى ومُعرب

يشير إلى قوله تعالى في (حم عسق): ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾.

(1) أي اجعل لي الكرة عليه، والإدالة: الغلبة.

وكل من ذكر من أسد من بني دودان، إما من ثعلبة وإما من غنم.
ومن غنم يزيد بن رقيش بن رئاب، شهد بدرًا وهو ابن عم بني
مِخْصَن.

ومنهم محرز بن نضلة، ويقال له الاخرم، ويقال له أيضًا قمير، شهد
بدرًا وقتل يوم الغابة؛ ركب على فرس لمحمد بن مسلمة الأنصاري فلحق
القوم وحده، فقال لهم: قِفُوا يا بني اللكعاء حتى يلحقكم النبي ﷺ ومَن
معه من المهاجرين والأنصار؛ فرموه فقتلوه، وجال الفرس إلى آريه⁽¹⁾.

ومن غنم أيضًا أربد بن عميرة، ذكر أنه هاجر الحبشة وأنه شهد بدرًا،
وكلا القولين ليس بصحيح والله تعالى أعلم.

ومنهم عقبة وشجاع ابنا وهب بن ربيعة، شهدا بدرًا؛ أما شجاع
فأرسله النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وجبله بن الأيهم،
وآخى النبي ﷺ بينه وبين خولى بن أوس، وقتل يوم اليمامة؛ وهما من
حلفاء بني عبد شمس من بني غنم.

وأما ثعلبة فمنهم الصحابي ظبيان بن ربيعة، ابن عم طليحة؛ قال له:
إنما أنت كاهن تصيب وتخطئ والنبي ﷺ يُصيب ولا يخطئ. ومنهم
القبيلتان فقعس ودُبَيْر، كما قدمنا.

(1) الآريُّ (ويخفف): الأخيَّة وهي عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة، قال امرؤ
القيس:

ويخضد في الآري حتى كأنما به عُرة من طائف غير معقب

كَذَا ابْنُ الْأَزْوَِرِ ضِرَارُ الْهَالِكِ مُقَاتِلًا بِصَدْرِهِ وَالْهَالِكُ

ابن الأزور: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. وضرار: بدل من ابن الأزور. والهاك الأول: نعت لضرار. ومقاتلا: حال متعلق بصدرة. والهاك الثاني: عطف على البدل أو المبدل منه.

يقول كذا من أسد ضرار بن الأزور، الذي مات وهو يقاتل بصدرة. ومنهم أيضا الرجل المسمى الهاك بن عمرو بن أسد، وهو الحداد؛ لأنه أول من عمل في الحديد من العرب⁽¹⁾، ومن ثم يقال لبني أسد القيون. وأما ضرار فهو من بني ثعلبة بن دودان⁽²⁾؛ وهو من فرسان الصحابة وشجعانهم وشعرائهم، وفد على النبي ﷺ، وقتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد كما تقدم.

وقوله: الهاك مقاتلا: يشير إلى أحد القولين في موته، وهو أنه يوم اليمامة قطعت ساقاه فجعل يحبو ويقاتل بيديه وصدرة وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت. والقول الثاني أنه استشهد بالشام في خلافة عمر بعد أن شرب هو وضرار بن الخطاب وأبو جندل بن سهيل بن عمرو الخمر،

(1) ومن بني الهاك هذا سماك بن مخزومة الذي يقول فيه الأخطل:

نعم المجير سماك من بني أسدٍ بالمرج إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأخبره واليوم طيّر عن أثوابه الشرر

(2) هو ضرار بن الأزور - واسم الأزور مالك - بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان.

متأولين بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، فاهتم أبو عبيدة بجلدهم، فقالوا له: إنك لاقِ بنا العدو غدا، فإن قتلنا كفيتنا وإلا فشأنك بنا؛ فقتل ابن الأزور وأبو جندل، وبعث عمر إلى أبي عبيدة أن يجلد ضرار بن الخطاب⁽²⁾، وكتب إلى ضرار: إن الذي أوجب عليك الذنب هو الذي حظر عليك التوبة.

وَأَيْمَنُ اسْتَعَانَهُ مَرَوَانُ وَفَتَّكَهُ قَيْدَهُ الْإِيْمَانُ

قوله: وأيمن: يحتمل أنه عطف على المذكورين قبله، أي كذا ابن الأزور والهاالك وأيمن؛ ويحتمل أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: منهم، أي ومن اسد أيمن⁽³⁾. واستعانه: طلب منه المعونة. يشير إلى أن أيمن بن خريم بن مالك بن فاتك

(1) المائة: 93.

(2) ورد الخلاف في قصة هؤلاء القوم، أي فيمن استشهد منهم ومن أقيم عليه الحد، ففي الاستيعاب قال: فاستشهد ابن الأزور وحد الآخران، أبو جندل وضرار بن الخطاب. ومثله في الإصابة، وفيها أيضا يقال إن ضرارا ابن الأزور ممن شرب الخمر مع أبي جندل فجلدهم أبو عبيدة. وفيها أن أبا جندل استشهد باليمامة. وفي تاريخ الطبري: انهم نفر وأن منهم ضرارا وأبا جندل، وأنهم جلدوا، وفيه أيضا: فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم وبقي الآخرون فحدوا، وقيل إن ضرارا ابن الأزور قتل باجنادين.

(3) وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن العليب بن عمرو بن أسد، الأسدي الصحابي، وكان شاعرا محسنا؛ وهو القائل في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

إِن الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهَا لَقُوا أَثَامًا وَخَسِرَانَا فَمَا رَجَحُوا

وكان يُسمى "خليل الخلفاء" لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه.

طلبه مروان أن يعينه يوم مرج راهط على قتال ابن الزبير فقال: "الإيمان قيد الفتك"، ثم قال له: إن أبي وعمي شهدا بدرا وعهدا إلي ألا أقاتل مسلما، فإن جئتني ببراءة من النار أعينك، فقال له: لا حاجة لي في معونتك. ويعني بعمه: سبرة بن فاتك، فقال أيمن في ذلك:

ولست بقاتل رجلا يصلي	على سلطان آخر من قريش
له سلطانـه وعلي إثـمي	معاذ الله من سَفَـهٍ وطيشٍ
أأقتل مسلما في غير جـرم	فلست بنافعي ما عشت عيشي

أسلم أيمنُ يوم الفتح وهو غلام يافع، روي أن النبي ﷺ قال فيه: «نعم الرجل أيمن لولا طول جمته وإسبال إزاره»⁽¹⁾، فقطع جمته إلى أذنيه وشمّر إزاره إلى نصف ساقه.

ودخل أيمن على عبد العزيز بن مروان فوجد عنده نُصَيِّبًا، وقد جاءه يمدحه يريد أن يشتريه، فقال له عبد العزيز: ما قيمة هذا العبد عندك؟ فقال: أراه يُساوي ثلاثة آلاف، فقال عبد العزيز: واعلم أنه شاعر، فقال أيمن: قيمته إذا ثلاثة دراهم!.

وأما أيمن والهالك فمن عمرو بن أسد. ومنهم أيضا الأقيشر بن الأسود، سمي الأقيشر لأنه كان أحمر اللون، وكان من شعراء أول الإسلام ومن المعمرين، كان في زمن بني العباس، وهو القائل:

(1) أخرجه أبو داود وأحمد، والذي في الإصابة والاستيعاب أنه قال ذلك في خريم.

في فتية جعلوا الصليب إلههم حاشاي إني مسلم معذور⁽¹⁾
ومن أسد - ولا أدري من أي قبائلهم - وابصة بن معبد بن مالك
الصحابي، قال: وجد النبي ﷺ رجلاً يصلي خلف الصف فأمره أن يعيد

(1) وكان الأقيشر هذا كوفياً خليعاً ماجناً فاسقاً مدمناً الخمر، وكان هجاء. من ذلك قوله في
ابن عم له موسر كان يسأله فيعطيه، حتى كثر ذلك عليه فمنعه وقال: إلى كم أعطيك
وأنت تنفقه في شرب الخمر؛ ولطمه، فأنشأ يقول:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

ومن شعره:

يا أيها السائل عما مضى من علم هذا الزمن الذهب
إن كنت تبغي العلم أو أهله أو شاهداً يخبر بالغائب
فاختبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وشرب يوماً حتى سكر فسقط وبدت عورته وامرأته تنظر، فأقبلت تلومه وتعتب عليه،
فأنشأ يقول:

تقول يا شيخ أما تستحي من شربك الراح على المكبر؟
فقلت لو باكرت مشمولة صفراً كلون الفرس الأشقر
رحت وفي رجلك ما فيهما وقد بدا هنك من المـنـزـر

وله من قصيدة:

لا تشربن أبداً خمرًا مسارقة إلا مع الفر أبناء البطاريق
أفنى تلادي وما جمعت من نشب قرع القواقيز افواه الأباريق
عليك كل فتى سمح خلانقه محض العروق كريم غير ممذوق
ولا تصاحب لئيمًا فيه مفرقة ولا تزورن أصحاب الدوانيق

صلاته⁽¹⁾. ومنهم قبيصة بن برمة⁽²⁾، قال له النبي ﷺ: «كم مات لك من البنين؟ قال: ثلاثة بنين، قال: «لقد احتظرت من النار بحظار شديد»⁽³⁾. ومنهم المحدث المشهور مُسَدَّد (كمعظم) بن مُسرهد بن مُجرهد بن مُسربل بن مُغربل بن مُرعبل بن مُطربل بن أرندل بن سرندل بن عرندل⁽⁴⁾. وتزعم الزوايا⁽⁵⁾ أن اسمه وأسماء جدوده رقية للعقرب.

نصيب الشاعر:

ومن موالى بني أسد: نصيب الشاعر، وكان في الغاية من السَّواد

(1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(2) قبيصة: بفتح أوله وكسر الموحدة. وبرمة: بضم الموحدة وسكون الراء—[تقريب التهذيب لابن حجر وغيره].

(3) قاله في الاستيعاب. وروى الطبراني في الكبير والبخاري أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله مات لي ابنان، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد احتظرت من النار احتظارا شديدا»، وفي الطبراني أيضا: «لقد استجن جنة حصينة من النار رجل سلف بين يديه ثلاثة من صلبه في الإسلام».

(4) وفي القاموس: عرندل بن ماسك بن المستورد الأسدي. وفي نصر الهوري: عرندل بالإهمال وفيها إعجام العين. وقيل إن هذه الأسماء إذا كتبت وعلقت على محموم كانت من أنفع الرقى وجربت فكانت كذلك. وقال عاصم إنها رقية للعقرب إذا كانت قبلها البسملة—[قاله أبو نعيم]. وفي كوثر المعاني: 492/1: مسدد بن مسرهد.. إلخ، ثم قال: هو البصري الأسدي الحافظ أبو الحسن، قيل اسمه عبد الملك بن عبد العزيز، قال العجلي: وكان أبو نعيم يسألني عن نسبه فأخبره، فيقول لي: يا أحمد هذه رقية العقرب. وفي نسيم الرياض: اسم مسدد عبد الملك واسم مسرهد عبد العزيز. وكان مسدد إماما حافظا محدثا بالبصرة، روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(5) الزوايا: تطلق في بلاد شنقيط على القبائل المشتغلة بالعلم والقائمة بالأمور الشرعية.

والظرافة وجودة الشعر، وكان عبداً لرجل من بني الحسحاس؛ وهم من بني أسد⁽¹⁾، ولم أقف لهم في كتب الأنساب على ذكر، ولا ذكرهم النابغة في قصيدته التي ذكر فيها سائر قبائل بني أسد، لكن ذكرهم نصيب بقوله:

أشعارُ عبْدِ بني الحسحاس قُمنَ له عند الفخار مقامَ الأصل والورق
إن كنت عبداً فنفسي حرة كرها أو أسود اللون إني أبيض الخلق

وكان سيده من بني الحسحاس أرحاه إبلأ فأضلها وخرج في طلبها، فلما عزته عمد إلى عبد العزيز بن مروان يمتدحه، فلما دخل عليه أنشده شعراً فيه؛ ولم يثق عبد العزيز بكون الشعر له - إذ لا يعرفه - فقال له لعلك انتحلت هذا الشعر فإن كنت صادقاً فارتجل الليلة شعراً لا ينبغي أن يكون لغيرك، ثم غدا عليه بقصيدة يذكر فيها السحاب ويغزل فيها، وخلص على مدح عبد العزيز. فأعطاه قيمة الإبل وذهب بها إلى سيده فكاتبه، فرجع إلى عبد العزيز فأعطاه الكتابة ودفعها إلى سيده، ثم كان شاعر عبد العزيز وبني مروان. ومن شعره قوله:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

قال له ابن أبي عتيق: ما ذا تفعل إلا أن تقول: "غاق" فتطير! يشبهه بالغراب لسواده.

وكانت امرأة في طريق الحاج بين مكة والمدينة يقال لها زينب، كل من

(1) الحسحاس (بمهملات): هو ابن نفثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه. وكان مولى سحيم من بني الحسحاس يسمى جندل بن معبد.

مر بها تكرمه وتطعمه ويعطيها ثلاثة دنانير؛ فقال عندها نصيب، فلما أراد الارتحال عنها خيرها بين الدنانير وأبيات، فاختارت الأبيات فقال:

بزيب ألم قبل أن يرحل الركب وقل: إن تملينا فما ملك القلب
خليلي من كعب ألما هديتما بزيب لا تفقدكما أبدا كعب
من اليوم زوراها فإن ركابنا غداة غد عنها وعن أهلها نكب

ووفد على عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله: ما حاجتك؟ فقال: هذه رواحلي تميرني، فقال: أنخ أنخ، فأوقرها له ميرا وأجزل جائزته غير ذلك، فقيل لعبد الله أتعطي هذا كله لهذا الأسود؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض وإن كان لا يستحقه فأنا أستحق بذه. وكان نصيب يواصل امرأة، فزارها فوجد رجلا آخر معها، فقال:

أراك طموح العين ميالة الهوى لهذا وهذا منك ود ملاطف
فإن تحملي ردفين لم أك منهما فحي فرد، لست ممن يرادف

وكان نصيب متكبرا، روي أنه لما شب ابنه وأراد التزويج خطب إلى مواليه من بني أسد فأجابوه، فاستشار أباه فقال له: اجمع الناس فجمعهم، فأتاهم نصيب فقال: لما اجتمعتم هنا؟ فقالوا: ابنك هذا يريد أن تزوجه بنت فلان، قال: أو أراد ذلك؟ قالوا: نعم كما ترى، فقام إليه فضربه. ولشئ عن أخبار نصيب.

ولما فرغ من الكلام على الفرع، وهو بنو أسد، انخط على الأصل الذي هو عمود النسب، فقال رحمه الله:



انتهى بحمد الله الجزء الأول من شرح عمود النسب
ويليه إن شاء الله الجزء الثاني، وأوله نسب كنانة

فهرس محتويات الجزء الأول

أ	مقدمة الناشر
1	مقدمة التحقيق
3	موجز تاريخ تدوين السيرة
8	شرح عمود النسب
6	نظم عمود النسب
12	قبيلة المؤلفين
15	أحمد البدوي بن محمدا
21	حماد بن الأمين
24	النسخ الأصلية من هذا الشرح
27	شرح ديباجة النظم
28	أصول العرب
31	معرفة ما لا يكمل الإيمان إلا به من نسبه وداره صلى الله عليه وسلم
37	أهمية معرفة عمود نسبه صلى الله عليه وسلم ونسب الأنصار
43	التنبية على بعض مراجع الناظم وصحة نقوله
45	مقدمة في تاريخ بناء وتداول الحرم المكي
49	رحلة إبراهيم عليه السلام إلى الشام بعد نجاته من نار نمرود
51	إسماعيل عليه السلام عمود النسب
53	آدم عليه السلام

54.....	شئت ووصية آدم له عليهما السلام
55.....	إدريس عليه السلام
55.....	نوح عليه السلام
56.....	هود عليه السلام
57.....	صالح عليه السلام وخبر ناقته
59.....	لوط عليه السلام
59.....	يونس عليه السلام
62.....	مسير إبراهيم بأهله إلى مكة
65.....	الطائف وأصل تسميتها وخبر أصحاب الجنة المحترقة
71.....	أصل الحجر الأسعد وأصول حجارة البيت الحرام
75.....	هاجر وابنها إسماعيل بعدما ودعهما إبراهيم عليه السلام
77.....	مساكنة العمالق لهاجر وإسماعيل ثم إجلاء جرهم لهم
79.....	إجلاء خزاعة لجرهم
81.....	القول في أصل جرهم
83.....	رؤيا عبد المطلب التي دلته على مكان زمزم
84.....	تاريخ بناء البيت الحرام
89.....	شراء قصي مفاتيح الكعبة واتخاذ دار الندوة
93.....	سيادة بني عبد مناف وتحالفهم على بني عبد الدار
97.....	مقدمة في ذكر بعض مختلقات العرب وعاداتهم
107.....	أنساب العرب

110.....	حيلة جديس للتخلص من ضيم طسم وما جرّ ذلك
115.....	العرب المتذبذبة
119.....	قصة افتداء عبد الله بن عبد المطلب
119.....	عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم
132.....	ذكر بعض جداته صلى الله عليه وسلم
135.....	لمحة عن النبي نوح - عليه السلام - وبناء السفينة
141.....	القول في معنى القرن
144.....	الذب عن آبائه صلى الله عليه وسلم
151.....	القول في نسب عدنان
153.....	رؤيا يختصر ومحاولته إبادة العرب
155.....	أبناء نزار وبعض ذكائهم
159.....	ملك الفرس وأصل تسميته سابور
166.....	نسب ربيعة
168.....	صهيب الرومي وبعض مناقبه
170.....	قدوم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم
172.....	نسب وائل
176.....	أسباب قيام حرب البسوس
178.....	قتل حساس لكليب بسبب تجبره
181.....	مقتل بجير وما أثار من تدخل الحارث بن عباد في الحرب
186.....	هزيمة تغلب وانتهاء الحرب التي استمرت أربعين عاما

188.....	قصة المثل: لا عطر بعد عروس
190.....	مقتل عمرو ابن هند على يد عمرو بن كلثوم
193.....	سيف الدولة الحمداني وبعض مدائحه
196.....	افتراءات مسيلمة الكذاب
201.....	ثمامة بن أثال
204.....	أبو دلف وبعض مدائحه
209.....	قصة خوات مع ذات النحين
211.....	المثنى ابن حارثة
214.....	الإمام أحمد بن حنبل
221.....	قصة المازني مع الوثائق
224.....	طرفة بن العبد وقصة قتله
228.....	الكلام على ولد مضر
231.....	الكلام على سليم وهوازن
232	قصة إسلام عباس بن مرداس
236	صفوان بن المعطل
238	نصر بن حجاج وسبب نفيه من المدينة
246	ذكر الخنساء وأخويها صخر ومعاوية
249	حث الخنساء لأولادها على الاستشهاد في القادسية
252	بعض مفاخر سليم
254	نسب هوازن

259	الكلام على بني عامر بن صعصعة.....
260	نسب بني كلاب
264	خالد بن جعفر وقصة قتل الحارث بن ظالم له.....
268	قصة أربد وعامر مع النبي صلى الله عليه وسلم
274	ليد بن ربيعة وبعض أخباره وأشعاره.....
279	دور ليد في إبعاد الربيع بن زياد عن النعمان
280	زيد بن عدي وإيقاعه بالنعمان لدى كسرى.....
283	سبب نشوب حرب الفجار
284	علو شأن المخلوق بمدح الأعشى.....
289	منافرة عامر وعلقمة على هرم بن قطبة.....
292	نسب بني كعب بن ربيعة.....
292	النابغة الجعدي
297	قيس بن الملوح قتيل العشق
299	توبة بن الحمير وخبره مع ليلي الأخيلية
305	نسب بني قشير بن كعب
310	نسب بني هلال
312	أكرم عجوز في العرب أصهارا: هند بنت عوف
318	نسب نمير
319	هجاء جرير الذي وضع بني نمير
324	نسب ثقيف

- 326 يوم قرن الثعالب وما لقي فيه النبي صلى الله عليه وسلم
- 329 المغيرة بن شعبة وبعض دهائه
- 332 أبو بصير وقطعه الطريق على المشركين
- 338 أبو محجن الثقفي وبلاؤه الحسن في القادسية
- 344 نسب مازن
- 345 عتبة بن غزوان أول من بنى البصرة
- 347 نسب بني عمرو بن قيس عيلان
- 351 تأبط شرا وبعض أخباره
- 352 الكلام على سعد بن قيس عيلان
- 353 نسب باهلة
- 355 بعض ما قيل في باهلة
- 363 نسب غطفان
- 364 الحارث بن عوف وهرم بن سنان ودورهما في الصلح بين عبس وذبيان
- 370 مسلم بن عقبة وجرائم جيشه في وقعة الحرة على المدينة
- 371 تردد أهل المدينة في مبايعة يزيد ثم خلعهم إياه
- 373 سبب حرب الرهان
- 377 عيينة بن حصن وبعض جفائه
- 384 وفد تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومفاخرتهم الصحابة
- 387 رواية سمرة للسكتين في الصلاة
- 393 الربيع بن ضبع أحد المعمرين

394 نسب عبس
395 عروة بن الورد
398 الخطيئة ومدحه لبني أنف الناقة
404 حذيفة بن اليمان وما خصه به النبي صلى الله عليه وسلم
406 سبب تسمية فرس زهير "داحس"
412 الكلام على نسب إلياس
415 عمرو بن لحي وابتداعه عبادة الأصنام
418 ذكر بعض المختلقات التي أحدثها العرب
419 نسب خزاعة
422 الذين لا يكتون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
424 كثير عزة وبعض شعره فيها
426 أم معبد وخبرها مع النبي صلى الله عليه وسلم
432 الكلام على نسب مدركة
435 ترجمة عبد الله بن مسعود
439 نسب بني أد بن طابخة
439 ذكر جمرات العرب
440 أصل المثل: أسعد أم سعيد، وأصل المثل: سبق السيف العذل
442 قبائل الرّباب وذكر تحالفهم مع تميم
446 نسب مزينة
449 إلياس بن معاوية وذكاؤه

451 ذكر إسلام كعب بن زهير وبعض شعره
465 نسب بني مرّ بن أدّ
467 نسب تميم
471 قيس بن عاصم وسبب وأده لبناته
473 صعصعة بن ناجية وإنقاذه للموءودات
475 الأخنف بن قيس وحلمه
487 سجاح وخبر تنبئها مع مسيلمة الكذاب
491 ذكر قبائل دارم
495 توريث معاوية بن أبي سفيان بالمؤاخاة
515 ذكر بعض شعراء تميم
523 قصة وافد البراجم الشقي
527 نسب خزيمه
529 عكاشة بن محصن وسبقه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم
532 من يوزن بألف فارس
537 عبید بن الأبرص وذكر تنبغه بالشعر
543 نصيب الشاعر مولى بني أسد وبعض أخباره
547 الفهارس

فهرس الأعلام المترجمين والمعرفين في الشرح والتعليق

في الجزء الأول

أبو جلدة اليشكري 196	آدم عليه السلام 138، 53
أبو جهم بن حذافة 74	آمنة بنت وهب 132، 121
أبو دلف، القاسم بن محمد 204	أبان المحاربي 230
أبو رجاء، عمران بن عبد الله 469	أبو أحمد الأعمى بن جحش 528
أبو سلمى، والد زهير 462	أبو أحمد، حبيب الله 14
أبو سيارة، عميلة بن خالد 348	أبو أمامة، صدي بن عجلان 360
أبو عبيد بن مسعود 338	أبو الأحوص، عوف بن مالك 256
أبو غبشان 87	أبو الأعور السلمي 253، 239
أبو محجن بن حبيب 338	أبو الشيص، محمد بن عبد الله 430
أبو موسى الأشعري 295	أبو الصقر، إسماعيل بن بلبل 223
أبو وهب الجشمي 257	أبو العلاء المنقري 481
أحدب بن عمرو بن عمارة 360	أبو القاسم القشيري 307
أحمد البدوي بن محمدا 15	أبو النجم، فضل بن عبد الله 207
أحمد بن حنبل (الإمام) 214	أبو براء، عامر بن مالك 289، 272
أحمد بن محنض 13	أبو بصير، عتبة بن أسيد 332
الأحنف بن قيس 475، 524	أبو بكر بن عبد الله 13
الأحوص بن جعفر بن كلاب 288	أبو بكر بن عمر اللمتوني 12
الأخطل، غياث بن الغوث. 191، 189	أبو بكرة، نفيع بن مسروح 337
الأخنس بن شريق 331	أبو جحيفة، وهب بن عبد الله 323
أنخيل، معاوية بن عبادة 262	أبو جزء بن سعيد 356

أربد بن عميرة.....538	أك بن عبد الرحمن13
أربد بن قيس.....269	أكثم بن الجون.....421
أرميا.....154	أكثم بن صيفي.....504
أرويا، زوج هاجر.....77	أم البنين، ليلي بنت عمرو.....271
أسماء بنت دريم.....172	أم الفضل، لبابة بنت الحارث.....314
أسماء بنت عبد الله العذرية.....188	أم حكيم بنت عبد المطلب.....94
أسماء بنت عميس.....314،116	أم شيبه بنت أبي طلحة.....240
الأسود بن سريع.....502	أم عبد بنت عبد.....436
الأسود بن غفار.....112، 111	أم قرفة، فاطمة بنت زمعة.....385
الأسود بن لقيط، ذو الآثار.....516	أم معبد، عاتكة بنت خالد.....426
الأسود بن يعفر.....517	أمية بن أبي الصلت.....334
أسيد بن جذيمة.....261	أنس بن العباس بن عامر.....253
أشهب بن عبد العزيز (الفقيه).....299	أنف الناقة، جعفر بن قريع.....468
الأصمعي، عبد الملك بن قريب....357	أنمار بن نزار.....155
أصيل بن عبد الله.....433	الأهثم، سنان بن خالد.....477
أعشى بني مازن.....511	أوس بن الأعور.....286
الأعشى، ميمون بن قيس....284،226	أوس بن حارثة بن لام.....365،162
أعصر، منه بن سعد بن قيس عيلان..353	أيمن بن خريم.....539
أعين بن ضبيعة.....492	أيوب ابن القرية.....169
الأغلب بن جعشم.....207	إبراهيم الأموي12
أفعى الجرهمي.....155	إبراهيم عليه السلام .41،43،47،58،62
الأقرع بن حابس.384،491،516،518	إدريس عليه السلام55
الأقيشر بن الأسود.....541	إساف بن عمرو.....415

إسماعيل <small>عليه السلام</small> : 63، 66، 68، 71، 77، 140	بشير بن الخصاصة 217
إلياس بن مضر 228، 129	بغا التركي 530
إياد بن نزار 155، 157	بكر بن معاوية بن عاد 108
إياس بن معاوية 449	بنو الشقيقة بنت عباد 223
ابن دقيق العيد، تقي الدين 308	البيضاء، أم حكيم 94
ابن كوز الفقعسي 534	تأبط شرا، ثابت بن جابر 351
الاضبط بن قريع 468	تماضر بنت عمرو بن الشريد 262
امرؤ القيس بن أبان 181	تماضر بنت منظور 521، 392
بادل بن أك 13	تميم بن مقبل العجلاني 309
باقل الوائلي 361	توبة بن الحمير 300
باهلة بنت صعب 354	تيم الله بن ثعلبة 210
بحيرة بنت قبيصة 219	ثابت بن أقرم البلوي 531
بحيلة بن أنمار 117	ثابت بن المنذر بن حرام 448
بختنصر (الملك) 152	ثقيف بن منبه بن هوازن 324
بديل بن ورقاء 426، 420	ثمالة بن أثال 201
بديلة بنت كليب 184	جابر بن سمرة بن عمرو 322
البراض بن قيس 282	الجارود، بشر بن عمرو 170
برة بنت مر بن أد 174، 127	جارية بن قدامة 482
البرشاء، رقاش بنت الحارث 208	جبار بن سلمى 271
البسوس بنت منقذ 185، 177	جحدر بن مالك العجلي 341
بشر بن أبي سفيان 430	جحش بن رئاب 528
بشر بن أبي عوانة 342	الخدماء، أسماء بنت حل 208
بشر بن معاوية 323	جران العود، عامر بن الحارث 319

حبیب بن أحمد البدوي	19	جرهم بن قحطان.....	72
حبیب بن زید بن عاصم.....	197	جریر بن عبد الله.....	116، 117
حبّی بنت حلیل.....	88، 134	جریر بن عطية (الشاعر)....	485، 517
الحتات بن زید.....	495	جساس بن مرة.....	175
الحجاج بن علاط.....	237، 240	جعدة بن خالد بن الصمة.....	256
الحجاج بن يوسف.....	328	جعفر بن أبي طالب.....	314
حذام بنت حسن.....	202	جليلة بنت مرة.....	177، 184
حذام بنت حسن العذرية.....	203	جندع بن عمرو.....	57
حذيفة بن اليمان.....	403	جندل بن الراعي.....	322
الحر بن قيس.....	380	جندلة بنت الحارث.....	127
حرب بن أمية.....	236	حاتم بن عبد الله بن الحشرج.....	162
حرملة بن هوذة.....	306	حاجب بن زرارة بن عدس.....	494
حزن بن أبي وهب.....	386	الحارث بن أبي هالة.....	507
حصين بن عبيد بن خلف.....	423	الحارث بن ألغز.....	162
حضير بن سماك.....	265	الحارث بن ألغز الإيادي.....	162
حطائط بن يعفر.....	517	الحارث بن شريح.....	481
الخطيئة (الشاعر).....	309، 398، 400	الحارث بن ظالم.....	263، 364، 367
الحكم بن المنذر بن الجارود.....	171	الحارث بن عباد.....	181
حكيم بن حزام.....	90	الحارث بن عبد العزى.....	255
حلحلة بن قيس.....	381	الحارث بن عوف.....	364
حليمة بنت أبي ذؤيب.....	255	حبال بن مسلمة.....	531
حماد بن الأمين.....	20	حبشي بن جنادة.....	324
حمل بن بدر.....	376	الحبط، الحارث بن مالك بن عمرو.....	504

الخنساء، تماضر بنت عمرو 246	حمنة بنت جحش 528
خوات بن جبير 209	حميد الأرقط بن مالك 502
خولة بنت منظور 392	حميد بن ثور الهلالي 311
دريد بن الصمة 256، 247	حنظلة بن الربيع 505
دعبل بن عبد الله 428، 423	الحوآب بنت كلب 466
دغة بنت منعج 208	حواء، أمنا 137
دغفل بن حنظلة 215	خارجة بن حذافة 532
ذؤيب بن شعثن 489	خالد بن جعفر 263، 260
ذات النحيين، خولة بنت عدي ... 209	خالد بن سنان 407، 307
ذكوان بن أمية 216	خالد بن عبد الله القسري 117
ذو الاصبع العدواني 349	خالد بن هوذة 306
ذو الرمة، غيلان بن عقبة ... 479، 444	خالدة بنت أبي وقاص 323
ذو الشمالين، عمير بن عبد عمرو. 430، 253	خباب بن الأرت 431
ذو اليدين، الخرباق بن عمرو 253	خبيب بن عبد الله بن الزبير 391
راشد بن عبد ربه 242	خراش بن أمية 430
الراعي، عبيد بن حصين 319	خرقاء، صاحبة ذي الرمة 480
رافع بن خديج 387	خزاعة بنو عمرو بن لحي 115
ربيع بن حراش 389	خزيمة بن عاصم 443
الربيع بن خيثم 446	خزيمة بن مدركة 128
الربيع بن زياد 374، 280	الخشخاش بن الحارث 489
الربيع بن ضبع 393	خصفه بن قيس عيلان 346، 229
ربيعة بن الحارث 176	خفاف بن ندبة 252، 251
ربيعة بن نزار 154	خندف، ليلي بنت حلوان ... 412، 128

227 سعد بن إياس	112، 111 رزاح الطسمي
523 سعد بن المنذر	76 رعلة بنت مضاض
364 سعد بن ذبيان	409 زاهر بن حرام
353 سعد بن قيس عيلان	514، 384 الزبرقان بن بدر
187 سعد بن مالك بن قيس	291 زرعة بن عمرو
361 سعيد بن سلم	111 زرقاء اليمامة
440 سعيد بن ضبة	286 زفر بن الحارث
445 سفيان الثوري (الإمام)	227 زفر بن مسعود
381 سفيان بن سويد الكلبي	260 زهير بن جذيمة العبسي
254 سفيان بن عبد شمس	257 زهير بن صرد
445 سفيان بن عيينة (الإمام)	256 زهير بن معاوية الجشمي
323 سلم بن جنادة بن جندب	310 زيد بن أسلم
126 سلمى بنت عمرو الخزاعية	281 زيد بن عدي بن زيد
133 سلمى بنت عمرو بن الحارث	468 زيد مناة بن تميم
317 سلمى بنت عميس	224 زينب بنت بشر
339 سلمى بنت قبيصة	312 زينب بنت خزيمة، أم المساكين
198 سليط بن عمرو العامري	328 زينب بنت محمد بن يوسف
252 السليك بن السلكة	161 سابور، ذو الأكتاف
539 سماك بن مخزومة	62، 49 سارة، زوج إبراهيم
386، 373 سمرة بن جندب بن هلال	487 سجاح بنت الحارث
323 سمرة بن عمرو	360 سحبان بن زفر بن إياس
290 سمعان بن خالد	486 سحيم (الشاعر)
366 سنان بن أبي حارثة	381 سعد بن أبان بن عيينة

صيدوف، ملك الأردن 49	سنان بن أبي سنان..... 530
ضابئ بن الحارث 497	سيرين القبطية أخت مارية 52
ضباة بنت عامر 307، 98	سيف الدولة، علي بن أبي الهيجاء 192
الضحاك بن سفيان الكلابي 287، 244	سُلَيْمِيُّ بن ربيعة 441
الضحاك بن قيس الفهري 287	ثُث بن آدم 138، 54
الضحاك، بيوراسب 47	شبيب بن البرصاء 369
الضحيان، عامر بن سعد 169	شجاع بن وهب 538
ضرار بن الأزور 539	شداد بن معاوية 405
ضرية بنت ربيعة 128	شرحبيل بن عبد الله 467
الطاهرة، هند بنت عتيق 510	شمر بن ذي الجوشن 286
طرفة بن العبد (الشاعر) 224	الشموس بنت غفار 110
طريف بن تميم العنبري 506	الشنفري الأزدي 351
طسم بن لاوذ 111، 110	شبية، عبد المطلب 83
طفاوة بنت جرم بن زبان 354	الشيما، خدامة 255
طفيل بن عوف الغنوي 355	صالح بن علاط 241
طفيل قرزل بن مالك 273	صالح عليه السلام 58، 57
طلحة بن عبد الله، طلحة الطلحات 431	صخر بن عمرو، أخو الخنساء 249
طليحة بن أقرم 487	الصعب بن جثامة 411
طليحة بن خويلد 531	الصعبة بنت الحضرمي 508
ظبيان بن ربيعة 538	صعصة بن ناجية 473
عاتكة بنت الأوقص 131	صفوان بن المعطل 236، 145
عاتكة بنت مرة بن هلال 133، 131	صفية بنت أبي عبيد 338
عاتكة بنت هلال 131	صهيب بن سنان 169

عبد الله بن عقبة الغنوي 354	عاد بن عوص 108
عبد الله بن كعب بن ربيعة 292	عامر بن الاضبط 518،409
عبد الله بن مسعود 435	عامر بن الحضرمي 508
عبد المطلب بن هاشم 122،119	عامر بن الطفيل .. 289،272،269،263
عبد الملك بن حبيب 235	عامر بن الظرب 349،176
عبد الملك بن مروان 371	عامر بن ربيعة العنزي 173
عبد مناف بن قصي 124	العباس بن عبد المطلب 314
عبد ياليل بن عمرو 343	عباس بن مرداس 232
عبيد الله بن جحش 528	عبد الرحمن بن أبي بكرة 338
عبيد الله بن ظبيان 210	عبد العزيز اللمطي 120
عبيد بن الأبرص 537	عبد العزيز بن زرارة 291
عتبة بن غزوان 345	عبد القيس بن أفصى 167
عثمان بن أبي العاص 334	عبد الله بن الحر 381
العجاج بن روبة 502	عبد الله بن الحشرج 297
عجل بن لجيم 203	عبد الله بن الزبير 390
عداس 59	عبد الله بن الزبير (الشاعر) 534
عدس بن عبد الله 493	عبد الله بن المبارك (الزاهد) 501
عدنان 130	عبد الله بن بديل 420
عدوان، الحارث بن عمرو 347	عبد الله بن جحش 317
عدي بن زيد العبادي 280،169	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب 314
العداء بن خالد 306	عبد الله بن حنظلة الغسيل 371
عرار بن عمرو بن شناس 534	عبد الله بن عبد المطلب 147
العرندس الكلابي 291	عبد الله بن عبدنهم، ذو البجادين 451

عمرؤ بن الاطنابة..... 265	عروة الرحال بن عتبة..... 319، 282
عمرؤ بن الحارث بن مضاض..... 79	عروة بن الورد..... 395
عمرؤ بن الحمق..... 431	عروة بن مسعود بن معتب. 327، 330
عمرؤ بن الشريد..... 251	عزة بنت حميل، صاحبة كثير..... 424
عمرؤ بن تميم..... 161	عسعس بن سلامة..... 512
عمرؤ بن عنبسة..... 231	عطارد بن حاجب بن زرارة..... 494
عمرؤ بن كلثوم..... 189	عفاق بن مرة بن سلمة..... 360
عمرؤ بن لحي..... 414	عقبة بن أبي معيط..... 216
عمير بن المهتجر..... 207	عقيل بن عُثَّة المري..... 299
عمير بن شهيم، القطامي..... 286، 192	عك بن عدنان..... 151
عمير بن ضابئ..... 498	عكاشة بن محصن..... 529
عنزة بن شداد..... 405، 252	عكبرة، أم قضاة..... 114
العوام بن عقبة بن كعب..... 426	عكرشة بنت عدوان..... 127
عوف بن سعد..... 368	عكرمة الفياض..... 210
عياض بن حمار..... 496، 98	العلاء بن الحضرمي..... 508
عينة بن حصن..... 377	علقمة الفحل بن عبدة..... 501
غالب بن فهر..... 126	علقمة بن علاثة..... 288
غورث بن الحارث..... 230	عمران بن حصين..... 422
غيلان بن سلمة بن شرحبيل..... 336	عمران بن حطان..... 217
فاطمة بنت الخرشب..... 396	عمرؤ ابن مامة..... 523
فاطمة بنت زائدة بن الأصم..... 510	عمرؤ ابن هند..... 523، 189
فاطمة بنت سعد بن سيل.. 132، 134	عمرؤ بن أبي صيفي..... 93
فاطمة بنت عدي..... 147، 121	عمرؤ بن أحيمر، ذو البردين..... 514

فاطمة بنت عمرو بن عائذ.....132	قيس (أبو الأعشى).....227
فالج بن خلاوة.....411	قيس بن الملوح.....297
الفرزدق، همام بن غالب....519،474	قيس بن زهير.....262،373،406
فزارة بن ذبيان.....373	قيس بن شعبة، صاحب الضب....241
فهر بن مالك.....127	قيس بن عاصم.....471
قاسط بن هنب.....167	القين بن جسر.....126
القاسم بن ربيعة الجوشني.....449	كثير عزة، عبد الرحمن بن الأسود....423
قيصة بن برمة.....543	كرب بن صفوان.....469
قيصة بن ذؤيب.....430	الكسعي، عامر بن الحارث.....353
قتيبة بن مسلم الباهلي.....359	كعب بن المدان.....441
قحطان بن عابر.....81	كعب بن ربيعة بن عامر.....292
قدار بن سالف.....58	كعب بن زهير.....451
قرة بن إياس.....463	كعب بن سعد الغنوي (الشاعر)..354
قرة بن هبيرة بن عامر.....306	كعب بن لؤي.....125
قرط بن أنيف.....503	كعب بن مامة.....162
القرطاء، أبناء عبد الله بن أبي بكر...288	كلاب بن مرة.....125
قردة بن نفثة.....324	كلثوم بن مالك.....189
قس بن ساعدة الإيادي.....163	كليب بن ربيعة.....175،176
قشير بن كعب.....306	الكميت بن زيد بن الأخنس.....535
قصي بن كلاب.....86،88،124	كناز بن الحصين.....355
قضاة بن مالك بن حمير.....114	كنانة بن خزيمة.....128
قطري بن الفجاءة.....511	كهمس بن معاوية.....310
القلاخ بن جناب.....481	لؤي بن غالب.....363

483 متمم بن نويرة	273 لبيد بن ربيعة بن مالك
239 المتمنية، صاحبة نصر بن حجاج	195 لجيم بن صعب
211 المثني بن حارثة	493 لقيط بن زراراة بن عدس
239 مجاشع بن مسعود	164 لقيط بن معمر الإيادي
538 محرز بن نضلة	59، 53، 48 لوط عليه السلام
283 المحلق، عبد العزى بن جشم	350 الليث بن سعد (الإمام)
518، 410 محلم بن جثامة	303، 300 ليلي الأخيلية
510 محمد بن صيفي، ابن الطاهرة	298 ليلي العامرية
14 محمد بن محمد سالم	173 ليلي بنت أبي حثمة
328 محمد بن يوسف	126 ليلي بنت سعد بن هذيل
61 محمدا بن حبيب الله	189 ليلي بنت مهلهل
185 مرة بن ذهل	408 مؤمل بن سنان
259 مرة بن صعصعة	52 مارية أم سيدنا إبراهيم
125 مرة بن كعب	344 مازن بن مالك بن عمرو
232، 135 مرداس بن أبي عامر	221 المازني، أبو عثمان
305 مزاحم بن عمرو بن مرة	505 مالك بن النباش، أبو هالة
406 المساور بن زهير	271 مالك بن جعفر
513 المستوغر، عمرو بن ربيعة	258 مالك بن عوف بن سعد
543 مسدد بن مسرهد	483 مالك بن نويرة
411 مسعود بن رخيصة	126 ماوية بنت كعب بن القين
66 مسعود بن معتب	501 المبارك المروزي
492 مسكين الدارمي (الشاعر)	225 المتلمس (الشاعر)

480.....	منازل بن ربيعة.....	370.....	مسلم بن عقبة.....
358.....	المنتشر بن وهب الباهلي.....	200، 196.....	مسيلمة الكذاب، أبو ثمامة...
171.....	المنذر بن الجارود.....	58.....	مصدع بن مهرج.....
492.....	المنذر بن ساوى.....	420.....	المصطلق، خزيمه بن سعد.....
171.....	المنذر بن عائد، الأشج.....	76.....	مضااض بن عمرو.....
389، 373.....	منظور بن زبان.....	154، 130، 129.....	مضر بن نزار.....
490.....	منية بنت الحارث.....	511.....	مطرف بن بهصل.....
179.....	مهلهل بن ربيعة.....	357.....	مظهر بن رياح بن عبد شمس.....
479.....	ميه بنت بلال بن طلبة.....	300.....	معاوية بن عبادة بن عقيل.....
312.....	ميمونة بنت الحارث، أم المؤمنين....	250.....	معاوية بن عمرو، أخو الخنساء....
415.....	نائلة بنت سهل.....	463.....	معاوية بن معاوية بن مقرن.....
292.....	النابعة الجعدي.....	430.....	معتب بن عوف.....
296.....	النابعة الذبياني.....	153، 130.....	معد بن عدنان.....
228.....	الناس بن مضر.....	408.....	معقل بن سنان.....
421.....	نافع بن بديل.....	463.....	معن بن أوس.....
154.....	نزار بن معد.....	220.....	معن بن زائدة.....
238.....	نصر بن حجاج.....	253.....	معن بن يزيد بن الأخنس.....
543، 541.....	نصيب (الشاعر).....	329.....	المغيرة بن شعبة بن مسعود.....
511.....	النضر بن شميل.....	219.....	مفروق بن عمرو.....
280، 264.....	النعمان بن المنذر.....	533.....	المقداد بن عمرو البهراوي.....
448.....	النعمان بن مقرن.....	447.....	مقرن بن عامر.....
411.....	نعيم بن مسعود بن عامر.....	390.....	مليكة بنت خارجة بن سنان.....
448.....	نعيم بن مقرن.....		

509.....	هند بن أبي هالة	442.....	النمر بن تولب
312.....	هند بنت عوف	167.....	النمر بن قاسط
173.....	هند بنت مر بن أد	64.....	نمرود (المتجبر)
56.....	هود عليه السلام	521.....	النوار بنت أعين، زوج الفرزدق
198.....	هوذة بن علي	290.....	النواس بن سمعان
373.....	الهيثم بن المبشر	135، 55.....	نوح عليه السلام
172.....	وائل بن قاسط	186.....	هائلة بنت منقذ بن عمرو
542.....	وابصة بن معبد	78، 63، 52، 15.....	هاجر، أم إسماعيل
482.....	واقد بن عبد الله	123.....	هاشم بن عبد مناف
125.....	وحشية بنت شيان	509.....	هالة بن مالك (أبي هالة)
297.....	ورد بن عمرو بن ربيعة	539.....	الهالك بن عمرو
261.....	ورقاء بن زهير	219.....	هاني بن قبيصة
157.....	وكيع بن سلمة	343.....	هبيرة بن سبل
276، 217.....	الوليد بن عقبة	186.....	هجرس بن كليب
336.....	وهب بن أمية بن أبي الصلت	366.....	هرم بن سنان
504.....	يحيى بن أكثم	345، 290.....	هرم بن قطبة الفزاري
526.....	يحيى بن يحيى التميمي	360.....	الهرماس بن زياد
490.....	يعلی بن أمية	428.....	هشام بن حبیش
89.....	يعمر الليثي، الشداخ	251.....	هشام بن حرملة
403.....	اليمان، حسيل بن جابر	521.....	هشام بن عبد الملك
59.....	يونس عليه السلام	184، 179.....	همام بن مرة

طبع بمطابع
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: 23424 الشارقة - إ. ع. م.

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أع ش/428 بتاريخ 2002/2/26

نسب كنانة

[ولما فرغ من الكلام على الفرع، وهو بنو أسد، انخط على الأصل الذي هو عمود النسب، فقال رحمه الله:]

وَمِنْ كِنَانَةٍ فُقَيْمُ النَّاسِئَةِ، عَبْدُ مَنَاةٍ وَهِيَ أَكْظَمُ فِئَةٍ

فقيم: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والناسئة: صفة لقيم، أنثى باعتبار القبيلة. وعبد مناة: عطف على فقيم بحذف العاطف. وهي، أي قبيلة عبد مناة، هي أكظم قبيلة من كنانة؛ إذ منها جل قبائل كنانة كما يأتي.

وذكر لكنانة من القبائل غير النضر - عمود النسب - قبيلتين: فقيم (كزبير) الناسئة، أي المؤخرة للشهور، وعبد مناة بن كنانة⁽¹⁾.

وأما فقيم فبينه وبين كنانة رجال، وهو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، والنسبة إلى فقيم هذا فُقَيْمِي (كعربي)، والنسبة إلى فقيم دارم فُقَيْمِي (قاله في القاموس). وأول من نساء منهم الشهور رجل يقال له القَلَمَسُ، واسمه حذيفة بن عبد مناة بن فقيم، وهو جد عبد الرحمن بن الحكم لأمهاته؛ ولذلك يقول مفتخرا به:

نماني أبو العاصِ الأمينُ وهاشم وعثمان والناسي الشهور القَلَمَسُ

(1) ولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر: النضر وعبد مناة ومالك وعامر، وقيل: له غير هؤلاء. ومن ولد عبد مناة بكر، وأبناؤه ثلاثة: ليث وضمرة والدُّثُل بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومنهم تفرعت بنو كنانة.

ثم توارث ذلك بنوه، واحداً بعد واحد، حتى قام الإسلام على آخرهم وهو رجل يقال له أبو ثمامة واسمه جنادة بن عوف⁽¹⁾. وذكر السهيلي أنه أسلم وحج في زمن عمر رضي الله عنه.

وكانت العرب إذا فرغت من حجها تأتيه فيقول: اللهم إني حرمت الأشهر الحرم الأربعة ثم أحللت أحد الصفرين ونسأت الآخر للعام المقبل - يعني بالصفرين المحرم وصفر - فتحل العرب ما أحل من ذلك عليها وتحرم ما حرم عليها، وفي ذلك يقول أحدهم⁽²⁾:

ونحن الناسئون على معد شهر الحل نجعلها حراما

وذمهم الله بقوله ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُرَّ لَهُمْ سَوْءُ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾⁽³⁾. ويقال إن أبا ثمامة هذا نسأ على الناس أربعين سنة،

(1) ابن أمية بن قلع بن عياذ بن حذيفة بن عبد بن فقيم. حكى ابن الكلبي أنه نسأ أربعين سنة وأنه كان أرفعهم ذكرا وأطولهم أمداً، ثم قال: وأول من نسأ بعد القلمس قلع بن عياذ ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة هذا.

(2) هو عُمير بن قيس بن جذل الطعان، يفتخر:

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس إن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر وأي الناس لم تؤلك لجاما؟

ونحن الناسئون.. إلخ. (وولك اللجام: مضغه).

(3) التوبة: 37.

ولما ولي قصي أمر مكة وساد بني عدنان أقرّ بني فقيم على النساء، وأقر بني مرة بن عوف على البسل⁽¹⁾، وبني صفوان وعدوان على الإفاضة، إذ يرى ذلك ديناً؛ فهدم الله ذلك كله بالإسلام.

قوله: عبد مناة وهي.. إلخ: أنث الضمير العائد على عبد مناة باعتبار القبيلة، وذكره في أول البيت الآتي باعتبار الرجل، فقال:

مِنْ بَكَرِهِ لَيْثٌ وَحَيٌّ دِئْلٍ وَضَمْرَةٌ، مِّنْ ضَمْرَةِ النَّعْلِيِّ
الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو الْمُخْتَارِ مَوْلَاهُ حِينَ الْأُمَرَاءُ جَارُوا

من بكره، أي من بكر بن عبد مناة (أضافه إليه لأنه ابنه أصالة): قبائل ليث، وهي أيضاً أعظم قبائل عبد مناة. وحَيٌّ: أي قبيلة، دِئْل (كإبل أو بضم الدال وكسر الهمزة، ولا يعرف هذا البناء لغيره إلا قراءة أبي السمال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾).

ومنه أيضاً قبيلة ضمرة، بل قبائلها التي منهم بنو نعيلة (كجهينة) بن مليل بن ضمرة، الذين ينسب إليهم الحكم بن عمرو⁽²⁾؛ الذي اختار مولاه حين جار الأمراء، أي اختار الموت والانقلاب إلى ربه. وكان رجلاً صالحاً صحابياً، وأخوه رافع بن عمرو صحابيٌّ أيضاً؛ وكانت الجنوب بنت

(1) البسل: ثمانية أشهر حُرْم كانت لقومٍ لهم صيتٌ وذكرٌ في غطفان وقيس يقال لهم الهباءات.

(2) عمرو هذا ابن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة النُعَلِيّ.

الحكم تحت قثم بن العباس. ويعني بالأمرء: زياد بن أبيه.

يشير رحمه الله في هذا البيت إلى قصة الحكم مع زياد، وهي أنه بعثه على جيش فأصاب مغنما فكتب إليه زياد: "إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كل بيضاء وصفراء ويقسم ما وراء ذلك"، يعني الذهب والفضة؛ فكتب إليه الحكم: "إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له مخرجا، والسلام". ثم قال للناس اغدوا على أموالكم؛ فغدوا عليه فقسم الغنائم بينهم وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، فمات رحمه الله ودفن إلى جانب بريدة بن الحصين الأسلمي، وقيل إنه مات بالبصرة، والله أعلم.

ومن بني ضمرة - من غير نعيلة - عمرو بن أمية بن خويلد⁽¹⁾ الضمري، أسلم بعد أحد وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي يدعو به إلى الإسلام فأسلم⁽²⁾، وكان من فتاك العرب، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لرجل - بعث معهما هدية إلى أبي سفيان بمكة -: «أخوك البكري لا تأمنه»⁽³⁾. وهو صاحب حديث: «بل قيدها وتوكل»⁽⁴⁾، وكان قال للنبي ﷺ: إئذن لي أرسل ناقتي وأتوكل على الله. وأول مشاهدته بئر معونة؛ ولم يسلم من أهل بئر

(1) بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة.

(2) وأرسل إليه معه أن يزوجه رملة بنت أبي سفيان، ففعل. وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم أيضا إلى مكة لينزل خبيبا بن عدي عن الخشب التي صلب عليها.

(3) رواه أبو داود وأحمد والطبراني في الأوسط.

(4) رواه ابن خزيمة والطبراني.

مَعُونَةً يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ⁽¹⁾، وَقَتْلٌ فِي رَجُوعِهِ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فُودَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي عَهْدِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ عَمْرُو بِذَلِكَ، وَهُمَا اللَّذَانِ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ مَنَابَهُمْ مِنْ دَيْتِهِمَا، فَكَانَ ذَلِكَ سَبِيحًا لَغَدْرِهِمْ وَطَرْدِهِمْ عَنِ الْمَدِينَةِ. وَمَاتَ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةٍ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَلَهُ عَشْرُونَ حَدِيثًا وَلَأَيُّهُ أُمِيَّةٌ صَحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ.

مِنْ ضَمْرَةٍ أَيْضًا غِفَارُ اسْتَغْفَرَا لَهَا النَّبِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ يُرَى لَهُمْ وَجْهًا وَجَعِيلُ الْمُتَخَبِّ أَهْبَانُ⁽²⁾ ذُو السِّيفِ بَرَاهُ مِنْ خَشَبٍ

يقول: من ضَمْرَةٍ بن بكر بن عبد مناة بنو غفار (ككتاب) بن مليل (كزبير) بن ضمرة، استغفر لهم النبي ﷺ بقوله: «غفار غفر الله لها، أسلم سالمها الله»⁽³⁾. وقوله يُرَى: لم يرد به تمريضا، إذ لا خلاف في نسبة أبي ذر إلى غفار، لكن أَلْجَأَتْهُ الْقَافِيَةُ.

التعريف بأبي ذر رضي الله عنه

وأبو ذر هو جندب بن جنادة بن قيس⁽⁴⁾ الغفاري، أمه رملة بنت الوقيعة الغفارية؛ كان يقول: أنا رابع الإسلام، يعني أنه أسلم بعد ثلاثة،

(1) أسره عامر بن الطفيل، ولما عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي ضَمْرَةٍ جَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَطْلَقَهُ وَزَعَمَ أَنَّهُ أَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ.

(2) أَهْبَانُ: بوزن عثمان.

(3) متفق عليه.

(4) ابن عمرو بن مليل بن صعير (بصيغة التصغير فيهما) بن حرام بن غفار. وقيل فيما بينه وبين غفار غير هذا.

وقيل أربعة. وعلى كل كان قديم الإسلام وأسلم بإسلامه أخوه أنيس وأمه رملة بنت الوقعة⁽¹⁾. لم يشهد بدرا ولا أحدا ولا الخندق، ثم قدم على النبي ﷺ وصحبته إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والعبادة وقول الحق؛ قال فيه النبي ﷺ: «هو في أمي شبيه عيسى ابن مريم في زهده»⁽²⁾، وقال فيه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»⁽³⁾، وقال فيه: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»⁽⁴⁾؛ وذلك حين لحق به في غزوة تبوك بعد أن تخلف عنه ففقده فسأل عنه فلم يجده، ثم رأى الناس راكبا يجول في السراب فأخبروا به النبي ﷺ فقال: «كن أبا ذر»، فإذا هو أبو ذر، فقال: «رحم الله أبا ذر..» - الحديث.

فأقام بالمدينة بعد رسول الله ﷺ يزهّد الناس في الدنيا؛ قال عمرُ يوماً: من لها بأزماتها؟ يعني الخلافة، فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وأسلت خده. فلما ولي عثمان أجلاه لذلك عن المدينة إلى الربذة لئلا يفسد على الناس دنياهم. فلم يزل بالربذة، وليس معه إلا امرأته وعبده، إلى أن مات رضي الله عنه؛ ولما احتضر قال لعبده: إذا مت فاغسلني وكفني ثم القني على الطريق فأول من رأيت قل له أعني على دفن أبي ذر صاحب رسول

(1) ولما أسلم رجع إلى قومه، ولم تنهيا له الهجرة حتى فاته بدر وأحد والخندق.

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(4) أخرجه الحاكم وصححه ابن كثير.

الله ﷺ، ففعل العبد ذلك؛ ولم يلبث أن رأى ركبا فناداهم بذلك، فإذا فيهم ابن مسعود⁽¹⁾ فبكى حتى كاد يموت لتذكره قول النبي ﷺ: «موت وحده»، بل قيل إنه مات آخر ذلك اليوم، وليس بشيء.

النهي عن دعوة الجاهلية

وأما جهجا (بجيمين بينهما هاء ساكنة، وقد تزداد هاء ثانية آخره، كما ذكره الناظم رحمه الله في الغزوات⁽²⁾)، قيل والصحيح بدونها كما هنا)، فهو ابن مسعود الغفاري؛ شهد بيعة الحديبية والمريسي، وكان يومئذ أجيورا لعمر يقود فرسه، فورد في واردة الجيش فوقع بينه وبين سنان بن وبرة شيء؛ وهو أن سنانا وقف على رأس البئر يمتح والبئر قليلة الماء، فأتى جهجا من خلفه فكسعه بيده، وهو يمازحه، فغضب سنان بن وبرة، فافتتن الجيش؛ فصرخ سنان - وهو جهني حليف الأنصار - يا للأنصار! وصرخ جهجا: يا للمهاجرين! فكره النبي ﷺ هذه الدعوة وقال: «دعوها فإنها منتنة»⁽³⁾، وقال فيها: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا»⁽⁴⁾، أي من قال: يا لفلان، لأن ذلك استصراخ أهل الجاهلية؛ وإنما دعوة أهل الإسلام: يا للمسلمين لأنهم إخوة كلهم. وقوله: «فأعضوه

(1) وكانوا أربعة عشر راكبا حجاجا، فصلى عليه ابن مسعود. وكانت وفاته سنة: 32 هـ.

(2) وهو قوله:

فاستصرخ المهاجرين اللذ كسر عصا النبي جهجاه عامل عمر

(3) رواه البخاري ومسلم.

(4) أخرجه أحمد.

بَهَنَ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا» أَيِ قَوْلُوا لَهُ: عَضَ أُيْرَ أَبِيكَ، وَلَا تَكْنُوا بِالْهَنَ عَنْ الْأَيْرِ بَلْ صَرَحُوا بِذِكْرِهِ، وَذَلِكَ كَانَ سَبًّا الْعَرَبُ؛ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ: "امْصَصْ بَظَرَ اللَّاتِ". لَكِنِ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزَهُ اللِّسَانِ عَنْ فَحْشِ الْقَوْلِ، فَكُنِيَ بِالْهَنَ عَنِ الْأَيْرِ وَأَمَرَ بِالتَّصْرِيحِ. وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مَمْنُوعَةً. وَسَمِعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ - وَهُوَ وَالْأَمْرُ عَلَى الْبَصْرَةِ - مَنْ يَقُولُ: يَا لَعَامِرٍ.. فَأَجَابَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ وَبِيَدِهِ عَصِيَّةٌ، فَجَلَدَ أَبُو مُوسَى النَّابِغَةَ خَمْسِينَ سَوْطًا.

قُلْتُ: وَلَعَلَّ الْفُقَهَاءَ أَخَذُوا مِنْ هَذَا تَعْزِيرَ الْإِمَامِ بِمَا زَادَ عَلَى الْحَدِّ أَوْ أَتَى عَلَى النَّفْسِ. وَيَسْتَشْنِي مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ حَلْفُ الْفُضُولِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلَوْ دَعَيْتَ بِهِ الْيَوْمَ لِأَجَبْتُ»⁽¹⁾، وَكَانَ الصَّحَابَةُ أَهْلُهُ إِذَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ أَجَابُوهُ مَصْلَتِي سَيُوفِهِمْ.

وَلَمَّا اسْتَصْرَخَ الصَّارِخَانِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ مَا قَالَ، مِمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ⁽²⁾، وَمِنْ قَوْلِهِ: "سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكُلُكَ".. وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَسَعَى بِهِ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَحَلَفَ ابْنُ أَبِيٍّ مَا قَالَ، فَصَدَقَهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ فَحَزَنَ زَيْدٌ لَذَلِكَ إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ.

وَرَوَى جَهْجَهًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ فِي مَعَى وَاحِدٍ»⁽³⁾، وَهُوَ الْوَاردُ فِيهِ الْحَدِيثُ، لِأَنَّهُ شَرِبَ حَلَابَ سَبْعِ شَيَءٍ،

(1) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُ..

(2) ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ..﴾ - (8).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فلما أسلم لم يستتم حلاب شاة واحدة. وقيل إنما ورد الحديث في ثمانية بن أثال، كما قدمنا في الكلام عليه. وجهها هو الذي وجد في حصار عثمان عصا النبي ﷺ بيده، وكانت عنده يخطب عليها، فأخذها منه وكسرها على ركبته فجرحته ودخلت شظية منها في ركبته، فتأكلت منها ركبته، ومات منها قبل العام؛ وربطت العصا فبقيت بعده بحالها.

وأما جعيل (بصيغة التصغير) فهو ابن سراق الغفاري. والمنتخب: المختار، وقد أشار به إلى ما روي من أنه لما أعطى النبي ﷺ المؤلف قلوبهم من غنائم حنين قيل له أتعطي هؤلاء وتدع جُعَيْلاً؟ قال: «نعم جعيل خير من طلاع الأرض من مثل هؤلاء لكن أعطي هؤلاء أتألفهم وأكِلُ جُعَيْلاً إلى ما جعل الله له من الإيمان»⁽¹⁾، وطلاع الأرض (ككتاب): ملؤها.

وأما أهبان: فهو ابن صيفي. وذو السيف: صاحب السيف. الذي براه: أي نحتته من الخشب بأمر رسول الله ﷺ، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانت الفتنة فاتخذ سيفاً من خشب»⁽²⁾ فاتخذته. وقال له علي: ألا تعينني؟ فأخرج له السيف من الخشب وقال له: هذا سيفي إن شئت أعنتك به، فقال: لا حاجة لي في معونتك. ويروى: «فاقعد في بيتك واتخذ سيفاً من خشب».

وَهُوَ الَّذِي ثَالِثَ الْأَكْفَانِ خَلَعَ أَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ مِنْهُ امْتَنَعُ

(1) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

(2) رواه الترمذي وابن ماجه.

يعني أنه لما حضرته الوفاة قال لأهله: كفنوني في ثوبين لا غير. قالت ابنته: فكفناه في ثلاثة أثواب فأصبح ثالِثُها لنا فوق المشجب معلقا.

ومر غفار أبو رهم، كلثوم بن الحصين بن خلف، أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة ولم يشهد بدرًا، وهو الذي نُجر يوم أحد بسهم، فبصق عليه النبي ﷺ فبرئ من حينه، فسمي المنحور، وشهد بيعة الرضوان واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في عمرة القضاء وفي الفتح وحنين والطائف.

ومن غفار أيضا خفاف بن أيماء بن رخصة، بعثه أبوه أيماء بعشر جزر إلى جيش قريش يريدون بدرًا - وكان أبوه سيد بني ضمرة - وقال لهم: إن شئتم مددناكم بالرجال والأسلّاح؛ فقالوا له: لا حاجة لنا في المدد؛ إن كان محمد إنما يقاتل معه الناس فنحن نكفيه، وإن كان كما يزعم يقاتل معه الله والملائكة فلا تغني عنا الكثرة. ثم أسلم خفاف وسكن المدينة وكان سيد بني غفار وخطيبهم.

ومنهم بصرة بن أبي بصرة، صحابي وابن صحابي، كما كان خفاف وأبوه أيماء، قيل وابنه مخلد بن خفاف صحابيون. ومنهم الأقرع الغفاري، يروي حديث النهي عن الوضوء بفضل المرأة⁽¹⁾، وغيرهم من الصحابة⁽²⁾..

مِنْ لَيْثِهِمْ يَعْمرُ شَدَاخُ دِمَا خَزَاعَةٍ غَدَاةٍ فِيهِمْ حُكْمًا

(1) أخرجه الترمذي.

(2) ولما فرغ من ضمرة بن بكر أخذ يتكلم على أخيه ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ أَخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَصْحَابِ لَهُ

أي من ليث عبد مناة أو بكر: يَغْمَرُ (كيعلم) بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر، ويقال ليعمر الشداخ لأنه شدخ - أي أهدر - دماء خزاعة حين تحاكم إليه قصي وخزاعة. وحكم: يحتمل بالبناء للفاعل ويحتمل بالبناء للمفعول مشدد الكاف، أي حين اتخذه قصي وخزاعة حكما بينهم في أمر الكعبة، لما تداعوا إلى الصلح بعد القتال والحروب؛ فقضى بينهم بتولية قصي الكعبة وأمر مكة والدية في قتلى كنانة وقريش وقضاعة، وشدخ - أي أهدر - دماء خزاعة تحت قدمه؛ فمنها سمي الشداخ، وهو أبو قبيلة من كنانة، وأرى امرأ القيس يعنيها بقوله:

كنانية بانت وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحي يعمرها

أي وحيها يعمر، فهو إذا مقو، ولا غرابة في ذلك إذ يوجد ذلك في شعر الشعراء كثيرا؛ قال أبو عبيدة: اثنان من الشعراء كانا يقويان الشعر، النابغة وعبيد بن الأبرص.

ومن يعمر المتوكل بن عبد الله بن نهشل الذي يقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنى	كيما يصح به وأنت سقيم!
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
فأراك تلقح بالرشاد قلوبنا	نصحا وأنت من الرشاد عديم
وإذا عتبت على السفيه ولمته	في مثل ما تأتي فأنت ملوم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهنالك يُقبل ما تقولُ ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم⁽¹⁾

ومنهم قُبات (كغراب) بن أشيم الصحابي. والصعب بن جثامة، بيده يوم الفتح لواء ليث، وأخوه محلم تقدم في الكلام على أشجع. يقول من ليث بني كنانة يعمرُ الشداخ، وقد نسبناه. ويعمر ينسب له أبو الطفيل الأخير من الصحابة موتاً. وأبو الطفيل مبتدأ خبره الجار والمجرور الأخير من البيت، وهو: له، أي أبو الطفيل ليعمر هذا. واسم أبي الطفيل عامرُ بن واثلة بن عبد الله بن عمير⁽²⁾، وُلد يوم أحد وأبوه واثلة من أهل الصفة. وكان أبو الطفيل محبا لعلي ويقدمه على الشيخين مع محبته لهما⁽³⁾

(1) يروى هذا لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة أولها:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا شَأْوَهِ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ

(2) وفي سموط الذهب: واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش بن جزي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة، ثم قال: وأبو الطفيل: معطوف على يعمر بحذف العاطف. وعامر: بدل من أبو الطفيل. وابن واثلة وجملة آخر من مات.. إلخ: صفتان لأبو الطفيل. والضمير في: له: عائد على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: والذي من أهل الصفة هو واثلة بن الأسقع وليس واثلة والد أبي الطفيل. وعلى ذلك يكون تقرير البيتين: ومن ليث بن بكر بن عبد مناة يعمر بن عوف الشداخ وأبو الطفيل عامر بن واثلة آخر من مات من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) ولد أبو الطفيل هذا عام أحد وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين سنة وذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابن عباس وزيد بن أرقم وغيرهم.. وروى عنه الزهري وجماعة من التابعين وصحب عليا رضي الله عنهما وشهد معه مشاهدته كلها، فلما قتل علي انصرف إلى مكة وأقام بها إلى أن مات بها، وكان يقول: ما على وجه الأرض اليوم من رأى النبي صلى الله عليه وسلم غيري، وكان موته عام مائة للهجرة، وكان شاعرا

<<=

وله يقول أبو العباس الأعمى مولى بني أسد الشاعر:

لعمرك إنني وأبا طفيل لمختلفان والله الشهيد

لدى عثمان مهتديا وآبى متابعتي وآبى ما يريد

وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ، قال الزين العراقي:

آخرهم موتا بغير مرية أبو الطفيل مات عام مائة

فهو إذا ينقص عن المائة بسنتين وبعض أو ثلاث سنين.

وَلَمْ تَجَاوِزْ مِائَةً بَعْدَ الرَّسُولِ أَصْحَابُهُ وَهُمْ جَمِيعُهُمْ عُدُولُ
وَمُطْلَقُ الصُّحْبَةِ عِنْدَ الْمُبْتَدِعِ لَيْسَ بِهِ عَلَى الْعَدَالَةِ قُطْعُ
وَعَنْهُ يَأْبَى الْحَنْفَا وَالنُّورُ وَحَالُهُمُ وَالْخَبَرُ الْمَأْثُورُ

>> --

محسنا، ومن شعره:

أيدعونني شيخا وقد عشت حقبة وهن من الأزواج بعدي نوازع

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيتني الوقائع

وكان فصيحا عاقلا حاضر الجواب متشيعا يفضل عليا على الشيخين ويثني عليهما ويترحم على عثمان، قدم مرة على معاوية رضي الله عنه فقال له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أم موسى على موسى وأشكو إلى الله التقصير. قال: أكنت فيمن حاصر عثمان. قال: لا ولكنني كنت فيمن حضره. قال: فما منعك من نصره؟ قال: وأنت فما منعك من نصره إذ تربصت به ريب المنون وكنت مع أهل الشام وكلهم تابع لك، فيما تريد؟ فقال له معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه نصره؟ قال: بلى ولكنك كما قال أخو جعف:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

وَالْقَتْلُ لِلْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَبَذْلُ الْإِنْفُسِ عَلَى الْجِهَادِ
وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الرِّسَالَةِ يَشْهَدُ لِلْكَرَامِ بِالْعَدَالَةِ

لَمَّا ذَكَرَ الصَّحَابَةُ، بِذِكْرِ آخِرِهِمْ مَوْتًا، اسْتَدْعَاهُ ذَلِكَ وَشَوْقَهُ إِلَى ذِكْرِ
وَقْتِهِمُ الَّذِي لَا يَجَاوِزُونَهُ وَذَكَرَ حُدُودَهُمْ وَحُكْمَهُمْ وَبَعْضَ مَدْحِهِمْ، فَقَالَ:
وَلَمْ تَجَاوِزْ مِائَةً.. إلخ: أَيُّ لَمْ تَجَاوِزِ الصَّحَابَةُ مِائَةَ سَنَةٍ، بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ (وَالرَّسُولُ لَمْ يَأْتِ اسْمُ مَفْعُولٍ بِزَنَةِ فَعُولٍ غَيْرُهُ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ
وَالْجَمْعُ، قَالَ تَعَالَى ﴿فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾).
وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّهْرِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ: «مَا مِنْ نَفْسٍ
مَنْفُوسَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهِيَ حَيَّةٌ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ»⁽²⁾ - أَوْ
كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبِهَذَا الْحَدِيثِ نَفَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ اسْتِمْرَارَ
حَيَاةِ الْخَضِرِ، وَأَجِيبَ بِأَنَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَلَى وَجْهِ الْبَحَارِ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». وَاعْتَمَدَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ
فِي التَّصْحِيحِ فِي إِمْكَانِ نَقْلِ الرَّاويِّ عَنِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ⁽³⁾، وَفِي نَفْيِ مَنْ يَدْعِي
الصَّحْبَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَرَتْنِ الْهِنْدِيِّ⁽⁴⁾.

(1) الشعراء: 16.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) وذلك بتحقيق تاريخ مولد الراوي ثم تاريخ وفاة المروي عنه ثم إسقاط سين ما قبل التمييز؛ وهو خمسة أعوام.

(4) رتن (محركا) بن كيربال بن رتن البترندي ليس بصحابي، وإنما هو كذاب ظهر بالهند بعد الستمائة فادعى الصحبة وصدق - [القاموس].

القول في عدالة كل من صحب

يَقُول لم يبق بعد مائة سنة من موته صلى الله عليه وسلم أحد من الصحابة. قوله: وهم: أي الصحابة. جميعهم: أي كلهم. عادول: بمطلق الصحبة، الآتي حده، خلافا للمبتدعة: أي المحدثين في الدين بعد إكماله ما ليس منه، وهم فرق كثيرة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقةً الناجية منها واحدة»⁽¹⁾.

ومن المبتدعة المعتزلة، وهم أيضا فرق؛ منهم ذو هوى خفيف، وهم كالحرورية والواصلية وغير ذلك. سموا بأصلهم: واصل⁽²⁾ بن عطاء، الذي لا ينطق بالراء؛ قال البوصيري:

أي حب يصح مني وطرفي للكرى "واصل" وطيفك "راء"

(أي كيف يصح هذا الحب الذي ادعيته مع كثرة نومي على عدم لقيائي لطيفك، حتى صرت كأني واصل وكأنَّ طَيْفَكَ راءٌ فلا يلتقيان؛ التفت عن واصل الذي وصف به طرفه بالرجل الذي لا ينطق بالراء⁽³⁾). وجد الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه واصلا في مسجد البصرة يقول بأقاويله، فقال له: اعتزل مسجدا؛ فسميت طائفته المعتزلة.

قوله: ومطلق الصحبة: أي مجردها، من غير أن يصحبها فعل غيرها من

(1) أخرجه أبو داود.

(2) واصل بن عطاء، أبو حذيفة (ت 131هـ) رأس متكلمي المعتزلة وإليه تنسب الواصلية. ولد بالمدينة وانتقل إلى البصرة حيث اتصل بالحسن البصري وعمرو بن عبيد.

(3) يسمّى هذا بالتورية؛ وهي ذكر لفظٍ ذي معنيين: بعيد وقريب ويُراد البعيد.

غزوة مع النبي ﷺ أو رواية عنه أو عمل له، لا يقطع به على العدالة عند أهل البدع بل لا بُدَّ معه من شيء مما ذُكِرَ. ولكن يأبى عن قول المبتدعة الحنفاء: أي السلف والإجماع والنور، الذي هو القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، وغيرها مما مدحوا به ووعدوا به في القرآن، وحالهم: أي ما هم عليه من الكرم وحب النبي ﷺ والابتدار إلى أوامره واجتناب نواهيه، والخبر المأثور: أي المنقول بالرواية، راوٍ عن راوٍ إلى النبي ﷺ⁽²⁾، يعني به الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»⁽³⁾، وإن كان ضعفه البزار، وذكر إمام الحرمين في ورقاته على الأصول ضعفه، لكن اشتهر شهرة الصحيح حتى كاد يتواتر؛ وقيل الصحيح اتفاقاً: «اقتدوا بالَّذِينَ من بعدي أبي بكر وعمر»⁽⁴⁾.

قوله: والقتل للآباء: ومنه قتل الضحاك بن سفيان الكلابي أباه (قد لحق

(1) التوبة: 100.

(2) يعني أن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بمجرد الصحبة لتعديل الله تعالى لهم وورود القرآن بتزكيتهم والأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأئمة على ذلك، وفضلهم وحالهم السني.

(3) رواه ابن عبد البر في جامع العلم عن جابر، وهو ضعيف - [انظر جامع الأصول وغيره].

(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

أباه على فرس فعرقبه به وحبسه بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى، إلى أن جاء رجل آخر فأمره بقتله فقتله). وكل الصحابة لا تمنعه الأبوة ولا البنوة من قتل أبيه أو ابنه الكافرين.

قوله: وبذل النفس على الجهاد: ذلك دأبُ الصحابة كلهم، ومنه قول عبد الله بن عمر لأبيه، لما لامه على رجوعه من اليمامة سالماً: عرضت يا أبت نفسي على المشركين غير ما مرة فلم تقدر لي الشهادة إذ لم أستوف أجلي. قوله: وكل ما جاء من الرسالة: كل رسول من الرسل يخبر أمته بالنبي ﷺ ويمدح أمته، حتى أن موسى طلب من الله تعالى أن يجعله من أمة محمد ﷺ، وقال الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁽¹⁾، يعني الصحابة خصوصاً، وقيل عمومُ أمة محمد ﷺ.

وسبقه الزين العراقي لهذا بقوله:

... ..
... ..
... ..
وهم عدول، قيل لا من دخلا
في فتنة.. إلخ⁽²⁾.

(1) آل عمران: 110.

(2) نص الزين العراقي:

وتعرف الصحبة باشتهار او تواتر أو قول صاحب ولو
قد ادعاها وهو عدل قبلا وهم عدول قيل لا من دخلا
في فتنة. والمكثرون ستة أنس، ابن عمر، الصديقة.. إلخ.

قال في شرحه: ثم إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضا في الإجماع على تعديلهم، إحسانا للظن بهم

<<=

ويعني بالفتنة الردة، كالأعراب الذين صحبوا النبي ﷺ ثم ارتدوا بعده ثم أسلموا وحسن إسلامهم، لأن الردة تجبُ الصحبة^(١) كما أن الإسلام يجبُ ما قبله من الكفر، فكذلك الكفر يجب ما قبله من الخير (والعيادة بالله). ولا يعني الفتن التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم أنها تقع بين المسلمين، لأن تلك دخل فيها أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار ودخل فيها من العشرة عليّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، قيل

-- >>

وحملوا لهم في ذلك على الاجتهاد. ثم ذكر قولاً بأنهم عدول إلى وقوع الفتن؛ فأما بعد ذلك فلا بد من البحث عما ليس ظاهر العدالة. وحكى ابن عبد البر في الاستيعاب إجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أن الصحابة كلهم عدول - [أهـ من التبصرة والتذكرة].

وقال في فتح الباقي على ألفية العراقي: كل الصحابة - باتفاق أهل السنة - عدول وإن دخلوا في الفتنة، نظراً إلى ما اشتهر عنهم من المآثر الجميلة، ولقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. آل عمران 110. وقوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ - البقرة: 143 - ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدكم ولا نصيفه» - [متفق عليه] - وقوله: «اللَّهُ اللهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» - [رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه]، ثم قال: وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا.

(1) اختلف في الردة هل تجب الصحبة أم لا، فقد قال بعضهم: الظاهر أنها تجب الصحبة المتقدمة وتقطع فضلها، ودليل ذلك حبوط الأعمال بالردة عند عامة العلماء كأبي حنيفة، بل نص عليه الشافعي في الأم. وقال آخرون: بل الصحيح أنها تبقى وإن صاحبها معدود في الصحابة بعد عوده، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه في الصحابة - [راجع الزين العراقي وفتح المغيث].

وسعيد بن زيد. ومن ارتد ثم أسلم لم يذكره العلماء كالشهاب أحمد بن حجر وعالم الأندلس أبو عمر بن عبد البر في الصحابة. وقيل لم يستعن بهم أبو بكر ولا عمر واستعان بهم عثمان فأفسدوا عليه. والله تعالى أعلم.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ امْرَأَةً رِيءَ مَعَ النَّبِيِّ
 قَالَ لِحُبْلَى أَتُحِبِّينَ ذَكَرَ فَقَالَتْ الْوَرَهَاءُ مَنْ لِي بِالذِّكْرِ؟
 فَقَالَ إِنْ أُعْطِيتُنِي شَاةً فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَتْ بِهَا وَنَمْنَمَا
 الْفَاطَ سَجَّعَ كَالْكَهَانَةِ لَهَا وَهِيَ الْحِبَالَةُ بِهَا نَوَّلَهَا
 وَأَطْعَمَ الصَّدِيقَ فِيمَنْ أَطْعَمَهُ مِنْهَا وَمَا بِكُنْهِ الْأَمْرِ أَعْلَمَهُ
 وَإِذْ بِهِ أَعْلِمَ بَعْدُ قَاءَهُ وَلَأَبِي حَفْصٍ شَكَاهِجَاءَهُ
 أَنْصَارُ خَيْرٍ مُرْسَلٍ فَاعْتَذَرَ عَنْهُ بِأَنْ صَحِبَ أَشْرَفَ الْوَرَى

أبو سعيد اشتهر بكنيته، واسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن خدره الأبحر، والخدري نسبة إلى جده خدره الأبحر، من بني الحارث بن الخزرج. استرده النبي ﷺ فيمن استرد يوم أحد، لعدم بلوغ خمسة عشر عامًا. وشهد الخندق، وهو أول مشاهدته، وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وأكثر من الرواية عنه حتى عد سابعاً للسته المكثرين، وعاش إلى سنة أربع وسبعين وفيها توفي. وكان ممن أبى عزل يزيد بن معاوية من العلماء كعبد الله بن عمر وجابر، فلذلك سلموا يوم "الحرّة"، لنهي يزيد جيشه عنهم. لكن دخل قوم عليه من أهل الشام⁽¹⁾ فقالوا له: قد

(1) في نسخة: بعض الجيش.

بلغنا خبرك.. لا نقتلك ولكن هات المال، فقال: ذهب به الذين جاؤوا قبلكم، فنتفوا شعره وأخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما.

والمرء الذي ريء مع النبي ﷺ لم أقف على اسمه فيما طالعت فيه حديثه من الكتب، ولعله إنما أبهم ستراً عليه، لهذا الحديث وهجوه للأنصار، أو لم يبلغ درجة أن يعرف، كالمرأة التي نولها الحباله. والورهاء: الحمقاء، وصفها بذلك لوثوقها بما ذكر لها، حتى جاءت به بشاة فنمنم: أي زحرف لها ألفاظا مسجعة كألفاظ الكهنة، لأنهم يسجعون ألفاظهم؛ وتسمى هذه الفعلة الحباله، وهي المصيدة ولم تكن بالكهانة ولا بالسحر. وكنه الأمر: حقيقته.

يعني أنه مما يدل على عدالة الصحابة وعلو منزلتهم وحرمة الوقوع فيهم بشيء لا يليق، أن أبا سعيد الخدري كان مضطجعا يوما⁽¹⁾، ف قيل في

(1) فذكر بعض من حضر عليا ومعاوية، فتناول رجل من معاوية، فاستوى أبو سعيد جالسا ثم قال: كنا رفاقا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا في رفقة فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية فقال للمرأة الحامل: أيسرك أن تلدي غلاما؟ فقالت: نعم، فقال: إن أعطيتني شاة ولدت غلاما، فأعطته فسجع لها اسجاعا، ثم عمد إلى الشاة فذبجها وطبخها وجلسنا نأكل منها، ومعنا أبو بكر؛ فلما علم بالقصة قام فتقيا كل شيء أكله. ثم قال: فرأيت ذلك البدوي أتني به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار، فقال لهم عمر: "لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري ما نال فيها لكفيتكموه، ولكن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فقد توقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفي ذلك أ بين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء. وروي عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين» - [انظر: سموط الذهب].

الصحابة؛ فاستوى جالسا ثم قال: إنه كان رجل ريء مع رسول الله ﷺ - ولا يزيد على ذلك - فرأى يوما امرأة حاملا فقال لها: يا هذه أتحبين أن يكون ما في بطنك ذكرا؟ فقالت: نعم، فقال: إن جئتني بشاة أفعل لك ما يكون به ذكرا، فجاءته بشاة فذبحها وأطعم لحمها الناس، وكان فيمن أطعم أبو بكر رضي الله عنه، ولم يعلم بشأن اللحم، فلما علم تقاياه؛ ثم إن هذا الرجل هجا الأنصار، واستعدوا عليه عمر رضي الله عنه، فقال لهم: لولا أن ذلك الرجل صحب رسول الله ﷺ لأنصفتكم منه. وذكر القاضي عياض هذا الحديث في الشفاء، في آخر القسم الرابع منه.

القِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ "الإِصَابَةِ" لِلْعَسْقَلَانِيِّ هُمُ الصَّحَابَةُ
تَوَفَّرَتْ فِيهِمْ شُرُوطُ صُحْبَتِهِ وَبَلَغُوا أَوْأَنَ حَمْلِ دَعْوَتِهِ
وَتَأْنِي الْأَقْسَامِ لِمَنْ فِي الصَّغَرِ لَعَلَّهُ رَأَاهُ خَيْرٌ مُضِرٍ
ثَالِثُهَا مَنْ فِي الْأَوْأَنِ خَضُرْمًا وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ
رَابِعُهَا فِي نَبَذٍ مَنْ تَفَاحَشًا غَلَطُهُمْ فِيهِ وَفِيهِ نَاقِشًا

استطرد الناظم رحمه الله في هذه الأبيات الخمسة صنيع الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني، ذي التصانيف الفاخرة المشهورة، في كتابه المسمى بالإصابة في تمييز الصحابة؛ معتمده فيه كتاب الاستيعاب لعالم الأندلس أبي عمر ابن عبد البر ويزيد عليه زيادات صحيحة. وصنيعه أنه قسم كتابه أربعة أقسام ورتبه على حروف المعجم قائلا: "القسم الأول؛ فيذكر فيه من أول اسمه الهمزة إلى تمام من ذلك اسمه، ثم الباء كذلك.. إلى آخر

الحروف؛ فيتبعه "القسم الثاني" كذلك، ثم "القسم الثالث" كذلك، ثم الرابع كذلك..

القول في حد الصحبة

أما القسم الأول فيذكر فيه مَنْ توفرت فيه شروط الصحبة؛ وهو "من آمن به واجتمع معه وهو مؤمن وإن لم يره لعمى، كعبد الله بن أم مكتوم، ويكون ذلك أوان حمل الدعوة؛ وهو منذ أرسل إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم". وقوله: أوان حمل: يرجع إلى ما قبله من توفرت وبلغوا، وليس معناه وبلغوا الحلم، إذ لا يشترط، وإنما يكفي التمييز؛ لذكره في هذا القسم الصبيان المميزين. وأما من اجتمع معه قبل أوان حمل الدعوة ثم آمن به ولم يجتمع معه أوانها فلا تتناوله الصحبة، وكذلك من آمن به واجتمع معه بعد حمل الدعوة، كأبي ذؤيب الهذلي؛ فإنه وفد يوم وفاة النبي ﷺ ووجده مُسَجًّى قبل أن يدفن، فكشف عن وجهه وقبَّله وحضر الصلاة عليه ودفنه وحضر بيعة أبي بكر، ومع هذا كله لا تتناوله الصحبة؛ فكيف بمن يدعي اليوم لقيه أو يدعيه لغيره؟!!

أبو ذؤيب الهذلي

كان أبو ذؤيب مؤمناً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وكان يحدث يقول: "ليلة صبيحة قبض رسول الله ﷺ سهرت فلم يأتني النوم ولم يقر لي قرار فبت في هول يهولني ولم أدر لأي شيء، فنظرت في السماء لعلني أرى شيئاً أطمير به، فوقع عيناى على سعد

الذابح⁽¹⁾؛ فعلمت أنه ذبح في العرب. فلما أصبحت ركبت فقصدت المدينة، فكلما زجرت من غراب يكون لي على ما أكره، ومررت بشيهم وصل يقتلان⁽²⁾ فوقفت عليهما، فغلب الشيهم الصل، فعلمت أنه شيء مهم. فقدمت المدينة ولقيت رعاتها يكون والأرض مظلمة، فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، فدخلت المدينة".

وكان من أمره ما ذكرنا، فرثي النبي ﷺ بقصيدة، منها:

كسفت بمصرعه النجوم وبدرها وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتضعضعت أجدال يثرب كلها ونخلها حلول هول مفدح

(1) سعد الذابح: هو أحد سعد النجوم وهي الكواكب التي يقال لكل واحد منها سعد كذا.. وهي عشرة أنجم كل واحد منها سعد، أربعة منها منازل ينزل بها القمر وهي: سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخبية، وهي في برج الجدي والدلو. أما سعد الذابح فكوكبان متقاربان سمي أحدهما ذابحا لأن معه كوكبا صغيرا غامضا يكاد يلزق به فكأنه مكب عليه يذبحه والذابح أنور منه قليلا. وسعد بلع نجمان معترضان خفيان قيل سمي بلعا لأن أحدهما لقرب صاحبه منه يكاد يبلعه. وسعد السعد كوكبان؛ وهو أحمد السعد ولذلك أضيف إليها، وقيل هو كوكب نير منفرد. وسعد الاخبية ثلاثة كواكب مائلة عن طريق السعد وليست بخفية غامضة ولا مضيئة منيرة؛ قيل سميت بذلك لأنها إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوائها من جحرتها؛ فجحرتها لها كالأخبية. والسته الأخرى لا ينزل بها القمر وهي: سعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر، وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة وقد ذكر الديباني هذه السعد فقال:

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

[لسان العرب].

(2) الشيهم: القنفذ. والصل: الحية.

ثم انصرف إلى باديته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، بأرض الروم؛ وليس وراء قبره قبر لأحد من المسلمين. وهو من بني صاهلة من هذيل، وقيل إنه أشعر أهل زمانه، ومن شعره قوله:

سقى أم عمرو كلَّ آخر ليلة حناتمُ سود مأوَهَن ثَجِيج
شربن بماءِ البحر ثم ترفعت متى لججٍ خُضِرَ لهن نثِيج

قوله: وثاني الاقسام: أي أقسام ابن حجر في كتابه الإصابة، وهو أن يقول - بعد فراغه من القسم الأول، على ما ذكرنا -: "القسم الثاني"، فيبدأ بالهمزة ويرتب حروف المعجم ترتيب المشاركة إلى آخرها، متكلماً على من يمكن أن يراه النبي ﷺ لكونه ولد على عهده بأرض قدمها النبي ﷺ بعد أن بعث؛ وهذا النوع يقول له العلماء صحابي صغير. ويدخل في هذا الحد مروان بن الحكم، فذكروه صحابياً لذلك، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يره قط، لأنه ولد بالطائف بعد طرد أبيه إليه؛ ولم يزالوا بها إلى أن ردهم عثمان رضي الله عنه في خلافته. وقيل إنه ولد قبل ذلك عام الخندق، وهو الأصح، وعلى هذا يمكن أن يراه النبي ﷺ عام الفتح أو في حجته أو عمرته.

وقوله: ثالثها: أي ثالث الأقسام على من في أوان حمل الدعوة خضرم، (وأصله خضرم آذان الإبل: أي قطعها، علامة على إسلامه، ليسلم من جيوش المسلمين وسرايا النبي ﷺ دمه وماله؛ وكان من لم يفد على النبي صلى الله عليه وسلم - وهو مسلم - يفعل ذلك)؛ وهذا - لعدم الرؤية والاجتماع - لم يكن عند العلماء صحابياً، وإنما يقال له مخضرم (بفتح الراء

وكسرها)، ولا يمكن عدّهم لكثرتهم⁽¹⁾؛ إلا أن منهم سويد بن غفلة، ذكره منهم زين الدين العراقي⁽²⁾، قال: كسويد في أمم..

قوله: رابعها: أي رابع أقسام الإصابة في نبذ: أي إخراج عن الصحبة من غلط فيه بعض العلماء الغلط الفاحش، بأن ذكره من الصحابة وهو لا يصح، لتأخر مولده عن وفاة النبي ﷺ تأخرا بينا، كإياس بن معاوية وأهل زمانه، وذكره وناقشهم - أي كاذبهم - في هذا النوع ابن حجر⁽³⁾.

(1) بلغ بهم مسلم بن الحجاج عشرين ومغلطاي أزيد من مائة.

(2) هو الإمام الحافظ الحجة المحدث الكبير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي الكردي المصري الشافعي المتوفى 806 هـ وقد قال في ألفيته:

والمدركون جاهلية فسم مخضرمين كسويد في أمم

يعني أن من أدرك الجاهلية وهي ما قبل البعثة مع زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحبة لهم سموا مخضرمين ومنهم سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي الكوفي وكان قد قدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله: في أمم: أي جماعات، والمخضرمون (بالمعجمتين وبفتح الراء وقد تكسر): هم الذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست لهم صحبة؛ فهم مترددون بين طبقتين لا يدرى من أيتهما؛ بين الصحابة للمعاصرة وبين التابعين لعدم الرؤية واللقي، وقد عدّ بعضهم من المخضرمين أبا مسلم الخولاني والأحنف بن قيس.

(3) أي رد قولهم لعدم إمكان صحته؛ لتأخر مولده عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أو عن عصر الصحابة الماضي، قال: ولم أذكر فيه إلا ما كان الوهم فيه بينا وأما مع عدم احتمال الوهم فلا، إلا إن كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن بطلانه.

ولما فرغ الناظم مما استطرد من ذكر الصحابة، رجع إلى ما كان بصدده من الكلام على بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بَنُو الْبُكَيْرِ الْأَرْبَعُ اللَّذُ شَهِدُوا بِدَرًا مَزِيَّةً بِهَا تَفَرَّدُوا

رجع إلى ما كان فيه من ذكر ليث. يعني ومن ليثهم⁽¹⁾ بنو البكير - بحذف العاطف - وهم أربعة شهدوا بدرا بعد أن هاجروا إلى المدينة⁽²⁾، وهي مزية تفردوا بها عن غيرهم؛ ولا تعرف أربعة إخوة شهدوا بدرا غيرهم، إلا بني مظعون، على الخلاف فيهم. وقوله: الأربعُ بحذف التاء، على غير الغالب؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «ثم اتبعه بستٌ من شوال»⁽³⁾، وقول المخزومي⁽⁴⁾:

... ثلاث شخوص: كاعبان ومعصرُ

واللَّذُ (بسكون الـ): بمعنى الذين، يستوي فيه المفرد والجمع. والمزية: الفضيلة. وهم: خالد وعامر وعاكل وإياس، بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث، الليثيون، حلفاء بني عدي؛ حالف جدهم عبدُ ياليل نفيلاً، جد عمر بن الخطاب بن نفيل.

أما خالد فهو من سرية عبد الله بن جحش التي قتلت ابن الحضرمي، فكانت سببا في عز الإسلام، وقتل في بعث الرجيع. وأما عاكل فكان اسمه

(1) أي ليث عبد مناة أو بكر، يعني أن من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الإخوة المشهورين بني البكير الأربعة.

(2) ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر الأوسي.

(3) رواه مسلم والترمذي.

(4) وهو عمر بن أبي ربيعة، قال:

وكان مجني دون ما كنت أتقي ثلاث شخوص .. إلخ.

غافلا فسماه النبي ﷺ عاقلاً⁽¹⁾، شهد بدرا وقتل بها. وأما عامر وإياس فأسلما في دار الأرقم واستشهدا يوم اليمامة. وروي عن إياس حديثان: «من طلق امرأته ثلاثا قبل أن يمسه فإنها لا تحل له»⁽²⁾، وحديث: «من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر»⁽³⁾.

وابن عمهم واثلة بن الأسقع من أهل الصفة، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وقيل أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك فاشترى راحلة فغزا عليها معه، وعاش مائة سنة.

ومر ليث بنو جعونة ابن شعوب، منهم شداد⁽⁴⁾ الذي قتل حنظلة الغسيل يوم أحد؛ وكان حنظلة قد علا أبا سفيان بالسيف فقتله شداد فقال أبو سفيان: "حنظلة بحنظلة" يعني ابنه الذي قتل زيد بن حارثة يوم بدر. وفي ذلك يقول أبو سفيان:

وما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
ولو شئت نجنتي كميث طمرة ولم أجعل النعماء لابن شعوب

وأخوه أبو بكر بن جعونة، الذي يقول يرثي هشام بن المغيرة:
ذريني أصطح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام

(1) ذكره في أسد الغابة والإصابة.

(2) أخرجه في الموطأ، ورواه أحمد.

(3) رواه أحمد.

(4) هو شداد بن جعونة بن الأسود بن عبد شمس بن مالك من بني ليث بن بكر، وشعوب أمه أو أم أبيه جعونة.

تخيره فلم يعدل سواه فنعى المرء من رجل تهامي

وهم - أي بنو جعونة - حلفاء العباس بن عبد المطلب، وإليهم ولاء البدر
أبي رويم نافع القارئ.

ومن ليث: شداد بن الهادي، كان سيفاً للنبي ﷺ ولأبي بكر⁽¹⁾ بعده،
وابنه عبد الله صحابي. وسمي أبوه الهادي لأنه كان يوقد النار للأضياف
ليهدوا بها إليه، وهو حليف بني هاشم.

ومنهم بنو أذينة: هشام وعروة وبكر، الذي يقول فيه عروة:

على بكر أخِي ولِي حميداً وأي العيش يصلح بعد بكر؟

فسمعت سكينه بنت الحسين ينشدُ هذا البيت فقالت: هذا الذي نحن فيه
يصلح والله حتى الخبز والزيت!. وكان هشام بن أذينة - ويقال ادية -
شاعراً أيضاً، وهو الذي يقول:

لقد علمت وما الاشراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعينني

ثم وفد على هشام بن عبد الملك، فلما دخل عليه قال له: أأنت القائل:
لقد علمت - البيتين -؟ فحجل ابن أذينة. فلما خرج في الناس من عنده
انسلَّ من بين الناس برحله فمضى إلى منزله بالمدينة، ففقدته هشام بن عبد

(1) وفي سموط الذهب: شداد بن الهادي الصحابي كان سلفاً للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر رضي الله عنه، لأنه كانت عنده سلمى بنت عميس، أخت أسماء بنت عميس
شقيقتها وأخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها؛ وسلمى هذه هي أم ابنه عبد الله
بن شداد.

الملك فسأل عنه فقيل له: ذهب إلى أهله؛ فعاتب هشام نفسه وقال: شاعر
سؤت فيه ولا آمن أن يقول في شعرا.. فبعث إليه بألفي دينار، فقال
لرسول: قل لأمر المؤمنين أوجدني صادقا في قولي أم لا: خرجت أطلب
رزقي فأتعبي طلبه ولم أجده، فلما قعدت في بيتي أتاني من غير تعب ولا
عناء؟!..

ومن ليث أيضا: ابن قمئة (كسفينة) قاتل مصعب بن عمير رضي الله
عنه يوم أحد، يظنه رسول الله ﷺ، فلما قدم مكة خرج إلى غنمه فقتله
تيسها، وقيل تيس الجبل.

وَمِثْلُهُمْ عُثْمَانُ، عَبْدُ اللَّهِ، قُدَامَةٌ وَسَائِبُ ذُو الْجَاهِ
فَهَؤُلَاءِ هَاجَرُوا بِالسَّائِبِ سَلِيلِ عُثْمَانَ أَخِيهِمُ الْأَبِي

أي ومثل بني البكير في التفرد بالفضيلة التي هي الاجتماع في شهود
بدر، بنو مظعون من جمح⁽¹⁾: عثمان وعبد الله وقدامة والسائب، وزاد بنو
مظعون على بني البكير بخامس، ابن أحدهم، وهو السائب بن عثمان بن
مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، الجمحيون من قريش.
أما عثمان فمن القوم الذين هاجروا إلى الحبشة، وأسلم بعد ثلاثة عشر
رجلا، فجمع قدم الإسلام والسبق في الهجرتين وشهود بدر، وكان من

(1) ومثلهم أيضا في قدم الإسلام والهجرة إلى المدينة جميعا، وزاد بنو مظعون على بني البكير
بهجرتهم كلهم إلى الحبشة كما يأتي.

فضلاء الصحابة، وممن حرّم الخمر في الجاهلية؛ وكان يَقُولُ: لا أشرب شراباً يُذهب عقلي ويُضحك منّي مَنْ هو دوني ويحملني على أن أنكح كريمي. ويأتي إن شاء الله بعض الكلام عليه في ذكره.

وأما عبد الله فهاجر الحبشة أيضاً. وأما السائب فهاجر أيضاً الحبشة، واختلف في شهوده بدرًا. وأما قدامة فهاجر الحبشة وشهد بدرًا واستعمله عمر، فشرب الخمر فجلده عمر بأمر أبي هريرة⁽¹⁾، فغضب قدامة ولم يكلم عمر. فرأى عمر آتياً أتاه في المنام فقال له: سالم قدامة، فدعاه عمر واستغفر له واصطلحًا. وأما السائب بن عثمان فهاجر الحبشة وشهد بدرًا واستشهد يوم اليمامة عن بضع وثلاثين سنة. وزاد بنو مطعون على بني البكير بهجرتهم الحبشة كلهم⁽²⁾.

(1) أي شهادته مع غيره.

(2) ومن ليث أيضاً فرات بن زيد الليثي، كان من ألباء العرب وذوي العلم والرأي، وكان ذا مال كثير، وكان بخيلاً؛ روي أنه دخل يوماً على عمر رضي الله عنه وهو يعطي المهاجرين والأنصار، فقال له: يا فرات من الذي يقول:

الفقر يزري بالفتى في قومه والعين يفضيها الكريم على القذى
والمال يبسط للئيم لسانه حتى يصير كأنه شيء يرى
والمال جُدْ بفضوله ولتعلمن أن البخيل يصير يوماً للثرى؟

فقال فرات: لا أدري يا أمير المؤمنين، غير أنني عرفت أن أخا ضبيعة أشعر الناس حيث يقول:

وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

فقال عمر: هذا أفضل منه قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

<<=

مِنْ دُئْلِ دَلِيلٍ خَيْرِ الْعَالَمِينَ عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ الْأَرَيْقِطِ الْأَمِينِ

دُئْل (بضم الدال وكسر الهمزة - كما تقدم - وكعنب) منهم عبدُ الله بن الأريقط، دليل رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة، بعد أن دفعا إليه ناقتيهما وواعداه الغار بعد ثلاث؛ فأتاهما في الأجل، فقال فيه رسول الله ﷺ: «هو أمين». ويؤخذ منه جوازُ مدح الكافر بخلق فيه، لأنه إذا ذاك على كفره؛ بل لم يعلم له إسلام كما قال السهيلي، وقيل يذكر له. ويذكره⁽¹⁾ أبو بكر في قصيدته التي يقول في الهجرة، أولها:

-- >>

الْمُقْلِحُونَ ﴿٩﴾. الحشر: 9. فقال فرات: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ - الإسراء: 27 - قال عمر: فبين ذلك - يا فرات - ﴿قَوَامًا﴾، اتق الله وإنما لك من مالك ما أنفقت يا فرات، أطعم السائل وكن سريعاً إلى داعي الله، إن الله جواد يحب الجود وأهله وإن البخل بئس شعار المسلم، يا فرات أتدري من الذي يقول:

سأبذل مالي للعفاة فإني رأيت الغنى والفقر سيان في القبر
يموت أخو الفقر القليل متاعه ولا تترك الأيام من كان ذا وفر
وليس الذي جمعتُ عندي بنافع إذا حلَّ بي يوماً جليل من الأمر

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين، قال: هذا شعر أخيك قسامة بن زيد، قال: ما علمته، قال: بلى هو أنشدنيهِ وعنه أخذته وإن لك فيه لعبرة، قال: يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أمرت بخير وحضضت عليه. وترك فرات كثيراً مما كان عليه.

ولما فرغ الناظم من بني ليث أخذ يتكلم على بني أخيه دئل بن بكر بن عبد مناة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(1) أي يذكر ابن الأريقط في قصيدته حيث يقول:

سار الأريقط يهدينا.. إلخ، أي عبد الله بن الأريقط.

قال الرسول ولم يشعر بنا أحد
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا
وإنما كيد من تخشى بوادره
والله مهلكهم طرا بما كسبوا
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم
وهاجرا أرضهم حتى يكون لنا
حتى إذا الليل وارتنا جوانبه
سار الأريقط يهدينا وأينقه
يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها
حتى إذا قلت قد انجذن عارضها
يردي به مشرف الاقطار محتزم
فقال كروا فقلنا إن كـرتنا
ونحن في سُدفة من ظُلمة الغار
وقد تكفّل لي منه بإظهار
كيد الشياطين كادته لكفار
وجاعل المنتهى منهم إلى النار
إما غـدوا وإما مدجأ سار
قوم عليهم ذوو عز وانصار
وسد من دون من نخشى بأستار
ينعن بالقوم نعبا تحت أكوار
وكل سَهْب دُقاق التُّرب موّار
من مدج فارس في منصب وار
كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
من دونها لك نصر الخالق الباري

(ونسأل الله العناية بنا وتوفيقنا لما يحبّه ويرضاه مِنّا، إن كان هذا
الرجل لم يُسلم وقد سافر هذا السّفر مع هؤلاء ويطعم مطعمهم ويشرب
أسأرهم ويركب مراكبهم ويجلس مجالسهم وينظر في وجه رسول الله ﷺ
مسياً وبكرة، فأسأل ربي اللطيف، متطفلا على خفي لطفه ومستجيرا
بفضله من عدله ومستعيذا مما أنا أهله بما هو أهله، أن يعطف علي بنصوح
التوبة وخالص الإيمان وصفي صالح الأعمال ويبدل سيأتي حسنات حتى
لا ألقى بعد نزع روعي إلا ما يسرني إنه على كل شيء قدير وبالإجابة
جدير - آمين).

سَارِيَّةُ أَبُو الْفُتُوحِ بِالْجَبَلِ أَغْرَاهُ فَانْتَحَى إِلَيْهِ وَاعْتَقَلَ

أي من دئل أيضا: سارية الذي ناداه عمر، وهو أمير جيش بنهاوند

وعمر يخطب للجمعة بالمدينة؛ وسمعه الناس يقول في أثناء الخطبة: "يا سارية الجبل!"⁽¹⁾ فجزع الناس لذلك، ومنهم من قال: خرف أمير المؤمنين وإنا لله وإنا إليه راجعون! فلم يقدر أحد أن يتجاسر على سؤاله عن كلامه حتى خرج من المسجد، فتعرضه عبد الرحمن بن عوف فقال له: ما بال كلام سمعه الناس منك في أثناء الخطبة أفزع الناس عليك ولم يقدرُوا أن يردوا عليك؟ فقال: لا بأس، رأيتُ الجيشَ الذي بنهاوند وقد أحاط بهم العدو فناديتُ أميرهم أن يعتقلوا بالجبل ففعلوا، ثم والحمد لله رأيتهم قد فتح الله عليهم. فلما قدم سارية أخبرهم أنه سمع كلام عمر واثمر به، فأرخوا لذلك فوجدوه في ساعة.

ومكاشفات عمر كثيرة، قال صلى الله عليه وسلم: «قد كان فيمن كان قبلكم محدثون، فإن كان فيكم فعمرو»⁽²⁾. وكل الخلفاء يكشف لهم، ولذلك كانت أفعالهم غالبا توافق الصواب. أمّا أبو بكر فمن مكاشفاته

(1) وقيل إن عمر أمره على جيش سيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر عمر - وهو يخطب يوم الجمعة - أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن وادٍ وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال في أثناء الخطبة: يا سارية الجبل الجبل.. ورفع بها صوته، فألقاه الله في سمع سارية فانحاز الناس للجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. وقيل كانت غزوة نهاوند سنة إحدى وعشرين وكان أمير الجيش النعمان بن مقرن المزني وبها قتل، فأخذ الراية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فكان الفتح على يديه صلحا؛ ولم يبق للفرس بعد هذه الواقعة قائم، فسموها المسلمون فتح الفتوح. ونهاوند مدينة في قبة همذان بينهما ثلاثة أيام - [تاج العروس]. والقصة رواها البيهقي في الدلائل، وغيره.

(2) متفق عليه.

قوله لعائشة حين احتضر: "ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى"، وفي رواية: ألقى في خلدي أنه أنثى، يعني ابنته أم كلثوم. وأما عثمان فقوله لأنس حين دخل عليه، وكان ينظر في محاسن زوجة عثمان: "يدخل علي أحدكم وفي عينيه أثرُ الزنى"، فقال أنس: أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: بل فراسة المؤمن. وأما علي فمنها ما روي أن عمرو بن العاص أتاه فقال: أحسن الله عزاءك في ابن عمك معاوية، فقال له: لا ينبغي لمعاوية أن يموت قبلي؛ وإنما يريد عمرو أن يعلم أيهما يموت قبل الآخر، ويعلم أن عليا يكشف له.

قوله: أغراه: أي ألزمه إياه بأن قال له: الجبل، أي عليك الجبل، أي الزمه. والجبل في قول عمر منصوب على الإغراء ناصبه عليك أو الزم. وانتحي: مال إليه وقصده. واعتقل: أي تحصن وتمنع بالجبل.

وسارية هو ابن زنيم⁽¹⁾، اختلف في صحبته؛ قال في القاموس: "زنيم (كزبير) والد سارية الذي ناداه عمر بنهاوند". ويذكر بعده كلمة عضلت قراءتها ثم يقول بعدها: "رآه النبي ﷺ فسجد شكرا لله"⁽²⁾. (وما

(1) ابن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة الدؤلي، كان من الشعراء والقادة الفاتحين وكان في الجاهلية لصاً كثير الغارات يسبق الفرس عدواً على رجله، توفي سنة ثلاثين.

(2) نص القاموس: "زنيم" - كزبير - والد سارية الصحابي الذي ناداه عمر وهو بنهاوند ونُغاشي رآه النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً - [أه منه]. والكلمة التي عضلت قراءتها هي: "نُغاشي" بضم النون وفتح الغين المعجمة بعدها ألف ثم شين معجمة ثم ياء مشددة،

سمعت بنسخة من القاموس وردت على هذه البلاد إلا جعلت همتي إليها حتى أكشف فيها عن هذه الكلمة وأستجد عليها من قدرت عليه من الزوايا ولم يظفر بقراءتها أحد، وهي إلى الآن غيرُ مقروءة في نسخ المغرب ولا المشرق⁽¹⁾، أما كتب هذه البلاد فإن كان الكاتب ذا بصيرة فإما أن يضرب عليها وإما أن يبيض لها. وقلما تندس عني مشكلة إلا وفتح الله علي فيها - والحمد لله - (غيرها). ولم نجد في كتب الحديث ولا كتب السير ما ذكر من سجود النبي ﷺ شكرا لهذا المرئي. والله تعالى أعلم.

وَبَنُو الْأَسْوَدِ الْأَلَى أَرْدَتُهُمْ خَزَاعَةٌ فَالْتَهَبَتْ حَرْبُهُمْ

بنو الأسود ثلاثة: كلثوم وسلمى ودؤيبة، بنو الأسود بن رزن، كانوا مفخر بني كنانة في الجاهلية، إذ كانوا يُودَوْنَ بِدَيْتَيْنِ، لفضلهم في قومهم وشرفهم، وتودى كنانة دية واحدة. والألى: أي الذين. وأردتهم: قتلتهم خزاعة. فالتهبت: أي اتقدت الحرب بينهم، حتى حَجَزَ الإسلامُ بينهم وتشاغل الناس به، فدخلوا في صلح الحديبية؛ على أن خزاعة في حلف النبي ﷺ وبني بكر في حلف قريش.

--- >>

والنغاشي: هو أقصر ما يكون من الرجال الضعيف الحركة الناقص الخلق، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى نغاشيا فسجد شكرا لله تعالى. وفي رواية أنه مر برجل نغاشي فخرَّ ساجدا ثم قال: أسأل الله العافية - [انظر تاج العروس ولسان العرب]. وقال في تاج العروس: وأورده الطبراني في الصحابة.

(1) أي الواردة إلى هذه البلاد الشنقيطية.

وَنَوْفَلُ الَّذِي خَزَاعَةَ غَدَرُ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ لِّذَا لَهَا انتَصَرُ

يعني: ومن دئل بنو الأسود ونوفل بن معاوية⁽¹⁾ الذي غدر خزاعة طلباً لثأر بني الأسود، بعد أن دخل كل من الفريقين في صلح الحديبية؛ ولهذا الغدر انتصر عمرو بن سالم لخزاعة، فنصره النبي ﷺ نصراً جراً إلى فتح مكة. وكان نوفل أوقع بخزاعة ليلاً وهم "بالوتير" - موضع قريب من مكة - ومعه رجال من قريش مختفين، منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فقاتلوهم حتى أدخلوهم الحرم فكفوا عنهم. وخرج عمرو بن سالم يستصرخ النبي ﷺ بقوله:

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا⁽²⁾

(1) ابن عروة بن صخر بن يعمر بن نفثة بن عدي بن الدئل بن بكر الكنانى الدئلى.

(2) وسبب حلف خزاعة لعبد المطلب: أنه لما مات المطلب بن عبد مناف وثب نوفل على أركاح عبد المطلب فغصبه إياها، فسأل رجالاً من قريش النصرة عليه فقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك، فكتب إلى أخواله من بني النجار، فجاءه منهم ثمانون راكباً وأقبلوا نحو نوفل وهو جالس في الحجر مع مشايخ قريش، فقالوا له: ورب البيت لتردنا على ابن أختنا أركاحه أو لنميلن عليك بهذه السيوف، فقال لهم: رددتها عليه، وأشهد على ذلك مشايخ قريش. فرجعوا إلى المدينة؛ فلما رأى نوفل ذلك حالف بني عبد شمس بن عبد مناف على بني هاشم. (والأركاح: ساحات وأفنية واسعة لا بناء فيها يتركح فيها، أي يتوسع؛ والرُّكْحُ ناحية البيت من ورائه، كأنه فضاء لا بناء فيه).

ولما رأت خزاعة نصر بني النجار لعبد المطلب قالوا: نحن ولدناه كما ولدتموه فنحن أحق بنصره - وذلك أن أم عبد مناف: حبي بنت حليل الخزاعية - فدخلوا دار الندوة وحالفوا بني هاشم على بني عبد شمس ونوفل، وذلك قوله: "حلف أبينا وأبيه الأتلدا"، وأشار إلى أبوتهم هذه لعبد مناف بقوله:

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم يبتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا .. إلى آخرها.

فلما سمع رسول الله ﷺ قوله قال: «لا نصرني الله إن لم أنصرك»، وقال، وقد عرضت لهم سحابة: «إن هذه السحابة لتستهل لنصر بني كعب»⁽¹⁾، يريد خزاعة؛ فغزا غزوة الفتح.

ونوفل بن معاوية أسلم وصحب النبي ﷺ، وشهد معه الطائف؛ واستشاره في أمر ثقيف فقال: يا رسول الله هم كتعلب في جحره: إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لا يضرك. وحج مع أبي بكر حجة بالناس، ثم حج مع النبي ﷺ حجة الوداع؛ وعاش مائة سنة أو أكثر، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام؛ عاش إلى زمن يزيد بن معاوية.

ومر دئل أبو أناس بن زنيم - أخو سارية - كان شاعرا، وفي النبي ﷺ

--- >>

قد كنتم ولدا وكنا والدا ثم أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أيّدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا .. إلخ.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة، والطبراني في الصغير، وذكره ابن سعد وابن هشام.

يقول:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمة من محمد
وأعطى إذا ما طالب العُرف جاءه وأمضى بحد المشرفي المَهْدِ

وابنه أُسَيْد بن أبي أناس، كان هجاءً فأهدر النبي ﷺ دمه، فجاء تائباً
وأنشد فيه مدحة حسنة.

ومنهم أبو الأسود الدئلي، واسمه ظالم بن عمرو⁽¹⁾ بن نفثة، واضع
النحو؛ وهو أيضاً أوّل من نقط المصحف بأمر الحجاج. وكان يضرب به
المثل في الذكاء والبلاغة والبخل، تحاكم مع امرأة في ابنٍ بينهما إلى عمر،
فقالت المرأة: إنه طلقني يا أمير المؤمنين وأراد أن يأخذ مني ابني، فقال أبو
الأسود: هو ابني يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعتَه قبل أن
تضعه! فقالت: حملة خفا وحملته ثِقْلاً ووضعه شهوة ووضعتَه كرها. فقال
له عمر: دعني من تمشدقك واسلم للمرأة ابنها.

وسمع زينب بنت عقيل تبكي الحسين ورَكَبَه الذين قتلوا معه وتقول:

ما ذا تقولون إن قال النبي لكم ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

(1) عمرو هذا ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حليس بن نفثة بن عدي بن الدئل بن بكر
الدئلي، وكان أبو الأسود الدئلي هذا من كبار التابعين مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام
وروى عن عمر وعلي ومعاذ وأبي ذر وابن مسعود والزبير وأبي بن كعب وابن عباس
وعمران بن حصين وغيرهم.. وروى عنه جماعة من التابعين وولي قضاء البصرة وكان ذا
عقل ودين ولسان وبيان وفهم وحزم، وكان من الفقهاء والقراء والمحدثين والشعراء
المشهورين، قيل توفي في طاعون سنة تسع وستين عن خمس وثمانين سنة.

بأهل بيتي وأنصاري وذوي رحمي منهم أسارى وقتلى ضُرِّجُوا بدم؟

فقال أبو الأسود: نقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽¹⁾. ومن شعره:

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى	فإنك راء ما حييت وسامع
وأحب إذا أحبت حبا مقاربا	فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا	فإنك لا تدري متى أنت راجع ⁽²⁾

فِي مُدْلِجٍ مِّنْ بَكْرِ الْقِيَاةِ كَمَا لِلَّهِبِ كَانَتْ الْعِيَاةُ

(1) الأعراف: 23.

(2) ومن شعره:

كساك ولم تستكسه فاشكرن له أخ لك يعطيك الجزيل وياصر
وإن أحق الناس ان كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافر
ومعنى ياصر (بالياء المثناة): يعطف. ومما ينسب له:

بليت بصاحب إن زدت شبرا	يزدني في مباعدة ذراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعي	يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتباعا	وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو ويناى	فذلك ما استطعت وما استطاعا

وله أيضا:

وإذا طلبت من الخلائق حاجة	فادع الإله وأحسن الأعمالا
فليُعْطِيَنَّكَ ما أراد بقـُـدرة	وهو اللطيف إذا أراد فعلا
إن العباد وشأنهم وأمورهم	بيد الإله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم	لهجاً تضعضع للعباد سؤالا

وَهِيَ الْقِيَافَةُ بِلَا امْتِرَاءٍ مَعْرِفَةُ الْأَبْنَاءِ بِالْآبَاءِ

مدلج: هو ابن مُرَّة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهم أهل القيافة في العرب. ومن قيافتهم ما سرَّ النبي ﷺ في زيد بن حارثة وابنه أسامة؛ وكان زيد أبيضَ وأسامة أسود، فمر بهما مجزَّز الأعور بن جعدة - وهو صحابي وابنه علقمة صحابي - مضطجعين فقال: "لمن هذه الأقدام التي بعضها من بعض؟" فسر رسول الله ﷺ بذلك.

يعني أن مدلجا هم أهل القيافة كما أن بني لهب هم أهل العيافة بالطير، أي التيامن والتشاؤم بطيرانها وألوانها ومواقعها وأسمائها. ومما يحكى من عيافتهم أن رجلا منهم أتاه ابنه يحدثه فقال: بينما أنا اليوم إذا بغراب على شجرة كذا، فقال لابنه: أطردته؟ قال: طردته، ولم يزل كذلك إلى أن قال له: احذني وإلا فلست بابني، يُريد أنه وقع على كنز فاستخرجه الفتى. ويحكى أن الجن قالوا: سنستخبرُ بني لهب، فأخذوا شخصين منهم على صورة رجلين على جمل فأتياهم وقالوا: نحن من بني فلان نطلب لقاحا، فابعثوا معنا من يدلُّنا على انشادها في أنعامكم، فبعثوا معهما طفلا فجعله بينهما، فلما انفصلا به طارت منهم عُقاب، فصاح الطفلُ وقال: يا ويله! رفعت جناحا، وخفضت جناحا، وأراكم الجن نقاحا، ولستم تطلبون لقاحا!. قال الشاعر:

خيرُ بنو لهبٍ فلا تك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرّت

مِنْهُمْ سُرَاقَةُ الَّذِي كَانَ عُمَرُ حَلَاهُ تَصَدِيقًا لِأَفْضَلِ الْبُشَرِ
حُلِيَّ كِسْرَى وَأَتَى فِي صُورَتِهِ إِبْلِيسُ إِذْ تَخَوَّفَتْ مِنْ فِئَتِهِ

فَهَرُ غَدَاةَ خَرَجُوا لِبَدْرٍ فَكَانَ خَافِرًا لَهُمْ مِّنْ بَكْرٍ

منهم، أي من مدلج: سراقَةُ بنُ مالك بن جُعْشُم الذي حلاه عمرُ سوارِي كِسْرَى، تصديقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم: أن سراقَةَ سيلبسُ سوارِي كِسْرَى؛ قال له يوما: «كيف بك يا سراقَةُ إذا لبست سوارِي كِسْرَى»^(١).

سراقَةُ بن مالك ولَبسه سوارِي كِسْرَى

فلما فتح العراق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأُتِيَ بتاج كِسْرَى ومنطقته وسواريه، دعا سراقَةَ فألبسه السوارين وقال له: ارفع بهما يديك يا سراقَةُ وقل الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كِسْرَى الذي كان يقول: أنا ربُّ الناس وألبسهما سراقَةَ بنَ مالك أغرابيا من بني مُدَلَج. وأراد عمر بذلك تصديق النبي ﷺ وإظهار مُعْجَزَاتِهِ؛ لأن ذلك كان أبعدَ شيءٍ عند العرب، وحين أخبر به النبي ﷺ صدق به المؤمن أي التصديق وأنكره الكافر أي الإنكار لبعده عنه؛ فلما وقع وافق اعتقاد المؤمن وصدق به الكافر على رغم أنفه، وهو من المعجزات التي تأتي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، كإخباره بالفتن والعلامات وخلفاء بني العباس وغير ذلك. والمكاشفة من المعجزات مما يوافق الكرامة إذا كانت عن غير تحدٍّ، وتكون للأنبياء كِبْشَارَتَهُم بالنبي ﷺ وإخبارهم بالخلفاء ونعتهم، وكل ما يأتي من

(١) قاله في المواهب اللدنية.

الوحي إليهم بذلك. وخصوصية النبي ﷺ ببقاء بعض المعجزات هو الإعجاز بالقرآن لا غير، لأن الإعجاز بالقرآن باق معه؛ فإن قلت وكذلك التوراة والإنجيل باقيان، فالجواب: هما ليسا للإعجاز وإنما فيهما الأحكام والقصص ونحوهما.

قصة إسلام سراقه

وسراقه هو صاحب القصة مع النبي ﷺ وأبي بكر في هجرتهما، وهي أن قريشا جعلوا ديتهما لمن يقتلهما أو يردهما عليهم، فسمعت الأعراب بذلك فرغبوا فيه.

فلما خرجوا عن أم معبد حادوا عن بني مدلج فرآهم رجل فأتى ناديمهم - وفيه سراقه - وقال: إني رأيت أسوداً ما أراهم إلا محمداً وأصحابه الذين جعلت فيهم قريش ما جعلت، فأومأ إليه سراقه بعينه أن اسكت، وقال: إنما رأيت بني فلان يطلبون ضالة لهم، فقال الرجل: لعله، وسكت. فمكث سراقه في ناديمهم قليلاً ثم دخل بيته، فأمر جاريته أن تقود فرسه إلى وراء أكمة وتسرجه، فلبس لامته وتسليح وجعل رمحه بين رجله وجره إلى أن أتى فرسه فركب بعد أن استقسم بالأزلام فخرج الذي يكره، فشدّ في أثر القوم.

قال أبو بكر: فلما دنا منا قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت فقال ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. فلما كان منا قدر رحمن أو ثلاثة قلت: هذا الطلب وبكيت، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك»؟

فقلت: والله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اكفناه بما شئت»⁽¹⁾ فساخت فرسه إلى بطنها، فوثب عنها وقال: يا محمد هذه كنانتي فخذ منها سهما وإئت به إبلي وغنمي فإنك ستمر بهما وخذ منهما حاجتك، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا حاجة لنا في إبلك ولا في غنمك». وفي حديث سراقه أن فرسه ساخت به ثلاثا والأخيرة خرج في أثر يديها دُخان كأنه إعصار، فنادى بالأمان؛ وكان أبو بكر يكثر الالتفات والنبى ﷺ لا يلتفت. فأخذوا عليه العهد أن يرد عنهم كل من بجهته، وطلب منهم كتابا فيه الأمان له لوثوقه بظهور أمر النبى ﷺ فكتب له عامر بن فهيرة في قطعة من جلد وضمها في كنانته، فلم يزل عنده إلى أن فرغ النبى ﷺ من حنين والطائف أتاه بالجرّانة؛ قال سراقه: فدخلت في كتيبة من الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك ما ذا تريد؟ ولا أبالي بهم.. حتى دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزها فرفعت يدي بالكتاب وقلت: يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقه بن مالك بن جُعشم، فقال صلى الله عليه وسلم: «يوم بر ووفاء، ادنُ مني»⁽²⁾ فدنوت منه وأسلمت ثم تذكرت شيئا أسأل عنه فما ذكرته، إلا أنني قلت: الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال:

(1) متفق عليه.

(2) رواه ابن هشام في السيرة.

«نعم في كل ذي كبد حَرَاءَ أَجْرٌ»⁽¹⁾. فرجعت إلى أهلي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي.

وكان سراقه شاعرا مجيدا وسمع أبياتا يخاطب بها أبو جهل بني مُدَلَج ويسفه فيها سراقه في خبره مع رسول الله ﷺ وركبه - وهم أبو بكر ومولاه عامرُ بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط (وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر على ناقة وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط على ناقة) - فقال سراقه يجيب أبا جهل:

أبا حكم لو كنت والله شاهدا	لأمر جوادي إذ تسبخ قوائمهُ
شهدت ولم تشكك بأن محمدا	رسول ببرهان فمن ذا يقاومه؟
إليك فكف اللّوم عني فإنني	أرى أمره يوما ستبدو معاملة
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأن جميع الناس طرا يسالمهُ

قوله: وأتى في صورته.. إلى آخره: يشير إلى أن قريشا لما أجمعوا على المسير إلى النبي ﷺ في خروجهم إلى بدر - وكانت بينهم وبين بني بكر بن كنانة عداوة - قالوا: كيف نخرج ونترك أرضنا وأموالنا.. نخاف عليها بني بكر، أتاهم إبليس في صورة سراقه بن مالك فقال لهم: أنا خفير لكم، أي جار لكم، من بني بكر فامضوا إلى شأنكم، فطابت نفوسهم لذلك وخرج معهم إبليس يزعمون أنه سراقه إلى أن تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي

(1) رواه البخاري ومسلم.

أَخَافُ اللَّهَ⁽¹⁾، قال السهيلي: قوله "إني أخاف الله" يحتمل وجهين: أحدهما أنه كاذب في قوله - وهو أهل للكذب - والثاني أنه رأى الملائكة فظن أنه يوم القيامة الذي وعد فيه بالعذاب؛ إذ يرى أن الملائكة لا ترى عيانا إلا فيه، فخاف حضور عذابه.

وكان ممن يليه حين قال هذا الحديث الحارث بن هشام فحدث به قريشاً، فكانت قريش كلما رأت سراقاً قالوا: يا سراقاً أنت خرقت الصف وفعلت الهزيمة.. فينكر عليهم، فلما أسلم وقرأ القرآن حقق الخبر. وذلك قول حسان:

سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ حَيْنَهُمُ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينُ الْأَمْرَ مَا سَارُوا
دَلَاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنَّ الْخَبِيثَ لَمَنْ وَالَاهُ غَرَارُ

يقول: من مدج سراقاً بن مالك الذي حلاه، أي ألبسه، عمر رضي الله عنه، لأجل تصديق قول النبي ﷺ في حياته، حُلِيَّ (بضم الحاء وكسر اللام وشد الياء) جمع حَلِيٍّ (بالفتح) وهو ما يتزين به من النقد والجواهر، وهو مفعول ثان لحلاه؛ وسراقاً هذا أتى إبليس في صورته قريشاً يوم خروجهم إلى بدر فخفرهم من فئته، أي أجارهم من قبيلته بني بكر بن كنانة.

ربيعة بن مكرم وقصته مع دريد

وَمِنْ كِنَانَةٍ بَنُو فَرَّاسٍ رَهْطٌ مُكَدَّمٌ وَكُلٌّ قَاسٍ

(1) الأنفال: 48.

بنو فراس (كسحاب): من بني الحارث بن مالك بن كنانة، وهم قبيلة مكدم (كمعظم) والد فارس العرب: ربيعة بن مكدم⁽¹⁾، الذي يضرب به المثل في الفروسة والبأس، ويزعمون أنه يحمي الظعن حياً وميتاً؛ وذلك أنه حين مات كان مريضاً من جذري، فوقعت بنو أسدٍ بحيه، ولم يكن فيه من الرجال غيره إلا القليل، فقاتلهم عن النساء حتى ركب ووقف دونهن على فرسه، وعلم النساء أنه في آخر رمقٍ فسرّنَ والفرس واقفٌ به حتى مات؛ ولم يزل الفرس على هيئته حتى نجا الظعن فتحرك فسقط عنه ميتاً، فقالوا فيه: يحمي الظعن حياً وميتاً!. وقيل طعنه رجل من بني سليم يقال له نبيشة بن حبيب، فلما أحس بالموت أوقفَ فرسه ومات فوقه، ولم يشعر به أحد حتى نجا الظعن⁽²⁾.

(1) ابن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة - وهو جذل الطعان - بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، الكناني.

(2) ومما رثي به، وهو لعمر بن شقيق الفهري - من بني الحارث بن فهر -:

نفرت قلوصي من حجارة حرّة	نصبت على طلق اليمين وهوب
لا تنفري يا ناقٍ منه فإنه	شريبٌ خمرٍ مسعرٍ لحروب
لولا السّفار وبُعْدُ خرقٍ مهمّة	لتركتها تجو على العرقوب
فرّ الفوارسُ عن ربيعة بعدما	نجاهم من غمّة المكروب
يدعو علياً حين أسلم ظهره	فلقد دعوت هناك غير مجيب

إلى أن يقول:

نعم الفتى أدّى نبيشة بزّه	يوم الكديد نبيشة بن حبيب
لا يبعدن ربيعة بن مكدم	وسقى الغواذي قبره بذنوب

ومِمَّا يَحْكِي عَنْ رُبَيْعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ أَنَّهُ خَرَجَ دَرِيدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي فُؤَارِسَ
مِنْ جِشْمٍ يَرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي كِنَانَةَ، فَلَمَّا كَانُوا بِوَادٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ
”الْأَخْرَمُ“⁽¹⁾ رَفَعَ لَهُمْ رَجُلٌ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي مَعَهُ ظُعِينَةٌ، فَقَالَ دَرِيدُ لِفَارِسَ
مِنْ أَصْحَابِهِ: صَحُّ بِهِ أَنْ خَلَّ عَنْ الظُّعِينَةِ وَانْجَ بِنَفْسِكَ - وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ -
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ الْفَارِسُ صَاحَ بِهِ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ، فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ لِلْمَرْأَةِ
وَقَالَ:

سِيرِي عَلَى رَسْلِكَ سِيرَ الْآمِنِ سِيرَ رِدَاحٍ⁽²⁾ ذَاتَ جَاشٍ سَاكِنِ
إِنَّ انْتِنَائِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي إِبْلَى بِلَاءٍ وَاخْبُرِي وَعَايِنِي

فَحَمَلَ عَلَى الْفَارِسِ وَطَعَنَهُ وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَأَعْطَاهُ الظُّعِينَةَ. فَبَعَثَ دَرِيدُ فَارِسًا
آخَرَ لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَ صَاحِبُهُ؛ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ وَوَجَدَهُ صَرِيعًا صَاحَ بِهِ⁽³⁾،
فَتَصَامَمَ عَنْهُ رُبَيْعَةُ فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ فَغَشِيَهُ، وَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ لِلْمَرْأَةِ
وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ الْمُنِيعَةِ إِنَّكَ لَاقِ دُونَهَا رُبَيْعَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ⁽⁴⁾ مَطِيعَةٌ أَوْ لَا فَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيعَةً
وَالطَّعْنَ مِنِّي فِي الْوَغَى شَرِيعَةً

ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ. فَلَمَّا أَبْطَأَ عَنْ دَرِيدٍ، بَعَثَ فَارِسًا ثَالِثًا لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَ

(1) يَسْمَى وَادِي الْأَخْرَمِ (بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالرَّاءِ)، وَالْأَخْرَمُ: جَبَلٌ فِي طَرَفِ الدِّهْنَاءِ.

(2) امْرَأَةُ رِدَاحٍ: عَجْزَاءُ تَامَةِ الْخَلْقِ.

(3) أَيِ بَرِيعَةٍ..

(4) الرِّمَاحُ الْخَطِيئَةُ: تَنْسَبُ إِلَى الْخَطِّ وَهُوَ مَرْفَأٌ فِي بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ.

صاحبه، فلما انتهى إليهما ورآهما صريعين ونظر إلى ربيعة يقود ظعنته
ويجر رمحه قال له: خلّ سبيل الظعينة؛ فقال ربيعة للظعينة: اقصدي قصْدَ
البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ما ذا تريد من شتيم عابسٍ أما ترى الفارس بعد الفارس
أرداهما عامل رمح يابس؟!

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه. ثم إن دريدا ارتابَ وظنَّ أنهم قتلوا
الرجل وأخذوا الظعينة، فلحق ربيعة وقد دنا من الحي - ووجد أصحابه
قتلى - فقال: أيها الفارس إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحًا، والخيّل
ثائرة بأصحابها، فدونك هذا الرمح فإني منصرف إلى أصحابي فمثبطهم
عنك. فانصرف دريدٌ وقال لأصحابه: إن فارسَ الظعينة قد حماها وقتل
فرسانكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه، فانصرفَ القَوْمُ. وفيه يقول
دريدٌ:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	حامي الظعينة فارسا لم يُقتل
أردى فوّارسَ لم يكونوا نهزة ⁽¹⁾	ثم استمر كأنه لم يفعل
متهلّلا تبدو أسيرة وجهه	مثل الحسام جلّته كفّ الصيّقَلِ
يزجي ظعنته ويسحب رمحه	متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوّارس من مخافة رمحه	مثل البغاثِ خشينَ وَقَعَ الأجدَلِ
يا ليت شعري مَنْ أبوه وأمه؟	يا صاح من يك مثله لم يجهل!

وقال ربيعة:

(1) النهزة: الشيء هو لك معرّض كالغنيمة، يقال: فلان نهزة المختلس أي صيد لكل أحد.

إن كان يَنْفَعُك اليقين فسائلي	عني الظعينة يوم وادي الأخرم
إذ هي لأوّل من أتاها نهبة	لولا طعان ربيعة بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة	خل الظعينة طائعا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه	عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابه	فهوى صريعا لليدين وللهم
ومنحت آخر بعده جياشة	نجلاء فاغرة كشدق الأضجم ⁽¹⁾
ولقد شفعتهما بآخر ثالث	وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

ثم لم يلبث بنو كنانة - رهط ربيعة بن مكدم - أن أغاروا على بني جشم - رهط دريد - فقتلوا، وأسروا دريدا فأخفى نفسه؛ فبينما هو عندهم محبوس إذا جاءه نسوة يتهادين إليه فصرخت إحداهن فقالت: هلكتم وأهلكتم، ما ذا جر علينا قومنا! هذا والله الذي أعطى ربيعة رحمه يوم الظعينة، ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا لفراس إني جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم وادي الأخرم. فسألوه من هو فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي؟ فقالوا: ربيعة بن مكدم، قال فما فعل؟ قالوا: قتلته بنو سليم⁽²⁾، قال: فما فعلت الظعينة؟ قالت المرأة: أنا هي

(1) الضَّجْم: عوج في الفم، ويشبه الجرح الواسع بفم الأضجم، وهو المصاب بالضجم.
(2) وفد عمرو بن معد يكرب يوما على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ففاوضه في قبائل اليمن وغنائها في الشدة ومآثرها في الرخاء وذاكره في الحرب والسلاح، إلى أن قال له: هل كععت يا أبا ثور عن فارس لقيته قط؟ قال نعم والله يا أمير المؤمنين ما كنت لأستحل الكذب في الجاهلية فكيف في الإسلام؛ ولقد قلت يوما لجماعة من خيلي - خيل بني زبيد - هل لكم في الغارة؟ قالوا: على من؟ قلت: بني البكاء، فقالوا: مغار بعيد على شدة كلب وقلة سلب، فقلت: على من؟ قالوا: على هذا الحي من كنانة فقد بلغنا أن رجالهم خلوف.

قال: فسرنا حتى أشرفنا على سراة الحي؛ قال: فما أعلمك بأنهم سراة؟ قال: رأيت مذاود خيل وقدورا مبتناة وقبابا حمرا من آدم ونعما كثيرا، فعلمت أن القوم سراة، قال: فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي والمال وكان منتبذاً عن البيوت فلما انتهيت إلى القبة كشفتها فإذا جارية مثل المهابة، فلما نظرت إلي وإلى الخيل تحول في المراح أهوت إلى درعها فشققته وقالت: واثكليه! فقلت: وما لك؟ فقالت: والله ما على نفسي أبكي وإنما أبكي على أتراب لي قد ألفتهم وألفني فأسبى من بينهم وها هن بالوادي، وأشارت إلى واد هناك - وكان ذلك مكيدة منها - فقلت هذه غنيمة من وراء غنيمة.. وركضت فرسي حتى أوفيت على الوادي فإذا رجل أصهب أهدب يخصف نعله وإلى جانبه فرسه وسلاحه، فلما رأيته علمت أن الجارية كادتني بذلك، ولما نظر إلي رمى بالنعل من يده ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى نحو الحي لا يحفل بشيء فتقدمت إليه وطفقت أشجره بالرمح خفقا وأقول له: يا هذا استأسر، فمضى غير مكترث حتى أشرف على الحي فإذا الخيل جائلة في أكنافه فعطف علي وهو يقول:

قد علمت إذ منحتني فاها وألحقتني بكـرة رداها
أني سألوي اليوم من حواها يا ليت شعري ما الذي دهاها

قال: فتلقته وأنا أقول:

عمرو على بعد المدى دهاها جاب المفاوز وقد فلاها
بالخيل يزجها على وجاها حتى إذا حل بها احتواها

ثم حملت عليه وحمل علي فاشتبكنا، فكنت أضربه أحذر من غراب ويضربني أحذر من سنور، فوقع سيفه في قربوس سرجي فقطعه وما تحته حتى هجم على مسح الفرس، ثم ثنى بضربة أخرى فأخطأني وقد رغت لها فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلا، فقلت له: ويحك من أنت؟ فوالله ما ظننت أحدا من العرب يجترئ علي قط إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم للسِّن والتجربة، وعامر بن الطفيل للعجب والخيلاء، وربيع بن مكرم للحدأة والبأس.. فمن أنت ثكلتك أمك؟ فقال: بل أنت ثكلتك أمك من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكرم، قلت:

وأنا امرأته. فحبسه القوم ووامروا أنفسهم؛ فقال بعضهم: لا ينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا، وقال آخرون والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره، فانبعثت المرأة - وهي ربطة بنت جذل الطعان - تقول:

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة	وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه	وإن كان شرا كان شرا مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرمح الطويل المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه	وأهل لأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروا حق نعماه فيكم	ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيا لم يضق بثوابه	ذراعا غنيا كان أو كان معدما
ففكوا دريدا من إसार مخارق	ولا تجعلوا البؤسى إلى الشر سلما

فلما أصبحوا أطلقوه، فكسته المرأة وجهزته ولحق بقومه؛ ولم يزل كافا عن غزو بني فراس إلى أن هلك.

-- >>

يا هذا إني قد صرت راجلا فاختر مني إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجل وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه وإن شئت فالسلم، وأنت يا ابن أخي حدث وبقومك إليك حاجة، قال: ذلك إليك فاختر لنفسك، فاخترت السلم وأخذت بيده حتى أتيت أصحابي وقد حازوا النعم والسبي، فقلت: هل تعلمون أنني ما كععت قط؟ قالوا: نعيذك بالله من ذلك، قلت: فانظروا هذا النعم الذي حزموه فخذوه مني غدا في زبيد فإنه لهذا الفتى، والله لا يوصل إليه بمكروه وأنا حي، فقالوا: لحاك الله من فارس أنسأتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة دافعتنا عنها؛ فقلت: لا بد أن تهوها لي ولربيعة بن مكدم - وقد سميته ليعرفه القوم - فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم، فردوا جميع ما بأيديهم وسالته فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك - [راجع الأصبهاني والمسعودي].

ومر بني فراس: أمُّ رُومان، واسمها زينبُ بنت عويمر بن الحارث، أم ابني الصديق: أمنا عائشة وعبد الرحمن. هاجرت وتوفيت بالمدينة سنة ست، ونزل النبي ﷺ في قبرها واضطجع فيه وأفرشها ثوبه في قبرها وقال: «من أحب أن ينظر إلى امرأة من نساء الجنة - أو قال من الحور العين - فليُنظر إلى أم رُومان»⁽¹⁾، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ومنهم عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان، أمُّ أمنا أم سلمة، وهي إحدى عواتك أبي أمية اللاتي كنَّ تحته؛ وهن أربع: عاتكة هذه وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة وعاتكة بنت عبد المطلب⁽²⁾.

قوله: وكل قاس: يشير إلى نجدتهم وشدة بأسهم؛ قال علي لأصحابه: ليت لي بمائة منكم شيعةً من بني فراس، صرف الدينار بالدرهم!.

وَمِنْ كِنَانَةِ الْأَحَابِيشُ، وَهُمْ إِخْوَةُ بَكْرِ حَارِثُ سَوْقَتُهُمْ
وَالْهُونُ وَالْمُصْطَلِقُ اللَّذَانِ عَلَى بَنِي بَكْرِ يُحَالِفَانِ
وَعِنْدَ حُبْشِيِّ قُرَيْشًا حَالَفُوا عَلَى الْحُلَيْسِ كَبَشِهِمْ تَأَلَّفُوا

يقول ومن كنانة الأحابيش، وهم ثلاث قبائل: بنو الحارث بن عبد مناة

(1) رواه البخاري في تاريخه وابن سعد وابن منده.

(2) لم تذكر الرابعة في واحدة من النسخ التي وقفت عليها، وربما كان الشيخ يئس لها لعدم وقوفه عليها فيما بعد بالتعيين؛ لقوله في روض النهاية: "ولعل الرابعة من ثقيف أم ابنيه: هشام ومسعود الكافرين".

بن كنانة، وذلك قوله: إخوة بكر، أي بكر بن عبد مناة، وبنو الهون بن خزيمة، وبنو المصطلق من خزاعة.

وبنو الهون وبنو المصطلق كانا يحاربان بني بكر ويحالفان عليهم، ولذلك دخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ، ودخلت بكر في حلف قريش؛ وسميت هذه القبائل بالأحابيش لأنهم حالفوا قريشا عند جبل بأسفل مكة يقال له "حُبْشِي" ⁽¹⁾، وتحالفوا على رجل من بني الحارث يقال له الحليس (كزبير) بن علقمة بن الريان، أي كأنهم سودوه عليهم؛ وكبش القوم: رئيسهم. وسوقتهم: جدهم ⁽²⁾.

وتحالفوا أنهم واحد على غيرهم ما سجا ليل ووضح نهار، وما رى حُبْشِي مكانه، فسموا بذلك الأحابيش، وانضموا إلى كنانة لمحافتهم بني الحارث، وهم من أشرف قبائل كنانة.

وَمِنْ كِنَانَةِ الثَّمَانُونَ الْأَلَى أَيْدِيَهُمْ كَفَّ الْمُهَيِّمُونَ عَلَا
وَهُمْ لَفِيفٌ مِّنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ تَمَالَأُوا لِيَغْدِرُوا خَيْرَ نَبِي
فَأَخِذُوا وَأُعْتِقُوا، وَالْعُتْقِي لَهُؤُلَاءِ الْعُتَقَاءُ يَرْتُقِي

الألى (بوزن العلاء): أي الذين. واللفيف: الأخلاط. وقوله: من جميع العرب: فيه تسامح، لأن ظاهره أنهم من العرب كلها وليس كذلك، وإنما

(1) بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وكسر الشين المعجمة بعدها تحتانية.

(2) أي الذي يرجعون إليه في النسب، ولو قال "حارث جد لهم" لكان أوضح [سموط الذهب].

هم من ثلاث قبائل: حمير وسعد العشيرة من قحطان، وكنانة من مضر.
 تمالأوا: تجمّعوا على غدر النبي ﷺ إذ كان بالحديبية؛ خرجوا من التنعيم
 يريدون ذلك، فاستشعر بهم المسلمون فأخذوهم وأتوا بهم النبي ﷺ
 فأعتقهم. وقوله أيديهم: بالنصب مفعول بكفّ. وعلا: صفة للمهيمن تبارك
 وتعالى. والعُتقي الذي يعني: هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي، الفقيه
 المشهور، صاحب مالك بن أنس. وفي القاموس: العُتقيون (كزُفَر): نسبة إلى
 العتقاء: عبد الله بن بشر الصحابي⁽¹⁾ والحارث بن سعيد، المحدث وعبد
 الرحمن بن الفضل، قاضي تدمر وعبد الرحمن بن القاسم، صاحب مالك⁽²⁾؛
 وله مسجد العتقاء بمصر⁽³⁾. وكان أبوه في الديوان، وعنه ورث الأموال التي
 أنفق في كل رحلة له إلى مالك؛ قيل إنه خرج إليه اثنتا عشرة مرة أنفق في

(1) عبد الله (بالرفع): خبر مبتدأ محذوف، أي والعتقاء هم عبد الله بن بشر، وبشر هو في
 النسخ بالشين المعجمة، وليس في الصحابة من اسمه عبد الله بن بشر وإنما فيهم عبد الله بن
 بسر المازني، أحد من صلى إلى القبلتين، وعبد الله بن بسر النضري شامي - [قاله في تاج
 العروس وغيره].

(2) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد الفقيه المصري، روى عن مالك بن أنس
 وبكر بن نصر وعبد الرحمن بن شريح، وروى عنه أصبغ وسحنون وعيسى بن شرود،
 وكان صدوقا بحاب الدعوة كثير التفكير، توفي سنة مائة وتسعين رحمه الله.

(3) وفي الحديث: «الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا
 والآخرة»، فقد ميز قريشا بهذا الاسم لأنه أحسن من العتقاء، والعتقاء جُماعٌ فيهم من
 حَجَرِ حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر ومن غيرهم - [القاموس والتاج]. ومن
 حجر حمير، منهم زبيد بن الحارث العتقي وأبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العتقي
 صاحب تاريخ المغاربة.

كل مرة ألف دينار. وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال: لو قطعت رجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب.

وكان ابن القاسم مع علمه في الرتبة العليا من الصلاح، كان يقول: ما كذبت منذ شددت مئزري. وكان سحنون يكتب عنه مروياته عن مالك ولا يكتب عنه شيئاً حتى يحلفه على أخذه عن مالك؛ فبينما هما يوماً كذلك وهما على البحر وابن القاسم يخيط إذ سقطت إبرة ابن القاسم في البحر، فبقي لا يخيط، إذا بسمكة ناولت ابن القاسم إبرته بفيها فأخذها، فلم يحلفه سحنون بعد ذلك. ورآه سحنون في النوم بعد موته فقال له: ما وجدت؟ فقال: وجدت عند ربي ما أحببت وما وجدت أفضل من تلاوة القرآن، وسأله عن مسائل الفقه فجعل يلاشيها، أي يقول إنها لا شيء.

وصية عبد الله بن شداد لابنه

هنا انتهى ما نظم الناظم من كنانة. ومما بقي عليه من قبائلهم قبيلة من ليث يقال لهم بنو غزوان، منهم شداد بن الهادي الصحابي، سمي أبوه الهادي لأنه كان يوقد النار للأضياف ليهتدوا بها إليه، وهو حليف بني هاشم؛ وابنه عبد الله بن شداد ولد على عهد النبي ﷺ وروى عن أبيه وعن عمر وعنه علي، رضي الله عنهم؛ وهو الذي تُعزى إليه وصية لابنه في النوادر؛ وهي أنه لما حضرته الوفاة دعا ابنا له يقال له محمد فقال له: يا بني إني أرى داعي الموت لا يقلع، ومن مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع؛ وإني موصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله العظيم وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية، في السر والعلانية، فإن الشُّكُورَ

يزداد، والتَّقوى خير زاد، وكن - أي بني - كما قال الخطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خيرُ الزاد دُخرا وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريبٌ ولكن الذي يمضي بعيد

ثم قال: أي بني لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب؛ فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه، وطالب أصبح مطلوبا ما لديه؛ واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن صحب الزمان يرى الهوان، وكن - أي بني - كما قال أبو الأسود الدُّهليُّ:

وعُدَّ من الرحمن فضلا ونعمة عليك إذا ما جاء للعرف طالبُ
وإن امرأ لا يُرتجى الخيرُ عنده يكن هيناً ثِقْلاً على من يصاحب
فلا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاء طالبا فإنك لا تدري متى أنت راغب
رأيت التوا هذا الزمان بأهله وبينهم فيه تَكُون النوائب

ثم قال: أي بني كن جوادا بالمال في موضع الحق، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحرُّ الضنُّ بمكتوم السر؛ وكن كما قال قيس بن الخطيم الأوسي:

أجود بمضنون التلاد وإنني بسرّك عن سألني لظنينُ
وعندي له يوما إذا ما ائتمنتني مكانَ سوداء الفؤاد مَكِينُ
إذا جاوز الإثنين سرٌّ فإنه بنْتُ وإفشاء الوشاة قَمِين

ثم قال: أي بني وإن غلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم محتال، والدني عيال، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، أقل ما تكون في الباطن مالا، فإن الكريم من كَرُمَت طبيعته، وظهرت عند

الانفاد نعمته؛ وكن كما قال ابن حذاق العبدى:

وجدت أبى قد أورثه أبوه خِلالاً قد تعدُّ من المعالي
فأكرم ما تكون عليّ نفسي إذا ما قلَّ في الأزماتِ مالي
فتحسنُ سيرتي وأصون عرضي وتجملُ عند أهلِ الرأيِ حالي
وإن نلت الغنى لم أُغلِ فيه ولم أخصُصْ بحفوتَي الموالي

ثم قال: أي بني وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب إلى من قالها. وكان يُقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل، وكن كما قال حاتم طيئ:

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما أنا مخلف من يرتجيني
وكلمة حاسد في غير جرم سمعت فقلت مري فانفذي
فعابوها عليّ ولم تسؤني ولم يعرق لها يوماً جيني
وذو لونين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يأتيني⁽¹⁾
سمعت بغيه⁽²⁾ فصفحت عنه محافظاً على حسي وديني

ثم قال: أي بني لا تواخ امرأ حتى تعاشره وتتفقّد موارده ومصادره، فإذا استطبت العشرة، ورضيت الخبرة، فواخه على إقالة العثرة، والمواساة في العُسرة؛ وكن كما قال المقنع الكندي:

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنَ فعالهم وتفقد
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فبه اليدين - قرير عين - فاشدد

(1) قال أبو علي: ما ألوت: ما قصرت، وما لوت: ما استطعت.

(2) وفي رواية: سمعت بغيه.

وإذا رأيت - ولا محالة - زلّةً فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال: أي بني إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط؛ فإنه قد كان يقال: أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما؛ وكن كما قال هُدبة بن الخشرم العذري:

وكن معدنا ⁽¹⁾ للحلم واصفح عن الحنا	فإنك راءٍ ما حيت وسامع
وأحب إذا أحببت حبا مقاربا	فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا	فإنك لا تدري متى أنت راجع

(وقد قدمنا هذه الأبيات مثبتة لأبي الأسود الدئلي لكثرة من نقلها كذلك).
ثم قال: وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار، فإنها عار؛ وكن كما قال الشاعر:

اصحب الأخيار وارغب فيهم	رب من صاحبه مثل الجرب
ودع الناس فلا تشتمهم	وإذا شامت فاشتم ذا حسب
إن من يشتم ليما ⁽²⁾ كالذي	يشتري الصفر بأعيان الذهب ⁽³⁾
واصدق الناس إذا حدثهم	ودع الناس فمن شاء كذب ⁽⁴⁾

(1) في رواية: معقلاً.

(2) وفي رواية: إن من شاتم وغداً.. إلخ.

(3) الصفر: النحاس.

(4) ولما ذكر إخوة النضر بن كنانة انخط على عمود النسب، وهو النضر بن كنانة، جد قبيلة قريش - أشرف قبائل العرب - وذكر الخلاف فيمن اسمه قريش هل هو النضر أو سبطه فهر بن مالك بن النضر، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب قريش

قُرَيْشُ النَّضْرِ وَقِيلَ فَهْرٌ وَبِالْبَطَاحِ كَعَبٌ اسْتَقَرُّوا
وَبِالظَّوَاهِرِ سِوَاهُمْ ابْدَعَرُ وَالْحُمُسُ كُلُّ مَنْ عَلَى الْحَمَسَاءِ قَرَّ

قريش: علم على هذه القبيلة المشرفة بسيدنا محمد ﷺ حتى شرفت
بشرفهم جميع عدنان على قحطان، بعد أن كانوا كالموالي لهم.

القول في تسمية قريش

واختلف في من اسمه قريش هل هو النضر - وهو الأصح - ولذلك أتى
الناظم رحمه الله في فهر بصيغة التمريض؛ وقيل لا يسمى قرشياً إلا من
ولده فهر⁽¹⁾. وكتب الأنساب يذكرون أن قريشا اسمُ فهر الذي يسمى به
رأساً، وإنما نبزته أمه بعد ذلك فهراً. ثم اختلف في سبب تسميتهم هذا
الاسم. فعلى أنه النضر ف قيل سمي بذلك لتقرشه على خلات الناس
ليسدها؛ والتقريش التفتيش، قال الحارث بن حلزة في معلقته:

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل لذاك بقاء؟

(1) وللعراقي:

أما قريش فالأصح فهر جماعها، والأكثر النضر

وبطون قريش إنما تفرعت من فهر، سواء على القول بأن قريشا لقب للنضر أو على القول
بأنه فهر؛ فقد ولد فهر أربعة نفر هم: غالب بن فهر - عمود النسب - ومحارب والحارث
ابنا فهر، والثلاثة كلهم أبو بطن، وأسد بن فهر ولم يتفرع منه شيء.

وقيل سمي بذلك لأنه كان نائما في الحجر فرأى في منامه كأن شجرة
خضراء خرجت في الهواء قد بلغ فرعها السماء وامتدت أغصانها شرقا
وغربا وإذا هو أقرب الناس إليها وإذا برجال بيض الوجوه يتعلقون بها،
وسمع قائلا يقول: هذه شجرة قريش لا سحق ولا طيش؛ فقصها على
الكهنة فقالوا له: إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك أشراف الناس
وليسمك الله اسما شريفا. فاتفق أن ركب بحر الهند في سفينة فعرضت لهم
دابة عظيمة من دواب البحر يقال لها قريش، تأكل ما في البحر من حيتانه
وغيرها، وتأكل السفن وأهلها؛ فجزع منها أهل السفينة وخافوا الهلاك
فرماها بسهم فقتلها واحتز رأسها وقدم به مكة فنصبه على أبي قبيس
فسمي بذلك⁽¹⁾. وقيل سموا قريشا لتقرشهم في البلاد، وهو التجارة؛ قال
الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر	ر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تد	ترك فيه لذي الجناحين ريشا
وكذا في البلاد حي قريش	يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي	يكثر القتل فيهم والخموشا

وقيل سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم، أخذا من التقريش؛ وهو الاجتماع.

(1) وقد سأل عمرو بن العاص عبد الله بن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ فقال: بدابة في
البحر تسمى قريشا لا تدع دابة إلا أكلتها، فدواب البحر تخافها، قال المشمرخ بن عمرو
الحميري:

وقريش هي التي تسكن.. إلخ.

قال السهيلي في روضه بعدما ذكر الأقوال: الأصح أنهم سموها باسم صاحب عيرهم: وهو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، كان يقدم بها على الشام فيقولون: قدمت عير قريش، وإذا قدمت على أهلها يقولون: قدمت عير قريش - أي قريش بن بدر - وأبوه بدرٌ سميت به البئر المشرفة، لأنه أول من فطرها، ثم سميت القبيلة باسم عيرها المسماة بالرجل الذي كان يقدم بها ويسوسها.

ثم إن قريشا قسمان: قريش البطاح، وهم بنو كعب بن لؤي⁽¹⁾، وقريش الظواهر وهم بنو عامر بن لؤي وسائر بني فهر وبني الحارث وبني محارب⁽²⁾؛ وذلك قول الناظم رحمه الله: وبالبطاح.. إلخ. وأول من فرق بين قريش البطاح وقريش الظواهر ذكوانٌ مولى عمر بن الخطاب بقوله:

تقاصرت للضحاك حتى رددته إلى حسبٍ في قومه متقاصر
ولو شاهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر⁽³⁾

(1) البطاح: يُراد بها بطحاء مكة، جمعت بما حولها من الأرض، وقريش البطاح هم: بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة وبنو عبد العزى بن قصي وبنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو عدي وبنو جمح وبنو سهم.

(2) والظواهر: يراد بها نواحي مكة، وقريش الظواهر: بنو محارب والحارث ابني فهر وبنو الأدرم بن غالب بن فهر وغيرهم من بني عامر وفهر، إلا أن بني حسل بن عامر دخلوا بعد مكة فصاروا من قريش البطاح، ودخل مكة أيضا رهط أبي عبيدة بن الجراح.

(3) لغطوك حتى لا تنفّس بينهم كما غط في الدوارة المتزاور
ولكنهم غابوا فأصبحت حاضرا فقبحت من حامي ذمار وناصر
فريقان منهم قاطنٌ بطنٍ يشرب ومنهم فريق ساكن في المشاعر

<<=

يعني الضحاك بن قيس، وكان الضحاك بن قيس قصيرا؛ ضربه فلم ينله.
وقوله: سواهم: أي سِوى بني كعب من قريش ومن سكن مكة غيرهم
من خزاعة وكنانة وغيرهما. وابدع: تفرق على ظواهر مكة من جبال
وغيرها. قوله: والحمس.. إلخ: أي اسم الحمس يطلق على سائر سكان مكة
من بني كعب وغيرهم، لأنهم سمو باسم الأرض التي هم عليها وهي
الحمساء وهي مكة، سميت بذلك لحمرة ترابها.

يقول قريش: مَنْ وَلَدَهُ النُّضْرُ وَقِيلَ مَنْ وَلَدَهُ فَهْرٌ - كما قدمنا - ثم
ذكر منازلهم، فقال: أما كعب فاستقرُّوا: أي سكنوا بطحاء مكة، وغيرهم
من قريش تفرق على ظواهر مكة؛ والجميع، من كعب وغيرهم ممن قرَّ:
أي سكن مكة، يقال له الحُمسُ.

قُرَيْشٌ، الْأَنْصَارُ مَعَ مُزَيْنَةٍ، أَسْلَمُ، أَشْجَعُ كَذَا جُهَيْنَةٍ

--- >>

وقد روي في سبب هذا الشعر أن الضحاك هذا كان قد ولَّى ذكوان المذكور سوق
الكوفة، أو عملا غير ذلك، فوجد عليه فأمر به فقرب إليه والضحاك مرتفع على سريره
فجعل يضرب ذكوان بقضيب أو سوط، وكان ذكوان قصيرا فقال له الضحاك: تطاول لا
أم لك حتى أستمك من ضربك! فقال ذكوان في ذلك:

تطاولت للضحاك حتى رددته إلى نسب في قومه متقاصر

قال في نسب الأشراف: معناه حتى ضربني فلؤم في ذلك وبعده. ويروى أنه لما بلغ شعره
معاوية قال: "قاتله الله والله ما زلت أتوقع أن يفرق بعض شعر العرب بين قريش الظواهر
من قريش البطاح". وكانت قريش الظواهر تُغيّر على جيرانها وتغزو غيرهم وتُغيّر قريش
البطاح بترك الغزو - [سموط الذهب].

سَابِعُهَا غِفَارُ: لَا يُسْتَرَقُّ سَبِيُّهَا لِفَضْلِهِ بَلْ يُعْتَقُ

هذه القبائل السبع أربع منها عدنانية وهم: قريش وغفار بن ضمرة بن بكر بن كنانة وأشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومُزينة، وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. واثنان من الأزد وهما الأنصار وأسلم (بضم اللام)، وواحدة من قضاة وهي جهينة⁽¹⁾. ذكر الشيخ محمد اليدالي في ذهبه⁽²⁾ أنه في الحديث⁽³⁾ هكذا، وذكر في كتب الأنساب أنه في بعض الكتب القديمة.

قوله: قريش: مبتدأ خبره: لا يسترَق: أي لا يعبد⁽³⁾، وما بين المبتدأ والخبر متعاطفات بحذف العواطف، مرة بتعويض شيء عنها ومرة بغيره⁽⁴⁾. وقوله: لفضلها: بتأنيث الضمير باعتبار القبائل، وبتذكيره عودا على السبي. وقيل كل العرب لا يسترَق سبيهم لفضلهم على العجم بالنبي ﷺ.

قُلْتُ يستفاد ذلك من فعل النبي ﷺ بسبايا العرب التي سبى إذ لم يسترَق أحدا منهم، بل يعتقه إما برده إلى أهله، كسبايا هوازن والسرايا؛ وإما بالمباشرة بالعتق كبنى المصطلق وسبي بني حاتم. ولم نقف على من

(1) أي كتابه: الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز.

(2) وهو حديث متفق عليه.

(3) يسترَق: بتخفيف القاف للوزن، وأصله يسترَقُّ بتشديدها: من الاسترقاق، وفي نسخة من النظم: لا يسترَق.

(4) فالتعاطفات ست، وحذف العاطف مع تعويض شيء عنه في ثلاث هي مزينة وجهينة وغفار، وحذفه من غير تعويض شيء عنه في ثلاث هي الأنصار وأسلم وأشجع.

استرقه إلا القول بأنه أعطى بنت أم قرفة لخاله حزن بن وهب فأولدها، وأصح منه القول بأنه فدى بها أسيرين من المسلمين كانا بمكة. والله تعالى أعلم.

نسب فهر

وَانْسَبُ لِفَهْرٍ حَارِثًا، مُحَارِبًا وَاَنْسَبُ إِلَى مُحَارِبٍ أَهَاضِبًا
كَرْزُ بْنُ جَابِرٍ ضِرَارُ ذُو الدِّدِ مُزَوِّجُ الْحُورِ مِنْ أَهْلِ أُحُدٍ

يقول وانسب لفهر أصالة: بني الحارث وبني محارب بعد غالب - عمود النسب - ثم بدأ بذكر بعض مشاهير بني محارب وشبَّههم بالجمال تشبيه الأوصاف المعنوية بالذوات الحسية فقال: وانسب إلى محارب أهاضباً: أي رجالاً كالأهاضب، وهي جمع هضبة أو جمع أهضاب؛ وهو جمع هضبة وهي الجبل الصغير. وحسب الرجل تعظيماً إذا شبه بالجبل، صغيراً أو كبيراً. ثم نص على المشبهين بالجمال فقال: كرز بن جابر، ضرار.. وحذف العاطف لجواز ذلك في السَّعة وأولى في النظم.

كرز بن جابر

أما كرز فهو ابن جابر بن حسيك (بالكاف أو باللام) بن الاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر. أسلم بعد الهجرة، وبعدهما أغار على سرح المدينة فتبعه النبي ﷺ حتى بلغ سفوان - واد بناحية بدر - فقاته؛ وهي "غزوة بدر الأولى"، ثم أسلم كرز وحسن إسلامه فاستعمله النبي ﷺ على الجيش الذي بعث في أثر العُرنيين الذين أغاروا على لقاحه صلى الله عليه وسلم وقتلوا راعيه، فأتى بهم مُردِّفهم

وباللقاح. ولم يزل كرز رضي الله عنه مع النبي ﷺ إلى يوم الفتح، فاستشهد سنة ثمان؛ لأنه أخطأ الطريق هو وخنيس بن خالد الخزاعي - أخو أم معبد، صاحبة الشاة - فقتل الكفار خنيسا وكر عليه كرز فوقف عليه وهو يقول:

قد علمت صفراء من بني فهر
نقية اللون نقية الصدر

أني أذود اليوم عن أبي صخر

حتى قتل عليه، (وأبو صخر كنية خنيس). قال السهيلي: انتزع القراء نقل حركة المتحرك في الوقف للساكن قبله من قول كرز فهر و الصدر وصخر في نحو والصبر - [اه-].

ضرار بن الخطاب

وأما ضرار فهو بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو - أكل سقب بكر الآتي ذكره - بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، القرشي. وكان من مسلمة الفتح، ومن شعراء قريش وشجعانهم وفرسانهم وأشرافهم ومن الأربعة الذين وثبوا الخندق.

والدد: اللعب؛ وليس في العربية اسم على حرفين غيره، وثلثة الطرماح في قوله:

واستطربت ظعنهم لما احزأل بهم آل الضحى ناشط من لأعب دد

قوله: ذو الدد.. إلى آخره: يشير به إلى قوله لأبي بكر: نحن خير منكم لقريش فقال أبو بكر: وبم؟ فقال: أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار، وإلى

قوله للأنصار، وقد اختلفت الأوس والخزرج في أيهم أشجع يوم أحد⁽¹⁾
فتحاكموا إليه، فقال: لا أدري ولكني زوجت منكم أحد عشر رجلا من
الخور العين.

أَغْرَى عَلَى شِدَّتِهِ عُمَرُ مَنْ يُنْشِدُ أَنْ يُنْشِدَ شِعْرَهُ الْحَسَنُ

أغرى بمعنى أمر، أي أمر عمر رضي الله عنه - على شدته في الله - من
ينشد أن ينشد شعر ضرار بن الخطاب الحسن. قوله: مَنْ يَنْشِدُ: لَيْسَتْ مَنْ
هنا للعموم وإنما هي خاصة بقوم سمعهم عمر في الحج يغنيهم رباح بن
المعترف بن عمرو المحاربي، فقال: ما هذا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: لا
بأس.. نلهو ونقصر علينا السفر؛ فقال عمر: "فعليلكم إذن بشعر ضرار
بن الخطاب"⁽²⁾.

(1) فمر بهم ضرار فقالوا: هذا شهدا وهو عالم بها..

(2) كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه وكان يأخذ المرباع على قومه، وكان
ضرار هذا يوم الفجار على بني محارب بن فهر. ومن شعره يوم عكاظ في حرب الفجار:

ألم تسأل الناس عن شأننا وما جاهل الأمر كالأخبار
غداة عكاظ وقد أجفلت هوازن في لفها الحاضر
ولما التقينا أذقناهاهم طعاما بصم القنا العاتر
ففرت سليم ولم يصبروا وطارت شعاعا بنو عامر
وفرّت ثقيف وأشياعها بمنقلب الخائب الخاسر

واختلف في تاريخ وفاته فقيل استشهد يوم اليمامة وقيل عاش إلى أن حضر فتح المدائن
ونزل الشام. ويحكى أنه كان مرة في الجاهلية بالسراة من بلاد دوس فوثبت عليه دوس
ليقتلوه بأبي أزيهر الدوسي - الذي قتله هشام بن الوليد بن المغيرة - فمنعته امرأة منهم يقال

<<=

وكان عمر رضي الله عنه ينشد الشعر ويستنشده. وشدة عمر في الله لا تخفى؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر كإبراهيم وهو ألين في الله من اللين - أو قال من اللين (بالياء المثناة) - وعمر كنوح وهو أقسى في الله من الحجر أو أشد»⁽¹⁾، أو كما قال عليه السلام. والضمير في شدته عائد على متأخر لفظا لا رتبة، وهو سائغ؛ قال محمد بن مالك⁽²⁾:

وشاع نحو خاف ربه عمر ...

ومن شعر ضرار بن الخطاب قوله في بدر:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار ان كان معشر أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

إلى أن يقول:

فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر

--- >>

لها أم جميل، وتكنى أيضا بأم غيلان، وأجارتهم منهم، فقال في ذلك:

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ونسوتها إذ هنّ شعث عواطل
فهنّ صرفن الموت بعد اقترابه وقد برزت للثائرين المقاتل
دعت دعوة دوسا فسالت شعابها بعز ولما يبد منهم تحاذل... إلخ.

ولما بويع عمر بن الخطاب بالخلافة ظنت المرأة أن ضرارا أخوه، فأتت المدينة؛ فلما كلمت عمر عرف القصة فقال لها: لست أخاه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه، وأعطاهما على أنها ابنة سبيل - [سموط الذهب].

(1) أخرجه الإمام أحمد.

(2) في الألفية، وبقية البيت: ... وشدّ نحو زان نورّه الشجر

وبالنفـر الأخيار هـم أولياؤه
يُعد أبو بكر وحمزة فيهم
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم
أولئك لا من نتجت⁽²⁾ في ديارهم
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
يحمون في اللأواء⁽¹⁾ والموت حاضر
ويدعى عليّ وسطّ من أنت ذاكر
وسعد إذا ما كان في الحرب حاضر
بنو الأوس والنجار حين تفاخر
إذا عُدت الأنساب كعبٌ وعامر

(القصيدة)

وقوله يوم الفتح يستعطف النبي ﷺ⁽³⁾:

يا نبيّ الهدى إليك لجأحي
حين ضاقت عليهم سعة الأرض
والتقت حلقتا البطان على القو
إن سعدًا يريد قاصمة الظهر
خزرجي لو يستطيع من الغي
فانهينهُ فإنه أسد الأسد
وغير الصّادر لا يهـم بشيء
فلئن أقحم اللّواء ونادى
ثم ثابت إليه من بهـم الخز
لتكونن في البطاح قريش
ي قريش ولأت حين لجاء
ض وعاداهم إله السماء
م ونودوا بالصيلم الصلواء
ر بأهل الحجّون والبطحاء
ظ رمانا بالنسر والعواء
د لدى الغاب والغ في الدماء
غير سفك الدما وسبي النساء
يا حماة اللّواء أهل اللّواء
رج والأوس أنجم الهيجاء
فقعة القاع في أكف الإماء⁽⁴⁾

(1) اللأواء: الشدة.

(2) نتجت: ولدت.

(3) وكان قد دفع اللّواء يومئذٍ إلى سعد بن عبادة فجعل يهزه ويقول: "اليوم يوم الملحمة يوم

تستحل الحرمـة" - يعني الكعبة - فلما رأت قريش ذلك شق عليها وكبر في نفوسها، فقال ضرار:

(4) الفقعة: الكمأة البيضاء الرخوة، ويقال للذليل: أذل من فقّع بقرقرة. ولما سمع رسول الله

وكان ضرار في جيوش الشام، فشرب هو وأبو جندل بن سهيل بن عمرو وضرار بن الأزور الخمر متأولين بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾⁽¹⁾، ثم اعترفوا لأبي عبيدة؛ فاهتم بجلدهم فقالوا: إنك لاق بنا العدو غدا.. فإن أصبنا كفيتنا وإلا فشأنك بنا. فلما كان الغد أصيب ضراران ونجا أبو جندل، فحدّه أبو عبيدة بعد أن كتب إلى عمر بالمدينة بخبره، فأمره أن يحدّه⁽²⁾.

وَانْسُبْ حَبِيبَهُمْ وَذَا الْكُيُودِ أَكَلَ سَقْبَ بَكْرِ الْمَعْبُودِ

الضمير في حبيبهم: يعود إلى بني فهر، لقول الشاعر فيه - وهو شريح

بن الحارث :-

أَلَا كُلُّ مَنْ يَدْعِي حَبِيبًا وَلَوْ بَدَتْ مَرُوءَتُهُ يَفْدِي حَبِيبَ بَنِي فَهْرٍ

هُمَا مَ يَقُودُ الْخَيْلَ حَتَّى كَانَمَا يَطَّانُ بَرَضْرَاضَ الْحَصَا جَا حِمَّ الْجَمْرِ⁽³⁾

وهو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن

--- >>

صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رحمة لهم ورأفة بهم، وأخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد وقال: «بل هذا يوم الرحمة يوم تعظم فيه الكعبة». ومن شعر ضرار:

أَحَقُّ بِالْمَدْحِ مَنْ كُنْتَ مَادِحَهُ مُحَمَّدٌ ذُو الْمَعَالِي خَاتَمُ الرُّسُلِ

بِهِ هَدَانَا إِلَهُ الْخَلْقِ قَاطِبَةً مِنْ الضَّلَالِ وَأَغْنَانَا مِنَ الْعَيْلِ

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلَهَا وَأَفْضَلَ النَّاسِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

(1) المائدة: 93.

(2) سبق ذكر الخلاف في أيهم حدّ وفي أيهم استشهد - (راجع هامش ص 539).

(3) الرضراض: الحصا أو صغارها. وجاحم الجمر: الشديد الاشتعال.

عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، يكنى أبا عبد الرحمن ويقال له حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم وما ينال منهم. ولاه عمر على الجزيرة وضم إليها اذريجان وأرمينية، ثم عزله وولى مكانه عمير بن سعد الأنصاري الأوسي. وبعثه عثمان، هو وسلمان بن ربيعة الباهلي، إلى اذريجان؛ كما روي أن أحدهما مدد لصاحبه فاختلفا في الفيء، فتوعد بعضهم بعضاً؛ فقال رجل من أصحاب سلمان:

فإن تقتلوا سلمان نقتل حبيكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وكان حبيب فاضلاً مجاب الدعوة⁽¹⁾؛ شهد صفين مع معاوية، وبعثه والياً إلى أرمينية، وبها مات سنة اثنتين وأربعين.

قوله: وذا الكيود: أي وانسب إلى بني محارب صاحب الكيود، وهو عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان. ومن كيوده أنه أغار على بني بكر - ولا أدري أبكر بن وائل أم بكر بن كنانة أو غيرهما؟⁽²⁾ - فأصاب سقبا - أي حوارا - كانوا يعبدونه من دون الله، فأكله استهزاء بهم. وهو جد ضرار بن الخطاب، كما ذكرنا في نسب ضرار.

وَمِنْهُمْ ابْنُ قَيْسِ الضَّحَّاكُ حَمٌّ لَهُ بِالْوَزَغِ الْهَلَاكُ

أي ومن بني محارب بن فهر الضحاك بن قيس الصحابي. وحم: قدر.

(1) وكان من أعيان الصحابة، وكان مع معاوية وقد بعثه على جيش لنصر عثمان. فلما بلغ وادي القرى، بلغه قتل عثمان فرجع؛ ولم يزل معه في حروبه.

(2) قال في سموط الذهب: هم بكر بن كنانة كما في نسب الأشراف.

والوزغ: يعني مروان بن الحكم؛ قال فيه النبي ﷺ: «الوزغ بن الوزغ»،
نص على ذلك صاحب الشهاب على الشفاء وأسنده لعبد الرحمن بن
عوف⁽¹⁾؛ وأما ما يزعم بعض الناس أنه خاصٌ بالحكم فلا أصل له.

وقوله: حم له بالوزغ الهلاك: أشار بذلك إلى ما وقع يوم "مرج
راهط". كان الضحاك وزفر بن الحارث الكلابي على جيش عبد الله بن
الزبير، ومروان على جيشه، فهزم جيش ابن الزبير وقتل الضحاك ونجا زفر
بن الحارث، وفي ذلك يقول:

ولما قرعنا النبع بالنبع بعضه	بعض أبت عيدائه أن تكسرا
ولما لقينا عصبة تغليية	يقودون جردا للمنية ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها	ولكنهم كانوا على الموت أصبرا
وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة	عشيّة لاقينا جُذام وحميرا

والضحاك هو ابن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن واثلة بن ثعلبة بن
عمرو بن شيبان بن محارب؛ قيل إنه أبو فاطمة بنت الضحاك، ولا يصح
وإنما هي أخته: فاطمة بنت قيس؛ وهي التي استشارت النبي ﷺ في تزويج
معاوية وأبي جهم بن حذافة فقال: «أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم
فلا يضع العصا عن عاتقه فانكحي أسامة بن زيد»⁽²⁾.

(1) وذكره ابن الأثير.

(2) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد ومالك في الموطأ. والصعلوك (كعصفور): الفقير.
وقوله: لا يضع العصا: كناية عن ضربه للنساء، وأخذ من هذا الحديث الكثير من الأحكام
والفوائد. وكانت فاطمة هذه قبل استشارتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي

وفيه جواز أن يقال في المسلم غير صفته المرضية عند التفتيش عن حاله، وجواز الغاية وليست بكذب إذ مراده بقوله: «لا يضع العصا عن عاتقه» كثرة الضرب، كقوله في فرس أبي طلحة: «إِنْ وَجَدْنَاهُ لِبَحْرًا»⁽¹⁾. وهذا الحديث هو سبب اجتهاد الشافعي وانفراده عن مالك، وذلك أنه أتى رجل يسأل عن من حلف بطلاق زوجته ان البلب لا يسكت؟ فقال الشافعي: اذهب إلى الإمام مالك فاسأله ثم إئتني بجوابه لك، فسأل الرجل مالكا فقال له: تطلق، ثم أتى الشافعي فأخبره، فقال له: لا تطلق، فرجع الرجل إلى مالك وقال له: الغلام القرشي يزعم أنها لا تطلق، فدعاه مالك فقال له: لم تقول ما تقول؟ فقال: لقول النبي ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ»، وقد يضع أبو جهم العصا عن عاتقه وقد يسكت البلب، فقال مالك: "اذهب فاجتهد فعليك حق الأمة".

انتهى الكلام على بني محارب، ثم شرع يتكلم على بني الحارث بن فهر فقال رحمه الله:

وَأَنْسَبُ لِحَارِثِ بْنِ فَهْرِ الْأَمِينِ أَبَا عُبَيْدَةَ الْمُؤَيَّدِ الْمَكِينِ

سَمَّى أَبَا عُبَيْدَةَ "الْأَمِين" لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَاهُ ذَلِكَ الْاسْمَ وَقَالَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ

--- >>

عمر بن حفص بن المغيرة المخزومي فطلقها، وكانت أسن من الضحاك بعشر سنين وفي بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر رضي الله عنه، وكانت ذات عقل وجمال وكمال - [سموط الذهب].

(1) (يعني فرس أبي طلحة) - رواه البخاري ومسلم.

أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة»⁽¹⁾، وسماه المؤيد لقول النبي ﷺ لنصارى نجران حين امتنعوا من الإسلام والابتهاال فقالوا: يا محمد قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نرجع على ديننا ونتركك على دينك، ولكن ابعث معنا من يحكم بيننا في أمور بيننا فإنكم مرضيون عندنا، قال: «نعم أبعث معكم القوي الأمين»⁽²⁾ إئتوني العشيّة». قال عمر: ما أحببت الإمارة قط. جى إياها ذلك اليوم رجاء أن أكون صاحبها، فرجعت إلى الظهر مهجرا، فلما صلى رسول الله ﷺ جعل ينظر يمينا وشمالا، فتشرفت إليه لعله يريدني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة فدعاه فقال: «قم يا أبا عبيدة مع هؤلاء فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة⁽³⁾.

والمكين: أي ذو المكانة، أي المنزلة عند الله. ويعني أيضا بالمؤيد قول الله تعالى فيه وفي أصحابه الآتين قريبا إن شاء الله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾⁽⁴⁾.
وَفِيهِ إِذْ أَهْلَكَ وَالِدًا فَتُونُ أَنْزَلَ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ⁽⁵⁾

(1) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(2) رواه ابن ماجه.

(3) ذكره ابن هشام في سيرته: (205/2).

(4) المجادلة: 22.

(5) الضمير في فيه والمستتر في أَهْلَكَ عائدان على أبي عبيدة المتقدم ذكره، وفتون بالنصب صفة لوالد؛ ووقف عليه بوقف ربعة الذين يقفون على المنسوب المنون بالسكون، ومعناه الذي يفتن الناس عن دينهم، أو بمعنى مفتون. وأنزل: بالبناء للمفعول، ونائب فاعله جملة: لا تجد قوما

أي وفي أبي عبيدة. إذ أهلك: قتل. والدا: أي أباه الجراح - أو عبد الله بن الجراح، على الخلاف⁽¹⁾ - أنزل الله قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽²⁾ إلى آخر السورة.

يقال إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة وأبي بكر ومصعب بن عمير والمبارزين يوم بدر. أما أبو عبيدة فليقلته أباه⁽³⁾ - إن صح - هو المقصود بآبائهم، وأما أبناءهم فأبو بكر أراد أن يبارز ابنه عبد الرحمن يوم بدر، فقال له النبي ﷺ: «متعنا بك يا أبا بكر»، كأنه خاف عليه من عبد الرحمن، لأن عبد الرحمن كان من أرمى قريش ومن أبطاهم؛ وبعد ذلك قال لأبيه: استهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك، فقال أبو بكر: وأنت والله يا بني لو استهدفت لي لقتلتك، وهذا بعد إسلام عبد الرحمن. وأما إخوانهم: فمصعب بن عمير يوم بدر مرّ على الأنصار يأسرون أخاه لأبيه وأمه - أبا عزيز بن عمير - فقال لهم: شدوا أسره فإن له أمّا بمكة ذات مال

-- >>

يؤمنون، وهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية..
(1) قال في الإصابة: أبو عبيدة مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده ومنهم من لم يذكر بين عامر والجراح عبد الله وبذلك جزم مصعب الزبيري في نسب قريش، والأكثر على إثباته.
(2) المجادلة: 22.

(3) قال في الإصابة: جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه فلما أكثر قصده فقتله، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ الآية.. وقيل بل عرقب به فرسه وقتله غيره.

تفديه منه. وأما عشيرتهم: فأهل البراز يوم بدر: عبدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي، قتلوا بني عمهم من بني عبد مناف: عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف - وبه يلتقون معهم - وفيهم أيضا نزلت: ﴿هَٰذَا نَ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾⁽¹⁾. قيل إنهم يوم القيامة يختصمون عند ربهم، يقول الكافر: يا رب هؤلاء قتلونا ونحن نطلب منهم دماءنا، فيقول المسلمون: نحن قتلناهم فيك يا ربنا، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾⁽²⁾؛ يروى أن عليا كان يقول: الله أكبر أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصام.

وقوله: لا تجد قوما يؤمنون: محكي قول نائب أنزل، أي وفيه، لأجل أو حين أهلك أباه، أنزل قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. وفتون: أي يفتن الناس عن دينهم، أو بمعنى مفتون.

أبو عبدة بن الجراح

واسم أبي عبدة: عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، أمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن الحارث بن فهر. وله من الولد يزيد وعمير⁽³⁾ - وانقرضا - ولا

(1) الحج: 19.

(2) الحج: 19.

(3) أمهما هند بنت جابر بن أهيب - أو وهب - بن ضباب بن حُجَير من بني عامر بن لؤي.

عقب لأبي عبيدة غيرهما. وأخوه يزيد بن الجراح أول مسلم تزوج كتابية، تزوج نصرانية حين فتحت مصر.

وأبو عبيدة أحد السابقين إلى الإسلام⁽¹⁾ وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وولاه النبي ﷺ على سرية "الخط" وعلى غيرها، وولاه عمر على جيوش الشام، وعزل خالد بن الوليد؛ وكتب أبو عبيدة ذلك عن خالد، فلما علم عاتب أبا عبيدة وقال له: تدعني أصلي أمامك وأنت أميري!. فلما قدم أبو عبيدة على أهل إيلياء قالوا له: لا نقاتلك ولا نصالحك حتى يأتينا إمامكم الأعظم، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر. فلما قدم عمر على جيوش المسلمين بالشام جعلوا يدخلونه بيوتهم يرونه حسن حالهم وما هم فيه من السعة، فقال عمر لأبي عبيدة: ألا ترني دارك؟ فقال: أخاف أن تقصر عينك. فلم يزل عمر به إلى أن ذهب به إليها، فلما دخلها لم يجد فيها إلا ما كان في بيوت المهاجرين قبل: السرج والسيف ونحو ذلك مما يعد للجهاد، فجعل عمر يبكي أشد البكاء⁽²⁾.

(1) أسلم هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد في ساعة واحدة قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وجميع المشاهد بعدها.

(2) لتذكره عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة. وروي أن عمر قال له: لو اتخذت متاعا، قال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقييل. وكان رضي الله عنه يلبس الصوف الجافي، فقيل له: إنك بالشام ووالي أمير المؤمنين وحولك الأعداء فغير من زيِّك وأصلح من شارتك، فقال: ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - [الإصابة ومروج الذهب وغيرهما].

و[كان] حين قدم عليهم لم يجد أبا عبيدة فقال لهم: أين أخي؟ فقالوا: الساعة يأتيك، فاستبطأه. فقدم أبو عبيدة على ناقة مخطومة بجبل من ليف فقام إليه عمر وهو يقول: مرحبا بأخي. ودخل معهم دارا واسعة فقال: ما تتمنون لهذه الدار؟ فقال بعضهم: أتمنى أن أملأها ذهباً وأنفقه في سبيل الله، وجعل كلهم يذكر منيته.. فقال عمر: لكني أتمنى أن أملأها رجالاً كلهم مثل أبي عبيدة.

وكان رضي الله عنه أهتم وما رىء أهتم أحسن منه؛ وسبب هتمه أنه انتزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ من المغفر يوم أحد، انتزع إحداهما فسقطت معها ثنية وانتزع الأخرى فسقطت الأخرى⁽¹⁾، لأنه تحامل عليها خوف إيلام النبي ﷺ. والهتم والثرم: سقوط الثنتين أو كسرهما أو الثنية والرباعية، قال الشاعر:

هزئت زينب أن رات ثرمي وأن انحنى لتقام ظهري

وبصق أبو عبيدة ليلة في المسجد فلما أتى بيته تذكر تفلته في المسجد فأخذ شعلة نار فخرج بها يسعى حتى أتى المسجد فاستضاء بها على بُصاقه إلى أن وجده فدفنه، فلما دخل بيته قال: الحمد لله الذي لم ييتني متلبسا بخطيئة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت

(1) فحنتا فاه، فكان أهتم - [الاستيعاب].

وجدت عليه إلا أبا عبيدة»⁽¹⁾..

ولا تعد مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه. توفي بطاعون عمّوأس في خلافة عمر، قبيل معاذ بن جبل رضي الله عنهما⁽²⁾.

سَهْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، عِيَاضُ ذُو الْحُرُوبِ أَوَّلُ مَنْ جَازَ إِلَى الرُّومِ الدُّرُوبُ

يعني ومن بني الحارث بن فهر سهل بن وهب بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر. وأخواه سهيل وصفوان شهدا بدرًا واستشهد بها صفوان، وسهيل من سرية ابن جحش الذين قتلوا ابن الحضرمي. واشتهروا بالنسبة إلى أمهم بيضاء واسمها دعد بنت جحدم⁽³⁾ من بني الحارث أيضا. وأما سهل فكنم إسلامه بمكة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک. وقال فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأَنْصار يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - يعني عمر وأبا عبيدة - فبايعوه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، وفي رواية: استخلفت أمين الله وأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسئلت عائشة رضي الله عنها أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه؟ فقالت: أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة. ولما مات أبو عبيدة خطب معاذ بن جبل ثم قال في خطبته: إنكم فجعتم برجل ما أزعم - والله - أني رأيت من عباد الله قط أقل حقا ولا أبر صدرا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء ولا أنصح للعامة منه.

(2) روي أنه انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله بفحل من أرض الأردن من الشام، فأوصى أن يدفن حيث قضى، فصلى عليه معاذ بن جبل ونزل في قبره هو وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس سنة ثمان عشرة، فكان بها قبره، ويقال إنه دفن في غور بيسان.

(3) ابن أمية بن ضبة بن الحارث بن فهر.

وأسر بيدر فشهد له ابنُ مسعود بالإسلام، ومات هو وأخوه سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليهما في المسجد، وقيل مات سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليه في المسجد؛ وأما سهل فلم يمت إلا بعد النبي ﷺ.

قوله: عياض ذو الحروب: أي ومن بني الحارث أيضا عياضُ بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، صاحب حرُوبِ الروم؛ وهو أول من جاز إليهم الدرب⁽¹⁾. افتتح الجزيرة والرقعة، وكان ربيب أبي عبيدة واستخلفه مكانه وأقره عمر⁽²⁾. وفيه يقول ابن قيس الرقيات، حين ذكر أشراف قريش:

[منهم ذو الندى سهيل بن عمرو] عصمة الجار حين حُب الوفاء
وعياضُ منا عياض بن غنم [كان من خير ما أجن النساء]

وعمه عياض بن زهير هاجر الحبشة وشهد بدرًا.

وَعُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ اللَّذْقَالَا: يَا أَهْلَ ذَا الْوَادِي اظْغَنُوا فَسَالَا
وَادِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَنْكُورِ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ فِي الْعُصُورِ

أي ومن بني الحارث بن فهر: عقبة بن نافع بن عبد قيس⁽³⁾، ولد على

(1) الدرب: الطريق بين بلاد العرب والروم جمعه: دروب، وكان عياض هذا صالحا سمحا وهاجر الحبشة الثانية وشهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد، قيل مات بالمدينة سنة عشرين، وقيل توفي بالشام.

(2) وقال: لا أُبْدِلُ أميرا أمّره أبو عبيدة.

(3) ابن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي الفهري.

عهد النبي ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص⁽¹⁾. وكان أميراً بالمغرب.
وقيل لا تصح له صحبة وهو تابعي كبير.

وقصته مع الوادي كما ذكر السيوطي في حسن المحاضرة - وذكرها غيره
حتى اشتهرت - أنه كان في رفقة فأتوا واديا بالقيروان فقالوا: هذا الوادي
لا يكاد أحد ينزله ولا يهبط فيه لكثرة سباعه وهوامه، فنزلوا، فأشرف
على الوادي وقال: اظعنوا يا أهل ذا الوادي فإننا نازلون فيه. فسأل الوادي
بما فيه من كل ما يعرف من السباع والهوام وما لا يعرف، وجعل الدُّبُّ
يجر ولده والأرنبُ وسائر السباع والهوام، كالحيات والعقارب وغير ذلك.
ثم مكثت تلك البلاد من القيروانِ وافريقية أربعين سنة لو طُلبت حية أو
عقرب بأربعين ديناراً ما وُجدت.

قوله: واديه: أضاف له الواديَ لخطابه لما فيه، وسمّعه وطاعته له.
والمعروف والمنكور: أي ما يعرفه الناس وما لا يعرفونه. قوله: من كل ما
يضر: يفهم منه أن ما لا يضر - كالوحش غير العادية - لم تسر عن الوادي.
وفي القصة: فجعل الأرنبُ يجر ولده.

(1) وشهد فتح مصر، ووجهه عمرو بن العاص إلى افريقية سنة اثنتين وأربعين واليا؛ فافتتح
كثيراً من تخوم السودان وكورها في طريقه وعلا ذكره فولاه معاوية افريقية استقلالاً سنة
خمسین وأمده بجيوش كثيرة فأوغل في بلاد افريقية حتى أتى وادي القيروان، فأعجبه؛ فبنى
فيه مسجداً لا يزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة، وأمر من معه فبنوا مساكنهم، ثم سار إلى
"الزاب" و"تاهرت" وتقدم إلى المغرب الأقصى حتى بلغ البحر المحيط. ثم عاد، فلما كان
في طريق العودة قدم جيشه أمامه وبقي في عدد قليل، فغدر بهم الفرنج وقتلوهم بالزاب
رحمهم الله - [الزركلي].

وابنه عبد الرحمن بن عقبة بن نافع ولي إفريقية.

وَالْحَبَشِيُّ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ مَوْلَاهُمُ الْمَشْهُورُ بِالصَّلَاحِ
مِنْ عِلْمِهِ الْغَرِيبِ أَنَّ الْجُمُعَةَ وَظَهْرَهَا، وَرَكَعَتَا الْعِيدِ مَعَهُ
فِي الْيَوْمِ، يُوجِبُ صَلَاةَ الْعِيدِ وَيَكْتَفِي عَنْ ظَهْرِهَا الْمَعْهُودِ
وَعِنْدَهُ أَنَّ إِرَادَةَ السَّفَرِ كَفِعْلِهِ، فَالْقَصْدُ وَحْدَهُ اعْتَبَرُ

يعني: ومن بني الحارث بن فهر بالولاء - ولا أدري لأيهم كان ولاؤه -
الإمام عطاء بن أبي رباح⁽¹⁾ المشهور بالصلاح والعلم والورع وجميع
الأوصاف الحميدة، ومنها - مع غرابة علمه - أنه يزيد على الناس في إكرام
الضيف، بأنه يكرم الأضياف بالجوارى، والظاهر أنه يُمتّعهم بهنّ، ويرى
ذلك مباحاً؛ لأنهن مالٌ والاستمتاع بهن من المنافع كلبن الحلوبة وظهور
المركوبات؛ وتأول العلماء ذلك بأنه يزوجهن منهم أو يعطيهم لهم.

ومن غريب علمه ما ذكر الناظم رحمه الله بقوله: من علمه الغريب.. إلخ..
يعني أنه إذا وافق العيد يوم الجمعة، يُوجب ركعتي العيد المسنونة - أو
المندوبة - وتسقط الجمعة عن أهلها، والظهر عن أهلها؛ أي من تجب
عليهم الجمعة بشروطها تسقط عنهم، ومن لا تجب عليهم - كأهل البوادي

(1) اسم أبي رباح: أسلم بن صفوان الحبشي. ولد عطاء في جند (باليمن) ونشأ بمكة، فكان
من أجلاء الفقهاء بها ومفتي أهلها ومحدثهم. قدم ابن عمر مكة مرة فسأله فقال: تسألوني
وفيكم ابن أبي رباح؟، وتوفي بها سنة مائة وأربع عشرة عن عمر يناهز سبعا وثمانين سنة.

والقرى التي لم تستوف شروط الجمعة - بل فرضهم الظهر، يسقط عنهم، ولا تجب على الكل بعد ركعتي العيد صلاة إلى العصر⁽¹⁾. قوله: وركعتا العيد معه: ذكر الضمير لعوده على الظهر باعتبار لفظ الظهر. وركعتا: مبتدأ خبره: في اليوم، والجملة حالية، وخبر أن: قوله يوجب.

ومن غريب علمه أيضا أن نية السفر لا يحتاج صاحبها إلى الشروع فيه في الفطر، وإنما يعتبر القصد وحده، أي النية الخالصة؛ فمن نوى مثلا السفر

(1) مذهب مالك والشافعي أنه إذا اجتمع عيد وجمعة يخاطب المرأ بهما معا: بالعيد على أنه سنة وبالجمعة على أنها فرض، ولا ينوب أي منهما عن الآخر؛ غير أن الشافعي رخص في تلك الحال لأهل القرى المجاورة للبلد الذي تقام فيه الجمعة في الرجوع إلى قراهم قبل أن يصلوا الجمعة وليس عليهم رجوع لأدائها. وقد اختلف العلماء في صلاة العيد، فعن أبي حنيفة أنها واجبة على الأعيان، وهو أحد أقوال الشافعي وأحد القولين في مذهب أحمد. وواظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالخروج إليها. وذكروا أن من الأدلة على وجوبها أنها مسقطة للجمعة إذا اتفقتا في يوم واحد وما ليس بواجب لا يسقط ما كان واجبا، وفي حديث أبي هريرة عندما اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون». وسأل معاوية بن أبي سفيان زيد بن أرقم قال: هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتماعا في يوم؟ قال: نعم، قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة فقال: «من شاء أن يصلي فليصل» [رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما]. وفي سنن أبي داود ومصنف عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن الزبير أنه قال: عيدان اجتماعا في يوم واحد فجمعهما جميعا بجعلهما واحدا وصلى يوم الجمعة ركعتين بكرة صلاة الفطر ثم لم يزد حتى صلى العصر. وقال الشوكاني في نيل الأوطار تعقيبا على هذه الرواية: ظاهره أنه لم يصل الظهر. وفيه أن الجمعة إذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم يجب على من سقطت عنه أن يصلي الظهر، وإليه ذهب عطاء.

غدا مع أنه قاصد أن يصبح في بيته يصبح مفطرا⁽¹⁾.

أَعْوَرُ أَعْرَجُ أَشَلُّ أَفْطَسُ أَسْوَدُ مِنْ أَنْوَارِهِ يُقْتَبَسُ

ذكر هذه الأوصاف لسيدنا عطاء بن أبي رباح من غير تنقيص⁽²⁾ له، بل استعظاما وتعجبا ممّن هذه أوصافه ويقتبس، أي يستضيء من أنوار علومه وصلاحه وآدابه وعقله، أهل كمال الذوات وغيرهم، لأن المرء بأصغريه: قلبه ولسانه⁽³⁾. والفطس: ميل الأرنبة، قال:

الميل في أرنبة الأنف: فطس ...

وكان الإمام عطاء رضي الله عنه من أكابر التابعين ومن أجلهم⁽⁴⁾، ويروي عنه حازم، وكان أسود لأنه من الحبشة؛ وهم جيل سودّ، منهم بلال بن حمّامة المشهور بالسواد؛ وفيه قال عتاب بن أسيد إذ سمعه يؤذن يوم فتح مكة: أكرم الله أسيدا إذ لم يسمع صوت هذا الغراب! (والحبشة

(1) وافقه الإمام أحمد بن حنبل في ذلك، لأنه لا يشترط اقتران النية بالفعل وقت الوجوب خلافا لغيره، ومراعاة لعروّ المخالفين من دليل صريح قالوا بسقوط الكفارة عمّن أفطر في السفر قبل حصوله.. على خلاف مشهور في ذلك. والله أعلم.

(2) وقد تبع الناظم في ذكره هذه الأوصاف لعطاء بن أبي رباح صاحب الحلة السرا والزرقاني، وغيرهما من مترجميه.

(3) وقد قال الشاعر الحكيم:

وما المرء إلا الأصفران: لسانه ومعقوله، والجسم خلقٌ مُصَوَّرُ

(4) أدرك مائتين من الصحابة - [الزرقاني].

هم بَنَارُهُ بالحسانية⁽¹⁾، والدليل على ذلك قول الشاعر:

ولي حبشية سلبت فؤادي ونفسي لا تنوق إلى سواها
كان شروطها طُرُقٌ ثلاث⁽²⁾ تسير بها النفوس إلى هواها

والشُرْطُ لا تعرف لغير "بَنَارِهِ"، كما هو المشاهد.

ومن بني الحارث بن فهر: وهبٌ وعمرو ابنا أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر. هاجرا إلى الحبشة وشهدا بدرًا معًا⁽³⁾. ومنهم الخُلُج⁽⁴⁾، ومن الخُلج ابن هرمة الشاعر وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة⁽⁵⁾، من شعراء قريش؛ مدح أبا جعفر

(1) الحبشة: جنس من السودان، وسكان بلاد الحبشة، وهي "اثيوبيا" في افريقية الشرقية.

وبنباره: قبيلة من قبائل الزنوج بغرب إفريقيا. والحسانية: لهجة عربية دارجة هي التي يجري بها التخاطب في البلاد الشنقيطية (الموريتانية) وهي من أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى.

(2) الشروط: شقوق على الخدين يفعلها هذا النوع من الناس، من: شرط الجلد: بضعه لاستفراغ الدم ونحو ذلك، وهم يفعلونه لأسباب تجميلية وأخرى يعتقدون فيها.

(3) وشهد عمرو بعدها أحدا وجميع المشاهد بعدها ومات بالمدينة في خلافة عثمان، وكانت عنده أخت أبي عبيدة بن الجراح.

(4) الخُلج: بضمين وبتقديم الخاء المعجمة على الجيم، واسمه قيس بن الحارث بن فهر؛ وسموا بالخُلج لأنهم اختلجوا من قريش، وقيل أصلهم من عدوان فألحقهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحارث بن فهر؛ وقيل لقبوا بذلك لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء فنسبوا إليه - [السهيلي].

(5) ابن الهزيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن عدي بن الخُلج بن الحارث بن فهر الفهري، كان من مخضرمي الدولتين، مدح الوليد بن يزيد ثم أبا جعفر المنصور، وكان الأصمعي يقول: ساقه الشعراء ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة. وله في آل البيت أشعار لطيفة منها قوله:

ومهما ألام على حُبِّهم فإني أحبُّ بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكما ت الدين والسنة القائمه

المنصور بقصيدة، فقال له: احتكم، فقال: تسقط عني حد الخمر، فأبى المنصور ذلك⁽¹⁾، فقال له: تكتب إلى والي المدينة: من أتك بابت هرمة سكرانا فاجلده مائة. فكتب المنصور إلى عامله: "من أتك بابت هرمة سكران فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين". فكان من مرّ به سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين؟! وهاب الناس السعي به إلى السلطان. ومن بني الحارث أيضا عمرو بن شقيق⁽²⁾، من شعراء قريش في الجاهلية وهو القائل:

لا يعدن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذي قبره بذنوب

(الأبيات⁽³⁾)

وسكت الناظم رحمه الله عن بني تيم الأدرم بن غالب بن فهر، وسمي الأدرم لأنه ناقص الذقن، ويقال لبنه بنو الأدرم دون ذكر تيم، وآخرهم ابن خطل الذي أسلم وهاجر ثم ارتد (نسأل الله العافية والموت على الإيمان) ورجع إلى مكة، وكانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ أصحابه بقتله، ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة⁽⁴⁾؛ فوجد كذلك وقتل.

(1) وقال له: هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطله.

(2) ابن عمرو بن فقيم الفهري.

(3) تقدمت في صفحة 614، وتنسب أيضا إلى أبيه شقيق وإلى حسان بن ثابت الأنصاري وإلى

حفص بن الأحنف العامري - من بني عامر بن لؤي - وإلى ابنه كرز بن حفص وإلى ضرار

بن الخطاب بن مرداس الفهري من بني محارب بن فهر.

(4) رواه البخاري ومسلم.

نسب لؤي بن غالب

ولما فرغ من الكلام على بني محارب والحارث ابني فهر، شرع يتكلم على بني لؤي، فبدأ ببني عامر؛ وأخر عمود النسب بني كعب، لصنيعه؛ فقال رحمه الله:

لَابْنِ لُؤَيٍّ عَامِرٍ الْحِجْلُ وَمِنْهُ الْأَعْلَمُ سُهَيْلُ الْعَدْلُ
مِنْ بِنْتِ عُتْبَةَ ابْنِهِ الشَّرِيدَةُ زَوْجِ الشَّرِيدِ أُمَّةٌ مَدِيدَةُ

لؤي بالهمز: تصغير اللا - وهو الثور الوحشي - وبغير الهمز تصغير ما التوى من الرمل. والحسل: ولد الضب. والأعلم: مشقوق الشفة العليا. يقول إنَّ عامرَ بنَ لؤي له الحِسلُ بن عامر، والحسل منه سهيل الأعلم بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن الحسل، كنيته أبو يزيد؛ قال حماسُ بن البكير:

إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمُهُ وَبُوَ يَزِيدٌ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ

(بتخفيف همزة وأبو يزيد، قال السهيلي: فيه حجة لورش في تخفيف أول الكلمة).

سهيل بن عمرو

وسهيل بن عمرو من أشرف قريش البارزين ورجاهم المشهورين، وصالح النبي ﷺ دون سائر قريش يوم الحديبية، فلما رآه النبي صلى الله

عليه وسلم قال: سهل لكم من أمركم⁽¹⁾. قال السهيلي: من للتبويض، لأنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه يصلح بعضه لا كله، لأنهم لم يدخلوا المسجد ذلك العام، ويردون من أتاها مسلما، وغير ذلك مما لم تطب به نفس عمر وغيره.

أسر سهيل يوم بدر، أسره مالك بن الدُخْشُم السَّالِمِيُّ، فجاء مكرز بن حفص فربط نفسه مكان سهيل وأطلقه حتى أتى فداؤه؛ وقال عمر لرسول الله ﷺ: دَعْنِي أَنْتَزِعْ ثِنِيَّ سُهَيْلٍ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خُطِيبًا أَبَدًا⁽²⁾، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك فعسى أن يقوم مقاما تحمده». ولما مات النبي ﷺ وارتد من ارتد من العرب، قام في قريش خطيبا وقال: "إن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم - يعني أبا سفيان - فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم ولكنه جثم على صدره حسدُ بني هاشم". فكان ذلك تصديقا لقول النبي ﷺ لعمر: «فعسى أن يقوم مقاما تحمده»⁽³⁾. وكان بعد إسلامه كثير الصوم

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) وذلك لأن الأعلام إذا نزع ثنيته لم يستطع الكلام.

(3) فكان ذلك من جملة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الأمور المغيبة فكان كما أخبر، ولما فتحت مكة قال صلى الله عليه وسلم لقريش: «يا معشر قريش ما ذا ترون أني صانع بكم؟» فقال سهيل: نقول خيرا ونظن خيرا: أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال صلى الله عليه وسلم: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم».. ولما أسلم سهيل يوم الفتح قال: والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضا.

والصلاة والصدقة والجهاد في سبيل الله؛ خرج نحو الشام مهاجرا بأهله وماله، هو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل، لما سمعوا من النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»⁽¹⁾ قالوا: إن فاتنا إخواننا بسابقة الإسلام وبالهجرة فنبذل أنفسنا وأهلنا في الجهاد فعسى أن نلحق بهم، فخرجوا بأهلهم إلى الشام، فاستشهدوا يوم اليرموك ثلاثتهم⁽²⁾؛ قيل جاء آتٍ بشراب إلى أحدهم ووجده يجود بنفسه فقال: اذهب به إلى فلان فجاء به إليه، فقال: اذهب به إلى فلان، فقال الثالث: اذهب به إلى فلان، فوجده قد مات، ورجع به إلى الثاني ثم إلى الثالث.. كل يجده قد مات، فرجع بشرابه ولم يشرب به واحد منهم.

ولم يبق منهم ولا من أهلهم إلا عبد الرحمن بن الحارث، وفاخته بنت عتبة بن سهيل؛ فقدا المدينة، فقال عمر: "زوجوا الشريد من الشريدة عسى الله أن ينشر منهما أمة مديدة" - فكان ذلك - وأقطعهما أرضا واسعة. والشريد: من لم يبق من أهله غيره.

وهاجر إلى الحبشة إخوة سهيل: السكران وسليط وحاطب - قيل وحطاب - بنو عمرو بن عبد شمس؛ وشهدوا بدرا، وكذلك ابنه عبد الله شهد بدرا؛ وكان محبوسا فخرج مع قريش إلى بدر، يزعمونه على رأيهم،

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) قال في الاستيعاب: قال المدائني: قتل سهيل بن عمرو باليرموك، وقال في الإصابة: قال المدائني: استشهد الحارث بن هشام يوم اليرموك، وفي الإصابة أيضا: قال ابن إسحاق والزبير بن بكار: قتل عكرمة يوم اليرموك.

فلما رأى المسلمين هرب إليهم. وهاجر هو وأخته سهلة بنت سهيل إلى الحبشة مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة في الهجرة الأولى.

وَأَنْسَبَ لِحَسَلِ الْخِرَاشِ الْقَاتِلِ أَجِيرَهُ الْمُطَّلِبِيَّ الْبَازِلَا
حَبْلًا فَجَاءَ حَبْلُهُ بِأَحْبِلٍ وَأَنْسَبَ أَبَا سَبْرَةَ أَيْضًا الْعَلِيَّ

الخراش: هو ابن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل. والمطلبي أجير الخراش: هو عمرو بن علقمة بن المطلب. كان من خبره أنه استأجره في تجارة إلى الشام، فلما كانوا قافلين بينما هم ذات ليلة إذ نفرت إبل خراش فرأى بعيرا غير معقول فقال لعمر: أين عقال هذا البعير؟ فقال: مرّ بي فلان وقد انقطعت غرورة جَوْلَقٍ لَهُ فَأَعْطَيْتَهُ إِيَّاهُ، فقام إليه فضربه على رأسه بهراوة فقتله، وارتحل عنه وبه رمق؛ فمرّت به رفقة من أهل اليمن قاصدّون الحرم للحج أو العمرة، فصاح بهم فعطفوا عليه فقال: أتشهدون الموسم؟ قالوا: نعم، قال: إن وصلتكم الحرم فنادوا في قريش ثم نادوا أبا طالب فقولوا له عمرو بن علقمة يقرئك السلام ويقول لك إن خراشا قتله في حبل!.

فبلغت الرفقة ذلك لأبي طالب، فقال لخراش: ما فعلت بصاحبنا أجيرك؟ قال: مرض بالشام فأحسنّت القيام عليه إلى أن مات. ثم تحاكموا إلى الوليد بن المغيرة فقضى بينهم أن يحلف خمسون رجلا من بني عامر عند البيت ما قتله خراش، فقامت أمّ حويطب بن عبد العزى فقالت لبني عبد مناف: إن ابني يلحقه من مائة ناقة على خمسين رجلا بعيان وأنا أفدي حلفه ببعيرين، فقبلوا منها ذلك؛ فحلفوا. ولم يحل الحول على واحد

منهم إلا حويطب بن عبد العزى. ولم يُحلفوا أبا سبرة، لأنه ابن بنتهم برة بنت عبد المطلب؛ فقال أبو طالب في ذلك⁽¹⁾:

أفي فضل جبل لا أباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك أجيلا

قوله: وانسب أبا سبرة: أي وانسب أبا سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل إلى بني الحسل بن عامر بن لؤي، أمه برة بنت عبد المطلب وأخوه لأمه أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد. ووصفه بالعلي لأنه قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدرا، ثم رجع إلى مكة وسكنها إلى أن مات بها في خلافة عثمان رضي الله عنهما؛ ولم يُعلم أحد من المهاجرين رجع إلى مكة غيره. ومن ولده أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي سبرة، كان من علماء قريش وأشرافهم، أعان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بالمال حين خرج على المنصور، فلما قتل عيسى بن موسى محمد بن عبد الله قيل لأبي بكر: اهرب، فقال: ليس مثلي يهرب، فطرح في حبس المدينة في الحديد، ثم حدث شيء في المدينة فأتاه أهلها وقالوا له: نكسر عنك الحديد، فقال لهم: ليس على هذا فوّت وقالوا له: اصعد المنبر، فأبى وتكلم تحت المنبر، فأمرهم بالسّمع والطاعة لأمير المؤمنين؛ فبلغ ذلك المنصور فبعث جعفر بن سليمان أميراً على المدينة وأوصاه أن يطلقه ويحسن جواره ففعل.

(1) أي في قتل خراش أجيده المطلي في جبل وما ترتب على ذلك.

وانسب هشاماً ناقض الصحيفة مخرمةً ذا الرتب المنيفة

يقول وانسب لبني الحسل هشاما ذا الرتبة المنيفة على غيرها من الرتب، ومنها نقض الصحيفة المشهور في الجاهلية، واحرى في إنافة رتبه بعد أن أسلم وصحب رسول الله ﷺ. ووصفنا هشاما بذا الرتبة وصرفناها عن مخرمة، إذ لا يذكر له إسلام؛ اللهم إلا أن يكون الناظم وقف له على إسلام. ومن إنافة رتبة هشام - أي ارتفاعها - أن من هاجر من المسلمين يودع داره لرجل من المشركين، فمنهم من وفى ومنهم من غدر، ومن وفى هشام، فقال حسان يمدحه:

أخنى بنو خلف وأخنى منقذ⁽¹⁾ وابن الربيع وطار ثوب هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم للحارث بن حبيب ابن شحام

(وشحام اسم جده جذيمة بن مالك بن حسل). وهو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن شحام، وهو من المؤلفة قلوبهم؛ أعطاه النبي ﷺ يوم حنين خمسين بعيراً.

نقض صحيفة قريش

وقصة الصحيفة أن قريشا⁽²⁾ تمالأوا على مقاطعة بني هاشم، وأن لا

(1) الخنوة: الغدرة.

(2) لما رأوا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمناً وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ورأوا إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما وأن الإسلام يفشوا في القبائل.. اجتمعوا وتمالأوا.. إلخ.

يناكحونهم ولا يتركون أحدا يبيع منهم، ويتعرضون للتجار يحبسونهم عنهم؛ ورئسُهم في ذلك أبو جهل ومعهم في ذلك أبو لهب⁽¹⁾، وأخرجوهم عن مكة إلى شعب أبي طالب، وخرج معهم بنو المطلب - مسلمهم وكافرهم - وجميع من أسلم؛ وبلغوا في شعبهم غاية الجهد. ثم قام هشام هذا فقال لزهير بن أبي أمية مُسارًّا له: ويحك يا زهير ما يمنعك أن تسود قريشا آخر الدهر وأنت من بني مخزوم وأمك بنت عبد المطلب من بني عبد مناف؟ قال: ما ذا تريد أن أفعل؟ قال: أخوالك بنو هاشم محصورون في غاية الجهد والجوع وأنت تقدر أن تنقذهم من ذلك، قال: فمن يقوم معي؟ قال: أنا معك - وكان هشام عزيزا في قومه لخُولة له في بني هاشم - فقال زهير: أبغنا ثالثا؛ فجاء إلى المطعم بن عدي فقال له نحو ذلك، قال: ومن يقوم معي؟ قال: أنا وزهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعا؛ فجاء أبا البَختري بن هشام فقال له ما قال للرهِط قبله، فقال له: أبغنا خامسا؛ فجاء إلى زمعة بن الأسود بن المطلب فأجابه إلى ذلك. فتعاقدوا ليلا، فلما كان من الغد اجتمعت قريش في بعض أنديتها وحضرهم الرهِط، فتكلم أبو جهل وقال: كان من أمر بني هاشم كذا وكذا.. فقال له: أحدُ الرهِط كذبت، وقال آخر: كذبت وتكلموا.. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل! - وهو أول من قالها - فقام المطعم بن عدي إلى

(1) وكتبوا ذلك في صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا عليه وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا على أنفسهم.

الصحيفة ليأخذها، فرأوا أبا طالب في رهط هابطين عليهم، فقالوا: هذا أبو طالب ما جاء إلا لأمر، انتظروه في شأنكم. فجاء أبو طالب فقال: يا معشر قريش إن ابني حدثني بشيء إن صدقني فهو صادق فيما يقول وإن كذبتني فشأنكم به، قالوا: ما ذا أخبرك به؟ قال: أخبرني أن صحيفتكم التي كتبتُم علينا بعث ربه عليها دابةً لحِستُ منها كل ما فيها من قطعة رحم⁽¹⁾ وغيرها ولم تُبق إلا ما فيها من اسم الله واسم نبيه⁽²⁾، فقالوا: أنصفت يا أبا طالب، فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق صادقاً؛ فلم يزدهم ذلك إلا عناداً وكفراً!⁽³⁾

أما مخزومة فهو ابن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل، وهو أخو حويطب وأبي رهم؛ وابنه عبد الله بن مخزومة ممن هاجر الحبشة وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه.

حُوَيْطِبًا وَعَبْدَ وَدٍّ عُدَّةً وَابْنَ أَبِي سَرَحٍ لَهُمْ وَسَوْدَةٌ

حويطباً: عطف على هشام بحذف العاطف، أي وانسب هشاماً ومخزومة وحويطباً للحِسل. وقوله: وعبد ود: اشتغال على اختيار النصب. وابن أبي

(1) وظلم وبهتان..

(2) كان فيها لفظ: "باسمك اللهم" على عادتهم، كما أن فيها اسمه صلى الله عليه وسلم؛ وإن كانوا لا يعتقدونه نبياً لشقوتهم.

(3) فمزقها الخمسة المذكورون ولم يعد بها عمل بعد ذلك.

سرح وسودة معطوفان عليه، ويحتمل أن يكون: وابن أبي سرح مبتدأ خبره لهم، وسودة: عطف على ابن أبي سرح، ويحتمل أيضا أن يكون وابن أبي سرح وسودة معطوفين على عبد ود، وهم: متعلق بَعْدَهُ.

يعني أنَّ حويطب بن عبد العزى - أخا مخزمة المتقدم قريبا - وعبد ود وابن أبي سرح وسودة من بني حسل بن عامر بن لؤي، وقد أسلم حويطب يوم الفتح وألفه النبي ﷺ بمائة بعير، وابنه أبو سفيان أمه أم حبيب بنت أبي سفيان، شقيقة أمنا أم حبيبة؛ أمهما صفية بنت أبي العاص، عمه عثمان بن عفان رضي الله عنه. كان حويطب يقول: شهدت بدرا مع المشركين فرأيت الملائكة يقتلون ويأسرون بين السماء والأرض. وهو ممن بعثهم عمر يحدون الحرم، فنصب الأعلام على منتهاه. وشهد حنينا والطائف مسلما، واستقرضه النبي ﷺ أربعين ألف درهم فأقرضه إياها. وعاش مائة وعشرين عاما، وتوفي في آخر خلافة معاوية.

وهو سادس من عاش مائة وعشرين؛ وهم: حويطب هذا ومخزمة بن نوفل الزهري وسعيد بن يربوع المخزومي وحكيم بن حزام وحسان بن ثابت، وسادسهم: من الكتب من يعده حمّن بن عوف - أخا عبد الرحمن بن عوف - الزهري، ومنها من يعده لبيد بن ربيعة؛ ونظمتهم فقلت:

لقد عاش م الأصحاب ستين: ستة	ضلالا وعاشوها على خير مذهب
سعيد بن يربوع، حكيم، حويطب	ومخزمة الزهري وحسان يعرب
وفي العبد خلف في لبيد وحمّن	بهم أتقى الأسوا وأغنم مطلبي

قلت: ولا بد أن يكونوا سبعة، لأن هذين المختلف فيهما كلاهما

اشتهر أنه عاش كذلك بتاريخ إسلامه ووفاته؛ أما لبيد فيذكر ذلك في شعره، إن صح أنه له؛ ويروى عن لبيد أنه لم يقل من الشعر منذ أسلم إلا بيتاً واحداً وهو قوله:

الحمد لله إذ لم يأتيني أجـلي حتى اكتسيتُ من الإسلام سربالاً

وعبدود: هو جد عمرو بن عبدود الذي بارز علياً كرم الله وجهه يوم الخندق فقتله علي؛ وكان فارساً قریش، خلفته عن أحد جراحات أصابته بيدر. فلما كان يوم الخندق خرج مغضباً بفوات أحد له فاقتحم الخندق وطلب البراز من الصحابة، فقام إليه علي بعد لأي، وفيه يقول الشاعر:

عمرو بن عبد⁽¹⁾ كان أول فارسٍ قطع المزداء وكان فارساً يليل

(والمزداء: موضع الخندق، ويليل: وادٍ يصبُّ على بدر وسماء به⁽²⁾).

وابن أبي سرح: هو عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن الحسل، كان أخاً عثمان من الرضاعة، ولذلك استأمن له عثمانُ النبي ﷺ؛ وكان أمر الصحابة بقتله ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، لأنه كان أسلم وهاجر وكتب الوحي للنبي ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة، فلما دخل المسلمون مكة اختفى حتى اطمأنَّ الناس؛

(1) يريد عمرو بن عبدود.

(2) أي أطلق الشاعر يليل على بدر، يريد أن عمراً هذا كان من أبطال المشركين المذكورين يومي بدر والخندق.

فأتى عثمان فاستأمن له النبي ﷺ، وقد أتى به إليه، فسكت صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال: «نعم»، فذهب به عثمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما سكتُ عن الرجل إلا ليقوم إليه أحدكم فيضرب عنقه»، فقال أحد القوم: هلا أومأت يا رسول الله؟ فقال: «لا ينبغي لبي أن تكون له خائنة الأعين»⁽¹⁾، ثم حسن إسلامه، وكان كريما نجيبا؛ واستعمله عمر ثم استعمله عثمان وولاه مصر وفتح إفريقية، ولما بلغه حصارُ عثمان سأل الله أن يميته، وأن لا يميته إلا عقب الصلاة؛ فصلى الصبح بالناس - وكان يسلم تسليمين - فسلم تسليمة التحليل فذهب ليسلم الأخرى، فقبضت روحه بين التسليمتين.

وبنت أخيه - أو بنت عمه - أروى بنت أويس بن سعد بن أبي سرح؛ وهي التي خاصمت سعيد بن زيد في أرض، فقالت للقاضي: قطعني أرضي، فقال سعيد: كيف وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اقتطع شبرا من أرض لمسلم طَوَّقَهُ الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»⁽²⁾، فتركها لها وقال: اللهم إن كانت كاذبة فأدمِّمْ فَقْرَهَا وَأَعْمِ بَصَرَهَا واجعل قبرها في بئرها، فأجيب فيها دعوتُه كلها. وابن أخيها عبد الله بن عمرو بن أويس، أو هو ابن أبي أويس؛ وأبو أويس وأويس أخوان، وهو الذي

(1) رواه أبو داود والنسائي، وفي فتح الباري بلفظ: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث كفت يدي عن بيعته»؟.

(2) رواه البخاري ومسلم.

قدم المدينة على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وهو أميرها - بنعي معاوية، فاستكتمه، وبعثه ليلاً إلى الحسين وعبد الله بن الزبير - لبيعة يزيد - فكلاهما اعتذر بالليل ووعداه بالصباح، ولم يذكر لهما الرسول حاجته إليهما؛ فالتقيا وقال الحسين لابن الزبير: ما ترى حاجته إلينا في هذه الساعة؟ قال: أظن طاغيتهم قد مات - يعني معاوية - فخرج ابن الزبير إلى مكة فدعا لنفسه فبويع له، وخرج الحسين إلى العراق فقتل رضي الله عنه؛ وكان قد نهاه ابن عباس وابن عمر، وقال له ابن عمر: "استودعك الله من قتيل".

قوله: وسودة: يعني أمنا سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن الحسل، كانت عند السكران بن عمرو بن عبد شمس - أخي سهيل بن عمرو - فأسلما وهاجرا إلى الحبشة، فمات السكران وله منها عبد الله، فخلف عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، وغلظ صاحب قرّة الأبصار في قوله: "وهاجرا.. إلخ⁽¹⁾". وكانت رأت في منامها أن رسول الله ﷺ وطئ على ظهرها، فقصتها على زوجها السكران، فقال: إن صدقت رؤياك فأنا أموت ويتزوجك رسول

(1) تمامه: ... في الدين هجرتين جزاهما الرحمن جنتين

وذلك لأن سودة إنما هاجرت مع السكران هجرة الحبشة الأولى فقط، ولم يكن في هجرة الحبشة الثانية منهما أحد، وأما الهجرة الكبرى إلى المدينة فقد هاجرتها وهي في عصمته صلى الله عليه وسلم، لأنه تزوجها بمكة بعد موت السكران.

الله ﷺ. فلما حلت أرسل إليها خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون، فبلغ ذلك أباهما - وكان شيخا مشركا - فغضب. فتزوجها رسول الله ﷺ ثم قدم أخوها عبد بن زمعة - ولم يسلم - فغضب، فلما أسلم بعد ذلك ندم جدا على غضبه ذلك.

وعبد بن زمعة هو الذي خاصمه سعد بن أبي وقاص في عبد الرحمن بن زمعة، وهو ابن وليدة لأبيه؛ وأوصى عتبة بن أبي وقاص سعدا أن يأخذه، فلما كان يوم الفتح أتى سعد ليأخذه وقال: إن أخي أوصاني وقال: إذا قدمت مكة فاقبض ابن وليدة زمعة فإنه ابني، فقال عبد: هو أخي وولد على فراش أبي؛ ف قضى به رسول الله ﷺ لعبد بن زمعة وقال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»⁽¹⁾، ثم قال: «ولكن احتجبي عنه يا سودة». وهذا مدرك جواز الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ فالشريعة: الولد للفراش، والحقيقة: احتجاب سودة عنه، لعلمه صلى الله عليه وسلم أنه ابن عتبة لشبهه به، ولكن حكم بالظاهر لأنه مبعوث به، بخلاف من قبله من الرسل، وذلك لفضله الذي منه الرفق بأمته وسهولة ملته، جازاه الله عنا أحسن ما جازى نبيا عن أمته.

ومر بني الحسل أيضا عالم المدينة ابن أبي ذؤيب، وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذؤيب⁽²⁾.

(1) متفق عليه.

(2) ولما فرغ من بني الحسل بن عامر بن لؤي، أخذ يتكلم على بني عمهم بني معيص بن عامر بن لؤي؛ فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِعَامِرٍ أَيْضًا مَعِيصُ، الْأَعْمَى خَالُ خَدِيجَةَ إِلَيْهِمْ يُنْمَى

معيصُ (كأمير): مبتدأ خبره لعامر. والأعمى: مبتدأ خبره ينمى إليهم.
وخال خديجة: عطف بيان أو بدل من الأعمى. يقول: لعامر بن لؤي من
الولد أيضا غير الحسل: معيصُ. وفي القاموس: معيص (كأمير) قبيلة من
قريش.

عبد الله بن أم مكتوم

ويعني بالأعمى ابن أم مكتوم، واسمه عبد الله - وقيل عمرو - بن قيس
بن زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن
عامر بن لؤي⁽¹⁾، أمه أم مكتوم بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن
مخزوم⁽²⁾، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرارا⁽³⁾، وكان يؤذن له، قال
صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم أذان بلال فكلوا وإذا سمعتم أذان ابن أم
مكتوم فأمسكوا فإنه رجل أعمى لا يقوم حتى يقال له أصبحت

(1) كما في الاستيعاب.

(2) اسمها عاتكة بنت عبد الله، وعنكثة: بمهملة ثم نون ساكنة ثم كاف بعدها مثلثة، قيل
ولدت ابنها عمرا هذا أعمى فسمي مكتوما، لاكتنام نور بصره فكنيت به، وقيل عمي
وهو صغير. وقد أسلم بن أم مكتوم هذا قديما بمكة، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر
مع مصعب بن عمير، كما يأتي في النظم.

(3) في غزواته، فقد استخلفه في غزوة الأبواء وبواط والعشيرة وبدر الأولى وغزوة السويق
وغزوة غطفان وأحد وحمراء الأسد وبحران وذات الرقاع وفي حجة الوداع.

أصبحت»^(١). وكان ابن أم مكتوم يوماً مع رسول الله ﷺ فجاءه عتبة بن ربيعة، فأعرض صلى الله عليه وسلم عن ابن أم مكتوم إلى عتبة - طمعا في إسلامه - فعاتبه الله تعالى بقوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(٢). نزل جبريل على النبي ﷺ ومعه ابن أم مكتوم فقال: يا هذا متى فقدت بصرك؟ فقال: فقدته وأنا صغير، فقال جبريل: ابشر فإن الله تعالى يقول "إذا أخذت كريمي عبي فلا أجازيه إلا بالجنة"^(٣).

وَإِذْ شَكَاَ لِلْمُصْطَفَىٰ أَنْ حَذَفَا ۖ ﴿غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ ۖ جَاءَ الْمُصْطَفَىٰ
مِنْ ثَقَلِ الْوَحْيِ بِهِ مَا بَرَّحَا ۖ بِفَخِذِ ابْنِ ثَابِتٍ وَإِذْ صَحَا
أَمْرُهُ بِكِتَابِهَا فَأَدْخَلَتْ ۖ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ أَنْزَلَتْ

غير أولي الضرر: نائب حذف على أنه مبني للمفعول، ومفعول به على أنه مبني للفاعل، أي حذف النبي ﷺ ﴿غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ في تلاوته إذ لم تكن أنزلت قبل. وجاء المصطفى: جواب قوله وإذ شكا. وما من قوله: ما برحا: فاعل جاء^(٤). وابن ثابت: هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري

(1) رواه مسلم والدارمي.

(2) سورة عبس: 1-2.

(3) رواه الترمذي وأحمد.

(4) ومفعوله: المصطفى بعده، وفاعل كل من صحا وأمره: ضمير مستتر عائد على المصطفى صلى الله عليه وسلم.

النجاري، كاتب الوحي للنبي ﷺ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله⁽¹⁾.
وصحاح: أي النبي ﷺ - من ثقل الوحي - أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن
ثابت فكتب ﴿غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ فأدخلت بين ﴿المؤمنين﴾ و﴿المجاهدون﴾.
يعني أن عبد الله ابن أم مكتوم شكّا إلى النبي ﷺ فضل المجاهدين على
القاعدتين حين نزلت هذه الآية بالمدينة؛ وكان النبي ﷺ واضعاً فخذه على
فخذ زيد بن ثابت وهو يكتب له، فنزل الوحي عليه. وكان زيد يقول:
ما أظن فخذي إلا رُضْتُ من ثقل فخذ النبي ﷺ⁽²⁾؛ وكذلك يكون إذا
نزل عليه الوحي ولا يحمله إلا ناقته الجدعاء، وربما بركت به.

وكان نزول هذه الآية من بركة عبد الله ابن أم مكتوم ورفق النبي ﷺ
بأُمته. ثم لم يقنع ابن أم مكتوم بهذا العذر الصريح النازل فيه، إلى أن
استشهد بالقادسية ومعه لواء المسلمين⁽³⁾.

تنبيه: لم يذكر الناظم رحمه الله من مشاهير بني معيص إلا ابن أم
مكتوم، إذ لم يكثرُوا في الصحابة؛ وها نحن نذكر ما تيسر لنا منهم:
فمن مشاهيرهم مكرز بن حفص بن الأخيف⁽⁴⁾، وهو الذي بعثه
قريش يوم الحديبية - قبل سهيل - يسترد النبي ﷺ، فلما رآه قال لأصحابه:

(1) في الكلام على الأنصار - انظر التكملة: 719/2.

(2) رواه البخاري. ورُضْتُ: من رض الشيء يرضه رضاً: دقّه.

(3) وقيل رجع من القادسية إلى المدينة فمات بها.

(4) (بخاء معجمة وياء مثناة تحتية) ابن علقمة بن عبد الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن
عامر بن لؤي، القرشي العامري المعيصي.

«أتاكم رجل فاجر»⁽¹⁾. وهو الذي قال للصحابه حين أسروا سهيلا:
اجعلوني مكانه حتى يأتيكم فداؤه، وفي ذلك يقول:

فديت بأذواد ثمان سباً فتى ينال الصميم عزها لا المواليا
فقلت: سهيل خيرنا فاذهبوا به لأبياتنا حتى نزيد الأمانيا

وكان شاعرا، ومن شعره:

ولما رأيت أنما هو عامر تذكرت أشلاء الحبيب الملحب⁽²⁾
فقلت لنفسي إنما هو عامر فلا ترهيبه واركي كل مركب
فأجمته سيفي وألقيت كلكلي على بطل شاكي السلاح مجرب
وأيقنت أني إن أنله بضربة متى ما أجلله "الفرافر" يغطب

(والفرافر: اسم سيفه، وعامر رجل من بني الملوح - من بكر كنانة - يقال له عامر بن يزيد، قتل أخا مكرز بن حفص ثم قتله مكرز، وفي ذلك يقول هذا الشعر). ولم يُذكر لمكرز إسلام، إلا ما في نور النبراس: أن ابن حبان ذكر له صحبة. والله أعلم.

ومن بني مَعِيص أيضا حبان ابن العَرَقَة⁽³⁾، والعرقه جدته لأبيه وهي قلابة بنت سعيد بن سهم؛ وسميت العرقه لطيب ريحها. وهو الذي قتل عُمَيْرَ بن الحمام يوم بدر: رماه فأصاب حنجرتَه، ثم قتل يوم الخندق سعدَ

(1) رواه أحمد.

(2) الأشلاء: الأعضاء بعد البلى والتفرق. والملحب: المقطع.

(3) هو حبان بن قيس بن علقمة بن عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن مَعِيص.

بن معاذ⁽¹⁾، رماه في أكحله فقال: خذها وأنا ابن العرقة؛ فقال سعد⁽²⁾:
عَرَّقَ الله وجهك في النار. ومنهم أيضا شديد بن شداد، وهو الذي يقول،
يحرص عبد الملك على خالد بن يزيد بن معاوية حين تزوج خالد آمنة
بنت سعيد بن العاص:

وما يستوي الحبلان: حبل تنكث قِوَاهُ وحبل قد أُمِرَّ شديدُ
إذا ما نظرنا في مناكح خالد عَلِمْنَا الذي ينوي وأين يريد
عليك أمير المؤمنين بخالد ففي خالد عما تُريد صدود

ومنهم العلاء بن وهب⁽³⁾ من مسلمة الفتح، ولاء عثمان، وكانت عنده
أخته لأمه من بنات عقبة بن أبي معيط. ومنهم حميد ابن درة وهو ابن
عمرو بن مساحق واشتهر بأمه درة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة،
وهو ابن خالة خالد بن يزيد بن معاوية. ومنهم بسر بن أرطاة، البطل
الذي قتل أبا عبيد الله بن العباس⁽⁴⁾.

(1) أي أصابه إصابة قاتلة مات منها شهيدا بعد غزوة بني قريظة.

(2) وقيل: قائله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(3) ابن محمد بن وهبان بن خباب بن حجر بن عبد بن معيص، المعيصي شهد القادسية
واستعمله عثمان على الجزيرة وأقام بالركة أميرا وتزوج زينب بنت عقبة بن أبي معيط،
أخت عثمان بن عفان لأمه.

(4) كان بسر بن أرطاة هذا قد استعمله معاوية على اليمن أيام صفين وكان عليه عبيد الله بن
عباس لعلي رضي الله عنه فهرب عبيد الله حين أحس ببسر فنزلها بسر وارتركب فيها أمورا
عظيمة وفعل فيها قضايا شنيعة فيما نقله أهل الأخبار، منها ذبحه طفلين صغيرين لعبيد الله
بن عباس بين يدي أمهما واسمهما عبد الرحمن، وقثم فنال أمهما عائشة بنت عبد المطلب من

عبد الله بن قيس الرقيات

ومنهم الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات؛ سمي بذلك لأنه تشبب بثلاث نسوة كلهن اسمها رقية⁽¹⁾ - فهو إذا وصف عبد الله لا قيس - وهو عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص، وأمه من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة⁽²⁾. ومن شعره قوله حين أتاه نعي ابني أخيه (قتلا يوم الحرة):

إن المصائب بالمدينة قد أوجعني وقرعن مروية
وأتى كتاب من يزيد وقد شد الحزام بسرج بغلتيه
ينعي أسامة لي وإخوته فظللست مستكا مسامعيه
كالشارب النشوان قطره سهل الزقاق تفيض عبرتيه

ويزيد الذي أتى منه الكتاب هو يزيد بن مالك بن ربيعة من بني معيص؛ كتب إليه كتابا فيه مقتل ابني أخيه أسامة وسعد ابني عبد الله الأكبر بن قيس. وكان عبد الله بن قيس مع مصعب بن الزبير في حروبه لعبد الملك

--- >>

ذلك أمر عظيم فأنشأت تقول:

ها من أحس بُنيَّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بُنيَّ اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسرا وما صدقت ما زعموا من قبلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابني مرهفة مشحوضة وكذاك الإثم يقترف

ثم وسوست فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر وتهيم على وجهها - [الاستيعاب].

(1) أو لأن له ثلاث جدات كلهن تسمى رقية.

(2) اسمها قتيلة بنت وهب بن عبد الله؛ كما في تجريد الأغاني.

بن مروان، ويكثر مدح مُصعب، ومنه قوله:

إنما مصعب شهاب من الدِّ ه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملكٌ رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أف لح من كان همُّه الاتقاء

وقوله:

إن يعيش مُصعب فنحن بخير قد أتانا من دهرنا ما نُرجي
جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور الفرنج
يلبس الجيش بالجيوش ويسقي لب البُخت في عِساسِ الخُلنج⁽¹⁾

فلما قتل مُصعب اختفى ابن قيس، ولم يزل عبد الملك يجعل الأفعال لمن يأتيه به؛ وهو في دار امرأة من أهل الكوفة قد أخفته في بيت من دارها وهي تبالغ في إكرامه، فلما طال عليه ذلك قال لها: لا بد لي من لقاء عبد الله بن جعفر بالمدينة، فقالت: أتانا آنفا رسولُ أمير المؤمنين يسأل عنك ولكن انزل عند صلاة المغرب، ففعل؛ ووجدها رحلت له راحلة وعليها ما يكفيه من الزاد والمتاع وكذا من المال. فقصد ابن جعفر فأتاه مستجيرا به، فسار ابن جعفر إلى عبد الملك - وكان صديقا له - فاستحيا أن يواجهه بابن قيس، فاستشفع بأُم البنين بنت عبد العزيز، وهي بنت أخي عبد الملك وزوج ابنه الوليد، فاستأذنت عليه وقالت: يا عمُّ لي إليك أعظم حاجة، فقال: كُلُّ حاجةٍ تسألنيها تقضى إلا ابن قيس، فقالت: هو حاجتي يا

(1) العِساس: جمع عُس وهو القدح أو الإناء الكبير، والخُلنج: شجر (معرّب).

عم، فلطمها على الأنف حتى أرعفها، فخرجت عنه تبكي، فرق لها واستردها وأرضها بابن قيس، وقال لعبد الله بن جعفر: ائتني بابن قيس؛ فأتاه به، فلما دخل عليه⁽¹⁾ أنشده قصيدته التي أولها:

عاد له من كبيرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلثها لا أمم دارها ولا صقب⁽²⁾

إلى أن قال في مدح عبد الملك:

إن الأغرَّ الذي أبوه أبو الـ عاصي عليه الوقار والحُجبُ
خليفة الله في رعيته جفت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
ما نقموا من بني أمية إلـ لا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(وقد غنت جارية الرشيد فقالت: ما نقموا من بني أمية.. فرأت في وجهه الغضب، فقالت:

(1) قال عبد الملك لأهل الشام: أتعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا ابن قيس الرقيات الذي يقول:

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن بُراها العقيلة العذراء

فقالوا: يا أمير المؤمنين: اسقنا دم هذا المنافق، قال: الآن قد أمتته وصار على بساطي وفي منزلي. فاستأذن ابن قيس الرقيات عبد الملك في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

عاد له من كبيرة.. إلخ.

(2) يقال: داري من داره بصقب وأمم أي قريب - [لسان العرب].

... إلا أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العربُ

فسكن غضبه).

فقال عبد الملك لعبد الله بن قيس: تمدحني بالتاج كأني من العجم
وتمدح ابن الزبير بقولك: إنما مصعب شهاب من الله!.. اذهب فلك دمك
ولكن لا يصلك مني معروف أبداً.

فجاء عبد الله بن جعفر فقال: عفا عني وكأنه قتلي، قال: بما ذا؟ قال:
قطع عني العطاء، والشاعر إذا قطع عنه الملك العطاء لم يعيش وما حاجته
في الحياة؟ فقال ابن جعفر: ما ذا كنت تؤمل منه؟ قال: كذا وكذا، قال:
لك عندي ضعفه كل سنة. فجعل ابن قيس ابن جعفر مكان مصعب بن
الزبير في المدح أو أكثر. ومن شعره فيه قصيدته:

تَقَدَّتْ بِي الشَّهَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا صَحْوُهَا وَغَيَارُهَا⁽¹⁾

(1) تقدَّتْ: أي سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطئ. وبعده:

تجود له كف قليل غرارها	تزور امرأ قد يعلم الله أنه
عليك كما أثنى على الأرض جارها	أثيناك نثني بالذي أنت أهله
لكان قليلاً في دمشق قرارها	فوالله لولا أن تزور ابن جعفر
طريق من المعروف أنت منارها	إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم
وفاض بأعلى الرقتين بحارها	ذكرتك إن فاض الفرات بأرضنا
	وحولي مما خول.. إلخ.

والغرار: أن تمنع الناقة درتها. والرقتان: بلدان على الفرات متصلتا البناء.

إلى أن قال:

وحولي لما حول الله هجمة⁽¹⁾ عطاياك منها شولها وعشارها
مباركة كانت عطايا مبارك تمنح كبرها وتنمو صغارها⁽²⁾

وسلم ابن قيس يوماً على ابن أبي عتيق، فقال له: وعليك السلام يا
فارس العمياء، فقال: ما هذه العمياء؟ قال: قولك:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها صحوها وغيارها

وهذه صفة العمياء، قال ابن قيس: أريد جدّها في السير واقتحامها الظلمة،
قال: بيتك إذن يحتاج إلى ترجمان!. وتوفي عبد الله بن جعفر رضي الله
عنه بالصّداع فرثاه ابن قيس بمراثي منها قصيدة يقول فيها:

قال يشكو الصّداع وهو سقيم بك لا بالذي نعت الصّداع
أبن أسماء - لا أبا لك - تنعي؟ إنه خير هالك نفاع

(1) الهجمة: الأربعون من الإبل فما فوق أو ما بين السبعين إلى المائة.

(2) تمنح: تدر في الشتاء، والمناح أي التي يبقى لبنها بعد ذهاب ألبان الإبل، وأمنحت الناقة:
دنا نتاجها.

ومن مدحه لابن جعفر قوله:

إذا زرت عبد الله - نفسي فداؤه - رجعت بفضل من نداه ونائل
وإن غبت عنه كان للود حافظا ولم يك عني في المغيب بغافل
تداركني عبد الإله وقد بدت لذي الحقد والشنآن مني مقاتلي
وأنقذني من غمرة الموت بعدما رأيت حياض الموت جم المناهل
حباني لما جنته بعطية وجارية حسناء ذات خلاخل

تنمة: لم يذكر الناظم رحمه الله للؤي إلا عامراً وكعباً، إذ هما قريش مكة، وغيرهما من بنيہ دخلوا في قبائل العرب؛ وهم سامة وخزيمة⁽¹⁾ والحارث⁽²⁾ وسعد وعوف، على القول بأنه ابنه؛ وذكره الناظم في ذبيان وذكر تذبذبه بين لؤي وسعد بن ذبيان⁽³⁾.

أما سعد بن لؤي فهم بُنانة (بضم الباء وتخفيف النون - كشمامة -) منهم المحدث الزاهد ثابت البُناني⁽⁴⁾ نسبوا إلى حاضنة اسمها بنانة⁽⁵⁾.

وأما سامة فكان بينه وبين أخيه عامر شيء فقفاً سامة عين عامر، فأخافه عامر؛ فخرج سامة إلى عُمان وسكنها، ثم سافر على ناقة فبينما هو يسير عليها إذ وضعت رأسها ترْتَعُ فأخذت حيةً بمشفرها فنهشتها فرفعت رأسها تحكه من الألم فوقعت الحية على سامة فنهشته أيضاً فوقعت

(1) ويقال لبني خزيمة بن لؤي هؤلاء عائدة باسم أمهم وهي امرأة من اليمن أم بني عبيد بن خزيمة بن لؤي، وقيل هي عائدة بنت الخمس بن قحافة من خثعم وبنو عائدة هؤلاء في شيبان بن ثعلبة.

(2) وبنو الحارث بن لؤي هؤلاء هم جشم بن الحارث، وهم في هِزان في ربيعة.

(3) قيل من وَلَدِ لؤي: عوف، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان. ولما مات لؤي خرجت بابنها عوف إلى قومها فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض فتبنى عوفاً، والصحيح ما تقدم في النظم وهو قوله: أو للؤي عوفهم.. إلخ، وعليه اقتصر ابن هشام.

(4) تابعي روى عن خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك. عاش بالبصرة ومات سنة 123 أو 127 هـ - [تهذيب التهذيب: 2/2-4].

(5) وهم في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وبنانة التي ينسبون إليها من بني القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

الناقة إلى جنبها، فلما أحس سامة بالموت قال:

عين فابكي لسامة بن لؤي	علقت ساق سامة العلاقه ⁽¹⁾
لا أرى مثل سامة بن لؤي	يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلغا عامرا وكعبا رسولا	إن نفسي إليهما مشتاقه
إن تكن في عُمان داري فإني	غالي خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤي	حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الخوف يا بن لؤي	ما لمن رام ذاك بالخرق طاقه
وخروس السرى تركت رذيا	بعد جد وجدّة ورشاقه ⁽²⁾

وقد وفد رجل من بني سامة على النبي ﷺ فانتسب له إلى سامة، فقال عليه الصلاة والسلام: «الشاعر؟» فقال له بعض الصحابة: كأنك يا رسول الله أردت قوله: رب كأس هرقت يا ابن لؤي.. إلخ؟ قال: «أجل»⁽³⁾.

نسب كعب بن لؤي

بِمَوْتِ كَعْبٍ أَرَّخُوا لَشَهْرَتِهِ رَدًّا إِلَى الدِّينِ أَهَالِي مَكَّتِهِ
يَدْعُو إِلَى النَّبِيِّ كُلُّ جُمُعَةٍ بِخُطْبِ كُلِّ الرَّشَادِ مُودَعَةٍ

يقول إن قريشا وغيرهم كانوا يؤرخون بموت كعب بن لؤي لشهرته،

(1) العلاقة (بتشديد اللام) المراد بها هنا: الحية التي تعلقت بالناقة.

(2) الرذي: الضعيف المهزول.

(3) ولما فرغ الناظم من بني الحسل وبني معيص ابني عامر بن لؤي شرع يتكلم على بني كعب بن لؤي - عمود النسب - فقال رحمه الله وعفا عنه:

يقولون: كان كذا.. لكذا بعد موت كعب، كتاريخنا الآن بالهجرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - وداموا على ذلك إلى أن قدم عليهم الفيل فأرَّخُوا به، وبينهما خمسمائة وعشرون عامًا. وعام قدوم الفيل هو عام مولد النبي ﷺ، سبقه الفيل بخمسين ليلة. وأضاف مكة إلى كعب لأنه سيد أهلها غير مدافع. وكل الرشاد: مفعول ثان لمودعه. والدين الذي رد إليه كعب أهل مكة هو دين إبراهيم عليه السلام، وهو الحنيفية البيضاء السهلة التي جاء بها النبي ﷺ. قوله: يدعو إلى النبي كل جمعه: يعني أنه كان كل جمعة يجمع أهل مكة، ولذلك سميت الجمعة لجمعه الناس فيها، وكان اسمها العروبة.

وكان يخطبهم؛ ومن خطبه إياهم: أيها الناس اسمعوا، وعوا، وافهموا وتفهموا، ليل ساج، ونهار ضاح، والسماء بناء، والأرض مهاد، والنجوم أعلام، لم تخلق عبثًا فتضربوا عن أمرها صفحا، الآخرون كالأولين، والدار أمامكم، واليقين غير ظنكم، صلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وأوفوا بعهدكم، وثمروا أموالكم، فإنها قوائم مروءتكم، ولا تصونوها عما يجب عليكم، وعظمووا هذا الحرم وتمسكوا به، فسيكون له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم⁽¹⁾.. ثم ينشد أبياتا منها:

صـرـوف وأنباء تقلب أهلها	لها عقدة ما يستحل مريـرها
على غفلة يأتي النبي محمد	فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها

(1) ويأمرهم باتباعه والإيمان به ويخبرهم أنه من ولده.

ثم يقول:

يا ليتني شاهد فحواءَ دعوته حين العشرة تبغي الحق خذلانا

أما والله لو كنت ذا سمع وذا بصر ويدٍ ورجلٍ لَتَنصَّبْتُ فيها تنصب
الفحل، ولأرقلت فيها إرقال الجمل، فرحا بدعوته جدلا بصرخته.

أَبُو عَدِيٍّ وَهْصِيصٌ مُرَّةٌ فَمِنْ عَدِيٍّ قُطْبُهُمْ ذُو الدَّرَّةِ

ذكر أولاد كعب وعَدَّهْم، وبدأ بعدي على هُصيص، لأن منهم سيدنا
وإمامنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأتبعه هُصيصا وآخر عمود
النسب - وهو مُرَّة - لأن ذلك صنيعة، اهتماما به، ولأنه الأصل؛ وتقديم
الفرع على الأصل في مثل هذا أولى. وقطب القوم: سيدهم الذي عليه
مدارهم؛ مأخوذ من قطب الرحي، وهو العود المنصوب فيها الذي تدور
عليه، وقطب السماء نجم ثابت لا يغرب ولا يتحرك عن مكانه ويدور
عليه من النجوم بنات نعش وغيرها. والدَّرَّة: اسم عصا عمر رضي الله
عنه التي اتخذ لتأديب الناس؛ يضرب بها العاصي. ثم اتخذت الملوك بعده
السيف، وأول من اتخذها معاوية، مع سعة حلمه؛ لاستجابة دعوة النبي ﷺ
له حين قال له: «ما يليني منك»؟ قال: بطني، قال: «ملا الله بطنك حلما
وعلما»⁽¹⁾. وهُصيص (كزبير): أبو قبيلتين عظيمتين من قريش هما سهم
وجمح ابنا عمرو بن هُصيص.

(1) رواه الترمذي.

ثم قال رحمه الله:

سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَرُّ الْأَغْرُ أَبُو الْفُتُوحِ نُورُ الْإِسْلَامِ عُمَرُ

السراج: المصباح. والبر (بالفتح): فاعل البر (بالكسر). والأغر: الكريم. ويكنى عمرُ أبا الفتوح لكثرة فتوحاته.

ترجمة عمر بن الخطاب وبعض مناقبه

وأشار في أول البيت وفي آخره إلى ما روي أن عمر أتاه يوما الحسن والحسين، فأمسكهما سائر ذلك اليوم فبالغ في إكرامهما ثم كساهما وأرسلهما، فأتيا عليا فأخبراه فسرَّ بذلك وقال: إني لأعرف في عمر خيرا من هذا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عُمَرُ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ عمر نور الإسلام»⁽¹⁾، فرجعا إليه وأخبراه بما قال أبوهما، فدعا ابنه عبد الله فأمره بكتب هذه الكلمات وأوصاه إذا مات أن يدفنها معه. فلما توفي رضي الله عنه دفن عبد الله معه الورقة، فأصبح مكتوبا على ظهر القبر: "صدق سيدا شباب أهل الجنة وصدق أبوهما وصدق رسول الله ﷺ الصادق المصدوق: عمر سراج أهل الجنة؛ عمر نور الإسلام".

قُلْتُ لا يستغرب مثل هذا في حق سيدنا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إذ هو قطب المسلمين جميعهم لا بني عدي خصوصا، لقيامه بحقوقهم

(1) رواه البزار عن ابن عمر. وابن عساكر من حديث أبي هريرة والصعب بن جثامة. وضعفه السيوطي.

الدنيوية والأخروية ولاتفاق أهل السنة على أن أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر.

ومن قيامه بحقوقهم أنه كان يتحسّس الديار ليجد من به خلّة فيسدها، فسمع ليلة امرأة تقول لابنتها: أوفي اللبن بالماء، فقالت البنت: نهى أمير المؤمنين عن غُشِّ اللَّبَنِ⁽¹⁾، فقالت الأم: مَنْ يُعلم أمير المؤمنين بفعلك؟ فقالت البنت: ما كنت لأطيعه شاهدا وأعصيه غائبا.

فلما غدا قال لأحد بنيه: إني الآن لا أريدُ التزويج فتزوج هذه الجارية. وبينما هو ذات ليلة إذ سمع عجوزا تشكو فاققتها وفاقّة عيالها فأتاها فسألها فشكت له وجعلت تسبُّ أمير المؤمنين، فقال لها: وما يدري أمير المؤمنين بحالك؟ فقالت: مِنْ أَيْنَ لَهُ أن يغفلَ عن حالنا؟ فذهب فأتى بدقيق فأوقد نارا ونفخها فيه وطبخ لها ولصبيانها حتى شبعوا، ثم جعل يلاعبهم ويُركبهم على ظهره على أنه كالدابة لهم.

ويوم قتل أصاب المدينة مثل ما أصابها يوم توفي رسول الله ﷺ حتى كان الصبي يقول لأبيه: يا أبت هل قامت القيامة؟ فيقول: لا ولكن قتل عمر. وخلافته عشر سنين، قدر مدة النبي ﷺ بالمدينة، وعمره ثلاث وستون سنة - مثل عمر النبي ﷺ - إلا أن خلافته زادت على المدة النبوية بستة أشهر، كأنه يبين ويقوّي ويجدد للناس ما شرعه لهم رسول الله ﷺ.

(1) أي خلطه بالماء، يقال: لَبَنٌ مغشوش أي مخلوط بالماء غير خالص.

نسب عمر رضي الله عنه

وهو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح⁽¹⁾ بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص، والحفص ولد الأسد؛ كناه النبي ﷺ به يوم بدر لشدة في أمر الأسارى. وأمه حنمة بنت هاشم بن المغيرة⁽²⁾، وغلط من قال إنها بنت هشام، وهي بنت عم أبي جهل وليست بأخته.

قتله أبو لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبة، وهو مجوسي، وقيل نصراني - فقال لابنه عبد الله: انظر من قتلتني؟ فقال: غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل⁽³⁾ يحاجني بلا إله إلا الله.

ولما طعنه وهو في صلاة الصبح قال⁽⁴⁾ للناس: قتلني الكلب ابن الكلب، فابتدره الناس فجعل يضرب يميناً وشمالاً فطعن اثني عشر رجلاً، حتى ألقى عليه رجل بُرنساً؛ فلما رأى أنه لا يستطيع النجاة نحر نفسه⁽⁵⁾.

فأمر عمر أن يدعى له الطبيب⁽⁶⁾، فقال له: أي الشراب أحب إليك؟

(1) نفيل: بصيغة التصغير. ورياح: بكسر الراء، وقرط: بضم القاف، ورزاح: بفتح الراء والزاي.

(2) ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية.

(3) .. يدعى الإسلام، وفي رواية: بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يحاجني..

(4) أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين هو ذا. فتناوله بيده وقال له:

تقدم صل بالناس، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة. وحمل عمر إلى منزله.

(5) ثم حمل عمر إلى منزله وقال لابنه عبد الله: ائذن للناس، فجعل يدخل عليه المهاجرون

والأنصار فيسلمون عليه ثم قيل له: لو دعوت الطبيب.

(6) فدُعي له طبيب من بني الحارث بن كعب.

قال: النبيذ، فسقاه نبيذاً فخرج من الطعنة⁽¹⁾، فقال له: لا أراك تصلي الظهر فما أنت فاعل فافعله، فجعل الشورى⁽²⁾، وأمر صهييا بالصلاة عليه وأوصى الناس أن يصلي بهم في ثلاث الشورى. ولما احتضر قال لابنه عبد الله - ورأسه في حجره -: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فاستأذنها لي أن أدفن مع صاحبتي فإن أذنت فادفني معهما وإلا فادفني مع أصحابي بالبقيع، واقض عني ديوني⁽³⁾ واستعن عليها ببني الخطاب ثم ببني عدي ثم بقريش ولا تجاوزهم إلى غيرهم، وجعل يقول:

ظلمت نفسي غير أنني مسلم أصلي صلاتي كلها وأصوم⁽⁴⁾

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

-
- (1) .. مُشْكِلًا فسقاه لبنا فخرج من جوفه أبيض، فعلم أنه ميت؛ فقال له: لا أراك.. الخ.
- (2) أي جعل الأمر شورى في ستة هم: عثمان وعلي وابن عوف وسعد وطلحة والزبير، وقال: ما أحد أحقُّ بهذا الأمر من الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، وأجلّهم ثلاثة أيام فاجتمعوا بعد دفن عمر ثم فوض خمسُهم الأمر إلى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختر عثمان وبايعه بمحض من الصحابة فبايعوه بالخلافة وانقادوا له، وكان عثمان أسنهم.
- (3) قيل إنهم حسبوها فوجدوها ستة وثمانين ألفاً أو نحوها - [الخميس].
- (4) ومضى ابن عمر إلى عائشة وسلم واستأذن ثم دخل فوجدها تبكي فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسِي ولأثرنه اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله قد جاء - وكان عمر متطلعاً إليه - فقال: ارفعوني فأسندوه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت، فقال: الحمد لله ما كان شيء من الأمر أهم إلي من ذلك، فلما توفي خرجوا به وصلى عليه صهيب ودفن مع صاحبيه في الحجرة النبوية في بيت عائشة رضي الله عنها.

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَفِي الشَّامِ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِدِي الْخِلَالِ قَبْلَهُ
عَلَى زُهَاءٍ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فِي الْعَامِ يَحْمِلُ عَلَيْهَا الزَّحْفًا
عَلَى بَعِيرٍ رَجُلٌ لِلشَّامِ وَرَجُلَانِ لِلْعِرَاقِ السَّامِي

يعني بالشرق العراق وبالغرب مصر وما والاها من البلاد التي ليست من الشام. وذو الخلال: سيدنا أبو بكر رضي الله عنه. وقوله: ما لم يكن: ما: مبتدأ خبره متعلق له قبله، أي الذي لم يكن قبله لأبي بكر كائن له في الشرق.. إلخ. وزهاء: أي نحو، وتميز العدد بعير محذوف. والزحف: الجيش. والسامي: الرفيع، وصف به العراق لكثرة مياهه وأشجاره ولما فيه أهله من نعيم الدنيا من لبس الحرير وكثرة الأموال؛ وهو من عبّادان إلى الموصل طولا، ومن القادسية إلى حلوان عرضا. والشام: تقدم.

يعني أن عمر رضي الله عنه كل عام يجهز الجيوش إلى العراق والشام، أما الشام: فيحمل على بعير رجلا واحدا، لتباعد المياه في الطريق إليه ولوعر الأرض دونه وصلابتها، ومنها الدُّرُوبُ التي لا تسكن. وأما العراق: فيحمل على بعير رجلين، لتقارب المياه في الطريق وسهولة الأرض.

أما الشام فأهله الروم وملوكهم القياصرة، وأقر على جيوشه أمراء أبي بكر قبله إلا خالد بن الوليد - الذي هو أمير على الأمراء - عزله وجعل مكانه أبا عبيدة. وأما العراق فأهلها الفرس وملوكهم الأكاسرة، وأول أمرائه لها أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي - والد صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر، وهو أيضا والد المختار الكذاب - فكان منه يوم جسر أبي عبيد، استشهد فيه هو وألف وثمانمائة من المسلمين، وقيل أربعة

آلاف، بين قتيل وغريق، ثم أمر المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجلي، وأصيب المثنى. ثم قدم سعدا ابن أبي وقاص وقال له: لا يغرنك أنك خال رسول الله ﷺ وصاحبه؛ ففتح الله على يديه في القوادس، ولم يزل يتبع فلولهم حتى لم يبق منهم إلا من بأيدي المسلمين بالملك أو بالإسلام. وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم، لإخباره به بقوله: «فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدهما ولا كسرى»⁽¹⁾، وإجابة دعائه عليهم: - حين مزق ملكهم كسرى أبرويز كتابه - «مزق كتابي مزق الله ملكه»⁽²⁾.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ
لِخَيْرِ أُمَّةٍ وَكُلِّ الْخُلَفَاءِ
لَا يَتَشَوَّفُونَ لِلْكَرَامَةِ
وَقَلَّ مَنْ بِالْكَشْفِ مِنْهُمْ اشْتَهَرَ
مُحَدَّثٌ وَأَنَّ ذَلِكَ يُرَى
مُكَاشَفٌ لَهُ وَصَحْبُ الْمُصْطَفَى
لِلْكَشْفِ بَلْ لَنَيْلِ الْإِسْتِقَامَةِ
وَبَعْدَهُمْ عَلَى الْخَلَائِقِ ظَهَرَ!

أتى بمعنى الحديث دون لفظه، وهو: «كان فيمن قبلكم محدثون فإن كان فيكم فعمرو»⁽³⁾ أو كما قال صلى الله عليه وسلم، والمحدث: من

(1) ذكره ابن الأثير.

(2) رواه أحمد.

(3) وفي رواية: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمرو» - [رواه البخاري عن أبي هريرة].

تتكلم الملائكة على لسانه فيحدث هو بذلك⁽¹⁾.

قوله: وكل الخلفاء مكاشف له: أما أبو بكر فمما ظهر من مكاشفاته قوله لعائشة: "ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى" فكان كذلك. وأما عمر فممنه قصة سارية المتقدمة. وأما عثمان فممنه قوله لأنس بن مالك وقد دخل عليه، وكان ينظر في محاسن إحدى زوجات عثمان: يدخل علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنى، فقال أنس: أَوْحِيَّ بعد رسول الله؟! فقال: لا ولكن فراسة المؤمن. وأما علي فممنه ما روي أن معاوية أمر عمرو بن العاص أن يحتال لعلّي حتى يعلم من عنده أيهما - أي علي ومعاوية - الأول يموت، لما يعلمان من مكاشفاته؛ فجاء عمرو وقال له: أحسن الله عزاءك في ابن عمك معاوية، فقال علي: ما كان معاوية ليموت قبلي.

والصحابة رضوان الله عليهم لا يرون الكشف دليلاً على الكرامة - أي الولاية - وإنما يستدلون عليها بظهور الاستقامة، كسلمان وحذيفة وأبي ذر وأشباههم. وَقَلَّ من الصحابة من اشتهر بالكشف، لكن لما ذهبوا ظهر على الأولياء، حتى كان في هذا الزمان أشرف من العلم المعمول به والصلاح والاستقامة، والخلق مشغول بالغيب.. واعمراه!!

بعض موافقات عمر رضي الله عنه

ومن تحديث عمر: موافقاته للوحي مرارا وكذلك للصواب، قال رضي

(1) وقال الأبي: محدثون أي تكلمهم الملائكة لرواية "مكلمون"، وقيل معناه يجري الصواب على ألسنتهم.

الله عنه: وافقني ربي في ثلاث⁽¹⁾: في أسارى بدر وفي نزول الحجاب وفي نساء النبي ﷺ. أما أسارى بدر فأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم وجد في ذلك، بخلاف أبي بكر؛ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَرَّجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾ موافقة لإشارة عمر. وأما نزول الحجاب فسببه أن عمر دخل على النبي ﷺ فوجده مع عائشة يأكلان حيساً فأمره أن يأكل معهما، فمس إصبع عائشة فقال: حَسَّ⁽³⁾ وددت لو أطاع فيكُنَّ، فنزلت آية الحجاب⁽⁴⁾. وأما نساء النبي ﷺ فدخل عليه حين آلى من نسائه فقال: يا رسول الله إن طلقتهن فالله معك وجبريل وأنا وأبو

(1) صحيح البخاري.

(2) الأنفال: 67.

(3) حس (بفتح الحاء المهملة وتشديد السين والبناء على الكسر): كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة، كالجمرة والضربة ونحوها؛ وفي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حين قطعت أصابعه يوم أحد قال: "حَسَّ" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة يسري في مسيره إلى تبوك فسار بجنبه رجل من أصحابه ونعسا فأصاب قدمه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "حَسَّ". فهي من أسماء الأصوات المبنية وتقال عند التوجع - [لسان العرب وغيره].

(4) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: 53). وروى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع - الحديث - وفيه: "قلت: يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الآية.

بكر⁽¹⁾. ووافق الوحي والصواب في غير هذا، قال ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»⁽²⁾.

آخِرُ مَنْ أَسْلَمَ عِنْدَ الْأَرْقَمِ وَأَخْرَجَ الْقَوْمَ وَلَمْ يُنْتَقَمْ
مِنْهُمْ، كَمَا وَقَعَ لِلْعَتِيقِ وَالْقَوْمِ مِنْ أَدَى وَمِنْ تَمْزِيقِ

(1) فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآية (التحریم: 4). وفي القرطبي عن عمر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت في وجهه الغضب فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله عز وجل يصدق قولي الذي أقول فنزلت آية التخيير: ﴿عَسَى رَبُّهُ أَنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ..﴾ (التحریم: 5) ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ..﴾ - الآية.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده. ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ - [القرطبي].

(2) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والبخاري عن أبي هريرة. وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي الله عنهم. وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر.

وَعَزَّ الْإِسْلَامُ بِهِ وَوَتَرَا عُتْبَةَ مِمَّا بِالْعَتِيقِ مَكْرًا

يعني أن عمر رضي الله عنه هو آخر من أسلم من الرجال والنساء في دار الأرقم بن أبي الأرقم، التي أسلم فيها أربعون - كما يأتي - قيل رجالا وقيل بين الرجال والنساء⁽¹⁾، فلما أسلم أخرج من فيها من المسلمين من الاختفاء، وكانوا محتفين عن قريش خوف تعذيبهم بالأذى والضرب حتى يفتنوه عن دينهم. والقوم: الصحابة، فلما أخرجهم لم يقدر أحد من قريش أن ينتقم منهم كما فعلوا بالسابقين، كأبي بكر وغيره، من الأذى وتمزيق الثياب والأعراض والأبدان، لعز الإسلام بعمر وحمزة، وكان أسلم قبله قريبا.

قوله: ووتر عتبة: أي انتقم منه، بسبب مكره بأبي بكر في اليوم الذي قبل إسلام عمر - أو إسلام حمزة - وهو أنهم أرادوا رسول الله ﷺ بالأذى فقام أبو بكر دونه فضربوه وصفعه عتبة بن ربيعة صفعة أغمى عليه منها يوما وليلة وقومه من بني تيم جلوس عنده، وحلفوا أنه إن مات ليقتلوه عتبة. فلما أفاق كان أول كلامه أن سألهم عن النبي ﷺ، وأبى أن يطعم ذواقا أو شرابا حتى يلقي رسول الله ﷺ ليعلم ما ناله من أذى قريش.

فلما أسلم عمر تعرض لعبة فصفعه على الوجه صفعة أشد من صفعته

(1) في الاستيعاب والحلة السيرا أنه أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. وكان إسلامه في العام الخامس - وقيل السادس - من النبوة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام - [سموط الذهب].

لأبي بكر، فمن حينئذ لم تصل قريش إلى أذى النبي ﷺ وأصحابه، لعز الإسلام بعمر وحمزة. وكان خباب بن الأرت يقول: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر⁽¹⁾.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

وكان بدء إسلامه فيما يروى عن ليلى بنت أبي حثمة العدوية، زوج عامر بن ربيعة العنزي حليف بني الخطاب، أنها قالت: إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه، وكنا نلقى منه الشدة علينا والأذى والبلاء فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قالت: فقلت: نعم؛ والله لنخرجن في أرض الله.. آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً، فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى -

(1) وعن ابن عباس أنه لما أسلم عمر قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيننا؟ قال: «بلى» قال: فقيم الاختفاء؟ قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في صَفَيْنِ في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة، فسمّاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. وقال المشركون: قد انتصف القوم منا. وقال ابن مسعود: كان إسلام عمر فتحاً وهجرته نصراً وإمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت، حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسيلنا. وقال حذيفة: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة، فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا ضعفاً. وقال صهيب: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودُعي إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقاً وطفناً بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: والله لا يُسلم حتى يُسلم حمارُ الخطاب! يأساً منه لما كان يرى من غِلظته وقسوته عن الإسلام - (انتهى ما روي عن بنت أبي حثمة).

وكان إسلام عمر بعد خروج أهل الحبشة. وسببه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما، وكان نعيم بن عبد الله النحام - من بني عويج بن عدي - قد أسلم وكان يستخفي بإسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن؛ فخرج يوما عمر متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه، قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبو بكر وعلي في رجال من المسلمين؛ فلقيه نعيم فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامهم وعاب دينهم وسب آلهتهم فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتقيم أمرهم؟ قال: أي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما. فرجع عامدا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها "طه" يقرئهما إياها، فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في مخدع في البيت، وأخذت فاطمة الصحيفة وجعلتها

تحت فخذها وقد سمع عُمر هينمة خباب، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت عندكم؟ قالوا: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه؛ وبطش بختنه فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها. فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وارعوى وقال لها: اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأونها آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتباً - فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها عليها إذا قرأها، فلما قال لها ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسُّه إلا المطهرون، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها "طه" فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع خباب ذلك الكلام خرج إليه فقال: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد قبل دعوة نبيه فيك فإني سمعت رسول الله ﷺ أمس يقول: «اللهم أيد هذا الدين بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب»⁽¹⁾ فالله الله يا عمر، قال: دُلّني يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم، فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه رهط من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب

(1) وفي رواية: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» - [رواه الترمذي وذكره ابن سعد في طبقاته].

عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلال الباب فرآه متوشحاً بالسيف فرجع وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة: فإذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «إذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ مجمع رداءه وجذبه جذبة شديدة وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله فيك قارعة؟»، فقال: يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عنده، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فتفرقوا من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم بإسلام حمزة وعمر وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ.

**أَوْلَادُهُ: عَوَابِدُ الرَّحْمَانِ وَعَاصِمٌ، زَيْدٌ وَزَيْدُ ثَانٍ
عَبْدُ الْإِلَهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ عِيَاضُ تَاسِعُ بَنِي الْأَوَاهِ**

عوابد: جمع عابد وقد يسمى به عبد الرحمن. قوله: تاسع بني الأواه: عدّهم التسعة وترك عاشرهم وهو عبد الله الأصغر، أمه من بني عمرو بن عوف من الأوس، ذكره الزبيري في الجمهرة.

ذكر أبناء عمر رضي الله عنه

أما عبد الرحمن الأكبر فأمه زينب بنت مظعون بن حبيب، أخت بني مظعون المشهورين: عثمان وإخوته، وهي أم عبد الله وأمنا حفصة؛

هاجرت مع زوجها عمر وبنيتها. ولعبد الرحمن ابن يقال له عبد الله ويلقب بـبـة - مثل ابن الحارث بن نوفل⁽¹⁾ - وانقرض.

وأما عبد الرحمن الأوسط فهو أبو شحمة، أمه أم ولد⁽²⁾ وأخته لأمه وأبيه عائشة، وهو صاحب الحد، الذي مات تحت سياط أبيه؛ وحديثه مضطرب ولا يصح منه إلا أنه مات تحت سياط أبيه قيل في الخمر وقيل في الزنى وقيل فيهما.

وأما عبد الرحمن الأصغر فأمه أم ولد أيضا وأخته لأمه زينب⁽³⁾، وهو أبو المجبر (بصيغة اسم المفعول) لأنه كسر وأتي به إلى عمته أمنا حفصة فقيل لها هذا ابن أخيك المكسر فقالت: بل المجبر فسمي به، وقيل بصيغة اسم الفاعل، لأن أباه مات عنه وهو حمل فلما ولد قالت عمته أمنا حفصة سموه عبد الرحمن لعله يجبر مصاب أبيه، فسمي المجبر؛ وابنه عبد الرحمن بن المجبر من أهل الحديث، قال العمدة في شرح الموطأ: وليس في أهل الحديث من اسمه عبد الرحمن إلا ثلاثة غيره (اهـ). وابنه داود بن المجبر من

(1) ابن عبد المطلب، أي فقد اتفقا في الاسم واللقب، لأن ابن الحارث هذا اسمه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ولقبته أمه في صغره بـ"بـة" لكثرة لحمه، وكان والي البصرة - [اللسان].

(2) اسمها لُهيّة، وهي امرأة من اليمن والأرجح أنها هي أم عبد الرحمن الأصغر أيضا فهما أخوان لأب وأم - [الطبري: تاريخ الأمم: 564/2، والمسعودي: مروج الذهب: 353/2].

(3) بنت عمر، أي فهي أخته لأمه وأبيه كما في الزبيري وغيره، ويأتي التعريف بها قريبا (انظر صفحة: 706).

أهل الحديث أيضا، وذكر أيضا روايته بالمحبر (بالحاء المهملة وتشديد الباء المفتوحة) لجماله.

وأما **عاصم** فأمه **جَمِيلَةُ** بنت **ثابت**⁽¹⁾ بن **أبي الأقلح**، وعاصم أخوها وليس بأبيها على الأصح، طلقها عمر فتزوجها **يزيد بن حارثة الأنصاري**. فركب عمر فوجد ابنه يلعب مع الصبيان فحمله فأدركته جدته **الشموس بنت أبي عامر الفاسق** فنازعته إياه حتى انتهيا إلى **أبي بكر**، فقال له **أبو بكر**: خل بينها وبين ابنها، فما راجعه وأسلمه لها. وكان **عاصم** من أطول الناس وأعظمهم، لحقه **ابن الزبير** يوما فضربه بمنكبه وقال له: لا يغرنك طولك وعظمك ادخل الزقاق حتى أصارعك، فجعل يضحك؛ وإنما يمازحه **ابن الزبير** بذلك. وكان **عاصم** من أحسن الناس خلقا ولا يساب أحدا، قال **عبد الله**: أنا وأخي **عاصم** لا نساب الناس؛ وكان **عبد الله** يحبه، ومات **عاصم** و**عبد الله** غائب، فما دخل منزله حتى سلم على قبره⁽²⁾. وخرج **عاصم** حاجا - أو معتمرا - فنزل قديدا⁽³⁾ إلى خيمة يستظل بظلها، فأرسلت إليه ربة الخيمة وهي لا تعرفه: يا **عبد الله** إن لي زوجا

(1) كانت جميلة هذه تسمى عاصية فغَيَّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمها فقال: «لا بل أنت جميلة».

(2) وتمثل بقول متمم بن نويرة:

فليت المنايا كنَّ خلفن مالكا فعشنا جميعا أو ذهبنا معا

وقال: "خَلَّفَنَ عاصما" ..

(3) قديد (كزبير) موضع بين مكة والمدينة.

غيورا يضربني في كل باطل وإن رآك لقيتُ منه شرا فتحول عنا رحمك الله، قال: ليس عليك مني عين وإنما أرتحل الساعة، وإن جاء زوجك فعرفني لم ينكر عليك منزلي، فألحت عليه تسأله أن يتحول عنها فتحول لما أكثرت عليه إلى ناحية. فمرت به عجوز تدخل على المرأة فنادها فسألها عن المرأة فأخبرته خبرها وقالت: اسمها جلدية بنت أكثم ولها ابن صغير اسمه أكثم، باسم أبيها، وزوجها ربيع بن أصرم وهو شديد الغيرة قد ضربها مرة فترك بها ندوبا وكسر ثنيتها. فاستوفى خبرها ثم قال شعرا - وكان يقول الشعر - فلما دخل زوجها منزلها رفع صوته يتغنى بذلك الشعر فقال:

تعفَى قُدِيد كَلِه فَقَرَاظِمُ ⁽¹⁾	إلى النخل من جلدية ابنة أكثم
ألا إن أبهى الناس أم غُلِيْم	صغير عليه وذُعْ جَزْعٍ مَنْظَم ⁽²⁾
بها نَدَبٌ من زوجها وبنيتها	سمي أبيها وهي قصماء بالفم ⁽³⁾
وما لي من علم بها غير أنها	إذا وصلت قالت ربيع بن أصرم

فلما سمع زوجها الشعر وثب عليها يضربها، فلما بلغ من ضربها بعض ما شفى عاصمًا مشى إليه حتى صاح عند بابه، فخرج إليه فقال له

(1) قراضم (بضم القاف وكسر الضاد): موضع بالمدينة.

(2) الودع (بسكون ويحرك): نوع من الخرز يعلق لدفع العين. والجزع (بالفتح ويكسر): الخرز اليماني فيه سواد وبياض.

(3) الندب (جمع ندبة بالتحريك فيهما): وهو أثر الجرح الباقي على الجلد. والقصماء: مكسورة الثنتين من النصف.

عاصم: ويحك أنا عاصم بن عمر وأخبره قصته، فقال: غفر الله لك ما عرضتنا له يا ابن الفاروق لا آثمك الله، وأمسك عن ضرب زوجته.

وقد حفظ عاصم بن عمر عن أبيه وكان رجلاً في زمانه، ويروى عنه أنه قال: زوجني أبي وأنفق علي شهراً ثم أرسل إلي بعدما صلى الظهر فدخلتُ عليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني ما كنت أرى هذا المال يحل لي وهو أمانة عندي إلا بحقه وما كان قط أحرم علي منه حين وليته فعاد أمانتي وقد أنفقت عليك شهراً من مال الله ولست زائدك عليه، وقد أعتك بثمن مالي فبعه ثم قم في السوق إلى جنب رجل من قومك فإذا أصفق بسلعة فاستشركه ثم بع وأنفق على أهلك.

وأما زيد الأكبر فأُمّه أم كلثوم بنت علي، أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ خطبها عمر إلى علي فقال علي: إنها صغيرة وإن لها مالكين غيري، فقال عمر: زوجني يا أبا الحسن. وكان عمر سمع من رسول الله ﷺ: «كل نسب وصهر ينقطعان يوم القيامة إلا نسبي وصهري»⁽¹⁾، فاستأذن علي ابنه فأشاراً إليه بذلك، فقال علي لعمر: أبعثها إليك فإن رضيته فقد زوجتكها. فبعثها بُرد، فقالت له: أبي يقرئك السلام ويقول لك هل رضيته الحلة⁽²⁾؟ فقال: نعم ورضي الله عنك، ووضع يده على شيء من

(1) رواه أحمد.

(2) الحلة: بالحاء المهملة. وفي بعض النسخ بالمعجمة، ولعله تصحيف؛ ويدل على ذلك رواية ابن سعد (464/8) في ترجمة أم كلثوم: "ان رضيته البرد".

جسدها فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، فجاءت أباهما فأخبرته الخبر وقالت: بعثني إلى شيخ سوء! فقال: مهلا يا بنيتي فإنه زوجك.

فولدت له زيدا ورقية، وكان إذا شكت إليه من إدخالها في تقشُّفه يقول لها: لا يضررك والناس يقولون بنتُ علي بن أبي طالب وزوج أمير المؤمنين. أما رقية فتزوجها إبراهيم بن نعيم النحام فولدت له جارية وماتت تلك الجارية ثم توفيت رقية، فقال له عاصم بن عمر: إنني أخاف أن ينقطع صهرنا منك، فأخذ بيده فخيره بين ابنتيه: حفصة وأم عاصم، فترك له أمَّ عاصم وهي أجمل لينال بها رغبة من بعض الملوك؛ فتزوجها عبد العزيز بن مروان فاشترطوا عليه أن يكون جميع ما يعطيها من صداق ونحوه من خالص مال آل مروان التليد لا مما نالوا في الملُك. فولدت له عمر ثم توفيت عنده. وتوفي إبراهيم بن نعيم عن حفصة ولم تلد له، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فحُمِلت إليه ومرت بدومة، وكان بها إنسان به خبل؛ وكانت أم عاصم قد أحسنت إليه، فتعرض لحفصة يطمع فيما نال من أمَّ عاصم فلم تكثر به فقال: "ليست حفصةُ من رجال أم عاصم"، فأرسلها مثلاً.

وأما زيد وهو زيد الأصغر فشَبَّ وكان له ابن وانقرض، وأخوه عبيد الله صحابي. ويسمى الأصغر لشرف الثاني عليه بالخؤولة، وأما السن فلا يصح أن يكون ولدَ قبله لأن "الأصغر" أمُّه مليكة بنت جرول بن مالك الخزاعية، وتلك طلقها عمر في هدنة الحديبية حين نزلت:

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾⁽¹⁾ (وخلف عليها بعد أن طلقها عمر أبو جهم وولدت له بنیه إخوة عبید الله وزید الأصغر لأُمهما). ووقعت حرب بین بنی عدي فخرج زید الأكبر باللیل یحجز بینهم فقتل ولم یُدر قاتله، فقال عبد الله بن عامر بن ربیعة العنزی حلیف آل الخطاب:

إن عديا ليلة البقیع تفرجوا عن رجل صریع
مقابل فی الحسب الرفیع أدركه شؤم بنی مطیع

وماتت أمه أم كلثوم تلك اللیلة فالتقت علیهما الصارختان، ولم یُدرَ أيهما مات قَبْلُ، فلم یتوارثا؛ وصلى علیهما عبد الله بن عمر والحسین وهو الإمام، قدمه ابن عمر؛ وانتزع منه: "وأفضلُ ولیٍّ ولو ولیَّ امرأة"⁽²⁾.

عبد الله بن عمر

وأما عبدُ الله فهو أكبر ولد عمر، وهاجر - مع أبیه وأُمّه - وهو ابن عشر سنین، فلما كان یومُ أحدِ ردّةِ النبی ﷺ إذ لم یبلغ خمسَ عشرة سنة، وأول مشاهدته الخندق بعد ذلك بسنة، ولم یتخلف بعد ذلك عن مشهد من مشاهد رسول الله ﷺ بل ولا عن سریة؛ قال: كنت فی سریة بعثها

(1) الممتحنة: 10.

(2) أي أخذ منه قول خلیل فی مختصره: "ثم أقرب العصبه وأفضل ولی ولو ولی امرأة" یعنی أنه یقدم أفضل ولی، ولو كان الأفضل ولی المرأة المجموعة مع الرجل فی الصلاة علیهما فیکدم ولی المرأة الأفضل علی ولی الرجل المفضول اعتبارا بفضل الولی لا بفضل المیت، وبهذا قال مالک رضی الله عنه؛ وقال ابن الماجشون أولیاء الرجل أحق من أولیاء المرأة - [جواهر الإكلیل].

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فغنمنا وكانت سهامنا أحد عشر - أو اثني عشر - بعيرا لكل رجل، فنفلنا⁽¹⁾ لرسول الله ﷺ بعيرا من كل رجل. وقال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ في ناس فيهم أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن لا يسقط ورقها تؤتي أكلها كل حين»⁽²⁾، وكنت أصغر القوم فاستحييت أن أتكلم، فلما أكثروا الكلام ولم يصيبوا قالوا: أخبرنا يا رسول الله، قال: «هي النخلة»، فقلت لأبي: وقع في نفسي أنها النخلة، فقال عمر: وددت أنك قلتها وعلي كذا وكذا..

وكان عبد الله يتحفظ ما يسمع من رسول الله ﷺ ويسأل - إذا غاب - من حضر عما قال وفعل ويتتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلي في كل مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، وكان يفعل كلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله، فرآه يبول إلى بيت المقدس⁽³⁾ فكان يفعل ذلك؛ ومنه أخذ جواز استقبال بيت المقدس لقضاء الحاجة بخلاف الكعبة. وكان يتعرض براحلته في كل طريق مرَّ بها رسول الله ﷺ، ف قيل له في ذلك فقال: أتحرى أن تقع أخفاف راحلي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ. وكان - مع سعة علمه - يتأني في الفتوى وربما يقول لصاحبها: اذهب

(1) النفلُ (محرّكة): الغنيمة، ونفله النفل ونفله وأنفله: أعطاه إياه.

(2) أخرجه البخاري في الأدب، وأحمد.

(3) رواه البخاري ومسلم، وفي مسلم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا على لبنتين متجها بيت المقدس.

بها إلى من قلده أمورك.

لم يتخلف قط عن حج، واعتزل الحرب بين الصحابة ثم ندم على أن لم يكن مع علي. وكان وقف مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وكان يقف ذلك الموقف كلما حج. وحج عام قتل ابن الزبير مع الحجاج بن يوسف؛ وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج أن لا يخالف عبد الله بن عمر في الحج، فأتاه ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة ومعه ابنه سالم وصاح به عند سرادقه: الرواح.. فخرج إليه الحجاج في ملحفة معصفرة وقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأمهلي أصب علي ماءً، فدخل ثم خرج؛ قال سالم: فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تحب أن تصيب السنة فعجل الصلاة وأوجز الخطبة، فنظر إلى أبي ليسمع ذلك منه، فقال عبد الله: صدق. ثم انطلق حتى وقف في موقفه الذي كان يقف فيه، وكان ذلك الموقف بين يدي الحجاج فأمر من نخس به حتى نفرت ناقته فسكنها ثم ردها إلى الموقف، فأمر الحجاج أيضا من نخسها.. إلى ثلاث، فثقل على الحجاج ذلك فأمر رجلا معه حربة - يقال إنها مسمومة - فلما دفع الناس من عرفة لصيق به ذلك الرجل فأمر الحربة على رجله وهي في غرز رحله، فمرض منها ابن عمر أياما؛ ودخل عليه الحجاج يعوده وقال: من بك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ما تصنع به؟ فقال: والله لو علمته لقتلته، فقال: ما كنت تقدر على أن تفعل، أنت الذي أمرت بذلك! فخرج عنه يقول: لا تقل.. يا أبا عبد الرحمن.

ومات رضي الله عنه بمكة، وصلى عليه الحجاج، وأوصى أن يدفن

بالحل فلم يقدرُوا على ذلك، لآزدحام الحاج، فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

وسكتنا عن غير هذا من مناقب عبد الله بن عمر وأخباره لشهرتها وكثرتها. وأما عبيد الله فكان رجلاً ذا شكيمة، وهو الذي قتل جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وأراد قتل العجم بالمدينة حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك، بل منهم من أراد من عثمان قتله قوداً فلم يجبههم عثمان إلى ذلك؛ وكان عبيد الله اتهمهم في قتل عمر، وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر على أنه اطلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم نجي⁽¹⁾ ففرعوا منه وسقط منهم خنجر له رأسان مملكه⁽²⁾ في وسطه، فأتي عبد الرحمن بالخنجر الذي قُتل به عمر فقال: هو هذا.

قيل: ولا متناع عثمان أن يقتص من عبيد الله كان مع معاوية وشهد معه صفين، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم؛ فجاء بصفين وعليه جبة خز وبيده سيواك وهو يقول: سيعلم علي إذا التقينا، ف قيل لعلي: هذا عبيد الله بن عمر، فقال: دمه دم عصفور، فحمل على الناس وهو يقول:

أنا عبيد الله ينميني عمر خير قريش من مضى ومن غير

حاشي رسول الله والشيخ الأغر⁽³⁾

(1) أي متسارون.

(2) أي المكان الذي يمسك منه ليكون ذلك أضمن لتشغيل طرفيه.

(3) يعني بالشيخ الأغر: خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

فلما برز بين الصفين قتله ربيعة. وسقط إلى جانب فسطاطٍ فشدوا طُنب
الفسطاط برجله، وأقبلت امرأته حتى وقفت عليه وبكت فقيل لزياد بن
حفصة: هذه بجيرة بنت هانئ بن قبيصة، فقال: ما حاجتك يا بنت أخي،
قالت: زوجي تدفعه إليّ، فقال: خذيه، فجيء ببغلٍ فحملته عليه؛ فقيل
إن يديه ورجليه تخطان بالأرض. وفيه يقول كعب بن جعيل:

إلا إنما تبكي العيونُ لفارس بصفين أجلت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء أسياف وائل وكان فتى لو أخطأته المتالف
تركن عبيد الله بالقاع مسندا تمجُّ دم الجوف العروق النوازف

أول مال وقع فيه القراض في الإسلام

وكان عبد الله وعبيد الله في غزوة فأعطاهما أمير العراق مالا من بيت
المال، فلما قدما المدينة علم به عمرُ فغضب عليهما وعلى أمير العراق
الذي أعطاهما المال وقال: حُق له أن يعطيكما مال الله: ابنا أمير المؤمنين!
أديا المال وربحه. أما عبد الله فلم يجبه، وأما عبيدُ الله فحاوره؛ فقال بعض
الصحابة: اجعله يا أمير المؤمنين قراضا، فقال: أما هذه فنعم قد جعلته
قراضا⁽¹⁾، وهو أولُ مال وقع فيه القراضُ في الإسلام.

(1) في الموطأ أنهما خرجا في جيش إلى العراق فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير
البصرة فرحب بهما ثم قال لهما: ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين
فأسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتأديان رأس المال إلى أمير
المؤمنين ويكون الربح لكما، فقالا: ودِدْنَا ذاك، ففعل.. فلما قدما باعا فأربحا. فلما دفعا
ذلك إلى عمر قال: أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما؟ قالوا: لا، فقال عمر: ابنا أمير

وأما عياض فدرج⁽¹⁾، وأمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية.
والأواه: كثير التأوه، أي التوجع، أي القائل: *أواه*، أي من خشية الله،
وصف به عمر؛ وفيه إقامة الظاهر مقام المضمَر.

وأما بناته فأكبرهن أمنا حفصة، وكانت عند خنيس بن حذافة
السهمي فجرح يوم بدر فاندمل جرحه ثم انتقض فمات منه، فخلف
عليها رسول الله ﷺ بعد أن عرضها عمرُ على أبي بكر فلم يرد عليه
كلاماً، ثم عرضها على عثمان، بعد أن توفيت زوجه رقية فأعرض عنه؛
فشكا عمرُ ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «يتزوج عثمانُ خيراً من حفصة
وتتزوج حفصةُ خيراً من عثمان»⁽²⁾؛ فتزوجها صلى الله عليه وسلم ثم
طلقها، فنزل عليه جبريل فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها
زوجك في الجنة، ففعل. وهي وعائشة تظاهرتا على النبي ﷺ، وسبب ذلك
أنه وطئ أمتة مارية في بيتها وهي غائبة، فدخلت عليه بالفور فترضاها
بتحريم مارية واستكتمها فلم تكتم عن عائشة، لأنهما كانتا متآخيتين،
فنزلت سورة التحريم.

وأما رقية فكانت عند إبراهيم بن نعيم كما قدمنا.

--- >>

المؤمنين فأسلفكما! أديا المال وربحه. فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فراجعته، فقال
رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً؟ فقال عمر: قد جعلته قراضاً،
فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال.

(1) أي لم يخلف نسلاً؛ ودرج القوم: انقضوا.

(2) رواه أحمد.

وأما زينب⁽¹⁾ فكانت عند عبد الرحمن بن معمر بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري ثم خلف عليها عبد الله بن عبد الله ابن سرّاقة العدوي.

وأما فاطمة فكانت عند عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وأمّها أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية، زوج عكرمة بن أبي جهل؛ ثم قتل عنها يوم اليرموك، فلما حلت تزوجها أبان بن سعيد فلم يقم معها إلا ليلة واحدة وقتل بأجنادين، وكانت تقول: ما أغناني عن ليلة أبان، فخطبها معاوية فردته فتزوجها عمر فولدت له فاطمة ولم تلد غيرها.

وكل بني عمر له عقب إلا ثلاثة: عبد الرحمن الأوسط - وهو أبو شحمة صاحب الحدّ - وعياض، وعبد الله الأصغر⁽²⁾.

أما سيدنا عبد الله الأكبر فأولاده الذكور أحد عشر، منهم سالم، أحد الفقهاء السبعة، وحمل العلم عن غيره من أبناء عبد الله. وأما عاصم بن عمر فمن ولده حفص بن عاصم، حمل عنه العلم؛ وهو صاحب حديث النهي عن السُّبْحَةِ للمسافر⁽³⁾، قال: "لو كنت مُسَبِّحاً لأُتِممت

(1) زينب بنت عمر هذه أمها لُهيّة، وهي أم ولد، وكانت زينب هذه هي أصغر ولد عمر رضي الله عنهم. وقد روت عن أختها حفصة أم المؤمنين - [الرياض النضرة في مناقب العشرة، وغيرها].

(2) عبد الله الأصغر بن عمر أمه سعيدة بنت رافع بن عبيد الأنصارية من بني عمرو بن عوف - [الزبير].

(3) وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أنه قال: صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم أره يسبح في السفر، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوما يصلون بعد الفرض فقال: "لو كنت مسبحاً.. إلخ.

صلاتي»⁽¹⁾، يروي عن عمه يقول: سافرت مع النبي ﷺ ثم مع أبي بكر ثم مع عمر ولم يسبح أحد منهم قط في السفر. وهذا الحديث في مسلم بغير هذا اللفظ وتعارض مع ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنفل على حماره في السفر⁽²⁾، فوفقا بأن تنفله على دابته في الليل والنهي خاص بالنهار، لأنه وقت اشتغال المسافر وتعبه - (قاله أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين). ومن بنات عاصم: أم مسكين تزوجها يزيد بن معاوية فحُمِلت إليه من المدينة إلى دمشق، وكانت عنده أم ابنه خالد بن يزيد - وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة - فقال يخاطبها:

ما لك أم هاشم تُبْكِين باعت على بيعك أم مسكين
ميمونة من نسوة ميامين زارتك من يشرب في حُوارين⁽³⁾

(1) رواه البخاري ومسلم. والسُّبُحَةُ: صلاة التطوع والنافلة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ برأسه، وفيه أيضا: «اجعلوا صلاتكم معهم سبحة»، أي نافلة، ويقال: قضيت سبحتي. وروي أن عمر جلد رجلين سبحا بعد صلاة العصر أي صليا. وذكر بعضهم أن نفي التطوع في السفر محمول على ما بعد الصلاة خاصة فلا يتناول ما قبلها ولا ما لا تعلق له بها من النوافل المطلقة كالتهجد والوتر والضحي وغير ذلك، والفرق بين ما قبلها وما بعدها أن التطوع قبلها لا يظن أنه منها لأنه ينفصل عنها بالإقامة وانتظار الإمام غالبا ونحو ذلك، بخلاف ما بعدها فإنه في الغالب يتصل بها فيظن أنه منها - [الحافظ ابن حجر].

(2) متفق عليه.

(3) حُوارين: قرية شهيرة بالشام وهي التي يعنها جرير بقوله:

أفخرا إذا رابت وطاب مجاشع وجاء بتمر من حُوارين غيرها

في منزل كنت به تَكُونُ

لَوْ كَانَ بَعْدَ الْمُصْطَفَى نَبِيٌّ لَكَانَهُ ...

قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان نبي بعدي لكان عمر»⁽¹⁾. ولَمَّا أسلم ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «اللهم اذهب ما في صدره من غل وأبدله إيماناً»، وقال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»⁽²⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا نائم أُتيتُ بقَدَحٍ لبن فشربت حتى رأيت الري يخرجُ من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر»، قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»⁽³⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا نائم والناس يُعرضون علي وعليهم قُمْصٌ منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك فعرض عليَّ عمرٌ وعليه قميص يجره»، قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدين»⁽⁴⁾. وقال ابن مسعود: لَمَجْلِسٌ كنت أجلسُهُ مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سنة.

ولي الخلافة بعد أبي بكر فصار أحسن سيرة⁽⁵⁾، وكان لا يخافُ في الله

(1) وفي رواية: «لو كان بعد النبي نبي لكان عمر» - [رواه البخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه وأحمد].

(2) تقدم تخريجه.

(3) أخرجه الشيخان عن ابن عمر.

(4) أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري.

(5) توفي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، فقام بأمر

لومة لائم. نقشُ خاتمه: ”كفى بالموت واعظا يا عمر“. أرَّخَ التاريخ من الهجرة، إذ لم يُتفق على سنة البعث فيؤرخُ بها، وذكرُوا الوفاة فهابوها خوفاً هيجان الحزن فأرخوا بالهجرة. وهو أول من تسمى بأمر المؤمنين⁽¹⁾ وكان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، فإذا سَمَّوا بذلك اقتضى طولاً فيقال خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيتسلسل ذلك، فسموه أمير المؤمنين⁽²⁾.

قوله: **لكانه**: على اختيار ابن مالك⁽³⁾، فالضمير المتصل هو خبر كان

-- >>

الإسلام والمسلمين بعده خليفته أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه حق القيام، حتى طعنه الغلام المجوسي أبو لؤلؤة في صلاة الصبح يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة أربع وعشرين؛ فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور. (1) وأول من اتخذ الدرة لتأديب الناس، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، وأول من دوّن الدواوين وفرض الأعطية، وأول من وضع الخراج، وأول من وضع المقام موضعه الآن؛ وكان ملصقا بالبيت.. وأوليائه ومناقبه وموافقاته كثيرة شهيرة.

(2) لما استخلف أبو بكر سُمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفي واستخلف عمر سمي خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال المسلمون من جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطول هذا.. ولكن اجمعوا على اسم تدعون به الخليفة يُدعى به من بعد الخلفاء. فقال بعض الصحابة: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر أمير المؤمنين فكان أول من سمي بذلك، والتحقيق أنه أول خليفة سمي أمير المؤمنين وليس أول من دعي بها، فقد دعي بها عبد الله بن جحش الأسدي في السرية التي بعثه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نخلة - [محمد رضا: عمر بن الخطاب].

(3) تبعا لغيره في ترجيح اتصال الضمير الواقع خبرا عن كان وأخواتها على انفصاله، الذي أشار إليه في الخلاصة بقوله:

... في كنهه الخُلُف انتمى ...

كذلك خلتيه، واتصالا اختار، غيري اختار الانفصالا

واسمها عمر أو ضميره.

.... ..
وَمِنْهُمْ الصَّفِيُّ
سَعِيدُ ابْنِ زَيْدٍ الْمُبَشِّرُ صَاهِرُهُ. وَهُوَ كَذَاكَ. عُمَرُ

قوله: ومنهم أي من عدي. والصفى: فعيل بمعنى مفعول، أي المصفى.
والمبشر: أي بالجنة، من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة. وقوله:
صاهره: أي صاهر عمر سعيدا على أخته عاتكة كما يأتي قريبا. وقوله:
وهو كذاك: أي وكذا صاهر سعيد بن زيد عُمَرَ على أخته فاطمة بنت
الخطاب.

العشرة المبشرون بالجنة

والعشرة المشهود لهم بالجنة هم: سعيدُ هذا والخلفاء الأربعة والزبير
وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو
عبيدة بن الجراح؛ اثنان منافيان: عثمان وعلي، وزهريان: عبد الرحمن بن
عوف وسعد بن أبي وقاص، وتيميان: أبو بكر وطلحة بن عبيد الله،
وعدويان: عمر وسعيد بن زيد، وحارثي: وهو أبو عبيدة من بني الحارث
بن فهر، وأسدي: وهو الزبير بن العوام من بني أسد بن عبد العزى.

فإن قلت ما معنى خصوصيتهم بالشهادة بالجنة، وقد شهد صلى الله
عليه وسلم لغيرهم بالجنة؛ كقوله: لبلال: «سمعت خشخشة بلال في الجنة
فقلت: بم يا بلالُ سبقتني إلى الجنة؟ فقال: لا أدري ولكني ما أحدثت قط
إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال: بذلك سبقتني إلى

الجنة»⁽¹⁾ وكقوله: «لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»⁽²⁾ وكقوله للرُّبِيعِ بِنْتِ النَّضْرِ: «إِنَّهَا لَجَنَانٌ وَإِنْ ابْنُكَ لَفِي الْفَرْدَوْسِ مِنْهَا»⁽³⁾ - يعني حارثة بن سراقه - وغير ذلك..؟ قُلْتُ: لعل ذلك أنه بشرهم بالجنة في يوم واحد⁽⁴⁾، وذلك أنه كان في بيت فاستأذن عليه أبو بكر فقال: «أئذن له وبشره بالجنة»، فكذلك قال لجميعهم.. وفيها قال لعثمان: «وبشره بالجنة على بَلَوَى تُصِيبُهُ»⁽⁵⁾.

(1) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

(2) متفق عليه.

(3) رواه البخاري وأحمد.

(4) وفي الحديث كما في الجامع الصغير: [6/1]: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» [أهـ]. ورواه الترمذي وأحمد في مسنده. وقد نظمهم مع تبين نسبهم من قال:

أبناء عبد مناف سادة نجب	منهم علي وذو النورين عثمان
وبابن عوف وسعد زهرة سعدت	تيم بطلحة والصدیق تزدان
أما سعيد، أبو حفص فقومهما	بنو عدي الألى في الحرب فرسان
إنَّ الزُّبَيْرَ بِهِ عَزَّتْ بنو أسد	ما نال عِزَّهُمْ في الجـوِّ عقبان
أبو عبيدة فهري. بجاههم	يا رب يشملنا عفو وغفران

وقال آخر:

لقد بُشِّرَتْ عند النبي محمد	بجنات عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر	وطلحة والزهري والخلفاء

وعامر هو أبو عبيدة، والزهري هو عبد الرحمن بن عوف.

(5) رواه البخاري ومسلم.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه حين أرجف به أحد وقال له:
«اسكن أحد إنما عليك نبي وصديق - أو شهيد -»⁽¹⁾ أنهم العشرة معه
حينئذ.

وسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل - وبنفيل يلتقي مع عمر بن
الخطاب بن نفيل - أمه فاطمة بنت بعجة بن مليح من خزاعة، يكنى أبا
الأعور⁽²⁾. بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله يتجسسان أخبار عير
قريش، ف وقعت بدر بعدهما ف ضرب لهما بسهميهما وأجرئهما.

وله من الولد: عبد الرحمن الأكبر وعبد الرحمن الأصغر؛ وأم الأكبر
فاطمة أم جميل بنت الخطاب. وكان عبد الرحمن الأكبر هذا شاعرا، وهو
الذي يقول في يوم الحرة:

فإن تقتلونا يوم حرة واقم فإننا على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم بدر أذلة وجئنا بأسلاب لنا منكم نفل
فإن ينج منها عائد البيت سالما فكل الذي نلقاه من دونه جمل

وتوفي سعيد بالعقيق في نيف وخمسين، وحمل إلى البقيع ودفن به وهو

(1) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

(2) كان قديم الإسلام وكان من المهاجرين الأولين، أسلم هو وزوجه فاطمة بنت الخطاب قبل
دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجرا. وشهد سعيد أحدا وما بعدها من
المشاهد وكان معدودا في أهل بدر، وشهد اليرموك وفتح دمشق وأقطعه عثمان أرضا
بالكوفة فنزلها وسكنها بنوه بعده وكانت له أرض بالعقيق بالمدينة وبها توفي، وله أربعة
أولاد: عبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأصغر، وزيد، والأسود؛ ولكلهم عقب.

ابن بضع وسبعين سنة رضي الله عنه.

وَشُهَدَاءُ أُخْتِهِ غَيْرَ عُمَرَ عَبْدُ الْإِلَهِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الْأَعْرَبُ

أُخْتُهُ: يعني سعيد بن زيد، وهي عاتكة الشهداء؛ أضيفت إلى الشهداء وأُعلنت بذلك، لأن كل من تزوجها استشهد.. حتى قيل في ذلك: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة؛ وأمها فاطمة بنت سويد بن الصامت الأنصارية، أخت الحارث والجلال ابن سويد، وقيل إن أمها أم كريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمي.

تزوج عاتكة عبد الله بن أبي بكر فأصيب يوم الطائف بسهم فاستشهد منه في خلافة أبيه [كما سيأتي إن شاء الله].

والأعر: الكريم، ووصفه بالأعر: لكرمه أو لجماله، لما يقال إنه أجمل قريش. وقوله غير عمر: لأنه قد ذكر أنه تزوجها بقوله:

... صاهره - وهو كذاك - عمر

ولما تزوجها عمر بالغت في استعمال الطيب وتضمنحت بالعنبر وغيره، فقال علي لعمر: ائذن لي أدخل على عاتكة في حاجة لي إليها، فقال: نعم، فأدخل عليها عليُّ رأسه من الستر وقال: أين قولك:

فأليت لا تنفك.. إلخ⁽¹⁾،

(1) يشير به إلى قولها تبكي زوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق:

فأليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا.. إلخ.

فدفعه عمر بمنكبه وقال: أفسدت علي عرسي، فضحكوا⁽¹⁾

كَذَا الْحَوَارِيُّ وَرَدَّتْ حَيْدَرَهُ ضِنَّا بِهِ عَنْ نَهْجِ تِلْكَ الْخَيْرَةِ
وَعَدَّ مِنْهُمْ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَدَّهُ عَنْ بَعْضِهِمْ غَيْرُ جَلِيٍّ

الحواري: الناصر، وهو علم للزبير سماه به النبي ﷺ، ليلة الأحزاب إذ قال صلى الله عليه وسلم: «من يأتنا بالخبر عن القوم أضمنه ويكون رفيقي في الجنة» - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - فقام الزبير وقال: أنا يا رسول الله، فقال له: «اجلس فداك أبي وأمي» - ولم يقلها لأحد غير سعد بن أبي وقاص يوم أحد إلا هذا - ثم قال صلى الله عليه وسلم ذلك أيضا فقال الزبير: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس» وقال: «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير»⁽²⁾. وحيدرة: لقب علي بن أبي طالب، وهو في

(1) ولما قتل عنها عمر قالت ترثيه:

عين جودي	بعبرة ونحيب
لا تملي على الإمام النجيب	
فجعتني المنون بالفارس الـ	معروف يوم الهياج والثويب
قل لأهل الضراء والبؤس موتوا	مذ سقته المنون كأس شعوب

(2) أخرجه البخاري ومسلم. ولما قتل الزبير رضي الله عنه عن عاتكة قالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نهته لوجدته	لا طائشا رعى الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه	عنها طرادك يا ابن فقع القرد
ثكلتك أمك ان ظفرت بمثله	فيما مضى ممن يروح ويغتدي
شلت يمينك إن قتلت لمسلما	حلت عليك عقوبة المتعمد

<<=

الأصل اسم الأسد، وسُمِّيَ به عَلِيٌّ لأن أمه سمته باسم أبيها أسدٍ، وأبو طالب غائب؛ ولما قدم أبوه سماه علياً، ثم لما ظهرت شجاعة عليّ سمي حيدرةً لَمَحًا لتسمية أمه وتشبيها بالحيوان المفترس. وقوله: ضنا: بخلاً؛ أي بخلت بعلي عن الموت، وهو مفعول له أي ضنت به لأجل الخوف عليه، ويحتمل أنه مفعول مطلق؛ أي ضنت به ضنا، وناب عن فعله، ويحتمل أنه حال أي حال كونها في الردّ ضانةً به عن نهج: أي طريق هؤلاء الخيرة. والخيرة: جمع خير، وهم كذلك. وأنت الإشارة باعتبار الجماعة. وعدّ الحسين من شهداء عاتكة غير جلي: أي غير ظاهر عند بعض العلماء، إذ يبعد أن يتزوجها لكبرها عنه وللقول إنها ماتت قبله.

فقوله: كذا الحواريُّ، أي كعمر وعبد الله بن أبي بكر في الاستشهاد عن عاتكة: حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه.

يُبْعَثُ أُمَّةٌ أَبُوهَا وَخُبِعَ قَبْلَ النُّبُوءَةِ وَمِنْ وَأُدِّ مَنَعُ
يُحَكِّمُ الْأُمَّ إِذَا تَرَعَّرَعَتْ فِي أَخْذِهَا وَتَرْكِهَا حَيْثُ وَعَتْ

خُبِعَ: دُفِنَ. والوَاد: قتل الولد في الجاهلية خوف الفقر. وترعرع الصبي: نشأ. يعني أن زيد بن عمرو بن نفيل - أبا عاتكة - قال فيه النبي ﷺ:

-- >>

تشير بقولها: "عقوبة المتعمد" إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ - (النساء: 93). وذكر في الإصابة والاستيعاب أن ممن تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد عنها يوم اليمامة.

«يبعث يوم القيامة أمة وحده»⁽¹⁾، وذلك حين سأله عنه ابنه سعيد وعمر بن الخطاب.

ومن يبعث أمة وحده غيره: قُسُّ بن ساعدة الإيادي وخطرُ بن مالك اللّهي؛ وذلك لأنهم أسلموا بلا نبي بُعث إليهم لكن رأوا الحق حقا ففارقوا أديانَ أقوامهم فوجهوا وجوههم لله تعالى فعبدوه وحده.

زيد بن عمرو بن نفيل

وكان زيد شام دين النصارى⁽²⁾ فلم يعجبه ودين اليهود كذلك⁽³⁾، وترك عبادة الأوثان وحرم أكل ما ذُبِحَ لغير الله والدم والميتة، ويقول: يا معشر قريش أرسل الله قطر السماء وأنبت بقل الأرض وخلق السائمة ورعت فيه وتذبحونها لغيره؟! والله ما أعلم أحدا على وجه الأرض على دين إبراهيم غيري، ويستقبل الكعبة ويقول:

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا تَعْبُدَا وَرَقًّا

(1) رواه الطبراني، وأبو يعلى.

(2) شام الشيء: أي نظر إليه وتطلّع.

(3) خرج زيد بن عمرو مرة في الجاهلية هو وورقة بن نوفل يطلبان الدين فمرا بيهود فعرضوا عليهما دينهم فتهود ورقة، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم فترك ورقة اليهودية وتنصر وأبى زيد كل ذلك وقال: ما هذا إلا كدين قومنا تشركون ويشركون ولكنكم عندكم من الله ذكر وليس عندهم، فقال له راهب: إنك لتطلب دينا ما هو على وجه الأرض اليوم، قال: وما هو؟ قال: دين إبراهيم، قال: وما كان عليه إبراهيم؟ قال: كان يعبد الله ولا يشرك به شيئا ويصلي إلى الكعبة، فكان زيد على ذلك حتى مات.

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ...إِلْخ. ويقول الشعر في ذلك، ومنه:

أربا واحدا أم ألف رب	أدين إذا تُقْسِمَتِ الأمورُ
عزلت اللات والعزى جميعا	كذلك يفعل الجلد الصبورُ
فلا العزى أدين ولا ابتيها	ولا صنمي بني طسم أزورُ
ولا هَبْلاً أدين وكان رباً	لنا في الدار إذ حلمي يسيرُ
عجبت وفي الليالي معجبات	وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا	كثيرا كان شأنهم الفجور

وقال أيضا⁽¹⁾

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى	أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت بفضل منك نجيت يونساً	وقد بات في أصفاق حوت ليايا
وإني وإن سبحت باسمك ربنا	لأكثر إلا ما غفرت خطايا
أرب العباد امنن بسبب ورحمة	علي وبارك في بني وماليا

وقال أيضا:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل حملا ثقالا
-----------------------	--------------------------

(1) وبعضها ينسب لأمية بن أبي الصلت:

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا	وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه	إله ولا رب يكون مدانيا
إلا أيها الإنسان إياك والردى	فإنك لا تخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره	فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانك إن الجن كانت رجاءهم	وأنت إلهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا... إلخ.	

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسي عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المـزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقـت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجـالا

وكان الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة - وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه⁽¹⁾ - ووكل به شُبَّان قريش وسفهاءهم وقال لهم لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرا. وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفة، دين إبراهيم؛ فكانت امرأته⁽²⁾ كلما رآته تهيأ للخروج أو أراده آذنت به الخطاب، وكان وكلها به. ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الرهبان والأخبار حتى انتهى إلى الموصل والجزيرة، ثم أقبل فجال الشام كله حتى انتهى إلى راهب من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علمُ النصرانية فسأله عن الحنيفة فقال: إنك لتطلبُ دينا ما أنت بواجد من يملك عليه من القوم، ولكن قد أظلك زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم: الحنيفة، فالحقُ بها فإنه مبعوث الآن. فخرج مسرعا، فلما توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه؛ فقال ورقة بن نوفل يرثيه:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجبست تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس ربُّ كمثله وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

(1) وذلك أنهم في الجاهلية كانوا يجيزون نكاح الرجل امرأة أبيه من بعده.

(2) امرأته: هي صفية بنت الحضرمي (عبد الله) بن عماد السكونية ثم من بني الصدف.

فأصبحت في دار كريم مقامها تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

ومات زيد كما قال الناظم قبيل البعث⁽¹⁾، وكان من دينه أنه امتنع من
وأد البنات ومنعهن من الوأد، فكان يغذيهن إلى أن تبلغ الواحدة منهن
فيأتي بها أمها ويقول لها: هذه ابنتك إن شئت خذيها إليك وإن شئت
دعيها عندي.

لهنا انتهى الكلام على بني رزاح بن عدي² وشرع يتكلم على بني عويج
بن عدي فقال رحمه الله:

وَمِنْ عُوَيْجِ بْنِ عَدِي النَّحَامُ وَهُوَ الَّذِي اعْتَقَهُ خَيْرُ الْأَنَامِ
إِذْ جَاءَهُ فِي أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ وَحَبَسُوهُ وَهُوَ قَبْلُ مُسْلِمٍ

اسم النَّحَام: نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف بن عبيد بن
عويج⁽²⁾، ولقب النحام لقول النبي ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت نحمة
لنعيم»⁽³⁾، أي سعة.

أسلم نعيم قديما قبل عمر بن الخطاب ولم يهاجر إلا قبيل فتح مكة لأن
أهله حبسوه؛ لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم فقالوا له حين

(1) مات زيد هذا قبل البعثة بخمس سنين.

(2) النحام: هو بفتح النون وتشديدها وتشديد الحاء المهملة، وخففها الناظم ضرورة. وضبط
بعضهم كلا من عبيد وعويج بصيغة التصغير كما ضبطها بعض بصيغة التكبير.

(3) ذكره ابن سعد مراسلا.

أراد الخروج من مكة إلى المدينة: أقم معنا ودين بأي دين شئت وتشبثوا به، فأقام يعبد الله في داره حتى تركوه، وقد أسلم كثير منهم؛ فخرج مهاجرا عام الحديبية في أربعين من قومه بين رجال ونساء. فلما قدم على النبي ﷺ قام إليه فاعتنقه وقال له: «قومك يا نعيم خير لك من قومي»، فقال: بل قومك خير من قومي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «قومي أخرجوني وأقرّك قومك»⁽¹⁾، فقال: يا رسول الله قومك أخرجوك إلى الهجرة وقومي حبسوني عنها؛ وكان قومه قالوا له: لا يتعرض لك أحد إلا ذهب أنفسنا دونك واعبد ربك حيث شئت.

قوله قبل: أي قبل مجيئه للنبي ﷺ في أربعين منهم. قوله وهو مسلم: أي على أنه مسلم - على دينه - راضين بذلك منه. واستشهد نعيم باجنادين أو باليرموك.

عَبْدُ الْإِلَهِ بْنُ مُطِيعِ الْقَائِلِ وَهُوَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةِ يُنَاضِلُ:
«أَنَا الَّذِي فَارَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالْحُرُّ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً»⁽²⁾

يناضل: يدافع. والحرة: حرة واقم: موضع بالمدينة⁽³⁾ كانت به الوقعة المشهورة على المسلمين. ومطيع كان اسمه العاص فلما أسلم سماه النبي ﷺ

(1) ذكره ابن حجر في الإصابة، وذكره الزبيري أيضا.

(2) بعده: لأَجْزَيْنَ فَرَّتِي بِكَرَّةٍ يا حِذَا الْكَرَّةِ بَعْدَ الْفَرَّةِ

(3) على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الزبيري.

مطيعاً⁽¹⁾، وهو ابن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج، والأسود - أبو مطيع - هو أول من لعقَ دم الجزور التي نحرت بنو عبد الدار وأحلافهم. أوصى مطيع الزبير على بنيه، فرد الزبير الوصية، فقال له مطيع: "إني سمعت عمر يقول: "نعم موضع الوصية الزبير لو كنت تاركا ضياعاً لأوصيت الزبير" والله لقد سمعت هذا من عمر، فقبل الزبير وصيته.

وعبد الله بن مطيع كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان عليهم يوم الحرة ونجا وأتى ابن الزبير بمكة، فلما حاصر ابنُ نمير⁽²⁾ أهل مكة كان ممن قاتله، وفي ذلك يقول:

أنا الذي فررت يوم الحرة .. إلخ.

هو ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف كلاهما قتل ليلة ابن نمير من عسكره مائة رجل. واستعمله ابنُ الزبير على الكوفة، فأخرجه منها المختار بن أبي عبيد، ثم قُتل مع ابنِ الزبير رضي الله عنهما.

خَارِجَةُ الْقَائِلُ مَنْ أَصْمَاهُ: "أَرَدْتُ عَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ.."

(1) وكان ابنه عبد الله يسمى العاصي بن العاصي فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا يسمى العاص بن عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، وكان عبد الله بن عُمَر يسمى العاص بن عُمَر فبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماءهم في يوم واحد - [الجمهرة والإصابة].

(2) الحصين بن نمير قائد جيش يزيد إلى ابن الزبير، كما سيأتي.

أي من بني عويج بن عدي: عبد الله بن مطيع وخارجة؛ فعبد الله وخارجة معطوفان على النحام بتقدير العاطف، أو كلاهما مبتدأ خبره منهم قبلها واو عاطفة الجملة على أختها.

وخارجة هو ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج. وأصماه: قتله. ومن أصماه: هو الخارجي الذي تواعد مع صاحبيه ليلة يغتالون فيها عليا ومعاوية وعمرو بن العاص؛ فكان من قدر الله أن اشتكى عمرو بن العاص في هذه الليلة وقدم خارجة للصلاة، فطعنه الخارجي يظنه عمرًا، لإمامته في مسجد مصر؛ فأخذ الخارجي، فلما سمع الناس يندبون خارجة قال: ومن خارجة؟ قيل: الذي قتلت، قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة. وقيل إن عمرو بن العاص هو قائل الكلمة.

وخارجة من فرسان قریش، كان يعدل بألف؛ كتب عمرو بن العاص إلى عمر يستمده بثلاثة آلاف فارس، فبعث إليه خارجة والزبير والمقداد وكتب إليه: قد أمددتك بثلاثة آلاف فارس! شهد خارجة فتح مصر، وكان قاضيا بها لعمرو بن العاص إلى أن قتله الخارجي، واسمه داذويه العنبري. وروى خارجة عن النبي ﷺ: «إن الله قد أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم؛ وهي الوتر جعلها لكم بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر»⁽¹⁾.

(1) أخرجه الترمذي.

مُثْلِمٌ أَخُوهُ مِنْ أَبِيٍّ أَجَارَ قَاتِلَ الْغَوِيِّ الْغَبِيِّ⁽¹⁾

أخوه: أي أخو خَارِجَةٍ؛ ولا يُذكر للمثلّم إسلام ولا أنه أدرك البعثة أم لا. وأبيّ: هو ابنُ خلف الصنديد الكافر الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد. والغوي: الضال. والغبي: من لا يفطن لغباوته.

أشار إلى أنّ رجلاً من النمر بن قاسط شرب مع رهط من بني جمح فقال لما أخذ فيه الشراب: لا يسألني أحد شيئاً إلا أعطيته إيّاه، فقال له أحدهم: إني أسألك أن تمكّني حتى أفعل بك كذا وكذا.. يعني الفاحشة، فقال له النمري - واسمه أوس - قم معي حتى أعطيك ما سألت، فلما خلا به أوس قتله ثم هرب والتجأ إلى المثلّم بن حذافة فمنعه، وطلبه أبيّ بن خلف فلم يقدر عليه، إذ منعه المثلّم؛ وفي ذلك يقول المثلّم:

من ذا يبلغُ عني الناسَ معذرة	إن ردّ جار أبيّ وهو مقتول
تنازع الطير بالبطحاء حُشوته	يقال من جار هذا غاله غول؟
ولست أسلم أوساً لامرئ أبدا	حتى أرَدَ وثغر النحر مبلول
أو أبلغ العذر في أوسٍ فيعذرني	فيه الرجال إذا ما ينشر القيلُ

(1) قوله: مثلّم: مبتدأ حذف خبره، وأخوه: عطف بيان على مثلّم، والضمير فيه عائذ على خارجة في البيت قبله. وقوله: من أبيّ: متعلق بأجار. وأبيّ هو ابن خلف الجمحي، وفاعل أجار ضمير مستتر عائذ على المثلّم، وقاتل: مفعول به لأجار. والمراد به رجل من بني النمر بن قاسط اسمه أوس. والغوي: مضاف إليه ما قبله وهو صفة لمحذوف وكذلك الغبي والمراد بهما رجل من بني جمح. أي ومن بني عويج بن عدي المثلّم بن حذافة أخو خارجة الذي أجار أوسا النمري قاتل أحد بني جمح من أبيّ بن خلف.

وَرَدَّ قَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ جُمَحًا بِالْغَيْظِ إِذْ عَلَى عَدِيٍّ جَنَحًا

يعني أنه لما لم يقدر أبي بن خلف على جار المثلث اجتمعت بنو جمح على عدي فقام دونهم قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي - وهو من سادات قريش⁽¹⁾؛ وهو الذي يعني عبد المطلب في ترقيصه لابنه عبد الله:

كأنه في العز قيس بن عدي في دار سعد ينتدي أهل الندي

- وقال لجمح: إن عدياً أقل منكم عدداً، إن شئتم أخرجوا لهم مثلهم منكم ونخلي بينكم وبينهم، وإن شئتم وفيناهم منا حتى يكونوا مثلكم. فتحاجزوا ورضيت جمح بالعقل، وقال في ذلك قيس بن عدي:

عَدِيُّ بْنُ كَعْبٍ إِنْ سَأَلْتَ بِطَانَتِي فَهَكَأُ وَهَكَأُ عَنْهُمْ فَتَنَكَبُ
تَنْشَبُ عَيْصِي مَا بَقِيَتْ بَعِيصِهِمْ تَنْشَبُ عَيْصُ الْقَشْعَةِ الْمُتَشَبِّبِ

(وقوله: فَهَكَأُ وَهَكَأُ: أي ضرباً وضرباً. وقوله: عَنْهُمْ: متعلق بهكا. وقوله: فَتَنَكَبُ: أي عنهم بالسيف. والعيص: الأصل. والقشعة: الفرو الخلق).

حُذَافَةُ أَبُوهُمَا أَخَذَهُ فِي ابْنٍ لَهُمْ جُذَامٌ فَاسْتَنْقَذَهُ
شَيْبَةُ مَكْفُوفًا يَقُودُهُ ابْنُهُ فَفَازَ بِالْمَدْحِ الْجَمِيلِ مِنْهُ

يشير إلى أن ركبا من جذام خرجوا من مكة بعدما قضوا مناسكهم، وقد فقدوا صاحباً لهم، فمروا بحذافة بن غانم فأخذوه مكان صاحبهم؛ فبينما هو في أيديهم إذ أبصر عبد المطلب يقوده ابنه أبو هب، وقد كف

(1) وهو الذي جمع الأحلاف على بني عبد مناف؛ والأحلاف: عدي ومخزوم وسهم وجمح.

بصره، فصاح به؛ فقال عبد المطلب لأبي لهب: اذهب فأت به، فأتاهم أبو لهب فقال لهم: قد علمتم مالي وتجارتي فاطلقوا لي الرجل وأنا ضامن لكم صاحبكم، فأطلقوه له، فقال له عبد المطلب: أسمعني صوتك يا أبا المثلم، فقال يمدحه⁽¹⁾ ويمدح آباءه وبنيه:

أعينيَّ جوداً بالدموع على النحرِ	ولا تسأما أسقيتَما سبَل القطرِ
وسُحاً وجُماً واسجُماً ما بقيتَما	على ذي حياءٍ من قريش وذي سترِ
على رجل جلدٍ القوى ذي حفيظة	جَمِيلٍ الحيا غير نكس ولا هذرِ
على الماجد البهلول ذي الباع والندى	ربيع لُؤيٍّ في القحوط وفي العُسرِ
على خير حافٍ من معدٍّ وناعلٍ	كريمٍ المساعي طيب الخيم والنجرِ
وخيرهم أصلاً وفرعاً ومعدناً	وأحظاهم بالمكرمات وبالذكرِ
وأولاهم بالمجد والحلم والنهي	وبالفضل عند المجحفات من الغبرِ ⁽²⁾
على شيبة الحمد الذي كان وجهه	يُضيء سواد الليل كالقمر البدرِ
وساقي الحجيج ثم للخير هاشم	وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزماً عند المقام فأصبحت	سقايتَه فخراً على كل ذي فخرِ
ليبك عليه كلُّ عانٍ بكربة	وآل قصي من مُقلٍ وذي وفرِ
بنوهم سَـراة كهلهم وشبابهم	تفلق عنهم بيضة الطائر الصقرِ
قُصَيُّ الذي عادى خزاعة كلَّها	ورابط بيت الله في اليسر والعُسرِ
فإن تك غالت المنايا وصرفها	فقد عاش ميمون النقية والأمرِ
وأبقى رجالاً سادة غير عزَّل	مصاليـت أمثال الرُّدنية السُّمرِ

(1) والظاهر أنه في هذه القصيدة يرثيه.

(2) المجحفات: السنون التي تذهب الأموال، والغبر (بضم فسكون): السنون المقحطات.

أبو عتبة الملقى إلى جباؤه
 وحمزة مثل البدر يهتز للندى
 وعبد مناف ماجد ذو حفيظة
 كهولهم خير الكهول ونسلهم
 متى ما تلاق منهم الدهر ناشئاً
 هم ملأوا البطحاء مجداً وعزةً
 وفيهم بناء للعلى وعمارة
 وهم حضروا والناس باد فريقيهم
 أبوهم قصي كان يدعى مجمعا

أغر هجان اللون⁽¹⁾ من نفر زهر
 نقي الثياب والذمام من الغدر
 وصول لذي القربى رحيم بذي الصهر
 كنسل الملوك لا تبور ولا تحري⁽²⁾
 تجده بإجـرياً أوائله يجري⁽³⁾
 إذ استبق الخيرات في سالف العصر
 وعبد مناف جدهم جابر الكسر
 وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
 به جمع الله القبائل من فهر

إلى أن يقول:

أخارجُ إما أهلكن فلا تزل
 ولا تنس ما أسدى ابنُ لبنى فإنه
 لهم شاكراً حتى تغيب في القبر
 قد أسدى يداً محقوقةً منك بالشكر

إلى آخرها.. (وابن لبنى هو أبو لهب الذي استنقذه من جذام بأمر عبد المطلب)
 والقصيدة هي المدح الذي فاز به عبد المطلب من حذافة في قول الناظم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

عز رزاح بن عدي بعمر^٢ والعز قبل في عويج الأغر^١

يعني أن بيت بني عدي وعزهم كان في بني عويج إلى أن شب عمر

(1) هجان اللون: أبيضه.

(2) لا تبور: لا تهلك، ولا تحري: لا تنقص.

(3) الإجرى (بالقصر والمد): الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه، والخلق والطبيعة.

وزيد ابنا الخطاب وابن عمهما سعيد بن زيد، فكان الشرف في رزاح⁽¹⁾
بهؤلاء الثلاثة؛ أما عمر وسعيد فتقدّما.

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

وأما زيد فأمه من بني أسد بن خزيمه ثم من بني قعين واسمها أسماء بنت
وهب، وأخوه لأمه عثمان بن حكيم بن حارثة بن الأوقص السلمي، أبو
أمّ سعيد بن المسيب. أسلم زيد قديما وشهد بدرا وما بعدها؛ أعطاه عمر
يوم أحد درعه يلبسها فقال: يا أخي أنا أريد من الشهادة مثل ما تريد
فتركاها جميعا. ثم استشهد زيد يوم اليمامة عن عاتكة الشهداء - ولم يعدّه
الناظم من شهدائها - فقال عمر: رحم الله أخي سبقني إلى الحسين: إلى
الإسلام وإلى الشهادة، وحزن عليه حزنا شديدا حتى قال لمتّم بن نويرة
حين أنشده مراثيه في أخيه مالك: لو كنت أحسن الشعر لقلت في أخي
زيد مثل ما قلت في أخيك، فقال متمم: لو ذهب أخي إلى مثل ما ذهب
إليه أخوك ما حزنّت عليه، فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به.
وكان يقول: ما هبت الصبا إلا أتتني بريح زيد.

ولم يكن لزيد من الولد إلا عبد الرحمن؛ أمه لبابة بنت أبي لبابة بن
عبد المنذر الأنصاري؛ وكان اسم عبد الرحمن هذا محمّداً، فسمع عمر
يوما من ينادي من اسمه محمد فسبه، فقال له عمر: أتسمّيه محمدا ثم تسبه؟

(1) رزاح: بفتح الراء والزاي كما في الجمهرة.

فدعا محمد بن زيد فسماه عبد الرحمن، فكان ذلك اسمه. وكان شبيها بأبيه حتى كان عمر إذا نظر إليه قال:

أخوكم غير أشيب قد أتاكم بحمد الله عباد له الشباب!

وزوجه عمر بنته فاطمة فولدت له عبد الله بن عبد الرحمن.

ولعبد الرحمن تسعة أولاد: عبد الله هذا، وعمر؛ أمه من ثقيف، وعبد العزيز وعبد الحميد؛ أمهما من بني البكاء بن عامر بن صعصعة، وعبد الحميد؛ ولي الكوفة لعمر بن عبد العزيز، وهو الأعرج المحدث وكاتبه أبو الزناد المحدث أيضا؛ وكثيرا ما يكونان في السند الواحد فيقال: حدثنا أبو الزناد عن الأعرج (وأبو الزناد من ولد عبد الرحمن بن عوف)⁽¹⁾، وأبو بكر ومحمد وإبراهيم وأسيد؛ أمهم سودة بنت عبد الله بن عمر؛ وخلف عليها عروة بن الزبير فولدت له أسماء. (ويحكى أن سودة هذه ابتدأت الطواف في زمنها تحت عروة حين فراغها من صلاة العشاء وما أتمته إلى أن أذن للصبح لشحمها!). والتاسع: عبد الملك بن عبد الرحمن؛ لأم ولد.

ومر بني عويج أبو جهم بن حذيفة (بالياء) ابن غانم، ابن عم خارجة والمثلم ابني حذافة (بالألف) بن غانم. أسلم أبو جهم عام الفتح وكان من رؤساء قريش وعلمائهم بالأنساب، حضر بناء الكعبة مرتين: حين بنتها قريش في الجاهلية وحين بناها ابن الزبير، وكان يقول: أدركت أثر قدم

(1) اسمه عبد الله بن ذكوان. أخذ عن أنس بن مالك وخلقا من التابعين، لقبه سفيان بأمير المؤمنين في الحديث. توفي 121 هـ.

إبراهيم في المقام ولم أر شيئاً أشبه به من قدم رسول الله ﷺ. وبنوه نجباء منهم محمد، وعبد الله أخو عبيد الله بن عمر لأمه؛ أمهما ملىكة بنت جروال الخزاعية، وصخر، وصُخَيْر، وعبد الله، الأصغر، وسليمان؛ أمهم امرأة من غسان يقال لها زجاجة؛ وهي التي بسببها كانت الحرب بين بني عدي، التي قتل فيها زيد الأكبر بن عمر. وذلك أن خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة التميمية - أم محمد بن أبي جهم - اشتكت فادعت أن سحرتها زجاجة، ففر بزجاجة ابناها سليمان وعبد الله الأصغر، فدخلوا على عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فمنعهما، واجتمعت إليه بنو رزاح، إلا بني عمر بن الخطاب لم يكن لهم إلا النهي؛ واجتمعت بنو عويج على بني أبي جهم الآخرين، فوقع بينهم حرب قتل فيها زيد حاكراً بين الفريقين - كما قدمنا.

ومن عويج أيضاً النعمان بن عدي بن نضلة؛ هاجر به أبوه إلى الحبشة ومات بها أبوه وورثه، وهو أول موروث في الإسلام. واستعمل عمر النعمان على بيسان فاستغفاه فلم يعفه، فقال:

فَمَنْ مَبْلَغُ الْحَسَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا	بَيْسَانَ يُسْقَى فِي زَجَاجٍ وَحْتَمَ
إِذَا شئتُ غَنَانِي دِهَاقِينَ قَرْيَةٍ	وَصَنَاجَةً تَجْدُو عَلَى كُلِّ مَنْسَمٍ
إِذَا كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي	وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُثْلَمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ	تَنَادَمْنَا بِالْجَوْسُقِ ⁽¹⁾ الْمُتَهْدَمِ

(1) الجوسق: البناء العالي أو الحصن.

فلما سمع عمر الأبيات⁽¹⁾ قال: ما قالها إلا يريد أن أعزله، فعزله. ونزل البصرة فلم يزل يغزو مع المسلمين إلى أن مات.

ومن عويج أيضا عمرو وعروة ابنا أبي أثاة، كانا قديمي الإسلام وهاجرا إلى الحبشة، أمهما النابغة بنت حرملة البلوية، أم عمرو بن العاص.

ومن عويج أيضا سليمان بن أبي حثمة بن غانم، ابن عم أبي جهم وخارجة والمثلث، وكان سليمان رجلا صالحا فاضلا استعمله عمر على سوق المدينة وجمع عليه الناس لصلاة التراويح، وجمعهم أيضا لصلاة التراويح على أبي بن كعب. وأم سليمان: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس من بني رزاح بن عدي؛ هاجرت مع ابنها سليمان إلى المدينة، ومر بها عمر يوما فسألها عن سليمان، وكان فقده في صلاة الصبح، فقالت: بات يصلي وغلبه النوم عن الصلاة، فقال عمر: صلاة الصبح في الجماعة أفضل من قيام الليل كله. وأخت سليمان ليلي بنت أبي حثمة زوج عامر بن ربيعة العنزي، وهي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة - ثم أم سلمة - بعد أن هاجرت مع زوجها إلى الحبشة الهجرة الأولى.

ومن هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا من بني عدي ثم من بني رزاح: عبد الله

(1) كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ (غافر: 1-3)، أما بعد فقد بلغني قولك لعل أمير المؤمنين.. إلخ.. وأيم الله لقد ساءني ذلك. وعزله، فلما قدم عليه سأله فقال: والله ما كان من هذا شيء وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط، فقال عمر: أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا أبدا. فنزل البصرة.. إلخ

وعمر بن ابنا سراقه بن المعتمر بن أنس بن أداة؛ وأداة ابنته قيلة أم أبي قحافة⁽¹⁾.
هنا انتهى الكلام على عدي فشرع يتكلم على بني هصيص وهم
قبيلتان من قبائل قريش الاثني عشرة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب هصيص بن كعب

مِنْ صُلْبِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصٍ جُمَحُ سَهْمٌ، وَمِنْهُمْ الَّذِي لَا يَبْرَحُ
يُدَاعِبُ الْهُوزَ وَمِنْ دُعَابَتِهِ حَلُّ حِزَامِ رَحْلِ هَادِي أُمَّتِهِ

هصيص (كزير). ومنهم: أي ومن سهم، وإنما يعود الضمير في الغالب على
أقرب مذكور. قوله: لا يبرح: لا يزال. ويداعب: يمازح. والهوز: الخلق.
والدُعابة (بالضم): المزاح. واسم جمع تيم، قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه:
أتيم بن عمرو والذي جاء بغضة⁽²⁾ ومن دونه الشرماء والبرك أكتع⁽²⁾
واسم سهم: زيد؛ سميا بهذين الاسمين لأنهما تناضلا فجمع تيم فسمي
جُمحا وسهم زيد فسمي سهمهما⁽³⁾.

(1) وفي كتاب نسب قريش لمصعب: وأمه قيلة بنت أداة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح
بن عدي بن كعب. وفي أسد الغابة: أمه آمنة بنت عبد العزيز بن حرثان بن عبيد بن عويج
بن عدي بن كعب. وذكر في الإصابة الروايتين.

(2) الشرماء والبرك: موضعان، واكتع: من ألقاظ التوكيد بمعنى أجمع.

(3) وذلك أنهما تسابقا إلى غاية فجمع عنها تيم فسمي جمحا ووقف عليها زيد فقليل قد سهم زيد
فسمي سهمما، وقيل سمتهما أمهما الألود بنت عدي بن كعب بذلك. ولعمير بن رثاب السهمي:

ونحن بنو زيد الأغبر ومثلنا يحامي عن الأحساب عند الحقائق

يعني بزيد سهمما جدهم الأعلى.

عبد الله بن حذافة رضي الله عنه

يقول⁽¹⁾ ومن دعا به عبد الله بن حذافة للخلق - وهي أكبرها - أنه يوماً حل حزام راحلة النبي ﷺ وهو عليها في بعض أسفاره، ف قيل له في ذلك، فقال: قد علمت أنه نبي وأن الناس لا يضرونه.

وَأَمْرُهُ قَوْمًا عَلَيْهِمْ أَمْرَةٌ أَمِيرُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَسْعَرَةَ

أي ومن دُعابته أيضاً أنه أَمْرُهُ علقمة بن محرز، وكان أميراً على سرية، فتعجل بعضهم بالرجوع فأمر عليهم علقمة عَبْدَ اللَّهِ، فباتوا في أرض كثيرة الحطب فأمرهم أن يوقدوا ناراً عظيمة؛ فلما التهبت قال لهم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فاقتحموا إذا هذه النار وادخلوها؛ فتهيأوا لدخولها فقال لهم: مكانكم إنما كنت أمارحكم! فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه فقال: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه»، أو قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»⁽²⁾.

(1) أما هصيص بن كعب بن لؤي فمن ولده جمح وسهم ابنا عمرو بن هصيص؛ ومن سهم منهم سيدنا عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، يكنى أبا حذافة، أسلم قديماً وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانت فيه دعاة أي ممازحة معروفة.

(2) أخرجه ابن ماجه وأحمد، وفي الاستيعاب وغيره أيضاً أنه أَمْرُهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية ثم لما أمرهم بالاقترحام في النار أبوا فقال لهم: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال: «من أطاع أميري فقد أطاعني»؟ فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا رسول الله إلا لننجو من النار، فصَوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعَلَّهم وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وَسُؤْلُهُ النَّبِيَّ مِنْ أَبَوْهُ فِي مَلٍ وَهُوَ إِذَا مَعْتُوهُ
عِنْدَ الْحَصَانِ أُمِّهِ وَذَا الْفَكِّهِ عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ حُذَافَةَ النَّبِيِّ

أي ومن دُعابته أيضا أنه سأل النبي ﷺ في جماعة⁽¹⁾ قال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: «أبوك حذافة»⁽²⁾، فعاتبته أمه حين سمعت بسؤاله النبي ﷺ وقالت له: ويحك ما أحملك لو نسبك رسول الله ﷺ إلى غير حذافة بين قريش فما كنت فاعلا؟⁽³⁾. والحصان: العفيفة. وأمّه: من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة. والفكه: ذو الفكاهة الذي يضحك بها أصحابه. والنبيه والنابه: بمعنى، أي وذا الذي يمازح الناس ويفاكهم عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِكِسْرَى نَبِينَا، وَعَمَّهُ الزَّبَعْرَى
سَلِيلُ قَيْسِ الْعَزِيزِ ابْنِ عَدِي جَدُّ بَنِي الْحَارِثِ أَشْرَافِ النَّدِي
وَحَارِثُ أَبَوْهُمْ الْمُسْتَهْزَى بِالْقَرْحِ جَمْرُ شَرِّهِ مُنْطَفِئُ

(1) في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلّى الظهر فلما سلم قام على المنبر فقال: «من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا»، قال: فسأله عبد الله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) وقالت له: أأمنت أن تكون أمك قارفت ما تقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟. والمعتوه: ناقص العقل أو فاقده.

وهو: أي عبد الله بن حذافة أرسله النبي ﷺ إلى كسرى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فقال: أكون عبدا لعبدي! أوليس بعدي؟ ومزق الكتاب وقال لعبد الله: والله لو لا أن الرُّسل عندنا لا تقتلُ لقتلتك، وبعث إلى وزيره⁽¹⁾ باليمن باذان: أنه قد بلغني أن رجلا من العرب يزعم أنه نبي فابعث إليه أن يرجع وإلا فأتني برأسه. فلما قرأ باذان الكتاب بعث به إلى النبي ﷺ مع رجلين من الفرس عظيمي الجسمين قويين، تغطي شعورهما شواربهما قد حلقا لحيتيهما يهول منظرهما، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما نحن فنعفي اللحى ونحفي الشوارب»⁽²⁾، فأقامهما النبي ﷺ عنده يومين ثم سيرهما بكتاب إلى باذان يقول فيه: «أمّا بعد فإن كسرى قتل ابنه في الليلة الفلانية من شهر كذا»⁽³⁾، فلما قرأ باذان الكتاب قال: إن كان نبيا فسيكون ما قال. فلم يلبث أن أتاه رسول الابن بقتل أبيه، وأنه إنما قتله لإصلاح أمر الفرس لأنه أفسد أمرهم وفعل بهم وفيهم.. فأرّخ باذان لليلة التي قتله فيها فإذا هي كما ذكر النبي ﷺ فأسلم وبعث بإسلامه وإسلام من معه إلى النبي ﷺ. ومكث شيرويه بعد قتل أبيه ستة أشهر ومات؛ وذلك عادة من قتل أباه لا يمكث بعده أكثر من ستة أشهر. ثم تسافل ملك الفرس إلى أن انعدموا، وذلك لدعوة النبي ﷺ لما مزق كسرى كتابه

(1) أي واليه.

(2) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم..

(3) ذكره في فتح الباري (763/9)، والبداية والنهاية (420/3) وتاريخ الطبري (133/2).

قال: «مزق كتابي مزق الله ملكه»⁽¹⁾، وممزق الكتاب ابرويز، وهو الذي غلبت فارسُ الرومَ في زمنه؛ وهو ابن ازدشير بن أنوشروان، الملك العادل لم يكن قبله قطُّ ملكٌ أعدلَ منه؛ قال صلى الله عليه وسلم: «ولدت في زمن الملك العادل»⁽²⁾ يعني أنوشروان. وبنى إيوانه الذي لما بناه أهدت إليه ملوك الأرض هبةً له. وقال عبد الله بن حذافة في مسيره إلى كسرى شعرا. ثم أسرتُهُ الروم بعد ذلك وراودوه عن دينه كل مراودة، فعصمه الله منهم⁽³⁾ حتى مات على الإسلام بمصر في خلافة عثمان.

قوله: وعمه الزبعرى: أي عم عبد الله بن حذافة، لأن حذافة والزبعرى أخوان؛ والزبعرى في اللغة الناقةُ البراء والشيء الخلق، وسمي به ابن قيس بن عدي هذا، وهو والدُ عبد الله بن الزبعرى الشاعر الذي يقال إنه أشعرُ قريش؛ وأم عبد الله عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن أهيب بن حذافة بن جمح. وهو القائل:

(1) أخرجه أحمد.

(2) ذكره البيهقي، وقال: باطل لا أصل له. [انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم: 997].

(3) وجه عمر جيشا إلى الروم فيهم عبد الله بن حذافة فأسروه فقال له ملك الروم: تنصّر أشركك في ملكي فأبى، فأمر به فصلب وأمر برميّه بالسهم فلم يجرع فأنزل وأمر بقدر فصب فيها ماء وأغلي وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه فيها إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال: ردوه، فقال له: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب فقال له: قبل رأسي وأنا أحلي عنك، فقال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، فقبل رأسه فحلى عنهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه - [الإصابة].

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

وكان أشدّ قریش على النبی ﷺ وأصحابه بلسانه ونفسه وهجائه،
فأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وقال حين أسلم:

منع الرقاد بلابل وهموم	والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني	فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أوصالها	عيرانة سُرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي	أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خُطة	سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني	أمر الغواة وأمرهم مشؤوم
فاليوم آمن بالنبي محمد	قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	وأنت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر - فدى لك والدَي كلاهما -	زلي فإنك راحم مرحوم
وعليك من سمة الملك علامة	نور أغر وخاتم مختوم
الله يعلم أن أحمد مرسل	مستقبل في الصالحين كريم ⁽¹⁾

(1) وله من قصيدة:

يشهد السمع والفؤاد بما قُد	تُ ونفسي الشهيد وهي الخبير
أن ما جئت به حق وصدق	ساطع نوره مضيء منير
جئنا باليقين والصدق والبر	روفي الصدق واليقين السرور
أذهب الله ضلة الجهل عنا	وأنا الرخاء والميسور

ويقول أيضاً:

سرت الهموم بمنزل السهم	إذ كنّ بين الجلد والعظم
ندماً على ما كان من زلل	إذ كنت في فتن من الإثم

ذكر في هذه الأبيات ثلاثة من بني قيس بن عدي: حذافة وهو أبو عبد الله وخنيس زوج أمنا حفصة - كما قدمنا - والزبيري والد عبد الله بن الزبيري والثالث الحارث وهو المستهزئ بالنبي ﷺ، كما قال، وانطفأ جهرُ شره عن النبي ﷺ بالموت بالقروح في رأسه وسائر بدنه، كما قال البوصيري في ذكره ما مات به المستهزئون:

وعلى الحارث القيوح وقد سال ل بها رأسه وساء الوعاء
وأُمُّ الحارث هذا وأخيه حُذافة: الغيطة⁽¹⁾ من كنانة، ويقال لسهم من هذا: الغياطيلُ، قال أبو طالب:

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني خلف غيظاً بنا والغياطل
ومدح بني الحارث بقوله: أشراف الندي قبل ذكر أبيهم بالاستهزاء
بالنبي ﷺ لاستحقاقهم المدح بصُحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهاجر
منهم ستة الهجرة الحبشية، وهم عبد الله المبرق وأبو قيس والسائب

--- >>

حَـيران يَعمَةُ في ضلّالته	مستوردا لشرائع الظلم
عمَةُ يُزَيِّنُهُ بنو جمح	وتوازرت فيه بنو سهم
فاليوم آمن بعد قسوته	عظمي وآمن بعده لحمي
بمحمدٍ وبما يجيء به	من سنة البرهان والحكم

صلى الله عليه وسلم.

(1) الغيطة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصّعق بن شنوق بن مرة بن عبد مناة بن كنانة - [الزبيري].

والحارث ومعمر وسعيد وبشر⁽¹⁾ وصحب تميم والحجاج. وقد ذكرت أهل
الحبشة منهم في نظمي لمهاجرة الحبشة فقلت:

هم معمر وحارث سعيد وبشرهم والسائب الشهيد
كذا أبو قيس كذا سعيد أخ لهم من أمهم⁽²⁾ سعيد

أي سعيد بن عمرو التميمي أخ لهم من أمهم وحليف لبني سهم، أمهم
بنت حرثان من بني سُوءاة بن عامر بن صعصعة. وسُمِّي عبدُ الله المبرق
لقوله حين هاجر الحبشة:

(1) أما أبو قيس فاسمه كنيته؛ أمه أم ولد حضرمية، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها
فشهد أحدا وما بعدها واستشهد باليمامة. وأما السائب فأمه كنانية من بني شنوق بن مرة
بن عبد مناة، كان من السابقين إلى الإسلام؛ هاجر إلى الحبشة وجرح يوم الطائف وقتل بعد
ذلك يوم فحل بالأردن سنة ثلاث عشرة في أول خلافة عمر. وأما الحارث بن الحارث
ف قيل ممن هاجر إلى الحبشة، واستشهد بأجنادين وقيل باليرموك. وأما معمر فكان من
مهاجرة الحبشة. وأما سعيد بن الحارث فأُمُّه ضعيفة بنت عمرو بن عروة بن حذيم
السهمية، كان ممن هاجر إلى الحبشة واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، سنة خمس
عشرة. وأما بشر ف قيل اسمه سهم وكان من مهاجري الحبشة.

وللحارث المستهزئ من الولد أيضا عبد الله و تميم والحجاج، أما عبد الله فيلقب بالمبرق؛ أمه
من بني نعيم بن عامر، وكان أيضا ممن هاجر إلى الحبشة واستشهد بالطائف وقيل باليمامة.
وأما تميم فأمه بنت حرثان بن حبيب من بني عامر بن صعصعة؛ هاجر الحبشة أيضا
واستشهد بأجنادين. وأما الحجاج فقد هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد أحد، ولا عقب
له، واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك وقيل لم يهاجر إلى الحبشة، وأسر يوم بدر.

(2) هو سعيد بن عمرو التميمي نسبا السهمي بالخلف، أمه بنت حرثان، أخو السائب و تميم
والحجاج وغيرهم من بني الحارث من أمهم بنت حرثان، هاجر مع إخوته إلى الحبشة
واستشهد بأجنادين.

إذا أنا لم أبرق فلا يسعني من الأرض برّ ذو فضاء ولا بحر
 بأرض بها عبد الإله محمد يُبين ما في الصدر إذ بلغ النقر⁽¹⁾
 فتلك قريش تجحد الله ربها كما جحدت عاد ومدين والحجر

(والإبراق: الذهاب). واستشهد المبرق بالطائف، وكلهم - أو جلهم - ماتوا شهداء، وأبو قيس كنية عبد الله وهو سيد قريش غير مدافع - (قاله في الإصابة).

هنا انتهى سعد، ومن سعيد أخيه عمرو ذو الدها والكيد

سعد الذي انتهى هو سعد بن سهم. وشرع يتكلم في سعيد (بصيغة التصغير). وأخيه: أي أخي سعد، وهو عطف بيان أو بدل من سعيد. وعمرو: مبتدأ خبره: من سعيد. وذو الدها: صفة لعمرو، وهو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، ويضرب به المثل في الدهاء⁽²⁾؛ والدهاء: جودة الرأي ومنه الكيد.

عمرو بن العاص ودهاؤه

ومن دهائه ما وقع له مع عمارة بن الوليد بن المغيرة حين بعثتهما قريش إلى النجاشي ليُسَلِّمَ لهم أصحاب النبي ﷺ، وسار عمرو مع زوجته ربيعة بنت منبه بن الحجاج، وهي أم ابنه عبد الله بن عمرو، فلما كانوا في

(1) النقر (بالقاف): كنى به عن الدعوة والتنبيه إلى الحق - [حاشية الزبيري].

(2) كان عمر إذا استضعف رجلا في رأيه وعقله يقول: أشهد أن خالك وخالك عمرو واحد! وكان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية وكان شاعرا مجيدا.

الطريق تعاشق عمارة مع ربطة، وكان عمارة في غاية الحسن محبباً إلى النساء، ففطن لهما عمرو ولكن لم يظهر لهما ذلك، فأتوا إلى سفينة في البحر يريدون ركوبها فقدّموا المرأة فركبت وركب معها عمارة، فأمر أهل السفينة أن يجروها بعدما شرع عمرو في الركوب ففعلوا، وبقي عمرو في الماء فكاد يغرق ولكن سبح وصاح بأهل السفينة حتى لحقها وركب، فرأى في عمارة والمرأة الخجل، وعزم عليها أن تقوم إلى عمارة وتكون معه في مكان من السفينة؛ قال: قومي إلى ابن عمك وقبليه. فلما ذهب ذلك وأتوا أرض الحبشة قال له عمرو: يا عمارة إن قريشا بلغهم عنا شيء؛ فالآن أكتب أنا إلى بني سهم أن يتبرأوا مني ومن دمي واكتب أنت إلى بني مخزوم مثل ذلك، ففعلوا.

فلما وصل الكتاب إلى قريش قالوا: مات والله عمارة.. إنها لمكيدة من عمرو، فلما وصلوا إلى الحبشة قال له: يا عمارة إنك لجميل وذو مكانة عند النساء، والحبشة يطيعون نساءهم، فتلطف في لقيا زوجة الملك حتى يكون بينك وبينها ما تشفع به فينا عنده.. فالتقط عمرو بعض ما كان بينهما وسعى به إلى الملك، فقال: لا أقتله ولكن أفعل به ما هو كالقتل أو أشد منه؛ فأمر السّواحر فنفخن في إحليله فطار منه فؤاده وهام في الأرض مع الوحش يرعى معه ويرد معه المياه، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب استشاره عبد الله بن أبي ربيعة في أن يأخذه، فأذن له فصار إليه فكمن له على ماء يردّه مع الوحش حتى أخذه فنفر منه وقال: أرسلني بـجـير.. ولم يزل يقولها وعبد الله ممسك به حتى مات في يديه.

فلما لم يجد عمرو من النجاشي ما يريد من قومنا الذين عنده رجع إلى قريش. ثم بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابين أحدهما يدعوه فيه إلى الإسلام والآخر أن يُسِيرَ إليه القوم، فقالت: قريش لعمر بن العاص: ارجع إليه بهدية هي أحب ما يهدى إليه، قال: أحب ما يهدى إليه آدم فاجمعوا لي من آدم.

إسلامه على يد النجاشي

فسار إليه، فلما دخل عليه قال: هذا صاحبي ما أهديت إلي؟ قال: قبة من آدم، قال: مرحبا بك ما حاجتك؟ قال: هؤلاء القوم الذين عندك تدفعهم لنا، فصفعه النجاشي صفعة عظيمة، فأطرق عمرو ساعة ثم قال له النجاشي: ويلك يا عمرو أسلم.. والله لتعلم أنه نبي. فلم يزل يدعوه إلى الإسلام ويحسنه له إلى أن أسلم على يد النجاشي. فخرج من عنده يريد النبي ﷺ، فلقي خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري يريدان الإسلام فتكاثما خبرهم. ولم يزل عمرو يسأل خالدا إلى أن قال له: ويحك يا عمرو ظهر والله المنسم - يعني الأثر (لأن المنسم في القدم التي تؤثر في الأرض) وفي رواية: الميسم يعني العلامة - إن الرجل والله إنه لنبي فأسلم تسلم، فقال عمرو: ما جئت إلا لذلك⁽¹⁾.

(1) قال عمرو بن العاص وهو يحدث عن سبب إسلامه: كنت للإسلام مجانبا معاندا، حضرت بدرا مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحدا فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، قال: فقلت في نفسي والله ليظهر محمد على قريش. فلحقته بمال لي بالرهط وأقللت من لقاء الناس، فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ورجعت

قريش إلى مكة، جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه؛ ما مكة بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج.. وأنا بعد ناء عن الإسلام وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم. فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدموني فيما نابهم، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو علواً منكراً وإنني قد رأيت رأياً فما ترون فيه؟ قالوا: وما هو؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن يظهر محمد على قريش كنا عند النجاشي فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: هذا الرأي، قال: قلت فاجمعوا ما نهديه له. وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فحملنا أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، قال: فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية ولو دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فأكون قد قتلت رسول محمد، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع فقال: مرحباً بصديقي، فقلت: أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدونا الذي وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله، قال: فغضب من ذلك ورفع يده وضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما سألتك إياه.. قال فاستحيا وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول رسول الله، من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لتقتله؟! قال عمرو: فغير الله قلبي عما كنت عليه وقلت: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه، قال قلت: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم؛ فبسط يده فبايعني على الإسلام، قال: فخرجت إلى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت فيها حتى انتهيت إلى الشعبة فنزلت منها ومعني نفقة، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على "مر الظهران" ثم مضيت حتى إذا كنت "بالهدة" فإذا رجلاً قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً، واحد منهما داخل في الخيمة والآخر ممسك الراحلتين، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، فرحباً بي، ونزلنا جميعاً في المنزل.

فترافقوا حتى قدموا على النبي ﷺ، فلما رأهم قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»⁽¹⁾، قال عمرو: وكنت أسنّ القوم فأردت أن أكيدَهُما فقدّمتهما يُبايعان قبلي حتى أسمع ما يبايعان عليه لأزيد عليه، فبايعاه على غفران ما تقدم من ذنبهما، وأضمرت في قلبي أن أبايعه على غفران ما تقدم من ذنبي وما تأخر، فبايعت على غفران ما تقدم من ذنبي.. ونسيت ما تأخر، ولم أزد عليهما شيئاً⁽²⁾.

-- >>

وفي رواية أنه سبقهما إلى "الهدّة" فلما قدما عليه رحب بهما فقالا: وبك، فقال إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكما؟ قالا: الدخول في الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، قال: وذاك الذي أقدمني؛ فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح: يا رباح يا رباح يا رباح.. فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فسمعته يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين - وظننت أنه يعني أنا وخالد بن الوليد - وولى مدبراً إلى المسجد سريعاً، فظننت أنه بشرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمنا، فكان كما ظننت. وأنخنا بالحرّة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سُرّوا بإسلامنا، فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه، قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي - ولم يحضرني ما تأخر - فقال: «إن الإسلام يجب ما قبله»، قال: فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة، وكان عمر على خالد كالعائب.

- (1) ذكره في الرحيق المختوم عن ابن هشام. ويعني بأفلاذ كبدها أنهم وجوه أهل مكة.
- (2) وإلى تاريخ إسلام هؤلاء وقدمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء آبائهم وقبائلهم أشار الشيخ محمدفال بن متال رحمه الله فقال:

<<=

تولية النبي ﷺ والخلفاء له

وحسن إسلام عمرو وعمل للنبي ﷺ مراراً، منها انه أمّره على سرية ذات السلاسل؛ ثم بعث إليه يستمده فأمدّه بقوم فيهم أبو بكر وعمر، فأمر عليهم أبا عبيدة وقال له: «لا تخالف عمرا، فلما جاءه المدد أراد عمرو الإمامة فنازعه أبو عبيدة، فقال له عمرو: أنا أميرك، فقال له أبو عبيدة: أنت أمير من معك وأنا أمير من معي، فقال له عمرو: إنما أنت ومن معك مدد لي؛ فقال أبو بكر وعمر لأبي عبيدة: إنّ رسول الله ﷺ أوصاك أن لا تخالف عمراً. وصار عمرو يؤم الجميع وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة - وهو حديث عهد بالكفر - لإمارته عليهم⁽¹⁾. ومنها أنه قال له رسول الله ﷺ مرة: «أريد أن أوجهك لوجه وأرغب لك رغبة من المال»، قال: يا رسول الله وجهني إلى حيث شئت ولا حاجة لي في المال، فقال صلى الله عليه وسلم: «نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح»⁽²⁾، فبعثه

-- >>

بين الحديبية جا وخيبرا عثمان عمرو خالد خير الوري

طلحة العاص وليد الشوم البدري والسهمي والمخزومي

وإلى هذا المعنى أيضا أشار الشيخ محمد مولود بن محمد بن المختار (امرابط اغشمت) بقوله:

عمرو وخالد وعثمان هم أفلاذ مكة بوقت أسلموا

أبناء عاص والوليد المدبر وطلحة نجل أبيه البدري

(1) لأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما في صفر سنة ثمان - قبل الفتح بستة - أشهر، وأمّره صلى الله عليه وسلم على سرية ذات السلاسل المذكورة في جمادى الآخرة من نفس السنة، فكان بين إسلامه وتأميره نحو ثلاثة أشهر.

(2) أخرجه أحمد.

إلى عُمان يدعو ملكيها إلى الإسلام؛ وهما عَبْدٌ وَجَيْفَرُ ابنا الجُلَنْدَى فأسلما وأسلم أبوهما الجُلَنْدَى⁽¹⁾.

ثم بعد النبي ﷺ أمره أبو بكر على بعض جيوش الشام. ثم بعد أبي بكر أمره عمر على جيش إلى مصر ففتحها⁽²⁾، وكان يطلب ذلك من عمر ويرغب فيه، لأنه في الجاهلية - في تجارة إلى الشام - قدموا إيلياء فمكثوا فيها يبيعون تجارتهم، وكانوا يتعاقبون سرح إبلهم؛ فسرح عمرو يوماً؛ فبينما هو يرعى إبله وقد علّق سقائه في شجرة إذ جاءه شخص على غير هيئة أهل تلك الأرض عليه عمامة وحلة جيدة، فجاءه وقد أجهدته العطش؛ فسقاه عمرو من مائه ونام تحت الشجرة التي تحتها عمرو فجاءت حية عظيمة كأنها تقصدُ النائم فرماها عمرو وقتلها، فانتبه الرجل فإذا الحية عند رأسه مقتولة فسأل عنها عمرا فقال: أتت من هذه الجهة فقتلتها، فقال الرجل: يا هذا إنك أنقذتني من الموت مرتين: من موت

(1) ولم يزل عمرو على عُمان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) وكان عمر قد ولاه قبل مصر على فلسطين والأردن، ولم يزل واليا لعمر على مصر حتى مات عمر فأقره عثمان عليها، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، فلما قتل عثمان لحق عمرو بمعاوية بن أبي سفيان فكان معه في قتاله لعلي رضي الله عنهم؛ ثم ولاه مصر، ولم يزل عليها إلى أن توفي في بضع وأربعين عن عمر يبلغ تسعين سنة ودفن بالمقطم، وفيه يقول ابن الزبير:

ألم تر أن الدهر أخت صروفه	على عمرو السهمي تُجَبَى له مصر
فأضحى نبذا بالعراء وضللت	مكايدَه عنه وأمواله الدُّثُر
ولم يغن عنه جمعه وتلاده	ولا كيده لما أتيح له الدهر

العطش ومن هذه الحية التي كانت تريدني فمن أنت؟ قال: رجلٌ من العرب قدمت في تجارة ومعى أصحابي وهم في المدينة وأنا اليوم أسرحُ لهم إبلهم، فقال: وأنا قسيّس من قسيّسي الاسكندرية وقد نذرت الصلاة في بيت المقدس وجئت لذلك فأضلت الطريق حتى كاد يهلكني العطش فأنقذتني منه ومن الحية ولك علي ديتان، فما الدية عندكم؟ فقال عمرو: مائة بعير، فقال القسيّس: إنا أهل مصر لسنا بأهل إبل وإنما نحن أهل عين فما قيمة البعير عندكم من العين؟ قال: عشرة دنانير، فقال: تلك ألفا دينار فسرّ معى أعطيكهُما، ولم يكثر عمرو بقوله حتى راح معه إلى أصحابه فاستشارهم وطلب منهم رجلاً يسيرُ معه، فسار معه أحدهم واشترطاً على القسيّس أن يجيرهما إلى أرض العرب. فلما قدموا الاسكندرية أكرمهما وأعطاهما ألفي دينار وكساهما، فأرادا الخروج فقال لهما: إن لنا عيداً قد أقبل ولا عليكم أن تحضراه فتشهدا صنيعنا فيه، فانتظراه؛ وكانت لأهل مصر كرة يترامون بها فمن دخلت في لباسه يملك مصر، فتراموا بها فطارت فدخلت في كُمّ عمرو فقالوا: ما كذبتنا كرتنا هذه قطُّ قبل اليوم! فلما كانت المسلمون تفتح بلاد العجم طمع عمرو في ملك مصر، لدخول الكرة في كُمّه.

وأخو عمرو هشامُ بن العاص قديم الإسلام وهاجر الحبشة الهجرة الثانية واستشهد باجنادين أو اليرموك. وسئل عمرو: أيكما أفضل أنت أو أخوك هشام؟ قال: كان أحبَّ إلى أبيه مني وتعرفون فراسة الوالد في ولده واستبقنا إلى الله فسبقني، يعني الإسلام، وعرضنا أنفسنا على الله فقبله

وردني، والله أسأل حسن المآب. وأم عمرو النابغة بنت حرملة⁽¹⁾.
ومن عقله وحلمه أنه مر يوما بجماعة - وهو أمير - فقالت الجماعة: من
يسأل الأمير عن أمه وله كذا وكذا؟ فقام إليه رجل فقال: أصلح الله
الأمير قد عرفنا العاص بن وائل فمن الأم؟ فقال: امرأة أصابتها رماح
العرب فوطئتها جماعة فولدني وأعطيتني القافة للعاص، فarsil لجام البغلة
وخذ أجرتك. ويكنى عمرو أبا عبد الله، بابنه عبد الله الذي ولد على
إحدى عشرة سنة⁽²⁾. وألغز عبد الله بن القاضي العلوي⁽³⁾ لزوايا القبلة⁽⁴⁾ في
عمرو وابنه عبد الله فقال:

أتيناك نوّكى مُرملين فواسِنا ياسلام صحي على يد تابع
وسبق أب ميلاده مولد ابنه بخمس وست أو عززن بسابع

(1) واسمها سلمى، سبيت من بني جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فبيعت بعكاظ
فاشترها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن
وائل فولدت له عمرا، وإخوة عمرو بن العاص لأمه: عمرو بن أثانة العدوي وعقبة بن نافع
بن عبد القيس من بني الحارث بن فهر وزينب بنت عفيف بن أبي العاص.. كل هؤلاء
إخوة لأم.

(2) أي أن عبد الله هذا ولد وعُمّر أبيه عمرو بن العاص إحدى عشرة سنة.

(3) هو العلامة الأديب والشاعر المشهور سيدي عبد الله بن محم (محمد) بن عبد الله بن
الطالب العلوي المشهور بابن رازكه، وهي أمه. وجده عبد الله بن الطالب هو القاضي
ويعرف بالغازي، وكانت لابن رازكه هذا وآبائه محظرة من أكبر المحاضر الشنقيطية يدرس
فيها جل العلوم. وتوفي ابن رازكه سنة أربع وأربعين ومائة وألف هجرية وقبره مشهور في
مدينة شنقيط.

(4) الزوايا: مصطلح عند الشناقطة يطلقونه على الفئة المشتغلة بالعلم تعلمًا وتعليمًا وتدريسًا
وتصنيفًا. والقبلة: يطلقونها على الناحية الجنوبية الغربية من البلاد الموريتانية.

فأجابه جدنا محمد⁽¹⁾ رحمه الله فقال:

هما عمرو السهمي أسلم مخلصا بأصحة الملك النجاشي التابع
مع ابنه عبد الله قد جاء بعده بخمس وست ما عززن بسابع

(قوله: على يد تابع: فيه نظر لأن التابعي خاص بمن جاء بعد الصحابة وأما من كان في زمن النبي ﷺ ولم يره فإنما يقال له مخضرم كالنجاشي وأمثاله).

قيل لعمرو بن العاص: ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك؟ قال: "كنا مع قوم لهم علينا تقدم وسنّ حلومهم توازي الجبال ما سلكوا فجاء فسلكناه معهم إلا وجدناه سهلا، فلما أنكروا أمر النبي ﷺ أنكروا معنا ولم نفكر في أمرنا وقلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا في أمر النبي ﷺ فإذا الأمر واضح فوق في قلبي الإسلام، وعرفت قريش ذلك في إبطائي عما كنت أسرع إليه في عونهم على أمورهم، فبعثوا إلي فتى منهم فقال: إن قومك قد ظنوا بك الميل إلى محمد، فقلت له: يا ابن أخي إن كنت تحب أن تعلم ما عندي فموعدك الوقت الفلاني؛ فالتقينا فيه فقلت: أنشدك الله الذي هو ربك ورب من قبلك ورب من بعدك أنحن أهدي أم فارس والروم؟ قال: بل نحن، قلت: فما ينفعنا الفضل عليهم في الهدى إن لم يكن إلا في هذه الدنيا وهم فيها أكثر منا أمرا؟ قد وقع في

(1) هو العلامة محمد بن أبي أحمد - والد الناظم - كان من العلماء البارزين وسادة عصره المعروفين وكان على علمه من أبرز الأدباء والشعراء، وكانت له محظرة من أمّهات المحاظرة الشنقيطية وتوفي رحمه الله في صدر القرن الثاني عشر الهجري ودفن بموضع يعرف بـ"وراره" في الجنوب الشرقي من مدينة نواكشوط.

نفسى أن ما يقول محمد حق من البعث بعد الموت؛ ليجزى في الآخرة
المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه ولا خير في التماذي في الباطل".

وليس للعاص في الجاهلية من الولد إلا عمرو وهشام، أما عمرو فقدما
أمه؛ وأما هشام فأُمّه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل.
وليس له بعد أن أسلم ابنه ابن، لأنه الأبتى كما قال تعالى⁽¹⁾، لأن ابنه
صارا بالإسلام ابنين للنبي ﷺ لقوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ﴾⁽²⁾ وهو أب لهم في أول النزول⁽³⁾، ولقوله صلى الله عليه وسلم:
«أنا جدُّ كل تقي»⁽⁴⁾ ولقوله: «من ترك ديناً أو عيلاً فعندي وإلي»⁽⁵⁾، قال
محمد بن سعيد البوصيري:

خَمْسَةٌ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضَ فَكُفُّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءٌ

والقطع يدل على عدم النسل، إذ نسلهم انقطع عنهم بالإيمان؛ وهم:

(1) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ - (الكوثر 3).

(2) الأحزاب: 6.

(3) أي نزول القرآن الكريم، أي في صدر الإسلام قبل نزول قوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ
لِأَبَائِهِمْ﴾ وقد جاء في تفسير النسفي: في قراءة بن مسعود: "النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وهو أب لهم"، ومثله أيضاً في تفسير الثعالبي؛ قال: وفي مصحف أبي بن كعب:
"وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم". وفي النسفي: قال مجاهد: كل نبي أبو أمته ولذلك صار
المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين، وفيه أيضاً: كل من يولد إلى
يوم القيامة من المؤمنين فهم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وأعقابهم.

(4) في الحاوي: سئل عنه السيوطي فقال: لا أعرفه.

(5) رواه البخاري ومسلم.

العاص والوليد بن المغيرة والحارث بن الغيطلة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث، فهؤلاء هم المستهزون⁽¹⁾. وانقطع عن العاص ابنه هذان؛ وسبب نزول الآية أنه قال حين مات القاسم بن رسول ﷺ: ذلك رجل أبت، وإنما الأبت هو لنفي ابنه عنه بالإيمان، وكذلك بنو المستهزين غيره؛ كبني الحارث المتقدمين الكرام وخالد والوليد وهشام - بني الوليد بن المغيرة - وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهبار بن الأسود وعكرمة بن أبي جهل، وكذلك كل من أسلم من بني الكفار الذين ماتوا على كفرهم. ومن استهزاء العاص بالنبي ﷺ أنه أتاه خباب بن الأرت يتقاضاه دينا له عليه فقال: أنظرني إلى يوم القيامة الذي تزعم أنت وصاحبك أنه يكون لكم فيه كذا وكذا.. فإني لا أكون إلا أحسن منكم حالا فيه وتجدني فيه ذا ولد ومال أقضيك منه دينك، فنزل فيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾⁽²⁾. وهو الذي أجار عمر بن الخطاب من قريش يوم أسلم؛ رأى الناس يعدون بالبطحاء قال: أين تريدون؟ قيل: ابن الخطاب الذي صبا، فأشار إليهم بثوبه وقال: لا سبيل لكم إليه إني أجرته، فرجع عنه الناس بقوله. وفيه يقول ابن الزبعرى:

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق

(1) الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ - (الحجر: 95-96).

(2) مريم: 77.

فَأَوَى وَحْيًا إِذْ أَتَاهُ بِخُلَّةٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ الْأَقْرَبُونَ الْأَصَادِقُ
فَإِمَّا أَصِيبُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ نَصْرَةً أَتَتِكَ وَإِنِّي يَا ابْنَ سَلَمَى لَصَادِقُ
وَالَا يَكُنْ إِلَّا لِسَانِي فَإِنِّي بِحَسَنِ الَّذِي أَسَدَيْتَ عَنِّي لِنَاطِقُ
ثَمَالٌ يَعِيشُ الْمُقْتِرُونَ بِفَضْلِهِ وَسَيْبُ رَبِيعٍ لَيْسَ فِيهِ صَوَاعِقُ

عُدَّتْ لَهُ تِسْعُ أَرَادِبٍ ذَهَبُ خَلْفَهَا غَدَاةٌ لِلرَّمْسِ ذَهَبُ

الإردبُ (بالكسر وشد الباء): جلدُ العجل أو عنق الفحل. أي يوم مات عمرو بن العاص وذُهب به إلى القبر وجدوا تسعة أَرَادِبِ ذَهَبٍ في تركته، لأن معاويةَ خلى له خراج مصر ست سنين. ولما حضرته الوفاة قال له ابنُه عبد الله: يا أبت كنت تتمنى أن تلقى رجلاً عند الموت لبيا ثابتَ الجأش يصفه لك وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت، فقال: يا بني كأن السماء على الأرض انطبقت وأنا أتنفس بينهما، وكأن غُصن شوك اهليج يجذب من قدمي إلى هامتي، ثم قال: اللهم أمرتني فلم أؤتمر وزجرتني فلم أنزجر؛ ووضع يده على موضع الغل⁽¹⁾ وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مُستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. ولم يزل يكررها حتى مات.

وكان مع معاوية في جميع حروبه مع علي رضي الله عنهم - فولاه

(1) الغل (بالكسر): الضغن والعداوة والحقد الكامن وموضعه الصدرُ قال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ - (الأعراف: 43/ الحجر: 47). وقد ضرب صلى الله عليه وسلم صدر عمر حين أسلم وقال: «اللهم أذهب ما في صدره من غل وأبدله إيماناً».

مصر على ذلك - ومعه ابنه عبد الله مكرها؛ ولم يضرب فيها بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بنبل، وكان يقول: مالي ولصفين! وصلى على أبيه حين مات. وكان عبد الله يدمن الصيام ويقوم الليل، فقال له النبي ﷺ: «صُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ»⁽¹⁾.

ومن نسله عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو المحدث، يروي عن أبيه شعيب وشعيب يروي عن جده عبد الله بن عمرو؛ والسند: حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أي جد شعيب.

ولما ذكر عمرو بن العاص لزم من ذكره وذكر أبيه العاص بن وائل استطراد ذكر حلف الفضول، لأنه سببه؛ فقال رحمه الله وعفا عنه:

حَلَفُ الْفُضُولِ وَدَّةٌ خَيْرُ نَبِيٍّ	مَنْشَأُهُ أَنَّ ابْنَ وَائِلِ الْغُبِي
لَطَّ لَاتٍ مِنْ زَيْدٍ بِثَمَنٍ	بِضَاعَةٍ وَطَلَبَ الرَّجُلُ مَنْ
يُنْصِفُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي النَّدِي	إِلَّا الزُّيَّيرُ وَهُوَ عَمُّ أَحْمَدِ
فَجَمَعَ الْمُطَيِّبِينَ وَحَضَرَ	نَبِيَّنَا إِلَى ابْنِ جُدْعَانَ الْأَغَرِّ
وَعَقَدُوا: أَنْ لَا يُضَامَ أَحَدٌ	وَحُسِدُوا بَعْدُ عَلَى مَا عَقَدُوا

سمي بالفضول لأنهم تعاقدوا على أن يردوا فضول أموال الأغنياء على الفقراء، أو لأن هذا الحلف سبقهم إليه رجال من جرهم كلهم اسمه الفضل فاقتدوا بهم.

(1) متفق عليه.

حلف الفضول وسببه

وودّه: أحبه، لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «شهدت حلفا في دار ابن جُدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به اليوم لأجبت»⁽¹⁾، أي لم يكن من دعاء الجاهلية الذي حرّمهُ النبي ﷺ بقوله: «دعوها فإنها منتنة»⁽²⁾ وبقوله: «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تَكُنُوا»⁽³⁾ (قالها في غزوة المريسيع في أمر الواردة؛ إذ قال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين) وكانت العرب تقول في استصراخهم: يا لفلان ويا لبني فلان، فحرّمها صلى الله عليه وسلم وجعل مكانها: يا لله أو يا للمسلمين، إلا دعاء حلف الفضول، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ولو دعيت به اليوم لأجبت»؛ ولذلك لما توفي الحسن السبط رضي الله عنه أراد الحسين أن يجعله مع جدّه صلى الله عليه وسلم فمنعه مروانُ ومن معه من بني أمية، وقال: لم يدفن معه عثمان ويدفن معه غيره؟ والله لا يكون ذلك أبدا. فدعا الحسين أهل حلف الفضول فأتوه مصلي سيوفهم، وفيهم عبدُ الله بن الزبير يريدون القتال، فقام أبو هريرة إلى الحسين ولم يزل يُذكّرهُ بالله والرحم لئلا يقتتل الفريقان حتى قبل أن يدفن بالبقيع⁽⁴⁾. واستمر إلى اليوم جوازُ الدعاء بحلف الفضول، وهو

(1) رواه أحمد وأورده ابن هشام.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) تقدم تخريجه.

(4) وكانت بين الحسين بن علي رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في

كدعاء "يا لله ويا للمسلمين". وقوله: «فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا» أي قولوا له: عض أير أبيك - وهو سب العرب - ولا تقولوا: هن أبيك، والنبى ﷺ لا يصرح بالقبيح من الكلام، ولم يأت في القرآن التصريح به، ولكن الصحابة يصرحون به بين يدي النبي ﷺ ولكن في الحرب، كقول أبي بكر لعروة بن مسعود: امصص بظر اللات أنحن نفر عنه؟! وكقول سعد بن عبادة لحويطب بن عبد العزى: يا عاضا بظر أمه أهى أرضك أو أرض أبيك دونه⁽¹⁾؟!.

-- >>

مال كان بينهما بذى المروة بناحية وادي القرى، والوليد يومئذ أمير على المدينة من طرف عمه معاوية، فتحامل الوليد على الحسين لسلطانه فقال له الحسين: أحلف بالله لتصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدعون بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير - وكان حاضرا عند الوليد -: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعا، فبلغت المسور بن مخزومة الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن جدعان التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

(1) وذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام عمرة القضاء وأقام بها ثلاث ليال وقضى نسكه وكان ذلك هو الأجل الذي اتفقوا عليه بالحديبية، فلما كان اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى في نفر من قريش - وكانت قريش قد وكلت سهيلا وحويطبا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب: نناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فغضب سعد لما رأى من غلظة كلام حويطب وقال له: يا عاضا.. إلخ، ثم قال له: والله لا يخرج منها إلا طائعا راضيا، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا»، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالرحيل.

ومنشأ هذا الحلف، أي سببه، أن العاص بن وائل اشترى من رجل من زُبيد، وهم قبيلة من مَذحج، بضاعة قدم بها وأتى بها الحرم، فَلَطَّ له بـشمنها: أي مطله، وأبى أن يردّها عليه ولا ثمنها. فطلب الزبيدي رجلاً من قريش يأخذ له حقه من العاص، فلم يجده لعزّ العاص، فأمهّل حتى اجتمعت قريش في أنديتها، صعد أبا قبيس - أو على الحجر - وقال:

يا آل فهر لظلم بضاعته بطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته بين الإلاء وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقال الزبير بن عبد المطلب: ما يقول هذا؟ فأخبر؛ فدعا المطيبين - غير بني عبد شمس - من بني عبد مناف وجمعهم في دار عبد الله بن جُدعان وتحالفوا على ما تقدم⁽¹⁾، وحضر النبي ﷺ ذلك الحلف. ثم حسدتهم قريش - أي لعقة الدم وغيرهم - على هذا الحلف، لأنه من مكارم الأخلاق. وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج من قومه لخرجت من بني عبد شمس ودخلت في حلف الفضول.

وبعد ذلك قدم رجل من اليمن حاجاً معه ابنة له يقال لها القتول، ما ريء أجمل منها؛ فأخذها منه نبيه بنُ الحجاج السهمي، فأغلق عليها داره ومنعها من أبيها، فطلب الرجل من قريش من يأخذ له ابنته؛ فقليل له:

(1) فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته.

عليك بأهل حلف الفضول. فأتاهم وقاموا معه إلى دار نبيه فصاحوا به، فخرج إليهم، فقالوا له: قد علمت ما تعاقدنا عليه فأخرج المرأة، فقال: نعم ولكن متعوني بها الليلة، قالوا: لا، ولا شخب لقحة! فأخرجها وقال:

صاح أهل القُتُول حَيَّ القُتُولَا لم أودعهم وداعًا جميلاً
إذ أجدَّ الفُضُول أن يمنعوها قد أراني ولا أخافُ الفُضُولَا

ومعه مشاهير بني سُعيد بن سهم أبو وداعة بن صبيرة بن سُعيد، أسر يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم: «تمسكوا به فإن له ابناً كيساً تاجراً فسيأتي في فدائه»⁽¹⁾، وكانت قريش قالت: لا تعجلوا في فداء أساراكم فيأربَ عليكم محمد وأصحابه⁽²⁾، فقال المطلب بن أبي وداعة: صدقتم؛ وانسلَّ من الليل ففدى أباه بثلاثة آلاف درهم أو أربعة آلاف - وكان ذلك فداءً الغني - فلامته قريش فقال: أَدْعُ أبي أسيراً؟! فشخص الناس في فداء أساراهم. ثم أسلم أبو وداعة يوم الفتح، وأسلم ابنه المطلب؛ وأم المطلب: أروى بنت الحارث بن عبد المطلب. ومن ولد المطلب بن أبي وداعة: كثير بن كثير بن المطلب المحدث الشاعر، وهو القائل:

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سَوْقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيْسَبُ الْمُطِيِّينَ جَدُودَا وَالْكَرَامَ الْأَخْوَالَ وَالْأَعْمَامَ

ومن ولد المطلب أيضاً: إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن

(1) ذكره في السيرة النبوية (411/2)، والبداية والنهاية (87/3).

(2) أي يتشدّدون عليكم فيه.

المطلب، المغني المشهور⁽¹⁾ ويقال لأبيه ذو مناجب؛ وكان أبوه قبيح المنظر
جدا فشكته زوجته - وهي جميلة - إلى معن بن زائدة فأرسل إليه فأتاه
فقال: ما هذه منك؟ فقال: زوجتي، قال: طلقها، ففعل؛ فقال معن:

لعمري لقد أصبحت غير محب ولا حسن في عينها ذا مناجب
فما لمتها لما تبين وجهه وعين له حوصاء من تحت حاجب
وأنف كأنف البكر يقطر دائما على لحية عصلاء⁽²⁾ شابت وشارب
أتيت بها مثل المهاة تسومها فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب!

وكان إسماعيل حسن الغناء جدا، وأحسن ما يكون غناؤه إذا فرح أو
حزن؛ وكان بارا بأمه، فدخل يوما على المهدي فلم يطربه غناؤه، فدس
إليه المهدي من نعى إليه أمه، فأمره أن يغني فاندفع يغني، فكاد المهدي يطير
طربا من حسن غنائه فأحسن جائزته وأخبره بكذب من نعى إليه أمه.

ومن ولد أبي وداعة - غير المطلب -: عبد الرحمن بن محيصة القارئ،
قارئ مكة؛ ومن قراءته: ﴿لمن أراد أن يتموا الرضاعة﴾⁽³⁾.

ومن مشاهير بني سعيد بن سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن

(1) كان من أبرز المغنين في عصره وأشهرهم وله في الغناء حكايات كثيرة، ذكر منها أبو الفرج
في كتاب الأغاني وابن مكرم في مختاره. وكان ابن جامع من أحفظ الخلق للقرآن الكريم
وكان يخرج من منزله يوم الجمعة عند الفجر فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع
الشمس فيختم القرآن قبل صلاة الجمعة ثم ينصرف إلى منزله - [سموط الذهب].

(2) عصلاء: أي عوجاء.

(3) البقرة: 233.

حذيفة بن سعيّد بن سهم، وقتلا يوم بدر كافرين، وقتل معهما العاص بن
منبه؛ ومنهم غنم "ذو الفقار" سيف رسول الله ﷺ الذي أعطاه يوم أحد
لعلي، وسمع هاتف يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار رولا فتى إلا علي

ورثي نبيها ومنبها الأعشى بن النباش بن زرارة الأسدي، حليف بني
عبد الدار، فقال:

قذى بعينك أم بالعين عوار	أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
وقد أراها حديثا وهي أهلة	لا يشتكي أهلها ضيف ولا جار
ويل أم قوم بني الحجاج إن ندبوا	لا بخلاء ولا بالخصم أنكار
إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم	وأولياء بعقد الجار أبارار

وكان الأعشى بن النباش مداحا لنبيه، وله يقول:

دع عنك ربطة واكس الرحل ناجية	ادما مخلقة كأنها فيل
هل تبلغني فتى محضا ضرائبه	مؤمل وأبوه قبل مأمول
إن نبيها أبا الرزام أحلمهم	رحلما وأجودهم والجود تفضيل
ليس لقول نبيه إن مضى خلف	ولا لقول أبي الرزام تبديل
ثقف كلقمان عاد في حكومته	سيف إذا قام وسط القوم مسلول
فإن بيت نبيه منهج فلج	محتضرا أبدا ما عاش مأهول
من لا يغر ولا يؤذي عشيرته	ولا نداه عن المعتر معدول

وكان نبيه شاعرا، وهو القائل يخاطب زوجته:

تسألان الطلاق إن رأتا ما	لي قليلا قد جتتmani بنكر
فلعلي أن يكثر المال عندي	وتخلي من المغارم ظهري
وترى أعبد لنا وأواق	ومناصيف من ولائد عشر

من يكن خلتما له نشب يُخْ بَب ومن يفتقر يعش عيشَ ضُرَّ

وكان نبيه ومنبه من المطعمين بيدر، وأمهما أروى بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار، وانقرضا إلا إبراهيم بن أبي سلمة بن عبد الله بن عفيف بن نبيه، أحد فقهاء مكة.

انتهى الكلام على سهم فشرع يتكلم على إخوتهم جمح، فقال رحمه الله:

مِنْ جُمَحٍ مَّظْعُونٌ وَالِدُ الْمُطِيعِ عَثْمَانُ أَوَّلُ دَفِينٍ بِالْبَقِيعِ

يقول من جمح: مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. ومظعون هذا هو والد المطيع لربه عثمان بن مظعون، يكنى أبا السائب - بابنه السائب - أمه سخيلا بنت العنيس من بني جمح، وأم ابنه السائب: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية؛ وهي التي خطبت للنبي ﷺ أمنا سودة، وقيل خطبت له أيضا أمنا عائشة.

مظعون: مبتدأ خبره من جمح. ووالد: صفة لمظعون. وعثمان: بدل من المطيع. وأول: بالخفض: صفة لعثمان، أو بالرفع - على القطع -: خبر مبتدأ محذوف؛ أي وهو أول من دفن بالبقيع من المهاجرين (ومن الأنصار: أسعد بن زُرارة، توفي بعيد بناء المسجد بيسير، وتوفي بعده عثمان في السنة الثانية بعد أن شهد بدرا)، وهاجر الحبشة هجرتها الأولى ثم إلى المدينة مع ابنه السائب. وإخوته السائب، وعبد الله، وقدامة؛ شهدوا بدرا.

وَإِذْ تَوَى قَبْلَهُ الرَّسُولُ وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْوُصُولُ

توى: مات. والوصول: أي إلى أعلى الدرجات. ويؤخذ من تقبيل النبي

ﷺ له بعد الموت طهارة المسلم الميت، ومنه: «سبحان الله إن المؤمن لا ينجس»⁽¹⁾. وبكى عليه النبي ﷺ وقال لما دفن: «نعم السلف لنا عثمان بن مظعون»⁽²⁾، وقال حين توفي ابنه إبراهيم: «الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون»⁽³⁾، وعلم على قبره بحجر، وكان يزوره⁽⁴⁾.

مِمَّنْ أَرَادَ الْإِخْتِصَاءَ فَنَزَلَ فِيْمَا أَرَادَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ
«لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا فَكْفٌ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِمْ هَادِيَةٌ الْكُلْفُ»

يعني أن عثمان هذا من الصحابة الذين اهتموا بأن يختصوا، لئلا يشغلهم النكاح عن العبادة، وأن لا يذوقوا من الطعام والشراب إلا ما يمسك حياتهم⁽⁵⁾ - ومنهم أيضا سعد بن أبي وقاص وأبو ذر - فنهاهم النبي

(1) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، ولفظه عند البخاري «سبحان الله يا أبا هريرة إن المؤمن لا ينجس».

(2) رواه أحمد.

(3) رواه أحمد.

(4) قاله في الاستيعاب وغيره، وقالت امرأته ترثيه:

يا عين جودي بدمع غير ممنون	على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ كان في رضوان خالقه	طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده	وأشرقست أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له	حتى الممات وما ترقى له شوني

(الأشؤن والشؤون: جمع شأن: مجرى الدمع إلى العين).

(5) ويروى أيضا أن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله إني رجل تشق عليّ العزبة في المغازي أفتأذن لي في الخصاء فأختصي؟ فقال: «لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم».

ﷺ عن ذلك، ونزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾⁽¹⁾ فكفوا عما اهتموا به، إذ تبين لهم ينهي النبي ﷺ لهم وبالآية، أن دينه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيه الحرج ولا الكلف التي في أديان الأنبياء قبله، بل هو الملة السهلة السمحة؛ وذلك من فضله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته.

وعثمان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك مني من هو دوني ويحملني على أن أنكح كريمتي. وكان عثمان من فضلاء الصحابة، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا.

قَدَامَةُ أَخُوهُ خَالُ ابْنِ عُمَرَ وَحَفْصَةُ فِي الْخَمْرِ حَدٌّ وَحَضَرَ
بَدْرًا وَلَيْسَتْ لِسِوَاهُ تُعْرَفُ ...

أخوه: أي أخو عثمان بن مظعون. خال ابن عمر وحفصة: أي وهو خال سيدنا عبد الله وأمنا حفصة ابني عمر وعبد الرحمن الأكبر - كما قدمنا - أمهم زينب بنت مظعون⁽²⁾، وأمها ريطة بنت عبد عمرو السُّلَمِيَّة

(1) المائة: 169.

(2) وقد تبع الناظم في عبارته - أن قدامة خال ابن عمر وحفصة دون إخوته - صاحب الاستيعاب. وكان عمر قد ولَّى قدامة البحرين ثم عزله؛ وسبب ذلك أنه قدم عليه الجارود العبدِيُّ سيد عبد القيس فقال له: يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر وإنني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه إليك، فقال عمر: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة. فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ فقال: لم أره يشرب ولكني رأيته سكران يقيء، فقال عمر: لقد تَنَطَّعتَ في الشهادة - أي تغاليت وتعمَّقت - ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من

أخت ذي الشمالين الذي استشهد ببدر.

يعني أن قدامة بن مظعون حد في الخمر، وهو ممن شهد بدراً؛ ولم يشرب الخمر منذ حرمت بدري غيره. كان واليا لعمر على البحرين فشهد عليه أبو هريرة؛ ولم يجدوا عليه شاهداً غير أبي هريرة، فلم يحده عمر حتى قال له أبو هريرة كلاماً.. فاستنكهوه، فوجدوا فيه رائحة الخمر؛ فحده عمر حد الفرية قياساً عليها⁽¹⁾.

-- >>

البحرين فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد، قال: قد أديت شهادتك، فسكت الجارود، فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد - امرأة قدامة - فسلها. فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد فأقامت الشهادة على زوجها، ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في حد قدامة؟ فقالوا: ما نرى أن تجلده ما كان مريضاً، فقال عمر: لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عنقي إئتوني بسياط تام فجلده الحد. فغاضب قدامة عمر وهجره. ثم إن عمر أتاه آت في المنام: أن سالم قدامة، فبعث إليه وصالحه واستغفر له، وكان عمر قد ولي على البحرين مكانه عثمان بن أبي العاصي الثقفي - [أسد الغابة والاستيعاب والإصابة].

(1) قال في فقه السنة: الفقهاء متفقون على وجوب حد شارب الخمر وعلى أن حده الجلد ولكنهم يختلفون في مقداره، فذهب مالك وأبو حنيفة والثوري وأحمد - في رواية عنه - إلى أنه ثمانون، وروي أن عمر رضي الله عنه استشار الناس في حد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين، فضرب عمر ثمانين وكتب به إلى خالد وأبي عبيدة بالشام. وروي أن علياً قال في المشورة: إذا سكر هذى وإذا هذى افترى فحدوه حد المفترى. وذهب الشافعي إلى أنه أربعون وهو رواية أحمد الثانية، لأن علياً جلد الوليد بن عقبة أربعين ثم قال: جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة. واختلف الفقهاء في ثبوته بالرائحة فذهب المالكية إلى أنه يجب الحد إذا

<<=

... وَمِنْ صَمِيمِهِمْ يُعَدُّ خَلْفُ

أي ومن صميم جمح يعد خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، والبيت
من جمح في وهب ثم في خلف بن وهب. وفي خلف يقول الشاعر:
خَلْفُ بن وهب كلُّ آخر ليلة يلفى يكثُر أهله بعيال

يعني كثرة تزويجه وكثرة ولده. ومنهم أبي وأميه ووهب وأحيحة وغيرهم
ممن لم يعقب، والعقب في هؤلاء الأربعة.

صفوان بن أمية

أما أمية فهو الذي قتل مع ابنه علي يوم بدر، والعقب منه في ابنه
صفوان بن أمية، ولم يحضر بدرا؛ فلما قدم النذير جعل يقص الخبر على
الناس يقول: مات فلان وابنه وفلان وأخوه وفلان وفلان.. فقال صفوان:
الرجل الذي تسألون طار فؤاده ولم يدر ما يقول، فاسألوه عني! ف قيل له:
ما فعل صفوان بن أمية؟ فقال: ها هو في الحجر.. ولقد شهدت أباه
وأخاه حين قتلا. وكان صفوان بعد بدر من رؤساء قريش ومن أشدهم
عداوة للنبي ﷺ، قال يوم أحد حين صدر الناس: الآن طابت نفسي قتلتُ
ابن أبي زهير وابن نوفل والأمائل من أصحاب محمد. وكان مع أبي
سفيان يوما فرأيا ذئبا يطرد ظبيًا، فلما دخل الحرم رجع عنه فتعجبا، فقال

--- >>

شهد بالرائحة عند الحاكم شاهدان عدلان لأنها تدل على الشرب كدلالة الصوت والخط،
وذهب أبو حنيفة والشافعي إلى عدم ثبوته بالرائحة لوجود الشبهة والروائح تتشابه والحدود
تدراً بالشبهات ولاحتمال كونه مكرها على شربه - [اه-].

لهما الذئب: أعجب من هذا أنكم هنا ومحمد بالمدينة يدعوكم إلى النجاة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سُفيان لصفوان: والله إن حدثت بهذا لتبقين مكة خلوفاً!.

ولم يزل صفوان على شركه إلى يوم الفتح، فقام هو وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فحزّبوا جيشاً وقالوا: إن كانت لهؤلاء فهي لنا وإن انهزموا فسنرى، فلما هزم الجيش فرّ صفوان ولحقه عمير بن وهب يُرِد رسول الله ﷺ وقد أخذ له الأمان على أنه يسير شهرين كسائر الناس؛ وكان صلى الله عليه وسلم جعل لمن لم يسلم ذلك اليوم: يسير شهرين ثم يُسلم وإلا قتل، فأتى عمير بصفوان على ذلك، فقال له النبي ﷺ وهو راكب على فرسه: «انزل أبا وهب»، فقال: هذا عمير بن وهب يزعم أنك تؤمنني شهرين أسير فيهما، فقال: «انزل أبا وهب»، فقال: لا أنزل حتى تبين لي، فقال: «انزل أبا وهب فلك أن تسير أربعة أشهر»⁽¹⁾، فنزل؛ وغزا معه إلى حنين، فلما نفرت الإبل بالمسلمين قال أخوه لأمه كلدة بن الحنبل: الآن بطل السحر! فقال له صفوان - وهو مشرك -: فضّ الله فاك، لأن يرّبني رجل من قريش أحب إلي من أن يرّبني رجل من غيرهم. وقد منا هذا من خبره على ذكره في النظم ليخفّ علينا.

وَمِنْهُ صَفْوَانُ الْمُؤَلَّفُ افْتَرَضَ لَهُ النَّبِيُّ وَدُرُوعَهُ اقْتَرَضَ

أي ومن خلف صفوان بن أمية بن خلف، وأمه صفية بنت معمر بن

(1) أخرجه مالك في الموطأ.

حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. المؤلف: أي من المؤلفات قلوبهم بالعطاء. وافترض: أي افترض له عطاء، وهو مائة ناقة وملء ما بين جبلين غنما - كما قال في نظم الغزوات⁽¹⁾ - وافترض: تفسير للمؤلف. وقوله: ودروعه اقترض: يعني أنه استعار منه النبي ﷺ مائة درع حين أراد المسير إلى حنين، فقال له صفوان: أغصبا يا محمد؟ فقال: «بل عارية مردودة»⁽²⁾، واستحمله إياها فأعطاه ما يحملها عليه. وافترض هنا بمعنى الإعارة: استعارة. فلما أعطاه النبي ﷺ ذلك أسلم قبل تمام الأشهر التي أجلها له؛ قال: علمت أن لا تطيب بهذا إلا نفسُ نبي. فلما أسلم قيل له: لا إسلام لمن لا هجرة له، فقدم المدينة فنزل على العباس؛ فقال له النبي ﷺ: «على من نزلت؟» قال: على العباس، قال: «أكابر قريش بأكابر قريش فمن لبطاح مكة⁽³⁾؟ ارجع أبا وهب فإنه لا هجرة بعد الفتح»، فرجع إلى مكة وأقام

(1) قال رحمه الله:

أعطى عطايا أخجلت دُح الدَّيْم	إذ ملأت رخبَ الفضا من النِّعَم
زُهاء ألفي ناقةٍ منها وما	ملأ بين جبلين غنما
لِرَجُلٍ، وبلّة ما لحقّة	منها ومن رقيقه وورقّة

(2) رواه أبو داود والبيهقي في السنن الكبرى والحاكم.

(3) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الاحكام وذكره ابن هشام، وفي رواية: «نزلت على أشد قريش لقريش حبا»، وكان صفوان من المطعمين في الجاهلية، يقال إنه لم يجتمع لقوم أن يكون فيهم مطعمون خمسة إلا لعمر بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، أطعم خلف ثم أمية ثم صفوان ثم عبد الله ثم عمرو، وقال معاوية يوما: من يطعم بمكة من قريش؟ فقالوا: عمرو بن عبد الله بن صفوان، فقال: بخ! تلك نار لا تطفأ؛ قيل لم يكن في العرب غيرهم إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، فإن هؤلاء الأربعة مطعمون.

بها حتى مات سنة اثنتين وأربعين، أول خلافة معاوية. وأسلمت امرأته يوم الفتح⁽¹⁾، فأقرهما النبي ﷺ على نكاحهما.

عبد الله بن صفوان

ومن ولده عبد الله الأكبر بن صفوان وعبد الرحمن الأكبر وعبد الله وعبد الرحمن الأصغران وحكيم وخالد وصفوان، بنو صفوان بن أمية، وأنجبهم عبد الله الأكبر؛ أمه برة بنت مسعود بن عمرو الثقفية، أخت عروة بن مسعود، وأم عبد الرحمن الأكبر أم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب. وكان معاوية يقدم عبد الله على ابن أخته عبد الرحمن، فعاتبته أم حبيب على ذلك؛ فوفدا على معاوية فأدخلهما عليه وعنده أم حبيب، فقال لعبد الرحمن: ما حاجتك؟ فذكر له دينا وعيالا ونحو ذلك فقضاها له، ثم قال لعبد الله ما حوائجك يا أبا صفوان؟ قال: تخرج العطاء وتفرض للمنقطعين فإنه قد حدث في قومك نائبة ولا ديوان لهم، وقواعِدُ قريش لا تغفل عنهن فإنهن جلوسٌ على ذيولهن ينتظرن ما يأتين من عندك، وحلفاؤكم من الأحابيش قد عرفت نصرتهم ومؤازرتهم، فاخلطهم بنفسك وقومك، فقال له معاوية: أفعل، فهل حوائجك لنفسك؟ فغضب عبد الله وقال: ألي حوائج إليك إلا هذا وشبهه؟ إنك لتعلم أنني أغنى قريش، ثم قام. فأقبل معاوية على أخته أم حبيب فقال:

(1) امرأته هي ناجية بنت الوليد بن المغيرة.

كيف ترين؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين أبصرُ مني بقومك. وكان عبد الله بن صفوان مع ابن الزبير، وكان ممن يقوي أمره، وعرض عليه الحجاج الأمانَ يوم تفرق الناس عن ابن الزبير؛ فقال له ابن الزبير: قد أذنت لك وأقلتك بيعتي، فقال: إني والله ما قاتلت معك إلا عن ديني، فأبى أن يقبل الأمان حتى قتل مع ابن الزبير في يوم واحد وهو متعلق بأستار الكعبة؛ وحمل رأساهما إلى عبد الملك بن مروان، وكانوا يدنون أحد الرأسين من الآخر ويقولون: تناجيا كما كنتما تفعلان!.

وفد المهلب على عبد الله بن الزبير فشغله عن أمور الناس جُلَّ يوم، فأتاهما عبد الله بن صفوان فقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي شغلك هذا اليوم؟ قال: هذا سيد أهل العراق، قال: هو إذا المهلب، فقال المهلب لابن الزبير من هذا؟ قال: هذا سيد أهل مكة، فقال: هو إذا عبدُ الله بن صفوان. وإياه يعني الشاعر:

كرهت كتيبة الجُمحي لما رأيت الموتَ سال به كدَاءُ

وَإِذْ عُمَيْرُ ابْنُ وَهْبِ الْجُمَحِيِّ أَغْرَاهُ صَفْوَانُ بِغَدْرِ الْأَبْطَحِيِّ
أَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الَّذِي لِفَدْرِهِ أَرْسَلَهُ

عمير بن وهب بن خلف: أعمامه أمية وأبي وأحичة. أغراه: ذمراه. وصفوان: هو الذي كنا في شأنه. والأبطحي: هو النبي ﷺ، ونسبه إلى بطحاء مكة؛ وتجب معرفة كونه أبطحي المولد والمبعث. وأخبره: جواب قوله: وإذ، وفاعله ضمير يعود على الأبطحي. وجرى له: وقع له. والذي

أرسله: هو صفوان بن أمية. كان معه في الحجر يتذاكران أخبار بدر ويكيان⁽¹⁾ إلى أن قال عمير: لولا بناتي لا أدع لهنَّ شيئاً ودينٌ علي لا أجد له قضاء لسرت حتى أفتك بمحمد فإن لي علة وهي وجود ابني الأسير عندهم، فقال له صفوان: دينك علي أقضيه عنك وبناتك مع بناتي لا يصيبهن إلا ما أصاب بناتي وأعينك براحلة.. فسر حتى تفعل به بعض فتكاتك، فإن نجاك الله أغنيك وتكون تأرت لقريش وإلا فما قلت لك أفي به، فقال عمير: اكنم عني، فقال: أفعل. فسار عمير؛ وكان صفوان واثقا منه بقتل النبي ﷺ ويقول لقريش: انتظروا وقعة تنسيكم وقعة بدر! ويتربقب ليلقى الركبان الآتية من قبل المدينة ويسألهم عما حدث، طمعاً في أن يخبروه بقتل عمير النبي ﷺ.. حتى لقي من أخبره بإسلام عمير، فسبه وحلف أن لا يكلمه أبداً.

وأما عمير فسار إلى المدينة، فبينما عمر مع رهط من الأنصار عند باب المسجد إذ رفع لهم راكب، فلما عرفه عمر قال: هذا عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر، والله ما جاء إلا لشر فقوموا إلى النبي ﷺ فاجلسوا معه واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه ما جاء إلا لخديعة. فقام رهط من الأنصار، وتلقاه عمر فلبَّه إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر، ما جاء إلا لغدر، فأمرني أضرب

(1) فقال صفوان: قُبْحُ الله العيش بعد قتلى بدر، فقال عمير بن وهب: أجل والله ما في العيش خير بعدهم..

عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله عنك»، فأرسله⁽¹⁾ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خبرك يا عمير؟» فقال: جئت في أسير لي عندكم - يعني وهب بن عمير - فقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال السيف؟» قال: قبحها الله وهل أغنت عنا من سيوف يوم بدر؟! قال: «كذبت يا عمير ولكنك كنت مع صفوان في الحجر فتذكرتما بدرا وقتلتما كيت وكيت وسرت عنه تريد قتلي والله مانعي منكما»، فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، والله ما علم بهذا أحد غيرنا؛ فأسلم وحسن إسلامه⁽²⁾، وقال لهم النبي ﷺ: «اذهبوا بأخيكم فأطلقوا له أسيره وعلموه الدين»⁽³⁾، وأسلم معه ابنه. فأقام مع النبي ﷺ إلى أن غزا معه إلى فتح مكة، وقيل إنه استأذن النبي ﷺ في أن يرجع إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام فأذن له ورجع إليهم⁽⁴⁾.

(1) فلما دنا عمير من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنعموا صباحا - وهي تحية أهل الجاهلية - فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك تحية أهل الجنة وهي السلام»، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث.

(2) وصدق القائل:

رب شخص تسوقه الأقدار للمعالي وما لديه اختيار
غافلا والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار

(3) ذكره ابن هشام في السيرة.

(4) فدعاهم إلى الإسلام ونصحهم بجهد، فأسلم بسببه بشر كثير ثم رجع إلى المدينة وشهد أحدا وفتح مكة وغيرهما، وكان قد تخلف أولا بتبوك ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة أبي خيثمة في أثناء الطريق. ثم عاش إلى صدر من خلافة عثمان ومات مجاهدا بالشام.

وعمير يوم حَزَرَ المسلمين قال لقريش: هم ثلاثمائة أو يزيدون قليلا ودعوني أنظر هل لهم كمين، فركب فرسه وجال في الوادي، فقال لقومه: لا كمين لهم، ولكن يا معشر قريش لا تعرضوا وجوهكم التي كأنها المصابيح لوجوه كأنها وجوه الحيات، فقد رأيت قوما لا يموتون حتى يقتلوا أعدادهم، فقالت قريش: دع عنك هذا، ما نريده منك، وحرش بين الناس؛ فرمى بنفسه وفرسه أصحاب رسول الله ﷺ، وهو أول من رماهم. وأم عمير بن وهب: أم سخيلة بنت هشام بن سعيد بن سهم، ولم يذكر لأبيه غيره، وأخواه لأمه وهب وكلداء ابنا أسيد بن خلف؛ وهما ابنا عمه وانقرض عقب وهب وأسيد.

وأما أبي فأولاده عدة، ولم نجد فيهم من الصحابة إلا عبد الله الذي أسر يوم بدر ثم أسلم يوم الفتح. وأبي هو الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد؛ وذلك أنه كان بمكة يقول: يا محمد إن لي العود - يعني فرسا له ذلك اسمه - أعلفه كل يوم فرقا⁽¹⁾ من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»⁽²⁾. فلما كان يوم أحد وانحاز المسلمون، أتى على فرسه ذلك يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجأ! فاجتمع المسلمون دونه، فقال صلى الله عليه وسلم: «خلوه»، قال الزبير: فتطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير، فأخذ حرباً من يد الزبير فرماه بها فأصاب لمعة

(1) الفرق (بالضم): إناء يكتال به.

(2) رواه ابن كثير مرسلًا، وابن هشام بلا سند.

من ترقوته بدت بين الدرع والمغفر، فسقط عن الفرس وله خوار كخوار العجل؛ فارتثه⁽¹⁾ المشركون وقالوا له: ويحك ما بك من بأس - وكان جرحه صلى الله عليه وسلم له لم يَدَمْ - فقال: والله لو بصق علي لقتلني، أو ما كان يقول إنه يقتلني وهو لم يكذب قط؟. فاحتمله أهله وهو يقول: والله لو كان ما بي بأهل الحجاز كلهم لوسعهم؛ ومات عدو الله بسرف.

وأما أحيحة بن وهب فمن ولده أبو دهبيل الشاعر، واسمه وهب بن وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة، وهو الذي يقول:

أنا أبو دهبيل وهب لوهب من جمع في العز منها والحسب
درعي دلاص سردها سرد عجب ويبضتي قونسها من الذهب

ومن شعره:

صاح حيا الإله أهلا ودورا عند باب القناة من جيرون⁽²⁾

(1) ارتث (بالبناء للمفعول): حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق، فهو مرتث.

(2) عن يساري إذا دخلت على الدا ر وإن كنت خارجا فيميني
فبتلك اغتربت بالشام حتى ظن أهلي مرجحات الظنون .. إلخ.

وسبب هذه القصيدة أنه خرج مرة من مكة إلى الشام فنزل جيرون، فجاءته عجوز فقالت: إن ابنة لي وردها كتاب من حميم لها وليس عندها أحد يقرؤه فادخل عليها في هذا القصر واقراه لها واحتسب الأجر فيها، ففعل؛ فلما دخل أغلق الباب دونه وإذا امرأة في القصر فدعته إلى نفسها فأبى، فأمرت حشمها فسجنوه في منزل من الدار ومنع الطعام والشراب حتى كاد يهلك، ثم أمرت به فأخرج ودعته إلى نفسها فأبى وقال: أما الحرام فلا ولكن إن أردت أن أتزوجك فعلت، فقالت: نعم وأحسننت إليه حتى ردت له روحه، فتزوجته ومنعته من الخروج حتى طال ذلك عليه، ثم قال لها ذات يوم: قد أئمت في ولدي وأهلي

<<=

وهي قصيدة طويلة؛ وكان مداحا لعبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة الذي يقال له الهبرزي بن الأزرق.

وأبو دهبيل عمه أبو ریحانة، واسمه علي بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف؛ كان شديد الخلاف على ابن الزبير، فتوعدده عبد الله بن صفوان؛ فلحق بعبد الملك فأمدَّ به الحجاج، فلما قدم به الحجاج مكة أشرف أبو ریحانة على أبي قبيس وصاح: هل أخزاكم الله يا أهل مكة.. أنا أبو ریحانة؛ قدِمْتُ عليكم من أهل الشام أربعة آلاف! فأجابه أبو عتيق: نعم

-- >>

فأذني لي في أن أطالعهم وأرجع إليك، فقالت: لا أستطيع فراقك؛ فعاهدها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر وأعطته مالا، فخرج حتى قدم على أهله بمكة فوجدهم قد نعي لهم وقسموا ماله وزوجوا بناته، فأقام عندهم حتى قربت المدة ثم مضى إلى الشام فوجد زوجته قد ماتت حزنا عليه وأسفا لفراقه، فقال فيها:

صاح حيا الإله أهلا ودورا .. إلخ.

ومن شعر أبي دهبيل هذا قوله:

أتترك ليلي ليس بيني وبينها	سوى ليلة إنني إذا لصبور
هبوني امرءا منكم أضل بعيره	له ذمة إن الذمام كبير
وللصاحب المتزوك أعظم حرمة	على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلي الغداة فإنها	إذا حكمت حكما علي تجور

ومن شعره أيضا:

أقول للركب إذ مالت عمانهم	وقد سقى القوم كأس النعسة السهر
يا ليت أني بأثوابي وراحلي	عبد لأهلك هذا الشهر مؤتجر

إلى أن يقول:

جنية أو لها جن يعلمها	رمي القلوب بقوس ما لها وتر
-----------------------	----------------------------

أخزانا الله، فقيل له [في ذلك]، فقال: لم نستطعهم عام أوّل وهم سبعمائة فكيف بأربعة آلاف؟.

ومنهم وهب بن أبي وهب العالم الجواد، وفيه قيل:

إذا افترَّ وهبٌ خلته لمع بارق تبّع في الأرضين يتبعه السّكب
وما ضر وهبا ذمٌ من خالف الهدى كما لا يضر البدر ينبّحه الكلب

ومن بني جمح بنو معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة، منهم جميل بن معمر الذي كانت قريش تقول له ذو القلوب لعقله؛ ولما أسلم عمر وأراد إظهار إسلامه وإفشاءه بمكة أخبر به جميلاً، فصاح بأعلى صوته: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. أسلم يوم الفتح وشهد حيناً مع النبي ﷺ وقتل زهير بن الأغر الهوازني. وفيه نزل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾⁽¹⁾ رداً على قريش في قولهم فيه. ودخل يوماً عبد الرحمن بن عوف على عمر - ولم يشعر به - وهو ينشد:

فكيف ثواني بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر

فقال له: كنا إذا خلونا صبونا. وقيل إن عمر هو الذي فجأ عبد الرحمن ينشد، فقال عبد الرحمن المقالة كأنه يعتذر له. وأخو جميل سفيان بن معمر، هاجر إلى الحبشة.

ومن بني معمر بن حبيب: حاطبٌ وحطاب ابنا الحارث بن معمر،

(1) الأحزاب: 4.

هاجرا إلى الحبشة؛ وولد بها لحاطب محمد بن حاطب، وأصابته النار يده فجاءت به أمّه أم جميل بنت المجلّل - من بني عامر بن لؤي - إلى رسول الله ﷺ فلمسها فبرئت في الحين؛ وعدّها القاضي عياض في الشفاء من المعجزات.

ومن بني وهب بن حذافة بن جُمَح: عبد الرحمن بن ساباط الفقيه المحدث، وإخوته سبعة وهو ثامنهم لأم واحدة؛ وهي أم موسى بنت الأعور بن عمرو، بنت عم أبيهم.

ومن بني عمير بن وهب بن حذافة: أبو عزة الشاعر، واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير، أسر يوم بدر فقال للنبي ﷺ: يا محمد دعني لبناتي يرحمك الله، فرحمه رسول الله ﷺ وأطلقه، وأخذ عليه أن لا يكسر عليه أحدا أبدا. فلما تجهزت قريش للمسير إلى أحد كلمه صفوان بن أمية وقال له: اخرج إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة - وهم حلفاء قريش - واسألمهم النصرة وحرّضهم على المسير، فأبى عليه وقال: إن محمدا منّ عليّ وأخذ عليّ أن لا أكثر عليه، فقال له صفوان: دعنا من هذا وقم وحرّض بين الناس بشعرك وبكلامك وسر معنا، فإن سلمت أغنيك وإن قُلت فبناتك مع بناتي لا يصيبهن إلا ما سبق في بناتي، فلما لم يجد بُدّا من قول صفوان قام فخرج إلى بني الحارث يحرضهم ويقول لهم:

أنتم بنو الحارث والناس الهام أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل الإسلام

فسمعت له بنو الحارث وخرجوا مع قريش؛ فلما انصرف قريش عن أحد وتبعهم النبي ﷺ وبلغ حمراء الأسد، وجدوا أبا عزة في بعض أحياء الأعراب فأخذوه، فقال: يا محمد عَفُوك، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمدا مرتين»⁽¹⁾. وكان أبو عزة هذا قد أصابه قبلُ برصٌ كسا جلده حتى كاد لا يواكله أحد من أهل مكة ولا يجالسه، لاستقذاره لفُحْشِ برصه، حتى ملَّ الحياة وملَّه أقاربه وباعدوه. فلما طال ذلك عليه أخذ سكيناً فشحذها وخرج إلى شعب من شعاب مكة يريد قتل نفسه ليستريح، فطعن بالسكين في معده - وهي اللحمية التي تحت إبطه - فماتت السكين فدخلت بين الجلد والأضلاع فخرج باثرها ماء أصفر فلم يزل يشعُّ وينقص البرص، حتى ذهب كله وصار جلده كلونه الأول؛ فأتى وقد برئ فقال:

لاهم رب وائل ونهد ومن على تهامة ونجد

أصبحت عبداً لك وابن عبد أبرأتني من وضح مجلدي

من بعد ما طعنت في معدي

(فسبحان من يبرئ ويسقم من شاء ويؤثر بالدنيا من شاء، من برٍّ وفاجر وسعيد وشقي).

ولم يكن لأبي عزة عقب إلا من قبل النساء، وهن بنات محمد بن مسلم بن مرة بن أبي عزة، ولدت إحداهن لجعفر بن عبد الله بن الحسن

(1) ذكره ابن هشام ورواه العسكري.

المثنى، ويقال لهن بنات مرة، ولم ينسب لأبي عزة.

وصه بني جمح أبو محذورة، مؤذنُ النبي ﷺ بمكة؛ واسمه أوس بن معير بن لوزان بن سعد بن جمح، وأخوه أنيسُ قتل يوم بدر كافرا.

وسبب اتخاذ النبي ﷺ له مؤذنا أنه يوم فتح مكة لما أذن بلال، أقبل أبو محذورة في غلمان من قريش يحكون أذان بلال استهزاء به، فسمعه النبي ﷺ أنداهم وأحسنهم صوتا فدعاه ومسح صدره⁽¹⁾، فزال عنه الغلُّ - وكان وغر الصدر من قتل أخيه يوم بدر - فأمره رسول الله ﷺ على أذان مكة⁽²⁾؛ ولحسن صوته يقول الشاعر:

أما ورب الكعبة المستورة والنغمات من أبي محذورة

(1) قال أبو محذورة: خرجت في نفر عشرة فكنا في بعض الطريق حين قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فأذن مؤذنه بالصلاة، فلما سمعنا صوت المؤذن صرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوت فأرسل إلينا، إلى أن وقفنا بين يديه فقال: «أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟» فأشار القوم كلهم إلي - وصدقوا - فأرسلهم وحبسي ثم قال: «قم فأذن بالصلاة» فقممت ولا شيء أكره إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به. فقممت بين يديه فألقى علي التأذين بنفسه فلما قضيت التأذين دعاني فأعطاني صرة فيها شيء من الفضة، ثم وضع يده على ناصيتي ثم مر بين ثدي ثم على كبدي.. حتى بلغت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سرتي، ثم قال: «بارك الله فيك وبارك عليك»، قال: فذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة، وعاد ذلك كله محبة - [الاستيعاب].

(2) أخرجه أحمد.

وما تلا محمد من سورة لأفعلن فعلة مشهورة⁽¹⁾

وكانت لأبي محذورة ناصيةً إذا جلس وأرسلها تصيب الأرض، ف قيل له: لم لا تصيب منها؟ قال: ما كنت لأقطع شعرا مسّته يد رسول الله ﷺ. واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو ابن ثمان عشرة سنة⁽²⁾، ولم يزل على الأذان إلى أن مات⁽³⁾؛ وقد عمي بآخر عمره.

وانقرض بنو لوذان، فورث الأذان منهم بنو سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح؛ ومنهم عبد الله بن بجير المحدث، ومنهم سعيد بن عامر بن حديم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح، ولاه عمر بعض أجناد الشام ثم بلغه أنه يصيبه لمّ فبعث إليه يأمره بالقدوم عليه، فقدم عليه - وكان زاهدا - فلم ير معه إلا مزودا وعُكازا وقدحا، فقال له عمر: ما معك غير ما أرى؟ فقال له سعيد: وما أكثر من هذا: عكازا أتوكؤ عليه ومزودا أحمل فيه زادي وقدحا أكل فيه؟، فقال له عمر: أبك لم؟ قال: لا، قال: ما بال غاشية بلغني أنها تصيبك؟ قال: حضرت خبيب بن عدي حين صُلب فدعا على قريش وأنا فيهم، فرما ذكرت ذلك فأجد فترة حتى يغشى عليّ، فقال له عمر: ارجع إلى عملك، فناشده إلا أعفاه، فتركه.

(1) وسمعه عمر يوما يؤذن فقال له: كدت أن ينشق مريطاؤك. (المريطاء: عرقان يعتمد عليهما الصائح - [القاموس]).

(2) بمكة، منصرفه من حنين، وبقي مع أمير مكة عتاب بن أسيد.

(3) سنة تسع وسبعين، فأذن بها ولده ثم عبد الله بن محيرز ثم ولده، وأبو محذورة وابن محيرز ابنا عم، من ولد لوذان بن سعد بن جمح.

نسب مرة بن كعب

مِنْ مُرَّةٍ يَقْظَةُ كِلَابُ تَيْمٍ، فَمِنْ يَقْظَةِ الْهَضَابِ
مَخْزُومٌ بَيْتَ الْعِزِّ قَدْ تَوَارَثُوهُ عَمْرُو وَعَامِرٌ وَعِمْرَانُ بَنُوهُ

يقظة: بالتحريك. وكلاب ذكر محمد اليدالي أن اسمه غير كلاب، ولقب كلابا لأنه كان يحب الصيد بالكلاب ويجمعها فيقال هذه كلاب ابن مرة. يعني أن مرة بن كعب - عمود النسب - بنوه ثلاثة: كلاب (عمود النسب) وتيم ويقظة. وقدم مخزوما لكثرتهم ولعزهم على غير بني عبد مناف من قريش⁽¹⁾، وأم مخزوم كلبة بنت عامر بن لؤي، وأم يقظة⁽²⁾ من بني بارق، قبيلة من الأزد من بني عمرو مزيقيا؛ سموا بذلك لأنهم سكنوا جبلا يقال له بارق. وأم مرة وحشية بنت شيان بن محارب بن فهر. وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين من قضاة. ويقظة مبتدأ خبره المجرور قبله. وكلاب وتيم معطوفان على يقظة. والهضاب: جمع هضبة للجبل الصغير، وتقدم. ومخزوم: بدل من الهضاب. وبیت العز: اشتغال من توارثوه، أي توارثوا العز في قريش كابرا عن كابر؛ ولذلك قال أبو جهل: كنا نحن

(1) وفي عز بني مخزوم ومجد تيم يقول الشاعر:

إن تسألني فالجـد غير البديع قد حلّ في تيم ومخزوم
قوم إذا صوّت يوم النزال قاموا إلى الجرد اللّهاميم
من كل محبوك طوال القرى مثل سنان الرمح منهوم

(2) .. وأخيه تيم: أسماء بنت عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن بارق البارقية.

وبنو عبد مناف كفرسي رهان: نحروا ونحرنا وأطعموا وأطعمنا، فلما لم يسبقونا بشيء قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا يكون ذلك أبداً! ثم كان البيت والعدد من بني مخزوم في عمرو⁽¹⁾ ثم في ابنه عبد الله، ولذلك بدأ بهما الناظم رحمه الله فقال:

عَمْرُو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ عَائِذَا كَذَا أَسَدُ
مُغِيرَةَ، هِلَالًا، الْمُغِيرَةَ أَوْلَادُهُ عَشْرَةٌ شَهِيرَةٌ⁽²⁾

وولد عمرو أيضا عبدا، ومنه المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد؛ ومن ولده المطلب بن عبد الله بن المطلب. كان للمطلب بن عبد الله ثلاثة أولاد: الحكم وعبد العزيز والحارث.

أما الحارث فمات في حياة أبيه، وكان أبوه مفرطا في حبه؛ فجاء يوما إلى موضع من الدار فاضطجع فيه وقال: كان الحارث مضطجعا هنا عام أول فتنفس الصُّعداء ومات!.

وكان عبد العزيز يشتكي عينيه، مُطْرَفٌ أَبَدًا⁽³⁾، ويقول: ما بعيني بأس ولكن كان أخي يشتكي عينيه، فإذا أرادوا أن يكحلوا عينيه قال: لا حتى

(1) في الجمهرة وبعض كتب التراجم والأنساب أنه عمرو بفتح العين وسكون الميم، وفي نسب قريش للزبيرى وجمهور كتب السير أنه عُمَر بضم العين وفتح الميم، ونص بعضها على أن ضبطه بعمر بفتح العين وسكون الميم خطأ.

(2) يعني أن عمرو بن مخزوم له من الولد عبد الله، وولد عبد الله بن عمرو المغيرة وعائذا وهلالا وأسدا، أما عائذ وهلال وأسد فلم يكثروا، وكان الشرف والعدد في المغيرة؛ وأولاده عشرة.

(3) الطرف (بالفتح): نقطة حمراء من الدَّم تحدث في العين من ضربة وغيرها.

تكحلوا معي عبد العزيز فيكحلني أبي ليرضيه، فأصاب عيني من ذلك ما أصابهما. وكان قاضيا للمنصور والمهدي، وكان محمود القضاء حليما محبا للعافية، فقدم عليه يوما محمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب في خصومة فقضى عليه، فقال محمد بن لوط: من استعملك على القضاء؟ فقال: أمير المؤمنين، فقال: لعنك الله ولعن من استعملك، فقال عبد العزيز: أتسبُّ أمير المؤمنين؟ فأخذه الحرس ليضربوه فقال محمد بن لوط: أنت تضربني؟ والله لئن جلدتني سوطا لأجلدك سوطين، فقال عبد العزيز: اسمعوا.. يخوفني لأجلده فتقول قريش جلاد قومه، والله لا جلدتك ولا حبا ولا كرامة، أرسلوه. فقال محمد: جازاك الله خيرا من ذي رحم فقد أحسنت وعفوت ولو ضربت كنت قد اجترمت ذلك منك وما لي عليك سبيل ولا أزال أشكرها لك، وأيم الله ما سمعت "ولا حبا ولا كرامة" في موضع قط أحسن منها في هذا الموضع. وانصرف محمد راضيا شاكرا.

الحكم بن المطلب

وأما الحكم فكان من الأجواد الكرام ومن وجوه قريش وساداتهم، وكان مُمدِّحًا؛ وله يقول ابن هرمة قصيدة طويلة منها:

لا عيب فيك يعاب إلا أنني أمسي عليك من المنون شفيقا

ومن طرائف كرمه ما يحكى أنَّ رجلا من قريش من بني أمية له مال من نخل وزرع، فرهقه الدين فخاف أن يباع عليه ماله في دينه، فشخص من المدينة يريد خالد بن عبد الله القسري، وكان واليا لبني عبد الملك

على العراق وكان يبرُّ من قدم عليه من قريش؛ فخرج الرجل يريدُه وأعد له هدايا من طُرفِ المدينة؛ فقدم الكوفة فأصبح بها، فنظر إلى فسطاط عنده جماعة فسأل عنه فقيل: للحكم بن المطلب؛ فلبس نعليه ثم خرج حتى دخل فيه، فلما رآه قام إليه فتلقاها وسلم عليه ثم أجلسه في صدر فراشه ثم سأله عن مخرجه، فأخبره بدينه وما أراد من إتيان خالد بن عبد الله القسريّ، فقال له الحكم: انطلق بنا إلى منزلك فلو علمت بقدومك لسبقتك إلى إتيانه، فمضى معه حتى أتى منزله فرأى الهدايا التي أعد لخالد فتحدث معه ساعة ثم قال له: إنّ منزلنا أخضرٌ عُدَّةً وأنت مسافر ونحن مقيمون فأقسمت عليك لما قمتَ معي إلى المنزل وجعلت لنا من هذه الهدايا نصيبا. فقام وقال: خذ منها ما أحببت، وأمر بها إلى منزله وجعل الرجل يستحي أن يمنعه منها شيئا، حتى صار معه إلى المنزل فدعا بالغداء فتغدوا وأمر بالهدايا ففتحت وأكل منها هو ومن حضره ثم أمر ببقيتها ترفع إلى خزانته وقام الناس، فأقبل على الرجل وقال: أنا أولى بك من خالد وأقرب إليك رحما ومنزلا وها هنا مال للغارمين أنت أولى الناس به ليس لأحد فيه مِنَّةٌ إلا الله، تقضي به دينك؛ ثم دعا بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فدفعه إليه وقال: قد قرب الله عليك الخطر فانصرف إلى أهلِكَ مصاحبا محفوظا. فانصرف الرجل من عنده يدعو ويشكر فلم يكن له همة إلا الرجوع إلى أهله، وانطلق معه الحكم يشيعه فسار معه شيئا، ثم قال له: كأنني بزوجتك قد قالت لك: أين طرائف العراق: بزها وخزها.. أما كان لنا معك نصيب؟ ثم أخرج صرة قد حملها معه فيها خمسمائة

دينار فقال: أقسمت عليك إلا جعلت هذه عوضاً لها من هدايا العراق، وودعه وانصرف.

ومنها أنه كانت بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفراهة فاشتراها الحكم بمال كثير، فقال له أهلها - وكانت مولدة عندهم - : دعها عندنا حتى نصلح من أمرها ثم نزفها إليك بما تستأهل الجارية منا فإنما هي لنا ولد، فتركها عندهم حتى جهّزوها وبوّؤوها ثم نقلوها إليه كما تزف العروس إلى زوجها، وتهاى الحكم بأجمل ثيابه وتطيب ثم انطلق فبدأ بأبيه ليدعو له ويتبرك بدعائه، فدخل عليه وعنده الحارث ابنه، فلما رآه في تلك الهيئة أقبل عليه وقال: إن لي إليك حاجة فما تقول؟ فقال: يا أبت إنما أنا عبدك فمر بما أحببت، قال: تهب هذه الجارية للحارث أخيك وتعطيه ثيابك هذه التي عليك وتطيبه من طيبك وتدعوه حتى يدخل على هذه الجارية؛ فإنني لا أشك أن نفسه تاقّت إليها، فقال الحارث: لم تكدر على أخي وتفسد قلبه علي؟ وذهب يريد ليحلف.. فبدره الحكم فقال: هي حرة إن لم تفعل ما أمرك به أبي، فإن قرّة عينه أسرّ إلي من هذه الجارية؛ وخلع ثيابه وألبسه إياها وطيبه من طيبه وخلاه فذهب إليها.

وكان الحكم بعد حاله هذه قد تخلّى من الدنيا ولزم الثغور حتى مات؛ ولما احتضر قال رجل ممن عنده: اللهم ارفق به، فأفاق وقال: من المتكلم؟ فقال: ملك الموت يقول لك: أنا بكل سخي رفيق، فكأنما كانت فتيلة فطفئت. وسجن الحكم في حياته فقيل فيه:

خليلي إن الجود في السجن فابكيا على الجود إذ شدت عليه مرافقه

ومما رثي به:

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفي بدمته قبل السؤال إذا لم يوف بالدمم

وكان البيت والشرف من بني عمرو بن مخزوم في بني عبد الله بن عمرو، ولذلك قال أبو قحافة حين نعي إليه رسول الله ﷺ: من ولي الأمر بعده؟ قيل: ابنك، قال: أرضيت بذلك بنو عبد مناف؟ قيل: نعم، قال: أرضيت بذلك بنو عبد الله بن عمرو بن مخزوم؟ قيل: نعم، قال: الحمد لله لا مانع لما أعطيت.

ولم يذكر الناظم من بني عبد الله خالدا، وهو جد العطاف بن خالد بن عبد الله المحدث، كان من ذوي السن والعلم من قريش وهو العطاف بن خالد بن عبد الله بن عثمان بن العاص بن وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمرو.

ثم كان البيت في بني المغيرة - ولذلك قدمهم - وأما عائذ وأسد وهلال فلم يكثروا. وعائذ بن عبد الله: بالهمزة والذال المعجمة وقيل بالياء والذال المهملة، وأما ابن عمران الآتي فهو بالمشناة من تحت وبالمعجمة.

قوله أولاده عشرة: وعدهم عشرة ولم يذكر منهم حفصا، وهو أيضا شهير بابنه أبي عمرو بن حفص الصحابي الذي طلق فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس؛ وكان غائبا فبعث إليها وكيله بشعير فسخطت فقال: ما لك علينا نفقة أنت طالق البتة، فذكرت ذلك لرسول

الله ﷺ فقال: «صدق»⁽¹⁾، فخطبها معاوية وأبو جهم فاستشارت النبي صلى الله عليه وسلم فيهما فقال: «أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه فانكحي أسامة»⁽²⁾، ففعلت.

وبعث النبي ﷺ أبا عمرو بن حفص مع علي بن بعثة أميرا على اليمن⁽³⁾. ومات أبو عمرو باليمن، وابنه عبد الله بن أبي عمرو هو أول من خلع يزيد بن معاوية، وقتل يوم الحرّة. وحفص هو أول من تزوج هند بنت عتبة؛ وله منها أبان بن حفص، ولعله بكرها الذي تعني بقولها:

ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخى وعمّه وبكري

إن كان قتل يوم بدر. وعد الناظم مهشما وأبا حذيفة اثنين، والزبيري يقول: أبو حذيفة اسمه مهشم.

وَهُمْ هِشَامٌ، مُهْشِمٌ، وَهَاشِمٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ، وَالْوَلِيدُ الْإِثْمُ

ذكر في هذا البيت خمسة من أولاد المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وبدأ بهشام لأنه كان سيدا، وكانت قريش تؤرخ بموته، وفيه قيل:

(1) قاله الزبيري.

(2) أخرجه أحمد. والصعلوك (كعصفور): الفقير، وأبو جهم هو عامر بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي. وقوله: فلا يضع العصا.. الخ يعني أنه ضراب للنساء، وقيل هو كناية عن كثرة أسفاره؛ لأن المسافر يحمل عصاه في سفره.

(3) أخرجه أبو داود.

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام!

وفيه يقول أبو بكر بن جعونة بن شعوب الليثي، حليف العباس بن عبد المطلب:

ذريني أصطح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام
تخييره فلم يغدل سواه فنعم المرء من رجل تهامي

وهاشم هو أبو حنمة بنت هاشم، أم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يعقب غيرها ولم نجد لها إسلاما. ومهشم قدمنا قريبا أنه أبو حذيفة وإلا لم يذكر له عقب ولا خبر. وعبد شمس هو أبو الوليد بن عبد شمس الصحابي⁽¹⁾، أسلم يوم الفتح واستشهد يوم اليمامة تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد.

الوليد بن المغيرة

وقوله: الآثم: أي فاعل الإثم ومرتكبه، وصف الناظم به الوليد من بين إخوته؛ وإثمه الشرك والإصرار عليه وعداوة النبي ﷺ، ويحتمل أنه قصد بذلك تسميته به كما سمي أبو جهل أثيما بقوله تعالى ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾⁽²⁾، فكان علما له، أو على أن الآية نزلت في الوليد وهو الأشبه، ولا خلاف

(1) الذي يكنى أبا عبد الرحمن وكان من أشرف قريش؛ أمه قيلة بنت جحش بن ربيعة من بني عامر بن لؤي وبنته فاطمة بنت الوليد صحابية تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فولدت له ابنه الوليد وسعيدا؛ وأمها أم حكيم بنت أبي جهل.

(2) القلم: 12.

أنه نزلت فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.. الآيات⁽¹⁾، وسبب ذلك أنه سمع من النبي ﷺ القرآن فأعجبه، ثم سمعه مرارا وهو يعجبه ويمدحه حتى قارب الإسلام وقال: والله إنني سمعت من محمد كلاما والله ما هو بقول الإنس ولا بقول الجن؛ إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه. فقالت قريش: صبا الوليد والله لتصبو قريش: صبأت ريحانتها، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه؛ فجاءه وجلس إليه كالحزين، فقال: ما بك يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني وقريش تحدت أنك تأتي محمدا وأصحابه فتطعم من طعامهم ويقودك ذلك إلى الدخول في دينهم وكدت أن تفعل أو قد فعلت؟! فغضب الوليد فقال: وهل لأصحاب محمد من طعام؟ أو لست بأكثر قريش مالا وطعاما؟ ثم قال: ما تقولون يا معشر قريش في محمد تزعمون أنه مجنون فهل جنّ قط؟ قالوا: لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: لا، قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا؟ قالوا: لا - وكانوا قبل النبوة يسمونه الأمين لصدقه - قالوا: يا أبا عبد شمس فنحن يرد علينا وفود العرب ما ذا تقول لهم في شأنه؟ ففكر وقدر ثم قتل - أي لعن - كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر - أي قطب ما بين عينيه - واربد وجهه، ثم أدبر عن الله - بعد أن قارب الإسلام - واستكبر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر - أي يروى - يرويه محمد عن غيره.

(1) المدثر: 11-26.

والوحيد: أي واحد في مكة عزا ومالا وولدا؛ من عزه أنه من بني مخزوم
ثم من بني عبد الله بن عمرو وأخو عشرة وأبو عشرة - أو أكثر - وعم بني
العشرة وجد بني بعض العشرة، وهم - أي بنوه وبنو بنيه - هم المراد بقوله
﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾⁽¹⁾، أي حاضرين لا يغيبون عنه لاستغنائهم عن الغيبة
بالمال الممدود؛ قيل إن له بساتين بالطائف لا تنقطع فاكهتها صيفا ولا
شتاء مع ما عنده من الأموال.

وأسلم من بنيه: الوليد بن الوليد وخالد وهشام، وأسلم من بني ابنه
عمارة: الوليد وأبو عبدة، واستشهدا مع خالد. ولم يزل الوليد على كفره
إلى أن مات عليه في السنة الأولى من الهجرة - قبل بدر - أو أول الثانية.
ولما احتضر جزع وقال لقريش: ما بي الجزع من الموت، ولكن أخاف أن
يُعبَد إله ابن أبي كبشة بعدي بمكة، فقال له أبو جهل: والله لا يكون ذلك
ما دامت فينا حياة. ثم قال لبنيه: "وعقر عند أبي أزهر لا تتركوه فتسبكم
العرب به" (والعقر: دية الفرج المغصوب)؛ وذلك أن أبا أزهر الدوسي
زوّج الوليد بن المغيرة وأبا سفيان بن حرب ابنتيه وأخذ صداقهما فدفع
زوجة أبي سفيان إليه، ومطل الوليد بزوجته.

ثم قدم أبو أزهر "ذا المجاز"⁽²⁾، فأتاه بنو الوليد يسألونه صداق أبيهم

(1) المدثر: 13.

(2) ذو المجاز: موضع بمنى أو بعرفات؛ سمي بذلك لأن إجازة الحجيج كانت فيه، وكانت تقام فيه سوق من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية.

ابنته، فقال: أما وأنا تحت ظلال سيوفكم فلا؛ فضربه هشام فقتله، وكانت في هشام عجلة؛ فقال حسان بن ثابت يحرض أبا سفيان - وكان أبو أزهري في جواره -:

غدا أهل حِضْنِي ذي المجاز بسُحرة	وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو
كساك هشام بن الوليد ثيابه	فأبُل وأخلف بعدها جُدًا بعدُ
قضى وطرا منه فأصبح غاديا	وأصبحت رخوا لا تحب ولا تعدو
ولو أن أشياخا بدر تشاهدوا	لَبَلَّ نَعَالَ القَوْم مُعْتَبَطٌ وَرَدُ
فما منع العَيَّرُ الضروطُ ذماره	وما منعت صخرا وأولادها هند

فعقد يزيد بن أبي سفيان لواءً وجمع جمعا يريد بني مخزوم، وبلغ الخبرُ أبا سفيان، فأدركه وحلَّ لواءه وفرق جمعه وقال: أتريد أن تفرق قرشا وتقوي علينا محمدا؟ والله ما بدؤس عجزٌ عن طلب ثأرهم. وكان بعد ذلك سعيد بن صبيح الدوسي - خال أبي هريرة - لا يرى قرشيا إلا قتله بأبي أزهري، أخذ يوما بُجير بن العوام وضرار بن الخطاب فقتل بجيرا، وأجارت امرأته ضرار بن الخطاب، أدخلته معها من تحت لباسها؛ وكان يقول: إني لأجدُ مَسَّ رَكْبِهَا⁽¹⁾ بقدمي وقد حلقتُه.

وَالْفَاكِهَةُ اتَّهَمَ هِنْدَ فَأَبَتْ عَنْهُ عُقَيْبَ إِفْكِهِ وَأَنْجَبَتْ

الإفك: الكذب والافتراء. وأنجبت المرأة: ولدت نجيبا، أي كريما. أي ومن أولاد المغيرة أيضا الفاكه؛ وكانت عنده هند بنت عتبة، فوجدها

(1) الرِّكْب (محرّكة): العانة - [القاموس].

يوماً نائمةً مع ضيفٍ لهم؛ فحملته الغيرةُ على أنه اتهمها بذلك الضيف حتى أنه ادعى عليها أنها زنت به، فتحاكموا إلى كاهن بخير فبرأها الكاهن. فأبت عن الفاكه. عقيباً: أي بعد. إفكه: أي كذبه عليها. فلما تراضوا المحاكمة إلى الكاهن مضوا إليه، فلما كانوا دون خير بكت هند، فحلا بها أبوها فقال: أي بنية ما يُكيك؟ إن كان الرجل صادقاً فأخبرني أقتله وأرجع ولا يكون عليك ما يُكره، وإن كان كاذباً فسيرُك الكاهن، فقالت: يا أبت ما أبكاني إلا أنني أعرف أن الكهان رُما يكذبون وأخاف أن يكذب علي فأخزى بعدها أبداً، قال: سأخبرُك له وأجربه بذلك؛ فصفر لفرسه حتى أدلى فألقى حبة في إحليله فصر عليها. فلما أتوا الكاهن قال عتبة: قد خبأنا خبأً لك، فقال: حبة بُر في إحليل مُهر! قال: قد جئناك في أمر فأخبرنا عنه بالحق، قال: جئتموني في أمر هذه، وأشار إلى هند وقال: قومي غير زانية ولا فاجرة وستلدين سيد العرب، فقالت للفاكه - وقد أراد التمسك بعصمتها -: والله لا تكون له أبا ولا يكون لك ابناً، فطلقها.

فتزوجت لأبي سفيان فأنجبت ببنيتها منه: معاوية وعتبة وجويرية وأم الحكم، أم عبد الرحمن بن أم الحكم الثقي - وزير معاوية الذي يقال له ابن أم الحكم -.

كَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ وَالِدُ الشَّقِيِّ نَوْفَلِ السَّاقِطِ وَسَطِ الْخَنْدَقِ
وَصِنْوِهِ عُثْمَانُ وَهُوَ الْمُوثِقُ وَالْحَضْرَمِيُّ فِي الشَّرِّ مُمَزَّقُ

أي ومن أولاد المغيرة الشهيرة: عبد الله بن المغيرة، وهو أبو الشقي،

لموته على الكفر (نسأل الله العافية) بسقوطه في خندق النبي ﷺ، وهو نوفل بن عبد الله بن المغيرة؛ وذلك أنه حلف ليوثبن مهره الخندق فركضه فوقعا هو وفرسه فيه، فابتدره الصحابة فقتلوه في الخندق؛ فسأل بنو مخزوم النبي ﷺ جثته بديته ألف دينار ليدفنوه، فقال صلى الله عليه وسلم: «خذوه لا حاجة لنا في ديته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية»⁽¹⁾. وقوله: وصنوه: بالجر عطف على الشقي. والصنو: الأخ الشقيق. وعثمان: بدل من صنوه، أي وعبد الله هذا هو والد الشقي نوفل وشقيقه عثمان؛ أمهما كريمة بنت صيفي بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

سرية عبد الله بن جحش

وعثمان هو الموثق، أي الأسير لعبد الله بن جحش وسريته. وجملة والحضرمي في الثرى ممزق: حالية، أي الموثق والحال أن الحضرمي ممزق في التراب أي مقتول؛ وذلك أول يوم جرّ إلينا - معشر الإسلام - العزّ. بعث النبي ﷺ سيدنا عبد الله بن جحش في سرية هم تسعة أمّره عليهم (فمن ذلك استُحبّ للرفقة أن تكون تسعة تبركا بهؤلاء) وكتب لهم كتابا، وقال له «سر يوما - أو قال: يومين - فانظر في هذا الكتاب فاعمل بما فيه»⁽²⁾، فلما سار القدر الذي حدّ له نظر فيه، فإذا فيه: «سر بمن معك إلى نخلة وخذ لنا من خبر قريش ولعلك تلقى عيرا لهم ولا تستكره أحدا ممن

(1) رواه أحمد.

(2) ذكره ابن سعد.

معك»⁽¹⁾. ومن هذا الكتاب أخذ العلماء جواز المناولة في أهل الحديث، وهي أن يكتب الشيخ كتابه ويصححه ويأوله تلميذه ويقول له خذ عني ما في هذا الكتاب فيكون التلميذ يقول - يعني ما في الكتاب - : حدثني فلان، ويؤخذ بذلك فيقال حدث فلان عن فلان.

وأصحاب عبد الله بن جحش في تلك السرية ثمانية هو تاسعهم، وقد نظمتهم فقلت:

أول وقعة لنا في المشركين	سرية المجدع النذب المكين
ومعه فيها أبو حذيفة	سهيل أيضا أمه الظريفة
سعد بن مالك وعتبة السري	سلي غزوان وواقد الجري
عكاشة وخالد وعامر	وكلهم من الذين هاجروا

أي لم يكن فيهم أحد من الأنصار وإنما هم من المهاجرين خصوصا، بين قريش وحلفائهم؛ فمن قريش أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسعد بن أبي وقاص، وسهيل ابن بيضاء. وعبد الله بن جحش، وابن عمه عكاشة بن محصن، حليفا بني عبد شمس؛ وهما من بني أسد بن خزيمة، من غنم بن دودان. وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وخالد بن البكير الليثي، وواقد بن عبد الله التميمي ثم اليربوعي حليفا بني عدي، وعامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب.

فلما قرأ عليهم عبد الله الكتاب قال: أمرني أن لا أستكره أحدا، فمن

(1) ذكره ابن سعد.

شاء منكم أن يرجع فليرجع؛ فلم يرجع منهم أحد ولكن لما كانوا في الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعاقبان فتخلفا في طلبه، فبقي القوم سبعة؛ فلما كانوا "بنخلة" - وهي موضع بين مكة والطائف - رأوا عيراً لقريش: وهم أربعة قدموا من الشام يحملون الالام كالعنب والفواكه؛ فخافهم أهل العير، فحلق عكاشة رأسه وترقب لهم، فقالوا: لا بأس عمار. وهذا آخر يوم من الشهر الحرام، فإن وقعوا بهم فعلوا في الشهر الحرام، وإن أمهلوهم إلى أن يفوت النهار دخلوا في الحرم. ثم تشجعوا فحملوا عليهم؛ فرماهم واقد بن عبد الله فقتل عمرو بن الحضرمي حليف عتبة بن ربيعة، وأخذوا عثمان هذا والحكم بن كيسان أسيرين، وأفلتهم نوفل بن عبد الله. وقدموا بالعير والأسيرين على رسول الله ﷺ، وعزل له عبد الله بن جحش الخمس - وهو أول من خمس الغنيمة للإمام - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا آخذه حتى أعلم ما ينزل الله في فعلكم، ما أمرتكم بالفتك في الشهر الحرام»⁽¹⁾، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وقالت قريش: محمد يحل القتال في الشهر الحرام! وأناب الصحابة القوم بل هجروهم حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾⁽²⁾ ففرح القوم وفرح المسلمون، وأخذ رسول الله ﷺ الخمس وقال في الأسيرين:

(1) ذكره ابن سعد.

(2) البقرة: 217.

«نمسكهما حتى يأتينا صاحبانا فإن قتلتهما قريش قتلناهما بهما وإلا فاديناهما»⁽¹⁾؛ فقدم صاحباهما - سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - ففادت قريش عثمان وأسلم الحكم بن كيسان، مولى أبي جهل، وأقام مع النبي ﷺ. وطمع القوم في أن يكون لهم أجر غزوة فسألوا رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾، فاستبشر المسلمون وفرحوا. وقال أبو بكر - وتروى لعبد الله بن جحش -:

تَعْدُونَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهَا لَوْ يَرَى الرَّشْدُ رَاشِدًا
صَدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ رَاعٍ وَشَاهِدٌ

إلى أن قال:

سَقِينَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبُ وَاقِدًا
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا يَنَازِعُهُ غِلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدًا

أَبُو حُذَيْفَةَ، أَبُو رَبِيعَةَ، أَبُو أُمَيَّةَ قَرِيعُ الشَّيْعَةَ
يُدْعَى وَيُدْعَى زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو مُسَافِرُ النَّدِيِّ
لِكُونِهِمْ يَكْفُونَ زَادَ رَكْبِهِمْ بِزَادِهِ، لِلَّهِ دَرٌّ دَابَّهِمْ

(1) ذكره ابن سعد.

(2) البقرة: 218.

أي ومن بني المغيرة أيضا أبو حذيفة، وهو ثامنهم، وأبو ربيعة، وهو تاسعهم؛ واسمُهُ عمرو ويعرف بذي الرمحين⁽¹⁾؛ وله يقول ابن الزبعرى يمدح ابنه عبد الله⁽²⁾:

(1) لقب بذلك لأنه قاتل في حرب الفجار برمحين؛ وقيل لطوله كأنه يمشي على رمحين، وله يقول عبد الله بن الزبعرى:

ألا لله قـُـوم وُ	لَدَتْ أخت بني سهم
هشام وأبو عبد	مناف مِذْرَةُ الخصم
وذو الرمحين اشباك	من القُـوَّة والحزم
فهذان يـُـذودان	وذا عن كـُـتب يرمي
أسود تزدهي الأقرأ	أن مناعون للهضم
وهم يـُـوم عكاظ م	نَعُوا الناس من الهزم

...إلخ.

وقوله: أخت بني سهم: يعني بها ربيعة بنت سعيد بن سهم، أم هشام وهاشم وأبي ربيعة ذي الرمحين والفاكه بني المغيرة. والمدره: المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال. واشباك بفلان: بمعنى حسبك به. وتزدهي: أي تستخف وتتهاون بهم.

(2) كان اسم عبد الله بن أبي ربيعة هذا في الجاهلية بجيراً، فلما أسلم سَمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، ويكنى أبا عبد الرحمن. وكان من أشرف قريش في الجاهلية ومن أجملهم وأحسنهم وجها وكانت قريش تلقبه "العَدْلَ" لأنهم كانوا يكسون الكعبة سنة ويكسوها هو من ماله سنة، فكانوا يرونه وحده عدلاً لهم جميعاً في ذلك، وقيل إن العدل هو الوليد بن المغيرة. وكان عبد الله هذا تاجراً كثير المال؛ وبعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في مطالبة الصحابة الذين عنده بأرض الحبشة، وكان هو والحارث بن هشام ممن استجار يوم الفتح بأم هانئ بنت أبي طالب وأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لها: «أجرنا من أجرت يا أم هانئ» وأسلما يومئذ، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجند من ولايات اليمن، ولم يزل والياً عليها إلى أن قتل عمر ثم أقره عثمان، فلما حصر عثمان ذهب إليه لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات. وفي الحلة السيرا

<<=

بجير بن ذي الرمحين قرَّب مجلسي وراح علينا فضله غير عاتم

ومنهم أبو أمية وهو عاشرهم. والقريع: السيد. والشيعة: يعني بها بني المغيرة؛ وكان تحته أربع عواتك: عاتكة بنت عبد المطلب؛ أم بنيه: زهير وعبد الله وقريبة، وعاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان من بني فراس؛ أم أمنا أم سلمة، وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة⁽¹⁾. وأبو أمية اسمه حذيفة، وقيل سهل ويلقب زَادَ الركب؛ وكذلك زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وقتل يوم بدر.

وقوله: بزاده: متعلق بيدعى الأول، والضمير فيه يعود إلى زاد ركبهم وهو المشبه بالاستخدام. ويُدْعَى، أي يسمى، كل من هؤلاء زاد الركب⁽²⁾، ولقبوا بذلك لأنهم إذا سافروا يكفون من سافر معهم الزاد ولا يتزود معهم أحد. والندي: الجواد، وخص به الناظم مسافراً بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس الأموي، لعدم شهرته، عن صاحبيه. وقوله: لله در

--- >>

أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف منه حين غزا حنيناً أربعين ألفاً، فلما انصرف قضاه وقال له: «بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الوفاء والحمد»، وفي رواية: «إنما جزاء القرض الحمد والوفاء». وهو والد الشاعر المشهور عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وأخو عبد الله هذا عياش بن أبي ربيعة الصحابي الجليل، أمهما أسماء بنت مخزومة من بني نهشل بن دارم وأخواهما لأمهما: ابنا عمهما الحارث وأبو جهل ابنا هشام.

(1) لم يذكر الشارح الرابعة حسب النسخ التي وقفت عليها، ولعلها من ثقيف أم ابنه الكافرين مسعود وهشام.

(2) ومن أزواد الركب أيضاً الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي فهم أربعة كما في المحبر لابن حبيب وغيره.

دأبهم: أي عاداتهم من تزويدهم ركبهم؛ وهو مثلٌ سائرٌ في كلام العرب لا يحتاج إلى تفسير⁽¹⁾. وفي أبي أمية يقول أبو طالب يرثيه - وكان ختنا له⁽²⁾ - وكان موته بالشام غائبا:

يقولون زاد الركب غير مدافع بسرو سخيم غييته المقابر
وقد أيقن الركب الذي أنت فيهم إذا أرمّلوا يوما بأنك عاقر
وإلا يكن لحم عبيط فإنه تكب على أفواههن الغرائر

وذكر الزبيري للمغيرة غير هؤلاء العشرة: حفصا - وقدمناه - وزهيرا وخراشا وتميما؛ ويكنى أبا زهير، وعثمان.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنَ الْوَلِيدِ خَالِدٌ سَيْفُ الْإِلَهِ لِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ انْتِصَاهُ
بِشَعَرَاتِ النَّبِيِّ أَرْهَابًا رُومًا وَفَارِسًا وَسَاسَ الْعَرَبَا
أَرْسَلَهُ إِلَى أَكْيَدِ النَّبِيِّ فَعَلَّاهُ وَالْجِزْيَةَ اخْتَارَ الْغَبِي
وَهَدَمَ الْعُزَى لَهُ وَالْهَيْلَ أَرْجَى لَهُ مِنْ كُلِّ مَا سَلَفَ لَهُ
بِهَا تَتَرَسَّ لَدَى الْوَفَاةِ لَا بِالَّذِي فَعَلَ بِالْبُغَاةِ

(1) يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله، قيل أصله أن رجلا رأى آخر يحلب إبلا فتعجب من كثرة لبنها فقال: لله درك. ويستعمل في الذم أيضا فيقال: لا درّ درّه أي لا زكا عمله.

(2) ختن الرجل: المتزوج بابنته أو بأخته أو كل من كان من قبل امرأته، وفي الحديث: عليّ ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأختان من قبل المرأة والأحماء من قبل الزوج، والصهر يجمعهما، وكان أبو أمية هذا ختنا لأبي طالب لأنه زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب.

بدأ بخالد لاستحقاق أبي سليمان للتقديم. ولقبه صلى الله عليه وسلم سيف الله، في قوله لعمار بن ياسر، وقد وقع بينهما شيء... حتى قال له عمار: لقد هممت أن لا أكلمك بعدها أبداً، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لخالد: «ما تريد إلى عمار رجل من أهل الجنة شهد بدراً»؟⁽¹⁾، وقال لعمار: «ما تريد إلى خالد سيف من أسياف الله سلّه على الكفار»؟⁽²⁾ قال خالد: ما زلت أحب عماراً من ذلك اليوم⁽³⁾. وقال أبو بكر لعمر حين أراد منه أن يعزل خالداً: لا أغمد سيفاً سلّه الله ورسوله.

وانتضاه: سلّه، والضمير للاستخدام إن أسند الفعل إلى خالد، وإن أسند إلى ضمير يعود إلى الإله فليس للاستخدام. وأم خالد لبابة الكبرى، وقيل الصغرى - خلاف بينها وبين أم الفضل - وهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير من بني هلال بن عامر بن صعصعة، أختهما أمنا ميمونة بنت الحارث وعمتهن صفية بنت حزن أم أبي سفيان بن حرب.

ترجمة خالد بن الوليد

أسلم خالد عام الحديبية، بينها وبين خيبر، وهاجر إلى النبي ﷺ ومعه

(1) أخرجه الطبراني.

(2) ذكره ابن عبد البر.

(3) واشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا خالد لم تؤذي رجلاً من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله»، فقال خالد: يا رسول الله إنهم يقعون في فأرد عليهم، فقال: «لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار» - [رواه أبو يعلى وابن عساكر وله ألفاظ مختلفة].

عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة العبدي؛ فلما رآهم النبي ﷺ قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»⁽¹⁾. وبعثه النبي ﷺ إلى العزى،

(1) ذكره ابن هشام في سيرته، وقد اختلف في وقت إسلامه، ف قيل أسلم في صفر أول سنة سبع، وقيل ثمان. وكان سبب إسلامه كما حدث هو عن ذلك قال: لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء وأن محمدا يظهر. فلما جاء لعمره القضية تغييت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد، دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا، فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك؛ أو مثل الإسلام يجهله أحد! قد سألتني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال: «أين خالد؟» فقلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره»، فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة".

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسررتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت في المنام كأنني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة. فلما أجمعت على الخروج لقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب أما ترى أن محمدا ظهر على العرب والعجم؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا؟ فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا، فقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيدري؛ فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان، فقال لي مثل الذي قال صفوان، قلت: فاكمم ذكر ما قلت لك؛ قال: لا أذكره. ثم لقيت عثمان بن طلحة العبدي، قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعة: مسافع والجللاس والحارث وكلاب؛ فقد قتلوا كلهم يوم أحد، فكرهت أن أذكر له؛ ثم قلت وما علي وأنا راحل من ساعتى.. فقلت له: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب ماء لخرج، ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة، وأتعدت أنا وهو بيأجج، إن سبقني إليه أقام به وإن سبقته إليه انتظرت. فلم يطلع الفجر حتى التقينا به

<<=

صنم سُليم وقريش المشهور، وبعثه إلى بني جذيمة - قبيلة من كنانة عند ماء يقال له الغميصا - فقالوا: صباأنا وبنينا فيها المساجد وصلينا فيها، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فاستباحهم خالد بالقتل؛ فوداهم النبي ﷺ وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»⁽¹⁾. وكان النبي ﷺ يوليه أعنة الخيل⁽²⁾، كان على مقدمته يوم الفتح ويوم حنين، وجرح فنفت رسول الله ﷺ على جراحه فانطلق منها ولم يشكها؛ وكان يقول: اندقت في يدي يوم

-- >>

فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة (اسم محل) فوجدنا عمرو بن العاص بها، وكان عائدا من الحبشة بعد مقابلة النجاشي، فقال: مرحبا بالقوم فقلنا: وبك، قال: أين مسيركم يا أبا سليمان؟ فقال: لقد استقام الميسم (أي تبين الطريق وظهر الأمر) وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ فقال عمرو: وذلك الذي أقدمني والله ما جئت إلا لأسلم. فساروا حتى قدموا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأهم قال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»، وذلك لرفعة شأنهم في قريش. قال خالد: فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت أخي فقال: أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُرَّ بِقُدُومِكُمْ وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال: «الحمد لله الذي هداك وقد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير»، قلت: يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك، فقال صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يجب ما كان قبله». وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فبايعا وأسلما؛ ثم قال: والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي أحدا من أصحابه فيما حَزَبَهُ.

(1) رواه البخاري وأحمد.

(2) ذكره ابن سعد.

مؤتة تسعة أسياف فما صبر معي إلا صفحةً يمانية. ولما قتل الأمراء أخذ اللواء وانحازت إليه الناس فحاس بهم - أي انحاز - حتى نجوا من العدو ولم يفروا، وحال الليل بين الفريقين⁽¹⁾.

قوله: بشعرات: من رأس النبي ﷺ جعلها في عمامته، فكلما رأى عمامته جيشٌ انهزم، فبذلك أربى الروم والفرس وساس، أي ساد، العرب لتقدمه على جيوشهم، وقتله المرتدين منهم؛ كأهل اليمامة وجيش طليحة أهل بزاخة، وهدم للنبي ﷺ العزى إذ بعثه إليها، فلما أتاها قال:

يا عَزُّ كُفْرَانِكَ لا سُبْحَانَكَ أَنِي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

فلما أتاه قال له رسول الله ﷺ: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فارجعُ إليها فلم تهدمها». فرجع فهدمها حتى خرجت منها عجوز ثائرة الرأس ناشرة الشعر تدعو بالويل والثبور⁽²⁾، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «تلك العزى لا تعبد العزى بعد اليوم»⁽³⁾.

وأَكِيدِرُ هو ابن عبد الملك الكندي ملك دومة، بعثه إليه النبي ﷺ في سرية في غزوة تبوك وقال له: «إنك ستجده يصيد البقر»⁽⁴⁾. فبينما أكيدر

(1) لما أخذ الراية قاتل قتالا شديدا وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه بحيلة دبرها، ثم عاد بجيش المسلمين سالما إلى المدينة من غير هزيمة؛ فأنقذ الله المسلمين على يديه مع قتلهم، حيث كانوا نحو ثلاثة آلاف، والعدو من الروم والعرب المنتصرة نحو مائتي ألف وخمسين ألفا.

(2) الويل: حلول الشر. والثبور: الهلاك والخسران.

(3) رواه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره ابن سعد وغيرهما.

(4) ذكره ابن إسحاق في سيرته.

مع زوجته في ليلة صائفة على سطح دارهم إذ أتتهم بقر الوحش تنطح
حصنهم بقرونها، والليل مقمر؛ فدعا أكيدر أخاه حسانا وقال له: لا أصبر
عن هذا؛ فركبوا خيلهم فطردوا البقر حتى دفعتهم في جيش خالد.
فحملوا عليهم، فقتلوا حسانا وأسروا أكيدر؛ فبعث خالد بقبائنه⁽¹⁾ إلى النبي
ﷺ، فجعل الصحابة يتعجبون من حسنه، فقال لهم رسول الله ﷺ:
«لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»⁽²⁾. ثم قدم خالد بأكيدر،
فخيره رسول الله ﷺ بين الإسلام وضرب الجزية عليه فاختر الجزية⁽³⁾.

وذلك قوله: والجزية اختار الغي، وهو من لا فطنة له. وغله: أي أسره.
وقوله: الهيلة: استئناف مبتدأ خبره: أرجى له. وما سلف له: أي ما قدمه
من العبادة من طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله؛ ولذلك قال عند
وفاته رضي الله عنه: جعلت لا إله إلا الله تُرساً بيني وبين النار، وهي
أرجى لي من كل عمل قدمته.

وتوفي رضي الله عنه في سنة إحدى - أو اثنتين - وعشرين بالمدينة على
المشهور، وقيل بجمص⁽⁴⁾ وأوصى إلى عمر، ولم تبق امرأة من بني المغيرة إلا

(1) القباء: نوع من الثياب (فارسي معرب) - [لسان العرب]

(2) متفق عليه.

(3) رواه ابن سعد وابن هشام.

(4) ذكروا أن قبره مشهور يزار في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من
حمص، وقد اتصل به العمران وصار حوله حي يسمى "حي سيدي خالد" كما يسمى
المسجد أيضا مسجد سيدي خالد - [محمد رضا: كتاب أبو بكر الصديق].

نشرت شعرها على قبره، أي حلقت رأسها عليه، ف قيل ذلك لعمر فقال:
دعهن يندبن أبا سليمان⁽¹⁾.

قلت: وفي هذا نظر، لرضا عُمرَ بالخلق بعد ما نهى عنه النبي ﷺ⁽²⁾.
ولما احتضر رضي الله عنه قال: لقد شهدت مائة زحف وما في
جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموتُ على
فراشي كما يموتُ العَيْرُ.. لا نامت عينُ الجبان⁽³⁾! وسمع عمر بعد موت
خالدٍ راجزاً ينشد:

إذا رأيت خالداً تخففاً وهبت الريح شمالاً حرجفاً⁽⁴⁾
وكان بين الأعجمين منصفاً فرد بعض القوم أن تخلفاً

(1) وقال: قصرن في البكاء على أبي المسلمين رحمه الله إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله
وما عند الله خير له مما كان فيه، ولقد مات فقيداً وعاش حميداً.

(2) النهي عن الخلق عند المصيبة ورد في الصحيحين.

(3) وقد دافع خالد عن الإسلام دفاعاً مجيداً لم ير مثله في تاريخ الأمم، شهد له بذلك الصحابة
رضوان الله عليهم كما شهد له به الأمم التي حاربها من عرب وفرس وروم واعترفوا له
بالكفاءة الحربية النادرة، وصدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه سيف من
سيوف الله»، فقد كرس حياته منذ أسلم إلى أن توفي للجهاد في سبيل الله في الغزوات
والسرايا والفتوح ولم يهزم في موقعة من المواقع، بل كان رائده النصر على الدوام وكان
العدو يخاف منه ويقع الرعب في قلبه بمجرد ذكر اسمه، أو اقتراب جيشه؛ لذلك كانوا
يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به. وكان قد تفنن في ضروب
الحرب وأحوالها فكان أثبت الناس جأشاً لا يرهب الموت ولا تهوله كثرة الجيوش، وقاد
أعنة الخيل في الجاهلية والإسلام رضي الله عنه.

(4) الحرجف: الريح الباردة.

فقال عمر: رحم الله خالدا، فقال طلحة بن عبيد الله:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

فقال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا لتقدمه وما كان يصنع بالمال. وكان خالد إذا أصاب غنيمة لا يدفع إلى أبي بكر حسابا، وكان فيه تقدم على رأي أبي بكر بفعل أشياء لا يراها أبو بكر؛ قتل مالكا ابن نويرة - واختلف في إسلامه - ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة، ونكح بنت مجاعة بن مرارة.. فكره ذلك أبو بكر، وأمره بطلاق امرأة مالك وعرض الدية على متمم بن نويرة. ولكن لم ير أن يعزله. وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد.

ومما مدح به خالد قول حزن بن وهب بن عمران بن مخزوم، جد سعيد بن المسيب، في قتاله أهل الردة:

وقامت رجال من قريش كثيرة	ولم يك في القوم القيام كخالد
ترقى فلم ينزل به صدر نعله	وكف فلم يعرض لتلك الأوابد
أخالد لا تعدم لؤي بن غالب	قيامك فيها عند قذف الجلامد
وكنيت لمخزوم بن يقظة جنة	كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد
إذا ناب أمر في قريش ملجلج	تشيب له هام العذارى النواهد
توليت منه ما يخاف وإن تغب	يقولوا جميعا: حظنا غير شاهد
كساك الوليد بن المغيرة مجده	وعلمك الشيطان ضرب القماحد

(جمع قمحذوة: وهي العظم الذي خلف الأذن).

ومن ولد خالد سليمان، الذي به يكنى، والوليد وعبد الرحمن والمهاجر

وعبد الله⁽¹⁾. وفي عبد الرحمن بن خالد يقول كعب بن جعيل يرثيه:

ألا تبكي وما ظلمت قريش	ياغوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعبك	وحص من أباح لها حماها
فسيف الله أدخلها المنايا	وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن صخر	وكانت أرضه أرضا سواها

وفيه يقول أيضا:

أبوك الذي قاد الجنود مغربا	إلى الروم لما أعطت الخرج فارس
وكم من فتى نهته بعد هجعة	بقرع اللجام وهو أكتع قاعس
وما يستوي الصفان: صف لخالد	وصف عليه من دمشق البرانس
ولم يبق تحت الحرم إلا أجنة	ولا من هواديهن إلا الكرادس

ولا يحصل لمتبّع مناقب خالدٍ إلا التعب⁽²⁾ وسيأتي بعضها في الكلام على أبي بكر رضي الله عنهما⁽³⁾.

وَمِنْ هِشَامٍ حَارِثُ الْمَجِيدِ وَحَارِثُ مَنْهُ ابْنُهُ الشَّرِيدُ
رَاهِبٌ فَهْرٍ عَابِدُ الرَّحْمَنِ أَبُو الْحَظِيَّاتِ ذَوَاتِ الشَّانِ

(1) أما سليمان فأمه كبشة بنت هوزة بن عمرو من بني رزاح بن ربيعة، وأما عبد الرحمن والمهاجر وعبد الله فأمهم بنت أنس بن مدرك الخثعمية، قيل: وله عبد الله ثان أمه أم تميم الثقفية، وكان عبد الرحمن منهم مع معاوية على علي وشهد معه صفين وولي الجزيرة، وكان المهاجر مع علي وفقئت عينه في "الجمل" وقتل بصفين، وقتل عبد الله بالعراق.

(2) فقد كانت حياة خالد خالدة في القلوب والأسفار وكانت عبرة لأولي الأبصار.

(3) انظر صفحة 865 وما بعدها.

يقول ومن أولاد هشام بن المغيرة: الحارث بن هشام؛ وهم ستة: الحارث وسلمة وخالد وعثمان والعاص وأبو جهل. أسلم سلمة قديماً والحارث وخالد يوم الفتح وقتل العاص وأبو جهل يوم بدر، ولم نجد لِعُثْمَانَ خبراً⁽¹⁾. أما الحارث وأبو جهل فأُمهما أسماء بنت مخزومة بن جندل بن نهشل بن دارم من تميم. وأما سلمة فأُمه ضُبَاعَة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير القائلة في الجاهلية:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

ثم أسلمت. وأما العاص وخالد فأُمهما الشفاء بنت خالد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وكان الحارث كما قال الناظم مجيداً، أي صاحب مجد، أي فضل (فعل بمعنى فاعل) أي ماجد في الجاهلية والإسلام، كما قال الشاعر:

أزعمت أن أباك حين تسبني في المجد كان الحارث بن هشام
أولى قريشٍ بالمكارم والندی في الجاهلية كان والإسلام
وله يقول كعب بن الأشرف:

نبئت أن الحارث بن هشامهم في الناس بيني المكرمات ويجمع
ويزور يشرب بالجموع وإنما بيني على الحسب القديم الأرفع⁽²⁾

(1) عثمان هذا هو أكبر أولاد هشام وبه كان يكنى وأمه بنت عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وليس له عقب - [قاله الزبيرى].

(2) الأرفع (بالرفع): صفة لفاعل يني، وفيه إقامة الصفة مقام الموصوف وهو الحارث بن هشام الذي بيني المكرمات.

وكان يقال له الحويرث؛ قال حسان بن ثابت:

[وولت عند ذاك جُموعٌ فِهْرٍ] وأسلمها الحويرث من بعيد

حضر بدرا مع المشركين وكان ممن فرَّ يومئذ، فقال حسان بن ثابت:

إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

وأجابه الحارث بقوله:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مُزبد
وشمت ريح الموت من تلقائهم في مأزقٍ والخيلُ لم تبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضرُّ عدوي مشهدي
فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مُفسد⁽¹⁾

ثم غزا أحداً مع المشركين، ولم يزل متمسكا بالشرك حتى أسلم يوم
الفتح بعد ما أجارته أمُّ هانئ بنت أبي طالب؛ استأمنت له رسول الله ﷺ
فأمنه، وفيه قيل:

الحارث بن هشام قد أجير بما قد قال في أم هانئ من الغزل

وحسن إسلامه، وخرج في زمن عمر بأهله وماله إلى الشام فتبعه أهل
مكة ييكون، عليه فرقٌ لهم وبكى ثم قال: "ما كنا نستبدل دارا بدار ولا
جارا بجار؛ ما أردنا بكم بدلا ولكنها النقلة إلى الله، والله ما خرجت
رغبةً بنفسي عن أنفسكم ولا اختياراً بليدٍ عن بلدكم.. وقد خرج منه

(1) يقال إن هذا من أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار.

رجال من قريش ما كانوا من ذوي أنسابها ولا من بيوتها ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، ولئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة". ولم يزل مجاهداً بالشام حتى استشهد باليرموك (وتقدم بعض هذا في الكلام على سهيل بن عمرو).

وقال الحارث للنبي ﷺ: أخبرني عن أمر أعتصم به، فقال: «أمسك عليك هذا»، وأشار إلى لسانه⁽¹⁾. ولم يرجع من أهل الحارث إلا ابنه عبد الرحمن، وحسبه مدحاً قول أمنا عائشة فيه - وقد ذكر عندها يومُ الجمل - فقالت: والناس يقولون يوم الجمل؟! قالوا: نعم، قالت: وددت لو أنني جلست كما جلس غيري، فكان أحب إلي من أن أكون ولدتُ عشرة من رسول الله ﷺ كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث. وأما أبو سعيد وأم حكيم فلم يخرجوا مع الحارث فيمن خرج معه من أهل بيته. وكان يقال لعبد الرحمن راهب قريش، توفي النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين، (وتقدم في الكلام على سهيل بن عمرو وتسميته الشريد وخبره).

والحظيات⁽²⁾: اللواتي قيل فيهن المثل: أنفق من بنات الحارث، وهن بنات عبد الرحمن لا بنات الحارث، والمثل نسبهن إلى جدهن؛ خمس منهن أمهن الشريدة فاختة بنت عتبة بن سهيل، وست أمهن أم الحسن بنت

(1) رواه الترمذي وأخرجه الطبراني.

(2) الحظيات: جمع حظية وهي المحببة إلى زوجها، وقد ضرب المثل بينات الحارث هذا في الشرف وغلاء المهور، وعددهن ثمان عشرة.

الزبير بن العوام، وأربع أمهن بنت عوف بن حارثة بن سنان، بنت أخي هرم بن سنان، واثنان أمهما بنت الحارث بن عبد الله بن ذي القصة، وواحدة أمها مريم بنت عثمان بن عفان؛ زعموا أن عثمان مرَّ بمجلس لبني مخزوم فوقف وسلم ثم قال: إنه يعجبني ما أرى من جَمالكم ونعمة الله عليكم، فقال له بعضهم: أفلا تزوجُ بعضنا يا أمير المؤمنين؟ فنظر إلى عبد الرحمن فقال: إن شاء هذا ذلك زوجته وأشار إليه؛ فقال عبدُ الرحمن: إني أشاء. فزوجه ابنته مريم وولدت له بنتا وماتت صغيرة، وهي ثامنة عشر بناته الحظيات.

وأما أولاده فاثنا عشر، ستة للشريفة فاختة، منهم أبو بكر الفقيه المحدث؛ روى عن أمهات المؤمنين وأبي هريرة وروى عنه ابنُ شهاب، وكف بصره؛ وقدم عليه - بعدما كف بصره - رَهْطٌ من بني أسد بن خزيمة يستعينونه في ديات دماءٍ عليهم، فحمل عنهم أربع ديات، وقال لابنه عبد الله: اذهب إلى عمك المغيرة فأعلمه بما حملنا من هذه الديات واسأله المعونة، فذهب عبدُ الله إلى المغيرة فأعلمه، فقال له: أكثر علينا أبوك. وانصرف عنه، فأقام أياما لا يذكر شيئا لأبيه، وكان يقود أباه إلى المسجد فقال له يوما: أذهبت إلى عمك؟ قال: نعم وسكت، فعرف أبوه حين سكت أنه لم يجد عنده ما يحب فقال له: يا بني لا تخبرني بما قال لك فإن لا يفعل أبو هشام فرما فعل، واغدُ غدا على السوق فاستسلف واشتر ثم ادفع الديات إلى الأسديين. وكان أبو بكر ذا منزلة عند عبد الملك وأوصى به حين حضرته الوفاة ابنه الوليد، قال له: يا بني إن لي بالمدينة صديقين

فاحفظني فيهما: عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب وأبو بكر بن عبد الرحمن.

وكان المغيرة بن عبد الرحمن من الأجواد، وهو الأعور. وكان يطعم يوما والناس على طعامه وأعرابي حابس نفسه عن الطعام ويديمُ النظر إلى المغيرة، فقال له: يا أعرابي ألا تأكل من هذا الطعام.. ما لي أراك تديمُ النظر إليَّ؟ قال: إنه ليعجبني طعامك وتريني عينك! فقال وما يريك من عيني؟ فقال: أراك أعورَ وتطعم الطعام، وهذه صفة الدجال!! فقال له المغيرة: إن الدجال لا يصاب بعينه في سبيل الله.

وفي المغيرة يقول الأقيشر الأسدي:

أتاك البحر طم على قریش	وقبلك ذاك قد راع ابن بشر
وراع الجدي جدي التيم لما	رأى المعروف منه غير نزر
ومن أوتار عتبة قد شفاني	ورھط الحاطي ورھط صخر

أَبُو أَبِي بَكْرٍ الْفَقِيهِ الْفَقَّاهَا	بِطَيِّبَةِ اتَّحَدَ وَقَّتْ النُّبَاهَا
هُوَ وَمَوْلَى أُمَّنَا مَيْمُونُهُ	وَهُوَ سُلَيْمَانُ وَذُو الْحُزُونُهُ
ابْنُ الْمُسَيَّبِ سَعِيدُ الْعَلَمِ	بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ اتَّسَمِ
وَسِبْطُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْعَلِيِّ	أَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ الْهُذَلِيُّ
خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ	وَعُرْوَةُ نَجْلُ الزُّبَيْرِ الْقَانِتِ
وَقَاسِمُ سَابِعُ ذِي اللَّالِي	ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ذِي الْخِلَالِ

يعني أن عبد الرحمن الشريد بن الحارث هو أبو أبي بكر بن عبد الرحمن

الفقيه، والفقيه في اللغة: العالم بالشيء والفطن به، وفي الاصطلاح العالم بعلم الدين؛ وإنما يطلق في هذا الزمن على العالم بالحلال والحرام.

ذكر الفقهاء السبعة

ولما ذكر أبا بكر ووصفه بالفقه رأى أن يستطرد ذكر الفقهاء السبعة، لأنه أحدهم على قول، وقيل مكانه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل سالم بن عبد الله بن عمر؛ قال الزين العراقي⁽¹⁾:

أما أبو سلمة أو سالم أو فأبو بكر، خلاف قائم

قوله الفقهاء: مبتدأ خبره جملة اتحد وقت النبها. وبطية: متعلق باتحد. والنبها: جمع نبيه للفطن، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمرة، أي اتحد وقتهم بطية، أي المدينة. ويلزم من قوله: بطية اتحاد بلدهم أيضا، فهم السبعة متحدو الوقت والمكان؛ مكانهم المدينة - شرفها الله - وزمنهم زمن التابعين، وليس منهم إلا من أبوه صحابي. وهم من المهاجرين إلا خارجة⁽²⁾.

(1) في ألفيته: وفي الكبار الفقهاء السبعة خارجة، القاسم، ثم عروة

ثم سليمان، عبيد الله، سعيد، والسابع ذو اشتباه

أما أبو سلمة ... الخ

(2) وقد خصوا باسم الفقهاء السبعة لأن الفتيا صارت إليهم بعد الصحابة، وإن كان في عصرهم علماء كثيرون من التابعين، ونظمهم من قال:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم: عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

أما سليمان فهو ابن يسار - ويسار صحابي - وهو مولى أمنا ميمونة بنت الحارث. وأخو سليمان: عطاء بن يسار عالم أيضا، وليس أخوهما إسماعيل بن يسار الشاعر المغني، لتأخره عنهما.

قوله وذو الحزونة: عطف على الضمير العائد على أبي بكر الذي به شرع في عد الفقهاء. والحزونة: الغلظ والصلابة، أي صاحب الحزونة؛ وأضافه⁽¹⁾ للحزونة لقوله: "لم تزل فينا تلك الحزونة" لإباء جده حزن عن السهولة، حين قال له النبي ﷺ: «بل أنت سهل»، فقال: يا رسول الله إنما السهولة للحمار. والعلم: السيد. واتسم بالعلم الكثير: اتصف به وصار له سمة، أي علامة؛ أما علمه فلا يحدث عنه وكذلك ورعه وزهده.

ومن ورعه أنه كان يشكو عينيه ف قيل له: أزل عن عينيك الرمص، فقال: قال لي الطبيب: لا تمسهما، فقلت له: أفعل، فخاف أن يكذب. ومنه أنه لما أخذه "مسرف" بن عقبة المُرِّي، حين أوقع بأهل الحرة، وكان من يأخذ من قريش يقول له بايع أمير المؤمنين - يعني يزيد بن معاوية - على أنك عبد قنَّ إن شاء أعتق وإن شاء استرق، فمن قال له أبايعه على أني ابن عم له قتله.. فلما قال ذلك لسعيد - وكان سعيد ممن خلع يزيد من العلماء - قال: لا أبايعه لا حرا ولا عبدا، فقال مروان بن الحكم وعبد

(1) أي سعيد بن المسيب، ولم يصرح باسمه هنا، لذكره في النظم ولشهرته وحضوره في ذهنه، وهذا صنيعه أحيانا؛ كأنه لا يتصور أن القارئ يجهل هؤلاء.. من مشاهير الصحابة والتابعين.

الله بن عمر: هذا مجنون، وشهدا له على ذلك وحلفا عليه فحلى سبيله؛
ثم لحقا سعيدا فقالا: الحمد لله الذي نجاك يا أبا محمد، فقال: إليكما عني
تشهدان بالزور وتحلفان على الكذب، والله لا أكلمكما أبدا!!

أمه أم سعيد بنت عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن
مرة بن هلال، عماتها عواتك النبي ﷺ من سليم. وتزوج فاطمة بنت أبي
هريرة، وتزوج ابنته زينب شريح بن الحارث القاضي، فولد له منها ولد
فقال له أم زوجته: سمّ سعيدا باسم جده فإني مكثت معه أربعين سنة
وما عصى الله فيها قط.

والسبط: ولد الولد، وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود،
أبوه عبد الله صحابي وجدّه عتبة أسلم قديما، قبل أخيه عبد الله بن
مسعود، وهو أول من سمى المصحف مصحفا، وهو الذي قتل اليمان يوم
أحد يظنه من المشركين؛ وليس عليه من ذلك شيء، واستشهد يوم
اليمامة.

وكان عبيد الله الفقيه شاعرا جدا وكان إذا أتى سعيدا ابن المسيب
يقول له: مرحبا بالفقيه الشاعر، ومن شعره:

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم	ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونمّ عليك الكاشحون وقبلهم	عليك الهوى قد تمّ لو ينفع النم
تجنبت إثيان الحبيب تأثما	ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فأصبحت كالنهدي إذ مات حسرة	على إثر هندی أو كمن سقي السم
فدق هجرها قد كنت ترغم أنه	رشاد ألا يا ربّما كذب الزعم


ومنه قوله:

غراب وظي أغضبُ القرن ناديا⁽¹⁾ بصـرم وصردان العشي تصيحُ
لعمرى لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق أليح⁽²⁾

وخارجة: هو ابن زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي ثم النجاري،
وسياتي إن شاء الله في الكلام على أبيه.

وعروة: هو ابن الزبير بن العوام هو ثالث أبناء أسماء بنت أبي بكر⁽³⁾، قيل
إنه ولد يوم موت عمر، وقيل بشر به أخوه عبدُ الله يوم جاء بشيرا بفتح
إفريقية هو وخبيب ابنه. والقانت: الخاشع؛ كان كثير البكاء، وكان إذا
استلم الحجر يقول:

اللهم لا إله إلا أنا وأنت تُحيي بعدما أمتا

ولما دخل معاوية المدينة ببغلاته الشامية جعل الناس يتعجبون منها، فبادر هو
داره وأغلقها عليه وقال لأهله: الصلاة الصلاة؛ امثالا لقوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾  وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ⁽⁴⁾. ومن زوجاته: أم يحيى
بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية. ووفد على عبد الملك بن مروان - بعدما قتل
أخويه عبد الله ومُصعبا - يستردُّ منه سيفَ الزبير، فقال له: ما تريد؟ فقال: سيفَ
أبي الزبير، فقال: بم تعرف سيفَ الزبير من بين السيوف؟ قال: بما لا تعرف به

(1) أي مكسور القرن.

(2) ألاح منه إلاحة: خاف وحاذر.

(3) وكانت أسماء قد ولدت للزبير أربعة أبناء ونسوة (الأول عبد الله، والثاني المنذر، والثالث
عروة، والرابع عاصم؛ وانقرض عاصم) - [الزبيري].

(4) طه: 131-132.

سيف أبيك: ثلّم أصابه يوم بدر، وأنشد:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولّ من قراع الكتائب

وقوله: وقاسم سابع ذي اللّالي: أي سابع الفقهاء، ولم يختلف فيه أنه منهم. واللالّي: جمع لؤلؤة، شبه الفقهاء من بين الناس باللؤلؤ بين الجواهر. وانقرض ولدُ محمد بن أبي بكر إلا عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد، هو وأبوه أيضا من العلماء. وابنة القاسم أم فروة، ولدت لجعفر الصادق موسى الكاظم.

سأل رجل القاسم بن محمد قال: حجّجت مع زوجتي فلما أتمّنا حجّنا ذهبنا بها إلى شعب من شعاب مكة لأقع عليها، فلما هممت بذلك قالت: إني لم أحلق بعد؛ فلم نجد ما نقطع به شيئا فقطعت من شعر رأسها بأسناني، فهل علي من ذلك شيء؟ فضحك القاسم وقال: لا ولكن مرّها أن تحلق الآن.

ثم⁽¹⁾ قال رحمه الله وعفا عنه:

وَأُمُّهُ وَأُمُّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَسَلِمِ سِبْطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ:
بَنَاتُ يَزْدَجَرْدَ آخِرِ مَلِكٍ مَلِكِ الْفُرسِ؛ وَأَنْجَبَ الْمَلِكُ

(1) استطرد الناظم بذكر القاسم بن محمد ذكر أمه بنت يزدجرد، وأنه هو وزين العابدين بن الحسين وسالم بن عبد الله بن عمر أبناء خالات، أمهاتهم بنات يزدجرد آخر ملوك الفرس..

وَقَدْ أَبَى عَلِيٌّ أَنْ يُعْغَنَا كَسَائِرَ السَّبْيِ وَيُمْتَهِنَّا
وَقَوْمُوهُنَّ فَجَادَتْ بِالثَّمَنِ يَدُ الْأُصْلَاحِ فَفَازَ بِالرَّسَنِ

أي وأم القاسم بن محمد وأم زين العابدين بن الحسين وأم سالم بن عبد الله بن عمر: أمهات أولاد أخوات: بنات يزدجرد. ولم أقف على اسم واحدة منهن، إلا أن أم زين العابدين اسمها سُلَافَة⁽¹⁾.

وفي كامل المبرد أن فتى من فتيان قريش قال: كنت أغدو على سعيد بن المسيب أطلب منه العلم فرأيتني أعجبته حتى كاد يؤثرني على غيري، فسألني عن أمي فقلت له: فتاة؛ فرأيتني طحت من عينه. ثم دخل عليه القاسم بن محمد بن أبي بكر فسأله عنه، فقال: هو القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقلت: من أمه؟ فقال: فتاة. ثم دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فسأله عنه فقال: مثل هذا لا يجهل في قريش وجهلته كما جهلت من قبله! فقلت: من أمه؟ فقال: فتاة. ثم دخل عليه زين العابدين بن الحسين، فلما خرج قلت: من هذا؟ فغضب فقال: تجهل من لا يجهل؟! هذا زين العابدين بن الحسين، فقلت: من أمه؟ قال: فتاة؛ فقلت: يا أستاذ ما جهلت واحدا من القوم وأنا أعلم بهم، ولكني لما أخبرتك أن أمي فتاة رأيتني نزلت عندك من مكان كنت فيه فأردت أن أنبهك بهؤلاء أن الإنجاب بالآباء لا بالأمهات.

ويزدجرد هو آخر ملوك الفرس وهو ملكهم أيام حرب القادسية،

(1) ولعله اسم اطلق عليها بعد سبائها لعربيته الواضحة وبعده عن الفارسية.

ووزيره على جيوشه رستم. ففتح الله على المسلمين أرض الفرس وسبواهم وتملكوا أراضيتهم وقتل رستم وفرّ يزدجرد - واستولى المسلمون على القصر الأبيض، وهو دار مملكة الأكاسرة - ثم وجدوا المسلمون في خلافة عثمان فقتلوه. وكانت بناته فيمن سبى المسلمون من الفرس، فقدّموا بهنّ على عمر بالمدينة؛ فأراد المسلمون بيعهن وامتهانهن بالخدمة وغيرها - كغيرهن من نساء الفرس - فأبى ذلك علي، وقال: قوموهن حتى تعرفوا أثمانهن وأدفعها إليكم تجعلونها في المغام، ففعلوا؛ فملكهنّ علي وأعطاهن لهؤلاء، فأولدوهنّ هؤلاء الغلمان وذلك إنجاب الملك الذي ذكر.

والأصيلع: من أسماء عليّ التي سماه بها رسول الله ﷺ؛ وهو من تصغير التعظيم والتودد، لأنه أصلع؛ قال عمر: إن وليها - أي الخلافة - الأصيلع الاجلح يسلك بهم الطريق المستقيم، ولعلها من مكاشفاته. والرسن: أي رسن بنات يزدجرد فجعلهنّ حيث شاء.

ولم يذكر الناظم أبا جهل لشهرته بالكفر، ولا ابنه عكرمة لشهرته بالكرم؛ وأم عكرمة اسمها أم مجالد من بني هلال. خرج عكرمة يوم الفتح هاربا واستأمنت له زوجته أمّ حيكم بنت الحارث بن هشام من رسول الله ﷺ فأدرّكته باليمن فردّته، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح به وقام إليه حتى اعتنقه⁽¹⁾، وقال: «مرحبا

(1) اشتهر عكرمة بالشرف والعز في الجاهلية والإسلام، وكان من أبطال قريش وفرسانهم. أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علّمني خير شيء

بالمهاجر»⁽¹⁾؛ وتناول العلماء قيام النبي ﷺ وفرحه به بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في منامه عذقا في الجنة فقال: «لمن هذا؟» ف قيل: لأبي جهل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لأبي جهل والجنة؟ والله لا يدخلها أبدا»⁽²⁾، وشق ذلك عليه، فلما رآه تأول ذلك العذق به. فهاجر عكرمة إلى المدينة، فجعل كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار سب أهله أبا جهل؛ فشكا ذلك عكرمة إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»⁽³⁾. ولما ندب أبو بكر الناس لغزو الروم وعسكروا على ميلين من المدينة خرج يطوف في معسكرهم ويقوي الضعيف منهم، فبصر بخباء عظيم حوله مرابط أفراس ثمانية ورماح وعدة ظاهرة فأنتهى إليه فإذا هو بخباء عكرمة، فسلم عليه وجزأه خيرا وعرض عليه المعونة، فقال عكرمة: إني في غنى فاصرفها إلى غيري، فدعا له أبو بكر بخير. ثم استشهد عكرمة يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك ولم يترك ولدا، ووُجد في

-- >>

تعلمه حتى أقوله؛ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله»، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا وأشهد بذلك من حضرتي وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عكرمة: والله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله. ثم اجتهد في العبادة والجهاد في سبيل الله حتى قتل شهيدا بأجنادين، وقيل باليرموك؛ قيل كان له ابن اسمه عمرو واستشهد معه ولم يترك عقباً.

(1) أخرجه الحاكم.

(2) ذكره الزبير في نسب قريش.

(3) رواه الترمذي والنسائي وأحمد.

جسده يوم مات بضع وسبعون جراحة بين ضربة وطعنة ورمية.

ولأبي جهل أربعة أولاد لم يذكر منهم غير عكرمة⁽¹⁾، وله أربع بنات أسلمن كلهن، وسيأتي - إن شاء الله - ذكرهن في بني أمية⁽²⁾.

وابن أخي أبي جهل خالد بن العاص بن هشام؛ قتل العاص بن هشام يوم بدر كافرا⁽³⁾ - قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وأما خالد فأسلم واستعمله عمر على مكة، وابنه الحارث بن خالد بن العاص المشهور بالشعر، حتى كان قومه يسامون بشعره شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ويُنكر ذلك عليهم ابن أبي عتيق، وقال: ما عُصي الله بشعر أكثر مما عُصي به في شعر ابن أبي ربيعة⁽⁴⁾؛ ومن شعر الحارث:

(1) كان لأبي جهل من الولد الذكور غير عكرمة المذكور: زرارة وتميم؛ أمهما بنت عمير بن معبد بن زرارة التميمية، وعلقمة؛ أمه بنت الحارث بن الربيع بن زياد العبسية. وانقرض عقب أبي جهل كما في الجمهرة لابن حزم وغيرها..

(2) راجع الجزء الأول من تكملة هذا الشرح: (رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب: ص 176، 182-183).

(3) ومن ولد العاص بن هشام الصحابي: خالد المذكور وهشام وصحب أيضا، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اذهب عنه الغل والحسد»، فكان بنوه يقولون: نحن أقل الناس حسدا.

(4) وكان الحارث هذا معدودا في شعراء قريش المجيد، وكانت العرب تفضل قريشا في كل شيء إلا في الشعر، فلما نجم فيهم عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد هذا والعرجي وأبو دهبل وعبد الله بن قيس الرقيات أقرت لهم العرب بالشعر أيضا.

من كان يسأل عنا أين منزلنا بالأقحوانة منا منزل قمن⁽¹⁾
ومنه قوله أيضا:

كأنني إذا مت لم أضطرب تزين المخللة أعطافية
ولم أسلب البيض أبدانها ولم يكن اللهو من ماله
ومنه:

إيل جودي على المتيم إيلا لا تريدي فؤداه إيل خيلا
إيل إني والراقصات بجمع يتبارين في الأزمنة نبلا
لا أخون الصديق في السر حتى ينقل الماء في الغرايل نقلا⁽²⁾

وقدم الحارث الشام وخطب عمرة بنت النعمان بن بشير فقالت:

(1) إذ نلبس العيش صفوا لا يكدره خوف الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهوى لم يُقرّبني إليك ولم أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن
ومن شعره أيضا:

إنني وما نخرّوا غداة مني عند الجمار تؤدها العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى مساكنها سِفْلاً وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإقواء والخُـلُ
لعرفت مغناها لما ضمنت مني الضلوع لأهلها قُبْلُ

(2) وللحارث أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد شاعر أيضا، ومن شعره:

رحل الشباب وليته لم يرحل وغدا لطيّة ذاهب متحمّل
ولّي بلا ذمّ وغادر بعده شيئا أقام مكانه في المنزل
ليت الشباب ثوى لدينا حقبة قبل المشيب وليته لم يعجل
فنصيب من لذاته ونعيمه كالعهد إذ هو في الزمان الأول

كهول دمشق وشبانها أحب إلينا من الجالية
هم نسـم كصنان التيو س أعياء على المسك والغالية!

فأجابها بقوله:

ساكنات العقيق أشهى إلى النفـ س من الساكنات دور دمشق
يتضوغن إن تطيبن بالمسـ لك نسيما كأنه ريح مرق

وأم الحارث: فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، أمها صخرة بنت أبي جهل. وكان الحارث استعمله يزيد بن معاوية على مكة - قبل أن ينصب الحرب لابن الزبير - وابن الزبير بمكة، فمنعه من ذلك؛ ولم يزل الحارث يصلي في داره بأهله ومواليه إلى أن ولي عبدُ الملك، فولاه مكة ثم عزله، فقدم عليه دمشق فلم يجد عنده ما يحب، فانصرف عنه يقول:

عطفـت عليك النفسَ حتى كأنما بكفيك بُوساً أو لديك نعيمها
وما بي إن أقصيتني من ضـراعة ولا افتقرت نفسي إلى من يسومها

ومن ولد الحارث بن خالد: عبدُ الملك بنُ الحارث، وهو أبو عاتكة بنت عبد الملك؛ تزوجها عبد الله المحض بن الحسن المثنى فولدت له إدريسَ الذي سار إلى أرض المغرب فبنى فاس.

وسكت أيضا عن بني الفاكه وأبي حذيفة وأبي أمية وأبي ربيعة، أما الفاكه فلم يترك إلا أبا قيس، قتل يوم بدر؛ وهو من القوم الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم. وأما أبو حذيفة فابنه هشام هاجر الحبشة الهجرة الثانية، وابنه أبو أمية أسر يوم بدر وقتل يوم أحد كافرا. وأما أبو أمية فمن بنيهِ: أمنا أم سلمة وزهير، الذي قام في نقض الصحيفة، وعبدُ الله الذي

قال لرسول الله ﷺ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾⁽¹⁾. ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث يريدان النبي ﷺ فلقياه يريد مكة، فأعرض عنهما فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال لهما علي: اذهبا إلى أمام النبي ﷺ فقولا له مثل ما قالت إخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾⁽²⁾. فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابا؛ ففعلا فقال: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽³⁾، فقبل منهما وحسن إسلامهما. وقد قال أبو سفيان: والله لتقبلن مني أو لاخذن بيد ابني هذا ونذهب في الأرض ولا يسمع لنا خبر، يعني ابنه جعفرا وقد كان معه. وشهد عبد الله بن أبي أمية الفتح وحنينا واستشهد بالطائف.

ومن بني أبي أمية أيضا: المهاجر، وهو شقيق أمنا أم سلمة؛ أمهما عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان وقد أسلم. ومسعود بن أبي أمية قتل يوم بدر كافرا. وهشام قتل يوم أحد كافرا؛ وأمهما من ثقيف. وأما عبد الله وزهير وقريبة - أم ولد زمعة بن الأسود - فأمهم عاتكة بنت عبد المطلب.

(1) الإسراء: 90.

(2) يوسف: 91.

(3) يوسف: 92.

وأما أبو ربيعة فابناه عياش وعبد الله، أما عياشُ فأسلم قديماً وهاجر مع عمر، فتبعه أخواه لأمه: أبو جهل والحارث ابنا هشام؛ أمهم - وعبد الله - أسماء بنت مخزومة بن جندل من بني دارم من تميم، كانت تحت هشام فطلقها بعد أن ولدت له، فتزوجها أخوه أبو ربيعة، فولدت له عياشا وعبد الله. فلما قدم أبو جهل والحارثُ على عياش قالا له: إن أمك حلفت لا تستظل بشجر ولا تذوق طعاما حتى تراك فأتها واعبد ربك حيث شئت لا يتعرض لك أحد؛ فرجع معهما، وقال له عمر: إن كنت فاعلا فاركب ناقتي فإنها لا تسبق. فلما دنوا من مكة أوثقاه ربطاً ودخلا به مكة، وقالوا: يا أهل مكة افعلوا بسفهاكم ما فعلنا بسفيهننا، وكان عندهم مربوطا معذبا هو وأخوهما لأبيهما سلمة بن هشام. وكان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح بالدعاء لهما وللوليد بن الوليد، يقول: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة»⁽¹⁾. وولد عياشُ عبد الله بن عياش، العالم العابد؛ قيل لنافع مولى ابن عمر: أكان عبد الله بن عمر ينهى عن الصوم في السفر؟ فقال: كان يصحبه عبد الله بن عياش وهو يصوم في السفر.

وأما عبد الله بن أبي ربيعة فكان شديد الخلاف أيضا على المسلمين، مثل عبد الله بن أبي أمية، وهو أول من استنفر قريشا لأحد، فلما أسلم كان من وجوه الصحابة، وعمل لعمر وعثمان؛ وبنوه: عبد الرحمن

(1) رواه البخاري ومسلم.

الأحول؛ خلف على أم كلثوم بنت أبي بكر بعد طلحة بن عبيد الله،
والحارث القُبَاع؛ وكان صالحا استعمله ابن الزبير على البصرة، فمر يوما
بسوق البصرة فرأى مكيالا فيه فقال: إن مكيالكم لقُبَاع⁽¹⁾، فسماه أهلُ
البصرة "القُبَاع"، وكانت أمه نصرانية ولم يعلم الناس بذلك، فلما ماتت
حضر الناس جنازتها، فقال لهم: انصرفوا يرحمكم الله فإن لها أهلَ دين هم
أولى بها منا، فزاده ذلك عند الناس. وأخوهما عمر الشاعر، ولد يوم
موت عمر فقيل: أي خير رفع وأي شر وضع! - وليس عمر بذي شر إذ
لم يهج قط مسلما ولا مدح قط رجلا - أمُّه أم ولد تسمى مجدا، وكنيته
أبو الخطاب؛ ويذكرها في شعره كقوله⁽²⁾:

فأنت أبا الخطاب [غير مدافع] عليَّ أمير ما مكثت مؤمراً

وقوله:

قالت أبو الخطاب [أعرف زيه] ولباسه لا شك غير خفاء

وعائذُ منه عتيقُ السَّابِقُ لَأُمَّنَا وَهِنْدُ بَعْدُ لَأَحِقُّ

يقول: وعائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم منه عتيق الذي هو أول

(1) القُبَاع: مكيال ضخمة - [القاموس].

(2) من قصيدته المشهورة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر .. إلخ.

وقوله من قصيدة أخرى:

فقلت لأتراب لها أبرزن إنني أظنُّ أبا الخطابِ مِنَّا بمحضر .. إلخ.

من تزوج أمنا خديجة، ثم تزوجها بعده أبو هالة⁽¹⁾ - واسمه هند - وعتيق بن عائذ لصلبه. وقتل عتيق يوم بدر كافرا، وكانت خديجة ولدت له بنتاً هي هند بنت عتيق، وتزوجها ابن أخيه صيفي بن أمية بن عائذ فولدت له محمدا الذي يقال له محمد ابن الطاهرة، وهو محمد بن صيفي بن أمية بن عائذ. وتقدم نسب أبي هالة والكلام عليه وعلى ابنائه، وهو حليف بني عبد الدار، وقيل اسمه هند وقيل مالك وقيل الأعشى.. وكان شاعرا.

مِنْ أَسَدٍ ذُو الدَّارِ فِيهَا خَيْمُوا وَأَسْلَمُوا "مِيمًا" وَهُوَ الْأَرْقَمُ

يقول: من أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: صاحب الدار التي خيم فيها النبي ﷺ وأصحابه. وخيم بالمكان: أقام به. وأعاد الضمير⁽²⁾ على غير مذكور للعلم به؛ وذلك سائغ لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾. وأسلموا فيها حال كونهم ميمًا، أي أربعين⁽³⁾، أي أسلم فيها من قريش أربعون رجلا آخرهم حمزة بن عبد المطلب وعمر رضي الله عنهما. وهو: أي المخيم في داره: الأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. أسلم الأرقم قديما وشهد بدرا - على رواية - وقيل

(1) وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وهند بعد لاحق، وما ذكره من أن عتيقا هو السابق لأمنا خديجة تبع فيه الحلة السيرا، والذي في الإصابة - في ترجمة هند بنت عتيق - أن عتيقا هو الذي خلف على خديجة بعد أبي هالة.

(2) أي في أسلموا، وخيموا.

(3) فالميم في حساب الجمل عبارة عن أربعين، والرمز إلى الأعداد بالحروف شائع ومستعمل.

بإسلام أبيه، وقيل إن الأرقم توفي مع أبي بكر في يوم، وقيل عُمر إلى خلافة معاوية، قيل إنه أسلم بعد سبعة وقيل بعد عشرة⁽¹⁾.. وداره التي اختفوا فيها على الصفا. وليس لأسد غير الأرقم.

وَمِنْ هِلَالِ اللَّذَانِ مَا اتَّحَدَ أَخَذَهُمَا السَّجِّلُ مِنْ عَبْدِ الْأَسَدِ
عَبْدُ إِلَهِ بِالْيَمِينِ قَدْ أَخَذَ بِالْعَكْسِ الْأَسْوَدُ أَخُوهُ الْمُنتَبِذُ
حَوْلَ الْقَلِيبِ سَاقَهُ ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ فِيهِ يَبْرُ قَسَمًا

أي ومن هلال بن عبد الله: الأخوان اللذان لم يكن أخذهما يوم القيامة كتابيهما بواحد. والسجل: الكتاب. أما عبد الله فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه، وقيل يأخذه عمر قبله. وأما الأسود فهو أول من يأخذه بشماله. والمنتبذ: المرمي حول قلب المسلمين يوم بدر. قوله: يَبْرُ قَسَمًا: يعني أنه أقسم ليَكْسِرَنَّ قَلِيبَ النَّبِيِّ ﷺ فقصد نحوه، فأدركه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو يكرع في الماء، فاختلط دمه بالماء. وأخوهما سفيان بن عبد الأسد قيل بصحبته؛ وأما بنوه فهاجر منهم إلى الحبشة عمرو وهبار، وصحب عبد الله والأسود ابنا سفيان بن عبد الأسد. والأسود بن سفيان: زوج أم حبيب بنت العباس التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو بلغت هذه

(1) يكنى الأرقم هذا أبا عبد الله وأمه تماضر بنت حذيم، ويقال: اسمها أميمة بنت عبد الحارث من بني سهم بن عمرو بن هصيص؛ وكان من السابقين الأولين، وفي الإصابة أنه شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة، وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص ففعل.

وأنا حي لتزوجتها»⁽¹⁾.

وأما عبد الله فهو أبو سلمة زوج أمنا هند بنت أبي أمية، هاجر بها إلى الحبشة ثم هاجرا إلى المدينة؛ قيل إنها أول طعينة دخلت المدينة مهاجرة، والأصح أنها دخلتها قبلها ليلى بنت أبي حثمة، زوج عامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب، وهاجرتا مع زوجيهما إلى الحبشة الهجرة الأولى. وكان أبو سلمة رضي الله عنه جرح بيدر فاندمل جرحه فمات منه في السنة الثالثة عن أم سلمة، وله منها عُمر وسلمة ودرة وزينب، فخلف عليها رسول الله ﷺ؛ قالت: أتاني أبو سلمة ليلة فقلت له: ما حبسك عنا؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ وسمعت منه حديثا ما أحب أن لي به شيئا، قالت قلت: وما هو؟ قال: قال: «من أصيب بمصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم إني أحاسب إليك مصيبي هذه فاخلفني خيرا منها أخلفه الله خيرا منها»⁽²⁾ - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - قالت: فلما أصبت بأبي سلمة تذكرت الحديث وقلت لا أحد خيرا من أبي سلمة، ثم قلت الحديث؛ فلما حللت خطبني رسول الله ﷺ فقلت له: يمنعني ثلاث، فقال لي: «ما هن»؟ قلت: إن أوليائي لم يحضروا، وأنا غيور، وأم عيال؛ فقال: «أما أولياؤك فأنا وليك دونهم، وأما العيال فعيال الله ورسوله، وأما الغيرة فأدعو الله أن يذهبها

(1) رواه ابن عبد البر كما في الإصابة وابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة.

(2) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد.

عنك»⁽¹⁾، فتزوجها وكانت زينب في حجرها لم يتم رضاعها بعد، وكانت أم سلمة تجلسها في حجرها فأتى عمار بن ياسر يوما مع رسول الله ﷺ فوجدتها في حجرها، فقال عمار لأم سلمة: هذه المقبوحة المشقوقة⁽²⁾ التي آذيت بها رسول الله ﷺ اصرفيها عنه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل ليلا يصيحون به: زينبُ أمامك.. فقال لهم: «أخروا عني زيانبكم»، ودخلت عليه يوما وهو يغتسل فرش وجهها بالماء ليصرفها، عنه فأسنت وعُمِّرت طويلا وماء الشباب في وجهها لم يتغير. فلما شبت قيل لرسول الله ﷺ: بلغنا أنك تريد تزويج زينب بنت أبي سلمة؟ فقال: «لو لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي أرضعتني وأباها ثوية»⁽³⁾، فتزوجها صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زمعة بن الأسود.

هنا انتهى عمرو بن مخزوم وما جرَّ إليه من كبار العلماء

أجرى "ما" هنا على العاقل، على غير الغالب، كقوله

(1) رواه أحمد.

(2) المقبوح: المبعد المقصي والمشقوح: المكسور أو المبعد، والعرب تقول قبحا له وشقحا: اتباع أو بمعنى واحد، وقال أبو زيد: شقح الله فلانا فهو مشقوح مثل قبحه فهو مقبوح، ويقال منبوح مقبوح مشقوح، وفي حديث عمار أيضا - وكان قد نال رجل من عائشة بحضرته - فقال له بعدما لكزه لكزات: أنت تسب حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكت منبوحا مقبوحا مشقوحا. فالمنبوح الذي يضرب له مثل الكلب والمقبوح الذي يرد ويخسأ والمشقوح المبعد المقصي - [لسان العرب وغيره].

(3) متفق عليه.

تعالى⁽¹⁾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، و«سبحان ما سخر كن لنا»؛
ويحتمل أنها موصولٌ حَرْفِيٌّ، أي انتهى الكلام على بني عمرو وانتهى ما
جر إليه من ذكر الفقهاء، وبني بنات يزدجرد على سبيل الاستطراد.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ عَامِرِ شَمَّاسٍ الْمَلْحُودِ بِأَحَدٍ مِنْ طَيْبَةِ مَرْدُودٍ

أي من عامر بن مخزوم شماس، واسمه عثمان بن عثمان بن الشريد بن هرم
بن عامر بن مخزوم⁽²⁾، وشماس مبتدأ خبره المجرور قبله. والملحود: صفة
لشماس. وبأحد: متعلق بالملحود. وجملة: من طيبة مردود: حالية لأنها صفة
لمعرفة. أي من عامر شماس الملحود بأحد المردود من طيبة إلى أحد. وكان
يوم أحد بقي النبي ﷺ حتى أُنْخِنَ بالجراحات، فحمل إلى المدينة وبه رمق،
فأدخل على عائشة، فقالت أم سلمة: ابن عمي ويحمل إلى غيري!⁽³⁾
فحمل إليها؛ ومكثَ يوماً وليلة ولم يأكل ولم يشرب.

فأمر النبي ﷺ مَنْ ينادي: ردوا الشهداء إلى مصارعهم⁽⁴⁾، فلم يدرك

(1) ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [سورة ص: 75]. وكما تقع "ما" على
العاقل، على غير الغالب، فكذلك تأتي للعالم، وهو ما لا يوصف بعقل ولا بغيره، كقوله
تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 3].

(2) كان قديم الإسلام من مهاجرة الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد.

(3) فقال صلى الله عليه وسلم: «احملوه إلى أم سلمة».

(4) رواه ابن ماجه والنسائي وأحمد.

مناديه مَنْ لم يدفنْ غيره، فردوه من المدينة إلى أحد فدفنوه من غير غَسْل ولا صلاة، لأنه المغمور؛ وهو الذي لم يمت في المعترك ولكنه لم يأكل ولم يشرب.

ولم ينظر النبي ﷺ ذلك اليوم يمينا ولا شمالا إلا رآه يقيه فقال: «ما شبهت الجنة إلا بعثمان»⁽¹⁾. ولما قدم المدينة مهاجرا أعجب الناس من جماله. ويوم استشهد هو ابن أربع وثلاثين سنة؛ ورثته زوجته بأبيات⁽²⁾. وأم شماس: صفية بنت ربيعة بن عبد شمس.

وصه عامر أيضا سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، وهو من مسلمة الفتح ومن الستة المعمرين بستين سنة في الجاهلية وستين في

(1) والجنة (بالضم): كل ما وقى من سلاح وغيره. وفي رواية: «ما وجدت لشماس شبيها إلا الجنة»، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرمي ببصره يمينا ولا شمالا إلا رأى شماسا في ذلك الوجه يذب عنه بسيفه ويترس بنفسه دونه حتى أثخن بالجراحات - [الزبيري وغيره].

(2) زوجته اسمها نغم بنت سعيد بن يربوع، وقد قالت في رثائه:

يا عين جودي بدمع غير إبساس	على كريم من الفتیان لبّاس
صعب البديهة ميمون نقيته	حمال ألوية ركب أفراس
أقول لما أتى الناعي به جزعا	أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مجالسه	لا يُبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها أبو الحكم بن سعيد يعزيها:

اقني حيائك في ستر وفي كرم	فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته	في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري	فذاق يومئذ من كأس شماس

الإسلام، وقال له النبي ﷺ: «أينا أكبر؛ أنا أم أنت؟» فقال: ولدتُ قبلك وأنت أكبر مني وأخير⁽¹⁾.

حَزْنًا - أَبَى سُهُولَةً خَيْرُ نَبِيٍّ أَتَحَفَهُ بِهَا - لِعِمْرَانَ أَنْسَبُ
وَلَمْ تَزَلْ فِي نَسْلِهِ الْحُزُونَةُ وَأَبْنُ الْمُسَيَّبِ لِحَزْنِ زَيْنِهِ⁽²⁾

يقول وانسب لعمران حزنا الذي أبى سهولة إذ أتخفه، أي أكرمه، بها النبي ﷺ، قال له: «أنت سهل»⁽³⁾ - يريد صلى الله عليه وسلم أن يبدله السهولة بالحزونة، وهي الصعوبة - فقال: يا رسول الله إنما السهولة للحمار؛ فترك له اسمه الذي يختار. وهو حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ وابنه المسيب بن حزن صحابي، أبو سعيد بن المسيب⁽⁴⁾

(1) وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين خمسين بعيرا. وتوفي بالمدينة، وقيل بمكة، في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين. ثم أخذ الناظم في الكلام على عمران أخي عمرو وعامر بني مخزوم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) قوله: حزنا: هو بالنصب مفعول به لانسب آخر البيت. وسهولة: مفعول أبى وفاعله ضمير مستتر عائذ على حزن. وخير نبي: بالرفع: مبتدأ خبره جملة قوله: أتخفه بها. وضمير بها: عائذ على السهولة. ولعمران: متعلق بانسب. والضمير في نسله: عائذ على حزن. وابن المسيب: مبتدأ خبره جملة لحزن زينه. والحزونة: ضد السهولة. والزينة: ما يتزين به.

(3) رواه أبو داود وأحمد والطبراني.

(4) كان سعيد بن المسيب من سادات التابعين من الطراز الأول؛ كان رأسا في العلم والعمل جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع؛ روي أنه مكث أكثر من خمسين سنة لم تفته تكبيرة الاحرام لمحافظته على الصف الأول، وحج أربعين حجة. وكان حجة ثقة فقيها رفيع الذكر.

القائل: لم تزل فينا تلك الحزونة⁽¹⁾. وأخو حزن هبيرة بن أبي وهب، وكان في الجاهلية من فرسان قريش وشعرائهم؛ وهو القائل معتذرا عن فراره يوم بدر:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا وأصحابه جينا ولا خيفة القتل
ولكنني قلّبت أمري فلم أجد مساعا لسيفي إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعت لعودي كالهزبر أبي الشبل

ويقال إن هذا أحسن ما قيل في الاعتذار. وحزن وهبيرة عمتها فاطمة بنت عمرو بن عايد (بالياء المثناة والذال المعجمة قيده السهيلي)، وهي أم أكابر بني عبد المطلب وبناته غير صفية. وتحت هبيرة أم هانئ بنت أبي طالب، ولما فتحت مكة فرّ من الإسلام ولحق بنجران ومات على كفره؛ وقال حين بلغه إسلام أم هانئ:

أشقتك هند أم شجاك سؤاها كذاك النوى أسبابها وانفتاها
وقد أرقّت في رأس حصن مُمْنع بنجران يسري بعد نوم خياها
فإن كنت قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحوق بهضة ممنعة لا يُستطاع قِلالها
وإن كلام المرء في غير كُنهه لكأنّبل تهوي ليس فيها نصالها

وولدت له أم هانئ: جعدة وعمرا وهانئا ويوسف؛ وجعدة ولاء عليّ خراسان، وهو القائل:

(1) وربما أنشد:

وعمران بن مخزوم فدعهم هناك السرّ والحسب اللّبابُ

أبي من بني مخزوم ان كنت جاهلا ومن هاشم أمي خير قيل
فمن ذا الذي يباي علي بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل

وقيل إنما أخواه اثنان: يوسف وهاني⁽¹⁾.

أبو بكر الصديق وبعض مناقبه عليه السلام

مِنْ تَيْمِ الْعَتِيقُ ذُو الْمَسَاعِي عَنْ عَدَّهَا يَضِيقُ ذَرْعُ بَاعِي

العتيق: من أسماء أبي بكر، قيل سمي به لقول النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا»، وأشار إلى أبي بكر⁽²⁾. وقيل سمي به لجماله وعتاقة وجهه، وقيل غير ذلك⁽³⁾. والمساعي: ضد المساوي.

(1) ولما أنهى الكلام على بني مخزوم بن يقظة، شرع يتكلم على بني عمهم بني تيم بن مرة، وبدأهم بذكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) رواه الترمذي.

(3) قيل لقب به لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، وقيل: كان له أخ اسمه عتيق مات قبل مولده فلقب بلقبه، وقيل كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت فقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي. وكني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة، واسمه رضي الله عنه عبد الله بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، قيل: كان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وقيل: بل سماه أهله عبد الله؛ وكانت التسمية بعبد الله موجودة قبل الإسلام. وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وكان وجيها محببا فيهم مؤلفا لهم وكانوا يألفونه، وكان سهلا ذا خلق ومعروف، وكان إذا تحمل دية في الجاهلية صدقته قريش وأمضت حمالته ولم تخذله، وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها من خير وشر.

<<=

وكان تاجرا ذا ثروة طائلة، وكان كريما حسن المجالسة؛ وصحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولما جاء الإسلام سبق إليه فكان أول من أسلم من الرجال؛ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر - رضي الله عنه - ما عتم عنه حين ذكرته له»، أي انه بادر إليه.

ولما أسلم جعل يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يده جماعة لمحبتهم له وميلهم إليه منهم خمسة من العشرة المشهود لهم بالجنة، هم: عثمان والزبير وعبد الرحمن وسعد وطلحة رضي الله عنهم. وآزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله ولازمه واستمر معه إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم، وكان له بمنزلة الوزير يشاوره في أموره. ولما اشتد أذى قريش للمسلمين وهاجروا إلى الحبشة لم يهاجر معهم بل بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة فهاجر معه إليها، تاركا أهله وعياله، وأقام معه في الغار ثلاثة أيام؛ فكان مؤنسه في الغار ورفيقه في هجرته وشهد معه جميع مشاهدته وثبت معه في جميع تلك المواطن. وأنفق ماله في سبيل الله وأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال وعامر بن فهيرة. وبذل الجهد في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي، وكان غاية في الوفاء ومنتهى الإخلاص، وكان شجاعا لا يبالي بالأهوال وتحمل المشاق، وكان غاية في العلم والفهم ووفور العقل والزهد والتواضع. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويحبه ويعرف أصحابه مكانه ويثني عليه، واستخلفه في الصلاة.

وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين. وكان أثبت الناس عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وخطب الناس خطبة ردت عليهم عقولهم، ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم، فصار يدعى بخليفة رسول الله. وقاتل أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه وقاتل على يديه من ارتد حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، ولولا هو لم يجتمع للمسلمين شمل. وقد أجمع أهل السنة على أنه هو أفضل الصحابة، فهو أفضل الناس بعد الأنبياء، وكان إذا مُدِح يقول: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. ونزل فيه قوله تعالى:

<<=

وعدها: أي عد مساعيه، أي محامده. واعتذر عن عدها بأنه لو رام عدها
بالباع لقصر عنها باعؤه وضعف، وأولى لو رامه بالذراع الذي عادة الناس
الذرعُ به.

ومن أسمائه رضي الله عنه الصديق - وهو وزن مبالغة - لمبادرته رضي
الله عنه بتصديق النبي ﷺ، وقيل بتصديق خبر الإسراء؛ كلما حدث النبي
صلى الله عليه وسلم بشيء منه كذبتة قريش وصدقه أبو بكر الصديق.
وقيل سماه الصديق جبريل حين نزل على النبي ﷺ بالإذن في الهجرة بقوله
تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾⁽¹⁾ قال صلى الله عليه وسلم:

-->>

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ ٤٧ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ - الآيات (17-20). وتوفي
رضي الله عنه يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاث
وستين سنة وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية، وصلى عليه عمر، ونزل
في قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر، ودفن ليلاً في بيت أمنا عائشة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومما رثي به قول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعد لها	بعد النبي وأوقاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده	وأول الناس ممن صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا	خير البرية لم يعدل به رجلا

وهذه بعض الإشارات إلى بعض تلك الخصال التي لا تنحصر وكيف تنحصر.. ولقد
أحسن الناظم حيث يقول: ... عن عدها يضيق ذرع باعي.

(1) الإسراء: 80.

«من يخرج معي»؟⁽¹⁾ فقال: أبو بكر الصديق - (قاله القسطلاني في المواهب). ومن أسمائه رضي الله عنه: خليفة رسول الله ﷺ.

أَنْفَقَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى النَّبِيِّ غَيْرَ ذِي تَلْعُثَمٍ
لَمَّا دَعَاهُ لِلْهُدَى خَيْرٌ مُضَرٍّ وَيَوْمَ مَاتَ كَانَ أَثْبَتَ الْبُشَرِّ

تلعثم عن الشيء: تأخر ونكص عنه. أشار إلى الحديث: «ما دعوت أحدا إلى هذا الأمر إلا وفيه عنه كبوة إلا أبا بكر»⁽²⁾ - أو كما قال صلى الله عليه وسلم. لما دعاه: متعلق بتلعثم؛ وفي البيتين تضمنين⁽³⁾. ويوم مات النبي ﷺ كان أبو بكر أثبت الناس، بل لم يثبت من الصحابة غيره، دهشوا كلهم؛ منهم من مات - قيل هو عبد الله بن أنيس، والمشهور أنه غيره - ومنهم من أقعد ومنهم من خبل، وأما عمر فحلف أنه لم يمت وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه ثم يرجع كما رجع موسى.. حتى جاء أبو

(1) أخرجه الحاكم.

(2) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق، وأسد الغابة.

(3) التضمنين: تعليق آخر البيت بأول التالي. وقد أشار الناظم رحمه الله إلى ما أخرجه ابن عساكر من طرق عن عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف درهم - وفي لفظ أربعون ألف دينار - فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه» (وعتم أي لبث).

بكر، وكانت تلك الليلة ليلة بنت خارجة فبات عندها، فجاء فوجد النبي ﷺ مسجى بشيابه قد تُوفي، فقبله وبكى وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا، ثم خطب الناس بخطبة ردت عليهم عقولهم، منها: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، وقال لعمر: أين عنك قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾⁽¹⁾؟ قال عمر: والله لكأني لم أسمع بها. ثم جمع الناس في سقيفة بني ساعدة - وهي عندهم كدار الندوة لقريش - فتماروا في الخلافة، وطمع الأنصار؛ فقالوا ما قالوا.. حتى ذكّرهم أبو بكر بقول النبي ﷺ: «الأئمة من قريش»⁽²⁾ فانقادوا ورضوا إلا سعد بن عبادة. فنظر الصحابة فإذا الدين رأسه الصلاة وإذا أبو بكر أفقهم بالصلاة، فبايعوه بعد أن قدم لها عمر وأبا عبيدة فامتنعا، وامتنع غيرهما من الصحابة، والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى لم يدفن حتى فرغوا من شأنهم، لأن الإسراع بالجنائز إنما شرع لخوف التغير وهو صلى الله عليه وسلم لا يتغير؛ وكذلك الأنبياء كلهم والشهداء وخواص السُّعداء.

وَأَهْدَيْتُ لَهُ وَلَإِبْنِ كَلْدَةَ خَزِيرَةً وَسَمَّيْتُهَا مَن رَفْدَةَ

ابن كلداء اسمه الحارث الثقفى، اختلف في صحبته؛ ويُذكر في الإصابة⁽³⁾.

(1) الزمر: 30.

(2) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

(3) وفي الاستيعاب: الحارث بن الحارث بن كلداء الثقفى كان أبوه طبيبا في العرب حكيما وهو

والخزيرة: طعام يصنع من اللحم ونخالة الشعير، فإذا ذُرَّ عليه الدقيق يسمى عصيدة. ورفده: أعطاه. أي سَمَّ الخزيرة من أعطاهَا أبا بكر،

فَأَخْبَرَ الْحَارِثُ ذَا بِالْعَطَبِ لِسَنَةِ وَهُوَ "طَبِيبُ الْعَرَبِ"

أي فلما أكلَا فطن الحارث بأن الخزيرة فيها سَمُّ سَنَةِ جعله فيها مَن أهداها؛ فقال لأبي بكر: إنا سنموت بعد سنة من هذا اليوم، فكان ما قال: ماتا في يوم واحد⁽¹⁾ بعد سنة، بعد أن مكث الصديق في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر أتم بها سِنُّ رسول الله ﷺ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل - بعد قدومه بخمسين يوما - وولد أبو بكر بعده بسنتين. وكذلك مات على سِنِّ رسول الله ﷺ عمرُ وعلي وطلحة والزبير وبلال.

والحارث بن كلدة هو سيدُ سمية، أمُّ أبي بكره وزِيَاد ونافع بني سمية، وهو طبيب العرب؛ ولما احتضر قيل له: أوصنا بشيء من الطب، فقال: لا

-- >>

من المؤلفة قلوبهم، معدود فيهم؛ وكان من أشرف قومه. وأما أبوه الحارث بن كلدة فمات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتيه يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله. وفي الإصابة: وهذا الحديث يدل على جواز الاستعانة بأهل الذمة في الطب.

(1) اختلف في السبب الذي مات منه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قيل سمه يهودي في شيء من الطعام أكله معه الحارث بن كلدة - كما ذكر - وقيل إنه اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما، وقيل إنه مات كمدًا أي من حزن مكتوم أصابه من أجل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يزل يذيب جسمه حتى مات.

أدري؟ لكن من تعشى فليمش ولو أربعين خطوة⁽¹⁾.

وَبِنْتُ صَخْرٍ أُمُّهُ الْمُبَايَعَةُ سَلْمَى بِأُمِّ الْخَيْرِ تُكْنَى الرَّائِعَةَ

المبايعة: أي ممن بايعن النبي ﷺ. والرائعة: الجميلة أو التي تروع، أي تفرع بجمالها، واسمها سلمى وكنيتها أم الخير، بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم؛ وهي بنت عم أبي قحافة، والد ابنها أبي بكر بن أبي قحافة - واسم أبي قحافة عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب⁽²⁾. أسلمت يوم ضرب عتبة بن ربيعة ابنها أبا بكر - وهو يوم إسلام حمزة وقبل إسلام عمر بيومين - فلما أسلم عمر انتقم من عتبة لأبي بكر (وقدما ذلك). وحسن إسلام سلمى ولم تذكر لها هجرة، ولعلها ماتت بمكة قبل الهجرة⁽³⁾، ولما أسلمت أتى بها أبو بكر إلى النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ودعا لها.

(1) وفي الإصابة أنه قال لهم: لا تتزوجوا إلا شابة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا نضيجة، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بالنؤرة في كل شهر فإنها مذهبة للبلغم ومن تغدى فلينبعده ومن تعشى فليمش أربعين خطوة.

(2) وأم أبي قحافة آمنة وقيل قليلة بنت عبد العزى العدوية، وأم والده عامر بن عمرو زهرية، ولم يعش لأبي قحافة من الذكور إلا أبو بكر، ولا من الإناث إلا أم فروة وقريبة؛ أمهما هند بنت عتيك بن بجير بن عبد بن قصي.

(3) اختلف في وقت وفاة سلمى بنت صخر هذه، فذكر الواقدي أنها توفيت قبل وفاة أبي بكر ومثله في الإصابة وغيرها، وفي الإصابة أيضا وتاريخ السيوطي وغيرهما أنها ماتت بعده وأنها هي وأبا قحافة ورثاه، رضي الله عنهم؛ وقال الهيثم بن عدي: أخبرني هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر لما توفي ورثه أبواه.

مُسَافِعُ ابْنِ خَالِهِ تَهْدِدُهُ حَسَّانُ إِذْ فَهْرٌ سِوَاهُ مَجْدُهُ

ابن خاله: أي خال أبي بكر، وهو مسافع بن عياض بن صخر. وتهدده: أي بالهجو حين مجد، أي مدح، غيره من قریش بقوله:

يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم	قبل القذاف بضم كالجلاميد
فنههوه فإني غير تارككم	إن عاد ما اهتز ماء في ثرى العود
لو كنت من هاشم أو من بني أسد	أو عبد شمس أو أصحاب اللوى الصيد
أو من بني نوفل أو آل مطلب	أو من بني جمح الخضر الجلاعيد
أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا	أو من بني الحارث البيض المناجيد
أو في الذؤابة من تيم إذا انتسبوا..	لله درك لم تهتمم بتهديدي ⁽¹⁾

ومن ولد مسافع: طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر، وهو طلحة التيمي، الذي يعني طلحة بن عبد الرحمن بن الأسود بقوله⁽²⁾:

... وطلحة التيمي والأسود

وهو القائل: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فنزلت:

(1) لولا الرسول وأني لست عاصيه حتى يغيبني في الرمس ملحودي

وصاحب الغار إني سوف أحفظه وطلحة بن عبيد الله ذو الجود

لقد رميت بها شنعاء فاضحة يظل منها صحيح القوم كالمودي

لكن سأصرفها جهدي وأعد لها عنكم بقول رصين غير تهديد

إلى الزبيرى فإن اللؤم حالفه أو الأخايث من أولاد عبود

(2) جدِّي علي وأبو البختري "وطلحة التيمي والأسود"

وجدِّي الصديق أكرم به جدا وخالي المصطفى أحمد

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾⁽¹⁾، ثم تزوج أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

كِلَا الْعَتِيقِ وَخَدِيجَةَ السَّلَامِ يُقْرَأُ جَلَّ جَلَالُهُ السَّلَامُ

كِلا: مبتدأ. والعتيق: مضاف إليه ما قبله، وخديجة: معطوف عليه. والسلام الأول: مبتدأ خبره جملة يقرئه، والجملة الاسمية خبر كِلا. والسلام الأخير: مفعول يقرئه الثاني. وجلَّ جلاله مقصود به السلام الأول وهو الله عز وجل، وأما الثاني فالتحية.

ومعنى البيت أن أبا بكر حين أنفق ماله في سبيل الله أربعين ألف درهم على النبي ﷺ واشترى سبعة يعدَّبون في الله فأعتقهم، منهم بلال وعامر بن فهيرة، فبقي متخللاً في نصف عباءة، نزل جبريل على النبي ﷺ وقال له: قل لأبي بكر الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك هل أنت راض عني في ففرك هذا؟⁽²⁾، فبلغ النبي ﷺ لأبي بكر، فبكى وقال: أعلى ربي أسخط؟. وبتخلله في العباءة سمي ذا الخلال. وأما خديجة فلما صدقت النبي ﷺ وحديث عليه مع عمه أبي طالب وأنفقت ماله في نصرته، أرسل الله تعالى لها مع جبريل إلى النبي ﷺ بالسلام؛ واستدل بذلك مفضلوها على عائشة، لأن عائشة أقرأها جبريل من نفسه، وخديجة من الله تعالى.

(1) الأحزاب: 53.

(2) ذكره في أسد الغابة وغيره.

أَوَّلُ فَتْحٍ جَاءَ ذَا الْخِلَالِ إِمَاتَةُ الْعَنْسِيِّ ذِي الضَّلَالِ

يعني أول فتح جاءه وهو خليفة. وتقدم قريبا سبب تسميته ذا الخلال. والعنسي: نسبة إلى عنس، قبيلة من مذحج - يأتي ذكرها إن شاء الله في مذحج⁽¹⁾ - واسمه الأسود أو عبهلة؛ وكان له حمار يقول له: ابرك فيبرك واسجد فيسجد.. تنبأ بأرض اليمن، فبعث النبي ﷺ إلى باذان أن يقتله؛ وكانت امرأته مسلمة فدلّت الناس على موضعه وهو سكران من شرب الخمر، فدخل عليه قيس بن مكشوح وفيروز الدّيلمى، من غير باب الدار، فقتلاه؛ وجعل يخور خوارا منكرا، فقال أصحابه: ما هذا؟ فقالت امرأته: ذلك النبي يوحى إليه!. وقتل وهو سكران، قال:

ضل نبي مات وهو سكران

وكان سمع بمرض النبي ﷺ مرجعه من حجة الوداع، الذي شفي منه، فادعى النبوة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم موته في المنام؛ قال: «رأيت كأن في يدي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا»، قيل: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «هذان الكذابان»⁽²⁾. وقتل الأسود قبل وفاة رسول الله ﷺ ولم يأت الخبر عنه إلى أن استخلف أبو بكر.

وَبَعْدَهُ قَتْلُ أُسَامَةَ النَّبِيِّ حُمَاةِ الْأَصْفَرِ وَقَاتِلَ أَبِيهِ

(1) انظر: التكملة (993/2).

(2) رواه مسلم.

وَالْجَيْشُ ذَا جَهَّزَهُ خَيْرُ نَبِيٍّ وَكَعَّ عِنْدَمَا اشْتَكَى بِيشْرِبٍ
ثُمَّتَ أَمْضَاهُ الْعَتِيقُ وَطَلَبَ رُجُوعَهُ الْأَصْحَابُ خِيفَةَ الْعَرَبِ

وبعده: أي بعد أول فتح جاء أبا بكر وهو قتلُ العنسي. والنبیه: العاقل، ويقال النبه والنابه. وحماة: جمع حام للذي يحمي أهله وذماره، وحماة الأصفر: أي حماة الروم، ويقال لهم بنو الأصفر؛ وهو الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحاق على نبينا وعليه السلام؛ وقيل سُمُوا بذلك لأن جندا غزاهم فغلب على نسائهم فوطئوهن فجئن بأولاد صفر فسموا بني الأصفر. قوله: وقاتل أبيه: أي يوم مؤتة، وهو من الروم أو من العرب الذين مع الروم؛ وهم غسان ولخم وجذام وعاملة بنو سبأ الذين تشاءموا⁽¹⁾ فما زالوا في حكم قيصر إلى الإسلام. قوله: والجيش ذا: أي وهذا الجيش الذي عليه أسامة، حين قتل قاتل أبيه وحماة الروم، جهزه النبي ﷺ قبل مرضه، فلما مرض كَعَّ: أي نكص وتأخر، قال:

لست ممن يكعُّ أو يستكنُّو نَ إذا كافحته خيلُ الأعادي

فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أمضاه، أي سيره، أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد أن تأخر لمرضه صلى الله عليه وسلم بيثرب، ولم يخرج بعد، وإنما تاهب وتجهز للمسير. ويثرب: اسم المدينة، قيل سميت برجل بناها من اليهود أو من العمالق؛ وقال بعض العلماء إنه لا ينبغي تسميتها

(1) أي قصدوا الشام.

بذلك الاسم بعد أن سميت المدينة وسكنها رسول الله ﷺ، واحتج على ذلك البعض غيره بقوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾⁽¹⁾، فأجاب بأن ذلك من قول المنافقين المذموم قولهم وفعلهم. ومن أسماء المدينة: طيبة وطابة والقرية والنجر والدرع وأكلة القرى.. وغير ذلك مما لا يحصره إلا من أطال. وفي خلاصة الوفاء أن من كتب أسماء المدينة وغسلها بماء فشربه برئ من حُمى الربيع⁽²⁾.

يعني أن ثاني فتح جاء أبا بكر فتح أسامة الذي فتح بجيشه الذي جهزه النبي ﷺ، فلما جهزه اشتكى، أي مرض مرضه صلى الله عليه وسلم الذي توفي منه؛ فتشبط الجيش لذلك. ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ سيره أبو بكر، وطلب الصحابة منه أن لا يفعل خوف أن تغزوهم العرب الذين ارتدوا.

أسامة بن زيد

وأسامة هو ابن زيد بن حارثة بن شُرْحَيْل الكلبي مولى النبي ﷺ وابن مولاه، أمه أم أيمن مولاته التي حضنته، واسمها بركة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أم أيمن أُمِّي بعد أُمِّي»⁽³⁾، ورثها من أبيه وقيل من أمه. وسَمَّى النبي ﷺ أسامة «الحَبَّ» وكذلك زيد أبوه «الحَبَّ»⁽⁴⁾؛ فكان يقال لأسامة

(1) الأحزاب: 13.

(2) حُمى الربيع هي التي تنوب كل رابع يوم.

(3) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وجاء في كنز العمال.

(4) رواه البخاري ومسلم.

الحبُّ ابنُ الحبِّ، وقال صلى الله عليه وسلم: «أسامة أحب الناس إلي ما حاشى فاطمة»⁽¹⁾، وقيل "ما حاشى فاطمة" مدرج، أي ما حاشى فاطمة ولا غيرها؛ أي ما استثناهما.

وقد فرض عمرُ لأسامة خمسة آلاف ولابنه عبد الله ألفين وخمسمائة، فقال له ابنه: أكثرت عني أسامة وشهدتُ ما لم يشهد، فقال: أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك وأبوه أحب إليه من أبيك. ورأى عبد الله بن عمر يعقوب بن محمد بن أسامة يجرُ ثيابه في مشيته فنهره وقال: من هذا؟ فعرف به فطأ رأسه وقال: لو رأى رسول الله ﷺ هذا لأحبه. ولما أمَرَ رسول الله ﷺ أسامة على هذا الجيش قال بعض الناس: غلام يُؤمَّرُ على أجلة الرجال؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن قُلتُم فيه فلقد قُلتُم في أبيه قبله والله إنه لخليقٌ بالإمارة وابنُ خليف بها»⁽²⁾، وسنه يومئذ تسع عشرة وقيل عشرون، وهو الذي قتل مرداس بن نهيك الجهني، قال: طردته أنا ورجل من الأنصار فلما لحقناه قال: لا إله إلا الله، فصرف عنه الأنصاري ونظمته بالرمح، فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽³⁾

(1) أخرجه أحمد والطبراني.

(2) رواه أحمد وذكره ابن هشام.

(3) النساء: 94، وقيل نزلت في محلم، كما سبق (انظر: ص 410)

فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة كيف أنت بلا إله إلا الله؟» قلت: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً، قال: «فهلأ شققت عن قبله؟»⁽¹⁾، قال أسامة: فوالله ما زال يقولها لي حتى تمنيت أن أكون لم أسلم قبل ذلك؛ فحلف أسامة لا يقتل بعدها من يقول لا إله إلا الله، فلذلك اعتزل قتال الصحابة لم يسئل فيه سيفاً ولا أعد رماً ولا نبلاً. وقال فيه رسول الله ﷺ: «أرجو أن يكون من صالحكم فاستوصوا به خيراً»⁽²⁾. وتوفي في خلافة معاوية وسنه قريب من سن رسول الله ﷺ.

وَإِذْ أَتَى أُمِدَّ خَالِدٌ بِهِ وَأَرْجَلَ الْبَرَاءَ سَيْفُ رَبِّهِ
وَجَعَلَ الْحَبَّ عَلَى الْخَيْلِ فَلَمْ يُغْنِ غَنَاءَهُ وَرَاجَعَ الْحُطَمَ

قوله: وإذ أتى: أي جيش أسامة هذا الذي جهزه النبي ﷺ ثم أمضاه أبو بكر. وأمد: جعل له مدداً أي زيادة جيوشه. وأرجل: أي جعله راجلاً، أي أميراً على الرجال. والغناء (بالفتح والمد): المناب والمجزأ. والحطم والحطمة: الراعي الغشوم للماشية يحطم - أي يكسر - بعضها ببعض، ومنه الحديث: «شر الرعاة الحطمة»⁽³⁾، والمراد بالحطم البراء بن مالك بن النضر النجاري، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في ترجمته⁽⁴⁾؛ شبه فعله بالعدو بفعل

(1) رواه مسلم وابن ماجه وأبو داود وأحمد.

(2) رواه أحمد.

(3) أخرجه مسلم وأحمد.

(4) انظر: التكملة (682/2)

الراعي الحطمة بماشيته.

يقول لما قدم جيش أسامة من وجهه الذي كان عليه، بعثه أبو بكر مدداً لخالد بن الوليد حين كان يقاتل أهل الردّة، فلما قدم عليه جعل أسامة على الخيل وأمر البراء على الرجالة، وكان على الخيل؛ فلما رأى أسامة لم يغن غناء البراء، أي لم ينبّ منابه ولم يجزّ مجزأه، راجع البراء، أي أمره أن يرجع أميراً على الخيل.

ثم رجع الناظم إلى ذكر أبي بكر بالأوصاف الحميدة فقال:

مِمَّنْ عَلَيْهِ مَنِّ بِالشَّرَاءِ وَالْعَتَقِ فَارْتُتَ مِنَ السَّوَاءِ
بِلَالُ السَّابِقُ جِيلَ الْحَبْشَةِ وَمَنْ لَهُ وَسْطَ الْجِنَانِ خَشْخَشَةُ

مَنْ: تفضل. وارتُت: قال في القاموس: ارتُت - على المجهول - حمل من المعركة رثيلاً أي جريحاً وبه رمق؛ واستعاره هنا لبلال، لأنه رفع من معركة الكفر ورقّ أمية وتعذيبه فبرئ من السوء: أي السوء الذي ذكرنا. والجيل (بالكسر): الصنف من الناس، وهو هنا الحبشة جيل النجاشي. والخشخشة: صوت في الصدر من النخامة.

بلال بن رباح رضي الله عنه

يقول في مدح أبي بكر: أي ممن من عليه بالشراء ثم من عليه أيضاً بالعتق - وإنما اشتراه ليعتقه - بلال بن رباح وحمامة - أمه - ويكنى أبا عبد الكريم وأبا عبد الله؛ أخى رسول الله ﷺ وبين أبي رويحة الخثعمي، فلما دوّن عمر الدّواوين بعث إلى بلال وهو بالشام يسأله إلى من يجعله؟

فبعث إليه: إني لا أرغب عن مكان جعلني فيه النبي ﷺ، يعني خثعما؛ فجعله عمر فيهم، وكلُّ من أتى من الحبشة يجعل في خثعم لذلك. وبلال أخ اسمه خالد بن رباح صحابي وأخت تسمى غُفَيْرَة، وكان بلال قديم الإسلام. وفي مسلم من حديث إسلام عمرو بن عبسة أنه قال للنبي ﷺ: مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «حِرَانُ وَعَبْدٌ»⁽¹⁾، يعني أبا بكر وزيد بن حارثة ويعني بالعبد بلالا. أسلم وهو في رِقٍّ أُمِيَّة بن خلف، فما زال يعذبه أيَّ العذاب ويضجعه في الرمضاء على ظهره ويلقي عليه صخرة ويقول: لن تزال كذلك أو تكفر بإله محمد، وبلال يقول: أحد أحد، ويُغري به الصبيان يقودونه في سكك مكة يعذبونه⁽²⁾، ولا يزال يقول أحد أحد.. إلى أن اشتراه أبو بكر، قيل اشتراه بالمال وقيل بعبد لأبي بكر كثير الخراج لكن امتنع من الإسلام لأبي بكر؛ فقال أُمِيَّة لأبي بكر لما سأله أن يبيعه له: لا أبيعُكَ إِلَّا بِفُلَانٍ - يعني ذلك العبد - فقال أبو بكر: هو لك مكانه؛ فأعتقه. وقيل إن ذلك العبد هو نَسْطَاس الذي أعتق أُمِيَّة. وأسر نسطاس

(1) مسلم وابن ماجه والنسائي وأحمد.

(2) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه بقومه، وأما الباقيون فأخذهم المشركون فالبسوهم أدراع الحديد وأصهروهم بالشمس فما منهم إنسان إلا وقد أتاهاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه؛ فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد.. إلى أن اشتراه أبو بكر وأعتقه - [الاستيعاب].

يوم بدر - بعد أن أعتقه أمية - ثم أسلم بعد ذلك وكان يحدث بعد ذلك بهروب رجال من قريش يوم بدر ويضحك منهم الناس.

ولما ارتث - أي برئ - بلال من سوء ملك أمية بن خلف تصدر بصُحبته النبي ﷺ والتأذين له. وشهد بدرا، وكان هو السبب في قتل أمية؛ رآه مع عبد الرحمن بن عوف هو وابنه علي، وكان عبد الرحمن أجارهما؛ وكان يحمل أذراعا من أسلاب القتلى فقال له أمية: أنا خير لك من تلك الأذراع فأجرني، قال عبد الرحمن: فجعلته تحت جناحي وجعلت ابنه تحت جناحي الآخر، فرآهما بلال فصاح فخرج في الناس يقول: هذا أمية بن خلف رأس الكفر.. لا نجوت إن نجا، فقال عبد الرحمن: يا ابن السوداء تخفرن في أسيري؟ فأجابته الأنصارُ مصليتي سيوفهم فهبروهما⁽¹⁾ من تحتي، وكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا فجعني بأذراعي وبأسيري. وفي ذلك يقول بلال شعرا، فقال له أبو بكر أبياتا منها:

هنيئاً زادك الرحمن خيرا لقد أدركت ثارك يا بلال

وفي بلال وردت أحاديث منها: «بلال سابق الحبشة وسلمان سابق فارس وصهيب سابق الروم»⁽²⁾ وقوله: «دخلت الجنة فسمعت خشخشة بلال فقلت: بم سبقتني يا بلال إلى الجنة؟ فقال: لا أدري ولكني ما

(1) هَبَرَ اللحم يَهْبُرُه هبرا: قطعه قطعا كبيرا.

(2) تقدم تخريجه (ص: 168/1).

أحدثت قط إلا توضأت ولا توضأت إلا صليت ركعتين؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «بذلك سبقتني»⁽¹⁾. ونزل النبي ﷺ مرجعه من خيبر ومعه بعض أصحابه بواد بعدما أدجوا فناموا، وكان قال لبلال: «احرس لنا الفجر»، فغلبت بلالا عينه فما استيقظوا حتى علتهم الشمس، فقال صلى الله عليه وسلم: «مالك يا بلال»؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الوادي به شيطان»⁽²⁾، فرحلوا رواحلهم وقادوها إلى أن قطعوا الوادي فصلوا، وفي رواية فأذنوا وصلوا، (وفيه متعلق لمن يرى الأذان للفائتة)⁽³⁾.

أَذَّنَ لِلنَّبِيِّ وَالْعَتِيقِ وَمَرَّةً أَذَّنَ لِلْفَارُوقِ
فَذَكَرَ النَّبِيُّ فَاَنْهَلَتْ لَهُ دُمُوعُهُمْ لِذَاكَ مَا اسْتَعْمَلَهُ

يعني أن النبي ﷺ اتخذ بلالا مؤذنا مدة حياته، واتخذ أبو بكر خازنا،

(1) تقدم تخرجه (ص: 711).

(2) أخرجه في الموطأ.

(3) وقد اختلف في مشروعية الأذان والإقامة للفوائت، فذهب مالك والأوزاعي إلى استحباب الإقامة للمقضية دون الأذان لها وبذلك رواية عن الشافعي، وقال أبو حنيفة وأحمد وأبو ثور باستحبابهما لها. وقيل إن رُجي اجتماع الناس أذن لها وإلا فلا، أما من عليه فوائت فأراد قضاءها فقال مالك: يقيم لكل واحدة ولا يؤذن، وهو أحد قولي الشافعي، وذهب أبو حنيفة إلى أنه يؤذن لكل صلاة وقيم، وقال أحمد يؤذن وقيم مرة واحدة ويصلها كلها، وقيل يؤذن للأولى ثم يقيم لكل صلاة إقامة وإن لم يؤذن فلا بأس، ولكل هذه المذاهب والأقوال دليل من السنة.

فلما توفي رسول الله ﷺ صار مؤذنا لأبي بكر، فلما جهز الجيوش إلى الشام استأذنه بلال في المسير معهم ليجاهد في سبيل الله فقال له أبو بكر: أقم معي تؤذن للصلاة وتفعل كذا وكذا.. فقال له بلال: إن كنت أعتقتني لله فخلّ سبيلي أذهب حيث شئت، فغضب أبو بكر وقال: ما أعتقتك إلا لله فاذهب حيث شئت. فسار في الجيوش إلى الشام⁽¹⁾، فلما قدم عمر الشام لمصالحة إيلياء أمره أن يؤذن، فأذن فذكر عمر النبي ﷺ فبكى وبكى الصحابة لتذكير أذان بلال إياهم النبي ﷺ، ولذلك ما استعمله عمر مؤذنا. وكانت في لسانه عجمةٌ يبدل الشين سينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سينُ بلال عند الله شين»⁽²⁾. وكان عمر لم يقسم البلاد التي أخذت عنوة قال: حتى يقاتل فيها جبل الحبلّة، واستشار على ذلك الصحابة، فممن وافقه على ذلك معاذ بن جبل، وامتنع بلال ومن معه من ذلك، فقدم المدينة على عمر فألح عليه في قسمها، فقال عمر: اللهم أرحني من بلال وحزبه؛ فما حال عليهم الحولُ (أه من الروض الأنف)، وقيل مات بالشام سنة عشرين رضي الله عنه.

(1) وقيل أيضا إنه أذن لأبي بكر مدة خلافته، ففي الاستيعاب: أذن بلال حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذن لأبي بكر حياته ولم يؤذن لعمر، فقال له عمر: ما منعك أن تؤذن لي؟ قال: إني أذنت للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قبض وأذنت لأبي بكر حتى قبض لأنه ولي نعمتي، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا بلال ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله». فخرج مجاهدا رضي الله عنه.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال: قال ابن كثير: ليس له أصل ولا يصح، وذكر ابن قدامة في المغني أن بلالا كان يقول: أسهد مكان أشهد، يعني أنه يبدل الشين المعجمة بالسين المهملة.

القول في كيفية الأذان

ثم استطرد الناظم بذكر بلال وتأذينه ذكر اختلاف الأئمة في كيفية الأذان في البلاد، فقال رحمه الله:

أَذَانُ مَالِكٍ أَذَانٌ طَيِّبَتُهُ وَالشَّافِعِيُّ ذُو أَذَانٍ مَكَّتِهِ
يُرْبِعُ التَّكْبِيرَ أَوَّلًا وَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي غَيْرِ تَرْبِيعِ الْحَكَمِ
وَرَبَعَتُهُ بَصْرَةٌ وَالْكُوفَةُ أَيْضًا وَشَيْخُهَا أَبُو حَنِيفَةَ
وَنُتِيَ الْبَاقِي أَمَّا الْبَصْرَةُ فَثَلَاثَتُ وَسَطُهُ وَالْمَرَّةُ
فِي كُلِّ شَوْطٍ لِلْفَلَاحِ يَنْتَهِي وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ آخِذٌ بِهِ

يقول: أذان مالك هو أذان أهل المدينة، يثني التكبير الأول لا غير؛ وهو أذان من على مذهبه اليوم. وأضاف المدينة إليه لأنها داره التي ولد بها وسكنها إلى أن قبر بها رحمه الله، ولنسبة النبي ﷺ إياه إليها في الحديث: «يوشك أن تضرب أكباد الإبل شرقا وغربا ولا يجدون عالما كعالم المدينة»⁽¹⁾ على القول الأصح إنه مالك. وأما الشافعي فهو صاحب أذان مكته، وأضافها إليه لأنه ولد بها ونشأ بها ولكن قبره بمصر، وسيأتي الكلام على الإمامين إن شاء الله في ذكرهما في النظم⁽²⁾. وقوله: ولم يختلفا:

(1) رواه الترمذي وأحمد.

(2) انظر التكملة (1/146 و 2/881).

أي مالك والشافعي، إلا أن الشافعي يربع التكبير الأول ومالك يثنيه كما قلنا. والحكم يعني به الشافعي رحمه الله، ومعناه ذو القدر والمنزلة. قوله: وربّعه: أي التكبير الأول، بصرة وربّعه أيضا الكوفة، أي أهلها. وشيخ الكوفة الذي اقتدوا به في ذلك التربع الإمام أبو حنيفة، وهو تابعي لقي ستة من الصحابة، واسمه النعمان بن ثابت مولى بني أسد بن خزيمة، قيل بالعتاقة وقيل بالحلف، وهو قول إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة؛ كان يقول: لم يتقدم علينا رقٌّ وإنما أسلم جدي على يد رجل من بني أسد بن خزيمة.

الإمام أبو حنيفة

وكان أبو حنيفة⁽¹⁾ رضي الله عنه بالمقام الأوفى من العلم والصلاح،

(1) هو الإمام فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه التيمي مولاهم، قيل كان جده زوطى مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل فأعتقه فنسب إليهم بالولاء، وقد قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: نحن من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رق قط وقد ذهب جدي ثابت وهو صغير إلى علي رضي الله عنه فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب دعاءه فينا.

ولد أبو حنيفة سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة واشتغل بطلب الفقه والآثار وارتحل في ذلك وأخذ عن خلق كثير من أكابر التابعين، منهم عطاء بن أبي رباح وقتادة وعكرمة والزهري ونافع مولى ابن عمر ومحمد بن المنكدر وهشام بن عروة. وجدّ واجتهد في ذلك حتى كان إليه المنتهى في الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فأصبح إمام الحنفية وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة عند أهل السنة وشهد له الجُم الغفير بالعلم والفضل، فعن أحمد بن الصباح قال: سمعت الشافعي يقول: قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: نعم.. رأيت رجلا

<<=

ويقول بالرأي، وكان جعفر بن محمد - وهو جعفر الصادق - ينهاه عن

-- >>

لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال علي بن عاصم: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم، وقال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك ومكي: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه، وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله، وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث صدوقاً لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ، وقال ابن المبارك: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري كنت كسائر الناس.

وكان رحمه الله زاهداً عابداً تقياً ورعاً منقفاً كثير الصمت لا يتكلم إلا جواباً ولا يخوض فيما لا يعنيه، وكان يقوم الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والدعاء والتضرع، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وانقطع للتدريس والإفتاء ثم أراد عمر بن هبيرة - أمير العراقيين - للقضاء فامتنع ورعاً، ثم دعاه الخليفة المنصور للقضاء ببغداد فأبى فقال له أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح له، فقال: كذبت بل تصلح له، فقال: قد حكم أمير المؤمنين بأني لا أصلح، فإن كنت كاذباً فلا أصلح وإن كنت صادقاً فقد أخبرتك أني لا أصلح، فحلف له ليلينه، فحلف أبو حنيفة لا يفعل، فقبل له يحلف عليك أمير المؤمنين وتحلف؟ فقال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فضرب وأمر به إلى السجن وحبس.

وكان رحمه الله ربعة من أحسن الناس صورة حسن الهيئة كثير التعطر هيوباً وقوراً حليماً وكان أبلغ الناس نطقاً وأعذبهم نغمة وأبينهم عما في نفسه، وكان كريماً في أخلاقه جواداً، وقد حدث عنه خلق كثير منهم ابنه حماد بن أبي حنيفة والقارئ حمزة الزيات وهو من أقرانه، ومنهم إبراهيم بن طهمان عالم خراسان والقاضي أبو يوسف والقاضي حفص بن عبد الرحمن والقاضي سعد بن الصلت والقاضي علي بن ظبيان والقاضي علي بن مسهر والقاضي نوح بن دارج والفقهاء زفر بن الهذيل التميمي وعبد الله بن المبارك وعبيد الله بن الزبير القرشي..

وتوفي رحمه الله ببغداد في رجب - أو شعبان - سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة وصلى عليه خلق لا يحصى في ازدحام شديد - [هـ من سير أعلام النبلاء والبداية والنهاية وغيرهما].

ذلك؛ وقال له يوما: إن على من كسر ثنية ظبي⁽¹⁾ وهو محرم كذا، فأخبرني من رأيك ما على من كسر رباعيته؟ فقال له أبو حنيفة: لا أدري، قال جعفر: الظبي لا يربع وإنما هو ثني أبدا. وقال: أخبرني لم يكفي في شهادة القتل اثنان ولا يكفي في شهادة الزنى إلا أربعة والقتل أشد من الزنى؟ قال: لا أدري، قال: ولم كانت الصلاة لا تقضى في الحيض والصوم يقضى والصلاة أعظم من الصوم؟ قال: لا أدري⁽²⁾، قال جعفر: فارجع عن

(1) الظبي: الغزال والأنثى ظبية، وتنقسم الطباء إلى ثلاثة أنواع: الآرام وهي الخالصة البياض ومساكنها الرمال، ويقال إنها ضأن الطباء لأنها أكثر لحوما وشحوما. والعُفر وواحدها الأعفر، وهي حمر الألوان قصار الأعناق وهي أضعف الطباء عدوا، تألف المواضع المرتفعة والأماكن الصلبة. والأرم وهي طوال الأعناق والقوائم بيض البطون. وتوصف الطباء بحدة البصر وهي أشد الحيوان نفورا، وولد الظبية أول السنة طلاً وخشف، ولذا تكنى الظبية أم الطلا وأم الخشف، ثم في السنة الثانية جذع ثم في الثالثة ثني ثم لا يزال ثنيا حتى يموت، قال الشاعر في وصف إبل:

فجاءت كسن الظبي لم أر مثلها شفاء عليل أو خلوبة جائع

(2) قال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة يوما على جعفر الصادق فقلت له: هذا فقيه من العراق، فقال: لعله الذي يقيس الدين برأيه هو النعمان بن ثابت، قال: ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم، فقال له أبو حنيفة: نعم أنا هو أصلحك الله، فقال جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ قال أنا خير منه فأخطأ بقياسه فضل، ثم قال له أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ قال: لا، قال جعفر: فأخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والماء في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا أدري، فقال جعفر: إن الله خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيهما منّا منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين منّا منه عليه ولولا ذلك لأسرعت الدواب إلى دماغه فأكلته وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الخبيثة وجعل العذوبة في الشفتين ليجد لذة الطعام والمشرب. ثم قال له: أخبرني

<<=

الرأي إلى السنة، أما الشهادة في الزنى فغلظها الستر على الأمة وأما سقوط الصلاة عن الحائض فلكثرة تكرار الصلاة. ولم يرجع أبو حنيفة عن الرأي، ورأي الأئمة إنما هو الاستنباط من الأصلين لا أنهم يقولون بما وافق ما يرون من أنفسهم وحاشاهم من ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم بين ثلاث: أما خبر السماء والغيب فلا يقول فيه إلا بوحي وأما الأحكام الشرعية فكان يتلَبَّثُ بها الوحي فإذا لم يأتَه أَفْتَى فيها برأيه الموافق للصواب وأما في خبر الدنيا فيجتهد، كحديث تلقيح النحل⁽¹⁾ ونزوله على ماء بدر فتحول لرأي الحباب وكإعطائه لغطفان ثلث تمر المدينة لينصرفوا ثم رجع لقول السَّعْدِينِ⁽²⁾؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته» - الحديث⁽³⁾.

-- >>

عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان؟ قال: لا أدري، فقال جعفر: هي لا إله إلا الله فلو قال: لا إله ثم سكت كان شركاً، ثم قال له: ويحك أيما أعظم عند الله إثماً: قتل النفس التي حرم الله بدون حق أو الزنى؟ قال: بل قتل النفس قال جعفر: إن الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين ولم يقبل في الزنى إلا أربعة فأنى يقوم لك القياس؟ ثم قال: أيما أعظم عند الله الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة، قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقال: لا أدري، فقال: اتق الله يا عبد الله ولا تقس الدين برأيك وارجع عن الرأي إلى السنة.. إلخ.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق وقاله في زاد المعاد.

(3) متفق عليه.

ومن ورع أبي حنيفة أنه كان يوماً بمسجد الكوفة، وابن أبي ليلى هو القاضي عليها، إذ مرت امرأة فسمعها ابن أبي ليلى تقول: يا ابن الزانيين، فأمر بها فجلدت في المسجد حدين مجردة، فقال أبو حنيفة: أخطأ هذا القاضي في حدّ هذه المرأة ست مرات⁽¹⁾: في حدها مرتين بكلمة واحدة وفي حدها في المسجد وفي تجريدتها وفي حدها قبل أن يقوم المقدوف بحقه. فبعث ابن أبي ليلى إلى أمير الكوفة: إما أن تنهى هذا فلا يتكلم بفتوى ما دُمت هنا وإما أن تخرجني عنه؛ فنهى الأمير أبا حنيفة عن الفتوى، ثم قالت له ابنته يوماً إني خرج دم من سني فتفلته حتى لم يبقَ منه شيء فابتلعت ريقى أعلي قضاءً يومي أم لا؟ قال: سلي أخاك حمادا إني نهاني الأمير عن الفتوى. فقد تحرّج من عصيان الأمير بفتوى لابنته في قعر بيته. وكان له جار كل ليلة يسمعه يغني بقول العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسدادٍ ثغر

(1) في كتاب الانتقاء لابن عبد البر: عن الحسن بن زياد قال: كانت عندنا امرأة مجنونة يقال لها أم عمران مر بها إنسان فقال لها شيئاً فقالت: يا ابن الزانيين، وابن أبي ليلى قائم يسمع فأمر أن يؤتى بها فأدخلها المسجد وهو فيه فضربها حدين، حداً لأبيه وحداً لأمه، فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ فيها من ستة مواضع: المجنونة لا حد عليها، وأقام الحد عليها في المسجد ولا تقام الحدود في المساجد، وضربها قائمة والنساء يضربن قعوداً، وأقام عليها حدين ولو أن رجلاً قذف قوماً ما كان عليه إلا حد واحد، وضربها والأبوان غائبان ولا يكون ذلك إلا بمحضهما لأن الحد لا يكون إلا لمن يطلبه، وجمع بين الحدين في مقام واحد ومن وجب عليه حدان لم يقم عليه أحدهما حتى يجف الآخر ثم يضرب الحد الثاني.. فبعث ابن أبي ليلى إلى الأمير.. إلخ - [أهـ منه].

فأخذه حرسُ الأمير، فركب أبو حنيفة إلى الأمير فقال له: ما جاء بك؟ قال له: جارُّ لنا أخذه الحرسُ البارحة، فأمر الأميرُ بإطلاقِ كُلِّ من أخذ البارحة، فذهب أبو حنيفة بجاره فلما أتوا قال له: أيها الجار أضعناك بماذا؟ قال: ولم؟ قال: بغنائك كل ليلة وأنا أسمعُ:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فجعل الجار يعتذر، فقال أبو حنيفة: إما أن تتحول عن جوارِي أو نتحول عنك، فما زال به حتى تحول عنه.

وكان أكره على القضاء فشكا أمره إلى الله تعالى فمنعه الله تعالى من أن يترافع عليه إلا مرتين، إحداهما أتاه إنسانان يدعي أحدهما ثوراً على الآخر فقال لصاحب الثور: يرضيك عن ثورك كذا من الدراهم؟ فقال: نعم، فحلها له من كمه، والثانية تمارض وأجل للخصمين أجلاً فصرفهما الله عنه. وأعطاه الفضلُ بن الربيع مالا فأخذه وجعله في خزانة من داره فلما احتضر قال لبنيه: هذا المال أودعنيه الفضلُ بن الربيع، فلما توفي ردَّ بنوه المال إلى ورثة الفضل، وكان قد مات. ويذكر عن أبي حنيفة أنه يلحن في العربية؛ وأنكر بعض الناس ذلك، قال: بُنيَ ذلك على أنه قال يوماً: بَعْنِيهِ باثنا عشر، وليس ذلك بلحن وإنما ذهب إلى لغة العرب الذين يُلزمون المثني الألف.

ومعنى الأبيات أنَّ المدنَ الأربع: مكة والمدينة والعراقين: الكوفة والبصرة، كيفية الأذان فيها أن الشافعي - وتمذهب بمذهبه أهلُ مكة - وأبا حنيفة - وتمذهب بمذهبه أهلُ كوفته - متفقان يربعان التكبير الأوَّل ويشيان

سائرُهُ إلا لا إله إلا الله الأخيرة يوحدانها. وأما مالك - وتمذهب بمذهبه أهل مدينته - فيثنيه كله. وأما الحسن بن أبي الحسن البصري - وتمذهب بمذهبه أهل بصرتة - فيربع التكبير الأول، كالشافعي وأبي حنيفة، ويثلاث ما قبل التكبير الأخير لكن يوحّد كل كلمة إلى أن ينتهي إلى الفلاح فيرجع إلى مبدأ الشهادتين.

والشوط: السلك، وصورته بعد التكبير المربع: "أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح.. وهكذا إلى ثلاثٍ.

والحسن بن أبي الحسن، أبوه سبي من وقعة "المذار" لخالد بن الوليد في الفُرس، وكان أبوه تزوج أمةً لأمناء أم سلمة فجاءت منه بالحسن، وكانت أم سلمة تبعث أمّه في حوائجها فتتركه عندها، فإذا بكى أسكتته بثديها حتى صار في الثدي لبن من مص الصبي له، فقال الحسن من ذلك اللبن الخير والخيرات، وروى العلم عن علي، وأخذ عنه علم الحقيقة، وإليه تنتهي الطريقة الشاذلية، وتنتهي القادرية إلى أبي بكر. وسيأتي الكلام إن شاء الله على الحسن في ذكره في نظم الفتوحات⁽¹⁾.

(1) نظم الفتوحات: مراده به النظم المعروف بنظم الخاتمة وبخاتمة الأنساب وهو نظم تناول فيه الناظم بعض فتوحات الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وانشغال علي رضي الله عنه عن مواصلة الفتوح بما جرى بينه وبين معاوية، وذكر فيه العشرة الأوائل من ملوك بني أمية. ثم عاد الناظم إلى ذكر بعض مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال رحمه الله:

فِي صَدْرِهِ وَقَرَّ مَا كَفَاهُ عَنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ وَاجْتِبَاهُ

الضمائر الثلاثة في البيت تعود إلى أبي بكر، وإن كان غير الأقرب كقوله تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ - الآية⁽¹⁾ - فالضمير عائد على إبراهيم وهو غير الأقرب، لأنه المحدث عنه. وكذلك أبو بكر هنا هو المحدث عنه، وإنما ذكر من بعده على سبيل الاستطراد. ويشير في البيت إلى الحديث: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بشيء وقر في صدره»⁽²⁾، وقال أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين «بسر» مكان «بشيء»⁽³⁾، ولا يقتضي الحديث أنه ليس بأكثرهم عملاً صالحاً، لكن إنما فضله بالموقر في صدره لا بأكثرية عمله، وإن كان أكثرهم عملاً، وقد سألهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، وقال:

(1) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: 84).

(2) رواه الترمذي وأبو يعلى عن عائشة، وأحمد بن منيع عن أبي بكر المزني، وقيل هو من قول أبي بكر بن عبد الله المزني - [كشف الخفاء: 190/2]. ووقر (كوعد): سكن وثبت.

(3) قال العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعاً، قال الغزالي ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقاً بقواعد الدين غير خارج منها، راجع الإحياء: (100/1). وفي تاج العروس في مادة "وقر": رجل متوقر ذو حلم ورزاة ومنه الحديث: «لم يسبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكنه بشيء وقر في القلب» وفي رواية: «لسر وقر في صدره»، أي سكن فيه وثبت من الوقار والحلم والرزاة - (أه منه وفي اللسان أيضاً مثله). وفي الحديث أيضاً: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح» - [رواه ابن عدي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح].

«من صلى منكم اليوم كذا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من شيع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا⁽¹⁾.. ولعل النبي ﷺ يريد أن يعلم أصحابه أن أبا بكر أكثرهم عملاً. وذكر النبي ﷺ يوماً باب الريان⁽²⁾ فقالوا: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «باب في الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون» فقال أبو بكر: وما ذا على أحدنا أن يدعى من تلك الأبواب كلها، يعني باب الصائمين وباب المصلين وغيرهما من أبواب الأعمال الصالحة؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن تدعى أنت من كلها» - أو كما قال صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ - وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة باتفاقهم على أن أبا بكر أفضل الناس بعد الأنبياء.

(1) فقال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» رواه مسلم، قال الأبي في شرحه: فيه تفقده صلى الله عليه وسلم لأصحابه وإرشاده إياهم إلى الخير على اختلاف أنواعه، وفيه ما كان عليه أبو بكر من الحرص على تحصيل أنواع الخير، وقوله رضي الله عنه: "أنا" ليس من تزكية الإنسان نفسه ولا من إظهار عمل السر، وإنما لأن إجابته صلى الله عليه وسلم واجبة.

(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان».. الحديث - [البخاري].

(3) أخرجه البخاري ومسلم. والحاصل أنه تفتح له أبوابها كلها ويدعى إلى الدخول منها تكرامة له وإن كان لا يدخل إلا من أحدها؛ فيدخل من باب العمل الذي يكون أغلب عليه.

يَقُولُ وَقَرَّ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ مَا كَفَاهُ عَنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ لَوْ لَمْ يَكْثُرْهُ. وَاجْتَبَاهُ:
اخْتَارَهُ، وَمِنْهُ الْمُجْتَبَى مِنْ أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَيُّ جَعَلَهُ مُخْتَارًا.

فِي سِلْكِ الْإِسْلَامِ مَنْ ارْتَدَّ نَظْمٌ ثُمَّ انْتَحَى وَمَا وَنَى إِلَى الْعَجَمِ

نَظْمٌ: أَيُّ جَمْعٌ وَأَدْخَلَ. وَانْتَحَى: مَالٌ عَنْ قَصْدِهِ إِلَى قَصْدٍ آخَرَ. وَوَنَى:
فُتِرَ. يَعْنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نَظَّمَ فِي سِلْكِ الْإِسْلَامِ كُلَّ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، أَيُّ
رَدَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَقِيمِ، ثُمَّ انْتَحَى - أَيُّ مَالٌ - عَنِ الْعَرَبِ، وَمَا بِهِ
فُتُورٌ، إِلَى الْعَجَمِ⁽¹⁾، وَهُمْ هُنَا الرُّومُ وَالْفَرَسُ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

**وَنَظْحَةٌ أَوْ نَظْحَتَانِ فَارِسُ وَلَيْسَ فِيهِمْ بَعْدَهَا مَدَاعِسُ
وَالرُّومُ كُلَّمَا مَضَى قَرْنٌ لَهَا يَخْلُفُهُ قَرْنٌ يَرُمُّ مَا وَهَى**

فَارِسُ يُقَالُ لَهُمُ الْفَرَسُ وَهُمْ الْجَيْلُ الْمَعْرُوفُ، بَنُو فَارِسَ بْنِ كَيْوَمَرْتِ بْنِ
أُمِيمِ بْنِ لَؤُوزَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَهُمْ مَجُوسٌ لَا كِتَابَ لَهُمْ،
وَمِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ كِسْرَى (بِكسْرِ الْكَافِ وَفَتْحِهَا، وَالْكَسْرُ أَشْهَرُ).

(1) وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَةِ وَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْعَرَبُ حَدَثَ نَفْسُهُ بَغْزُ الرُّومِ فَدَعَا
عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَأَبَا عُبَيْدَةَ
بْنَ الْجُرَّاحِ وَوُجُوهَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَغَيْرِهِمْ وَشَاوَرَهُمْ وَكُلَّهُمْ اسْتَصَوَّبَ
رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ وَقَالُوا: مَا رَأَيْتَ مِنَ الرَّأْيِ فَاْمُضِهِ فَإِنَّا سَامِعُونَ لَكَ مَطِيعُونَ لَا نَخَالِفُ أَمْرَكَ،
فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَرَغَّبَ فِي الْجِهَادِ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ انْفِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى جِهَادِ
عَدُوِّكُمْ الرُّومَ بِالشَّامِ، وَكُتِبَ إِلَى الْيَمَنِ يَسْتَنْفِرُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ لِلْجِهَادِ وَيَرْغِبُهُمْ فِي ثَوَابِهِ،
فَقَدِمُوا عَلَيْهِ فِي جَمْعٍ كَثِيرَةٍ فَفَرَحَ بِهِمْ - [الْخَمِيسُ وَغَيْرُهُ].

والمداغس: المدافع. والروم: الجيل المعروف أيضا، وهم بنو روم بن عيصو بن إسحاق عليه السلام. ويرم: يصلح. ووَهَى: تخرَّقَ وانشق، أي يصلح ما فسد من قُوَّتِهِمْ وَضَعُف. قال صلى الله عليه وسلم: «فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس ولا كِسرى، وإنما أخاف عليكم الروم ذوات القرون كلما مضى قرن يخلفه قرن»⁽¹⁾، فكان ما قال رسول الله ﷺ إلى اليوم. أما فارس فلم تبق منهم بقية بعد أيام القادسية على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر، وأما الروم فكانت فيهم الوقائع العظام الآتية قريبا، ولم يزداهم ذلك إلا استمرار القوة. واسم كل من ملك منهم قيصر؛ وأصله قيشر من القشر لأنه قشر عنه - أي بقر عنه - بطن أمه، أي عن أول من ملك منهم؛ فسمي قيشر، وكان يفتخر على الرجال بأنه لم تلده النساء.

لِشَوْكَةِ الرُّومِ بِسُورَةِ الْعَرَبِ سَاوَرَهُمْ إِذْ هُمْ بَنُو أُمٍّ وَأَبٍ

الشوكة: الحدة وشدة البأس. والسورة: أول ما تحلب به الناقة إذا أنتجت، وأراد به الحدة. وساورهم: فاعلهم بالسورة، أي حاصرهم بسورة - أي شدة - حدة العرب حين تآخوا بالدخول في الإسلام طائعين أو مكرهين فطاعوا بعد الإكراه إلى أن صاروا إخوة أشقاء⁽²⁾، أبوهم توحيد

(1) انظر الجامع الصغير، وذكره ابن الأثير.

(2) يريد به لازمه الذي هو مؤاخاة الإسلام، لأنهم لما أسلموا صاروا إخوانا متظاهري الجهود في الجهاد في سبيل الله، وكانت مؤاخاة الإسلام أعظم عندهم وأشد من أخوة النسب وأبوته وسائر قراباته.

الله وتصديق رسوله وأمهم أداء الفرائض؛ فالأب هو الأصل والأم الفرع، لأنه صلى الله عليه وسلم مكث عشر سنين بمكة يدعو إلى مجرد التوحيد ثم فرضت الشرائع، فبذلك كان التوحيد هو الإيمان والفرائض الإسلام، كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل حين قال له: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً»، ثم قال: أخبرني عن الإسلام؟ فقال: «أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة..» إلى آخر الحديث⁽¹⁾. وقال صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» - الحديث⁽²⁾ - فكأن الإيمان هو أبو العرب، وهو التوحيد، والإسلام - وهو أداء الفرائض - هو أهمهم. وأعرضنا عن التوافق والتداخل والترادف بين الإيمان والإسلام، إذ ليس هذا محله.

يقول: لأجل كثرة الروم وقوتهم وشدة بأسهم خاطرهم أبو بكر بنجدة العرب حين تأخروا، فكانت كلمتهم واحدة في إعلاء كلمة الله، والروم إذ ذاك أقوى كل جيل من أجيال الناس ولا يناوئهم إلا الفرس، وذلك بعد أن غلبوهم الغلب الذي ذكر الله تعالى⁽³⁾.

فَاسْتَفَرَّ النَّاسَ لَهُمْ مِّنْ يُّثْرِبِ وَعَسْكَرَتْ جُيُوشُهُ عَن كَثَبِ

(1) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(2) متفق عليه.

(3) بقوله سبحانه ﴿الَّذِينَ غَلِبَتْ أَلْرُومُ﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ - (الروم: 1-4)

ثُمَّ اسْتَقْلَهُمْ وَأَرْسَلَ أَنْسَ لِعَرَبِ الْيَمَنِ وَالْجَيْشِ حَبَسَ
حَتَّى أَتَى بِذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِي ثُمَّ بَقِيسَ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّرِي
. كَلَاهُمَا فِي عَسْكَرٍ . وَقَدِمَتْ قَيْسُ وَطَيْئُ وَأَزْدٌ وَحَمَتُ
وغيرهم وأغرقَت تَمِيمُ وَأَسَدُ، رِبِيعَةُ الْقُرُومُ

استنفر أبو بكر الناس للروم من يثرب، وهي المدينة، ومن مكة ومن حولهما من الأعراب ممن بالحجاز؛ فلما استنفرهم عسكروا، أي جَيَّشُوا، عن كُثْب، أي عن قرب، من المدينة. فاستقلهم لمناطحة الروم، فحبسهم وجعل كلَّ يوم يطوف في العساكر يتفقد أحوالهم ويعين من يحتاج منهم للمعونة بالسلاح والزاد ونحوهما، وأرسل أنس بن مالك لعرب اليمن، من قبائل سبأ وكهلان؛ فأتى بذي الكَّلَّاع: رُوَيْفِعَ بْنَ نَاكُورَا وقَيْسَ بْنَ مَكْشُوحِ المرادي بالهلف البجلي ثم الأحمسي نسبا، وسيأتي الكلام عليهما إن شاء الله في ذكر نسبهما⁽¹⁾، وكلاهما قدم في جيش؛ قدم ذو الكَّلَّاع في عسكر من مواليه وعبيده ومن تبعه من حمير، وقدم قيس بن مكشوح المرادي فيمن تبعه من مراد ومَذْحِج. وقدمت أيضا على أبي بكر في جهاده للروم قبائلُ قَيْسِ عِيلَانَ من العدنانية وَطَيْئُ وَأَزْدٌ وغيرهما من القحطانية. وحث: أي منعت هذه القبائل، وغيرهم من قبائل العرب، الدين بقتال الروم والكفار.

(1) راجع: التكملة - رياض السيرة والأدب - (2/887-995).

فلما قدمت قبائل العرب كلها جعلت كل قبيلة تختار الجهة التي
تقصد؛ فاختارت قميم وأسد بن خزيمة وربيعه كلهم جهة العراق. والقروم:
جمع قرم للسيد، وصف به ربيعة لأن منهم المشهورين. وقصد غيرهم من
القبائل - بأمر أبي بكر - الشام؛ فكان اليمانيون يختارون الشام والعدنانيون
يختارون العراق.

وَبِأَبِي عُبَيْدَةَ اسْتَعَانَا وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ
وَابْنَ سَعِيدٍ خَالِدٍ وَشُرْحَبِيلٍ ثُمَّ بَعْمُرٍ بَعْدَ لَأَيِّ النَّبِيلِ

استعان بهم أي بتوليتهم؛ كل يوليه على جيش ويعثه إلى الشام. أما
أبو عبيدة بن الجراح وشرحيل بن حسنة وعمرو بن العاص - وهو
الموصوف بالنبيل، أي العاقل؛ لأنه يضرب به المثل في العقل - فتقدم الكلام
عليهم. وأما يزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص فسيذكران في
النظم⁽¹⁾.

وَمَا كَفَوْا، فَسَلَّ سَيْفَ اللَّهِ فَأَصْبَحَ الدِّينُ بِهِ يَبَاهِي

قوله: وما كفوا: أي ما كفوا أبا بكر قتال الروم، لكثرة استمدادهم إياه
وطلب المعونة والمشاورة فيما يفعلون؛ فلما أكثروا عليه من ذلك قال:
لأزيلن عن الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه - وهو إذ

(1) انظر: رياض السيرة والأدب: (1/192-255).

ذاك على جيش العراق - : أن استخلف على الجيش مكانك المشى بن حارثة وسر على بركة الله إلى الشام وأنت أمير على من ثم من الأمراء، فقال: أما إذا كان ذلك فنعم.

فتجهز للمسير وقال: من لنا بدليل على أسفل الشام حتى نبهتهم⁽¹⁾ ونفتح قبل قدومنا على الجيوش؟ فقام إليه رافع بن عميرة الطائي وقال: أنا؛ فقال خذ عشرين شارقاً⁽²⁾ وعطشها جدا ثم جود شربها واقطع مشافرها. فساروا فلما في سقاؤهم جعلوا ينحرون كل يوم خمسا من الشوارف يشربون فرثها ويسقون خيلهم إلى أن نحروا آخرها، فقال لهم بعد أن ساروا شيئا من النهار: انظروا هل ترون شجرة عوسج؟⁽³⁾ قالوا: لا، ثم قال: بعد ساعة انظروا هل ترونها؟ قالوا: لم نر شيئا، قال: خبت إذن وخسرت وهلكتم! ثم قال: انظروا هل ترون شجرة عوسج؟ فنظروا فأروها فأتوها، قال: احفروا تحتها، فحفروا عن صخرة مغطى بها الماء، فقال: وردت هذا الماء مع أبي وعلي ذؤابتي وما رأيته قبل ذلك ولا بعده. فدخل خالد الشام من أسفله، ولم يزل يفتح فيها إلى أن وصل إلى جيوش المسلمين فتأمر عليهم، فجعل يفتح فتحا بعد فتح وأرضا بعد أرض. وقوله: فأصبح الدين به يباهي: أي دين الإسلام، ويباهي: يفاخر غيره

(1) بهته يبهته: أخذه بغتة، وبهته الشيء: أدهشه وحيره.

(2) الشارف من النوق: المسنة الهرمة - [القاموس].

(3) العوسج: واحدته عوسجة: جنس من الشجر أغصانه شائكة وأزهاره مختلفة الألوان.

من الأديان. والضمير في به: يحتمل أن يعود على فعل أبي بكر، وهو السَّل؛ أي أصبح الدين يباهي الأديان بسَلِّ أبي بكر سيفَ الله، ويحتمل أن يعود على خالد، أي كأنَّ دين الإسلام يقول لغيره من الأديان: هل فيك من رجل مثل خالد بن الوليد؟ أدخل جميع من ارتد من العرب في الإسلام بالغلبة والقهر ولم يزل يدخل في الإسلام غُلْبَ العجم من المجوس وأهل الكتاب، وكان ذلك مَبْدَأ أمره منذ أسلم في العام السابع؛ ولاه النبي ﷺ أعنة الخيل، ولم يزل عليها إما بأمر من النبي ﷺ أو من خليفته أو من نَحْدته.. إلى أن توفي رضي الله عنه في خلافة عمر، وله أربعة بنين نجباء لكل واحد منهم شرف وشأن وذكر؛ وهم: سليمان وعبد الرحمن والمهاجر وعبد الله، ثم بعد ذلك انقرض عقب خالد كله وورثهم أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد⁽¹⁾، عم أم سلمة بنت يعقوب زوج أبي العباس السفاح، وعبد الله بن الوليد بن الوليد، سماه أهله الوليد لأنه ولد بعد موت أبيه، فسمع النبي ﷺ أم سلمة تبكي الوليد وتقول:

يا عـيـن بـكـي للـولـي د بن الوليد بن المـغـيرة
قـد كان غـيـثاً في السـنـي ن ورحة فينا ومـيرـه

(1) وكان ميراثه لهم بالقعدد، وقد كان للمهاجر ولد اسمه خالد ولعبد الله ابن اسمه سلمة، وقيل إن ولد خالد بن الوليد كثروا حتى بلغوا نحو الأربعين رجلاً وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم بالطاعون ولم يبق لأحد منهم عقب، وقد قال ابن قدامة المقدسي في أنساب القرشيين: لم يبق لخالد عقب. وقال الزبير: انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورثهم أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد - [سموط الذهب وغيره].

ضخم الدسيعة ماجدا يسمو إلى طلب الوثيرة
مثل الوليد بن الوليد مد أبي الوليد⁽¹⁾ كفى العشير

فقال صلى الله عليه وسلم: «ما اتخذتم الوليد إلا خانا، سموه عبد الله»؛ فكان ذلك اسمه، (والخان الحانوت، لأن حانوت التاجر لا يزال ينزل به كلما قدم)⁽²⁾.

وَإِذْ أَتَى وَاسْتَنْصَرَتْ بِهِ الْعَرَبُ أَلْقَى لَهَا اللَّهُ عَلَى الرُّومِ الرَّهْبُ

يعني وإذا أتى خالدٌ جيوشَ المسلمين المحاصرين الرومَ بالشام وطلبت العربُ - أي جيوشُها - به، أي بخالد، النصرَ من الله، ألقى الله لجيوش

(1) وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة - أخو خالد وإخوته - قد أسر يوم بدر فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام، فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن جحش: «لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد»، وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة، فأبى خالد ذلك وأطاع هشام لأنه شقيقه وقال لخالد: إنه ليس بابن أملك؛ فلما افتكاه أسلم فقبل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين؟ فقال: كرهت أن تظنوا بي أنني جزعت من الأسر، فحبسوه بمكة، فكان صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن يدعو له بمكة من المستضعفين، فأفلت من أسرهم ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء معه إلى مكة في عمرة القضية وكتب إلى أخيه خالد بن الوليد، فوقع الإسلام في قلب خالد فكان ذلك سبب هجرته. ومات الوليد هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) فهو محل نزول المسافرين ويسمى الفندق (فارسية)، وفي الزبيري: «ما اتخذتم الوليد إلا حناناً فسموه عبد الله»، ومعنى حنانا أي تتعطفون على اسمه فتحبونه. وفي رواية أن الوليد من أسماء الفراعنة فكره أن يسمى به.

العرب على الروم الرهب: أي الخوف والفرع، حتى صاروا كلما رأوهم ألقوا إليهم السلم وطلبوا منهم الصلح بلا قتال أو قاتلوهم معتقدين الغلب وموقنين به فيجرُّهم ذلك إلى الفشل، فيفتحونهم.

فَقَلَّ "أَجْنَادِينَ" رُكْنَ الْأَصْفَرِ وَ"مَرَجَ رَاهِطَ وَمَرَجَ الصُّفْرِ"

فل: هدم. وأجنادين: أرض بالشام⁽¹⁾ بها هذه الوقعة، واشتشهد بها كثير من قريش؛ منهم: عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص؛ وقيل قتل يوم مرج الصفر بعد أجنادين بعام أو قريب منه. وركن الأصفر: منعه. والأصفر: يعني بني الأصفر، أي الروم، وتقدم ذلك. ومرج راهط ومرج الصفر: موضعان أيضا بكل منهما وقعة فتحته. ومرج راهط - بعد أن كان للمسلمين - وقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس وزفر بن لحارث الكلابي - وزفر والضحاك على جيش عبد الله بن الزبير - فقتل الضحاك وهُزم زُفر. وفي ذلك يقول:

ولما قرعنا النبع بالنبع بعضه بعضا أبت عيدانه أن تكسرا

إلى آخر الأبيات [كما تقدم].

(1) وركن الأصفر (بالنصب): بدل من أجنادين. ومرج راهط ومرج الصفر: معطوفان على أجنادين. والصُّفْر: بضم وتشديد الصاد المهملة وفتح وتشديد الفاء أيضا، والثلاثة مواضع بالشام كانت بها وقائع عظيمة بين المسلمين والروم في خلافة أبي بكر بقيادة خالد بن الوليد كان النصر فيها حليف المسلمين.

وَبَعْدَهَا تُوفِي الْعَتِيقُ وَمَا اُتْلَى فِي عَزْلِهِ الْفَارُوقُ
فَأَمَرَ النَّدْبَ أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَمَرَتْ سَيْفَ الْإِلَهِ النَّجْدَةَ⁽¹⁾

أي وبعد هذه الوقائع توفي العتيق أبو بكر رضي الله عنه. ولما توفي واستخلف عمر ما اُتلى: أي ما أبطأ في عزل خالد. والفاروق: لقب عمر لأنه فرق بين الحق والباطل في خلافته وفي حياة النبي ﷺ وسمّاه بهذا الاسم، أو لأنه فرق بين الإيمان والكفر لإظهاره الإسلام بمكة.

فلما عزل خالداً قدّم أبو عبيدة بن الجراح على الجيوش، فأتى كتابه أبا عبيدة بذلك ولم يُخبر خالداً حتى علم بذلك من غير أبي عبيدة، فعاتبه وقال: تدعني أصلي أمامك وأنت أميري؟ فصار أبو عبيدة أمير الجيوش ولكن بقيت لخالد النجدة، أي الشجاعة والعلم بالحروب. وقال عمر: ما عزلت خالداً لشيء انتقمه عليه ولكن لتقدمه وما كان يفعل بالمال، وكان إذا أصاب قسمة في أهل قتال لم يدفع لأبي بكر حساباً.. [كما تقدم في ترجمته].

(1) قوله: وأمرت سيف الإله النجدة: هو تعليق من الناظم رحمه الله على عزل عمر لخالد رضي الله عنهما مضمن من كلام عمر؛ ففي تاريخ ابن خلدون في حديثه عن وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام قال: أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين فاعترضه بعض عظماء الروم في جيش فهزمهم وأثنى فيهم ونازل قنسرين حتى فتحها عنوة وخربها وأدرب إلى هرقل من ناحيته فارتحل هرقل إلى القسطنطينية، فلما بلغ عمر صنيع خالد قال: "أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال".

وَكَانَ مِنْ فَتُوحِهِ الْعِظَامُ فَحْلٌ وَحِمَصٌ وَدِمَشْقُ الشَّامِ

يقول وكان فحل وحمص ودمشق الشام من فتوح خالد العظام⁽¹⁾؛ وفحل ومعطوفاه: اسمُ كان، وخبرها: من فتوحه. وفحل أرض بالشام، من أرضها المنبعة؛ وما فتحت حتى وقعت فيها وقائع. وحمص: كورة أيضا بالشام سكانها في الإسلام يمانيون، وكان عليها النعمان بن بشير فأتاه أعشى بني همدان يسأله، فجمع أهل حمص وقال لهم: إن شئتم أن تؤاسوا أخاكم، ثم قال لهم: أسلفوني عطاءكم في القابل أعطيه إياه، فقالوا رضينا؛ فأعطاه وخرج عنه يقول:

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا أنا لم أشكره يوما كفرته ولا خير فيمن لم يكن بشكور

وأهل حمص: باقرة؛ هم الذين يضرب بهم المثل في الحمق؛ ومن حمقهم

(1) **تنبيه:** كانت هذه الفتوح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان خالد بن الوليد إذ ذاك قد عزل عن القيادة العامة للجيش وأسندت إلى أبي عبيدة. ولعل المؤلف رحمه الله أسندها إلى خالد لغنائه فيها وحسن بلائه، أو لتولييه قيادة الجيش فيها تحت إمارة أبي عبيدة، ويدل لذلك قول كعب بن جعيل:

ولو سئلت دمشق وبعليك وحمص من أباح لها حماها
فسيصف الله أدخلها المنايا وهدم ركنها وحوى قراها.. إلخ.

وفي الاستيعاب: لما ولي عمر أبا عبيدة وعزل خالدًا ولي أبو عبيدة حين فتح الشام يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وشرحبيل بن حسنة على الأردن وخالد بن الوليد على دمشق وحبيب بن حسنة على حمص.

ما روي أن أحدهم اشترى شاة فأخذها يوماً ليحلبها فبعرت على عينه ففقاها البعْرُ، فترافع مع المشتراة منه فألزمه القاضي القود، ف قيل له: ولم ذلك؟ فقال: لم يخبره أن باسْتِ شاته منجنيقا!.. ومنها أن اثنين تبايعا في عليّة⁽¹⁾ واشترط المشتري على البائع أنها بكرٌ، فواضعاها عند رجل من أهل حمص يزعمان أمانته - كما يفعل بأمثالها - فباتت عنده فأتى المسجد سحرا، فلما اجتمع الناس للصلاة قال: يا أهل حمص أما تنتهون عن الغشّ في البيع فإن الغشّ في البيع حرام ومؤد للخراب، فقالوا: ما ذاك؟ فقال: جارية فلان التي اشتراها على شرط البكارة ثيب، فقالوا: وما يدريك؟ فقال: واضعاها عندي فوطئتها فوجدتها ثيبا.

ودمشق مدينة الشام التي هي أم مدنه وقراه، سميت بانيها دمشق - أو دمشاق - بن النمرود، بناها لإبراهيم على نبينا وعليه السلام حين نجا من نار أبيه النمرود وفر بدينه من العراق إلى الشام، وخرج دمشق معه مؤمنا به. ويقال لها جلق (بكسر الجيم واللام المشددة)، قال حسان بن ثابت:

لله درُ عصابة نادمتهم دهراً بجلق في الزمان الأول

يعني ملوك غسان بني شِمْرٍ؛ وكان لهم ملكها من قيصر، ثم كانت في الإسلام دار مملكة بني أمية، من معاوية الذي هو الأول منهم، إلى مروان الحمار الذي هو الأخير منهم. وإضافتها إلى الشام علم لها، كما أن بغداد دار مملكة بني العباس ويقال لها بغداد العراق وكذلك صنعاء اليمن، قال:

(1) العلية: الرفيعة ضد الوحش.

أقام ببغداد العراق وشوقه لأهل دمشق الشام شوق مبرح

وبغداد بناها المنصور أبو جعفر⁽¹⁾.

وَتَلَّ بِالْيَرْمُوكِ عَرْشَ مُلْكِهِمْ فَارْفُضْ فِي الْآفَاقِ نَظْمَ سِلْكِهِمْ

تل: أهلك وأمات. والعرش: الملك والعز.

يعني أن أبا عبيدة أو خالدا، على حسب ما تقدم، أذهب ملك الروم وعزهم باليرموك، وهو وادٍ بناحية الشام به الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم⁽²⁾؛ فهزم الروم حتى ارفض: أي تفرق في الآفاق، أي الجهات (أي النواحي) نظم سلكتهم: أي جمعهم؛ شبه الجموع بالخرز المنظوم في السلك، فكما أن السلك يحوي الخرز المنظوم فيه فكذلك جموع الجند يجمعها الملك، وهو المشبه بالسلك لأنه يجمع القبائل من الجنود بتدبير أمورها وإصلاحها، وهذا التشبيه سائغ في كلام العرب.

يعني أن المسلمين باليرموك أذهبوا عز الروم لكثرة من أهلكوا منهم إلا الشارد القليل، وكانوا أربع مائة ألف، وقتلوا أمير الجيوش وكل رئيس

(1) ومعنى بغداد: عطية الإله، وفصاحتها - بالفارسية - بغذاذ (بذالين معجمتين) ومنه قول

المتنبى: ... فانصاع لا حلبا ولا بغذاذا

(2) وهو قريب من "الجولان" ويقع في منطقة الحدود الحالية بين سوريا والأردن وفلسطين المحتلة، وبه سمي "نهر اليرموك" الذي يصب في نهر الأردن والبحر الميت. وكان مبدأ هذه الوقعة في خلافة أبي بكر الصديق، وتمت في عهد عمر رضي الله عنهما، والأكثرون يعدونها في فتوح أبي بكر، وانتصر فيها المسلمون كما عودهم الله تعالى في تلك الفتوحات العظيمة لتضافر جهودهم وإخلاصهم العمل لله تعالى.

وبطل.. وبقي قيصرُ ملكُهم في أقلّ الفريقين؛ وقدم عليه فارس فقال له: ما وراءك؟ فقال: الظفر أيها الملك، فقال: والله إنك لكاذب ولو كان ذلك لقدمت البشائر ولكِنَّكَ رجل أذهب عقله الفرعُ، ثم قدم رجل من العرب (عرب الروم) فقال: هذا رجل مشؤوم من قوم أهل شؤم، فسأله فلم يذكر له شيئاً، حتى قدم رجل من البطارقة فأصدقاه الخبر، فقال له: قد منعني من اتباع نبيهم يوم جاءني كتابه وقلت كيت وكيت.. فأمر بضرب عنقه فقتل.

وَعَاذَ فَلَّهُمْ بِكُلِّ مَرْهَقٍ مُصَالِحٍ قَبْلُ وَلَمْ يَمَزَّقِ

قوله: عاذ (بالذال المعجمة): أي التجأ. وفلَّهُمْ: منهزمهم. والمرهق: المحمل ما لا يُطيق. وقبل: أي قبل زحفهم إلى اليرموك. ولم يمزقهم المسلمون، لأنهم رضوا وأقروا لهم بالجزية فتركوهم ولم يمزقوهم؛ لأنهم يدعون أولاً إلى الإسلام ثم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا هذين فالمنابذة والمناجزة حتى يحكم الله بينهما. فلاذ هؤلاء المنهزمون بمن صُوح على إعطاء الجزية، كدمشق والأنبار وغيرهما من مُدُن الشام وقراها.

فَكَفَّ عَنْهُ خَالِدٌ وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَرَمَرَمًا لَهُ تَسْلَسَلَا

أي فكفَّ خالد بن الوليد عن هؤلاء المنهزمين لما وجدهم التجأوا إلى من صُوح قبل فتشفّعوا إليه فيهم وقالوا: إن هؤلاء قد دخلوا علينا فكانوا منا: لهم ما لنا وعليهم ما علينا فهم داخلون في صلحنا معكم. وذكر

خالداً لأنه الذي تتبعهم وقتل عرمرما: أي جيشاً من روم اليرموك تسلسلوا: أي طرحوا أنفسهم في السلاسل لئلا يفروا، ثقةً منهم بهزيمة المسلمين، لكثرتهم؛ لأنهم ينيفون على أربعمئة ألف، فتسلسل منهم ثلاثون ألفاً كل عشرة في سلسلة، فقتل خالد جميعهم حتى لم يُبق منهم أحداً.

وَهَلَكَتْ مِائَةُ أَلْفٍ سَقَطَتْ فِي هُوَّةٍ وَمَا دَرَى أَنْ هَبَطَتْ
آخِرُهُمْ حَتَّى انْجَلَى الضَّبَابُ فَعَدَلُوا عَنْ صَوْبِهِمْ وَانْسَابُوا

الهوة: الوهدة من الأرض الغامضة. يعني أن الأربع المائة ألف هلكت منها مائة ألف سقطت في هوة من جبل، لأن اليوم فيه ضباب كثيف واختلط به غبار القتال حتى أظلم الزمن فكان الهارب لا يُبصر أمامه، فوقع المنهزمون في هذه الهوة وكل من وقع فيها يموت، ولا يشعر تابعه بما وقع له فيموت بموته.. حتى وقعت منهم مائة ألف في تلك الهوة. حتى صبحا النهار وبان الضوء لآخرهم فعدلوا: أي حادوا عن صوبهم: أي جهتهم التي كان أولهم قاصدها فسقط في الهوة، وانسابوا: أي ساروا هاربين. فعثر المسلمون على من سقط في الهوة؛ فأرسل إليهم أبو عبيدة أوس بن ثابت يعدمهم فما عدهم إلا بالقصب فوجدهم مائة ألف؛ للمسلمين الأجر والراحة في موتهم بغير مباشرة قتل.

وَبَعْدَهَا أُمِدَّ مِنْ بَفَارِسٍ يَكَادُ يُحْطَمُ لَدَى الْقَوَادِسِ
بِجُنْدِ خَالِدٍ وَخَالِدٌ بِهِ ضُنٌّ وَأُمْرٌ مَكَانَ النَّبِيِّ

عَلَيْهِ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ السَّرِيِّ وَفِيهِمُ الْقَعْقَاعُ أَيْضًا الْجَرِي
عَزَّ بِهِ الدِّينُ وَعَزَّ أَهْلُهُ لَا يَهْزَمُ الْجَيْشُ وَفِيهِ مِثْلُهُ

أي بعد غزوة اليرموك بعث عمر إلى خالد أن يمد سعد بن أبي وقاص
بنفسه وبجنده الذي قدم به على الشام، وسعد محاصر الفُرس بالقادسية؛
وجمعها على القوادس وهي مفردة⁽¹⁾، وذلك كقول ورقة:
بيطن المكتن على رجاء .. إلخ (يريد مكة).

وَمَنْ: نائب أُمْدٌ. وبفارس: متعلق بيحطم. ولدى: عند القادسية، وهو
موضع بالعراق به الوقعة المشهورة التي ماتَ فيها رُسْتُمُ واستؤصلتِ
الفرس. وبجند خالد: متعلق بأمد. وخالد: مبتدأ وخبره ضن ونائبه الجار
والجور المحذوف الدال عليه به قبله، أي ضنَّ بخالد عن المسير إلى العراق⁽²⁾
المسلمون المجاهدون - أهل الشام - لكثرة غنائه، لشجاعته وإصابة رأيه
ويعن نقيبته، ولأن الرومَ عنده كالكلاب لا يبالي بكثرتهم؛ سمع يوما رجلا
يقول: ما أكثر جيش العدو وأقل جيش المسلمين، فقال له خالد: لا تقل

(1) يحتمل أنه جمعها باعتبار ما حولها، أو بأن جمعه لها من باب قول ابن بونا:

ومظهر الجمع لغيره وقع

على حد قولهم: "شابت مفارقة"، وكلاهما شائع وسائغ.

(2) يعني أن عمر بعث إلى خالد بعد وقعة اليرموك أن يمد سعد بن أبي وقاص بنفسه وبجنده
الذي قدم به على الشام، ثم بعث إليه أن يسير جنده إلى سعد ويؤمر عليه مكانه هاشم بن
عتبة، وأمره هو أن يقيم مع المجاهدين بالشام لكثرة غنائه..

ذلك بل ما أكثر جيش المسلمين وأقل جيش الكافرين.. وددت والله أن الأشقر برئ من الحفا وكانوا أضعافهم (يعني بالأشقر فرسه).

وقوله: وأمر مكان النب: أي العاقل، يعني خالدا. عليه: أي على جيشه. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في محله. والسري: السيد. وفيهم: أي في جند خالد، القعقاع بن عمرو التميمي، الذي قال: شهدت وفاة النبي ﷺ، ولم يذكر له من الصحبة غير ذلك⁽¹⁾، وأما أخوه عاصم فذكره صاحب الإصابة في الصحابة جزما. والجري: أي الجريء على الأعداء. قوله: عز به الدين: أي بالقعقاع. وعز أهله: أي أهل الدين. وقوله: لا يهزم الجيش: من كلام عمر بن الخطاب، قال: لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع⁽²⁾.

(1) وكان القعقاع هذا أحد فرسان العرب وشجعانهم وشعرائهم، وقد قال فيه أبو بكر: لَصَوْتُ القَعْقَاعِ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ، ولما حاصر خالد الحيرة استمد أبا بكر فأمدّه بالقعقاع بن عمرو وقال: لا يهزم جيش فيه مثله، وكان على كردوس يوم اليرموك وهو القائل (من أبيات):

يدعون قعقاعا لكل كريهة فيجيب قعقاع دعاء الهاتف

وشهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق، وله في ذلك أشعار مشهورة، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم. وذكر أنه حمل في يوم ثلاثين حملة يقتل في كل حملة بطلا، وهو الذي غنم في فتح المدائن أدراع كسرى، وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى.. فأرسلها سعد إلى عمر.

(2) ولما ذكر أن من ضمن أبطال هذا الجيش القعقاع بن عمرو وذكر كلام عمر فيه، أو كلام

<<=

وَكَمْ لَهُ مِنْ حَمَلَةٍ مِّنْهَا الَّتِي أَغْرَتْ حُمَاةَ الْحَقِّ بِالْفِيلَةِ
إِذْ اشْتَكَى سَعْدٌ إِلَى الْأَبْطَالِ مَا لَقِيَ الْجَيْشُ مِنَ الْأَفْيَالِ

كم للتكثير أو للتعجب. والحملة: الكرّة في الحرب. والحق: الإسلام،
وحماته: مانعوه؛ يعني الصحابة وتابعيهم بإحسان، أي جيوش المسلمين.
يقول وكم للقعقاع من كرة في الحرب يُتعجب منها. ومن كراته كرتُه
التي أغرت المسلمين بفيلة الفرس في القادسية، حين قدم في جيش خالد
الذي عليه هاشم بن عتبة، فكان المسلمون لا يكادون يقربون جيوش
فارس لأنهم يقدمون إليهم الفيلة فتتفر منها الخيل وتعلو ركابها⁽¹⁾ على
الرجال ولا يوصل إليها. فهال المسلمين وسعدا أمرُ الفيلة فجمع إليه ليلة
الشجعان والأبطال فقال: من يكفينا هذه الفيلة فقد لقينا منها ما ترون؟
فقام إليه القعقاع وقال له: أصلح الله الأمير إنا لا خبيرة لنا بالفيلة إذ
ليست بأرضنا فاسأل أهل الخبرة بها، إن كان لها مقتل فقد كفيتها وإلا
فأشر إلينا بما نفعل من أمرها، فسأل سعد عنها هل لها مقتل؟ ف قيل له:
عينُ الفيل مقتل له وكذلك مشفره ويده التي يتناول بها. فلما أصبحوا
غدوا على قتال فارس.

--- >>

أبي بكر - كما في الإصابة - وهو: "لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع"، استطرد ذكر بعض
حملاته العظيمة الدالة على شجاعته؛ وأتى بـ "كم" الدالة على التكثير والتعجب، فقال رحمه
الله وعفا عنه:

(1) أي تعلو رُكابُ الفيلة على الرجال فلا يوصل إليها، مع تحطيمها لكل ما مرت به.

فَقَامَ هُوَ وَأَخُوهُ عَاصِمٌ وَكَاسِمُهُ كَانَ: شُجَاعٌ عَاصِمٌ
لِلْفِيلِ الْأَبْيَضِ فَجَزَا مِشْفَرَهُ وَفَقَا مَقْلَتَهُ فَنَفَّرَهُ
وَكُلَّ الْأَفْيَالِ الَّذِي دَهَاهُ فَانْهَزَمَ الْجَيْشُ لَمَّا رَأَاهُ

كاسمه: خبر كان مقدم. وشجاع: شديد القلب عند البأس، وفيه سبع لغات (كغراب وسحاب وأمير وكتف وكتاب وعينة وأحمد). وعاصم: مانع. وشجاع عاصم يحتملان أن يكونا بدلا من كاسمه مراعاة للمحل الأول، أو يكونا خبري مبتدأ محذوف، أي هو شجاع عاصم، أي شديد الغلبة مانع لما حمى⁽¹⁾. والفيل الأبيض: هو عظيم الفيلة وقائدها ومقدمها. وجزا مشفره: قطعاً شاربته؛ وكانا قد اختبأ له في طريقه حتى مرَّ بهما فقاما إليه فضربه القعقاع بالسيف فقطع شاربته، وطعنه عاصم في عينه؛ فأدبر يهرول والقعقاع يقول:

يا أيها الخلق الكبير نفرك أني قطعت بالحسام مشفرك

(1) وفي البيت رواية أخرى بسكون الروي ونصب شجاعا، فيكون ضمير "هو" مؤكدا للضمير المستتر في قام العائد على القعقاع، وأخوه عطف عليه، وعاصم الأول بدل من أخوه، وكاسمه متعلق بكان بعده، وشجاعا (بالنصب): خبر كان، واسمها ضمير مستتر عائد على عاصم، وعاصم الأخير معطوف على شجاعا بجذف العاطف أو خبر ثان لكان، ومعناه مانع لما حمى شديد الغلبة؛ ووقف عليه بوقف ربيعة - يقفون على المنسوب المنون بالسكون - أي فقام للفيل الأبيض القعقاع بن عمرو وأخوه عاصم، الذي كان شجاعا مانعا لما حمى، فجزا مشفره وفقاً عينه فولى يهرول وسقط ميتا، فكان نفوره نفورا لجميع الفيلة فانهمز جيش الفرس للداهية التي أصابته بقتل كبير فيلته ونفور بقيتها.

فهرول غير بعيد فسقط ميتاً، فبنفوره نفر جميع الفيلة وهي سبعة.
ودهاه: أصابه بدهاية، وهي هنا القتل للفيل؛ وأي داهية أعظم من القتل؟
ولما قتل الفيل الأبيض ونفرت الأفيال من قتله انهزم جيش الفرس للذي رآه
من الداهية، أي الأمر العظيم من قتل الفيل الأبيض ونفور سائر الأفيال⁽¹⁾.

وَالْحَمْلَةُ الَّتِي بِهَا عَنْ خَالِدٍ مَزَّقَ كُلَّ مَارِدٍ مُجَالِدٍ

يعني ومن كرّات القعقاع المحمودة أنه رأى يوماً خالد بن الوليد
أحْرَنْجَمَتْ عليه مقانب⁽²⁾ العجم حتى كادت تدهشه - لو كان يدهش -
وضيقت عليه، فحمل عليهم القعقاع حتى فرقهم عنه وأزالهم. وفي ذلك
يقول بعد ذلك، وقد وقع بينه وبين خالد شيء:

مَنْعُكَ مِنْ قَرْنِي قَبَازٌ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُكَ فَاسْتَوْلَتْ عَلَيْكَ الْمَقَانِبُ

وَصَالِحَ الْفَارُوقُ إِيْلِيَاءَ بِنَفْسِهِ وَإِذْ لَهُمْ تَرَائِي
عَلَى بَعِيرٍ رَوَّعَتْهُمْ رُؤْيَتُهُ إِذْ عِنْدَهُمْ كَمَا رَأَوْهُ صِفَتُهُ
وَأَنَّهُ يَفْتَحُهُمْ، وَجَاءَهُ مُؤَمِّنٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَهُ

إيلياء: مدينة الشام التي بها بيت المقدس. وأول من بنى مسجداً بيت
المقدس: داود عليه السلام ورفع قامة رجل، فكمّله سليمان، فبناه بناءً لم

(1) ثم ذكر الناظم حملة أخرى من حملات القعقاع العظيمة، فقال رحمه الله:

(2) أحرّجهم القوم: اجتمعوا وازدحموا، والمقنب: جماعة الخيل تجتمع للغارة؛ جمعه مقانب.

يُر مثله قط، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً. ولم يزل على ما بناه سليمان إلى أن غزاه بجنت نصر فخر به وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه إلى دار مملكته، ولم يزل خراباً حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقيل أول من بناه آدم، وبين بنائه وبناء المسجد الحرام أربعون سنة، وإنما كان داود وسليمان مجددين له (أه من القسطلاني).

وتراءى لهم: ظهر لهم حتى رأوه. وصفته: مبتدأ خبره عندهم. وأنه يفتحهم: عطف على صفته.

صلح أهل بيت المقدس

يعني أن المسلمين لما فرغوا من اليرموك دلفوا على إيلياء فتحصن أهلها منهم بالحصون وامتنعوا من مصالحتهم ومناجزتهم، حتى يصالحوا الإمام الأعظم، يعنون عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وذلك منهم مَكيدة يريدون بها رؤية عمر إذ كانت عندهم صفة من يفتحهم، وإذا رأوه ووجدوه كَمَن عندهم صفته صالحوه على ما يريد منهم وإن لم يكن ذلك امتنعوا من صلحه. فبعث أبو عبيدة بذلك إلى عمر، فاستشار عثمان فأشار عليه أن لا يقدم عليهم واستشار علياً فأشار عليه بأن يقدم عليهم، وكان إذا اختلفا عليه تبع رأي علي لقربته من الوحي. فسار إليهم في جيش، فلما قرب منهم قال له المسلمون: يا أمير المؤمنين هؤلاء الذين أنت قادم عليهم العجمُ ويعرفون ملوكهم بلبس التيجان ومفاخر اللباس وركوب البراذين فالبس لهم لباساً حسناً وعمامة واركب برذونا، ففعل؛

فلما هروا به البرذون ونظر إلى اللباس عليه قال: هذا شيطان! فنزل عنه وركب ناقته⁽¹⁾ مخطومة بجبل من ليفٍ ولبس مسوحه، وتلك صفته التي عند أهل إيلياء؛ فلما رأوه عليها صالحوه بما أراد.

وجاءه الرجل الذي كتب له الأمان في الجاهلية؛ وذلك أنه كان قد سافر في الجاهلية في تجارة من قریش إلى الشام، فأتاه يوما عالجٌ من مدينةٍ من مدُن الشام كان يبيع فيها فوضع ثوبا في عنقه فاستقاده به، وجاذبه عمر فقال له من معه: لا بد لك من ذلك، فطاوعه، وأدخله في خربة فيها كثيبٌ من تراب وقال له: احفر لي بئرا تحت هذا الكثيب! وخرج عنه، فلم يزل عمر جالسا ولم يصنع شيئا إلى أن أتاه العالج بعد طول، ولم يجده صنع شيئا، فقال له إلى كم لا تفعل ما أمرتك به؟ ولكمه لكمة شديدة، فقال عمر في نفسه وا ذلا لأملك يا عمر! ما بلغ بك حب الحياة.. فعقد

(1) ورد في النظم أن عمر تراءى لأهل إيلياء على بعير، وذكر في الشرح أنه على ناقة مخطومة بجبل من ليف؛ وكل هذا قد ورد في كتب السير، ففي الكامل في حوادث سنة خمس عشرة أن عمر رضي الله عنه قدم الشام أربع مرات الأولى على فرس والثانية على بعير.. إلى أن قال: فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به أي يزهو في مشيه فنزل عنه ثم ركب ناقته. ولكن الخطب في هذا سهل لأن البعير في اللغة يطلق على جنس الإبل فتستوي فيه الناقة والجمال والصغير والكبير؛ ففي الدميري في مادة البعير: هو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، وحكى عن بعض العرب: "صرعتني بعيري" أي ناقتي وشربت من لبن بعير، ثم قال: ولو أوصى (الميت) ببعير لتناول الناقة على الأصح - [اهـ من الدميري باختصار: 119/1 و 133 ومثله في فقه اللغة للثعالبي].

أصابه وضربه على اليافوخ حتى تناثر دماغه. فخرج عمر خائفا مختفيا حتى أجهده العطش، فرُفع له دير فدخله وأوى إلى ظل جدار، وهو مجهود بالعطش والإعياء؛ فأتاه ربُّ الدار فسأله عن خبره؟ فقال: رجل من العرب كنت في تجارة ففارقت أصحابي فأضللت الطريق فأجهدني العطش، فأتاه الرجل بالشراب، فلما شرب قال له الرجل بعدما صعد فيه النظر وصوبه: إنك الذي تفتح أرضنا هذه فإن كان معك غيرك وأنت طليعة فعسى أن يكون ذلك حضر وإن كنت وحدك كما زعمت فلعل ذلك إلى أجلٍ متأخر، وسل حاجتك واكتب لي الأمان منك إذ ذاك، فأتاه بالطعام والشراب الجيدين، فامتنع عمر أولا من الكتب له، فقال: اكتب لي ولا يضرك إن كتبت حروفا في رَقٍّ يكون هذا أو لا يكون، فكتب له عمر وكساه الرجل وعرض عليه المال، فلم يقبل عُمرُ إلا الكسوة والشراب والطعام، فأوقف له أتانا وقال له: اركب عليها فإنها تقدم بك على أصحابك فإذا قدمت عليهم فالطم وجهها فإنها تأتيني.

فلما قدم عمر على إيلياء أتاه الرجل بكتابه، فاستشار الصحابة فقبلوا له ذلك.

ولما رجع عمر من إيلياء إلى المدينة تَلَقَّته الصبيان من أهل المدينة فخيرهم بين أن يكسوهُم كلهم أو يسرحهم يومين بليلتيهما لا خطاب للمعلم عليهم، فاختاروا التسريح فكان ذلك شرعا أبدا، ودعا عمر بالبركة لمن لا يخاطبهم في ذينك اليومين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة والليلتان ليلة الجمعة اتفاقا وهل الثانية ليلة الخميس أو ليلة السبت؟ ودعا

على من خاطبهم فيها بعدم البركة فيما يأخذ منهم⁽¹⁾.

(كَلَّا الْعَتِيقِ وَخَدِيجَةَ السَّلَامِ يُقْرِئُهُ جَلَّ جَلَالُهُ السَّلَامُ)

تقدم هذا البيت في ذكر أبي بكر، وإنما أعاده لطول العهد بالكلام على أبي بكر حتى لا يدري القارئ فيمن كان الكلام، فأعاد البيت ليرتب عليه ذكر أولاد أبي بكر وما بقي مما يذكر من خبره، وقصد به أيضا التلذذ بذكر مدح أبي بكر، لاسيما بهذه الخصلة.

ذكر بعض مناقب أبي بكر رضي الله عنه

وأبو بكر أهل لذلك، وكفاه مدحا إردافُ الله تعالى له بالنبي ﷺ في هذه الآية⁽²⁾: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ هما النبي ﷺ وأبو بكر، وجمعهما في الضمير بقوله ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ وأضافه إليه بالصحبة في قوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ وجمعهما أيضا في ضمير ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وأثنى عليه ووعدته في قوله جل وعلا: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة⁽³⁾، ولا يخلف الله وعده، ووصفه عز وجل بالفضل في قوله تعالى:

(1) ولما فرغ الناظم من استطراد بعض فتوحات الخليفين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجع إلى الكلام على أبي بكر الذي كان بصدده، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) التوبة: 40.

(3) سورة الليل: 17 - 21.

﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾، ووجده يوما عليّ مع رسول الله ﷺ فتنحى عن علي حتى جلس بينهما فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنك يا أبا بكر من أهل الفضل إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أولو الفضل»⁽²⁾، ونزل جبريل على النبي ﷺ بالإذن في الهجرة بقوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ - الآية⁽³⁾ - فقال: «من يخرج معي؟» فقال جبريل: "أبو بكر الصديق"؛ إما أن يكون أتى به من عند الله أو سماه به جبريل.

ومن أسمائه ذو الخلال، لأنه أنفق ماله على رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا عبادة تخلل بها، فسمي ذا الخلال، فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال له: قل لأبي بكر ربك يُقرئك السلام ويقول لك أراض أنت علي في فقرك هذا أم ساخط؟، فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أسخط؟. ومن أسمائه أمير الشاكرين لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁴⁾، وهم مقاتلو أهل الردة حتى ردوهم إلى الإسلام وأميرهم أبو بكر. قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر في قتال

(1) النور: 22.

(2) ذكره في الآلئ المصنوعة، والجامع الصغير. وعزاه الخطيب لابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، وله لفظان قال فيهما السخاوي: "الحديثان ضعيفان ولكن المعنى صحيح".

(3) الإسراء: 80.

(4) آل عمران: 144.

أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد مظالم بني أمية، والمتوكل في حسم البدعة بالقول بخلق القرآن. ويكفي أبا بكر شرفاً وفضلاً تسميته بخليفة رسول الله ﷺ. ولنش العنان عن مناقب أبي بكر وفضائله إلى ما كنا فيه.

مِنْ نَسْلِ ثَانِي اثْنَيْنِ جَاحَ اثْنَانِ مُحَمَّدٌ وَمُشْبِهُ الْجُمَانِ جَرِيحٌ "وَج" وَتَوَى بَعْدَ النَّبِيِّ ...

وج: وادٍ بالطائف به وقعة الشّدْحَة بين النبي ﷺ وثقيف، استشهد فيها رجال من أجلة قريش. وتوى: مات. يعني بمشبه الجمّان: عبد الله، لما يقال عنه إنه من أجمل قريش. يقول جاح من نسل أبي بكر عبد الله ومحمد. وجاح: هلك وانقطع.

أما عبد الله فلم يترك ولداً، وقيل ترك أولاداً ولم يبق منهم أحد⁽¹⁾، وكان قديماً للإسلام. وكان يأتي النبي ﷺ في الغار بأخبار قريش ثم يصبح بمكة حتى لا تظن قريش أنه خرج عنهم⁽²⁾، ثم هاجر، وقيل إنه لم يشهد

(1) من ولده إبراهيم بن عبد الله، وإبراهيم من الولد إسماعيل وهو آخر ولد عبد الله وانقرض عنده عقب عبد الله - [قال ابن حزم]. وقال ابن قدامة: انقرض عقب عبد الله بن أبي بكر وآخرهم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله - [أهـ منه]. وقال الزبير في نسب قريش: انقرض ولد عبد الله بن أبي بكر الصديق وكان له ولد فلم يبق منهم أحد. وفي كتاب أنساب الأشراف للبلاذري: ولد عبد الله بن أبي بكر الصديق إسماعيل فهلك ولا عقب لعبد الله.

(2) وهو إذ ذاك غلام شاب فطن، ولما بلغه وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر المدينة خرج بعيال أبي بكر وصحبهم طلحة بن عبيد الله - [قاله في الإصابة].

إلا الفتح وحنينا والطائف؛ ويبعد عندي هذا القول. وجرح بالطائف فاندمل جرحه ثم انتقض بعد وفاة النبي ﷺ ومات منه في السنة الأولى من خلافه أبيه⁽¹⁾، وكانت عنده عاتكة الشهداء بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكان بها معجبا حتى شغلته عن أبيه⁽²⁾ فأمره بطلاقها فطلقها، فتبعتها نفسه؛ وفيها يقول:

يقولون طلقها وأصبح مكانها مقيما تمني النفس أحلام نائم
وإن فراقني أهل بيت جمعهم على كبرٍ مني لإحدى العظام
وإني وأهلي كالعجول تروحت إلى بؤها قبل العشار الروائم

وفيها يقول:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق وما ناح قمري الحمام المطوق
ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم يُطلق

فأمره بارتجاعها فارتجعها ومات عنها، ورثته بقولها⁽³⁾:

(1) كان ذلك في شوال سنة إحدى عشرة وصلى عليه أبو بكر ونزل في قبره عمر وطلحة وأخوه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم، والسهم الذي رمي به رماه به أبو محجن الثقفي - [ابن قدامة في نسب القرشيين]. وعن أبي محجن قال: السهم الذي رمي به عبد الله أنا بريته ورثته ورميته به ثم رزق الله الإسلام - [أنساب الأشراف].

(2) وكانت عاتكة هذه حسناء جميلة ذات خلق بارع.

(3) رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كان قصرا
قالت.. الخ.. وبعده:

فلله عينا من رأى مثله فتى أكرأ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فَأَلَيْتَ لَا تَنْفَكُ عَنِّي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبِرَا

وعبد الله شقيقُ أسماء؛ أمهما قتيلة بنت الحارث بن فورك من بني عامر بن لؤي⁽¹⁾، وفدت على ابنتها أسماء بالمدينة فقالت أسماء للنبي ﷺ: إن أُمِّي وفدت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم»⁽²⁾.

وأما محمد فأمه أسماء بنت عميس، ولدته بذي الحليفة حين أحرم النبي ﷺ بحجة الوداع فمنعها النفاس من الطواف، كما منع الحيض عائشة؛ وكانت مضطجعة مع النبي ﷺ فأحست بالحيض فجعلت تضم عليها ثيابها فقال: «أَنْفَسْتُ»؟ قالت: نعم، فقال: «حَلَقَى عَقْرَى»⁽³⁾، وهي كلمة تقولها العرب لفاعل الشر، ومعناها الدعاء بالذبح والعقر، لأن الحلق موضع الذبح؛ ولا يريد بها النبي ﷺ الدعاء عليها⁽⁴⁾ ولكن كإيراد المثل

(1) وللزبيري في نسب قريش: أم عبد الله وأسماء ابني أبي بكر: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. ومثله أيضا في كتاب أنساب الأشراف وتاريخ الطبري وغيرهما..

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه.

(4) بل هو على مذهب العرب في الدعاء على الشيء من غير إرادة لوقوعه. ومعنى عقرى: أي تعقر قومها أو عقر الله جسدها، ومعنى حلقى: حلقها الله أي أصابها بوجع في حلقها أو حلق شعرها، وقيل: معناه تعقر قومها وتحلقهم بشؤمها وتستأصلهم. والمعروف أنه صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا لأمنا صفية رضي الله عنها يوم النفر حين قيل له إنها حائض فقال: «عقرى حلقى ما أراها إلا حابستنا». فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه الحج فلما قدمنا تطوَّفنا

كقوله: «تربت يداك»⁽¹⁾ ونحوها.. ولو أراد الدعاء عليها لكان دعاء لها، لقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعل دعائي عليهم دعاء لهم»⁽²⁾. فلما أتم النبي ﷺ حجه وطهرت عائشة من الحيض أمر أخاها عبد الرحمن أن يردفها على جمل إلى التنعيم، وهو أقرب مواضع الحل، فأحرمت بعمره.

ثم تزوجت أسماء بنت عميس بعد أبي بكر بعلي وولدت له يحيى

-- >>

بالبيت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن ساق الهدي أن يحل فحل من لم يكن ساق الهدي، ونساؤه لم يسقن فأحلن، قالت عائشة: فحضت فلم أطف بالبית، فلما كانت ليلة الحصة قلت: يا رسول الله يرجع الناس بعمره وحجة وأرجع أنا بحجة؟ قال: «وما طفت ليالي قدمنا مكة؟» قلت: لا، قال: «فذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمره ثم موعدك كذا وكذا». قالت صفية: ما أراني إلا حابستهم قال: «عقرى حلقى أو ما طفت يوم النحر؟» قالت: قلت: بلى، قال: «لا بأس انفري»، قالت عائشة: فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة عليها - أو أنا مصعدة وهو منهبط منها - وفي رواية قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال: «ما يبكيك يا هنتاه؟» قلت: سمعت قولك لأصحابك فمنعت العمرة، قال: «وما شأنك؟» قلت: لا أصلي، قال: «فلا يضريك إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك فعسى الله أن يرزقكها - وفي رواية -: فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبית» - [رواه النسائي] - قالت: فخرجنا في حجة حتى قدمنا منى فطهرت ثم خرجت من منى فأفضت بالبית، قالت: ثم خرجت معه في النفر الآخر - تعني رابع أيام منى - حتى نزل المحصب ونزلنا معه فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: «اخرج بأختك من الحرم فلتهل بعمره».. إلى آخر الحديث - [البخاري].

(1) متفق عليه.

(2) ذكره عياض في الشفاء، ومعناه في صحيح مسلم.

ويزيد، فكان محمد بن أبي بكر في حجره وشهد معه الجمل وصفين واستعمله على مصر وقتله بها معاوية بن حديج (تصغير حدج بالمهملة) الكندي السكوني، بأمر عمرو بن العاص⁽¹⁾. وإخوة محمد لأمه أسماء، غير ابني علي، بنو جعفر بن أبي طالب: محمد وعون وعبد الله، ولدوا بالحبشة.

ولمحمد بن أبي بكر الصديق: القاسم⁽²⁾ الفقيه وعبد الله، أمهما بنت يزدجرد؛ أعطاهما علي لمحمد بن أبي بكر. وللقاسم: عبد الرحمن بن القاسم وأم فروة بنت القاسم⁽³⁾، وهي أم موسى الكاظم بن جعفر الصادق. ولعبد الرحمن بن القاسم: عبد الله⁽⁴⁾ بن عبد الرحمن بن القاسم. ولعبد الله: محمد⁽⁵⁾ بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر

(1) وكان لمحمد بن أبي بكر هذا عبادة واجتهاد، ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جداً وتولت تربية ولده القاسم، فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه، وكان موت محمد في حياة أمه أسماء فكظمت الغيظ حتى شخب ثديها دماً.

(2) والقاسم بن محمد هذا كان أحد الفقهاء السبعة الذين مر ذكرهم، وكان أفضل أهل زمانه واتفق على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه، وحُمل عنه العلم. روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من خيار التابعين. وتوفي سنة مائة وست وعشرين، وقتل أخوه عبد الله بن محمد بالحرّة، كما في الزبيري.

(3) أمهما قريية بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عبد الرحمن بن القاسم من أفضل أهل زمانه ومن الفقهاء الأجلاء وحُمل عنه العلم، كما في الزبيري.

(4) ولي عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم قضاء المدينة في عهد المنصور. كما في الزبيري وأنساب الأشراف. وفي الزبيري أنه قضى للحسن بن علي بن أبي طالب، إذ كان الحسن والياً للمنصور على المدينة.

(5) ولي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هذا قضاء المدينة في عهد المأمون - [قاله ابن حزم وغيره].

الصديق، علماء كلهم⁽¹⁾؛ ثم انقرضوا في خلافة بني العباس زمن المأمون بن هارون الرشيد.

... وَعَابِدُ الرَّحْمَنِ سَلَكُ النَّسَبِ

أَعْقَبَ نَسْلًا رَائِقًا وَكَمْ كَمِي عَفْرُهُ كَابْنِ الطُّفِيلِ مُحْكَمِ

يعني أن عبد الرحمن بن أبي بكر سلك عمود نسب آل أبي بكر. أعقب: أي خلف. نسلا رائقا: معجبا لكرمه وكثرة العلماء فيه. وكم كمي: كم هنا خبرية كقولهم: كم رجل كريم جاءني، والكمي: الشجاع؛ وهو مرفوع لأن كم للخبر وهو مبتدأ خبره كم. وعفره: ضربه بالعفراء أي الأرض، أي قتله. وممن قتله من الكمأة محكم بن الطفيل اليمامي، سيد بني حنيفة⁽²⁾، قتله عبد الرحمن يوم اليمامة على الأصح.

عبد الرحمن بن أبي بكر

وعبد الرحمن شقيق أمنا عائشة؛ أمهما أم رومان - واسمها زينب - بنت عامر بن عويمر من بني الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة⁽³⁾، إخوة بني فراس بن مالك؛ ولذلك قال لها أبو بكر: ما هذا الطعام يا أخت بني

(1) ولعبد الرحمن بن القاسم من الولد أيضا إسماعيل بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم.

(2) وكان أحد أبطالهم الموصوفين بالبأس والشدة في قوله تعالى ﴿سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ﴾ - الفتح: 16 - وقال فيهم خالد بن الوليد: ما لقيت قوما أشد منهم.

(3) وجدُّها عويمر هو ابن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم.

فَراس؟. أسلمت قديما وهاجرت وتوفيت سنة ثمان بالمدينة، ونزل النبي ﷺ في قبرها وصلى عليها ودعا لها وأثنى عليها كثيرا⁽¹⁾. شهد عبد الرحمن بدرا مع المشركين، ثم أسلم في هُدنة الحديبية⁽²⁾، وكان في جاهليته يختلف إلى الشام في تجارة فرأى امرأة من غسان يقال لها ليلي بنت الجودي فهويها وكان يذكرها في شعره، وفيها يقول:

تذكرت ليلي والسماء دونها فما لابنة الجودي ليلي وما ليا؟
وأنى تعاطي ذكرها حارثية تَدِيرُ بُصْرَى أو تحُلُ الجوابيا⁽³⁾
وأنى تلاقينا بلي ولعلها إذا الناس حجوا قابلا أن توافيا

فلما غزا المسلمون الروم ظفروا بليلى بنت الجودي في السبايا فبعثوها إلى عبد الرحمن لما كان يذكرها، فكانت عنده إلى أن فارقتها، ولم تلد له.

نَهْنَه عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَالِدَهُ نَبِينَا إِذْ رَأَى أَنْ يُجَالِدَهُ

نهنه عن الأمر: كفه عنه وزجره. ووالده (بالنصب): مفعول به لnehne، وهو أبو بكر. ونينا: فاعل نهنه. ويجالده: يضاربه.

(1) واستغفر لها وقال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» - [راجع البخاري في تاريخه وابن سعد وابن منده].

(2) وحسن إسلامه وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتية من قريش قبل الفتح، وكان من أشجع قريش وأرماهم؛ ورمى محكم بن الطفيل بسهم في نحره، وكان محكم قد سد ثلثة من الحصن، فدخل المسلمون من تلك الثلثة، وشهد الجمل مع أخته عائشة وكان أخوهما محمد مع علي بن أبي طالب.

(3) تدير المكان: اتخذ دارا، وفي رواية: تحل بصرى..

يشير إلى أن عبد الرحمن يوم بدر دعا المسلمين إلى البراز، وهو إذ ذاك مع المشركين - قبل إسلامه - فقام أبو بكر يريد أن يبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك يا أبا بكر» ناهيا له عن برازه، لأن عبد الرحمن من أشجع قريش وأرماهم (قتل يوم اليمامة سبعة من أكابر بني حنيفة مع محكم بن الطفيل وهو سابعهم). وبعد ذلك قال عبد الرحمن لأبي بكر - بعد أن أسلم -: استهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك، فقال أبو بكر: وأنت يا بني لو استهدفت لي ما صرفت عنك. ومات عبد الرحمن سنة خمس وخمسين على أميال من مكة وحمل إليها على أعناق الرجال فدفن بها، وجاءت عائشة إلى قبره فبكت عليه⁽¹⁾.

عَنْ دِينِهِ بَيْعَةَ الْفُؤَيْسِقِ بِالْكَثْرِ سِيمَ وَأَبَاهَا الْمُتَّقِي

الفويسق: يعني به يزيد بن معاوية. والمتقي: عبد الرحمن بن أبي بكر. يعني أن عبد الرحمن أراد منه معاوية أن يبايع ليزيد - في حياة معاوية - فامتنع، ثم بعث إليه مع مروان بن الحكم مائة ألف درهم، وهي الكثرة الذي ذكر الناظم، وسيم بالأمر كلفه وطلب منه؛ فردها وأنف منها، فقال

(1) وتمثلت بقول متمم بن نويرة في أخيه مالك:

وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقالت: والله لو حضرتك لدفتك حيث مت مكانك ولو حضرتك ما بكيتك.

ثم قال رحمه الله:

له مروان كلاما خشنا لا يليق بعبد الرحمن، منه: أيها الناس هذا الذي قال لوالديه أف لكما. وأعرض عنه عبد الرحمن أي الإعراض⁽¹⁾ ولم يزد كلام مروان عند الناس إلا إجلالا.

مِنْ نَسْلِهِ الرَّائِقِ جِدًّا سَيِّدِي أَحْمَدُ قُطْبُ سِجْلِمَاسِ الْمُهْتَدِي

سِجْلِمَاس: "تافلات"، ضبطها مجد الدين في القاموس بكسرتين، ولكن العامة يقولونها بكسر السين فقط كما قال الناظم. يريد: من نسل عبد الرحمن: القطب سيدي أحمد الحبيب، وأضافه إلى سِجْلِمَاس لكونها أرضه، وأما هو فقطبانيته شاملة لأهل زمانه⁽²⁾ - كما قال - كان ممن جال في جميع البلاد يطلب من هو أعلم منه ليزداد منه علماء، فلم يجده (يعني نفسه)، وفيه دليل على المنكر كون القطب لا يكون إلا بمكة.

ومن ولايته أن أهل سِجْلِمَاس كلهم أتوه قبيل يوم العيد كل يسأله أن يصلي بهم في قصرهم، فوعدهم كلهم فصلى بجمعهم؛ كل يزعم أنه فاز بذلك عن جميع سِجْلِمَاس، وقصورهم بعدد أيام السنة - وهي ثلاثمائة وأربعة وخمسون - وقصر الشيخ منها "أبغام"، وهو الذي فيه سوق

(1) وقال: لا أبيع ديني بدنياي؛ وخرج إلى مكة ومات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد.

(2) جاء في فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: أحمد الحبيب هو أبو العباس سيدي أحمد الحبيب اللمطي السِجْلِمَاسِي، قطب زمانه ولي الله تعالى كان شيخا عارفا تقيا عالما. وكان حيا عام أربعة ومائة وألف رحمه الله تعالى - [راجع ص: 37-38-186] وفيه أيضا: هو القطب الصالح المقرئ المتفنن: ص/ 208 - 209.

تافلات العظيم، وعند رأس الشيخ منقوش نسبة إلى أبي بكر: بينهما أربعة وعشرون جدا. ومن كراماته أن أحد تلاميذته حج مسكينا بلا راحلة وبلا زاد، بل في جملة الركب يسأل ويتطفل، فنام ليلة - وغلبه النوم - حتى فاته الركب، فاستيقظ ولا أحد؛ فسار غير بعيد فأجهد العطش والإعياء، فنادى: يا شيخ! فأتاه بزلافة - وهي إناء من جبر يتخذها أهل بلدهم - مملوءة لبنا أحلى من العسل فشرب حتى روى ومدّها فوق، فأعطّاها له مملوءة ثريدا بلحم أطيب ما يكون فأكل حتى شبع؛ فتركها عنده وقال له: كلما احتجت إلى شراب أو طعام فارفع بها يدك، ثم جعل يده من وراء رأسه وقال له: غمض عينيك.. فقال: افتح عينيك، فإذا هو بالركب يضربون أحييتهم وتركه. ولم تنزل عند التلميذ الزلافة وهي قدر ما يرويه أو يشبعه، إلى أن سُرِقَ مال لأمير الركب؛ فقبل له: في الركب مسكين كان يتطفل ويسأل ومنذ كثير ما سأل وما تطفل - وكان الشيخ عهد إليه أن لا يُخبر أحدا بشأنه - فأخذه أمير الركب ولم يزل يعذبه إلى أن أخرج له الزلافة فأخبره بشأنها، فلم يرها بعد ذلك.

ومنها أن مات ملك المغرب فتنازع أهله في الملك، وكان بنوه يحبون ملك فلان منهم ويهابون أن يرفعوا ذلك إليه، فأخذوا المصحف ودفعوه إلى غلام لهم وقالوا له: افتح هذا بين يدي الشيخ وقل له: بحق هذا ملك لنا فلانا، ففعل الغلام وسار غير بعيد، فقال له: قف هناك! ثم قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ﴾⁽¹⁾ وركز قدمه في

(1) آل عمران: 26.

الأرض، وملك الذي يحبون أن يملك، ولم يزل العبد واقفا حيث أمره بالوقوف لا يقدر أن يذهب ولا أن يرجع.. إلى أن أشار له أن يذهب، فلما ذهب سقط حائط كان يعلوه، لو لم يسر لسقط عليه⁽¹⁾. ومن تلامذة الشيخ سيدي أحمد الحبيب: الشيخ عمر الخطاط⁽²⁾ أدركنا آخر عمره. ومعه نسل عبد الرحمن بن أبي بكر: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ
صَحَابَةَ وَأَبْنُ أَبِي عَتِيقٍ سَلِيلُهُ أَشْهُى مِنَ الرَّحِيقِ
ذُو أَدَبٍ مُورَثٍ عَنْ حَسَبِهِ وَأَدَبٍ مُكْتَسَبٍ مِّنْ كُتُبِهِ

(1) **تنبية:** لقد دأب جل علماء الشناقطة ومؤلفوهم في الفترة ما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الهجريين في مجال ترجمة علمائهم وصلحاتهم على ذكر الكثير من الحكايات الغريبة والروايات النادرة في نطاق سرد كراماتهم الكثيرة وبركاتهم الشهيرة، ومن أراد الوقوف على بعض ذلك فليراجع ما كتبه العلامة الكبير والمؤلف الشهير أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق في كتابه **فتح الشكور في أعيان علماء التكرور** وغيره من مؤلفاتهم التاريخية وغيرها.. رحم الله الجميع وأسكنه فسيح جناته.

(2) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن أوبك البرتلي الملقب بالخطاط؛ كان أحد العلماء العاملين والفقهاء المشهورين، وكان مدرسا يقرئ الرسالة ومختصر خليل قراءة تحقيق، وكان كثير التلاميذ رفيقا بهم ورحيما لهم حاملا كلهم. توفي رحمه الله في شعبان سنة ألف ومائة وست وتسعين للهجرة - [راجع: فتح الشكور]، وقد أدرك الشيخ حماد بن ألمين - صاحب هذا الشرح - حوالي ست وعشرين سنة من حياته. ومن تلامذة سيد أحمد الحبيب السجلماسي أيضا العالم العلامة، حامل لواء السبع، أبو محمد سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي. وتوفي سنة خمس وأربعين ومائة وألف رحمه الله.

وَالشَّيْءُ لَا يَنْبُتُ دُونَ أَصْلٍ وَالْأَصْلُ لَا يُثْمِرُ دُونَ فِعْلٍ

يعني أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة، هؤلاء الأربعة، توارثوا صُحبة النبي ﷺ كإبراهيم عن كابر، ومثلهم في ذلك آل زيد بن حارثة صحب منهم أربعة أيضا، وهم محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة. ومثل ذلك أيضا آل الطفيل بن عمرو، صحب منهم عبد الله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو - الأربعة - الدوسيون.

يعني أن محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا عتيق بابنه عتيق، وابنه عتيق غلبت عليه تسميته ابن أبي عتيق واسمه عبد الله؛ وأمه من بني فراس. ثم شرع يمدح ابن أبي عتيق فقال: أشهى من الرحيق: وهو أطيب الخمر وأفضلها، يعني لعلمه وأدبه وفكاهته ومجونه؛ وكان يصاحب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ويروي شعره. ومن مجونه أنه بعثت إليه زوجته بورقة فيها هجوه تقول فيها:

أنفقت مالك في كـ ل زانية وفي الخمر

فأتى عبد الله بن عمر بالورقة فلما قرأها ابن عمر قال له: يا ابن أمير المؤمنين ما الرأي عندك فيمن هجاني هذا الهجو؟ قال: إن قدرت أن تغفو عنه، فقال: والله إن ظفرت به لأنيكنه، فأعرض عنه ابن عمر. فكان كلما لقيه يقول له ذلك: ويزيد ابن عمر في الإعراض عنه حتى هجره؛ فلما رأى ابن أبي عتيق ذلك منه استغفله حتى ساره بأنها زوجته، فضحك ابن عمر وقال: زده من ذلك!.

وكان كثيرا ما يتمازح مع ابن أبي ربيعة ويلقى معه الثريا ويزورانها؛

ولما قال عمر:

من رسول إلى الثريا بأنني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

سار إليها ابن أبي عتيق فقال لها: إن ابن عمك يزعم أنه يحبك وأنه ضاق
ذرعاً بهجرك وحلف على ذلك، فسمع ذلك عمر من الثريا، فقال له: ولم
ذلك؟ فقال: سمعتك تستغيث بمن ترسله إليها وعلمت أنك لا تجد رسولا
أنصح مني فبلغت عنك، فضحك عمر والثريا. وله يقول عمر في بعض
محبوباته:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زيتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان

وقال له يوما: أين ما تذكر من عفافك من قولك:

كلانا من الثوب المورس لابس؟

قال: أصابتنا السماء يوما ونحن في مكان كذا فأمرت غلماني أن يضربوا
علينا ثوبا عندهم مورسًا، فقال: بيتك يا عاهر يحتاج إلى حاضنة!.

قوله: ذو أدب.. البيت: يعني أنه ورث الأدب، ومن أدبه العلم؛ رواه
من أجداده الذين هم أهلهم وهم حسبه الذي ورث عنه الأدب، ثم زاد على
ما ورث من أدب حسبه أدب تعلم العلم، فصار ذا أدبين أدب الحسب
وأدب الكسب، والأصل إذا كان طيبا ثم أثمر فرعه طيبا اجتمع الطيبان،
وإذا انتفى الطيب عن الفرع أو عن الأصل لم ينتفع المنفي عنه بطيب
صاحبه بل الأصل لا يثمر دون أن يمطر أو يسقى، والثمر لا يتأتى دون
أصل؛ والأكثر أن يأتي على صفة الأصل، طيبا كان أو خبيثا، وابن أبي

عتيق طاب ثمره بعد طيب أصله⁽¹⁾.

وَعَمُّهُ عَبْدُ إِلَهِ تَحْتَهُ عَائِشَةُ أَوْلَدَهَا طَلْحَةُ

أي وعم ابن أبي عتيق: عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، كانت تحتها عائشة بنت طلحة، وهو أبو عذرها، وأولدها أربعة ذكوراً: أبا بكر وطلحة وعمران وعبد الرحمن، وكلهم أبو قبيلة إلا عبد الرحمن، ولم تلد له من النساء إلا نفيسة زوج الوليد بن عبد الملك. وكانت عائشة بنت طلحة تسكن عند خالتها أمنا عائشة، وكان عبد الله بن عبد الرحمن يزور عمته وهي عندها، وربما كان ذلك في رمضان، فتقول له: يا ابن أخي هذه زوجتك قبلها فقد كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم⁽²⁾.

وكانت عائشة بنت طلحة من أجمل النساء وتسمى الموصولة، لأن كل عضو منها متصل بالآخر في الحسن؛ وهي إحدى عقيلتي قريش اللتين سأل مصعب بن الزبير الله - وهو متعلق بأستار الكعبة - الجمع بينهما ومُلك العراق فقدر له ذلك، والثانية سكينه بنت الحسين، وكانت تساميهما ما دامت تحت مصعب؛ وتحاكمتا يوماً إلى خالد بن صفوان فقال: أما أنت يا عائشة فأجمل وأما أنت يا سكينه فأملح، فقالت له عائشة: قضيت لها علي! وأرسلت إليها عائشة ذات ليلة والقمر منير: أيتنا تشبه هذا البدر؟

(1) وفي المثل: "من طاب أصله طاب فرعه" ومن كلام بعض الحكماء: أربعة تحتاج إلى أربعة؛ الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرباة إلى المودة والعقل إلى التجربة.

(2) متفق عليه.

فسكتت عنها حتى قام المؤذن آخر الليل فأرسلت إليها سكينة: هذا الداعي يشهد لجدي أم لجدك؟ وتزوجت عائشة بعد مصعب لعمر بن عبيد الله بن معمر، ولم تلد لأحد بعد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

وطلحة الذي يقول الناظم هو طلحة الدراهم، سمي بذلك لجوده، وله يقول الحزین الدثلي، وكان قال له: ادخل السوق واختر عشر قلائص ويأتيني أهلها فأوفيهم أثمانها ففعل، وخرج يقول:

فإن تك يا طلحُ أعطيتني	غداً فرة تستخف الضبارا
فما كان نفعك لي مرة	ولا مرتين، ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى	وسار مع المصطفى حيث سارا
وأملك بيضاء تميّة	إذا انتسب الناس كانت نضارا

وَهِيَ حَظِيَّةٌ وَبِنْتُ أُخْرَى بِنْتَا اللَّذَيْنِ بُشِّرَا بِالْأُخْرَى

قوله وهي: يعني عائشة بنت طلحة. وحظية (كغنية): المحببة إلى الأزواج. وقوله وبنت أخرى: أي بنت حظية أخرى وهي أم كلثوم بنت أبي بكر، كانت حظية عند طلحة بن عبيد الله فأولدها زكرياء بن طلحة وعائشة ثم خلف عليها بعده عبد الرحمن الأحول بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، أخو عُمَرَ والقُبَاع، فولدت له عثمان وإبراهيم وموسى.

بعض مناقب طلحة بن عبيد الله

قوله: بنتا اللذين بشرا بالأخرى: أي وهما بنتا أبي بكر وطلحة بن عبيد

الله، اللذين بشرهما النبي ﷺ بالدار الأخرى، أي الجنة، يوم يقول لبوابه: «اأذن له وبشره بالجنة»⁽¹⁾، وبشرهما أيضا بالجنة في غير ذلك اليوم؛ أما أبو بكر فلا يحتاج ذلك منه إلى ذكر لكثرة وقوعه، وأما طلحة فكذلك أيضا؛ ومنه إسهامه له ببدر في الأجر⁽²⁾، ولقوله صلى الله عليه وسلم له يوم أحد وهو يقاتل عنه: «أوجب طلحة الجنة»⁽³⁾ وقوله: «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة»⁽⁴⁾ وقوله: «لو لم يقل حسّ لدخل الجنة والناس ينظرون»⁽⁵⁾ وقوله لأحد حين أرفف بهم: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»⁽⁶⁾ وفيهم طلحة⁽⁷⁾ وغير ذلك.

(1) متفق عليه.

(2) رواه ابن سعد.

(3) ابن حبان والطيالسي وابن سعد.

(4) الترمذي وابن ماجه والطيالسي.

(5) ذكره ابن الأثير.

(6) رواه الترمذي.

(7) وأبلى رضي الله عنه يوم أحد بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: «لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري». وكان أبو بكر إذا حدث عن أحدٍ يقول: ذلك اليوم كله لطلحة، وقال فيه:

حمى نبي الهدى والخيـل تبعه حتى إذا ما التقوا حامى عن الدين

صبرا على الطعن إذ ولت جماعتهم والناس ما بين مهزوم ومفتون

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وكم زوجت من عين

وقال فيه عمر:

وَأُمُّ أُمِّ كَلْثُومٍ: حَبِيبَةُ بِنْتِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَهْرٍ الْخَزْرَجِيَّةُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَهَا لَيْلَةَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ لَيْلَةُ بِنْتِ خَارِجَةَ؛ فَبَاتَ عِنْدَهَا بِالسُّنْحِ، وَهُوَ مَوْضِعُ أَهْلِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ.

بِنَحْلَةٍ عَنِ الْقِيَاسِ خَارِجَةُ خَصَّ السَّخِيُّ بِنْتَ بِنْتِ خَارِجَةَ

النحلة (بالكسر ويضم): الصداق. والخارج عن القياس: هو ما جاوز

-- >>

هَمِي نَبِيَّ الْهَدَى بِالسَّيْفِ مَنْصَلَتَا لَمَّا تَوَلَّى جَمِيعَ النَّاسِ وَانْكَشَفُوا

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقْتَ»، وَقَالَ فِيهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَطَلْحَةُ يَوْمَ الشَّعْبِ وَاسِي مُحَمَّدًا عَلَى سَاعَةِ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجَلَتْ

وَكَانَ إِمَامَ النَّاسِ إِلَّا مُحَمَّدًا أَقَامَ رَحَى الْإِسْلَامِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ

وَسَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَنْشُدُ:

فَتَى كَانَ يَدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْنَى وَيَبْعَدُهُ الْفَقْرُ

فَقَالَ: ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَقَالَ فِيهِ قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ: صَحِبَتْ طَلْحَةَ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أُعْطِيَ لَجْزِيلٍ مَالٍ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ. وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدَ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَحَدَ السِّتَةِ أَهْلِ الشُّوْرَى، وَأَحَدَ الثَّمَانِيَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَحَدَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَحَدَ الَّذِينَ تَوَفَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، وَكَانَ مَعْدُودًا فِي أَهْلِ بَدْرٍ، وَشَهِدَ جَمِيعَ الْمَشَاهِدِ بَعْدَهَا وَبَايَعَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَتَزَوَّجَ أَرْبَعَ نِسَوَةٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْتُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، هُنَّ: أُمُّ كَلْثُومُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ أُخْتُ عَائِشَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ أُخْتُ زَيْنَبَ، وَالْفَارَعَةُ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ، أُخْتُ أُمِّ حَبِيبَةَ وَرَقِيَّةُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةٍ أُخْتُ أُمِّ سَلَمَةَ، وَقَتْلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ هُوَ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ. وَمَنَاقِبُ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا تَحْصَى..

الحدّ لكثرتة؛ وذلك أنه أصدقها ألف دينار، وذلك في غاية الكثرة في زمن الصحابة، لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي حدرٍ حين استعانه على صداق امرأة تزوجها: «كم أصدقتهَا»؟ قال: مائتا درهم، قال: «لو أنكم تجدون الدراهم في الجبال ما زدتم على مائتي درهم»، ومائتا درهم قيمتها من الذهب عشرون ديناراً. وأصدق عمرُ عن ابنه عبد الله صفيّة بنت أبي عبيد خمسمائة درهم بعد ما كثرت الأموال عند الصحابة، فدس إليهم عبدُ الله مائتين من غير علم من عمر فتم الصداقُ سبعمائة درهم وذلك سبعون ديناراً. والسخي: يعني طلحة بن عبيد الله لشهرته بالسخاء. وبنت بنت خارجة هي أم كلثوم بنت أبي بكر. وبنت خارجة: هي حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية.

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ أَبَتْ كُلَّ الْإِبَا وَبَعْضَ مَهْرِهَا اسْتَرَدَّ وَأَبَى
بَعْضُ النِّسَاءِ وَبِهَا أَوْصَى الشَّفِيقُ . وَهِيَ جَنِينٌ . أُمْنَا بِنْتُ الْعَتِيقِ

أبو حفص: عمر؛ كناه النبي ﷺ بذلك يوم بدر، وهي كنية الأسد (والحفص ولده)، وإنما كناه به النبي ﷺ لشدته. وعن أبي حفص: متعلق بأبت. وكل الإبا: مفعول مطلق معنوي. وبعض مهرها: مفعول به لاسترد. وبعض النساء: فاعل أبي الأخير من البيت. وبها: متعلق بأوصى. والشفيق: أبو بكر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر كإبراهيم وهو ألين في الله من اللبن - ويروى بكسر اللام وبالمثناة من تحت - وعمر كنوح وهو أقسى

في الله من الحجر»⁽¹⁾ وذلك حين اختلفا في شأن أسارى بدر؛ عمر يشير بقتلهم وأبو بكر يشير بإبقائهم وأخذ الفدية. وجملة وهي جنين: حالية وقعت بين الفعل ومفعوله.

يقول: لما حضرت الوفاة أبا بكر أوصى ابنته أمنا عائشة على بنيه فقال لها: إنما هم أخواك وأختاك، فقالت: إنما هذه أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى، وفي رواية: ألقى في خلدي أنها أنثى⁽²⁾؛

(1) رواه أحمد.

(2) فولدت بنت خارجة بنتا بعد وفاة أبي بكر فسمتها عائشة بأم كلثوم، وحفظت فيها وصية أبي بكر رضي الله عنه. أما عائشة فهي الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله البريئة الميرة بالوحي النازل من السماء، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنوات وعرس بها في المدينة في شوال مُنصرَفه من بدر على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة وهي بنت تسع سنين، ومكثت عنده تسع سنوات وعاشت بعده أربعين سنة، وكانت أحب نساءه إليه بعد خديجة، ولم يتزوج بكرا غيرها ولا امرأة هاجرت وهاجر أبواها غيرها. وكانت آية في العلم، وجاء في الحديث: «خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء»، فكانت أفقه الناس وأعلمهم رأيا في العامة، وكان أكابر الصحابة والتابعين يسألونها عن الفرائض وغيرها، وروى هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشة. وكانت لا ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا. وهي من الستة المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت ذات كرم وسخاء وزهد، فكانت لا يهدى لها شيء إلا قسمته في الحين، ولها في الكرم والجود حكايات نادرة، وكانت غاية في العبادة. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حافقتها وذافقتها في بيتها وفي ليلتها، ودفن في بيتها. وتوفيت هي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع ليلا بوصية منها، ونزل في قبرها القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله وعروة ابنا الزبير.

<<=

والخلد (بالتحريك): القلب. ويؤخذ من هذا الإيحاء على الكبير⁽¹⁾، لأن عبد الرحمن وأسماء كلاهما أكبر من عائشة بكثير.

قوله: وعن أبي حفص أبت: يشير إلى أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر فكرهت ذلك عائشة، فشكته إلى المغيرة بن شعبة لدهائه، وقيل إلى عمرو بن العاص، فقال لها: أكفيك ذلك؛ فجاء إلى عمر فحادثه ثم قال له: هلا تزوجت يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أريد ذلك، قال: بمن؟ قال: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال: نعم هي ولكن أريد لك غيرها، قال: ولم؟ قال: إنها جارية حديثة السن تُجيعُها وتعريها فتأتي إلى رأس أبيها فتصيح بذلك فيؤذي أبا بكر ثم يؤذي رسول الله ﷺ، قال عمر: متى كنت عند

-- >>

وأما أسماء بنت أبي بكر فأسلمت قديما بمكة وكانت، تلقب ذات النطاقين لأنها صنعت سفرة للنبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد الهجرة إلى المدينة فلم تجد لسفرته ولا لسقائه ما تربطهما به، فشقت نطاقها نصفين فربطت السفرة بأحدهما والسقاء بالآخر، وقيل لما عسر عليها ما تشد به السفرة، شقت خمارها فشدت السفرة بنصفه وانتطقت بالنصف الثاني، فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة»، فمن ذلك قيل لها ذات النطاقين. تزوجها الزبير بن العوام وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بولده عبد الله. وكانت فاضلة عارفة بتعبير الرؤيا، وعنها أخذه محمد بن سيرين وابن المسيب، وكانت توصي بناتها وتقول: "تصدقن ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه وإن تصدقن لن تجدن فقرا". وتوفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بيسير، عن مائة سنة لم تسقط لها سن ولم ينكر لها عقل.

(1) وفيه أيضا إيحاء الأثني على الذكر.

عائشة؟! فتركها، ثم تزوجها طلحة وأصدقها ألف دينار، فقال عمر: هذا غلاء.. ردوا بعض هذا إلى بيت المال، فقالت له عائشة - وقيل أم سليم -: يا أمير المؤمنين أناخذ بقولك أم بقول الله تعالى حيث يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ احْدَلَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾⁽¹⁾؟ فقال عمر: بل بقول الله تعالى، ثم قال: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وذلك معنى قوله: وبعض مهرها استرد..

وَحَلَفَ الْفَيَاضُ ذَا إِذْ ذَهَبَا أَلْفَ بَهَارٍ فِضَّةً وَذَهَبًا

الفياض: البحر، وسمى به النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله حين اشترى بئر نعمان وتصدق بها على أهل المدينة ونحر لهم جزورا وذلك في يوم واحد، فقال له: «أنت الفياض»⁽²⁾، ويسمى أيضا طلحة الخير، قال البوصيري:

طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرّت الرفقاء

والبهار: الظرف الصغير. يقول إن طلحة بن عبيد الله يوم توفي خلف ألف بهار بين الذهب والفضة.

قلت يحار العقل من هذا كيف يوجد ألف بهار في الدنيا وأحرى أن تكون لشخص واحد وأحرى أن يكون ذلك الشخص طلحة بن عبيد الله

(1) النساء: 20.

(2) أخرجه الطبراني: 7/1، وكان رضي الله عنه يكفي ضعفاء قومه، وقوم أبي بكر - بني تيم - ويقضي ديونهم وكان يرسل إلى عائشة كل سنة عشرة آلاف درهم، وتصدق في يوم بمائة ألف وجاءه بعض رحمه يسأله برحمه فأعطاه ثلاثمائة ألف، وإنفاقه رضي الله عنه مشهور.

مع جوده وكثرة عطاياه لأهل المدينة وغيرهم؟!⁽¹⁾.

وَمِنْ بَنِي طَلْحَةَ أَيْضًا النَّبِيُّ مُحَمَّدُ الْبَرُّ تَوَى مَعَ أَبِيهِ
وَهُوَ أَبُو الْأَعْرَجِ إِبْرَاهَامَ⁽²⁾ عَلَى بَنِي الْحَسَنِ ذُو أَنْعَامٍ

(1) وكان طلحة كثير المال وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر، وبناحية السراة أكثر من ذلك. وقد قال سفيان بن عيينة: كانت غلة طلحة بن عبيد الله ألفا وافيًا كل يوم قال: والوافي وزنه وزن الدينار، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية. وشيد دارا بالمدينة وأخرى بالكوفة بالكناسة لم ير مثلها؛ فيها الجص والآجر والساج. وقد كان لجماعة من الصحابة غير طلحة هذا ثروة عظيمة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وكل هؤلاء من العشرة المشهود لهم بالجنة، وكذلك المقداد بن عمرو ويعلى بن منية وغيرهم مع ما كانوا عليه جميعًا من الجود والإنفاق. أما عثمان فيوم قتل كان عند خازنه مائة وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم وضياع كثيرة بوادي القرى وحنين وغيرهما وخلف كثيرًا من الخيل والإبل. وأما عبد الرحمن فكان في مربطه ألف فرس وألف بعير وعشرة آلاف شاة بالإضافة إلى ما سيذكره الشارح. وأما الزبير فابتنى دارا بالبصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دارا بالكوفة والاسكندرية، وكانت له ضياع وخلف خمسين ألف دينار وألف فرين وألف عبد وألف أمة وخططا. وأما سعد فقد ابتنى دارا ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات. وأما المقداد فابتنى دارا بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجصص ظاهرها وباطنها. وأما يعلى فقد خلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك - [راجع سموط الذهب والمسعودي].

(2) بألف بعد الراء وأخرى بعد الهاء؛ لغة في إبراهيم كما في القاموس، وقرأ هشام في روايته عن ابن عامر لفظ "إبراهيم" في ثلاثة وثلاثين موضعا: "إبراهام"؛ منها خصوصا جميع ما في سورة البقرة. وقد استعملها الناظم هنا وفي نظم الخاتمة حيث قال:

وَبِمَقَامِ حَبَسِ إِبْرَاهَامَ ذَكَرَهُمْ بِدُولِ الْأَيَّامِ

أَنْ كَانَ أَوْصَاهُ بِهِمْ إِذْ أُمُّهُمْ خَوْلَةٌ أُمُّهُ الَّتِي تَحْضُنُهُمْ

يقول ومن بني طلحة بن عبيد الله أيضا، أي بعد عائشة وأخيها زكرياء، محمد بن طلحة، ويلقب السجاد؛ ووصفه الناظم بالبر: أي ذو البرِّ. والنبية: العاقل. وتوى: مات، مع أبيه طلحة يوم الجمل؛ وكان أبوه أكرهه على الخروج وأمره أن يتقدم باللواء⁽¹⁾، فقال علي لأصحابه: إياكم وصاحب البرنس الأحمر إنما أخرجه برُّ أبيه. فنثر درعه وجعلها بين رجله وجعل كلما حمل عليه رجل يقول له: أنشدك بـ"حم"، فينصرف عنه، حتى حمل عليه رجل من بني أسد، فنشده ولم يكثرث به فطعنه؛ وفي ذلك يقول الرجل الأسدي:

وأشعث قوام بآيات ربه	قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
ضممت إليه بالسنان قميصه	فخر صريعا لليدين وللهم
على غير شيء غير أن ليس تابعا	عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني "حاميم" والرمح شاجر	فهلأ تـلا "حاميم" قبل التقدم ⁽²⁾ ؟

ومرَّ به عليُّ في القتلى فقال: السجاد ورب الكعبة؛ هذا الذي قتله برُّ

(1) للقتال وكان هواه مع علي.

(2) قوله: يذكرني حم أي يذكرني قوله تعالى في سورة حم عسق: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ - الشورى: 23 - وذلك أنه يُذكر قاتله، الذي هو شريح بن أبي أوفى العبسي، بقرابته ليكفه ذلك عن قتله، وقد قيل إن قاتله الأشتر النخعي وهو قاتل الأبيات، وقيل بل غيره. وقد قيل إنه لم يتوارث هو وطلحة إذ لم يعلم آخرهما موتا.

أبيه، ووجده واضعا يده على عورته فقال: "لئن سترتها وأنت ميت فقد أحصنتها وأنت حي". وأمه وأم عمران أخيه حمنة بنت جحش؛ أختهما لأمهما زينب بنت مُصعب بن عمير. وهو - أي محمد بن طلحة - هو أبو إبراهيم الأعرج الذي كان يحسن وينعم على بني الحسن بن الحسن بن علي، لأن الحسن أوصاه بهم، ولأنه أخوه لأمه؛ أمهما خولة بنت منظور بن زبان. وكان يلبسهم الخز ويركبهم البراذين ويوسع عليهم في النفقة، فلما بلغوا رد عليهم أموالهم مختومة لم يحركها، وقال لهم: ما أنفقت عليكم صلة لأرحامكم. وكان يقال لإبراهيم الأعرج بن محمد بن طلحة هذا أسد الحجاز لجراته على الأمراء، وبقي إلى أن لقي هشام بن عبد الملك، فتكلم له كلاما غليظا أغضب هشاما حتى بدت حُؤولته ودخلت عينه في حاجبه. وقول الناظم: إذ أمهم.. إلخ: فيه نظر لأنه إن أراد الحسن بن علي فليس هو الموصي وإنما الموصي الحسن المثني، وهو أخو إبراهيم الأعرج، ولذلك أوصاه على بنيه (لأنهم بنو أخيه لأمه)، وأما الحسن بن علي فليس له من خولة إلا الحسن المثني وحده فلا يتناوله الجمع. وقوله: إذ أمهم: يدل على أنه الحسن بن علي، لأن إبراهيم ربيبه، اللهم إلا أن يكون أراد بأمهم أم أبيهم، لأن أم الأب أم، والصواب أن يقول:

"أن كان أوصاه بهم إذ أمهم خولة" فهو من هناك عمهم

وضمير أمهم يعود على الحسن المثني وإبراهيم الأعرج، ويجوز

ذلك⁽¹⁾ كقول الكعبي:

وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسفي الرياح عليه بين غزات

أراد بين غزتين.

وَمِنْ بَنِي طَلْحَةَ عِمْرَانُ وَهَبٌ لَهُ عَلِيُّ الَّذِي مِنْهُمْ نُهَبٌ

عمران بن طلحة أمه أم محمد السجاد، وقد منهاها قريبا. يذكر أن عمران بن طلحة قدم على علي^{عليه السلام} بعد وقعة الجمل فسأله أن يرد عليهم أموال أبيهم التي نهبت منهم، فرحب به علي وقربه وأجلسه معه وترحم على أبيه وقال: ما أخذنا أموالكم إلا لنحفظها عليكم، فردها عليه بغلاتها.

وَمِنْهُمْ ابْنَا خَالَةِ الْعَدْلِ الْحَلِيمِ أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ عُبَيْةِ الزَّعِيمِ
عِيسَى وَإِسْحَاقُ الْحَلِيمُ خَطَبَا عِنْدَهُمَا لِنَجْلِهِ أُخْتَا أَبِي
بِهَا الْأَخِيرُ وَلَهُ عَقْدَاهَا بِالشَّامِ الْأَوَّلُ وَمَا أَرْشَدَهَا
وَبِالْمَدِينَةِ لِسِبْطِ الْمُصْطَفَى عَقْدَاهَا إِسْحَاقُ أَيْضًا وَنَفَى
عَنْهَا ابْنُهُ الْحَلِيمُ ثُمَّ خَلَصَتْ لِلْحَسَنِينِ وَالْفَرَا تَقَنَّصَتْ

قوله: ومنهم: أي من بني طلحة ابنا خالة.. إلخ: والصواب "بنو" لأنهم

(1) قال في الخلاصة: "ومضمّر الجمع لغيره وقع..."، قال تعالى ﴿هَٰذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ - الحج: 19 - على تأويل الخصمين باثنين. وكما يقع مضمّر الجمع للاثنين فكذلك يأتي مظهر الجمع للاثنين كقول الكعبي.. إلخ.

ثلاثة: إسحاق وإسماعيل ويعقوب؛ وقتل يوم الحرة ورثاه عبدُ الله بن الزبير الأسدي بقوله:

لعمري لقد جاء الكروسي كاظما على خبر للمسلمين فظيع
شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت منازلهم من رومة فبقيع
فوالله ما هذا بعيش فيشتهى هنيء ولا موت يريح سريع

(والكروسي الذي يعني هو الكروسي بن زيد الطائي هو أول من قدم مكة بخبر الحرة).
والعدل الحليم: يعني معاوية؛ كان في غاية الحلم لدعوة النبي ﷺ له:
«ملاً الله بطنك حلماً وعلماً»⁽¹⁾. والزعيم: سيد القوم ورئيسهم، وكان
عتبة بن ربيعة سيد قريش في الجاهلية ورئيسهم. ثم استطرد عند ذكر
إسحاق خبر أم إسحاق، الذي كان مُدركاً لحكم ذات الوليين. ونجل
الحليم: يعني به يزيد بن معاوية. وأخت ابني طلحة هي أمُّ إسحاق.
والأخير: إسحاق. والأول: عيسى في قوله. وسبط المصطفى ﷺ: الحسنُ
رضي الله عنه. وخلصت: وصلت. والفرا: حمار الوحش. وتقنصت:
اصطادت، أي خلوصها من يزيد لسبطي رسول الله ﷺ. والفرا يضرب به
المثل في عظم الصيد؛ لقوله ﷺ لأبي سفيان: «الصيد كله في جوف الفرا»⁽²⁾

(1) رواه الترمذي.

(2) المواهب اللدنية للقسطلاني: (23/2). وأصل هذا المثل أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون
فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والثالث حمار وحشٍ فاستبشر الأولان وتطاولوا فقال
الثالث: «كل الصيد في جوف الفرا»، أي أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيدٍ
- [فرائد الأدب].

وهي من الكلمات التي لم يُسبق إليها صلى الله عليه وسلم، ثم صار يضرب لمن ظفر بالأعلى من المطلوب.

وخبر أم إسحاق أن أخاها إسحاق قدم على معاوية بالشام فخطبها منه على ابنه يزيد، فقال له إسحاق: نعم.. إذا وصلت المدينة يأتيني رسولك وأزوجه. فلما شخص من عند معاوية وقدم المدينة زوجها من الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقدم عيسى على معاوية بإثر إسحاق فذكر له معاوية ما قال لإسحاق، فقال عيسى: أنا أزوجه؛ فزوج عيسى أم إسحاق ليزيد بالشام. ولم يُدر أيهما قبل الآخر، فقال معاوية لابنه: أعرض عن هذا؛ ففعل وبقيت في نفسه على إسحاق. وإسحاق وعيسى متساويان في الولاية عليها لأن كلا منهما أخوها لأبيها وليست شقيقة لواحد منهما؛ أما إسحاق فقدما قريبا أمه، وأما عيسى فشقيق يحيى؛ أمهما سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان المريّة، وأما أم إسحاق فأُمها أم الحارث، واسمها الحرباء بنت قسامة بن حنظلة الطائي.

قوله: ثم خلصت للحسين: وذلك أنها لما خلصت للحسن ولدت له طلحة بن الحسن، المذكور في الأجواد، ولم يعقب؛ ثم طلقها الحسن فتزوجها الحسين فولدت له فاطمة، أم عبد الله المحض بن الحسن المثنى ومحمد الدياج بن عبد الله المطرف.

لَفِسْقِهِ عَنْ أُمِّ إِسْحَاقَ قَدِعُ وَبِنْتُ آلِ جَعْفَرٍ قَدْعًا بَشُعُ
أَمَّهَرَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَرَفًا وَأُمُّ كُلْثُومٍ أَبَتْ مَا وَصَفَا

لفسقه: يعني يزيد الفويسق. وقَدِع: كَف. وبنت آل جعفر: هي أم

كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لزينب بنت علي من فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وقد عا بشعا: أي كريها خبيثا. وكيفيته أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم - وهو عامله على المدينة - أن يخطبها على يزيد، على حكم أبيها في الصداق بالغ ما بلغ وعلى قضاء ديونه وعلى كذا وكذا.. "ولعلها أن تكون صلحا بين هذين الحين من بني هاشم وبني عبد شمس". فلما وصل إليه الكتاب تكلم لأبيها فقال له: إني كنت جعلت أمرها إلى خالها الحسين بن علي، فلما اجتمع الناس في المسجد خطب مروان ووصل الخطبة بما فيها من التغليظ والشروط والهبات إلى الحسين، فخطب الحسين وجعل يرُدُّ كل كلام مروان؛ فقال: أما قولك حكم أبيها بالغ ما بلغ فلا حاجة لنا في تحكيمكم ولا في أموالكم، وأما قولك قضاء ديون أبيها فمتى وجدتم أباهم موثقا في ديونه؟ وأما قولك لعلها أن تكون صلحا بين هذين الحين فنحن قوم عاديناكم في الله ولا نصالحكم على الدنيا، وأما قولك كذا وكذا.. إلى أن أتى على جميع ما قال، ثم قال: وأشهدكم أنني زوجت هذه الجارية من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر. فبقي مروانُ خجلا لا يتكلم.

وَالْأَمْرُهَا إِلَى الْمُبِيرِ وَبَتَّهَا بِسَطْوَةِ الْأَمِيرِ

آل: صار. والمبير: الحجاج بن يوسف. وبَّتَّها: قطعها. والسطوة: القهر. والأمير: عبد الملك بن مروان.

يعني أن أم كلثوم هذه آخر أمرها تزوجها الحجاجُ بغير طيب النفس من أبيها عبد الله بن جعفر، فاشتكى إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فأتى

خالد عبد الملك فقال له: أتيتك في أمر فيه لك ما لم يكن لي، قال: وما هو؟ قال: كلبك الذي سلطت على الناس مهتم بتقوية بني هاشم علينا، قال: بماذا؟ قال: فعل كذا وكذا وتزوج بنت عبد الله بن جعفر. فكتب إليه عبد الملك أن يبتها أو يفعل به ويفعل.. وكان عبد الله بن جعفر صديق عبد الملك جدا لا يأتيه في أمر إلا أجابه إليه، ولكن استحيا أن يأتيه بمثل هذه. فبت الحجاج أم كلثوم، (و لم أدر ما فعلت بعد ذلك).

وكان رجل رأى رؤيا فيها أن طائرا وقع على دار ففعل كذا وكذا.. فقصّها على ابن سيرين فقال: إن صدقت الرؤيا يتزوج المبير بنت الطيار.

**وَبَعْدَ ذَلِكَ الْفُؤَيْسِقُ أَمْرٌ جَرَّاءَهَا مُجْرِمَهُ شَرَّ الْبَشَرِ
بِقَتْلِ إِسْحَاقَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَهَدَّ دُورَهُ وَلَمْ يُبِدْهُ**

يعني أن يزيد بن معاوية بعد هذا بعث مسلم بن عقبة المري أميرا على جيش الحرة وأمره بقتل إسحاق أول ما يفعل، جراء، أي لأجل، أم إسحاق التي زوج الحسن بعد أن وعده تزويجها. ومجرمه: أي مجرم يزيد وهو مسلم بن عقبة، ويقال له - لما فعل بأهل المدينة -: مجرم ومسرف. وفات إسحاق مسرفا؛ وجده هرب في أول الناس، فهدم دوره ولم يبد: أي لم يقتله.

تنبية بنو طلحة بن عبيد الله عشرة ذكورا، ولم يكن منهم صحابيا إلا محمد السجاد وعمران، وإنما ولدوا بعد النبي ﷺ، وهم محمد السجاد وعمران؛ أمهما حمّة بنت جحش، وإسحاق وإسماعيل ويعقوب؛ أمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، وموسى؛ أمه خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة، وعيسى ويحيى؛

أمهما سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان، وزكرياء؛ أمه أم كلثوم بنت أبي بكر، ولم نقف له من البنات على غير أم إسحاق وعائشة، وذكرنا أميئهما. وعاشر بنيه: إبراهيم ولم يذكره الزبيري وذكره السهيلي وقال: بنو طلحة عشرة أسماءهم كلهم أسماء الأنبياء. وللزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد، فقال له طلحة: أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء؛ فقال الزبير: نعم أنا أرجو أن يقتلوا كلهم شهداء وأنت لا ترجو أن يكون واحد منهم نبيا. ولم يزل بنو طلحة يسمون بأسماء الأنبياء؛ ولد إبراهيم الأعرج أربعة عشر أسماءهم أسماء الأنبياء، وهم: إسماعيل الأكبر وإسماعيل الأصغر ونوح وإسحاق ويوسف وموسى - لأمهات أولاد - ويعقوب وصالح وسليمان ويونس وداود واليسع وشُعيب وهارون؛ أمهم بنت إسماعيل بن طلحة وأمها لبابة بنت عبد الله بن العباس، وهي التي يقول فيها ابن أبي ربيعة:

ودع لبابة قبل أن تترحَّلا واسأل فإن قلالة أن تسألا⁽¹⁾

كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ ابْنِ تَيْمٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ وَهُوَ الْحَسَبُ

(1) بعده: امكث بعمرك ليلة وتهنَّها ففعل ما بخلت به أن يُذلا

إلى أن يقول:

خرجت تاطر في الثياب كأنها ريح تسنت عن كئيب أهىلا
فجلا القناغ سحابة مشهورة غراء تُغشي الطرف أن يتاملا
سلمت حين لقيتها فتهللت لتحيتي لما رأني مقبلا .. إلخ.

ويحكى أن عمر بن أبي ربيعة رآها تطوف بالبيت الحرام وهي أحسن خلق الله، فكاد يذهب عقله فسأل عنها فأخبر بحقيقتها، فأنشأ قصيدته هذه.

لِصُلْبِ عَمْرٍو ابْنِهِ الْأَكْبَرِ عُثْمَانُ جُدْعَانُ وَصَخْرُ عَامِرٍ

هؤلاء: يحتمل أنه أشار بها إلى المذكورين قبل من آل أبي بكر وآل طلحة بن عبيد الله، ويحتمل أنه أشار بها إلى المذكورين بعد في آخر البيت الثاني؛ وهم بنو عمرو بن كعب، وهم عامر وعثمان وجُدعان وصخر. قوله: وهو الحسب: يريد أن بيت بني تيم وحسبهم في بني كعب هؤلاء. والحسب: ما يُعَدُّ من مفاخر الآباء. وعامر هو أبو أبي قحافة، وليس له غيره؛ ولا لأبي قحافة غير أبي بكر، ولكن - والحمد لله - كثرت قبائلهم بعد ذلك من نسل عبد الرحمن بن أبي بكر وحده. وعثمان جد طلحة بن عبيد الله بن عثمان وأبو معمر بن عثمان الذي منه آل معمر. وصخر هو أبو سلمى أم الخير، أم أبي بكر؛ أسلمت وبايعت وماتت قبل الهجرة⁽¹⁾. ومنه مسافع بن عياض بن صخر، الذي يعني حسان بقوله: يا آل تيم.. إلى آخر الأبيات، وتقدمت.

وجُدعان هو أبو الجواد عبد الله بن جُدعان، ومات قبل الإسلام، وأدركه النبي ﷺ ولم يدركه الإسلام؛ وقالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: يا رسول الله إن ابن جُدعان كان يُطعم الطعام ويقري الأضياف هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي»⁽²⁾. وصحب ابنه أبو مليكة واسمه زهير.

(1) تقدمت الإشارة إلى الخلاف في وقت وفاتها هل كانت قبل ابنها أبي بكر أم بعده وورثت منه هي وأبوه أبو قحافة.

(2) رواه مسلم وأحمد.

عبد الله بن جدعان ومائدته المشهورة

كان عبد الله بن جدعان أول أمره صُعلوكا جوادا وكثرت عليه الديون وتبرأ منه أبوه حتى بقي لا يُدائنه أحد، فتكدر من ذلك حتى اختار الموت. فخرج يوما يدور في جبال مكة لعله يرى ما يقتله فيستريح؛ فبينما هو يدور إذ أبصر ثعباناً أسوداً فتعرض له ليلدغه فيقتله، فلما دنا منه لم يتحرك؛ فإذا هو مصنوع من ذهب وإذا عيناه ياقوتتان! فكسره وأخذ الياقوتتين وإذا معه كنز عظيم، فحمل منه ما قدر على حمله وعلم على الباقي؛ فاشتهر بالمال والجود واتخذ مائدته المشهورة التي يضرب بها المثل: يستوي فيها الراكب والماشي والمضطجع. وكان مع الإطعام يسقي الناس اللبن، فقال أمية بن أبي الصلت يمدح آل المدان ما آخره:

... لا ما يعلننا بنو جدعان⁽¹⁾

فسير ألف ناقة إلى الشام جاءته حاملة من خالص البر والعسل والسمن، فجعل يطعم الناس البر ويسقيهم العسل⁽²⁾، قال أمية بن أبي الصلت:

(1) كان ابن جدعان أولاً يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن، وكان أمية بن أبي الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بني الديان، من بني الحارث بن كعب، فرأى طعام بني عبد المدان منه لباب البر والشهد والسمن فقال:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم "لا ما يعلننا بنو جدعان"

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فسير ألف ناقة.. إلخ.

(2) وجعل مناديين بأعلى مكة وبأسفلها أحدهما يقول: ألا من أراد الشحم واللحم فليأت دار ابن جدعان؛ والآخر يقول: ألا من أراد الفالوذج فليأت دار ابن جدعان ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان.. فعند ذلك قال أمية.. إلخ.

له داع بمكة مشمعلٌ وآخر فوق دارته ينادي
إلى رُدْحٍ من الشيزى ملاءٍ لباب البرِّ يلبك بالشهاد⁽¹⁾

(المشمعل: الخفيف الشهير، والرُدْحُ: الجفان، والشيزى: شجر تتخذ منه الجفان).

وَمِنْ بَنِي عُثْمَانَ آلُ مَعْمَرٍ رَهْطُ السَّخِيِّ طَلْحَةَ الْجُودِ السَّرِيِّ

يقول ومن بني عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم: بنو معمر بن عثمان؛ وجدّهم معمر عم طلحة بن عبيد الله، وهو صحابي أسلم يوم

(1) لكل قبيلة هاد ورأس وأنت الرأس يقدم كل هاد

وقد قيل إن سبب إطعام ابن جدعان لباب البر أنه كان يفد على كسرى فيأكل عنده الفالوذج فسأل عنه؟ فقيل: الفالوذج، فقال: وما الفالوذج؟ فقيل له: لباب البر يلبك مع عسل النحل، قال: ابغوني غلاما يصنعه؛ فأتوه بغلام يصنعه، فابتاعه ثم قدم به مكة فجعل يصنع له الفالوذج فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه عليها فحضر الناس، وكان من بينهم أمية فقال فيه: له داع بمكة.. إلخ.
ومن مدح أمية لعبد الله قصيدته التي منها:

كريم لا يُغيّره صباحٌ عن الخلق الجميل ولا مساء
فبرزَ فضله حقا عليهم كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء

ومنه قوله فيه:

بذُ المعاشِر كلها بالفضل قد علم المعاشِرُ
وعلا علو الشمس حثُ تى ما يفاخره مفاخرُ
دانت له أبناءُ فهـ ر من بني كعب وعامرُ
أنت الجواد ابن الجوا د بكم ينافر من ينافر.. إلخ.

وأخبار ابن جدعان في الجود والكرم كثيرة ومشهورة.

الفتح هو وابنه عبيد الله بن معمر؛ وهم رهط، أي قوم، السخي: أي الجواد المسمى - من الطلحات الستة⁽¹⁾ - طلحة الجود. والسري: الشريف ذو المروءة؛ وهو ابن عُمَر بن عبيد الله بن معمر، وأمه رملة بنت عبد الله بن خلف بن بياضة الخزاعية، أخت طلحة الطلحات؛ أمهما صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، الذي قتل يوم أحد ويده لواء قريش. وأم عمر بن عبيد الله أيضا فاطمة بنت طلحة بن أبي طلحة، فكان طلحة هذا جد طلحة الجود لأبيه وأمه. وأبوه عمر بن عبيد الله مشهور بالجود والشجاعة، ولي الولايات وممادحه كثيرة، وهو الذي قيل فيه:

عليك سلام لا زيارة بينا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

وهو من أبيات في قصة ظريفة، معني أن أذكرها أني نسيت أصلها عندي⁽²⁾ أهو بغية الأمل أو المستطرف، ولا أحب النقل من المستطرف.

(1) الذين ذكرهم الناظم في نظم الغزوات بقوله: فالطلحات خمسة سوى العلم ... الخ

[راجع: روض النهاية على شرح نظم الغزوات للمؤلف ص: 324].

(2) ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية قال: كان عُمَر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان القرشي التيمي أحد الأجواد والأمرء الأبحاد، فتحت على يديه بلدان كثيرة، وكان نائبا لابن الزبير على البصرة؛ وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة. ومن مكارمه أن رجلا اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حبا شديدا وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له سوى هذه الجارية، فقالت له: قد أرى ما بك من قلة الشيء فلو بعته وانتفعت بتمني صلح حالك؛ فباعها لعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية، فتوجعت على فراق سيدها، وقالت تخاطب مولاه الذي باعها:

وَمِنْ سِوَى كَعْبٍ لَسَعْدٍ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ آلُ الْمُنْكَدِرِ

يقول من تيم - من غير بني كعب الذين فيهم البيت والحسب - آل المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد الله بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم. والمنكدر صحابي صغير؛ دخل على

-->>

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته ولم يبق في كفي إلا تفكري
أقول لنفسي وهي في كرب عيشة أقلّي فقد بان الخليط أو اكثري
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري
فأجابها سيدها ذلك وقال:

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري
أؤوبُ بخزنٍ من فراقك مَوْجِعٍ أناجي به قلباً طويلاً التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا ..إلخ.

فقال ابن معمر: خذها وثنها، ثم قال والله لا فرقت بين محبين أبداً؛ وأعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية لما رأى من توجعهما على فراق كل منهما صاحبه، فأخذ الرجل الجارية وثنها وانطلق - [البداية والنهاية: 165/6].

ومما مدح به عمر بن عبد الله هذا قول نصيب:

فوالله ما يدري امرؤ ذو جنابة ولا جار بيت أي يوميك أجود
أيوماً إذا ألفتِه ذا يسارة فأعطيت عفواً منك أم يوم تُجهدُ
وإن خليليك السماحة والندي مقيمان بالمعروف ما دمت توجدُ
مقيمان ليسا تاركَيْكِ خلّةٍ من الدهر حتى يفقدا حين تُفقدُ

ومنه قول زياد الأعجم فيه:

أخ لك ليس خلّته بمَذَقٍ إذا ما عاد فقراً أخيه عادا
أخ لك لا تراه الدهر إلا على العِـلَّاتِ بسّاماً جوادا ..إلخ.

أما عائشة واشتكى إليها الحاجة، فقالت: أول شيء يأتيني أبعث إليك به، فلما خرج عنها أهدى إليها خالد بن أسيد عشرة آلاف درهم فبعثت بها بصرتها إلى المنكدر، فدخل بها السوق واشترى منها جارية فأولدها بنيه الثلاثة العلماء: محمدا وعمرا وأبا بكر، كلهم حمل عنه العلم. أما محمد فهو عالم المدينة في زمنه وزاهدٌ مشهور بالعلم والزهد.

حَجَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ابْنُهُ وَبِسَوَى الْفَرَضِ اسْتَبَدَّ مِنْهُ
لَأَبْوَيْهِ وَلَأَهْلٍ عَرَفَهُ فَجَاءَهُ مِنْ عِلِّ صَوْتُ عَرَفَهُ
أَنْ جَاوَدَ اللَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَحِمَهُمْ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ الْبَلَدُ

يشير إلى أن محمد بن المنكدر حج ثلاثا وثلاثين حجة، فلما أكملها أضمر في نفسه، أو أشهد على ذلك (لا أدري أيهما فعل) أنه أمسك لنفسه ثواب الفريضة منها وأعطى ثواب الباقي بين أبويه وأهل عرفة، فسمع صوتا من فوقه: "جاودت الله.. أما علمت أن الله غفر لأهل عرفة قبل أن يخلق عرفة بألف سنة أو كذا..".

قلت: يؤخذ من هذا أن ثواب العباد يوصل للمعطى له كثواب الصدقة، لأن محمد بن المنكدر قُدوةٌ ومن السلف الصالح المأمور باتباعهم، لأنه من كبار التابعين وعلمائهم؛ قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾⁽¹⁾ ومن القرن الذين يلون قرنه صلى الله عليه وسلم.

(1) التوبة: 100.

نسب كلاب بن مرة

وَمِنْ كِلَابٍ زُهْرَةٌ مُجَمَّعٌ شَتِيتَهُمْ قُصَيُّ السَّمِيدِ

لما فرغ الناظم من تيم بعد بني مخزوم نزل على عمود النسب، وذلك صنيعة، فقال: ومن كلاب.. الخ. و كلاب اسم عمود النسب من بني مرة، وهو السادس من أجداد رسول الله ﷺ. وذكر اليدالي في كتابه على الأنساب أن اسمه غير كلاب⁽¹⁾، ولكن كان يحب الصيد ويتخذ له الكلاب؛ وكان الناس يقولون: هذه كلاب ابن مرة فغلب ذلك على اسمه. وزهرة (بضم الزاي): أصله مفرد الزهر وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. ومجمع: عطف على زهرة بحذف العاطف. وشتيتهم: مفعول مجمع. وقصي: عطف بيان أو بدل من مجمع. والسמיד: السيد الشريف الكريم السخي الموطأ الأكناف، وتلك أوصاف قصي ومجمع اسمه، قال حذافة:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

يعني قريشا لأنه جمعهم حين انتزع المفاتيح من خزاعة واستولى على مكة.

وَأُمُّ سَعْدٍ وَسُعَيْدٌ ابْنَا سَهْمٍ فَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الْأَسْنَى

ومن كلاب أيضا، بعد ابنه قصي وزهرة، نُعْمُ بنت كلاب؛ تزوجها سهم بن عمرو بن هصيص فولدت له ابنه سعدا وسعيدا اللذين منهما

(1) تقدم الخلاف في اسمه فقيل اسمه المذهب وقيل حكيم وقيل عروة.

قبيلتا سهم. يعني: فمن نعم بنت كلاب هذه: قبيل سهم هذا الأسنى أي الأرفع.⁽¹⁾

مِنْ زُهْرَةَ عَبْدِ مَنَافٍ حَارِثُ وَمِنْ أَبِي كَبْشَةَ كُلُّ حَارِثُ

يقول ولد زهرة عبد مناف والحارث وكلاهما حارث بنيه من أبي كبشة، وذلك أن عبد مناف بن زهرة تزوج قيلة بنت أبي كبشة، واسمه وَجْزُ بن غالب من خزاعة وكان سيدهم؛ ولذلك لم تُرَدِّ قريش سَبَّ النبي ﷺ بتسميته به، ولكن أرادوا تشبيهه به لما خالف دينهم، لأن أبا كبشة خالف العرب بعبادة الشعري العبور؛ قال: لا أرى شيئا في السماء - لا شمسا ولا قمرا ولا نجما - يقطع السماء عرضا إلا الشعري، فعبدها وخالف بذلك قومه فشبهت قريش به النبي ﷺ؛ وكانت العرب تقول: لا يخالف أحد إلا لِعِرْقٍ نَزَعِه. فولدت قيلة لعبد مناف وهبا وأهيبا وقيسا وأبا قيس، وهو راكب البريد، ثم مات عنها فخلف عليها الحارث فولدت له عبدا وعبد الله. وهذا يخالف ما في غير الزبيري من أن وهبا أمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال⁽²⁾ بن فالج بن ذكوان من سليم، وهي من العواتك التي

(1) وكان زهرة أسن من قصي، وبدأ الناظم ببني زهرة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم على عمود النسب كما هو صنيعه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

(2) والذي مشى عليه الناظم حيث قال: عواتك النبي أم وهب.. إلخ، هذا وقد ذكر الزرقاني في شرحه على المواهب أن ما جرى عليه عرف المؤلفين من المشي على أحد القولين مرة وعلى الآخر مرة من غير تنبيه عليه، لا يسمى تناقضا.

افتخر بها صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال: «أنا ابن العواتك من سليم»⁽¹⁾، وتقدم الكلام عليهن.

لِصُلْبِهِ أَيْضًا سَوَادُ الْكَاهِنَةِ تَكَهَّنَتْ بِالْمُصْطَفَى لَأَمِنَهُ
أَرَادَ وَأَدَهَا فَعَاقَ الدَّافِنَةَ صَوْتُ حَمَاهَا أَنْ تَكُونَ حَائِنَةً

ومن ولد زهرة أيضا لصلبه - أي بلا واسطة بينهما - بنته سواد بنت زهرة وكانت كاهنة. ومن كهانتها أنها قالت يوما لقومها: اعرضوا علي جواريتكم أنظر فيهن؛ فعرضوهن عليها، فنظرت إلى آمنة وصعدت فيها النظر وصوبته ثم قالت: ستلد هذه الجارية نبيا من شأنه كذا وكذا.

قوله: أراد وأدها: يعني أن زهرة لما ولدت بنته هذه أراد وأدها فأمر به النساء، فعاق، أي صرف، التي تريد دفنها صوت ناداها: لا تفعلي، فإن لها لشأنا⁽²⁾، فحماها: أي منعها ذلك الصوت أن تكون حائنة: أي هالكة. وهي جدة أبي هب لأمه؛ هي أم هند بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم،

(1) رواه الطبراني: 301/7.

(2) ذكر السهيلي في قصة سواد بن قارب خبر سواد بنت زهرة بن كلاب، قال: لما ولدت له رآها أبوها ورقاء أمر بوأدها وأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفًا يقول: لا تدفن الصبية وخلها بالبرية، فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف، فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع فتركها فكانت كاهنة قريش. قالت يوما: يا بني زهرة إن فيكم نذيرة تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم، فعرضن عليها فقالت: في كل واحدة منهن قولا ظهر عليها بعد حين.. حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب، فقالت: هذه النذيرة وستلد نذيرا.

وهند أمُّ لُبْنَى بنتِ هاجر الخزاعية أم أبي لهب.

عَبْدُ مَنَافٍ مِّنْهُ الْأَسْوَدُ الْأَبِيُّ خَالُ النَّبِيِّ مِنْ كِبَارِ الصُّحُبِ

الأسود بن وهب، أخو آمنة، ذكره صاحب الإصابة⁽¹⁾ وذكر أن حديثه: «في الربا سبعون حوبا»⁽²⁾، وذكر له أيضا في الإصابة ابنا اسمه وهب. ولم يشتهر في غير الإصابة، ولذلك أنكره بعض أهل العلم قال: لو كان للنبي ﷺ خال صحابي لاشتهر فوق هذا.

قلت: ولا حجة في هذا، وإنما الحجة في نفيه بمخالفة نص أو تاريخ أو قاعدة.. والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَالْأَسْوَدُ ابْنُ خَالِهِ عَبْدٍ يَغُوثُ أَبِي النَّبِيِّ جَبْرِئِيلُ أَنْ يَغُوثُ فَدَقَّ صُلْبَهُ وَكَانَ اسْتَهْزَأَ وَقِيلَ بِالسَّمُومِ الْأَسْوَدُ انْفَأَى

(1) وقال إنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا خال ادخل فدخل عليه فبسط له رداءه وقال: «ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيرا يعلمهن إياه ثم لا ينسه أبدا»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضائي»، وعنه أيضا انه قال له: «ألا أنبئك بشيء عسى الله أن ينفعك به»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «إن الربا أبواب الباب منه عدل سبعين حوبا أدناها فجرة كاضطجاع الرجل مع أمه وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه بغير حق».

(2) رواه ابن ماجه وذكره في الزوائد وهو ضعيف.

وَقَدْ تَبَنَّى الْأَسْوَدُ الْمَقْدَادَا وَلَبِنِي بِهِمْ رَأً عَنْهُ حَادَا

وأما الأسود ابن خال النبي ﷺ عبد يغوث بن وهب، فقد اشتهر بالكفر لأنه من المستهزئين بالنبي ﷺ⁽¹⁾، واشتهر ابنه عبد الرحمن بالصحة والصلاح والعز في قريش، وكانت عائشة لا ترده في شفاعة لمكانته عندها، وشفّعتة في ابن الزبير حين حلفت لا تكلمه وضافت الأرض بابن الزبير وخضع لها كل الخضوع واستشفع إليها بني هاشم.. حتى استشفع لها بعبد الرحمن والمسور بن مخرمة، وكانت عائشة تكرم بني زهرة لخؤولة النبي ﷺ. وعبد الرحمن ممن ذكره أبو موسى وعمرو بن العاص في الحكومة أن يولوه ويخلعوا عليا ومعاوية.

وأشار الناظم إلى سبب موت الأسود بقوله: أبا النبي.. إلى آخره. كان الأسود من المستهزئين فحنى جبريل ظهره والنبي ﷺ ينظر، فقال: «يا جبريلُ خالي خالي»! فقال: دعه عنك، فدق صلبه: أي كسر ظهره. قوله: وقيل بالسّموم.. إلى آخره: روي أن سبب موته أنه خرج في حاجة له فأصابته السّموم - وهي الريح الحارّة - حتى غيرت لونه، فأتى أهله فلم يعرفوه لتغيره بتلك الريح، فلم يزلّ يستسقيهم وهم لا يعرفونه ولا يفهمون ما يُريد حتى انقأ: أي انصدع، أي مات؛ وذلك قول البوصيري:

(1) الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الآية - [الحجر: 95].

ودهى الأسود بن عبد يغوث أن سقاه كأس الردى استسقاء

المقداد بن عمرو

قوله: وقد تبنى الأسود المقدادا: يعني المقداد بن عمرو البهراوي؛ كان حليف بني زهرة في الجاهلية وتبناه الأسود هذا حتى كان يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾⁽¹⁾ فقال: اسم أبي: عمرو فانسبوني إليه. ونزل به وفد بني بهراء بالمدينة، فأضافهم وأتحفهم أول يوم بمائدة حيس أصابوا منها ما أصابوا وأسأروا ما أسأروا، فبعث المقداد سؤرههم إلى رسول الله ﷺ مع سدرّة، مولاة ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب - وكانت ضباعة تحت المقداد - فقال ﷺ: «أهناك أبو معبد يا سدرّة؟» يعني المقداد، وهي كنية من غير ابن - وكان لا يولد له - فقالت: نعم. فأكل صلى الله عليه وسلم مع إحدى نسائه من المائدة، فارتفع الطعام في المائدة فقال: «احملي يا سدرّة إلى أبي معبد»، فأكل المقداد وضباعة ولم ينقصاها شيئا، ففطن المقداد للبركة التي نزلت في الطعام بأكل النبي ﷺ، فأمسك المائدة وصار كل يوم يبعث بها إلى ضيفانه، وفد بني بهراء، فيشبعون منها فتعود كما كانت.. إلى أن ارتحلوا عنه، فقالوا له: يا مقداد كنا نسمع عن بلدكم قلة الطعام وقلة الزرع وأنت تأتينا كل يوم بهذه المائدة من الحيس! فأخبرهم خبر المائدة وأكل النبي ﷺ منها، فتعجبوا

(1) الأحزاب: 5.

وازدادوا إيماناً.

شهد المقداد بدرا وما بعدها وحروب القادسية وفتح مصر، وهو الذي يقرأ على الصحابة إذا تهيأوا للقتال في الفتوحات سورة الفتح⁽¹⁾. ومات في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان ودفن بالمدينة. وقولي: "لا يولد له" وجدنا ذلك في عدة كتب وسمعناه من أهل العلم.

وَمِنْهُ وَهْبٌ وَأُهَيْبٌ وَالِدَا آمِنَةٍ وَهَالَةٍ وَسُودَا

أي ومن عبد مناف بن زهرة: وهب وأهيب ابنا عبد مناف، وهما والدا آمنة أم رسول الله ﷺ وهالة أم حمزة رضي الله عنه. أما وهب فساد بآمنة، وأما أهيب فساد بهالة؛ تزوجها عبد المطلب يوم زوّج عبد الله

(1) وقد أسلم المقداد هذا قديماً، وكان من أول من أظهر إسلامه وهاجر الهجرتين، وكان من أكابر الصحابة ومن خيارهم وفضلائهم ونجبائهم وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم» ف قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «علي والمقداد وسلمان وأبو ذر». وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فقال: «أوَّاب» فنظروا فإذا هو المقداد بن عمرو. وكان له بيدر المشهد المحمود؛ فعن ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يذكر المشركين فقال: "يا رسول الله إنا والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾» - [المائدة: 24] ولكننا نقاتل بين يديك وعن يمينك وعن شمالك"، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه.

آمنة، فحملت بحمزة أوان حمل آمنة بالنبي ﷺ، وكان حمزة تُرب النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالته وعمُّه ورَضِيعَه - أرضعتها حليمة أو ثوية - وصاحبَه ونَقِيبَه ووزيرَه؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لم يكن نبي قط إلا أعطي سبعة رفقاء ووزراء ونجباء وأعطيت أربعة عشر...» وذكرهم⁽¹⁾، ونظمتهم بقولي:

لـكـل وـاحـد مـن الرـسـل يُـرى	سـبـعـة رـهـط رُفـقا ووزـرا
ولـرسـولـنا العـظـيم القـدـر	أربـعـة عـشـر شـمـوسُ الظـهر
عـلي، حـمـزة، أبو بـكر، عـمر	والـحـسـنـان، جـعـفـرٌ بـدرُ الزـمـر
سـلـمـان، مـقـدـاد، أبو ذر، بـلال،	حـذـيف، عـمار، ابـنُ مـسـعود الجـبال ⁽²⁾

وَأُمُّ أُمِّ الْمُصْطَفَى إِذْ تُعْزَى
بِرَّةُ بِنْتِ الْقَرَمِ عَبْدُ الْعُزَّى
سَلِيلِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ
أُخْتُ أَبِي طَلْحَةَ ذِي الْفَخَارِ
وَأُمُّهَا أُمُّ حَبِيبٍ تُعْزَى
لَأَسَدِ سَلِيلِ عَبْدِ الْعُزَّى
وَأُمُّ ذِي بَرَّةٍ بِنْتُ عَوْفٍ
ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُوَيْجِ الصَّرْفِ

وأم برة بنت عوف: أميمة بنت مالك بن غنم من بني لحيان ابن هذيل،
وأم أميمة هذه قلابة بنت أبي قلابة - واسمه الحارث - بن صعصعة بن

(1) الترمذي وأحمد.

(2) ولما ذكر الناظم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في محل ذكرها من بني زهرة،
استطرد ذكر ثلاث من أمهاتها، فقال رحمه الله وعفا عنه:

طابخة بن لحيان بن هذيل⁽¹⁾. وأبو قلابة من أقدم من قال الشعر، وهو
القائل:

إن الرشاد وإن الغي في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمن وإن أصبحت في حرم إن المنايا بجني كل إنسان

ومنه سعد بن أبي وقاص أوصاه عتبة أخوه القاصي
أن يأخذ ابن أمة لزمعه والد سودة ورأم منعه
عبد بن زمعة وحكما النبي فقال يا سودة عنه احتجبي
فاحتجبت لشبهه بمن دعاه وظاهر الشرع لزمعة نماه

أي ومن عبد مناف سيدنا سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك
بن أهيب بن عبد مناف.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وسعد من نفر الذين أسلموا على يد أبي بكر، أي بعد خديجة وأبي
بكر وزيد بن حارثة وعلي؛ ونظمهم الشيخ⁽²⁾، وهم: عثمان وطلحة

(1) وأم قلابة هذه دبة بنت الحارث بن تميم، وأم دبة هذه لبنى بنت الحارث بن النمر بن جرأة
بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.
(2) يعني أحمد البدوي رحمه الله، ونظمه لهم هو قوله:

أول الناس بالنبي اقتداءً أم أبناؤه الكرام الجدود
فعلي ثم ابن حارثة الكل جي زائد مولى النبي المجيد

والزبير وسعد وابن عوف. ولما شكوا أهل الكوفة سعدًا إلى عثمان وقالوا فيه إنه لا يسري بالسرية ولا يُعطي بالسوية، وقال فيه عمرو بن سعدانة الأسدي: إنه لا يحسن الصلاة، قال: أما أنا فأركد في الأولين وأخف في الآخرين - فقل: تلك صلاة رسول الله ﷺ - وقال: قد أراني ثالثًا ثلاثة في الإسلام، وكنت في الشعب مع النبي ﷺ، وبينما أنا ذات ليلة أمشي إذ وطئت على شيء فأخذته فإذا هو رطب فابتلعت، ووالله ما أدري ما هو إلى الآن من شدة ما لقيت من الجوع! وجلست ليلة أبول فسمعت صلصلة تحت البول فاستخرجت من تحت البول شيئًا يابسًا من جلد بعير فغسلته وطحنته واقتت به ثلاثًا؛ وكنت أول من رمى بسهم في سبيل الله، وفداني رسول الله ﷺ بأبيه وأمه⁽¹⁾ ولم يقلها لأحد غيري؛ ثم أصبحت بنو أسد تعيرني في الدين! - يعني قول ابن سعدانة - ثم قال: اللهم إن كان كاذبًا فأطل عمره وأدم فقره وأكثر عياله وعرضه للفتن؛ فكان كذلك، وكان يغمز الجواري في الطريق وهو شيخ فيقلن: من هذا؟! فيقول: شيخ أصابته دعوة سعد. وكان النبي ﷺ قال في سعد: «اللهم سد رميته وأجب دعوته»⁽²⁾، فكان مجاب الدعوة.

--- >>

ثم إذ آمن العتيق دعا لنا

س فجاءت عصابة كالفريد

وهي عثمان والزبير وسعد

وابن عوف وطلحة بن عبيد

أي ابن عبيد الله التيمي.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذي وأحمد.

شهد بدرا وجميع المشاهد بعدها. وهو أحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقال عمر لأهل الشورى: إن أصابت الإمارة سعدا فذاك وإن أصابت غيره فليستعن به من أصابت، فإنني ما عزلته عن ضعف ولا خيانة؛ وكان عمر قد ولاه على فارس وقال له: لا يغرنك أنك صاحب رسول الله ﷺ وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففتح الله على يديه القادسية، واعتزل حروب الفتنة ولزم بيته وقال لأهله: لا تخبروني بشيء من أمر الناس حتى يصطلحوا على إمام. ثم مات بالعقيق، على عشرة أميال من المدينة وحمل إليها على رقاب الرجال ودفن بالبقيع وصلى عليه مروان في ولايته على المدينة وذلك سنة خمس وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة وقيل ثلاث وثمانين. ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة من صوف وقال: كفنوني في هذه فإنني لقيت بها المشركين يوم بدر؛ وهذا مدرك⁽¹⁾: "وكفن بملبوسه لجمعة".

ولو تتبعنا ما اتصل إلينا من أوصاف سعد الحميدة لأفرغنا الدوايات وأفنينا الآلات، وأولى ما لم نسمع به.

والقاصي: البعيد، يقال له⁽²⁾ ذلك لأنه قبل الهجرة أصاب دماء في قريش فأقصاه ذلك إلى المدينة، ثم رجع إلى مكة وغزا مع قريش في أحد وفعل ما

(1) ما ذكره خليل بن إسحاق في مختصره بقوله: "وكفن.. إلخ.. أي وكفن الميت بملبوسه لجمعة، ندبا، رجاء بركته؛ إن اتفق الورثة عليه ولا يقضى به إن تنازعوا.

(2) أي عتبة بن أبي وقاص.

فعل بالنبي ﷺ ثم أسلم على المشهور. وأوصى أخاه سعدا أن يأخذ ابن⁽¹⁾ وليدة لزمنة بن قيس بن عبد ود، فأراد سعد أخذه فمنعه عبد بن زمعة أخو أمنا سودة بنت زمعة، فتحاكما إلى النبي ﷺ، فقال سعد: هو ابن أخي وأوصاني أن أخذه، وقال عبد: أخي وولد على فراش أبي، فقال النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»⁽²⁾ ولكن يا سودة احتجي عنه»، لما يرى

(1) اسم هذا الابن عبد الرحمن، وكان تخاصمهما فيه عام الفتح.

(2) تقدم تخريجه. وقوله: للفراش أي لصاحب الفراش لا ينتفي عنه أبدا إلا باللعان، وقد قال العلماء: الحرة فراش بالعقد عليها مع إمكان الوطء وإمكان الحمل، والأمة إذا أقر بوطئها صارت فراشا أيضا إن لم يدع استبراء وحلف عليه. والمراد بالعاهر الزاني، ومعنى له الحجر أي الخيبة والحرمان ولا حظ له في الولد. وقوله: «احتجي عنه» قال البدر العيني: أشكل معناه قديما على العلماء؛ فذهب أكثر القائلين بأن الحرام لا يحرم الحلال وأن الزنى لا تأثير له في التحريم، وهو قول عبد الملك بن الماجشون إلا أن قوله كان ذلك منه على وجه الاختيار والتنزه، وأن للرجل أن يمنع امرأته من رؤية أخيها، هذا قول الشافعي؛ وقالت طائفة: كان ذلك منه لقطع الذريعة بعد حكمه بالظاهر فكأنه حكم بحكمين حكم ظاهر وهو «الولد للفراش» وحكم باطن وهو «الاحتجاب» من أجل الشبه، كأنه قال: ليس بأخ لك يا سودة إلا في حكم الله تعالى، فأمرها بالاحتجاب منه. وفي العيني أيضا فيما يستفاد من هذا الحديث: قال أبو عمر: والحكم للظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم حكم بالولد للفراش ولم يلتفت إلى الشبه، وكذلك حكم في اللعان بظاهر الحكم ولم يلتفت إلى ما جاءت به على النعت المكروه، وحكم الحاكم لا يحل الأمر الباطل، لأمره سودة بالاحتجاب - [اه منه: 168/11 - 169]. وهذا هو ما أشار إليه الشارح بقوله: وما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مدرك الجمع.. إلخ. والواقع الحقيقي أن التفريق بين الحقيقة والشرعية مجرد اصطلاح جرى عليه العلماء العارفون من الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح. ولكل فن من الفنون وعلم من العلوم اصطلاحات خاصة به لا يعلمها على الحقيقة إلا من درس ذلك العلم، وقد أخذوا أصل اصطلاحهم هذا من حديث جبريل

<<=

صلى الله عليه وسلم من شبهه بعتبة بن أبي وقاص. وما فعل رسول الله ﷺ هو مُدرك الجمع بين ظاهر الشريعة والحقيقة؛ راعى ظاهر الشريعة بإعطائه للفراش، ولا يصح نفي الأب ابنه من موطوءته - أمة كانت أو حرة - إلا بسبب، وراعى الحقيقة بأمره لسودة بالاحتجاب عن أخيها لولا شبهه بمدعيه؛ فكان أخاها بالشريعة وغير أخيها بالحقيقة. وإنما ناه، أي نسبه، لزمعة: كونه ولد على فراشه من وليدته.

أَسْلَمَ عُتْبَةُ عَلَى رَأْيٍ وَقَدْ صَحِبَ هَاشِمُ ابْنُهُ الْقَرْمُ الْأَسَدُ
بَزَّ جَلَوْلَاءَ وَفِي صِفِّينَ بِرَجْلِهِ ذَبَّ عَنِ الْمَكِينِ
وَشَهِدَ الْجَمَلَ وَالْيَرْمُوكَ فِيهِ أَعْمَتَ بَنُو الْأَصْفَرِ إِحْدَى مَقْلَتَيْهِ

عتبة هو ابن أبي وقاص. وقوله: على رأي: أورده بصيغة التمریض، وقدما أنه على المشهور، لأن بعض الكتب يجزم به كالإصابة والذبيري وغيرهما. وأما هاشم ابنه فهو من أكابر الصحابة. والقرم: السيد⁽¹⁾.

-- >>

المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقسيم الدين إلى ثلاثة أركان، وقد اصطلح العلماء على تسمية ركن الإسلام الذي هو الجانب العملي بالشريعة، وعلى ركن الإحسان وهو الجانب الروحي بالحقيقة، ولهذا كانوا يصفون العالم العامل والمؤمن الكامل بأنه: الجامع بين الشريعة والحقيقة. وفي قواعدهم المشهورة: كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة؛ وكيف تخالف الحقيقة الشريعة وهي إنما نتجت من تطبيقها؟. والله تعالى أعلم.

(1) والأسد: أي الشجاع، شبه بالحيوان المفترس في القوة والجرأة وهو تشبيه شائع. وبز: أي سلب وفتح.

وجلولاء: بلدة ببغداد، بزها: أي فتحها هاشم بن عتبة⁽¹⁾ بعد أن شهد القادسية، وأبلى فيها بلاء حسنا. ويسمى فتحُ جلولاء "فتح الفتوح": بلغت غنائمها ثمانية عشر ألفَ ألفٍ. ثم شهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنهما - وهذا كله بعد أن أبلى بلاءً حسنا في اليرموك وفقئت فيه إحدى عينيه - وقتل يوم صفين، وقطعت رجله يومئذ فجعل يقاتل وهو بارك ويقول:

الفحل يحمي شولـه معقولا

والمكين: يعني نفسه، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي ذب عنه، لأنه قاتل بها ورمى بها رجلاً فصرعه، ولم يزل يقاتل ويقول:

أعور يبغي أهله محلا قد عاج الحياة حتى ملأ
لا بد أن يُفْلَ أو يُفْلَأ

حتى قتل رحمه الله⁽²⁾.

وَأُمُّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُصَاصِ
مِنَ الْعَنَابِيسِ وَحِينَ أَسْلَمَا آلتُ عَنِ الْمَذَاقِ بِنْتُ الْعُظْمَا
أَوْ يَرْفُضُ الدِّينَ لَهَا فَاسْتَعْصَمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿فَلَا تَطْعُمَا﴾

(1) أي تحت القيادة العامة لسعد بن أبي وقاص.

(2) ولما ذكر عتبة بن أبي وقاص وابنه هاشما، وكان ذكره لهما أثناء ترجمة سعد بن أبي وقاص استطرادا، رجع إلى ذكر سعد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أم سعد: اسمها حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهي أيضا أم أخويه: عامر المهاجر للحبشة، وعمير الذي غزا بدرًا مع رسول الله ﷺ فأراد أن يرده فبكى فأجازه فاستشهد ببدر وهو ابن ثمان عشرة سنة. والمصاص: الخالص. والعنابس: بنو أمية غير الأعياص؛ وهم: حرب وأبو حرب وعمرو وأبو عمرو وسفيان وأبو سفيان.

يعني أن حمنة هذه لما أسلم سعد آلت، أي حلفت، لا تذوق ذواقا حتى يرفض لها سعد دين محمد - وأو: بمعنى حتى - فاستعصم سعد، أي امتنع مما أرادت منه، فأنزل الله القرآن موافقا لسعد وهو قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾. ويفهم من هذه الآية تعظيم شأن الوالدين لأنه تعالى إنما قال ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ولم يقل فجاهدهما ولا فاقتلهما بعد أن قدم الإيذاء بالإحسان، ثم قال: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾⁽²⁾ تأكيدًا للإيذاء بالإحسان؛ هذا في حق

(1) العنكبوت: 8.

(2) لقمان: 15. وذكر الشارح رحمه الله هنا خلطا بين آيتي العنكبوت ولقمان لأن قوله: ﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ من سورة العنكبوت، وقوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ من سورة لقمان. فقد قال عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الآية: 8)، وقال سبحانه في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي عَمَلَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

المشرك فكيف بالمسلم!. وحمنة إذ ذاك مشركة، ثم أسلمت فكانت صحابية.

عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ غَالَهُ الْمُخْتَارُ نَجَلُ أَبِي عُبَيْدٍ الْجَبَّارُ
أَنْ كَانَ أُغْرَى بِالْحُسَيْنِ ابْنِ زِيَادٍ وَأَبْنُ زِيَادٍ كَانَ أَغْرَاهُ وَزَادُ

غاله: قتله. والجبار: صفة للمختار. والحسين: هو السبط رضي الله عنه.

وابن زياد: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه.

يعني أن عمرو بن سعد بن أبي وقاص - وأمه من كندة - قتله المختار بن

أبي عبيد بن مسعود الثقفي، صاحب الجسر⁽¹⁾. وكان المختار ينتصر لآل

رسول الله ﷺ مع كفره؛ يدعي أمورا لا تكون إلا للأنبياء، منها أن

الملائكة تطاوعه في أمرهم به ويقاتلون معه⁽²⁾؛ وقال صلى الله عليه وسلم:

«يُخْرِجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَابٌ وَمُبِيرٌ»⁽³⁾، وقالت أسماء للحجاج: أما الكذاب

فالمختار بن أبي عبيد وأما المبير فلا أراه إلا أنت.

وكان أبو عبيد صحابيا وكان من الصالحين واستشهد يوم جسرته؛

برك عليه الفيل فقتله، بعد أن أوجع في المشركين. ولكن ابنه المختار يذكر

-->>

وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(14-15).

(1) قوله صاحب الجسر: هو بالجر صفة لأبي عبيد بن مسعود.

(2) روي أن عليا رضي الله عنه قال فيه: قاتله الله لو شق عن قلبه الآن لوجد ملآن من حب

اللات والعزى.

(3) رواه مسلم والترمذي.

بالكفر والسحر، مع دعواه حب آل رسول الله ﷺ وانتصاره لهم.
ثم غزاه مُصعب بن الزبير لكفره فقتله. وهو من الذين خالفوا آباءهم
كعمرو بن سعد هذا وعمرو بن سعيد بن العاص وعمرو بن الزبير.
وإغراء عمرو بن سعد لابن زياد أن الحسين رضي الله عنه وعده أهل
الكوفة بالبيعة، فسار إليهم في ثلاثين من أهل البيت؛ فلما قرب منهم تثبط
وبعث إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ له البيعة عليهم.
فقدم عليهم ابن زياد متلثما متنكرا فكلما مر بناد وسلم عليه يقولون:
وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، فصعد المنبر
وبايعوه؛ فحسر لثامه فإذا هو ابن زياد، فاستمرؤا على بيعته ليزيد بن
معاوية. واختفى مسلم بن عقيل فذلَّ عليه ابن زياد فقدمه للقتل، فنظر
مسلم إلى عمرو بن سعد فسأره وقال له: ليس في القوم قرشي غيرك
فاذهب إلى الحسين بمكان كذا، في ثلاثين من أهل البيت، فاخبره الخبر.
فلما قتل مسلم قال عمرو بن سعد لابن زياد: أتدري ما سارني به؟ قال:
اكنم على ابن عمك، قال: الأمر أجل من ذلك، فأخبره؛ فقال له ابن
زياد: أما إن لم تكتم عليه فلا يتولى قتال ابن عمك غيرك.. فبعثه على
جيش الشقاوة الذي قتل الحسين وأصحابه؛ منهم علي الأكبر بن الحسين
والعباس أبو قربة وعبد الله وعثمان وجعفر بنو علي، وأمهم من بني
كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة⁽¹⁾.

(1) انظر تفاصيل ذلك في تكملة هذا الشرح: (رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود
النسب: 101/1) عند قول الناظم: واستشهدت من آل خير مرسل... الخ.

قوله: وزاد: أي زاده على الإغراء، بأن وعده أن يوليّه على الرّبي⁽¹⁾.

رِيئْتُ بَدِيرٍ أَرُؤُسُ: رَأْسُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْلِ زِيَادِ اللَّعِينِ
وَرَأْسُ ذَا بَيْنَ يَدَيَّ مُنْتَصِرٍ . مَعَ كُفْرِهِ . لَّالِ خَيْرِ مُضِرٍ
وَرَأْسُ هَذَا السَّاحِرِ الْمَرِيدِ وَهُوَ الْكَذُوبُ ابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ
بَيْنَ يَدَيَّ مُصْعَبِ النَّدْبِ الْأَغْرَ وَرَأْسُ ذَا بَيْنَ يَدَيَّ رَشْحِ الْحَجَرِ
فَاسْتَشَامَ الدَّيْرَ وَهَدَّهَ الْمَلِكُ خَوْفًا مِّنْ أَنْ يَكُونَ خَامِسًا نُهُكُ

يشير إلى أن عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير كان جالسا بدير بالكوفة فأتي برأس مصعب فأثاه - رجل لم يسم - فقال له: يا أمير المؤمنين رأيت بهذا الدير رأس الحسين بين يدي ابن زياد في إمارة يزيد بن معاوية، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد، ثم رأيت رأس ابن أبي عبيد بين يدي مصعب، ورأيت رأس مصعب بين يديك! فالتفت إليه وقال له: لا أراك الله خامسا، وأمر بهدم الدير من أصله خوف أن يرى رأسه فيه بين يدي أحد من بعده.

وقوله: نُهَكُ أي غُلِبَ، أي غلبه سلطان آخر. واللعين: المبعد من رحمة الله، أو من يلعنه الناس، وصف به نجل زياد لقتله الحسين رضي الله عنه. والندب: الظريف. والأغر: السخي الكريم. ورشح الحجر: عبد الملك، سمي

(1) ولما ذكر عمرو بن سعد والمختار بن أبي عبيد وعبيد الله بن زياد، استطرد حكاية تناسب المقام الذي ذكروا فيه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

به لُبخله؛ على أنه يُعطي قليلا إعطاءً مثل رشح الحجر⁽¹⁾.

تنبيه الذي أتى عبد الملك برأس مُصعب: عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي من بني تيم الله بن ثعلبة⁽²⁾، ولما وضعه بين يديه خر ساجدا شكرا لله، وكان عبيد الله يقول: ما ندمت على شيء أكبر من ندامتي على أنني حين سجد عبد الملك لم أقتله فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد؛ وفي ذلك يقول:

وألحقت من قد خر شكرا بصاحبه

وَهَكَذَا مَخْرَمَةٌ بَنُ نَوْفَلٍ وَإِذْ إِلَى الْمِسُورِ نَجْلُهُ الْعَلِي

(1) ولقد أحسن الناظم - كعادته - في العبارة حيث وصف كلا من الأربعة بأوصاف مناسبة له ووصف المختار بن أبي عبيد بالكفر والسحر والتمرد والكذب، رغم انتصاره لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي قد قدم من الطائف لما ندب عمر الناس إلى العراق فخرج فاستشهد بالجسر، وبقي ابنه المختار المذكور هنا بالمدينة منقطعا إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بالعراق، وسكن البصرة بعد علي. وكان في أول أمره خارجيا ثم صار زيدا ثم صار رافضيا. وكان يدعي حب أهل البيت ويسر طلب الدنيا فيأتي بالكذب والجنون، وكان يتظاهر بالخير والفضل يرائي بذلك كله ويكتم الفسق، إلى أن ظهر منه ما كان يضمّر. وقد شهد عليه جماعة من أهل البيت وغيرهم بدعوى النبوة والكذب الصريح وأدّعاء أن جبريل يأتيه وأن الملائكة تقاتل معه، وكان قد طلب الإمارة وتغلب على الكوفة ومكث في الإمارة ستة عشر شهرا، وكان يتظاهر بطلب دم الحسين فاجتمع عليه بشر كثير من الشيعة، وطلب قتلته حتى قتلهم وأبلى في ذلك بلاء حسنا أحبه لأجله كثير من المسلمين، ثم سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة، وكان واليا عليها من قبل أخيه عبد الله، فظفر به فقتله. ولما انتهى خبر المختار بن أبي عبيد، سار عبد الملك بن مروان بجيوش الشام إلى مصعب بن الزبير فقتله واستولى على البصرة والكوفة.

(2) ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

أَرْسَلَ يَخْطُبُ الْمُثَنَّى رَدَّهُ إِذْ بِنْتُ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عِنْدَهُ

وهكذا: إشارة إلى قوله: ومنه سعد بن أبي وقاص؛ أي ومن بني عبد مناف بن زهرة مخزومة بن نوفل بن أhib بن عبد مناف بن زهرة، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً وكان من المؤلفة قلوبهم بخمسين بعيراً. وكان من أكابر قريش وعلمائهم بالأنساب، وممن بعثهم عمرٌ يحدّون الحرم وينصبون فيه أنصابه⁽¹⁾، وممن عاش في الجاهلية ستينَ وفي الإسلام ستينَ؛ وابنه المسورُ كان من أفاضل الصحابة؛ أمه عاتكة بنت عوف، أختُ عبد الرحمن بن عوف لأبيه وأمه⁽²⁾؛ أسلمت وهاجرت. وكان المسور ممن يلزم عمر بن الخطاب يحفظ عنه، وكان ذا مكانة عند عائشةَ ومن أهل الفضل والدين، ولم يزل مع خاله عبد الرحمن، مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى، حتى خلع عبدُ الرحمن نفسه.

قوله: وإذ إلى المسور: يعني أنه خطب عنده الحسن المثنى إحدى بناته فرده اتقاءً لما تكره فاطمة بنت الحسين لأنها حينئذ تحت الحسن المثنى⁽³⁾.

(1) وهم مخزومة هذا وسعيد بن يربوع وأزهر بن عبد عوف، عم عبد الرحمن بن عوف، والرابع حويطب بن عبد العزى. وعن ابن عباس: أن الله تعالى أرى إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم فنصبها، ثم جددها إسماعيل، ثم جددها قصي، ثم جددها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعث عمر الأربعة المذكورين فجددوها - [سموط الذهب].

(2) كذا في الإصابة ولم يذكر غيره، وصدر ابن عبد البر بأن أمه الشفاء بنت عوف، قال: ويقال بل عاتكة بنت عوف.

(3) قيل لما خطب إليه الحسن المثنى بنته قال له: والله ما من نسب ولا صهر أحبُّ إليَّ من

وخطب يوماً عَلِيٌّ عَلَى المنبر فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْحَسَنَ يَخْطُبُ عِنْدَكُمْ وَلِيَّاتِكُمْ، أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَسَنَ مُطْلَاقٌ، فَقَالَ الْمَسُورُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَوْ أَرَادَ هُنَّ الْحَسَنَ لِلْوَأْدِ مَا رَدَدْنَاهُ، فَسَرَّ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ.

وَكَانَ الْمَسُورُ بِالْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى مُعَاوِيَةَ فَكَرِهَ بَيْعَةَ يَزِيدَ فَانْحَازَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى حِصَارِ ابْنِ نُمَيْرٍ؛ فَأَصَابَهُ حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ الْمُنَجْنِيقِ الَّذِي رَمَى بِهِ الْحَصِينُ الْكَعْبَةَ فَقَتَلَهُ⁽¹⁾.

قَوْلُهُ: إِلَى الْمَسُورِ مُتَعَلِّقٌ بِأَرْسَلِ، وَضَمِيرُ النَّصْبِ فِي رَدِّهِ يَعُودُ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَسُورِ⁽²⁾.

وَبِنْتُ عَوْفٍ أُمُّهُ الشِّفَاءُ قَابِلَةٌ فِي قَوْلِهَا شِفَاءُ

تَبَعَ فِي بَيْتِهِ هَذَا غَلَطَ بَعْضُ الْكُتُبِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ قَابِلَةَ النَّبِيِّ ﷺ

--- >>

نَسَبَكُمْ وَصَهَرَكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَغِيظُنِي مَا يَغِيظُهَا وَيَسْطِنِي مَا يَسْطِنُهَا»، وَعِنْدَكَ ابْتِهَا وَلَوْ زَوْجَتُكَ لَغَاظَهَا ذَلِكَ. قَالَ الْحَبَّ الطَّبْرِي: فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ الْمَيْتَ يَرَاعِي فِيهِ مَا يَرَاعِي فِي الْحَيِّ.

(1) وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَبُو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَسُورِ، شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مَقْلٌ. يَحْكِي أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ذَكَرَ امْرَأَتَهُ صَالِحَةَ بِنْتَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ الزَّبِيرِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لَهَا، فَضَرَبَ وَجْهَهُ رَوَاحِلَهُ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَنشَدَ:

بينما نحن من "بلاكث" بالقا ع والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذك راك وهنأ فما استطعت مضيا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحاديين حثا المطيا

(2) ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ ذَكَرَ أُمَّ الْمَسُورِ وَأُمَّ أَبِيهِ مَخْرُومَةً، وَبَدَأَ بِأُمِّ الْمَسُورِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أختُ عبد الرحمن بن عوف؛ وذلك لا يصحُّ لأنها إذا لم تكن أصغر من النبي ﷺ كانت معاصرةً له، ولا يصح أن تكون أسنَّ منه بما يمكن به أن تكون قابلة له؛ فجرَّهم ذلك الغلط إلى نسبتها لعوف؛ وليس عوفها بعوف عبد الرحمن وإنما هو عمُّ أبيه؛ فعبدُ الرحمن هو ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث، وهي الشَّفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث، بنت عم أبيه، وأيضاً هي التي يصح أن تكون قابلةً للنبي ﷺ. وأما أم المسور فاسمُها عاتكة بنت عوف كما قدمنا، وقيل الشفاء كما في النظم.

وَأُمُّ مَخْرَمَةَ الْعَلِيِّ رُقَيْقَةُ بِنْتُ أَبِي صَيْفِيٍّ
وَهِيَ الَّتِي رَأَتْ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ رُؤْيَا بِهَا الْجَدْبُ عَنِ النَّاسِ سُلْبُ

رُقَيْقَةُ (بقافين وبصيغة التصغير): بنت أبي صيفي بن هاشم، بنت أخي عبد المطلب. وهذه الرؤيا مشهورة في الكتب، حتى أجاب بعض العلماء عنها من سأله عن قول أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

كيف قال هذا أبو طالب واستسقاءات النبي ﷺ كلها بالمدينة بعد موت أبي طالب وبعد الهجرة، التي بعد موته بثلاث سنين أو أكثر على قول؟ فقال المسؤول: يعني أن أهل مكة أقحطوا فرأت رقيقة بنت أبي صيفي في المنام قائلاً يقول: ألا هلموا للحيا والخصب، فقام إليه الناس؛ قالوا: وما تقول؟ قال: "فليقم رجل طوال فضفاض له شرف يكظم عليه⁽¹⁾ ألا

(1) فضفاض: أي واسع الصدر. ويكظم عليه: أي لا يديه ولا يظهره.

فليعتضد ابن ابنه وليمسّ من الطيب وليطُف بالبيت وليخرج إلى أبي قبيس
وليأت مع البطحاء وهو يدعو والناس يؤمنون على دعائه". فكل من
قَصَّت عليه رؤياها يقول: هذا شِيبَةُ الحمد. فخرج شِيبَةُ معتضدا النبي ﷺ،
وهو غلام، ففعل ما في الرؤيا؛ فما أتموا أمرهم حتى مُطِرُوا مطرا عجيبا،
فقالوا في ذلك:

بشِيبَةِ الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر⁽¹⁾

وذلك الذي يعني أبو طالب.

هَذَا انْتَهَى عَبْدُ مَنْفٍ الَّذِي يَبْأَى بِأَنَّ مِنْهُ أَحْمَدَ احْتَذِي

يَبْأَى: يفتخر، قال جعدة بن هُبيرة:

ومن ذا الذي يَبْأَى علي بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل

واحتذي: قُطِع، أي خرج منه. يعني أن عبد مناف بن زهرة، أي القبيل،
يفتخر - وحق له - بأن أحمد ﷺ خرج منهم؛ لأن آمنة: بنت وهب ابن
عبد مناف⁽²⁾.

وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ عَبْدُ عَوْفٍ جَدُّ ابْنِ عَوْفٍ الْأَمِينِ الصَّرْفِ
وَمِنْ بَنِيهِ السَّادَةِ: الصَّفِيُّ سَلَمَةُ وَمُصْعَبُ الْأَبِيِّ

(1) الاجلواذ: ذهاب المطر.

(2) ولما أنهى الكلام على البطن الأول من بني زهرة، وهو بنو عبد مناف، أخذ يتكلم على
البطن الثاني منه وهو بنو الحارث بن زهرة، فقال رحمه الله وعفا عنه:

فَرَّ إِلَى أَبِي خَبِيبٍ بِالْحَرَمِ إِذِ اللَّطِيمُ بِالْمَدِينَةِ أَلَمَ
 وَرَامَ مِنْهُ أَنْ يَهْدَ دُورًا آلِ النَّبِيِّ فَأَبَى الْمُحْظُورًا
 وَمَاتَ فِي حِصَارِهِ وَكَانَا يَثِبُ وَثْبًا لَمْ يَكُنْ يُدَانِي
 أَوْصَى ابْنُ عَوْفٍ الْعَظِيمُ الْقَدْرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْ أَهْلِ بَدْرٍ
 . وَهُمْ زُهَاءُ مَائَةٍ . بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَمَالُ الْأَلْمَعِي
 لِكَثْرَةِ أَيْدِي الرِّجَالِ مَجِلَتْ فِي قَلْعِهِ وَبِالْفُؤُوسِ عَمِلَتْ
 أَوْصَى بِالْأَلْفِ فَرَسٍ تَصَدَّقَا وَضِعْفَ ذَا .. وَبِنَوَاةٍ أَصْدَقَا
 لِفَقْرِهِ عِنْدَ نَزُولِ يَثْرِبِ وَخَلْفَهُ لِفَضْلِهِ صَلَّى النَّبِيُّ
 وَتَحْتَهُ غَزَالِ بِنْتِ كِسْرَى وَذَاتُ نَعَشٍ حَجَبُوهُ سَتْرًا
 لِّشَحْمِهَا وَقَدْ تَأَذَّى عُمَرُ بِهِ ، وَمِنْ هُنَا النِّسَاءُ تُسْتَرُ
 وَحَمْنَةٌ وَأُمُّ كَلْثُومٍ نَزَلْ أَنْ لَا تُعَادَ لِقُرَيْشٍ وَقَفَلْ
 عَنْهَا الْوَلِيدُ وَعُمَارَةُ فَمَا بِهَا إِلَيْهِمْ رَجَعَا إِذْ قَدِمَا

أي ومن بني الحارث بن زهرة: عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة،
 وهو جد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف؛ كان اسمه عبد عمرو فسماه
 النبي ﷺ عبد الرحمن⁽¹⁾.

(1) ذكره ابن سعد والزييري وغيرهما.

ترجمة عبد الرحمن بن عوف

أسلم قديماً على يد أبي بكر مع الرهط الذين دعاهم أبو بكر إلى الإسلام فأجابوا. ووصفه بالأمين لقول النبي ﷺ: «عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض»⁽¹⁾. والصِّرف (بالكسر): الخالص؛ لأنه خالص النسب من الهجنة، وخالص الإيمان من النفاق، وخالص الأعمال من الرياء.. ومن كل ما يذم. شهد بدرا وجرح فيها في رجله، وكان يعرجُ منها، ثم شهد أحدا وجرح فيها إحدى وعشرين جراحة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه إلى كَلْبِ بدومة الجندل، وعممه زيد بن حارثة فحلها رسول الله ﷺ وعممه بيده، وأسدلَ منها ذراعا بين كتفيه وقال له: «سر باسم الله إن فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم»⁽²⁾؛ فأسلم الحي وتزوج عبد الرحمن ابنة ملكهم تماضر بنت أصْبَغ - وهي أول كلبية تزوجت في قريش في الإسلام - فولدت له سلمة بن عبد الرحمن، الذي ذكره بقوله: ومن بنيه السادة.. إلى آخره. والسادة: جمع سيد وهي صفة لبنيه. والصفى: مبتدأ خبره: من بنيه، وسلمة بدل منه؛ ويقال له أبو سلمة وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، على قول - بدل أبي بكر بن عبد الرحمن - قال زين الدين العراقي⁽³⁾:

(1) أخرجه الحاكم ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب.

(2) ذكره في زاد المعاد وذكره ابن سعد، ورواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

(3) في ألفيته: وفي الكبار الفقهاء السبعة خارجة، القاسم ثم عروة

ثم سليمان، عبيد الله سعيد والسابع... إلخ.

... والسابع ذو اشتباه

إما أبو سلمة أو سالم أو فأبو بكر خلاف قائم

(يعني⁽¹⁾ أنه اختلف في سابع الفقهاء هل هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أو سالم بن عبد الله بن عمر أو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المنخزومي⁽²⁾).

ثم خلف على تماضر بعد عبد الرحمن: خالد بن عقبة بن أبي معيط فولدت له.

والأبي: الذي يأبى الضيم ويقال: آبي الضيم من أبة؛ قال الشاعر:

رئمت لسلمي بؤ ضيم وإنني قديما لآبي الضيم وابن أبة⁽³⁾

(1) أن ممن يُعدُّ من كبار التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وهم: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وعروة بن الزبير الأسدي وسليمان بن يسار الهلالي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن المسيب، وأنه اختلف.. إلخ.

(2) وقوله: "خلاف قائم": أي قديم، أي قوي، وذكر بعضهم أن عددهم اثني عشر فقيها؛ فزاد في المذكورين ونقص.

(3) وفي المثل: "رئمت له بؤ ضيم" قال في مجمع الأمثال: البؤ جلد الحُوار المحشوّ تبنًا، وأصله أن الناقة إذا أَلقت سَقَطها فخيِّف انقطاع لبنها أخذوا جلد حُوارها فيحشّو ويلطخ بشيء من سلاها فتأمره وتدرُّ عليه، يقال: ناقة رائم ورؤوم إذا رئمت بؤها أو ولدها، فإن رئمته ولم تدر عليه فتلك العلوق وأنشد:

أنى جزوا عامرا سوى بفعلهم أم كيف يجزونني السؤاى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رِئمان أنف إذا ما ضنَّ باللبن

وأنشد المبرد:

<<=

ومن إباءه⁽¹⁾ ما ذكر أنه فر إلى ابن الزبير بمكة، وهو أميرها، لما أَلَمَّ، أي نزل، اللطيم بالمدينة أميرا من جهة يزيد بن معاوية. واللطيم: عمرو بن سعيد بن العاص؛ سمي بذلك لأن الجن لطمته فصارت في شذقه رخوة، ويقال له أيضا الأشدق. فلما قدم عمرو المدينة ولي مصعبا شرطته، وكان قبل ذلك والي شرطة مروان، إذ كان واليا لمعاوية على المدينة. فأمر الأشدق مُصعبا أن يهدم دور بني هاشم وأن يشدد عليهم، فقال: أيها الأمير إنه لا ذنب لهؤلاء ولست أفعل، فقال: انتفخ سحرُك يا ابن أم حريث - وكانت أمُّه سبية⁽²⁾ - فألق عنك سيفنا، فرمى بالسيف وخرج ولحق بعبد الله بن الزبير، فقتل في حصار الحصين بن نمير؛ خرج هو ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد إلى عسكر الحصين ليلا، فباتوا يقاتلونه فأصبحوا وقد قتلوا مائة رجل من أهل الشام، وأصيب ابن عبد الرحمن، وكان معهم عبدُ الله بن مطيع فقتل أيضا. وكان مُصعب يثبُّ في القتال وثبا عجيبا بين كل وثبتين اثنا عشر ذراعا، وكان جرحُ سيفه يعرف بين الجراحات لأنه كان أشدَّ الناس بطشا وأشجعهم قلبا، وأصابه

رئمتُ بسلمى بوّ ضيم ... إلخ. وبعده:

فقد وقفني بين شك وشبهة وما كنت وقافا على الشبهات

ويضرب هذا المثل لمن ألف الضيم ورضي بالخسف طلبا لرضا غيره - [أه منه].

(1) أي مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

(2) من بهراء - [الزبيري].

تلك الليلة سهمٌ قتله، فرثاه رجل من جذام فقال:

فَلِلَّهِ عَيْنَا مِنْ رَأْيٍ مِثْلَ مُصْعَبٍ أَعْفَى وَأَقْضَى بِالْكِتَابِ وَأَفْهَمَا
وَقَالُوا أَصَابَتْ مُصْعَبًا بَعْضُ نَبْلِهِمْ فَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْ أُصِيبَ وَعَزَّمَا
وَشَدَّ أَبُو بَكْرٍ لَنَا الرُّكْنَ شَدَّةً أَبَتْ لِلْحَصِينِ أَنْ يَطَاعَ فَيَعَزَّمَا

قوله في حصاره: فيه التفات عن ضمائر اللطيم إلى أبي خبيب المتقدم ذكره، وذلك جائز إن علم؛ ومعلوم أن الحصار كان لابن الزبير.

ولم يذكر من بني عبد الرحمن إلا هذين، وهم ثلاثة عشرة، ومات الرابع عشر في الجاهلية، واسمه سالم الأكبر؛ أمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة. وأما بنوه الإسلاميون فأكبرهم بنو أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهم: محمد وإبراهيم وحמיד وإسماعيل - صحابة كلهم ولِدُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أو منهم من ولد بعده، وكلهم حمل عنه العلم - وعروة بن عبد الرحمن؛ أمه بنت هانئ بن قبيصة⁽¹⁾، وسالم الأصغر؛ أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو - وأخوه لأمه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة - وأبو بكر بن عبد الرحمن؛ أمه من بني كنانة⁽²⁾، وعبد الله الأكبر؛ أمه من بني عبد الأشهل، وعبد الله الأصغر (هو أبو سلمة⁽³⁾)، وعبد الرحمن بن عبد

(1) ابن مسعود الشيباني واسمها بجرية. وكان عروة ابنها قد قتل بافريقية؛ وقتل بها أيضا أخوه عبد الله الأكبر.

(2) اسمها أم حكيم بنت قارظ بن خالد بن عبيد بن سويد من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة - [الزبيرى].

(3) أمه تماضر بنت الأصبغ، كما مرَّ قريبا.

الرحمن؛ أمه أسماء بنت سلامة بن مخزومة التميمية (عمتها أسماء بنت مخزومة أم عياش وأبي جهل والحارث بن هشام)؛ وأخوه لأُمّه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعثمان بن عبد الرحمن؛ أمه غزال بنت كسرى؛ من سبي سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، وسهيل بن عبد الرحمن؛ أمه حميرية⁽¹⁾ وهو الذي يعني ابن أبي ربيعة بقوله - حين تزوج سهيل الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكان ابن أبي ربيعة يتشَبَّ عندما بالثريا -:

أيها النكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان؟
هي شاميةٌ إذا ما استهلّت وسهيل إذا استهلَّ يمان!

قوله: وهم زهاء، أي نحو. والألمعي: المتوقد الذكاء. ومجلت يده: نفطت من العمل، أو صارت فيها جلدة رقيقة فيها ماء (وهي "الدواحيس" بالحسانية⁽²⁾). وتصدقاً: منصوب بـ"أن" محذوفة، أي أوصى بأن تصدق عنه ألف فرس، وأوصى وتصدق بضعف هذا المذكور، لأنه رضي الله عنه كثيرُ الأموال جدا وهو جواد بها في سبيل الله. وقدمت عليه يوماً غير سبعمائة ناقة حاملة الميرة فلم يدخل عليه منها شيء؛ تصدق بها وبأحماؤها وأحلاسها وأقتابها. ولم تنقص كثرة صدقاته كثرة أمواله؛ قال عمر حين حمى الحمى لإبل الصدقة: "وإياي وأنعام ابن عوف وابن عفان!".

(1) اسمها مجد بنت زيد بن سلامة الحميرية. والرابع عشر من أبناء عبد الرحمن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف، قال الشارح: لم أذكره في عددهم ولا في تسميتهم إذ لم أقف على أمه.

(2) الحسانية تطلق على اللهجة العربية الدارجة بالبلاد الموريتانية وما جاورها.

ودخل يوما على أم سلمة فقال لها: يا أماء هلكت! كيف أصنع.. أنا أكثر قريش مالا؟⁽¹⁾ فقالت: يا بني انفق، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»⁽²⁾، فلقي عمر فأخبره بالحديث فجاء أم سلمة فقال لها: أنشدك بالله هل ذكرني منهم رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا ولكن والله لا أبرئ أحدا بعدك.

وكان عبد الرحمن يزرع بالحرث على عشرين ناضحا⁽³⁾ فيدخر منه قوت أهله سنة ويتصدق بالباقي، وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. ولا يُعدُّ أمواله إلا للآخرة كسداً الثغور وتجهيز الجيوش المجاهدين في سبيل الله وغير ذلك من أنواع البر. وكذلك عثمان وغيرهما من ذوي الأموال الكثيرة من الصحابة، لا لمجرد جمع الأموال للدنيا حاشاهم من ذلك رضوان الله عنهم.

قوله: وبنواة أصدقا: أي وزن نواة من ذهب؛ وكان النبي ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع، فقاسمه سعد ماله حتى نعليه وخيره بين زوجته لينزل له عن أجهلها؛ فقال له: بارك الله لك في مالك وأهلك ولكن دُلّني على السوق، فلم يأخذ منه شيئا. فاشتغل بالتكسب مع الجهاد في سبيل الله حتى كثرت أمواله. قوله: وخلفه لفضله صلى النبي: وهي صلاة الصبح،

(1) وفي رواية أنه قال لها: يا أماء قد خفت أن يهلكني كثرة مالي فقالت.. الخ

(2) رواه أحمد.

(3) الناضح: الدابة يستقى عليها - [المعجم الوسيط].

وذلك في السفر في غزوة تبوك؛ خرج صلى الله عليه وسلم عنهم فاستبطأوه وقدّموا عبد الرحمن، فلما صلى بهم ركعة أتى رسول الله ﷺ فأدرك الركعة الثانية، فلما سلم قال: «ما مات نبي قط حتى يصلي خلف رجل من أمثل أمته»⁽¹⁾. قوله: وتحتة.. إلخ: إنما ذكر أزواجه اللواتي جمع بينهن، وأما من تزوج وطلق فنساء كثيرة. أما غزال فقدما قريبا خبرها؛ أم ابنه عثمان ولم يذكر لها غيره. وأما ذات النعش فهي بادية بنت غيلان أم سلمة الثقفية؛ وهي التي وصف المخنث هيت⁽²⁾ أو هنب (بكسر الهاء فيهما وبالياء التحتية ثم الفوقانية أو النون والباء) لمولاه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، والنبي ﷺ حاضر وهو يتجهز لغزو الطائف؛ قال لمولاه: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية (بالياء أو بالنون) بنت غيلان الثقفية فإنها⁽³⁾ تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين رجلها كالقعب المكفوء، إذا جلست تبنت، وإذا مشت تثنت، وإذا تكلمت تغنت⁽⁴⁾.. فقال صلى الله

(1) ذكره ابن عبد البر في التمهيد.

(2) المخنث: الذي لا هم له إلى النساء أو من فيه تكسر وتثن كالنساء، وهيت: قيل اسمه مائع (بالتاء المثناة أو النون) ولقب هيت أو بالعكس، وقيل هما اثنان. وقيل كان بالمدينة ثلاثة من المخنثين: هيت وهرم ومائع؛ فسار المثل من بينهم بهيت، وكان المخنثون يدخلون على النساء فلا يحجبون.

(3) .. مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها في القسامة وتجزأ معتدلاً في الوسامة أعلاها قضيب وأسفلها كثيب مع ثغر كالأقحوان وثدي كالرمان تقبل بأربع.. إلخ.

(4) .. وإذا اضطجعت تمت. قوله: مبتلة: أي جميلة كأنها بُتْل حسنها على أعضائها أي قُطِع، والتي لم يركب بعض لحمها بعضاً. وهيفاء: أي ضامرة البطن رقيقة الخاصرة. وشموع

عليه وسلم لنسائه: «لا يدخل عليك هيت أبدا ما كنت أحسبه إلا من غير أولي الإربة»⁽¹⁾. فلم يؤذن في فتح الطائف فتزوجها عبد الرحمن بعد ذلك، فولدت جويرية بنت عبد الرحمن، زوج المسور بن مخرمة.

-- >>

(كصبور): مزاحة لعوب. ونجلاء: أي واسعة العين. والقسامة: الجمال والحسن. والوسامة: أثر الحسن. والقضيب: الغصن، شبه أعلاها به في اللين والاعتدال. والكثيب: التل من الرمل؛ شبه أسفلها به في عِظَم العجيزة. والأقحوان: نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان. والرمان: ثمر شجر يشبهون به الثدي. وقوله: تُقبل بأربع أي من العُكن وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناء، وتُدبر بثمان: أي بأطراف هذه العكن الأربع، يعني أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها، في كل جانب أربع. قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت ريئت مواضعها بارزة متكسرا بعضها على بعض وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبها ثمانية. والقعب: الإناء. وتبنت: أي صارت كالبيت المبني، شبهها بالبنيان لعظمها. وتغنت: أي كأن في كلامها غنة وهي صوت يخرج من الخيشوم أي رхим.

وقد وقع في حديث سعد بن أبي وقاص أنه خطب امرأة بمكة فقال: من يخبرني عنها؟ فقال هيت: أنا أنعتها لك: إذا أقبلت قلت تمشي بست وإذا أدبرت قلت تمشي بأربع؛ كأنه يعني يديها وتديها ورجليها مقبلة، وردفيها مدبرة؛ وإنما نقص إذا أدبرت لأن الثديين يحتجبان حينئذ - [عمدة القارئ وفتح الباري وسبل الهدى والرشاد ومجمع الأمثال للميداني وغيرها].

(1) رواه البخاري والطبراني. وغير أولي الإربة: هو الأبله العنيد الذي لا يفطن بمحاسن النساء ولا أرب له فيهن. والإرب (بالكسر): الحاجة إلى النكاح. وكان هيت هذا يدخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم متى أراد فدخل يوما حجرة أم سلمة رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندها، فأقبل على أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية وقال له: إن فتح الله عليكم الطائف.. إلخ، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل عليك هيت».. إلخ.

وتوفيت بادية في خلافة عمر، فخرج في جنازتها فلما رآها آذاه شحمها فأمر بضرب قبة عليها، فكان ذلك مُدرك شرع القبة على جنائز النساء⁽¹⁾. وأشار بهنا: إلى ذكره هذا الحكم، لأنه القريب، وأما فعل عمر فالإشارة إليه هناك لُبْعِدِهِ، وقد يراد بهناك الزمان كقوله:

وإذا الأمور تشابهت وتعاضمت فهناك يعترفون أين المفرع

وحنة التي هي من زوجات عبد الرحمن: هي بنت جحش، وهي التي كانت تستحاض في زمن النبي ﷺ وهي التي قتل عنها مصعب بن عمير وله منها زينب؛ ولم يترك مصعب من الولد غيرها، وهي أيضا التي قال فيها النبي ﷺ: «إن زوج المرأة لبمكانة عندها»⁽²⁾، وذلك أنه نعي لها أخوها عبد الله المجدع فاسترجعت ونعي إليها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت، فلما نعي لها زوجها مصعب بن عمير ولولت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة..» - الحديث.

وأما أم كلثوم فهي بنت عقبة بن أبي معيط؛ أمها أروى بنت كريز، أخوها لأمها عثمان بن عفان رضي الله عنه. لما رجع النبي ﷺ من الحديبية بعدما أبرم الصلح بينه وبين قريش على أن من جاءه منهم مسلما يرده عليهم، لحقت به أم كلثوم في الطريق مؤمنة، وتبعها أخوها الوليد وعمارَةُ

(1) قال خليل بن إسحاق في مختصره: "وتأخرُ رَاكِبٍ وامرأة وستُرُها بِقُبَّة.."، أي وندب ستر المرأة الميتة حال حملها للصلاة والدفن بقبة على النعش؛ مبالغة في سترها.

(2) ذكره ابن هشام.

يستردانها من النبي ﷺ، فأراد ردها معها فقالت: يا رسول الله أتردني إلى الكفار يفتنونني عن ديني ويستحلون مني ما حرم الله؟ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾، فاستحلفها رسول الله ﷺ ما هاجرت فراراً عن زوج ولا رغبة في دنيا وإنما هاجرت لله؛ وذلك هو الامتحان الذي أمر الله به.

قوله: وقفل: أي رجع، وما رجع بأم كلثوم أخوها إلى قريش إذ قدما عليهم. فتزوجها زيد بن حارثة ثم الزبير بن العوام؛ وولدت له زينب بنت الزبير بن العوام، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بنيه الذين ذكرتهم⁽²⁾. ومن ذرية عبد الرحمن: المحدث المشهور الأعرج، واسمه عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن ولم أقف على [اسم] أم عمرو بن عبد الرحمن ولذلك لم أذكره في عددهم ولا في تسميتهم. ومن ذريته أيضاً رجل يقال له عاصم، وكان يذكر بالبخل؛

(1) الممتحنة: 10.

(2) وكان زيد بن حارثة قد قتل عنها يوم مؤتة، وأما الزبير فطلقها، وأما عبد الرحمن فتوفي عنها، فتزوجها بعده عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً فماتت. وكانت وفاة عبد الرحمن بن عوف سنة إحدى وثلاثين عن نيف وسبعين سنة بالمدينة؛ وصلى عليه عثمان بن عفان ودفن بالقيع.

ونزل به أضياف يوما فلم يكثر بهم، فقال فيه أحدهم أبياتا منها:

فسيرا فقد جنَّ الظلامُ عليكما فيا يأس من يرجو القرى عند عاصم

وما لي من ذنب إليه علمته سوى أنني قد زرتَه غيرَ صائم!

وسأل رجلٌ رجلاً من ذرية عبد الرحمن بن عوف عن أموال جدِّهم؟
فقال: بليتُ وبقي منها رقيق، فقال له: أفيدُك كلمتين خير لك من المال:
إحداهما: الرقيق جمال وليس بمال، الثانية: عليك من مالك ما يعولُك ولا
تعوله.

ومر ذريته أيضا العتيدُ بن سهيل بن عبد الرحمن، أمُّه من بني الحارث
بن كعب، وله يقول الشاعر:

إذا أنت ناديت العتيدَ وذا الندى جبيرا ونازعت الزجاجة خالدا

أمنت - ياذن الله - أن تقرر العصا وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا

ولما أنهى الكلام على صميم بني زُهرة ألحق بهم حليفهم خباب بن
الأرت، لاستحقاقه أن يذكر وللتبرك بذكره، فقال:

ومن بني زُهرة أيضا بالحلف خبابُ القينُ الذي لم ينحرف

بالطرد عن أحمدَ لكن انحرف عن داره لقبره وهو السلف

يدفن بالدور وبالأظروفه أوصى وسنّها لأهل الكوفة

يعني من حلفاء بني زُهرة سيدنا خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد
الخنزاعي القين، وقيل التميمي، وهو الأصح.

خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ رضي الله عنه

كان في الجاهلية يعمل السيوفَ ويبيعها، فسمي بذلك القين؛ وباع سيفاً من العاصِ بن وائل وأتاه يتقاضاه، فقال له: إن كفرت بدين محمد أقضيك، ثم قال إن أبيت فامض إلى اليوم الذي تذكرون فإنكم لا تكونون أحسن مني إذا حالاً.. ستجدني ذا مال وولدٍ أقضيك منه دينك، فنزلت: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾⁽¹⁾. قوله الذي لم ينحرف.. إلى آخره: يشير إلى أن الأقرع بن حابس أتى النبي ﷺ مع قوم من العرب فوجده مع خباب وصهيب وعمار وبلال، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعداء فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: «نعم»، قالوا: اكتب لنا كتاباً، فدعا بصحيفة، فنزل جبريلُ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾، فرمى بالصحيفة وقال: «سلام عليكم»، قال خباب: فدنونا ووضعنا رُكُبا على ركبتيه؛ فكان النبي ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن نقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾⁽³⁾، فكان بعد ذلك يقعد

(1) مريم: 77.

(2) الأنعام: 52.

(3) الكهف: 28.

معنا؛ فإذا بلغ الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه وإلا صبر أبدا حتى نقوم. وكان خباب أصابه سباء في الجاهلية فاشترته بمكة امرأة من خزاعة فأعتقته فحالف بني زُهرة، وقيل إن المرأة التي اشترته - وهي أم أنمار بنت سباع - أمه؛ فهو إذا خزاعي ولم يلحقه سباء قط. وكان فاضلا ومن المهاجرين الأولين؛ أسلم بعد تسعة عشر رجلا، وهو أول من أظهر الإسلام بمكة، وشهد بدرا وما بعدها. يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد، وكان ممن عُذِّب في الله وصبر، أخى النبي ﷺ بينه وبين تميم مولى خراش الأنصاري البدري.

وقوله: لكن انحرَف.. إلى آخره: يعني أن أهل الكوفة كانوا يدفنون موتاهم في أبينتهم وعلى أبواب دورهم، وكان خباب نزل الكوفة لما نزلها علي، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدفنوه بظهر الكوفة؛ فلما رأى أهل الكوفة قبر خباب بالظهر دفنوا موتاهم بظهر الكوفة⁽¹⁾. وتوفي سنة سبع وثلاثين مُنصَرَفَ عليٍّ من صفين، وقيل مات سنة تسع وثلاثين بعد أن شهد مع علي صفين والنهر وان، وصلى عليه علي⁽²⁾ وله ثلاث وستون سنة، وقيل مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر رضي الله عنهما.

(1) فكان خباب أول من دفن بظهر الكوفة. والأظروفة: أفعولة من الظرافة والمراد بها هذه المسألة التي هي الدفن خارج الدور ورحابها والتي أوصى بها خباب وسنها لأهل الكوفة فاقتدوا به فيها، وكان سلفهم يدفن بالدور.

(2) وقال فيه: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجرا طائعا وابتلي في جسمه أحوالا ولن يضيع الله أجره.

نسب قصي بن كلاب

عَبْدُ وَعَبْدُ الدَّارِ، عَبْدُ الْعُزَّى، عَبْدُ مَنَافٍ لِّقُصَيٍّ تُعْزَى
وَانْسَبَ لِعَبْدِ ابْنِ عَمَّةِ الرَّسُولِ أُرْوَى طَلِيْبًا الصَّحَابِيُّ الْوَصُولُ

تعزى: تنسب. يعني أن قصيا - عمود النسب - بنوه لصلبه أربعة أكبرهم عبدُ الدار، ومنهم عبدُ قصي⁽¹⁾ ويقال له عبد - بلا إضافة لِقُصَيٍّ - وهو الذي يعني بقوله: وانسب لعبد⁽²⁾. وعمَّة الرسول: هي أروى بنت عبد المطلب، واختلف في إسلامها. وطلب هو ابن عمير بن وهب بن كبر بن عبد؛ أسلم قديما في دار الأرقم⁽³⁾، وله تقول أمه أروى:

إن طليبا نصر ابن خاله واساه في ذي دمه وماله

وهو من خيار الصحابة ومن المهاجرين الأولين؛ هاجر الحبشة وشهد بدرا

(1) والثالث عبد مناف والرابع عبد العزى، وكان قصي يقول: ولد لي أربعة فسميت اثنين بصنمي وواحداً بداري وواحداً بنفسي، وولد أيضا امرأتين: تخمر وبرة، أمهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول.

(2) وقوله: ابن عمَّة (بالنصب): مفعول به لانسب. وأروى: بدل من عمَّة. وطلبيا (بالنصب): بدل من ابن. والصحابي والوصول: صفتان لطليبا، أي وانسب لعبد بن قصي الصحابي الوصول طلبيا ابن عمَّة النبي - صلى الله عليه وسلم - أروى بنت عبد المطلب.

(3) ولما أسلم دخل على أمه أروى وقال لها: اتبعتُ محمداً وأسلمتُ لله عز وجل، فقالت له: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذبنا عنه، ثم قالت: إن طليبا.. إلخ. ولعل الناظم أشار إلى ذلك بقوله: "الوصول"، ويروى أنه قال لها: فما يمنعك من الإسلام؟ فأسلمت، وإن كان قد ذكر الخلاف في إسلامها. واستشهد طلبيا هذا باليرموك وقيل بأجنادين.

وما بعدها واستشهد يوم اليرموك، قيل إنه أول من أهرق دما في سبيل الله. وانقرض بنو عبد قصي؛ آخرهم رجل هلك ولم يترك ولدا فورثه كلاله عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عروة بن الزبير بالقُعدد.

ومن بني عبد بن قصي أيضا الحارث بن النقيذ بن وهب، الذي أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح؛ وكان ممن أمر بقتلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة، فقتله علي، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، وهو أيضا ممن نخس البعير بزینب بنت رسول الله ﷺ (١).

وَانْسَبُ لِعَبْدِ الدَّارِ هَذِهِ الزُّمَرُ: النَّضْرُ وَالنَّضِيرُ صِنُوهُ الْأَبَرُّ

الزمر: جمع زمرة، وهي الجماعة؛ أي هذه الزمر التي شرع في ذكرها. والصنو: الأخ الشقيق والابن والعم، والمراد به هنا الأخ. والأبر: الكثير فعل البر، وهو صفة للنضير بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، كان ممن أسلم يوم الفتح، وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير وأخلص الإسلام وقاتل يوم اليرموك شهيدا. وأما النضر أخوه فكان شديد العداوة لله ولرسوله، وكان يأتي قريشا بأخبار القدماء من النصارى وغيرهم ويقول لهم: محمد محدثكم من عند نفسه وأنا أخبركم بأخبار القدماء

(١) ثم أخذ في ذكر عبد الدار بن قصي، وبنوه ثلاثة: عبد مناف، جد النضر والنضير وبغيض ومصعب. والثاني السباق، جد سويط. والثالث عثمان جد بني أبي طلحة حملة اللواء يوم أحد؛ وذكرهم الناظم وبدأ ببني عبد مناف منهم فقال رحمه الله:

الصادقة، فنزلت فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾⁽¹⁾؛ وكان له قينة تغني قريشا بهجو رسول الله ﷺ، فأسر يوم بدر، فلما كانوا بالصفراء قتله النبي ﷺ صبرا؛ أمر عليا بضرب عنقه، فقالت ابنته - أو أخته - قتيلة ترثيه:

يا راكبا إن الأثيلَ مظنةٌ	من صبح خامسة وأنت موفقٌ ⁽²⁾
أبلغ به ميّتا بأن تحييةً	ما إن تزال بها النجائبُ تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة	جادت لِمائِحها وأخرى تخنقُ
هل يسمعنُ النضرُ إن ناديته	أم كيف يسمعُ ميّتٌ لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنيّة مُتعباً	رَسَفَ المقيّد وهو عان موثق ⁽³⁾
أحمد يا خير ضنءٍ كريمٍ	في قومها والفحل فحل معرق ⁽⁴⁾
ما كان ضَرَكٌ لو مننت وربما	مَنّ الفتي وهو المغيظ الخنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن	بأعز ما يغلّو به ما يُنفق
فالنضرُ أقربُ من أسرت قرابة	وأحقهم إن كان عتقٌ يُعتق

ويُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو بلغني هذا الشعر قبل

(1) لقمان: 6.

(2) الأثيل في الأصل: تصغير أثل، والأثل: هو شجر الطرفاء، ثم سمي به موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء، ويقال له أيضا "ذو أثيل". ومظنة: موضع لحصول الظن.

(3) قسرا: أي قهرا. ورسف المقيّد: أي يمشي مشيا يشبه رسف المقيّد؛ والرسف المشي الثقيل. والعاني: الأسير. والموثق المكتوف المشدود وثاقه.

(4) الضنء: الولد والنسل. والمعرق: الكريم الذي يأتي بنسل كرام.

أن أقتله ما قتلتته»⁽¹⁾.

بَغِيضُ شُلَّتْ يَدُهُ لِكِتْبِهِ سَجَلَ قَطَعَ الْمُصْطَفَى وَحَزْبِهِ

بغيض (كأمير): هو ابنُ عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وهو ابنُ عم مصعب بن عمير بن هاشم. وشلت (بالبناء للفاعل والمفعول): ييست أو ذهبت. والسجل: الكتاب، منصوب بكتبه على المفعولية. وكتبه: مصدر مضاف إلى فاعله. وقطع: مضاف إلى مفعوله. وحزبه: أي حزب المصطفى ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. يعني الصحيفة التي فيها مقاطعتهم حتى لا يناكحون ولا يبايعون، وأخرجوهم إلى الشعب حتى جهدوا جدا، ومع قريش على ذلك أبو لهب. إلى أن قام في نقضها الخمسة ولحستها الأرضة.

يعني من الزمر التي تنسبُ لبني عبد الدار: بغيضُ بن عامر الذي كتب الصحيفة، فشلت يده لذلك⁽²⁾.

سُوَيْبُطٌ وَمُصْعَبٌ قَدْ شَهِدُوا بَدْرًا بِهَا عَنْ قَوْمِهِمْ تَفَرَّدُوا

يعني ومن الزمر: سويبطُ بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن

(1) ذكره ابن هشام بلا سند.

(2) ومات بغيض كافرا - والعياذ بالله تعالى - وقيل: كاتبها هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي. وقيل: بل أبوه عكرمة وقيل كاتبها النضر بن الحارث، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاتبها فشلت يده - [سيرة ابن هشام].

السباق بن عبد الدار. ومنها مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وهذان من بني عبد الدار شهدا بدرا وتفردا بشهوده عن غيرهما من بني عبد الدار.

أما مصعب فأسلم قديما بمكة⁽¹⁾ وقاسى من الجوع والشدة من الكفار ما أصاب غيره من المسلمين، وكان النبي ﷺ يَرِقُّ له لما يعرف من تنعمه في الجاهلية، وكانت أمه - وهي الخناس بنت مالك بن الظرب من بني معيص بن عامر بن لؤي - تَضَعُ إِنْاءَ حَيْسٍ عند رأسه إذا نام ليستيقظ عليه. وهو أول من هاجر إلى المدينة؛ بعثه النبي ﷺ هو وابن أم مكتوم مع الأنصار ليعلمهم القراءة ويفقههم في الدين، فأسلم على يديه كثير من الأنصار. وهو أول من صلى الجمعة، وكان معه اللواء يوم بدر ويوم أحد، وقتله ابن قميئة يظنه رسول الله ﷺ فقال: قتلت محمدا، ففرح المشركون وجزع المسلمون؛ وكان مصعب إذا لبس لأمتة يشبه رسول الله ﷺ. ولم يوجد ما يكفن فيه إلا نَمِرَة إذا غطي بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطيت بها

(1) في دار الأرقم، وكان قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام فيها، فدخلها وأسلم وكنم إسلامه خوفا من أمه وقومه. فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سِرًّا، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر به أمه وقومه فأخذوه وحبسوه ولم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة، ولم يزل بها إلى أن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع الأنصار. وكان رضي الله عنه فتى مكة شابا وجمالا وتيها، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة ويلبس الحضرمي من النعال. وله يوم قتل بأحد أربعون سنة، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ - الآية - [الأحزاب: 23].

رجلاه بدا رأسه، فقال صلى الله عليه وسلم: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر»⁽¹⁾، وقدمنا أنه توفي عن حمنة بنت جحش.

وأما سويط فأمه من خزاعة، واسمها هنيذة، أسلم قديما وهاجر الحبشة ثم المدينة وشهد بدرًا، وهو الذي باعه نعيمان من الأعراب. وذلك أنهم خرجوا في تجارة وأميرهم أبو بكر، فجعل سويطًا على الزاد، فأتاه يوما نعيمان فقال له: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، فألح عليه فامتنع، ثم نزلوا بحي من الأعراب فأتاهم نعيمان فذكر لهم أنه يبيع عبدا، فقالوا له: أرنا عبدك فقال لهم: لا تُفسدوا علي عبدي هو ذلك، ولكن لا تخبروه فإن أرضاكم فخذوه واذهبوا به وإلا فاتركوه ولا تخبروه بالبيع.. وسيقول لكم إنه حر، وكان سويط رضي الله عنه أسودًا، فاشتروه بعشر قلائص وأتوه وجعلوا في عنقه حبلا ليقودوه، فقال: ما هذا؟! قالوا: قد ابتعناك من سيّدك، فقال: ويحكم أنا حر! قالوا: قد قال لنا سيّدك إنك تقول ذلك، فلم يجد بدا من أن يسير معهم. وكان أبو بكر غائبًا عنهم فلما جاء قال: أين سويط؟ فقال نعيمان: بعته بهذه القلائص، فضحك أبو بكر واستاق الإبل إلى أهلها. فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه بالقصة أضحكهم سنة.

وجمع ضمير سويط ومُصعب تعظيما لشأنهما، وعلى القول بأن أقل الجمع اثنان.

(1) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد.

وَانْسَبَ لَهُ أَهْلَ اللّٰوَاءِ بِأَحَدٍ بَنِي أَبِي طَلْحَةَ سَيِّدِ النَّدِيِّ
 طَلْحَةُ عُثْمَانُ أَبُو سَعْدٍ السَّرِيِّ وَمِثْلُهَا لَطَلْحَةَ الْمُعَفَّرِ
 بِعَاصِمٍ كُلُّ الثَّلَاثَةِ مُصَابٌ شَرِيحُ أَرْطَاةٍ غَلَامُهُمْ صُؤَابُ
 وَيَعْدُهُ اللّٰوَاءُ فِي التُّرَابِ مُلْقَى لِمَا لَاقَوْهُ لِلْأَصْحَابِ

أي وانسب لعبد الدار أهل اللواء بأحد الذين قتلوا وبأيديهم لواء قريش، واحدا بعد واحد؛ وهم: طلحة بن أبي طلحة⁽¹⁾؛ أمه سُلَافَةُ الْكُبْرَى بنت شهيد من بني عمرو بن عوف؛ قتله عليُّ بن أبي طالب؛ وهو كبش الكتيبة الذي رأى النبي ﷺ في نومه أنه مردفه. ثم أخذ اللواء بعده أخوه عثمان فقتله حمزة، ثم أخذه أخوهما أبو سَعْدٍ فقتله سعد بن أبي وقاص، ثم أخذه ابن أخيهما مسافع بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ثم أخذه أخوه الجلاس بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت أيضا، ثم أخذه أخوهما كلاب بن طلحة فقتله الزبير وقيل قتله عاصم؛ وأم بني طلحة هؤلاء سُلَافَةُ الصُّغْرَى بنت سعد بن شهيد، بنت أخي سُلَافَةُ الْكُبْرَى أم طلحة؛ قالت لأحد بنيها: من قتلك يا بني؟ فقال: لا أدري ولكني سمعته حين رمانني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح، فنذرت إن ظفرت برأس عاصم لتشربن فيه الخمر وجعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأس عاصم، ولذلك أرادت بنو لحيان أن يأخذوا رأس عاصم ليأتوها به فمنعه

(1) واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

منهم الدَّبرُ (أي النحل).

والندي: ندي⁽¹⁾ بني عبد الدار، كان سيدهم في الجاهلية. ومثلها: أي ومثل بني طلحة هؤلاء في أنهم قتلوا حاملين اللواء، ثلاثة آخرون لطلحة هذا المعفر، أي المضروب بالعفراء وهي الأرض — تسمى بذلك للونها — والمعنى: المقتول فطرح على الأرض أو دفن فيها. قوله: بعاصم كل الثلاثة مصاب: يعني بني طلحة؛ أما مسافع والجلال فبالاتفاق وأما كلاب فعلى غير القول بأن قاتله الزبير. ثم أخذ اللواء بعد بني طلحة شريح بن قارظ بن شريح بن عثمان بن عبد الدار فقتله حمزة⁽²⁾، ثم أخذه أرطاة بن شرحبيل بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البُطور - وكانت أمه ختانة بمكة - فقتله حمزة. ثم أخذه عبد لبني عبد الدار يقال له صُواب فقتله قُزمان بن الحارث وقيل غيره؛ أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بِشِماله فقطعت فبرك عليه فقتل — ثم لم يجد اللواء من يأخذه وصار مطروحا في الأرض حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبته فلم يلتفت إليه. وإنما حمل بني عبد الدار على المحافظة على اللواء أنهم حين دنوا للقتال قام أبو سفيان يحرض الناس وقال: يا بني عبد الدار إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم وما أصابنا ما أصابنا يوم بدر إلا من جهتكم.. فاليوم إما أن تكفونا لواءنا وإما أن تدفعوه لنا، فسبوه وقالوا له:

(1) الندي: مجلس القوم الذي يتحدثون فيه، جمعه أندية ويقال فيه ناد أيضا.

(2) وقيل قتله قُزمان بن الحارث، وقيل لا يدري من قتله.

أنحن ندفع إليك لواءنا! ستعلم، وذلك الذي يريد أبو سفيان. وقال
حسان⁽¹⁾:

تسعة تحمل اللواء وطارت في رَعَا عٍ مِّنَ القَنَا مَخْزُومٍ
لم تُطَقْ حملة العَوَاتِقُ منهم إنما يحمل اللواء النجوم

وانسب لطلحة ابنه عثماناً رفيق خالد وعمرؤ كانا
له ولابن عمه شيبة ردُّ نبينا أمانة طول الأبد

يعني ومن طلحة بن أبي طلحة المقتول الأول من أصحاب اللواء.
وعثمان: بدل من ابنه. ورفيق: خبر كان المتأخرة.

وكان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من الأشراف في الجاهلية
والإسلام؛ لما هاجر المهاجرون خرجت أم سلمة مهاجرة وحدها فرآها
فخرج معها كالمشيع لها، وكان يسير أمامها ليهديها الطريق فإذا نزلت
نزل وحده، إلى أن وافى على قباء، فقال لها: زوجك بهذه القرية، فرجع
عنها. وكانت تقول: ما رأيت رفيقا أكرم من عثمان بن طلحة. ثم لم يزل

(1) من قصيدته التي أولها:

منع النوم بالعشاء الهموم وخیال إذا تغور النجوم
ولي البأس منكم إذ رحلتم أسرة من بني قصي صميم
تسعة تحمل اللواء.. إلخ.
وأقاموا حتى أبيحوا جميعا في مقام وكلهم مذموم
لم تطق حملة العواتق .. إلخ.

بمكة على شركه إلى زمن هُدنة الحديبية فخرج مع خالدٍ إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يريد الإسلام والهجرة، فلقيا عمرو بن العاص بموضع يقال له "الهدئة" مُقبلا من عند النجاشي يريد ما يريدان؛ فاصطحبوا، وكنتم كل خبره عن الآخر أولًا، ثم قال لهما عمرو: أخبراني عن شأنكما أخبركما عن شأني، فقال خالد: يا عمرو ظهر والله الميسم (بالمثناة التحتية أو بالنون) - أي العلامة أو الأثر - إنَّ الرجل والله لنبيٌّ فأسلم تسلم، فقال عمرو: والله ما جئت إلا لذلك.. (كما مرَّ).

ولم يزل عثمان مقيما بالمدينة إلى وفاة النبي ﷺ فانتقل إلى مكة واستشهد يوم أحنادين، وقيل عاش إلى سنة اثنتين وأربعين، أوَّل خلافة معاوية.

وشيبة: هو ابن عثمان بن أبي طلحة، كان من خيار المسلمين؛ خرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين وهو مشرك، وإنما خرج يريد الفتك به؛ فلما ولَّى المسلمون رأى غرة من النبي ﷺ فسَلَّ سيفه يريده فحالت بينه وبينه شبه شعلة من نار كادت تذهب ببصره، فأدركه رُعبٌ وفزع فقال له رسول الله ﷺ: «ادنُ يا شيب لا أم لك» فوضع يده على صدره⁽¹⁾. وكان شيبة يقول: هو والله حين وضع يده على صدري أبغض الخلق إلي وما رفعها حتى كان أحبَّ الخلق إلي ولو وجدت أبي دونه لقتلته، وكان ممن صبر معه يومئذ. وأقام شيبة بمكة إلى أن توفي آخر خلافة معاوية، وقيل أيام يزيد.

(1) أخرجه الطبراني وفيه ضعيف [ابن هشام].

إعطاء النبي ﷺ مفاتيح الكعبة لبني عبد الدار

ولما فتح النبي ﷺ مكة أخذ المفتاح ففتح الكعبة ودخلها، وفيها ستمائة صنم لقريش أثبتها لهم إبليسُ بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يُشير إليها بعود ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾⁽¹⁾؛ فكلما أشار إلى واحدٍ سقط لرأسه، ثم خرج على ملأ من قريش وبيده المفتاح، فاشترأت بنو هاشم إليه ليدفعه إليهم وقال له العباس وعلي: اجعل لنا الحجابة مع السقاية، فقال: «أين عثمان ابن طلحة أين شيبة بن عثمان؟» فدفعها إليهم وقال: «خذوها يا بني عبد الدار - أو قال يا بني أبي طلحة - خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»⁽²⁾، لأنه نزل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁽³⁾، وهي المفاتيح؛ ثم عمّت كل أمانة حتى دخلت فيها الشهادة. فلما ذهب عثمان بالمفاتيح قال له رسول الله ﷺ: «يا عثمان أتذكر يوم قلتُ لك كذا وكذا؟» فقال: نعم يا رسول الله وأشهد أنك رسول الله. وذلك أن عثمان فتح للناس يوما فدخلوا فلما خرجوا جاء رسول الله ﷺ وقال لعثمان: «افتح لي حتى أدخل» فأبى عثمان، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عثمان أرأيت إن كان هذا المفتاحُ بيدي أضعه حيث شئت ما تقول؟» قال: لقد ذلت قريش

(1) الإسراء: 81.

(2) ذكره ابن سعد وابن هشام.

(3) النساء: 58.

يومئذٍ وخلت، فقال: «بل عزت وعمرت»⁽¹⁾. ولعثمان وخالد يقول عبدُ
الله بن الزبعرى في هجرتهما:

لقد شدَّ عثمانُ بن طلحة حلفنا وملقى النعال عن يمين المقبل
وما عقد الآباءُ من كل حلفة وما خالدهُ من مثلها بمحلل⁽²⁾

لأَسَدٍ سَلِيلِ عَبْدِ الْعُزَّى: مُطَلِّبٌ، عَمْرُو، خُوَيْلِدٌ اعْتَزَى
وَنَوْفَلٌ وَحَارِثٌ، فَالْمُطَلِّبُ إِلَيْهِ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ انْتَسَبَ⁽³⁾

وأمُّ حبيب جدة رسول الله ﷺ، ورجال آخرون لم يعقبوا.

أما الحارث والمطلب وأم حبيب فأمهم خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، ويقال لها بنت الدياج، وأختهم أيضا من الأب والأم رقية، جدة الحكم بن أبي العاص، ولم يعقب أيضا من المذكورين عمرو؛ وهو الذي تولى عقد أمنا خديجة لرسول الله ﷺ لأن أباها خويلدا مات قبل ذلك، وقيل بل كان حينئذ سكران.

فبدأ بالمطلب، لسيادة بنيه في الجاهلية: الأسود وابنه زمعة؛ أما الأسود

(1) ذكره ابن سعد وابن هشام.

(2) ولما فرغ من الكلام على بني عبد الدار بن قصي أخذ يتكلم على بني عبد العزى بن قصي وهم بطنان: بنو أسد بن عبد العزى وبنو تويت بن حبيب بن عبد العزى، وبدأ ببني أسد فقال رحمه الله وعفا عنه:

(3) يقول لأسد بن عبد العزى من الأولاد خمسة هم: الحارث وهو أكبرهم، وبه يكنى، وعمرو وخويلد ونوفل والمطلب وأختاهم أم حبيب، جدة النبي صلى الله عليه وسلم المتقدمة في قوله: وأم ذي أم حبيب تغزى، لأسد... إلخ، ورقية.

فقال فيه النبي ﷺ حين ذكر ناقة صالح: «انبعث لها رجل عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة هذا»⁽¹⁾، وكان من المستهزئين الذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾⁽²⁾، رماه جبريل بورقة في جبهته فعمي ثم مات، قال البوصيري:

ودهى الأسود بن مطلب أي عي عمى ميت به الأحياء

وابنه زمعة كان أيضا من أكابر قريش، وكان إذا سافر يكفي ركبته الزاد ولا يتزود معه أحد حتى كان يسمى زاد الركب، وهو ممن قام في نقض الصحيفة؛ ولكن بقي على كفره إلى أن قتل عليه يوم بدر وهو يقول لابنه الحارث - وهو من الرهط الذين زعموا أنهم مُستضعفون فتوفاهم الملائكة -: "أقدم حارث"⁽³⁾ اذفر عني هبار"، فقتل هو وابنه الحارث هذا وأخوه عُقيل بن الأسود، ونجا هبار وأسلم، بعد أن نحس البعير بزنب بنت رسول الله ﷺ. وقال الأسود ييكي من قتل من بنيه يوم بدر، وهم: زمعة وعقيل ابنا الأسود والحارث بن زمعة:

أبكي أن يضل لها بعير	ويعنها من النوم السهود
وما تبكي على بدر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سارة بني هُصيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكي إن بكيت على عُقيل	وبكي حارثا أسد الأسود

(1) رواه مسلم.

(2) الحجر: 95.

(3) أقدم: بمعنى تقدم. وحارث: ترخيم الحارث.

وبكي إن بكيتهمُ جميعاً وما لأبي حكيمةً من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدر لم يسودوا

وكانت قريش تواصلوا على عدم البكاء على قتلهم باديئ بدء، فسمع الأسود امرأة تبكي، فقال لغلام له: اذهب فانظر هل أحلَّ النحيبُ لعلِّي أبكي على أبي حكيمة فقد احترق جوفي، فجاء الغلام فقال له: إنها امرأة تبكي على بعير أضلته! (وأبو حكيمة هو زمعة).

وولد هبار في الإسلام إسماعيل بن هبار؛ من فتيان المدينة مشهور بالجلادة والفتوة؛ أتاه ذات ليلة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن عبيد الله بن معمر وعتبة بن جعونة بن شعوب الليثي، حليف العباس بن عبد المطلب، فصاحوا به فخرج إليهم فاستتبعوه في حاجة فمضى معهم، فقتلوه فأصبح في خراب لبني زهرة أدبار مسجد رسول الله ﷺ، فقامت بنو أسد بن عبد العزى فاستعدوا عليهم السلطان فحبس لهم مصعباً وصاحبيه في السجن، وركبوا إلى معاوية - وفيهم عبد الله بن الزبير - فقال لهم معاوية: اخلفوا لي على واحد من الثلاثة، فقال ابن الزبير: بل نحلف عليهم كلهم، فأبى معاوية وأبت بنو أسد أن يحلفوا عليهم، فحملهم معاوية إلى مكة فاستحلف كل واحد منهم خمسين يمينا عن نفسه ثم جلد كل واحد منهم مائة سوط وسجنهم سنة ثم خلى سبيلهم. ذكر هذا المصعب الزبيري مرتين في كتابه جهرة قريش⁽¹⁾، وذكر أيضاً أنه بعد

(1) بل ذكره ثلاث مرات: الأولى في ترجمة إسماعيل بن هبار (ص: 220)، والثانية في ترجمة

ذلك فسد ما بين مصعب بن عبد الرحمن ومعاذ بن عبيد الله، فولي مصعب الشرطة لمروان بن الحكم في ولايته على المدينة من قبل معاوية، فكان يتمنى أن يجد على معاذ سبيلا، فأتاه رجل من أهل المشرق أيام الحج يستعديه على معاذ؛ فقال له: إني رجل من الحاج قدمت بمتاع لي فبعته لرجل من قريش يقال له معاذ بن عبيد الله فقال لي: اتبعني إلى منزلي فذهبتُ معه فحبسني بحقي ثم خرج فكسر أنفي - وإذا أنفه يدمي - فقال مصعب للحرس: علي بمعاذ فأتوه به - وكان قد هجره - فلما رآه استحي منه ونكس رأسه، ثم قال وهو منكس رأسه: أي معاذ أفي حق الله أن تتباع من رجل غريب بضاعته فتمطّله بثمانها وتكسر أنفه؟ فنكس معاذ رأسه ثم قال: أفي حق الله أن أنطلق به إلى منزلي لأفيه حقه فيناديني من وراء الباب: أتريد أن تقتلني كما قتلت ابن هبار؟ فغضب مصعب وقال للحاج - ورفع إليه رأسه -: أقلتها له؟ قال: نعم، قال: قم لا أقام الله رجلك.. أتعمد إلى رجل من قريش فتأتيه بالباطل ثم تنكر أن ينالك بخدش؟ قد أهدرت ما أصابك بإذائتك له، ثم أقبل على معاذ فأخذ بيده وقال: ارتفع إلى ههنا، فرفعه إلى جانبه على مجلسه، فكان سبب الصلح بينهما.

وفي قتلهم لابن هبار يقول الشاعر:

----- >>>

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف (ص: 267)، والثالثة في ترجمة معاذ بن عبيد الله بن معمر (ص: 288)، ولم يذكر في واحدة منها سبب قتلهم له.

فلن أجيب بليل داعيا أبداً أخشى الغرور كما غرَّ ابنُ هبار
قد بات جارُهُم في الحَفَش مُنعفرا بيس الهدية لابن العم والجار

وَالِدُ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ يَزِيدُ قَتِيلِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمَرِيدِ
وَصَلَبَتْ مَوْلَاتُهُ الْمَرِيدَا وَبِالْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ شِيدَا
مَا هَدَّ فَقَدْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَحَاصَرَ الْحُصَيْنِ أَهْلَ الْكَعْبَةِ
فَأَوْهَنَ الْبَيْتَ بِمِنْجَنِيْقٍ فَوْقَ أَبِي قَبَيْسٍ الْوَثِيقِ
وَقَبَسًا عَلَى قَنَاةٍ جَعَلَا وَطَيَّرَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى اشْتَعَلَا
فِي الْبَيْتِ وَالْقَرْنِ الْمُعَلَّقِ بِهِ وَكَعَّ إِذْ مَاتَ مِحْشُ حَرْبِهِ⁽¹⁾

يعني أن زمعة بن الأسود بن المطلب ولد عبد الله بن زمعة الصحابي؛
أمه قريبة الكبرى بنت أبي أمية أخت أمنا أم سلمة. كان عبد الله بن زمعة
من أكابر قريش وأفاضل المسلمين، روى عن النبي ﷺ: «لا يضرب
أحدكم المرأة ثم يضاجعها في آخر يومه»⁽²⁾، وروى عنه عروة بن الزبير.

(1) المريد: الشديد العتو والخبيث الشرير. وشيد: أي بني وأصلح. وهذ: أي كسر. وأوهن البيت:
أي أضعفه. والمنجنيق (بكسر الميم وفتحها، ويقال فيه: المنجليق باللام): آلة من آلات
الحصار ترمى بها الحجارة. وأبو قبيس: جبل بمكة. والوثيق: من وثق (ككرم) وثاقه: قوي
وثبت وصار محكما. والقبس: شعلة النار. والقناة: الرمح الأجوف وكل عصى مستوية أو
مُعوجة. وكع: تأخر ونكص. ومحش حربه: أي موقد ناره ومؤججها. يعني أن زمعة بن
الأسود.. إلخ.

(2) رواه مسلم.

ثم ولد عبدُ الله بن زمعة يزيدَ بن عبد الله، قتله "مُسرف" بن عقبة يوم الحرة صبرا؛ قال له: بايع أمير المؤمنين يزيدَ بن معاوية على أنك عبد قن إن شاء أعتق وإن شاء استرق، فقال له: أبايعه على أني ابن عم حر كريم، فضرب عنقه. وكان مسرف يفعل ذلك بمن أخذ من أهل المدينة من الصحابة وأبناء الصحابة.

وولد عبد الله بن زمعة أيضا كبيرا ابن عبد الله؛ أمه زينب بنت أبي سلمة، ربيبةُ رسول الله ﷺ، التي وجدته يوما يغتسل فكشفت السَّتر وهي لا تشعر به فرش وجهها بالماء، فأسنت وماء الشباب لم يذهب من وجهها [كما مر]. وقتل مسلم بن عقبة يوم الحرة ابنين لزينب، وكانت تبكي أحدهما ولا تبكي الآخر، ف قيل لها في ذلك فقالت: مات شاهرا سيفه والآخر وضع السيف.

ومن ولد عبد الله بن زمعة: وكيع، العالم المشهور واسمه عبدُ الله بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة. ومن ولده وهبُ بن وهب، القاضي الجواد.

ولما مات "مسرف" بن عقبة وشيد، أي بنى وأصلح؛ ما هدد، أي كسر، فقدُهُ بالحصين بن غمير السكوني⁽¹⁾، خرجت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة إلى قبر مسلم بن عقبة فنبشته وأخرجت جثته فصلبتها. والمريد: يعني

(1) يعني أن تولي الحصين قيادة الجيش أنقذه مما قد يحدث له من تصدع بسبب موت مسرف (مسلم) بن عقبة.

به مسرفاً، وكان حين بعثه يزيد على الجيش يشتكي بطنه، فقال: إن أُصيب مسلم فالحصين بن نمير مكانه، وهو من سكون - قبيلة من كندة - فمات مسلم بين مكة والمدينة قاصداً ابن الزبير، فولي الحصين بن نمير؛ فقدم مكة وحاصر أهلها حصاراً مشهوراً، وضرب على أبي قيس منجنيقاً ورمى به البيت فأوهنه، وقتل به رجالاً من أهل مكة منهم المسور بن مخرمة.

ويحكى من شجاعة عبد الله بن الزبير أنه كان يصلي في المسجد حين رمي البيت بالمنجنيق، وكانت حجارة المنجنيق تمر حول أذنيه ولا يلتفت إليها كأنه كعب راتب⁽¹⁾.

وأوهن البيت أيضاً بقبس، أي شعلة نار، جعلها على رأس رمح فرمى به البيت فطيرته ريح إلى البيت فاشتعلت فيه وفي قرن كبش إسماعيل الذي فدي به، وكان معلقاً بالكعبة منذ ذلك إلى أن احترق في حصار الحصين. ثم لم يزل الحصين محاصراً أهل مكة إلى أن بلغه موت محشٍ حربه وهو يزيد بن معاوية، فكع، أي نكص، عن محاربة أهل مكة، وسار ابن الزبير بكلام يشير فيه إلى موت يزيد، قبل أن يبلغ موته أهل مكة، ويريد منه أن يوليّه إن هو بايعه؛ فلم يكثر به ابن الزبير، فقال له: سبحان الله أسارك وتجاهرني وأكلمك بكلام الملوك وتجيبي بكلام السوقة، فارتحل الحصين

(1) أي منتصب ثابت، يقال: رتب الشيء: ثبت فلم يتحرك ورتب الكعب أي انتصب - [لسان العرب].

راجعاً إلى الشام.

وَلَأَبِي حَبِيشِ ابْنِ الْمُطَّلِبِ يَنْتَسِبُ السَّائِبُ نَخْبَةُ النَّسَبِ
بِنْتُ ابْنِهِ عَبْدُ إِلَهِ الدَّاهِي طَلَّقَهَا الْمُطَّرِفُ عَبْدُ اللَّهِ
عَلَى الْمِنْصَّةِ وَزَوْجَ ابْنَتِهِ عَبْدُ إِلَهِ مُصْعَبًا فَأَسْكَنَهُ

يعني ومن ولد المطلب أبو حبيش، أخو الأسود. وينتسب إلى أبي حبيش السائب وهو ابنه لصلبه. ونخبة النسب: خيرته⁽¹⁾. وأشار في البيتين إلى أن عبد الله بن السائب بن أبي حبيش داهية، أي عاقل، وإلى أنه زوج بنته فاطمة من المطرف (كمنبر) وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، سمي بذلك لجماله، فلما جلست على المنصة (بالكسر) - وهو شيء يهيا للعروس وهو أول ما تجلس عليه - طلقها المطرف، فأتى أبوها عبد الله إلى حلقة من قريش في المسجد فقال: إني زوجت ابنتي فاطمة عبد الله بن عمرو ثم طلقها على منصتها، وإني أخاف أن يظن الناس أنه رأى سوءاً، وأنتم عمومتموها فاقدموها حتى تنظروا إليها، فقال له عبد الله بن الزبير - وكان في الحلقة -: اجلس، فجلس، فحمد الله ثم خطبها على أخيه

(1) وكان السائب بن أبي حبيش هذا شريفاً وسيطاً، وأمه أم جميل بنت الفاكه بن المغيرة المخزومية. أسلم يوم الفتح، وكانت تحته بنت عمه عاتكة بنت الأسود بن المطلب، وقيل هي عاتكة بنت عبد المطلب، عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولد له عبد الله بن السائب الصحابي الجليل. وكان السائب خيراً، قال فيه عمر: ذلك رجل لا أعلم فيه عيباً فما من أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أقدر أن أعيبه غيره، وقيل بل قال ذلك في ابنه عبد الله، وكانت للسائب سن عالية ومات بالمدينة في زمن معاوية رضي الله عنه.

مصعب، ومصعب في الحلقة جالسا، فزوجها إياه أبوها؛ ثم قال عبد الله بن الزبير لمصعب انطلق فادخل على أهلك، فدخل مصعب في الحين عليها.

فولدت له عيسى بن مصعب - المقتول مع أبيه - وعكاشة بن مصعب، وكلاهما سيد. وقد افتخرت ربيعة بقتل عيسى فقالت:

نحن قتلنا مصعبا وعيسى وكم قتلنا قبله رئيسا
عمدا أذقنا مضر التأسيسا

ولما أنهى الكلام على ولد المطلب شرع يتكلم على ولد خويلد بن أسد، فقال رحمه الله:

خُوَيْلِدٌ مِنْهُ حَكِيمٌ عَتَقَا مِائَةَ عَبْدٍ كُلُّهَا تَطَوَّقَا
بِعُتْقَاءِ اللَّهِ عَنْ حَكِيمٍ يُنْقَشُ فَوْقَ طَوَّقِهَا الْوَسِيمُ

يعني أن خويلد بن أسد بن عبد العزى منه حكيم بن حزام بن خويلد، ابن أخي أمنا خديجة⁽¹⁾ بنت خويلد.

(1) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم العامرية ثم المعيصية، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأم هالة قلابة بنت سَعِيد بن سعد بن سهم السهمية. وكانت خديجة رضي الله عنها - مع ما أراد الله بها من كرامته - امرأة عاقلة لبيبة حازمة ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر، وكانت تسمى في الجاهلية الطاهرة لشدة صيانتها وعفافها، وتسمى أيضا سيدة نساء قريش. وكانت ذات تجارة تبعثها إلى الشام فتكون

عيرها كعامة غير قومها وتستأجر رجال قريش؛ وقد استأجرت مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارة لها إلى الشام وبعثت معه غلاما لها يدعى ميسرة، فلما قدم وأخبرها بما رأى فيه من الأمانة والبركة وإضلال الغمام له وما سمع من أهل الكتاب وغير ذلك، بعثت إليه نفيسة بنت منية - أخت يعلى بن منية - تخطبه ثم دعت به إلى الزواج بها - وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكىاء - فتزوجها صلى الله عليه وسلم، وقد قيل إنه أصدقها اثني عشرة أوقية ذهباً ونصف أوقية. فكانت أول امرأة يتزوجها ولم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها. وكان حين زواجه بها ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين سنة، وكل أولاده منها إلا إبراهيم؛ فقد ولد له منها القاسم - وبه يكنى - وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله - ويلقب بالطاهر والطيب - ومات كل أبناؤه قبل البلوغ، وأما بناته فأسلمن وهاجرن. ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم آمنت به فكانت أول من آمن به من الرجال والنساء، وآزرته على أمره؛ فكانت له مثال الزوجة الصالحة الوفية فبذلت له نفسها ومالها وكانت تهدي روعه بعد نزول الوحي وتقول له: والله لا يخزيك الله أبداً: إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. وكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بها؛ تثبته وتصدقته وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقي من قومه، وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خديجة إن جبريل يقرئك السلام من ربك»، فقالت: "هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام". ومكثت معه صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر، وتوفيت في شهر رمضان سنة عشر من البعثة، أي قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون ونزل النبي صلى الله عليه وسلم في قبرها. ولم ينس صلى الله عليه وسلم محبته إياها بعد وفاتها، فكان دائماً يثني عليها ويهدي إلى صديقاتها؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة وما بي أني أدركتها ولكن لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وإن كان ليذبح الشاة فيتبع صدائق خديجة يهديها هنّ، وقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً وقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره

<<=

حكيم بن حزام

وكان حكيم في الجاهلية من أشرف قريش وذوي الرأي منهم⁽¹⁾، وأشار إليهم يوم بدر بالرجوع عن النبي ﷺ وألحَّ عليهم في ذلك، فامتنع أبو جهل، ونجا حكيم فيمن نجا ولحق بابني العوام على جمل، فنزل له عبد الرحمن واستنزل عبد الله، فقال: أنا أعرج وأخاف أن يدركني الطلب؛ وكان عبد الله يعرج، فقال له: ألا تنزل لرجل إن قتلت كفاك وإن أسرت فذاك؟ فنزل له وأدرك فقتل، ونجا عبد الرحمن فأسلم؛ وكان اسمه عبد الكعبة بن العوام فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وقال حسان في حكيم:

وفرَّ بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالأسود

وقال فيه أيضا:

نجى حكيم يوم بدر شدة كنجاؤه من بنات الأعوج

ثم أسلم يوم الفتح هو وبنوه: هشام وخالد وعبد الله ويحيى، وحسن إسلامهم. وكان حكيم إذا اجتهد في الحلف يقول: "والذي نجاني يوم بدر". وشهد حينما مع رسول الله ﷺ وأعطاه، فيمن أعطى من المؤلفه، مائة ناقة من غنائم حنين. وكانت بيده دار الندوة؛ اشتراها من بني عبد

--- >>

من الغضب، ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيرا منها؛ آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني حين كذبني الناس وأعطتني ما لها حين حرمني الناس ورزقني الله منها الأولاد حين حرمني أولاد النساء»، قالت فقلت في نفسي: لا أذكرها بشيء أبدا.

(1) قيل لم يدخل دار الندوة للمشورة من قريش لخمس عشرة سنة إلا حكيم بن حزام.

الدار في الجاهلية ثم باعها في الإسلام من معاوية بمائة ألف فتصدق بجميع ثمنها، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى. ووقف يوم عرفة بمائة عبد في عُنُق كل واحدٍ منهم طوقٌ منقوش عليه نحن عتقاء الله عن حكيم. والوسيم: الحسن، أي طوقها الحسن. وكان اشترى في الجاهلية زيد بن حارثة فأعطاه لعمته أمنا خديجة فأعطته لرسول الله ﷺ. ولا تعدُّ محامده في الجاهلية وأولى في الإسلام؛ قال له رسول الله ﷺ حين أسلم: «أسلمت على ما سلف لك من خير»⁽¹⁾. أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وقد ولدته في الكعبة في الطواف⁽²⁾، وتركت ثيابها التي نفست فيها ثم يطؤها الطائفون حتى تبلى، وذلك شرعهم؛ وكذلك ثياب من طاف بالبيت في ثيابه من غير أهل مكة، وتسمى تلك الثياب اللقى، قال الشاعر:

فوا حزنا كَرِّي عليه كأنه لَقَى بين أيدي الطائفين حريم⁽³⁾

ومولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وهو أسنُّ من النبي ﷺ بذلك، وتوفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية، عاش مائة وعشرين

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) وقيل هي صفية، وقيل زينب، وكانت قد ولدته في جوف الكعبة؛ دخلت مع نسوة وهي حامل فضربها المخاض فأتيت بنطع فولدته عليه، قتل عنه والده في حرب الفجار. وكان حكيم عاقلا سريا فاضلا تقيا سيدا غنيا، وكانت وفاته بداره بالمدينة حول البلاط.

(3) الحريم: ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه - كما مر.

سنة؛ ستون في الجاهلية وستون في الإسلام - كما مر.

ومات هشام بن حكيم قبله⁽¹⁾ وورث ابن ابنه عثمان بن عبد الله بن حكيم. وأم عبد الله بن حكيم زينب بنت العوام، وقالت تبكيه - وقد قتل يوم الجمل - وذكرت أخاها الزبير:

أعني جوداً بالدموع فأسرعا	على رجل طلق الدين كريم
فقد كان عبد الله يدعى لحادث	وذي خلة منا وحمـل يـتـيم
قتلتم حوارى النبي وصهره	وصاحبه فاستبشروا بحجـيم
وقد هدني قتل ابن عفان قبله	فجادت عليه عبرتي بسجوم
وأيقنت أن الدين أصبح مدبراً	فكيف نصلي بعده ونصوم
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما	أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

وَأَلْفَ شَاةٍ وَمِنَ الْبُذْنِ مَائَةً أَهْدَى إِلَى الْبَيْتِ وَفَارِسُ الْفِئَةِ
أَبُو خُبَيْبٍ الْأَبِيُّ ابْنُ الْأَبِي إِنْهُ الْمَحَامِدُ لِتَحْنِيكَ النَّبِيِّ
وَشَرِبِهِ مِنْ دَمِهِ وَأَخْبَرَا بِالشَّرْبِ جَبْرِئِيلُ أَشْرَفُ الْوَرَى

يعني أن حكيم حج بمائة بدنة أهداها إلى البيت قد جلّلها بالحبرة وكفّها عن أعجازها⁽²⁾، وأهدى إليه أيضا ألف شاة.

(1) أي قبل حكيم فكان ممن استشهد بأجنادين، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمشي في إصلاح ذات البين، وأما أخوه عبد الله بن حكيم فقتل يوم الجمل مع عائشة ومعه لواء طلحة والزبير يومئذ.

(2) جلّلها: أي وضع عليها الجلال وهو ثوب يغطى به ظهر البدنة وهو مستحب حسب وسع المهدى ويندب أن يكون أبيض كما يندب شقه عن السنام ليظهر الإشعار ويمسك بالسنام

ثم شرع في الكلام - في البيت - على عبد الله بن الزبير بقوله: وفارس
 الفئة: يعني بالفئة بني أسد بن عبد العزى أو جميع قريش، لأنه من فرسانهم
 وشجعانهم؛ ومن ذلك فعله بجر جبر ملك افريقية الآتي قريبا. وإلف المحامد:
 صاحبها الذي يألّفها وتألّفه، واكتسب المحامد لتحنيك النبي ﷺ له بريقه،
 وكانت أمه أسماء أبت أن ترضعه حتى يسبق ريق النبي ﷺ في جوفه،
 فحنكه بريقه وجعل ينظر في وجهه، ثم قال لها: «ارضعيه ولو بماء عينيك
 فليمنعن البيت أو يقتل دونه». قوله: وشربه (بالخفض): عطف على
 لتحنيك، وذلك أنه [صلى الله عليه وسلم] احتجم فأمره بإراقة دمه فلما
 غاب عليه شربه، فأخبر جبريل النبي ﷺ، فقال له: «ما فعلت بالدم؟ ويل
 لك من الناس وويل للناس منك»⁽¹⁾. وأبو خبيب بيان لفارس الفئة؛ وهي
 كنية عبد الله بن الزبير - كني بابنه خبيب - ويكنى أيضا أبا بكر، وهي
 أحب إليه من أبي خبيب؛ ومن يتنقصه - كني أمية وغيرهم - لا يسمونه
 إلا أبا خبيب. وفد عليه عبد الله بن الزبير الأسدي فلم يعطه شيئا
 فاستحمله فقال له: ما بال ناقتك؟ قال: نقت، قال: رقعها وانعلها..
 فتكلما إلى أن قال الأسدي: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال له القرشي:

-- >>

مخافة سقوطه. والخبرة (بسكر المهملة وفتح الموحدة): ثوب يمان من قطن أو كتان مخطط.
 وكفها: أي ردها عن أعجازها أي مؤخرها. وكما يندب تحليل البدنة فإنه يسن تقليدها
 وإشعارها، وتقليدها هو تعليق قلادة - أي حبل - في عنقها، وإشعارها هو شق سنامها من
 الجانب الأيسر من ناحية الرقبة إلى ناحية الذنب..

(1) رواه الطبراني وابن حبان والحاكم.

إنَّ وراكبها، فخرج الأسدي يهجوهُ بقوله:

أرى الحاجات عند أبي خبيب نكبن ولا أمة في البلاد

(من قصيدة⁽¹⁾).

وخبيب هو أكبر بني عبد الله، أمه تماضر بنت منظور بن زبان، وهي التي يعني الفرزدق بقوله:

[أما البنون فلم تقبل شفاعتهم] وشُفعتُ بنتُ منظور بن زبانا

وذلك أن النوار، زوج الفرزدق، فرت منه إلى عبد الله بن الزبير في خلافته بمكة، فاستجارت بزوجه تماضر؛ فتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد الله، فكل ما أصلحه البنون نهاراً أفسدته تماضر ليلاً، فقال الفرزدق الأبيات، وتقدمت.

وسبب تزويج عبد الله بن الزبير تماضر أنه بعثه الزبير إلى العباس يستعير منه رحلاً، فصادف العباس قد أطعم فأمره أن يأكل من المائدة، فنظر العباس إلى أكله فاستضعفه فقال له: ذهب بك لين آل أبي بكر، فاقراً أباك السلام وقل له إن آل أبي بكر قد غلبوا على ابنك هذا فزوجه

(1) ومنها:

من الأعياص أو من آل حرب أغر كفرة الفرس الجواد

ومنها:

فقلت لصحبي أدنوا ركابي أفارق بطن مكة في سواد
ومالي حين أقطع ذات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد... إلخ.
والكاهلية إحدى جداته.

في الأعراب. فزوجه تماضر بنت منظور بن زبان فولدت له خبيبا وحمزة⁽¹⁾ وعبادا وثابتا. أما خبيب فهو الذي مات تحت ضرب عمر بن عبد العزيز، حين كان أميرا للوليد بن عبد الملك على المدينة؛ وكان عمر بعد ذلك إذا قيل له: أبشر فقد صنعت خيرا، يقول: فكيف بخبيب؟ وحمزة هو الذي يقول فيه موسى شهوات⁽²⁾:

حمزة المتاع بالمال الثنا ويرى في بيعه أن قد غبن⁽³⁾

(1) أما خبيب (بوزن زبير) فهو أكبر ولده وبه يكنى وكان أبوه بشر به مرجعه من فتح إفريقية. ويلقب خبيب هذا بكعب الأخبار والعلماء، وكان من ذوي العلم والنسك؛ كثير الصلاة قليل الكلام. وأما حمزة فكان من فتيان عصره غنيا جوادا. ولعبد الله بن الزبير ابن خامس اسمه عامر أمه خيثمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومية.

(2) موسى شهوات شاعر معروف، من الموالي نشأ وعاش بالمدينة ونزل بالشام في أيام سليمان بن عبد الملك فكان من شعرائه. واختلف في سبب تلقيه "شهوات"؛ قيل لقوله في يزيد بن معاوية:

لست منا وليس خالك منا يا مُضِيع الصلاة بالشهوات

وقيل كان يتاجر بالسكر والقند فقالت امرأة: ما زال موسى يأتينا بالشهوات، فغلب عليه - [الأعلام للزركلي].

(3) وبعده: وإذا ما سَنَة مجدبة — برت المال كبري بالسفن

أسفرت عنه نقيا عرضه — طاهر الأثواب ما فيه درن

قوله: كبري: من برى العود والقلم وغيرهما برى: نحت. والسفن (محركة): الفأس التي ينحت بها النجار، قال الشاعر:

ضربا كنحت جذوع الأثل بالسفن

والدرن: الوسخ.

وهو الذي وضع الحجر في البيت حين تنازع الناس فيمن يضعه، فبينما هم كذلك إذ حانت الصلاة فأقاموها؛ فلما استمكنوا فيها قطع صلاته ووضع الحجر والناس في الصلاة. وكان ذا مال كثير بعد ذلك وذا جود، وكانت له بـ"الفرع" - وهو موضع بين مكة والمدينة - ألف نخلة تسقيها عينان.

ترجمة الزبير بن العوام

وقوله: الأبي بن الأبي: أراد عبد الله والزبير، والأبي: الأبي عن الضيم، وهو أيضا من أسماء الأسد، يقال رجل آب من أباة، وأبي من أبيين، قال أعرابي من بني الحارث بن كعب:

رئمتُ لسلمي بوّ ضيم وإنني	قدما لأبي الضيم وابن أباة ⁽¹⁾
أيا بعل سلمى كم وكم بأذاتها	- عَدِمْتُكَ - من بعلٍ تطيل أذاتي
بنفسي حبيب حال بأبك دونه	تقطع نفسي دونه حسراتي
فوالله لولا أن تـراع لرُعته	بما ليس بالمأمون من فتكاتي

وحق للزبير أن يوصف بالإباء وبالصفّات المحمودّة لأنه ممن يعدل بألف

(1) يعني أنه رضي بالضيم وألفه طلبا لرضاها رغم أنه كان أبي ضيم وابن أباة. والضيم: الظلم، واستضامه فهو مَضِيم ومُستضام أي مظلوم، وقد جمع المصدر منه فقليل ضيوم، قال المثقب العبدى:

ونحني على الثغر المخوف ونثقي بغارتنا كيد العدى وضيومها

فارس، وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه⁽¹⁾:

فكم كربة ذب الزبير بنفسه عن المصطفى والله يُعطي ويُجزل
وكم كربة ذب الزبير بصارم بأبيض سباقٍ إلى الموت يرقل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما دام يذبل

قيل إن الملائكة يوم بدر نزلت على سيما الزبير، لأنه ذلك اليوم معتجراً بعمامة صفراء وكذلك الملائكة سيماهم يومئذ عمائم صفراء. وهو حوارى النبي ﷺ؛ سماه بذلك ليلة الأحزاب قال: «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير»⁽²⁾ (والحوارى الناصر والخليل). وسمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن الحوارى فقال له: إن كنت ابن الزبير وإلا فلا.

وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب⁽³⁾، وهي أيضاً أم السائب أخيه

(1) أقام على هدى النبي وعهده حواريه والقولُ بالفعل يُعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل
وإن امرأ كانت صفية أمه ومن أسد في بيتها لمرقل
له من رسول الله قربي قريبة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير... إلخ.

(2) رواه البخاري وابن ماجه وأحمد.

(3) شقيقة حمزة وعمة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تكنيه بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب: أبا الطاهر ثم اكتنى بابنه عبد الله وغلبت عليه، وكانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابات وروابط متعددة؛ فبالإضافة إلى أن أمه عممة النبي صلى الله عليه وسلم فإن عمه الزبير أمنا خديجة رضي الله عنها وعمة أبيه العوام أم حبيب بنت أسد

<<=

الصحابي الذي استشهد يوم اليمامة؛ وله تقول صفية قبل:

يَسُبُّني السائبُ من خَلْفِ الجُدُرِ لكن أبو الطاهر زبَّارٌ أمر⁽¹⁾
لِماله مَبْذَرٌ بَرٌّ غَفِرُ

(وأبو الطاهر كنية الزبير قبل) وكانت تضربه وهو صغير، فقال لها نوفل بن خويلد، إنها تبغضه فقالت:

مَنْ خالني أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يَلْبُ
ويَهْزِمَ الجيشَ ويأتي بالسلب ولا يكن لِماله جَدًّا محب

فقال نوفل: كفوا عنا شاعرتكم هذه يا بني هاشم!.

أسلم الزبير وهو ابن اثني عشرة سنة، وقيل عشر سنين؛ ولم يزل في طاعة الله وطاعة رسوله، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وجعله عمر في الستة أصحاب الشورى؛ ثم جعل حظه إلى علي. وفي عيون الأثر للإمام اليعمري: أن النبي ﷺ بعث جيشا إلى اليمن فلما قارب قبائل زبيد ومراد قال عمرو بن معد يكرب لقومه: دعوني ألقهم وأنتمي لهم لعلهم يرجعون، فركب فرسه بسلاحه فتلقاهم يقول: أنا أبو ثور أنا أبو ثور.. فابتدره علي والزبير كلاهما يقول: خل بيني وبينه فذاك أبي وأمي، ففر عمرو وأتى قومه، فقال لقومه: أعطوا هؤلاء ما سألوكم فوالله ما انتسبت

>> - - -

بن عبد العزى جدة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الأم، وجدة الزبير من أمه هالة بنت أهيب بنت عم أم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان الزبير أيضا سلف النبي صلى الله عليه وسلم، لأن عنده أسماء بنت أبي بكر، أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(1) الزبار: القوي الشديد. والأمير (كفرج): الكامل والميمون.

قط لجيش إلا انهزم، إلا هؤلاء.. والله لكأني أدعوهم إلى لحم شاة مشوي!.

قلت: ولعل هذه الحكاية هي التي نشأ منها «لا تحدث عن الأحياء»، لأن ابن سيد الناس يسندُها لابن عبد الحكم عن الشافعي حكاية. وأصل المثل أن ابن عبد الحكم حكى عن الشافعي حكاية، ثم سئل عنها الشافعي فقال: ما سمعت بها قط ولا حدثت بها ابن عبد الحكم؛ فترك الناس ابن عبد الحكم حتى لا يسأله أحد، ثم أتى بن عبد الحكم الشافعي فلم يزل يذكره حتى تذكر الحكاية وتذكر حين حدثه بها فقال: "لا تحدث عن الأحياء"؛ خاف الشافعي على العلم الضيعة لأنَّ المحدث إذا حدث عن الحي قد ينسى الحيَّ المحدث عنه فيكون المحدث كاذبا فيترك علمه.

وولد الزبير رضي الله عنه عشرة أولاد ذكورا ونسوة: عبد الله، وهو أسنهم، والمنذر وعروة وعاصم - مات صغيرا - وأم الحسن؛ أمهم أسماء بنت أبي بكر، وخالد وعمرو؛ أمهما أم خالد بنت سعيد بن العاص - ولدت بأرض الحبشة وهي التي كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة فقال لها: «سناه سناه يا أم خالد»⁽¹⁾ أي حسن حسن - بلغة الحبشة -، ومصعب وحمزة ورملة؛ أمهم الرباب بنت أنيف بن خباب الكلبي، وجعفر وعبيدة؛ أمهما زينب بنت بشر من بني قيس بن ثعلبة.

ثم توفي الزبير رضي الله عنه وهو ابن نيف وستين سنة؛ قتله يوم

(1) رواه البخاري وأبو داود وأحمد والطبراني.

الجميل عمرو بن جرموز التميمي. كان مع عائشة وطلحة على قتال علي طلباً لدم عثمان، فناده علي وخلا به فقال له: أنشدك الله أتذكر يوم قال لك النبي ﷺ: «أما إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم»⁽¹⁾؟ فتذكر الزبير ورجع، فرآه ابن جرموز راجعاً فقال: أضرمها ابنُ صفية وأراد أن يخرج.. والله لا كان ذلك، فتبعه ووجده نائماً بواد يقال له "وادي السباع" وسيفه معلق بشجرة فاخترط السيفَ وقتله وحمل رأسه إلى علي وقال لبوابه: بشر علياً برأس الزبير، فقال له علي: بشره بالنار؛ لأن علياً سمع من رسول الله ﷺ: «القاتل والمقتول في الجنة إلا قاتلَ الزبير»؛ وقال ابن جرموز:

أتيت علياً برأس الزبيـ ر وقد كنت أحسبه زلفه
فبشر بالنار قبل العيا ن فبیس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزبيـ ر وضرطه غير بذی الجحفه!

ودعا رضي الله عنه ابنه عبد الله - يوم مات - وقال له: يا بني هذا اليوم لا يقتل فيه إلا ظالم أو مظلوم وأراني أقتل فيه مظلوما فاقض عني ديوني من مالي، فإن ثقل عليك فقل: يا مولی الزبير أعني على قضاء دين الزبير؛ قال عبد الله: فكلما قتلها أعاني الله، وبعث الغابة من معاوية بن أبي سفيان. فلما قضى عبدُ الله ديونه أتاه ورثته يطلبون قسم الميراث فقال: لا والله حتى تمضي أربع سنين لئلا يأتي أحد من أهل دين الزبير

(1) رواه الحاكم في المستدرک.

فيجد المال وقد تفرق بينكم. ومات رضي الله عنه عن كثير من الديون وكثير من الأموال اكتسبها بالغنائم والتجارات، ولم يعمل قط لأحد، وكانت له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج كل سنة، ولم يدخل عليه قط منه درهم.. يتصدق بجميع ذلك. ومات عن عاتكة الشهداء، وقالت تبكيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نُبّهته لوجدته	لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت مسلماً	حلت عليك عقوبة المتعمد
إن الزبير لذو بلاء صادق	سمح سجيته كريم المحتد

ترجمة عبد الله بن الزبير وبعض أخباره

أَوَّلُ مَنْ وَلِدَ لِلْمُهَاجِرِينَ . وَقَلَ جَرَجِيرًا عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ
وَقَالَ سَابِي ابْنَتِهِ وَقَدْ فَتَكَ: "يَا بِنْتَ جَرَجِيرٍ تَمْشِي عُقْبَتَكَ"

وفرح المسلمون بمولده لأن المنافقين كانوا يزعمون أن اليهود سحرتهم فلا يولد لهم، وأول من ولد للأنصار النعمان بن بشير بعد قدوم رسول الله ﷺ عليهم. ويزعم كثير من الكتب أن مولد عبد الله في السنة الثانية، وكيف يصح ذلك والزبير هاجر قبل النبي ﷺ ولم يبق معه بمكة ينتظر الإذن في الهجرة إلا أبو بكر وعلي سوى العيالات؟ اللهم إلا أن يكونوا أرخوا برأس السنة الذي هو المحرم، وأما إن أرخوا بهجرته صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر في غرة ربيع فلا، لقول أسماء في حديث الهجرة: "وأنا

متم"، أي أتممت أشهر الحمل، ولقول عبد الله: هاجرت أُمِّي وأنا حمل..
فما أصابها من ظمأ ومخمصة ونصب أصابني⁽¹⁾.

وتلّه: صرعه على خدّه وجبينه، قال تعالى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾⁽²⁾ أي
صرعه على جبينه، والجبينان: العظمان المكتنفان الجبهة. وجرجير: اسم
ملك إفريقية. يشير إلى قتل عبد الله بن الزبير جرجيرا، وهو أن عثمان
بعث جيشا إلى إفريقية أميره عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر
بن لؤي. قال عبد الله بن الزبير: هجم علينا جرجير ملك إفريقية في
عشرين ومائة ألف فأحاطوا بنا، والمسلمون في عشرين ألفا، فاختلف
الناس على ابن أبي سرح، فدخل فسطاطا له فخلا فيه. ورأيت غرّة من
جرجير؛ بصّرت به خلف عساكره على بردون أشهب معه جاريتان له
تُظْلان عليه بريش الطّواويس، بينه وبين جنده أرض بيضاء ليس فيها أحد،
فخرجت أطلب الإذن على ابن أبي سرح لأخبره بغرّته، فأتيت حاجبه

(1) وَحَنَكُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيقِهِ وَيَدِهِ. وَلَهُ يَقُولُ الْعَقِيلِيُّ:

بَرُّ يُبَيِّنُ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُ مِنْ الصَّلَاةِ بَضَاحِي وَجْهِهِ عِلْمٌ

حَامَّةٌ مِنْ حَمَامِ الْبَيْتِ قَاطِنَةٌ لَا يَتَّبِعُ النَّاسَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا

وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اكنني، قال: «تَكْنِيْ بِابْنِكَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ
الزُّبَيْرِ» - وهي خالته، أخت أمه - وكانت كنيته أم عبد الله. وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد جمع المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام حين ترعرعوا فبايعهم فكان
منهم عبد الله بن الزبير، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حدث به. وكان ابن
عشر سنين حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم - [الزبيرى].

(2) الصافات: 103.

فأبى أن يأذن لي عليه، فدرت من كسر الفسطاط فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره يفكر؛ ففرع واستوى جالسا فقلت: إيه.. كلُّ أذب نفور⁽¹⁾! فقال: ما أدخلك علي يا ابن الزبير بغير إذن؟ قلت: رأيت غرة من العدو فاندب الناس، قال: وما هي؟ فأخبرته، فخرج معي سريعا فقال: أيها الناس انتدبوا مع عبد الله بن الزبير، فاخترت ثلاثين فارسا فقلت: احمّلوا في ظهري. وحمّلت في الوجه الذي رأيت فيه جرجيرا، فما كان إلا أن خرقت الصّف إليه فخرجت صامدا له، ما يحسب هو وأصحابه إلا أنني رسول إليه، حتى دنوت منه، فعرف الشر فقتل برذونه موليا فأدركته فطعنته فسقط وسقطت الجاريتان عليه وأهويت إليه وضربته بالسيف فأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها وذفت عليه ثم احتزرت رأسه وجعلته في رمحي ورفعت الرمح، وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه، وارفض العدو من كل وجه فمنح الله أكتافهم. ووجهني ابن أبي سرح بشيرا إلى عثمان بن عفان، فقدمت عليه فأخبرته بفتح الله ونصره ووصفت أمرنا كيف كان، فلما فرغت من ذلك قال: هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس؟ قلت: وما يمنعني من ذلك.. أنت أهيب عندي

(1) الزَّبُّ في الناس: كثرة الشعر وطوله، وفي الإبل: كثرة شعر الأذنين والعينين ولا يكون الأذب إلا نفورا لأنه تنبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربتها الريح نفر، قال الشاعر:

رَجَائِي بِالْعُطْفِ عُطْفَ الْحُلُومِ وَرَجْعَةَ حَيْرَانٍ إِنْ كَانَ حَارَا
وَحَوْفِي بِالظَّنِّ أَنْ لَا ائْتَلَا فَوْ أَوْ يَتَنَاسَى الْأَذْبُ النَّفُورَا

منهم، قال: فاخرج إلى المسجد فأخبرهم، فخرجت حتى أتيت المنبر فاستقبلت الناس فتلقاني وجه أبي الزبير فدخلتني هيئته فعرفها مني فقبض قبضة من حصي وجمع وجهه في وجهي وهم أن يحصبني، فاعتزمت فتكلمت. وقال أبي الزبير حين فرغت: "كأنني سمعت كلام أبي بكر الصديق، فمن أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما". قال المصعب الزبيري في جهرة: بُشر عبد الله بن الزبير مقدّمه من إفريقية بابنه خبيب وهو أكبر ولده وبأخيه عروة. وفي غيره: أن عروة ولد في خلافة عمر يوم مات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ.

قوله: وقال سابي ابنته: أي بنت جرجير، ولم نقف على تعيينه لكن يدل قوله على أنه من بني عمرو بن عوف، لأنهم أهل قباء⁽¹⁾، وكان مردفها فجعل يقول:

يا بنت جرجير تمشي عقتك إن عليك بالحجاز ربتك
لتحملن من قباء قربتك

فسألت عما يقول؟ ففسر لها، فرمت نفسها من فوق البعير مصوبة رأسها فهلكت.

أَلْقَى الْحِجَازُ وَالْعِرَاقُ وَالْيَمَنُ . وَكَادَ مَرْوَانُ . إِلَيْهِ بِالرَّسَنِ⁽²⁾

(1) وفي كامل ابن الأثير أنه أنصاري ولكنه لم يسمه ولم يذكر من أيهم.

(2) ألقى إليه الشيء: طرحه له. وبالرسن: متعلق بالقي. والرسن: الحبل الذي يشد على رأس الدابة فتقاد به. يعني أن أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن بايعوا عبد الله بن الزبير وأن مروان بن الحكم اهتم أن يبايعه ولكنه لم يفعل. وقوله: كاد مروان: أي أن يلقي إليه بالرسن أيضا.

يعني أن عبد الله بن الزبير لما مات معاوية، وكان عَقَدَ الأمرَ من بعده لابنه يزيد، أبي هو والحسينُ أن يبايعا ليزيد؛ وكان بعث إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وهو أمير على المدينة - أن يأخذ له البيعة على أهلها، فبعث الوليدُ إلى الحسين وعبد الله بن الزبير ليلا؛ فالتقيا فقال له الحسين: ما ظنك بحاجته إلينا في هذا الوقت؟ فقال له ابن الزبير: أظن طأغيتهم قد مات - يعني بني أمية، ويعني بالطاغية معاوية - فلما أتياه سألهما أن يبايعا فقالا له: إنا لا نبايعُ ليلا، فخرجنا ولم يبايعا.

أما الحسين فقصد العراق، وكان أهله وعدّوه بالبيعة؛ فنهاه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وودّعه ابن عمر وعانقه وقال له: "استودعتك الله من قتيل". وقال له ابن عباس - وقيل ابن الزبير -: أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟ فقال له الحسين: أتنا بيعة أربعين ألف رجل من أهل الكوفة، وأقل من أهل العراق.

وأما ابن الزبير فقدم مكة يقول إنه عائد بالبيت من القتل والقتال، ولذلك يقال له عائد البيت⁽¹⁾ ويقال له المُحِلُّ أيضا - زعموا أنه أحلَّ القتال بمكة - قال ابن أبي ربيعة يتغزل برملة بنت الزبير:

(1) في سير أعلام النبلاء: 4/467 قال مصعب بن عبد الله وغيره: كان يقال لابن الزبير عائد بيت الله، وقال ابن الزبير عن نفسه: اللهم إني عائد بيتك، ف قيل له عائد البيت، وبقي لا يعرض له أحد. وفي البداية والنهاية: 5/653 أن الحسين وابن الزبير قدما مكة فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص فخافاه وقالوا: إنا جئنا عواذا بهذا البيت. وفي الإصابة: 2/311 أنه عاذ بالحرم.. وسمى نفسه عائد الله.

ألا من لقلب معنى غزل بذكر المحلة أخت المحل

فلما قدم ابن الزبير دعا لنفسه، فبايعه أهل مكة ثم سائر أهل الحجاز ثم أهل اليمن؛ وولى عليهم الهبرزي بن الأزرق، الجواد ممدوح أبي دهبيل (قالوا إنما عزله عبد الله حسدا). ثم بايعه أهل العراق وولى عليهم أخاه مصعبا.

قوله: وكاد مروان: يعني أهل الشام، لأنهم بايعوا بعد يزيد بن معاوية مروان بن الحكم؛ فلما رأى أمر ابن الزبير طالعا اهتم بأن يخلع له الأمر فيبايعه، حتى التقى جيشاهما بمرج راهط؛ مروان على جيشه، وعلى جيش ابن الزبير: الضحاك بن قيس وزفر بن الحارث بن قيس الكلابي، فقتل الضحاك وانهزم زفر بن الحارث. ثم مات مروان ولم تبلغ إمارته سنة فبويع لعبد الملك، فنازع ابني الزبير حتى قتلهما.

ويروى أنه اجتمع يوما عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان بالحجر فقالوا: هلم فليستلم كل واحد منا الركن وليدع بما شاء، فقام عبد الله بن الزبير ودعا أن لا يموت حتى يملك الحجاز بأسره، ودعا مصعب أن لا يموت حتى يملك العراق ويجمع بين عقيلتي قريش: سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ودعا عبد الملك أن يملك الأرض شرقها وغربها وأن لا ينازعه أحد إلا أتي برأسه، ودعا ابن عمر أن لا يموت حتى يرى مقعده من الجنة.. فاستجيب لكلهم.

عَلَيْهِ إِذْ آثَرَ أَفْخَاذَ أَسَدٍ مِثْلَ التُّوَيْتَاتِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجِدْ
حَتَّى جَرَتْ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَةٌ أَدْخَلَتْ الْأَشْرَارَ بَيْنَ الْبُرَرَةِ

عليه الأول من البيت: متعلقٌ بوجد الأخير منه، أي وجد (أي غاظ)
عبد الله بن عباس على عبد الله بن الزبير أن آثر أفخاذ بني أسد بن عبد
العزى⁽¹⁾؛ فقال في ذلك عبد الله بن عباس: آثر بي ابن الزبير الحميدات
والتويات والأسميات.

أما الحميدات فسيأتي ذكرهم إن شاء الله في بني الحارث بن أسد،
وأما التويات فهم بنو تويت بن حبيب بن أسد؛ منهم الحولاء بنت
التويت التي سمعها رسول الله ﷺ تقرأ بالليل فقال: «ما هذا»؟ ف قيل:
تلك الحولاء لا تنام الليل، فكره ذلك فقال: «اكلفوا من العمل ما
تطيقون»⁽²⁾، وقال: «إن هذا الدين متين لا يُشادُه أحدٌ إلا غلبه»⁽³⁾. ومنهم
عطاء بن ذؤيب بن تويت. ثم انقرضوا.

(1) يروى أنه لما بايع الناس عبد الله بن الزبير قال ابن عباس: أين المذهب عن ابن الزبير: أبوه
حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم -
صفية بنت عبد المطلب - وعمته خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وخالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجدّه صديق رسول الله صلى الله عليه وسلم -
أبو بكر رضي الله عنه - وأمه ذات النطاقين؟ قال ابن عباس: فشددت على يده وعضده،
ثم آثر علي الحميدات والأسميات فبأوت نفسي ولم أرض بالهوان، وإن ابن أبي العاص
مشى اليقدمية وإن ابن الزبير مشى القهقري، ثم قال لعلي بن عبد الله بن عباس: الحق
بابن عمك "فَعَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ" ومنك أنفك وإن كان أجدع!. فلحق ابنه علي
بعبد الملك بن مروان فكان آثر الناس عنده. (قوله: فبأوت نفسي: أي علوت بها وفخرت.
وقوله: مشى اليقدمية: أي تقدم بهمته وأفعاله).

(2) رواه مسلم وابن ماجه.

(3) رواه أحمد.

وأما الأسيميات فهم من الحميدات؛ وهم بنو سامة بن عبد الله بن حميد⁽¹⁾؛ منهم عبيد الله بن أسامة قتل مع ابن الزبير.

قوله: حتى جرت بينهما: أي بين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير. والمشاجرة: أنه لما وجد عليه ابن عباس سمعها يزيد بن معاوية فأرسل إلى ابن عباس يستميله، فشمت به ابن الزبير، فقال له ابن عباس: لأن يربني رجل من بني عمي أحب إلي من أن يربني رجل من غيرهم، فغاض ذلك ابن الزبير حتى حبس عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية في سجن بالكوفة يقال له عارم؛ أول من بناه سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. والأشرار: يعني يزيد بن معاوية ورهطه. والبررة: ابن عباس وابن الزبير.

مِنْ حَرَمٍ لِحَرَمٍ يَصُومُ وَكُلُّ هَيَأَةٍ بِهَا يَقُومُ

يعني أن عبد الله بن الزبير عادته أنه إذا خرج من المدينة إلى مكة أو من مكة إلى المدينة لا يفطر فيما بينهما ويقوم الليل، حتى أنه قامه على كل هياة من قيام وقعود وركوع وسجود⁽²⁾.

(1) ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وحميد هذا قتله علي يوم بدر مبارزة وإليه كان حلف حاطب بن أبي بلتعة. ومن الحميدات: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي شيخ البخاري.

(2) وفي الإصابة من طريق مجاهد: ما كان باب من العبادة إلا جاء به عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيل إلى البيت فرأيت ابن الزبير يطوف سباحة. وفي الاستيعاب: كان عبد الله بن الزبير كثير الصلاة كثير الصوم شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات، وكانت له لسانة وفصاحة.

وَيَوْمَ مَاتَ اشْتَغَلُوا عَنِ الطَّوَافِ إِلَّا بَعِيرًا حَفَّ بِالْبَيْتِ وَطَافَ

يعني أنه يوم قتل عبد الله بن الزبير اشتغل الناس عن الطواف بالقتال؛ ويروى أنه ريء بعير جاء إلى البيت فطاف به، وذلك لأن مكة لا تخلو من طائف. وحف به: طاف بأحفته أي جوانبه، ومنه ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾⁽¹⁾ أي محققين بأحفته أي جوانبه.

وكان يوم موت عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى سنة ثلاث وسبعين، وذلك مدة حياته، قتله الحجاج بن يوسف لعبد الملك؛ لما قتل مُصعباً أخاه قال: من لابن الزبير؟ قال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فإني رأيت في المنام أني أسلخه كالشاة! فبعثه إليه في أربعة آلاف وسبعمائة فقتله وقتل معه مائتين وأربعين رجلاً، وإن منهم من سال دمه في جوف الكعبة، وصلبه فمكث مصلوباً ثلاثة أيام، فجاءت أمه أسماء بنت أبي بكر فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها الحجاج: المنافق! فقالت له: والله ما كان منافقاً ولكن كان صواماً قواماً، فقال: إنك عجوز قد خرفت! فقالت: والله ما خرفت.. ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير»؛ أما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد وأما المبير فانت. فأنزل وغسل وكفن عضواً عضواً.. فكلما غسل عضو وضعوه في أكفانه، فصلت عليه وكانت تقول: اللهم لا

(1) الزمر: 75.

تَقْتُلْنِي حَتَّى تَقْرَ عَيْنِي بِجَثَّتِهِ، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهَا جَمْعَةٌ حَتَّى مَاتَتْ. وَلَمَّا قَتَلَ
حَاضَتْ وَقَطَرَ اللَّبَنُ مِنْ ثَدْيَيْهَا وَهِيَ عَجُوزٌ قَدْ كَفَ بَصَرُهَا.
هَذَا وَقَدْ قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ جَرَجِيرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَتَلَ الْحَجَّاجَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فِي سَبِيلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ! فَسَبِّحَانَ مَنْ يَعَامِلُ
بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ..

وَإِذْ بِنَاءُهُ ابْنُ مَرْوَانَ نَقَضَ نَدَمَهُ الْقُبَاعُ جِدًّا وَعَرَضَ
لِمَا بَنَى مُبِيرُهُ الْمَنْصُورُ وَرَدَّهُ إِمَامُنَا الْمَشْهُورُ

قوله: وإذ بناءه: يعني عبد الله بن الزبير. وابن مروان: عبد الملك.
والقُبَاع: هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي.
ومُبِيرُهُ: أي مبير عبد الملك، وهو الحجاج بن يوسف، كما قالت له أسماء
بنت أبي بكر. والمنصور: هو أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد
الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس. وإمامنا المشهور: مالك بن أنس.

يقول لما قتل الحجاج ابن الزبير بعث إلى عبد الملك: ان هذا الرجل غير
الهيئة التي ترك عليها النبي ﷺ البيت فهل تأمرني أن أردّه إليها؟، فأمره
بذلك، ونقض بناء ابن الزبير فبناه على ما بنته عليه قريش؛ وقريش
قَصُرَتْ بِهِمُ النِّفْقَةُ أَنْ يَبْنُوهُ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فلما فتح النبي
ﷺ مكة قال لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنت الكعبة
على قواعد إبراهيم»⁽¹⁾. وكان رسول الله ﷺ يرغب الناس في الإسلام

(1) رواه البخاري ومسلم.

ويؤلفهم بالمال والصفح عن العصم والعوائد التي تخالف الشرع الواجب، فلما استحكم الإسلام في قريش بعد تأسيس الخلفاء لهم، وولي ابن الزبير مكة اهتم بأن يُمضي ما منع منه رسول الله ﷺ حدثان قريش بالكفر، فجمع أصحابه على صحة الحديث ثم شاور أكابر قريش، فجعل يهدم البناء الأول ولا ينقض حجرا إلا بحضرة قريش.. ويقول: أخاف أن يقولوا إني غيرت قبلتهم، حتى بناها على قواعد إبراهيم. وحضر أبو جهم بن حذيفة العدوي بناء قريش للبيت وبناء ابن الزبير وكان يقول: أدركت مقام إبراهيم وفيه أثر قدمه وما رأيت أشبه شيء بشيء من قدم نبيكم بها، ويقول: أعرف هذا الحجر وفيه بقية بياض.

ودخل الحارث القباع على عبد الملك فذكر له صواب ابن الزبير من تصحيحه الحديث ومشاورته لأجلة قريش وكذا وكذا.. حتى ندم على إذنه للحجاج، واهتم أن يرده على بناء ابن الزبير ولكنه لم يفعل.

فلما ولي المنصور الخلافة عزم على نقض بناء بني أمية، فنهاه الإمام مالك وقال له: لئلا يكون بيت الله لُعبة للملوك؛ كلما ملك واحد منهم ينقضه ويبنيه، فتركه وبقي على بناء الحجاج إلى الآن.

وَعَمُّهُ نَوْفَلُ صِنْوُ أُمِّنا طَلْحَةُ وَالصَّديقُ قَهْرًا قَرْنَا

الضمير يعود إلى حكيم بن حزام في قوله: خويلد منه حكيم.. لأنه المحدث عنه والمبوب له، فدخل في ذلك ذكر عبد الله بن الزبير وإن طال الكلام عليه. ونوفل: هو ابن خويلد. والصنو: الأخ. يعني أن نوفلا هذا أخو أمنا خديجة، وكان شديدا على من أسلم، ولم يزل على ذلك حتى

قتل يوم بدر على شركه. وابنه الأسود بن نوفل من أكابر الصحابة وممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وهو جدُّ يَتِيم عُرْوَة بن الزبير الذي يحدث عنه، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل. ومن شدة نوفل على من أسلم من قريش أنه قرن أبا بكر وطلحة بن عبيد الله بمكة في حبل، حتى كان يقال لهما القرينان، وإنما قرنهما قهراً لأن من أسلم قلما ينتصر له قومه إذا أُوذِيَ على الإسلام.

**مِنْ نَوْفَلٍ وَرَقَّةٌ وَالْحَارِثُ مِنْهُ سَعِيدُ الشُّجَاعِ الْعَابِثُ
بِالْمُتَجَرِّدِ غَدَاةَ الْحَرَّةِ وَمَا دَرَى مِنْ ذُعْرِهِ بِالْعَرَّةِ**

يعني أن من نوفل بن أسدٍ ورقة، الذي كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وقال فيه النبي ﷺ: «لا تسبُّوا ورقة فإنِّي رأيتُه في ثياب بيض»⁽¹⁾، وكانت خديجةُ تسأله عن خبر النبي ﷺ ويقول لها: والله

(1) رواه الترمذي. وفي رواية: «فإنِّي قد رأيت له جنة أو جنتين» - رواه الحافظ أبو بكر البزار عن عائشة، وابن عساكر بإسناد جيد وروي مرسلًا وهو أشبه، ورواه في الجامع الصغير ثم قال الحافظ العراقي: هذا شاهد لما ذهب إليه جمع من أن ورقة أسلم عند ابتداء الوحي ويؤيده خبر البزار وغيره عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال: «أبصرته في بطن الجنة على السندس»، قال: والظاهر أنه لم يكن متمسكا بالمبدل من النصرانية بل بالصحيح منها الذي هو الحق - [راجع فتح القدير].

وروى الإمام أحمد عن عائشة أن خديجة سألَت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال: «قد رأيتُه فرأيت عليه ثيابَ بياضٍ فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض». وروى الحافظ أبو يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال: «رأيتُه فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطن الجنة وعليه السندس» - [سيرة ابن كثير: 398/1].

لهذا الناموسُ الذي كان يأتي موسى عليه السلام⁽¹⁾، وتوفي في ذلك قبل أن يصرح بالإسلام فيكون صحابيا، وذكره ابن حجر في الصحابة، لقول ابن إسحاق في حديث ذكره، منه: «رأيت في ثياب الحرير لأنه أول من آمن بي وصدقني»، وقال ابن منده: والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد النبوة. (انتهى كلام ابن حجر)⁽²⁾. ومر ببلال يعذب برمضاء مكة ويقول: أحد أحد.. فقال: أحد أحد والله يا بلال؛ ونهاهم عنه ولم ينتهوا، فقال: والله لئن قتلتموه لأتخذنَّ قبره حنانا⁽³⁾. ومن شعر ورقة بن نوفل قوله:

ارفعُ ضعيفك لا يخن بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يُثني عليك فإن من أثني عليك بما فعلت كمن جزي

وقوله:

(1) روي أن خديجة لما أخبرت ورقة بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبوح قدوس.. والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لبي هذه الأمة فقولي له ليثبت. ثم لقي ورقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فقال له: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وما سمعت، فأخبره فقال ورقة: والذي نفسي بيده إنك لبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكدبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرا يعلمه، ثم قبل رأسه وانصرف ثم لم ينشب ورقة أن مات. والناموس: في الأصل صاحب السر، وعبر به عن الملك الذي يأتي بالوحي.

(2) قال الزبيدي في تاج العروس: اختلف في إسلامه والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد النبوة - [اه منه]. وروي أنه توفي سنة ثلاث وأربعين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعلن الدعوة سنة أربع وأربعين. والله تعالى أعلم.

(3) الحنان: الرحمة والعطف، أي لأجعلن قبره موضع حنان يُتمسح به كقبور الصالحين الأولين.

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذيرُ فلا يغرركم أحد
لا تعبدون إلها غير خالقكم فإن أبيتم فقولوا بيننا جُدُدُ
سبحان ذي العرش لا شيء يُعادلُه وقَبْلُ سَبَّحَهُ الجوديُّ والجمدُ
مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يساوي ملكه أحدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخُلْدُ قد حاولت عاذُ فما خلدوا
ولا سليمان إذ دَانَ الشعوب له والإنس والجن تجري بينها البرُدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشأسته يبقى الإله ويودي المال والولد

ولا عقب لورقة ولا لأخيه صفوان إلا من ابنته بسرة بنت صفوان؛
هي أم معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، أبو عائشة بنت معاوية، أم عبد
الملك بن مروان وأخيه المحقق معاوية؛ فمروانُ صهرُ بسرة على بنت ابنها
عائشة، وهي التي حدث عنها قال: حدثني بسرة أنها سمعت رسول الله
ﷺ يقول: «من مسَّ الذكر فليُعد الوضوء»⁽¹⁾ وأخذ به مالك، لأن مروان
لا يتهم في حديثه لصديق لهجته وضبط فؤاده. وكانت بسرة من المبايعات.
ولنوفل أيضا: عدي⁽²⁾ وفيه العقب من نوفل، ومنه فاطمة بنتُ عدي؛
القائلة لعبد الله بن عبد المطلب: قع علي ولك مثلُ الإبل التي نحرت عنك،
فقال: أما الحرام.. إلخ.

و لم يذكر الناظم لنوفل إلا ورقة لقلة نسله، فقال: من نوفل ورقة..

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) فهو أخو ورقة لأبيه، فأم ورقة بن نوفل هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي، وأم عدي
آمنة بنت جابر أخت تأبط شرا المشهور - [سموط الذهب].

قوله: والحرث: أي وأما الحرث، يعني الحرث بن أسد بن عبد العزى. فشرع في الكلام عليه فقال: منه سعيد.. الخ؛ وهو سعيد بن الأسود بن أبي البخري بن هشام بن الحرث بن أسد بن عبد العزى المشهور بالشجاعة والجمال، وهو لأم ولد، وفيه قيل:

ألا ليتني أشري وشاحي وذملجي بنظرة عين من سعيد بن الأسود

كان يختال في مشيه وكانت سجية منه، ونظر إليه ابن الزبير وهو يقاتل بمكة في حصاره ويتبختر فقال: كنت أمقت هذا الفتى على هذه المشية حتى علمت أنها سجية منه. قوله: العايب بالمتجرد: يشير إلى أن رجلاً ممن شهد الحرة كان يحدث يقول: انهزمت فيمن انهزم من الناس فلحقت بسعيد بن الأسود يمشي مترسلاً ويتبختر، والدماء تسيل منه، قد باشر القتال فتنفست به وخشيت أن يقتل، فقلت له: بأبي أنت وأمي انج فقد لحقك الطلب، فنظر نحوي وتبسم؛ ولحق بنا فارس من أهل الشام فكر عليه سعيد فقتله، فخرجت إليه وقلت: الحمد لله الذي أظفرك به، فالتفت نحوي ثم تبسم، فجعلت أتعجب من ضحكه، وافترقت بنا الطريق، فلما ضربني البرد من الليل إذا أنا عريان! فعلمت أنه إنما ضحك من عري. وما درى: أي ما علم المتجرد من أجل دُعره، أي فزعه، بالعرة التي لحقته وهي عُريته والناس ينظرون إليه. وغداة الحرة: يعني يوم حرة واقم، وهو يوم أوقعه يزيد بن معاوية بأهل المدينة، لم يتقدم مثله في الإسلام.

يوم الحرة بالمدينة

لما قُتل الحسين رضي الله عنه علم يزيد أنه لا منازع له بعد، فاشتغل

بالانهماك في ملكه بشرب الخمر وجميع المحرمات، فبلغ ذلك أهل المدينة بعد أن حَنَقُوا عليه بِقَتْلِ الحسين؛ فوفدوا عليه ينظرون ما هو عليه فأحسن جوائزهم ولكن رأوا فيه من ارتكاب المحرمات ما زادهم عليه حَنَقًا، فقدموا على أهلهم فخلعوه؛ وجعلوا على الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل وجعلوا على قريش عبد الله بن مطيع العدوي وعلى سائر المهاجرين غير قريش معقل بن سنان الأشجعي.

فبعث إليهم يزيد اثني عشر ألفا من أهل الشام وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري⁽¹⁾، وخرج إليه أهل المدينة فالتقوا بالحرّة فانهزم أهل المدينة وقُتِل معقل بن سنان وعبد الله بن حنظلة ونجا عبد الله بن مطيع.

وقتل من الصحابة ثمانون أو أكثر ومن أبناء الصحابة وسائر الناس والصبيان اثنا عشر ألفا، ولم يبق بعدها أحد شهد بدرا. ومن قتل من أبناء الصحابة يعقوب بن طلحة بن عبيد الله [كما مر].

وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثا - ولذلك سمي مسرفا ومجرما - وكان أوصاه يزيد بذلك - ومكثت أسبوعا لم يدخلها إلا عوافي السباع تلدُ فيها الضبَاعُ والذئاب. وكان بعض العلماء أبي خلع يزيد منهم عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله، فنهى يزيد عن قتلهم [كما تقدم].

وخرج جابر وهو مكفوف البصر وجعل يعثر في جُثث القتلى ويقول:

(1) هو أحد بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

"ويل لمن أخافه الله" ⁽¹⁾، فقليل له: ما تقول؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف المدينة أخافه الله» ⁽²⁾، فضربوه وكادوا يقتلونه فاستنقذه منهم مروان بن الحكم، وكان قبل ذلك أميراً على المدينة.

ولما فرغ مسرف بن عقبة من المدينة خرج إلى مكة يريد عبد الله بن الزبير، وكان يزيد أمره بذلك. فلما كان في الطريق مات من داء ببطنه، وكان يزيد قال للجيش: إن أصيب مسلم فأمركم الحصين بن نمير السكوني - وسكون قبيلة من كندة - فقدم الحصين على ابن الزبير بمكة وحاصره حتى سمع بموت يزيد، فأراد من ابن الزبير أن يجعل له شيئاً ويبايعه فامتنع ابن الزبير، فارتحل الحصين بجيشه إلى الشام.

وبايع ابن الزبير أهل الحجاز وأهل اليمن وأهل العراق، واهتم مروان أن يبايعه فمات قبل ذلك؛ وقام عبد الملك بالأمر.

وهو ابن الأسود إمام يثرب ابن أبي البختري متحفي النبي

أي وهو سعيد بن الأسود؛ والأسود من مسلمة الفتح واصطلاح عليه أهل المدينة يصلون به زمان اختلاف علي ومعاوية، وأمهم إلى أن اصطلاح الناس. وأبو البختري اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى؛ قيده النووي في شرح مسلم بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء

(1) في نسخة: "قد خاب من أخافه الله"، فسمعه مروان فقال: ما تقول؟

(2) رواه الطبراني في الكبير، وأحمد.

المعجزة وكسر التاء. وقوله: متحف النبي: أي مكرمه في الشعب؛ وكان يُدخل الطعام على بني هاشم ما داموا في الشعب وتبرأ من الصحيفة وقام في نقضها، وأمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عبد الدار؛ وأم آمنة عمتها وهي برة بنت عبد العزى.

ولأفعال أبي البختری هذه نهى النبي ﷺ الصحابة عن قتله يوم بدر⁽¹⁾، ثم لقيه المجذر بن زياد ومعه زميل له، فقال له المجذر: يا أبا البختری نهانا رسول الله ﷺ عن قتلك، فقال: وزميلي؟ فقال المجذر: ما نهانا عن قتله، فقال أبو البختری: والله لا تتحدث نساء قريش أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، فسل سيفه وحمل على المجذر فسبقه المجذر بأن طعنه فقتله، وارتجز أبو البختری قبل الموت بقوله:

لا يُسلم ابنُ حرة زميلُهُ حتى يموتَ أو يرى سبيلَهُ

وارتجز المجذر بقوله:

بَشْرٌ يُتَمُّ مَنْ أبوه البختری وَبَشْرٌ بَمَثَلِهَا مِنِّي بَنِي
أنا الذي أزعم أصلي من بلي أضرب بالحربة حتى تنثني

فقال المجذر: يا رسول الله لقد أجهدت في أن يستأسر فأبى إلا القتال. ومن ولد أبي البختری طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البختری؛ أمه برة بنت سعيد بن الأسود وأمها فاطمة بنت علي بن أبي طالب - لأم ولد - وأم أبيه عبد الرحمن: حميدة بنت طلحة بن عبيد

(1) ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق.

الله بن مسافع بن عياض، الذي قال: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ الآية⁽¹⁾، وأم حميدة بنت طلحة: أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، ولهذه الولادة يقول طلحة بن عبد الرحمن:

جدي علي وأبو البخري وطلحة التيمي والأسود
وجدي الصديق أكرم به جدا وخالي المصطفى أحمد

يعني بطلحة التيمي طلحة بن عبيد الله بن مسافع⁽²⁾.

وهكذا البطريق عثمان الذي لولا أبو زمعة الأسود البذي
لأخذ البيعة للقيصرة على قريش اللقاح الواترة

وهكذا: أي في النسب إلى بني الحارث بن أسد بن عبد العزى. والبطريق: من قواد الروم؛ وتحتة عشرة آلاف رجل، والرجل المختال؛ ولا أدري بأيهما سمي هذا القرشي⁽³⁾ عثمان بن الحويرث. وكان عند قيصر

(1) الأحزاب: 53.

(2) ابن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، وطلحة هذا يقال له طلحة الخير وليس بطلحة أحد العشرة المبشرين كما قد يتوهم.

(3) وعثمان (بالرفع): بدل من البطريق. والأسود (بالرفع): بدل من أبو زمعة. والبذي: صفة للأسود، وهو الفاحش؛ ووصفه بالفحش لأنه من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم. والقيصرة: جمع قيصر وهو لقب من ملك الروم. واللقاح والواترة: صفتان لقريش. يعني أن من بني أسد بن عبد العزى بن قصي عثمان بن الحويرث بن أسد الملقب بالبطريق الذي

فسأله أن يملكه على قريش وقال له: احملهم على دينك فيدخلون في طاعتك، ففعل وكتب له كتابا وختمه بالذهب، فعظم ذلك على قريش وهابوا قيصر وهمُّوا أن يدينوا له، فقام أبو زمعة - وهو الأسود بن المطلب - فصاح والناس في الطواف فقال: ألا إن قريشا لقاحٌ لا تملك ولا تملك، فاتسعت قريش على كلامه ومنعوا البطريق مما جاء به. واللقاح: القوم الذين لا يدينون للملك⁽¹⁾. والواترة: الذين يأخذون بأوتارهم من عدوهم. ومن بذاءة الأسود أنه كان من المستهزئين كما قدمنا.

ومر بني الحارث بن المطلب: عبدُ الله بن حميد بن الحارث؛ بارز عليا يوم أحد فقتله عليُّ، وله ولأء حاطب بن أبي بلتعة وقيل للزبير بن العوام، والصحيح الأول⁽²⁾.

>> - - -

كاد أن يأخذ على قريش البيعة لقيصر لولا أبو زمعة الأسود بن المطلب الذي صاح في الناس وقال: ألا إن قريشا لقاح لا تملك ولا تملك، فلم يتم لعثمان مراده.

(1) ولا يُملكون ولم يُصبهم في الجاهلية سياء، قال ابن الأعرابي:

لعمرُ أهلك - والأنباء تنمى - لنعم الحي في الجلى رياح

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

قال ثعلب: هو مشتق من لقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل.

(2) ولما أنهى الكلام على بني عبد العزى بن قصي أخذ يتكلم على بني عبد مناف بن قصي، وبدأ ببني هاشم - عمود النسب - وخالف في ذلك صنيعة الذي هو تقديم ما تفرع من سلك عمود النسب ثم ينزل على عمود النسب لأنه الأصل، فقال رحمه الله وعفا عنه:

نسب عبد مناف بن قصي

عَبْدُ مَنْفٍ قَمَرُ الْبَطْحَاءِ أَرْبَعَةُ بَنُوهُ هَؤُلَاءِ:
مُطَلِّبٌ وَهَاشِمٌ وَنَوْفَلٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ، هَاشِمٌ لَا يُجْهَلُ
عبد مناف⁽¹⁾: مبتدأ خبره قمر البطحاء. وبنوه: مبتدأ خبره أربعة.

(1) سمي عبد مناف لأن أمه أخدمته مناة، وهو من أكبر أصنامهم، فرآه قصي يوافق اسم عبد مناة بن كنانة فحولته إلى عبد مناف واسمه الأصلي المغيرة وكنيته أبو عبد شمس، وكان أشرف أولاد قصي، وكانت قريش تسميه الفياض لجوده ويلقب قمر البطحاء لحسنه وجماله؛ والبطحاء مكة؛ فهو لمكة وأهلها كالقمر لظهوره وفضله، وكان قد ذهب شرفه كل مذهب في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش، كما ساد بنوه هؤلاء الأربعة بالنسب والحسب والمجد والكرم وعلو الهمة وقوة العزيمة، فكان لهم الشرف والشوكة في قريش وانتهت إليهم السيادة، حتى أصبحوا يلقبون بأقداح النضار - أي الذهب - ويقال لهم أيضا المجيرون، لأنهم أخذوا لغير قريش الأمان من ملك كل جهة؛ فهاشم للشام وعبد شمس لليمن والمطلب للبحرين ونوفل للعراق، حتى أصبحت غير قريش آمنة مطمئنة لا يتعرض لها في أي ناحية من هذه الأقطار. وكانت لبني هاشم وبني عبد شمس من بني عبد مناف مكانة خاصة وعظيمة لا يشاركهم فيها أحد من سائر بني عبد مناف فضلا عن سائر قريش والعرب جميعا. وأول بني عبد مناف موتا هاشم؛ توفي بغزة من الشام، ثم عبد شمس؛ بمكة ودفن مع أبيه قصي بالحجون، ثم المطلب؛ بردمان من أرض اليمن، ثم نوفل؛ بسلمان من ناحية العراق.

ولطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة له:

أربعة كلُّهم سيّد	أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسد	مان وميت عند غزات
وميت أسكن لحدا لدى الـ	حجون شـرقـي البـنـيات

<<=

أخلصهم عبد مناف فهم
 إن المغيرة وأبناءه
 من لوم من لام بمنجاة
 من خير أحياء وأموات

وقال أيضا يبيهم:

يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري
 يا عين واسحنفري بالدمع واحتفلي
 وابكي على كل فياض أخى ثقة
 صعب البديهة لا يكسر ولا وكل
 صقر توسط من كعب إذا نسبوا
 ثم اندبى الفيض والفياض مُطلباً
 أمسى بردمان عنا اليوم مغترّباً
 وابكي لك الويل إماً كنت باكية
 وهاشم في ضريح وسط بلقعة
 ونوفل كان دون القوم خالصي
 لم ألق بعدهم عجماً ولا عرباً
 أمسى ديارهم منهم معطلة
 أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم

إلى أن يقول:

ما في القروم لهم عدل ولا خطر
 أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم
 كم وهبوا من طمر سابح أرِن
 ومن سيفوف من الهندي مخلص
 ومن توابع لما يُفضلون بها
 فلو حسبت وأحصى الحاسبون ممي
 ولا لمن تركوا شروى بقيات
 خير النفوس لدى جهد الآليات
 ومن طمرة نهب في طمرات
 ومن رماح كأشطان الرّكيات
 عند المسائل من بذل العطيات
 لم أقض أفعالهم تلك الهنيات

وهؤلاء: مبتدأ خبره مطلب ومعطوفاته⁽¹⁾. وهاشم لا يجهل: مبتدأ وخبره. فالبيتان بنيا على أربع جُمِلَ اسميات، وبدأ بهاشم لشرفه عليهم بعد أن نبّه على ذلك الشرف بقوله: هاشم لا يجهل أي لشرفه وعلو ذكره ومن خرج منه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْهُ ضَعِيفَةٌ رَبِيبَةٌ أَبِيهِ وَأَسَدٌ جَدُّ عَلِيٍّ الْوَجِيه

أي من هاشم ابنته ضعيفة بنت هاشم، وهي ربيبة عبد مناف - أبي هاشم - لأن هاشما خلف على أمها؛ وهي أم نوفل بن عبد مناف؛ وهي واقدة بنت عدي من بني مازن بن صعصعة، فلم تلد له غيرها. وذلك كان

--- >>

هم المدلسون إما معشر فخرها	عند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التي حلّوا مساكنها	فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقى مدامعها	لا يُعَدُّ الله أصحاب الرّزيات

(السّر: الخالص من النسب. اسحنفري: أي أدمي. احتفلي: أي اجمعيه؛ من احتفال الضرع: وهو اجتماع اللبن فيه. الخبيثة: الشيء المخبوء؛ يريد انه كان ذخيره عند نزول الشدائد. صخم الدسيعة: أي كثير العطاء. النكس: الدني من الرجال. الوكل: الضعيف الذي يتكل على غيره. استخرطي: أي استكثري. الجمّات: المجتمع من الماء؛ واستعاره هنا للدمع. السريات: جمع سرية: القطعة من الجيش؛ يريد أنهم خلاصة الجيش وخياره. القروم: سادات الناس. العدل: المثل. الخطر: القدر والرفعة. شرواه: مثله. الاليات: الشدائد التي يقصر الإنسان بسببها).

(1) ووَلَدَ عبد مناف غير هؤلاء الأربعة: أبا عمرو وتماضر وِقْلابة وحيّة وريطة وأم الاخثم وأم سفيان. أما أبو عمرو فأمه ربيعة الثقفية، وأما النساء جميعاً فأمهنّ عاتكة بنت مرة بن هلال؛ أم بنيه هاشم وعبد شمس والمطلب، وأم ربيعة هذه صفية بنت حَوْزَة بن عمرو ابن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأم صفية هذه بنت عائذ الله، من بني سعد العشيرة المذحجية.

نكاحا صحيحا قبلُ حتى نزل القرآن. والربيبة: بنت الزوجة.
ومن هاشم أيضا أسدُ جد علي بن أبي طالب - لأمه - وإخوته الثلاثة
وأخوته أم هانئ وجمانة. وكان بنو أبي طالب كلهم محضا، لأنهم أول
هاشمي ولدته هاشمية لهاشمي. وضعيفة بنت هاشم تزوجها وهب بن عبد
مناف بن زهرة وولدت له أولادًا ليست منهم آمنة.

وَجَدَّةُ السَّائِبِ مُشَبِّهُ النَّبِيِّ ثُمَّ أَبُو صَيْفِيٍّ الْمُهَذَّبِ
وَنَضْلَةُ وَانْقِرَاضًا وَالْعَقَبُ فِي شَيْبَةِ أَخِيهِمَا وَالْحَسَبُ

أي ومن هاشم أيضا جدة السائب بن عبد الله الذي كان يشبه بالنبي
ﷺ، وهو جد الإمام الشافعي؛ ويأتي ذكره في نسبه⁽¹⁾ إن شاء الله، وهي
شقيقة عبد المطلب واسمها الشفاء. ومنه أبو صيفي، وليس له إلا صيفي
ورقيقة، أم مخزومة بن نوفل الزهري، وصيفي درج بعد أن كان له ذكر.
والمهذب: صفة لصيفي ومعناه الصفي النسب الطاهره. ومنه نضلة وانقرض
هو وأخوه أبو صيفي، أي انقطع نسلهما، وبقي العقب: أي النسل،
والحسب: أي الشرف، في أخيهما عبد المطلب والحمد لله.

وَإِذْ بَنِي شَيْبَةَ أَشْبَعَ النَّبِيُّ بِمَا لَوْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ حُبِي
بِمِثْلِهِ اسْتَعْمَلَهُ زَبْرَهُمْ مَارِدُهُمْ زَاعِمًا أَنْ سَحَرَهُمْ
فَصَدَّهُمْ وَهُمْ زُهَاءُ الْأَرْبَعِينَ وَقَدْ دَعَاهُمْ لِلدِّيَانَةِ الْأَمِينِ

(1) انظر: التكملة (رياض السيرة والأدب): 146/1.

يشير إلى أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾ ذبح شاة وملاً ركوة ماء فجمع بني عبد المطلب، وهم يومئذ نحو الأربعين، فشبعوا كلهم من الشاة ورووا من الركوة؛ وكان واحدٌ منهم يأكل شاة ويشرب ركوة، ثم قال لهم: «يا بني أُمي أرأيتم أن قد وقفت على الصفا وأشرت لكم بفضل ردائي وأنا أقول لكم واصباحاً إني نذير لكم من عدوٍّ أقبل إليكم أمصدقوني أنتم؟»⁽²⁾ فقالوا: كيف لا نصدقك وما جرّبنا عليك كذبة قط وقد سميناك الأمين لصدقك؟ قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقام أبو هب وقال: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فقال للقوم: سحركم الساحرُ فقوموا إلى أهليكم وأموالكم. ثم نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ - السورة⁽³⁾، جزاءً لقوله: تبا لك. وحُبي: أعطي. واستعمله: أكله وشربه. وزبرهم: زجرهم. وماردهم: أبو هب؛ وهي من صفات الشيطان واستعاره لأبي هب.

أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَحْتَ كُرَيْزٍ وَأُمَيَّةٌ انْتَخَبُ
جَحْشٌ وَعَاتِكَةُ زَوْجَةُ أَبِي أُمَيَّةٍ أُمُّ الْكِرَامِ النُّجُبِ

شرع يذكر عمّاته وأزواجهن، فبدأ بأُمِّ حَكِيمٍ، لأنها توأمة عبد الله ويقال لها البيضاء ويقال لها الحصان أيضاً؛ وكانت تقول:

(1) الشعراء: 214.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) المسد.

أَنَا الْحَصَانُ فَمَا أَكَلَّمُ وَأَنَا الصَّنَاعُ فَمَا أَعْلَمُ

وتزوجها كرز (بصيغة التصغير) ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له⁽¹⁾. وأميمة بنت عبد المطلب⁽²⁾ انتخبها، أي اختارها، جحش بن رثاب⁽³⁾ الأسدي حليف بني عبد شمس فولدت له: عبد الله المجدع وأبا أحمد الأعمى الشاعر، وعبيد الله - الذي تنصر بأرض الحبشة بعد أن هاجر إليها مع المسلمين ومات على نصرانيته عن أمنا أم حبيبة؛ وهو أبو بنتها حبيبة - وأمنا زينب، وحمنة بنتي جحش⁽⁴⁾. وعاتكة تزوجها أبو أمية بن المغيرة الذي يقال له زائد الركب، فولدت له الكرام النجب الذين قال؛

(1) عامرا وأم طلحة - واسمها أرنب - وأروى؛ وولدت أروى هذه عثمان بن عفان والوليد وعمارة وخالدا وأم كلثوم وهندا بني عقبة بن أبي معيط. وولدت أم طلحة خالدا وعمرا وعامرا بني الحضرمي؛ وعامر هو المقتول يوم نخلة وبه كانت بدر، وهم حلفاء لبني عبد شمس - [الزيري].

(2) هي التي ترثي أباهما عبد المطلب بقولها:

ولا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد	وساقي الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يالف الضيف الغريب بيوته	إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى	فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه	فلا تبعدن فكل حي إلى بعد
سقاك ولي الناس في القبر ممطرا	فسوف أبكيه وإن كان في اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها	وكان حميدا حيثما كان من حمد

(3) ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

(4) وأختهم أيضا حبيبة بنت جحش، وهي المستحاضة، كانت عند عبد الرحمن بن عوف، وليس لها ولد.

وهم: عبد الله بن أبي أمية الذي كان شديداً على النبي ﷺ بمكة، ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث فلقياه يريد مكة فأعرض عنهما.. ثم قبل منهما الإسلام بعد لأي، فكانا نعم الصَّحْبِيَّانِ؛ فاستشهد عبدُ الله بالطائف. وزهير وقرينة الكبرى بنت أبي أمية، أم بني زَمْعَةَ بن الأسود. واختلف في إسلام عاتكة، وهي صاحبة الرؤيا التي قال فيها أبو جهل للعباس: متى قامت فيكم هذه النبوة؟! وهي القائلة تصف سلاح أهل حرب الفجار⁽¹⁾:

بُعَاظُ يَعِشِي النَّاطِرِينَ إِذَا هُمْ لَحُوا شُعَاغُهُ

وَبَرَّةٌ تَحْتَ أَبِي رُحْمٍ ثَوَتْ وَبِأَبِي سَبْرَةٍ النَّدْبُ أَتَتْ
وَهِيَ أَيْضًا زَوْجُ عَبْدِ الْأَسَدِ أُمُّ أَبِي سَلَمَةَ الْمُهْتَدِي

وبرة بنت عبد المطلب هذه اختلف أيضا في إسلامها؛ تزوجها أبو رهم بن عبد العزى⁽²⁾ فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم؛ أسلم قديما وهاجر

(1) بين كنانة وهوازن:

سَائِلُ بَنَا فِي قَوْمِنَا وَلِيَكْفَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ
قِيَا وَمَا جَعَلُوا لَنَا فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاغُهُ
فِيهِ السِّنُّوْرُ وَالْقَنَا وَالْكَبِشُ مَلْتَمَعُ قِنَاعِهِ
بُعَاظُ يَعِشِي.. إلخ

فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا قَسْرًا وَأَسْلَمَهُ رَعَاغُهُ
وَمُجَجَدًّا غَادَرْنَاهُ بِالْقَاعِ تَنْهَشُهُ ضِبَاغُهُ

(2) ابن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي العامري.

الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان، ولم يزل بمكة؛ قالوا: ولا يعلم أحد من أهل بدر رجع إلى مكة غيره.

وتزوّج برة بنت عبد المطلب أيضا عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فولدت له سيدنا عبد الله أبا سلمة⁽¹⁾.

تَحْتَ عُمَيْرِ ابْنِ وَهْبٍ أَرَوَى إِسْلَامُهَا فِيهِ خِلَافٌ يُرَوَى

والصحيح إسلامها⁽²⁾. وعمير هو ابن وهب بن كبير بن عبد بن قصي،

(1) ابن عبد الأسد، الصحابي الجليل زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ووصفه بالمهتدي لهدايته بالإسلام وصحبته لسيد الأنام صلى الله عليه وسلم، أو لقول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين...» - الحديث - [رواه مسلم وغيره]. وهو والد سلمة الذي كني به أبواه.

(2) وأروى هذه هي التي ترثي أباه عبد المطلب فتقول:

بكت عيني وحق لها البكاء	على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليفة أبطحي	كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شبة ذي المعالي	أيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أروع شيطمي	أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أبيض ذي فضول	له المجد المقدم والسناء
أبي الضيم أبلج هبرزي	قديم المجد ليس له خفاء
ومقل مالك وريع فهر	وفاصلها إذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا	وبأسا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى	كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بسدي ربد خشيب	عليه حين تبصره البهاء

(كفاء: أي مثل. الأروع: من يعجبك لحسنه ومنظره وشجاعته. الشيطمي: المقبول الفصيح. أبلج: مشرق الوجه واسعه. الهبرزي: الجميل الوسيم، أو الجلد النافذ. الربد (كصرد): الفرند. الخشيب: الصقيل. البهاء: الحسن).

وهي أم طليب بن عمير الذي هاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها واستشهد باليرموك أو بأجنادين⁽¹⁾ ولا عقب له. وهؤلاء الخمس من بنات عبد المطلب، شقيقات عبد الله والزبير وأبي طالب؛ أمهم: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم المخزومية. وأما صفية وحدها فشقيقة حمزة والمقوم والمغيرة، الذي يقال له حجل؛ أمهم هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، ولذلك آخرها عنهن مع علوها بصحة الإسلام والصحة؛ فهي صحابية بلا خلاف:

صَفِيَّةُ حَلِيلَةِ الْعَوَّامِ أُمُّ الْحَوَّارِيِّ الزُّبَيْرِ السَّامِيِّ

وأمُّ السائب؛ صحب واستشهد يوم اليمامة، وبجير⁽²⁾؛ قتلته دؤس بأبي

(1) وله تقول أمه:

إن طليبا نصر ابن خاله آسأه في ذي دمه وماله

ثم خلف على أروى بنت عبد المطلب كلدة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فولدت له فاطمة - [الزبيري].

(2) يعني أن صفية بنت عبد المطلب كانت عند العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فولدت له الزبير، الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم «الحواري»، والسائب الذي استشهد يوم اليمامة، وبجيرا، وولدت له أيضا أم حبيب؛ تزوجها خالد بن حزام فولدت له أم الحسن بنت خالد وليس لها عقب - [الزبيري وغيره].

وكانت صفية بنت عبد المطلب في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك عنها فتزوجها العوام بن خويلد، وأسلمت وهاجرت، ولم تنزل بالمدينة إلى أن توفيت سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفنت بالبقيع. وكانت شاعرة؛ ومن شعرها:

ألا من مبلغ عني قريشا ففيم الأمر فينا والامار؟

لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصه وعار

أزهر الذي قتله هشام بن الوليد. عاشت إلى خلافة عمر أو بعدها، وهي التي قال لها النبي ﷺ: «أحملك على ولد الناقة»⁽¹⁾، وقال لها أيضا: «الجنة لا تدخلها عجوز»⁽²⁾.

وَلِزَيْرِ الْقَرْمِ عَمِّ الْمُصْطَفَى أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ قُطْبُ الْحَنْفَا

شرع يذكر إسلام مَنْ أسلم من بني هاشم، فبدأ بعبد الله بن الزبير، وكان سيدا في الإسلام وابن سيد في الجاهلية⁽³⁾، أسلم وهاجر؛ أمه عاتكة

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي في كتاب البر والصلة، وأبو داود في كتاب الآداب، وأحمد، وغيرهم. وكانت قالت للنبي صلى الله عليه وسلم احملني أي اعطني حمولة أركبها فقال لها: «أحملك..» إلخ، وقد كان المتبادر عند العامة في بادئ الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيرا لا يصلح للركوب، والحقيقة أن ولد الناقة يصدق بالكبير والصغير - [البيحور شرح الشماثل].

(2) رواه الترمذي في الشماثل. وقد قالت له: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز»، فولت تبكي، فقال: «اخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز بل تدخلها وهي شابة، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: 35-37) أي مستويات في السن أبناء ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين إذ هذا أكمل أسنان نساء الدنيا - [اه].

(3) كان الزبير بن عبد المطلب من أشرف قريش وله ذكر في بناء الكعبة وكان شقيق عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كفل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب في أول أمره، وكان يرقصه ويقول له:

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم

ودولة ومغنم دام سجييس الأزلم

ومات قبل نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يكنى أبا الطاهر - بابنه الطاهر - وباسمه سمي ابن أخته الزبير بن العوام وكنى بكنيته أولا.

بنت أبي وهب بن عمران بن مخزوم، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاثين سنة، وكان يقول له: «ابن عمِّي وحبيي»^(١)، وقتل باجنادين ووجد حوله عصبة قد قتلهم، ولهذا سماه قطب الحنفا، ولم يترك ولدًا.

لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ أَسْلَمَ أَبُو سَفْيَانَ، عَبْدُ اللَّهِ وَالْمُنْتَخَبُ
رَبِيعَةُ الَّذِي النَّبِيُّ وَضَعَا دَمَ ابْنِهِ وَنَوَفَلٌ وَانْقَطَعَا
نَسْلُ سِوَى الْحَارِثِ وَالْعَبَّاسِ وَشَرَّهِمْ وَوَالِدِ الْأَكْيَاسِ
عَلِيٌّ، جَعْفَرٌ، عَقِيلٌ، طَالِبٌ أَكْبَرُهُمْ وَهُوَ الْفَقِيدُ الذَّاهِبُ

الأكبر: يعني من أولاد عبد المطلب، وبه كان يكنى، وأمه من بني سؤاة بن عامر بن صعصعة، وليس له شقيق من بني عبد المطلب إلا قثم ومات صغيرا. وأسلم للحارث من الأولاد أربعة:

[الأول:] أبو سفيان الشاعر المشهور الذي يقول:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيلُ اللاتِ خيلَ محمدٍ
لكالمذج الحيرانِ أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى فأهتدي

(١) رواه أحمد. وقد دخل عبد الله هذا يوما على النبي صلى الله عليه وسلم فكساه حلة وأقعده إلى جنبه وقال: «إنه ابن أبي وأمي وكان أبوه برًّا بي»، وكان شجاعا بطلا؛ وشقيقته ضباعة بنت الزبير صحابية، زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من المقداد بن عمرو؛ وشقيقتهما أم حكيم بنت الزبير، أم بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ولم يكن للزبير عقب إلا من بنتيه هاتين أو من هذه الأخيره فقط.

هَدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَذَلَّنِي عَلَى اللَّهِ مِنْ طَارَدَتْهُ كُلُّ مَطْرَدٍ⁽¹⁾

وكان أخاً للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة - أرضعتها حليلة - وكان صديقاً له حتى بُعث النبي ﷺ فكان أبعد الناس منه وأشدّهم عداوة، وكان ممن يهجوّه من شعراء قريش؛ فلما أسلم انقلب ذلك أيضاً فصار أقرب الناس منه وأحبهم إليه، ولم ينظر قط في وجه رسول الله ﷺ حياءً منه، وكان رسول الله ﷺ يقول له: «خليفة حمزة»⁽²⁾ ورثي النبي صلى الله عليه وسلم بمراثي حسنة⁽³⁾، وتوفي في خلافة عمر بعد ما أحل

(1) أصد وأناى جاهداً عن محمد وادعى وإن لم أنتسب من محمد

ولما أنشد رضي الله عنه قوله: من طارده كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد». وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنيناً وأبلى فيها بلاء حسناً؛ وكان ممن ثبت معه يومئذ ولم تفارق يده لجام بغلته حتى انصرف الناس إليه، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال له: «أرجو أن تكون خلفاً من حمزة» وقال فيه: «أبو سفيان من شباب أهل الجنة - أو - سيد فتيان أهل الجنة».

(2) نحوه في ابن سعد (37/3).

(3) منها قوله:

أرقت وبات ليلي لا يزول	وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء، وذاك فيما	أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت	عشية قيل: قد قبض الرسول
وأضححت أرضنا مما عراها	تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا	يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه	نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا	بما يوحى إليه وما يقول

<<=>

من الحج؛ فحلق الحلاق رأسه فقطع ثُولولاً كان به فنزفه الدم، فلما حضرته الوفاة قال لنسائه: لا تبكين علي فإني لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت.

الثاني: عبد الله بن الحارث، كان اسمه عبد شمس فسماه النبي ﷺ عبد الله، ومات في حياته ولم يعقب⁽¹⁾.

الثالث: ربيعة الذي وضع النبي ﷺ دم ابنه يوم فتح مكة فقال: «ألا إن كل دم في الجاهلية فهو تحت قدمي وأول دم أضعه دم ابن ربيعة بن الحارث»⁽²⁾، واسم ابن ربيعة هذا آدم؛ كان مسترضعا في هذيل فقتلته بنو ليث بن بكر في حرب كانت بينهم وبين هذيل؛ كان الصبي يحبو أمام البيوت فأصابه حجرٌ فرضخ رأسه.

أسلم ربيعة يوم الفتح، وكان أسن من عمه العباس، ويكنى أبا أروى؛ سأل النبي ﷺ أن يزوجه من الصدقة فقال له: «إنما الصدقة أوساخ الناس

--- >>

ويهدينا فما نخشى ضلالا	علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر	وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر	وفيه سيد الناس الرسول

(1) أسلم عبد الله هذا قبل الفتح وهاجر، فلما قدم المدينة مسلما سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، وخرج معه في غزاة فمات بالصفراء وكفنه صلى الله عليه وسلم في قميصه ودفنه وقال فيه: «سعيد أدرakte السعادة».

(2) أخرجه أحمد في المسند؛ وهو جزء من حديث طويل.

لا تحل لنا»⁽¹⁾، فزوجه من بيت المال. وأم بنيه أمُّ الحكم بنت الزبير بن عبد
المطلب، وتوفي سنة ثلاث عشرة⁽²⁾.

الرابع: نوفل بن الحارث، يكنى أبا الحارث؛ أسر يوم بدر وفداه العباس
هو وابن عمه عَقِيل بن أبي طالب، وقيل هو الذي فدى نفسه برماح
أخبره بها النبي ﷺ؛ قال له: «افد نفسك يا نوفل» قال: ليس عندي مال
أفدي به نفسي، قال: «رماحك التي بجُدة»⁽³⁾ فقال: أشهد أنك رسول
الله، والله ما علم أحد أن لي رماحا بجدة إلا الله غيرك، فكان ذلك سببَ
إسلامه. وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح⁽⁴⁾، وقيل إنه
ثبت معه ذلك اليوم؛ وتوفي بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر
ودفن بالبقيع⁽⁵⁾. وكان أسن من عميه حمزة والعباس.

(1) رواه مسلم وابن حبان.

(2) ووصفه الناظم بالمنتخب، أي المختار، لإسلامه وصحبته وشرف نسبه وأصله؛ وأمه عزة
بنت قيس الفهرية.

(3) ذكره ابن سعد: (33/3).

(4) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كأنني أنظر رماحك يا أبا الحارث تقصف
أصلاب المشركين»، وكانت رماحه التي أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بها بجدة ألف
رمح؛ وكان هو وعمه العباس في الجاهلية شريكين متفاوضين في المال متحابين.

(5) ومن ولده المغيرة، له صحبة وكان قاضيا بالمدينة في خلافة عثمان ثم كان مع علي في
حروبه، وهو الذي قبض على ابن ملجم حين ضرب عليا؛ رمى عليه قطيفة فأمسكه بها
وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع السيف من يده وحبسه حتى مات علي. ولما توفي
علي كرم الله وجهه خطب معاوية أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، زوج علي، فجعلت أمرها
إلى المغيرة هذا فتوثق منها وزوجها من نفسه، فماتت عنده ولم تلد له ولا لعلي رضي الله عنه.

ونبّه الناظم رحمه الله على من أعقب من بني عبد المطلب بقوله:
وانقطعا نسل سوى الحارث: يعني من الرجال؛ وأما من النساء فأعقب غيرُ
هؤلاء كهند بنت المقوم؛ تزوجها أبو عمرة الأنصاري الصحابي فولدت له
عبد الرحمن الصحابي أيضا، وكبنات الزبير بن عبد المطلب: أم الحكم - أم
بني ربيعة بن الحارث - وضباعة زوج المقداد وغيرها، وكبنات حمزة. وأما
يعلى ابنه فولد أربعة رجال ماتوا ولم يترك واحداً منهم نسلا.

وقوله: وشرهم يعني أبا لهب؛ هو شرُّ بني عبد المطلب، لتكذيب النبي
ﷺ وعداوته له. وقد أعقب أبو لهب من ولده عتيبة وابنه مُعتب
(كمحدث). ومن عقبه الفضل اللهي الذي يقال له الأخضر لشدة أدمته،
لأن أباه أمه آمنة بنت العباس وهي لأم ولد سوداء، ومن شعره:

وأنا الأخضر من يعرفني	أخضر الجلدة من بيت العرب
مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ ماجدا	يملأ الدلو إلى عقد الكرب
نحن قوم قد بنى الله لنا	شرفا فوق بيوتات العرب
بنى الله وابني عمه	وبعباس بن عبد المطلب
إنما عبد مناف جوهر	زَيْن الجواهر عبد المطلب

وروي أن الفرزدق صادفه وهو يستقي من بئر زمزم وهو ينشد: من
يساجلني.. - البيت فنزل - عن دابته وشمري ثيابه يريد مساجلته، فسأل عنه
فقال له الأخضر ابن العباس، فأرخى عليه ثيابه وقال: ما أنا إذا بمساجله!
وهو الذي هاجى عقربا التميمي؛ وقيل فيهما: أمطل من اللهي وأشد
اقتضاء من عقرب، لأن عقربا ربط حماره بباب دار اللهي حين تمادى على
مطله حتى تهاجيا، وله يقول الفضل:

قد تجرّت في أرضنا عقربٌ لا مرحبا بالعقرب التاجرة
 إن عدواً كیده في استيه لغير ذي كيد ولا ضائرة
 كل عدوٌ يتقى مقبلاً وعقرب تخشى من الدابرة
 إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

وله يقول:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تجعل خليلك من تميم
 بلوت صميمهم والعبد منهم فلم أذر العبيد من الصميم

ويعني بوالد الأكياس: أبا طالب، والأكياس: جمع كيّس وهو العاقل، ورتب عدّهم على مراتبهم إلى أن آخر أكبرهم لعدم إسلامه؛ وكان خرج⁽¹⁾ مع قريش يريدون بدرًا، فلما كانوا في أثناء الطريق تكلم مع رجل من قريش - أو من بني عبد شمس - فقال الرجل: والله يا بني هاشم ما خرجتم ناصحين للخروج.. فأغضبه الرجل فرجع ثم لم يوجد له أثر ولم يسمع له خبر. وجمعنا الأبيات الأربعة للتضمنين بينها⁽²⁾.

عُتَيْبَةُ وَعُتْبَةُ مُعْتَبٌ وَدُرَّةٌ إِلَى التَّبِيبِ تُنْسَبُ

عتيبة: هو أكيل الأسد على المشهور؛ وسببه دعاء النبي ﷺ عليه قال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك»⁽³⁾، فخرج مع أبيه في تجارة فنزلوا

(1) يعني طالبا.

(2) ثم ذكر الناظم أولاد أبي لهب فقال رحمه الله وعفا عنه:

(3) أخرجه الحاكم وأبو نعيم.

واديًا فقال أبو لهب للرفقة: إن ابني دعا عليه محمد فاحضنوه الليلة من سباع هذا الوادي، فضموا أمتعتهم بعضها إلى بعض حتى علت فأضجعوه عليها وأحدقوا بها. فلما ناموا جاء الأسد فجعل يشم كلَّ أحد، ثم رقى إليه وأخذه وذهب به. وأما عتبة - على أنه غير أكيل الأسد - فأسلم هو ومعتب عامَ الفتح ثم لم يزالا بمكة وحسن إسلامهما ودعا لهما النبي ﷺ.



كمل بحمد الله تعالى وتوفيقه ما شرحه الشيخ حماد بن ألين المجلسي من نظم أنساب العرب لعمّه العلامة: أحمد البدوي بن محمد، رحمهم الله. وقد أتمه بفضل الله الشيخ/ أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي - حفظه الله - بتكملة بديعة سماها: "رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب" مطبوعة في مجلدين.

ويليه الجزء الأول من التكملة بادئًا بشرح قول الناظم:

عُتْبَةُ وَعُتْبَةُ مُعْتَبُ وَدُرَّةٌ إِلَى التَّيِّبِ تُسَبُّ

والحمد لله رب العالمين

فهرس محتويات الجزء الثاني

569.....	نسب كنانة
570.....	نساء فقيم لبعض الأشهر
570.....	خبر النسبيء والبسل
573.....	التعريف بأبي ذر رضي الله عنه
575.....	النهي عن دعوة الجاهلية
578.....	الكلام على بني ليث بن بكر بن عبد مناة
581.....	الحد الزمني الذي لم تجاوزه الصحابة
583.....	القول في عدالة كل من صحب
590.....	القول في حد الصحبة وأقسامها
599.....	الكلام على بني دئل بن بكر
601.....	بعض مكاشفات الصحابة رضي الله عنهم
608.....	بنو مدالج أهل القيافة
609.....	سراقة بن مالك ولبسه سوارى كسرى
610.....	قصة إسلام سراقة
613.....	ربيعة بن مكدم وقصته مع دريد بن الصمة
617.....	قصة عمرو بن معد يكرب مع ربيعة بن مكدم
623	وصية عبد الله بن شداد لابنه
627	نسب قريش

627	القول في سبب تسمية قريش
632	الكلام على بني محارب بن فهر
633	التعريف بضرار بن الخطاب
640	سبب اجتهاد الشافعي وانفراده عن مالك
640	الكلام على بني الحارث بن فهر
643	أبو عبيدة بن الجراح وبعض مناقبه
648	عقبة بن نافع وبنائوه القيروان بافريقية
649	عطاء بن أبي رباح وبعض غريب فقهه
654	نسب لؤي بن غالب
654	التعريف بسهيل بن عمرو بن عبد شمس
659	خبر نقض صحيفة قريش
667	التعريف بعبد الله ابن أم مكتوم
768	قصة إسلام عمير بن وهب
669	تنبيه على ذكر بعض مشاهير بني معيص
672	عبد الله بن قيس الرقيات وبعض أخباره
677	تتمة في ذكر بني خزيمة وسامة ابني لؤي
678	نسب كعب بن لؤي
681	ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض مناقبه
684	اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
687	ذكر بعض موافقات عمر

691 قصة إسلام عمر
694 ذكر أبناء عمر
704 أول مال وقع فيه القراض في الإسلام
713 عاتكة بنت زيد وسبب تسميتها: عاتكة الشهداء
716 زيد بن عمرو بن نفيل وتشبهه بدين إبراهيم ورفضه وأد البنات
719 الكلام على بني عويج بن عدي
727 زيد بن الخطاب وحُزن عمر على موته
731 الكلام على بني هصيص بن كعب
732 عبد الله بن حذافة وذكر بعض دعابته
739 عمرو بن العاص ودهاؤه
741 ذكر إسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي
749 ذكر المستهزئين بالنبي ﷺ وانقطاع نسلهم عنهم
753 حلف الفضول وسببه
759 الكلام على بني جمح
765 صفوان بن أمية وذكر إسلامه
768 قصة إسلام عمير بن وهب
778 نسب مرة بن كعب
784 ذكر أولاد المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
790 سرية عبد الله بن جحش
797 ترجمة خالد بن الوليد وذكر إسلامه وبعض مناقبه

810 ذكر الفقهاء السبعة
828 الكلام على بني عامر بن مخزوم
832 ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
841 ذكر بعض فتوحات أبي بكر رضي الله عنه
843 أسامة بن زيد: الحب بن الحب
846 بلال بن رباح: مؤذن النبي ﷺ
857، 851 القول في كيفية الأذان
852 التعريف بالإمام أبي حنيفة
862 استنفار أبي بكر المسلمين لقتال الروم بعدما قضى على حركة الردة
873 هزيمة الروم والقضاء على ملكهم بالشام
878 القعقاع بن عمرو وذكر شجاعته وبعض حملاته العظيمة
881 صلح أهل بيت المقدس لعمر رضي الله عنه بما أراد
884 ذكر بعض مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه
886 ذكر أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
900 آل طلحة بن عبيد الله وذكر بعض مناقبه
917 عبد الله بن جدعان ومائدته المشهورة
922 نسب كلاب بن مرة
927 المقداد بن عمرو
929 ذكر بعض جدات النبي صلى الله عليه وسلم
930 سعد بن أبي وقاص وبعض مناقبه

942	غلط بعض الكتب في أن قابلة النبي ﷺ أخت عبد الرحمن بن عوف
946	ترجمة عبد الرحمن بن عوف
957	التعريف بخباب بن الأرت
959	نسب قصي بن كلاب
960	الكلام على بني عبد الدار بن قصي
963	التعريف بمصعب بن عمير
969	إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة لبني عبد الدار
970	الكلام على بني عبد العزى بن قصي
978	الكلام على ولد خويلد بن أسد
978	أمنا خديجة بنت خويلد وزواجها من النبي ﷺ
986	ترجمة الزبير بن العوام، حوارى رسول الله ﷺ
991	ترجمة عبد الله بن الزبير وبعض أخباره
1001	بناء ابن الزبير للكعبة ونقض الحجاج له
1005	وقعة يوم الحرة على المدينة
1010	نسب عبد مناف بن قصي
1015	ذكر عمات النبي صلى الله عليه وسلم
1020	ذكر من أسلم من بني هاشم
1029	الفهارس
1045	شجرات النسب



فهرس الأعلام المترجمين والمعرفين في الشرح والتعليق

في الجزء الثاني

أبو ذؤيب الهذلي.....590	آدم بن ربيعة بن الحارث.....1023
أبو ذر، جندب بن جنادة.....573	أبرويز بن ازدشير.....735
أبو رباح، أسلم بن صفوان.....649	أبو أمية، حذيفة بن المغيرة.....795
أبو ربيعة، عمرو بن المغيرة.....794	أبو أناس بن زنيم.....605
أبو رهم، كلثوم بن الحصين.....578	أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو...606
أبو ريحانة، علي بن زمعة.....772	أبو البخترى، العاص بن هشام.....1007
أبو زمعة، الأسود بن المطلب.....1010	أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان.....728
أبو سبرة بن أبي رهم.....1017،658	أبو الطفيل، عامر بن واثلة.....580
أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك...587	أبو بكر الصديق رضي الله عنه.....832
أبو سفيان بن الحارث.....1021	أبو بكر بن جعونة.....595
أبو سفيان بن حويطب.....662	أبو بكر بن عبد الرحمن.....808
أبو سلمة بن عبد الرحمن.....949،946	أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور.....942
أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد.....1017،826	أبو بكر بن محمد بن عبد الله.....658
أبو عبيد بن مسعود.....685،937	أبو ثمامة، جنادة بن عوف.....570
أبو عبيدة بن الجراح.....643،640	أبو جهم، عامر بن حذيفة...784،728
أبو عزة، عمرو بن عبد الله.....774	أبو حنيفة، النعمان بن ثابت.....852
أبو عزيز بن عمير.....642	أبو دهب، وهب بن وهب.....771

825.....الأسود بن عبد الأسد.....	783.....أبو عمرو بن حفص.....
926.....الأسود بن عبد يغوث.....	838.....أبو قحافة، عثمان بن عامر.....
1002.....الأسود بن نوفل.....	929.....أبو قلابة بن صعصعة.....
925.....الأسود بن وهب.....	738.....أبو قيس بن الحارث.....
841.....الأسود، عبهلة العنسي.....	820.....أبو قيس بن الفاكه.....
605.....أسيد بن أبي أناس.....	923.....أبو كبشة، وجز بن غالب.....
955.....الأعرج، عبد العزيز بن عمران.....	683.....أبو لؤلؤة.....
578.....الأقرع الغفاري.....	1025.....أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب.....
911.....أم إسحاق بنت طلحة.....	776.....أبو محذورة، أوس بن معير.....
673.....أم البنين بنت عبد العزيز.....	756.....أبو وداعة بن صبيرة.....
635.....أم جميل، أم غيلان.....	770.....أبي بن خلف.....
1019.....أم حبيب بنت العوام.....	1025.....الأخضر بن العباس، اللهبي.....
706.....أم حكيم بنت الحارث.....	824.....الأرقم بن أبي الأرقم.....
1015.....أم حكيم بنت عبد المطلب.....	664.....أروى بنت أويس.....
989.....أم خالد بنت سعيد بن العاص.....	1017،959.....أروى بنت عبد المطلب.....
891،620.....أم رومان، زينب بنت عويمر.....	843.....أسامة بن زيد.....
913.....أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر..	905.....أسماء بنت أبي بكر.....
954.....أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.....	888.....أسماء بنت عميس.....
700،698.....أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.....	822.....أسماء بنت مخزومة.....
707.....أم مسكين بنت عاصم.....	1007.....الأسود بن أبي البخترى.....
667.....أم مكتوم، عاتكة بنت عبد الله..	970،795.....الأسود بن المطلب.....

1019.....بجير بن العوام	707.....أم هاشم بنت أبي هاشم
1017.....برة بنت عبد المطلب	831.....أم هانئ بنت أبي طالب
671.....بسر بن أرطاة	573.....أمية بن خويلد
1004.....بسرة بنت صفوان	1016.....أميمة بنت عبد المطلب
578.....بصرة بن أبي بصرة	577.....أهبان بن صيفي
962.....بغض بن عامر بن هاشم	928.....أهيب بن عبد مناف بن زهرة
846.....بلال بن رباح	909.....إبراهيم الأعرج بن محمد
646.....بيضاء، دعد بنت جحدم	912.....إسحاق بن طلحة
946.....تماضر بنت أصبغ	756.....إسماعيل بن جامع بن إسماعيل
738.....تميم بن الحارث	972.....إسماعيل بن هبار
653.....تيم الأدرم بن غالب بن فهر	595.....إياس بن البكير
677.....ثابت البناني	593.....إياس بن معاوية
831.....جعدة بن هبيرة	666..ابن أبي ذؤيب، محمد بن عبد الرحمن
577.....جعيل بن سراقه	897.....ابن أبي عتيق، عبد الله بن محمد
697.....جلدية بنت أكثم	653.....ابن خطل
773.....جميل بن معمر	747.....ابن رازكه، سيدي عبد الله
696.....جميلة بنت ثابت	597.....ابن قمئة، عبد الله
575.....جهجا بن مسعود الغفاري	652.....ابن هرمة، إبراهيم بن علي
738.....الحارث بن الحارث بن قيس	952.....بادية بنت غيلان
779.....الحارث بن المطلب بن عبد الله	677.....الباردة بنت عوف
960.....الحارث بن النقيذ	695.....ببة بن الحارث بن نوفل

حمزة بن عبد الله بن الزبير 985
 حمزة بنت أبي سفيان 936
 حمزة بنت جحش 954
 حميد بن الحارث بن أسد 998
 حميد بن درة 671
 الحولاء بنت التويت 997
 حويطب بن عبد العزى 662
 خارجة بن حذافة 722
 خالد بن البكير 594
 خالد بن العاص بن هشام 818
 خالد بن الوليد 797
 خباب بن الأرت 956
 خبيب بن عبد الله بن الزبير 984
 خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين) ... 978
 الخراش بن عبد الله بن قيس 657
 الخطاب بن مرداس 634
 الخطاط، عمر بن محمد 896
 خفاف بن إيماء 578
 الخلع، قيس بن الحارث 652
 خلف بن وهب 763
 الخناس بنت مالك بن الظرب 963

الحارث بن خالد بن العاص 818
 الحارث بن قيس (المستهزئ) 737
 الحارث بن كلدة 836
 الحارث بن هشام بن المغيرة 805
 الحارث بنت عبد المطلب 1021
 حبان بن قيس، ابن العرقة 670
 حبيب بن مسلمة بن مالك 637
 حبيبة بنت خارجة 902
 الحجاج بن الحارث 738
 حذافة بن غانم 724
 الحسن البصري، بن أبي الحسن 858
 الحصين بن نمير 1007
 حفص بن المغيرة 784، 783
 حفص بن عاصم بن عمر 706
 حفصة بنت عاصم بن عمر 699
 حفصة بنت عمر (أم المؤمنين) ... 705
 الحكم بن المطلب 780
 الحكم بن عمرو 571
 الحكم بن كيسان 793
 حكيم بن حزام 980
 الحليس بن علقمة 621

زید (الأکبر) بن عمر.....700،698	خنيس بن خالد.....633
زید بن الخطاب.....727	خولة بنت حکيم.....759
زید بن ثابت.....669	داود بن المجبر.....695
زید بن عمرو بن نفيل.....716	درید بن الصمة.....615
زينب بنت أبي سلمة.....975،827	رافع بن عمرو.....571
زينب بنت عمر بن الخطاب.....706	رافع بن عميرة.....866
السائب بن أبي حبيش.....977	رباح بن المعترف.....634
السائب بن الحارث.....738	ربيعة بن الحارث.....1023
السائب بن العوام.....1019	ربيعة بن مکدم.....614
السائب بن عبد الله.....1014	رتن بن كربال الهندي.....582
السائب بن عثمان بن مظعون....598	رقية بنت عمر بن الخطاب.705،699
السائب بن مظعون.....598	رقية بنت أبي صيفي.....943
سارية بن زعيم.....600	ريطة بنت جذل الطعان.....619
سامة بن لؤي.....677	ريطة بنت منبه.....740
سراقة بن مالك.....609	الزبير بن العوام.....986
سعد بن أبي وقاص.....932	الزبير بن عبد المطلب.....1020
سعيد بن الأسود.....1007،1005	زفر بن الحارث.....639
سعيد بن الحارث.....738	زمنة بن الأسود.....971
سعيد بن المسيب.....830،811	زهير بن أبي أمية.....660
سعيد بن زيد بن عمرو.....712	زهير بن عبد الله بن جدعان.....916
سعيد بن عامر بن حديم.....777	زيد (الأصغر) بن عمر.....699

الشفاء بنت عوف 943	سعيد بن عمرو التميمي 738
الشفاء بنت هاشم 1014	سعيد بن يربوع 829
شماس، عثمان بن عثمان 828	سلافة الصغرى، بنت سعد 965
الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني .. 589	سلمان بن ربيعة الباهلي 638
شبية بن عثمان بن أبي طلحة 968	سلمى بنت صخر بن عمرو 916، 838
الصعب بن جثامة 580	سليمان بن أبي حثمة 730
صفوان بن أمية 763	سهل بن وهب، ابن بيضاء 646
صفوان بن وهب، ابن بيضاء 646	سهلة بنت سهيل 657
صفية بنت عبد المطلب 1019، 987	سهيل بن عبد الرحمن بن عوف 950
ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب .. 1020	سهيل بن عمرو بن عبد شمس 654
الضحاك بن قيس 639، 630	سهيل بن وهب، ابن بيضاء 646
ضرار بن الخطاب 633	سواد بنت زهرة، الكاهنة 924
ضعيفة بنت هاشم 1013	سودة بنت زمعة (أم المؤمنين) 665
طالب بن أبي طالب 1026	سويط بن سعد بن حرملة 964
طلحة الجود، بن عمر بن عبيد الله ... 919	سويد بن غفلة 593
طلحة الدراهم، بن عبد الله 900	سيد أحمد الحبيب السجلماسي .. 894
طلحة بن أبي طلحة 965	الشداخ، عمرو بن عوف 579
طلحة بن عبد الرحمن بن الأسود ... 1008	شداد بن الهادي 623، 596
طلحة بن عبيد الله 900	شداد بن جعونة 595
طلحة بن عبيد الله بن مسافع. 1009، 839	شديد بن شداد 671
طليب بن عمير بن وهب 1019، 959	الشفاء بنت عبد الله 730

عبد الرحمن بن سعيد.....712
عبد الرحمن بن عقبة بن نافع649
عبد الرحمن بن عوف943
عبد الرحمن بن محيصن.....757
عبد العزيز بن المطلب.....779
عبد الله (الأصغر) بن عمر.....706،694
عبد الله ابن أم مكتوم.....669،667
عبد الله بن أبي أمية.....1016،820
عبد الله بن أبي بكر.....886
عبد الله بن أبي ربيعة.....822،794
عبد الله بن أبي عمرو.....784
عبد الله بن الأريقط.....599
عبد الله بن الحارث.....1023
عبد الله بن الزبعرى.....735
عبد الله بن الزبير.....991،983
عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب...1020
عبد الله بن السائب.....977
عبد الله بن الوليد.....867
عبد الله بن بسر المازني.....622
عبد الله بن جعفر.....676
عبد الله بن حذافة.....732

عائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين)904
عائشة بنت طلحة.....899
عاتكة الشهداء، بنت زيد713
عاتكة بنت عامر بن ربيعة.....620
عاتكة بنت عبد المطلب.....1016
عاتكة بنت عبد الملك.....820
عاتكة بنت عوف.....943،941
عاصم بن عمر بن الخطاب.....696
عامر بن البكير.....595
عامر بن يزيد.....670
عبد الرحمن (الأصغر) بن عمر...695
عبد الرحمن (الأكبر) بن عمر.....694
عبد الرحمن (الأوسط) بن عمر..695
عبد الرحمن بن أبي بكر.....891
عبد الرحمن بن الأسود.....926
عبد الرحمن بن الحارث، الشريد. 807،656
عبد الرحمن بن القاسم.....890،622
عبد الرحمن بن المجبر.....695
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد...804
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. 727
عبد الرحمن بن ساباط.....774

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة 812	عبد الله بن حميد بن الحارث ... 1010
عبيد الله بن عمر بن الخطاب 703	عبد الله بن خالد بن الوليد 804
عتبة بن أبي لهب 1027	عبد الله بن زمعة 974
عتبة بن أبي وقاص 934	عبد الله بن سعد بن أبي سرح .. 663
عتبة بن مسعود 812	عبد الله بن سهيل بن عمرو 656
عتيبة بن أبي لهب 1026	عبد الله بن شداد 623
العتيد بن سهيل 956	عبد الله بن صفوان 766
عتيق بن عائذ 823	عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم ... 890
عثمان بن الحويرث، البطريق ... 1009	عبد الله بن عمر 706، 700
عثمان بن طلحة بن أبي طلحة 967	عبد الله بن عمرو بن أويس 665
عثمان بن عبد الله بن المغيرة 790	عبد الله بن عمرو بن العاص 752
عثمان بن مظعون 759، 597	عبد الله بن عياش 822
عدي بن نوفل 1004	عبد الله بن قيس الرقيات 672
العراقي، زين الدين، عبد الرحمن 593	عبد الله بن مخزومة 661
العرقعة، قلابة بنت سعيد 670	عبد الله بن مطيع 721
عروة بن أبي أثاة 730	عبد الملك بن الحارث 820
عروة بن الزبير 813	عبد بن زمعة 666
عطاء بن أبي رباح 649	عبد شمس بن المغيرة 785
العطاف بن خالد 783	عبد مناف بن قصي 1011
عقبة بن نافع 647	عبيد الله بن جحش 1016
عكرمة بن أبي جهل 816	عبيد الله بن زياد 940

647 عياض بن زهير	671 العلاء بن وهب
705 عياض بن عمر بن الخطاب	740 عمارة بن الوليد
647 عياض بن غنم بن زهير	823 عمر بن أبي ربيعة (الشاعر)
919 عُمَر بن عبيد الله بن معمر	681 عمر بن الخطاب رضي الله عنه
950 غزال بنت كسرى	910 عمران بن طلحة
656 فاخنة بنت عتبة، الشريدة	730 عمرو بن أبي أثانة
1004 فاطمة بنت عدي	652 عمرو بن أبي سرح
706 فاطمة بنت عمر	970 عمرو بن أسد بن عبد العزى
783، 639 فاطمة بنت قيس	572 عمرو بن أمية بن خويلد
788 الفاكه بن المغيرة	739 عمرو بن العاص
598 فرات بن زيد الليثي	638، 633 عمرو بن حبيب بن عمرو
569 فقيم بن عدي	937 عمرو بن سعد بن أبي وقاص
890، 814 القاسم بن محمد بن أبي بكر	752 عمرو بن شعيب بن محمد
1000، 823 القباع، الحارث بن عبد الله	653، 614 عمرو بن شقيق
761، 598 قدامة بن مظعون	663 عمرو بن عبد ود
629 قريش بن بدر	657 عمرو بن علقمة بن المطلب
627 قريش، النضر بن كنانة	571 عمرو بن مجدع بن حذيم
877 القعقاع بن عمرو	643 عمير بن أبي عبيدة
864 قيس بن مكشوح	570 عمير بن قيس
975 كبير بن عبد الله بن زمعة	767 عمير بن وهب
756 كثير بن كثير بن المطلب	822 عياش بن أبي ربيعة

مخرمة بن نوفل 941	كرز بن جابر 632
مروان بن الحكم 639	كعب بن لؤي 679
مسافع بن عياض بن صخر 839، 916	كلاب بن مرة بن كعب 922، 778
مسعود بن أبي أمية 821	كنانة بن خزيمة 569
مسلم بن عقبة، مسرف 1006	اللطيم، عمرو بن سعيد 948
المسوز بن مخرمة 941	ليلى بنت أبي حثمة .. 691، 734، 826
المسيب بن حزن 830	المبرق، عبد الله بن الحارث 738
مصعب بن عبد الرحمن بن عوف 948	المتوكل بن عبد الله بن نهشل ... 579
مصعب بن عمير 963	مثلم بن حذافة 723
المطلب بن أبي وداعة 756	المجبر بن عبد الرحمن بن عمر 695
مطيع بن الأسود بن حارثة 720	مجد الدين، محمد بن يعقوب 896
مظعون بن حبيب 759	مجزز الأعور بن جعدة 608
معتب بن أبي لهب 1027	محمد بن أبي بكر 888
معمر بن عثمان 918	محمد بن المنكدر 921
المغيرة بن عبد الرحمن 809	محمد بن طلحة، السجاد 908
المغيرة بن نوفل 1024	محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر 897
المقداد بن عمرو 927	محمد بن عبد الله العتقي 622
مكرز بن حفص بن الأخيف 669	محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن 890
منبه بن الحجاج بن عامر 757	محمد بن أبي أحمد 748
المنكدر بن عبد الله 921	المختار بن أبي عبيد 940، 937
المهاجر بن أبي أمية 821	مخرمة بن عبد العزى 661، 659

784 هشام بن المغيرة	804 المهاجر بن خالد بن الوليد
982 هشام بن حكيم	985 موسى شهوات
659 هشام بن عمرو بن ربيعة	747 النابغة بنت حرملة
1025 هند بنت المقوم	757 نبيه بن الحجاج بن عامر
824 هند بنت عتيق	847 نسطاس (عبد أبي بكر)
595 واثلة بن الأسقع	960 النضر بن الحارث
583 واصل بن عطاء	960 النضير بن الحارث
1002 ورقة بن نوفل	923 نعم بنت كلاب
975 وكيع، عبد الله بن أبي عبيدة	871 النعمان بن بشير
785 الوليد بن المغيرة	729 النعمان بن عدي بن نضلة
868 الوليد بن الوليد بن المغيرة	718، 692 نعيم بن عبيد الله، النحام
652 وهب بن أبي سرح	1024 نوفل بن الحارث
773 وهب بن أبي وهب	790 نوفل بن عبد الله بن المغيرة
928 وهب بن عبد مناف بن زهرة	604 نوفل بن معاوية بن عروة
815 يزيد جرد (الملك)	785 هاشم بن المغيرة
643 يزيد بن أبي عبيدة	934 هاشم بن عتبة بن أبي وقاص
643 يزيد بن الجراح	971 هبار بن الأسود
975 يزيد بن عبد الله بن زمعة	831 هبيرة بن أبي وهب
672 يزيد بن مالك بن ربيعة	596 هشام بن أذينة
911 يعقوب بن طلحة	749، 746 هشام بن العاص



شجرة النسب العدناني

عدنان

عك معد نزار

قص اياد

قمعة لحي (على قول)

خزاعة عمرو

مدركة

كنانة

الهون

عامر

حشم

صمصمة

عيس

ذبيان

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

الناس (قوس عيلان)

عمر

فهم

عدوان

هوازن

بكر

مازن

ريث

باهرة

عطفان

أعصر

عمر

منصور

خضفة

عمر

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

الحارث بن فهر

ضينة

أهيب

هليل

الجرارح

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

هليل

ريبعة

أبو شداد

زهر

عمر

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

عبدالله

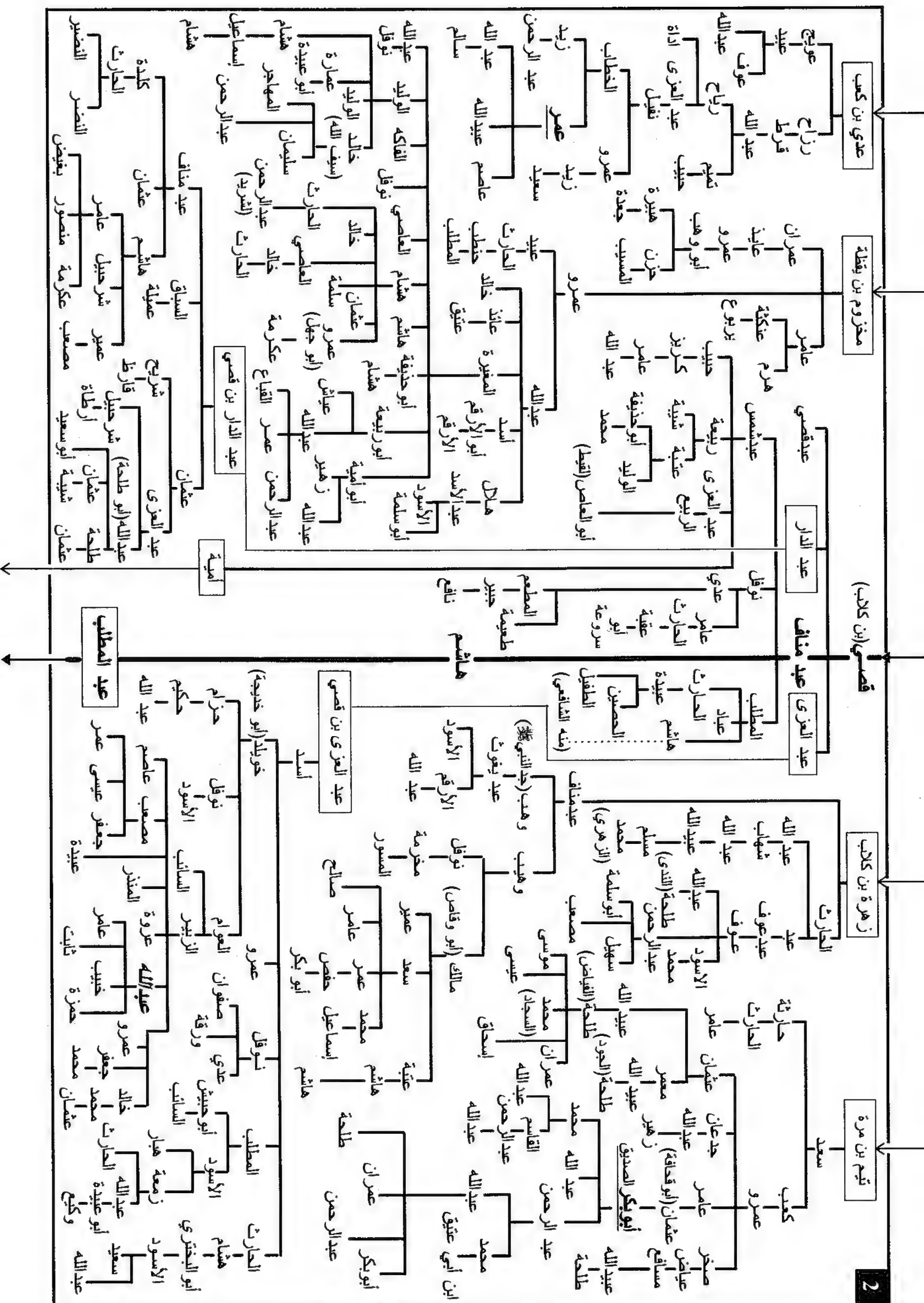
عبدالله

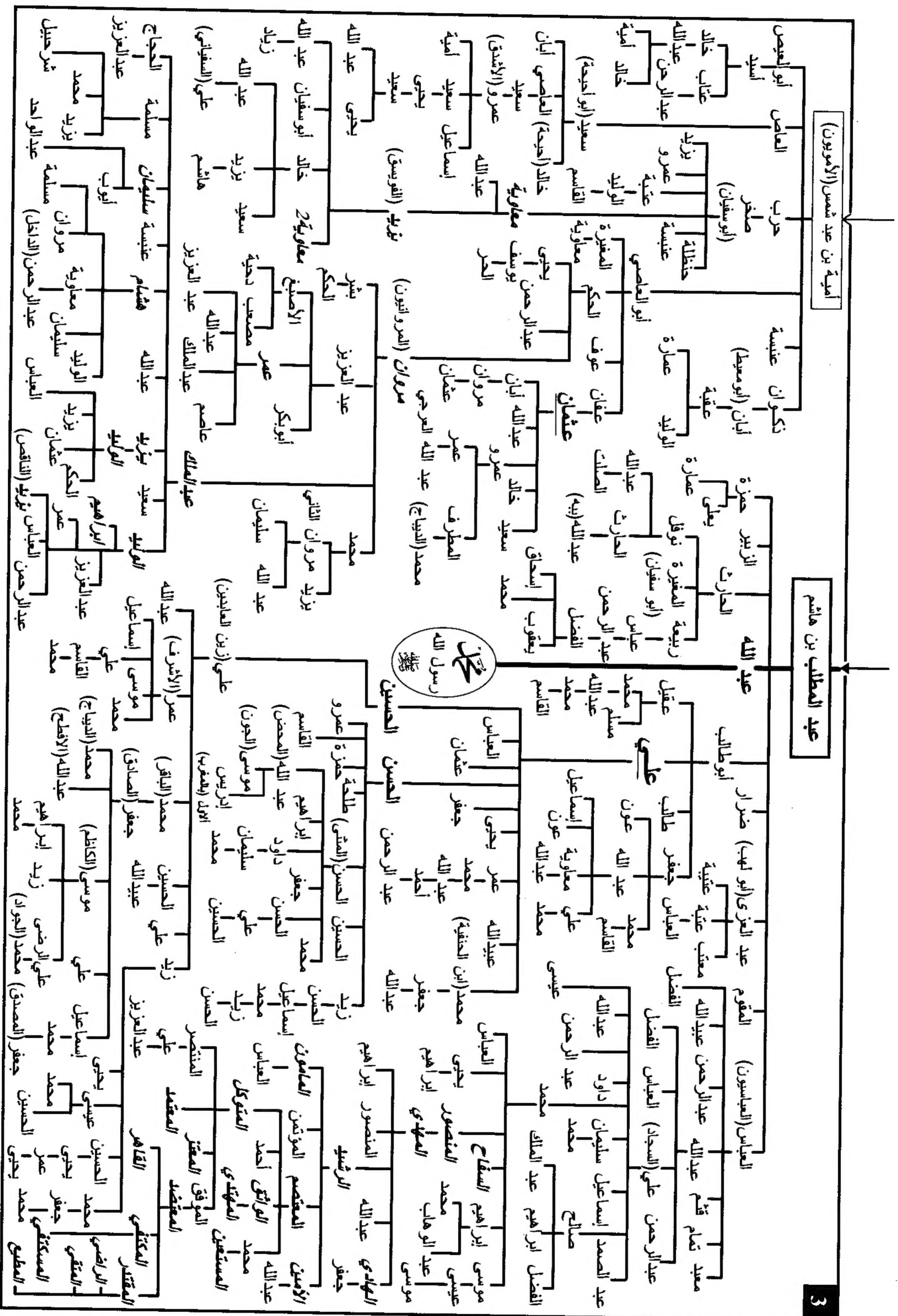
عبدالله

عبدالله

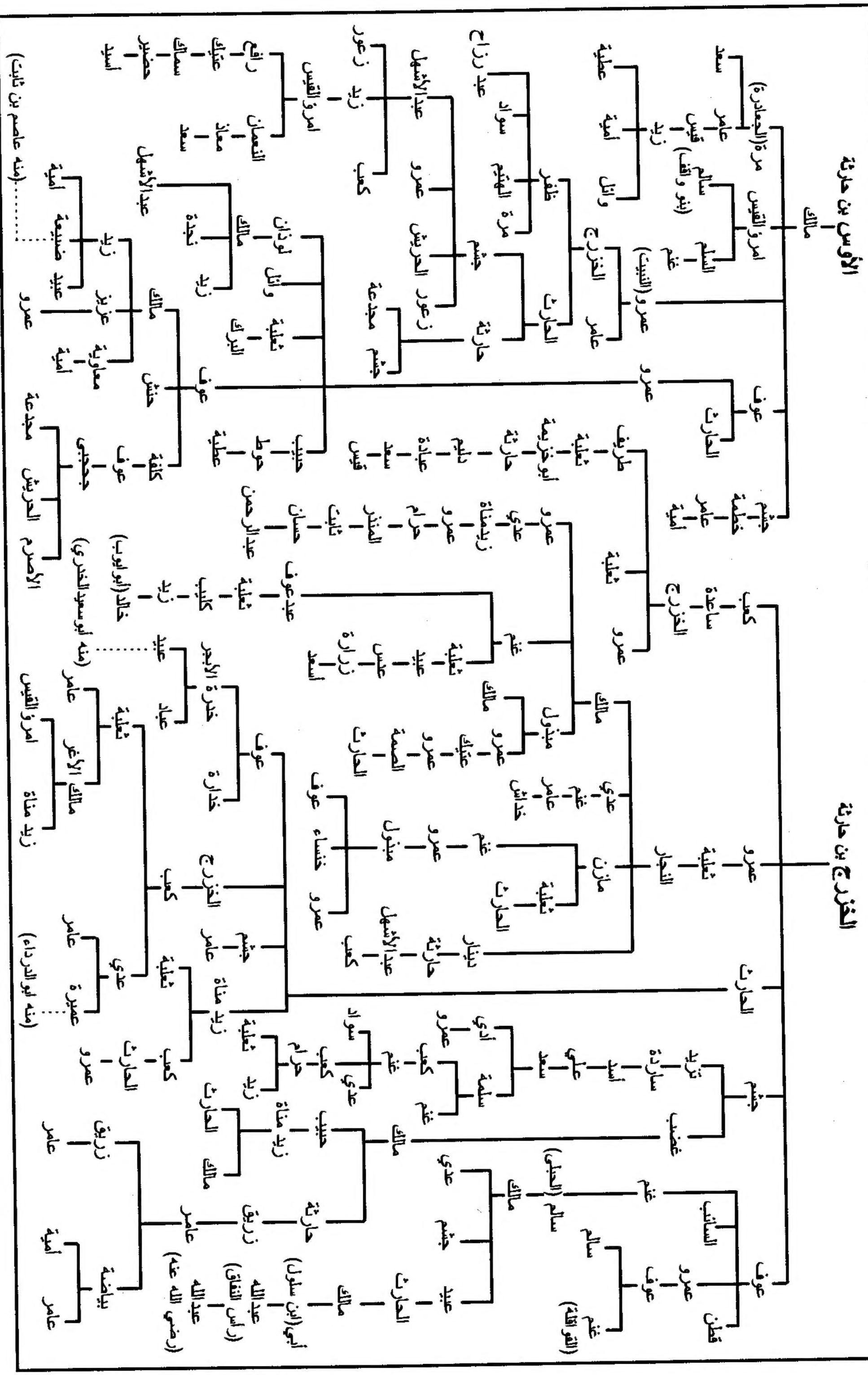
عبدالله

عبدالله

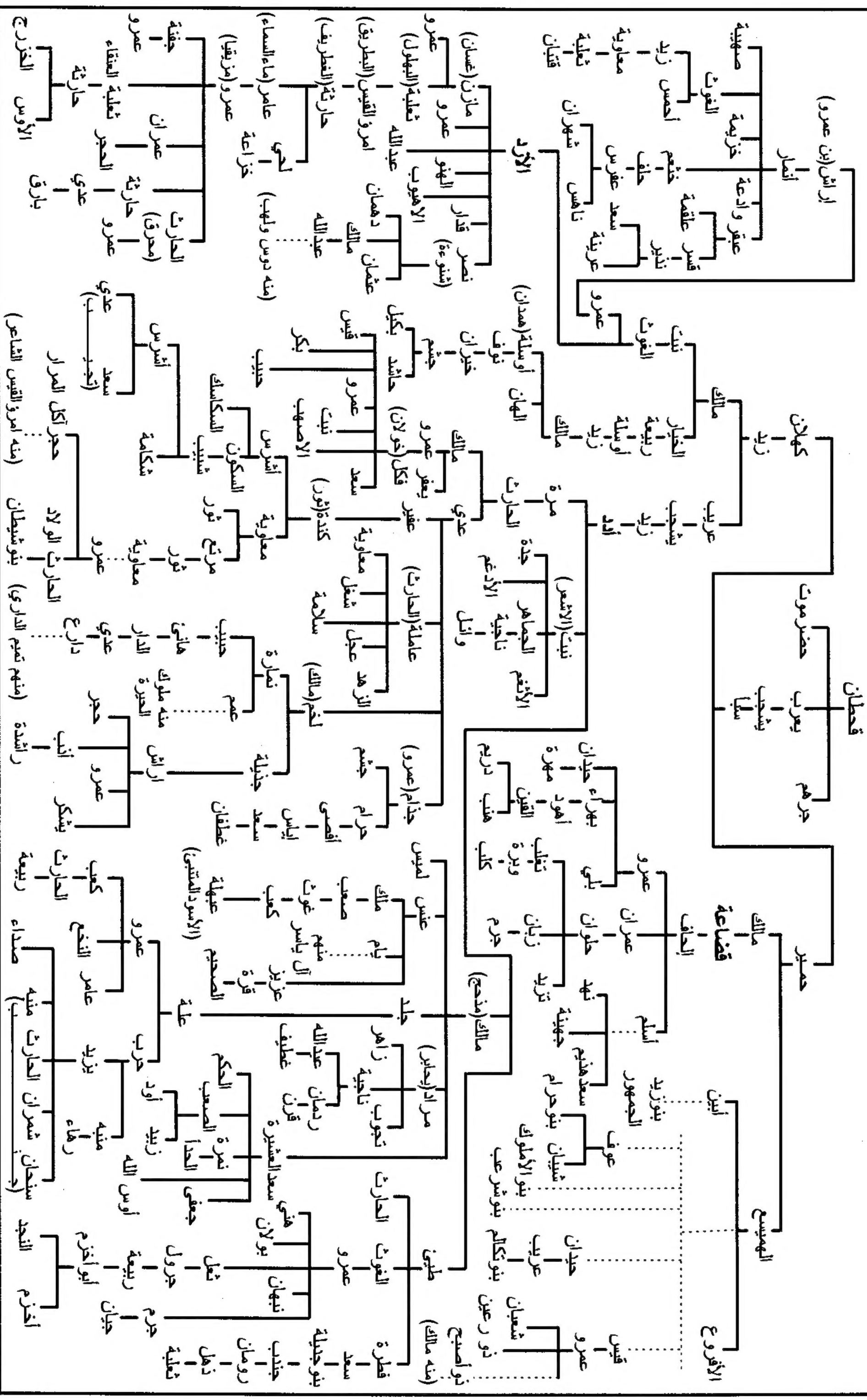




شجرة النسب الأنصاري -



شجرة أهـم القبائل القحطانية



طبع بمطابع
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: 23424 الشارقة - إ. ع. م.

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أع ش/428 بتاريخ 2002/2/26